د. هاني السباعي

# في التاريخ والفقه والسياسة

دراسات أبحاث مقالات حوارات أجوبة بيانات

١

المجلد الاول



دار الكتاب العالمي

# في التاريخ والفقه والسياسة

## دراسات أبحاث مقالات حوارات أجوبة بيانات


**الدكتور هاني السباعي**


**المجلد الأول**

**١**




دار الكتاب العالمي








الطبعة الأولى

١٤٤٥ هـ - ٢٠٢٣ م

رقم المكتبة لوزارة الثقافية التركية: ٣٦٠٣٠

الطبع والتجليد:

**Baskı&Cilt: Baskı&Cilt:** Step Ajans Matbaa Ltd. Şti.
Göztepe Mah. Bosna Cad. No: 11 Bağcılar / İstanbul
**Tel:** 0212 446 88 46
**Sertfika No:** 45522

عنوان دار الكتاب العالمي:

Yamanevler Mah. Küçüksu Cad. No: 9 Dükkan: 1
Ümraniye / İSTANBUL
**Tel:** +90 539 762 66 95
**bilgi@kureselkitap.com**
**www.kureselkitap.com**






"إني رأيت أنه لا يكتب إنسانٌ كتاباً في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يُستحسن، ولو قدم هذا لكان أفضل، ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر" أهـ الأصفهاني

# إهداء وشكر وتقدير لزوجتي

أهدي هذه الأعمال إلى أعز الناس إلى قلبي؛ حرمنا المصون زوجتي الفاضلة أم أولادي وجدة أحفادي؛ أتقدم إليها بجزيل الشكر والتقدير والعرفان على ما بذلته من تقديم يد العون، وتحفيزها لي لإتمام كل دراساتي وأبحاثي وكتبي ومقالاتي وغيرها من مساهمات دعوية؛ رغم ظروفها الصحية - الله أسأل أن يشفيها شفاء لا يغادر سقماً - والمشاكل الحياتية التي واجهتها بصبر تؤجر عليه إن شاء الله تعالى، والعقبات التي كانت تحول أحياناً بيني وانهاء هذه الأعمال؛ فكانت نعم المحفز ونعم المعين! فجزاها الله عني خير الخير العميم. وأسأل الله تعالى كما جمعنا في الدنيا على طريق الإسلام وصحيح الاعتقاد أن يجمعني وإياها في الآخرة في الفردوس الأعلى وليس ذلك على الله بعزيز. اللهم آمين.

وما أحسن قول القاضي شريح رحمه الله في الثناء على زوجته:

رأيتُ رجالاً يضربون نساءَهم

فشُلتْ يميني يوم تُضرب زينبُ

أأضربها من غير ذنبٍ أتتْ بهِ

فما العدلُ مني ضربُ مَنْ ليس يذنبُ

فزينبُ شمسٌ والنساءُ كواكبٌ

إذا طلعتْ لم يبدُ منهن كوكبُ

د. هاني السباعي

لندن ٤ ربيع الثاني ١٤٤٤هـ ٣٠ أكتوبر ٢٠٢٢

# تقديـم فضيلة الشيـخ الدكتور طـارق عبد الحليم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وعلى آله وصحبه ومن والاه.

الحمد لله الذي تتم بأفضاله النعم، وتزول بأضواء هدايته الظُلم، القائل في كتابه المُحكم "إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ" فاطر٢٨، فالعلم هداية، والجهل ظلمات وغواية.

وقد منّ الله سبحانه، من عميم نعمه وواسع عطائه، الأخ الحبيب الشيخ الدكتور هاني السباعي، قدراً عظيماً من العلم، أخرج به هذا المُصنف الذي، شَرُفت بتقديمه بين أيدي القراء من محبي الشيخ حفظه الله تعالى.

ولست ممن يُحسن صنعة المدح، ولم أكن في حياتي مدّاحا، ولست على خطى كثير من ناشئة الكتاب الذين يمدحون من هم أقل في العلم من الشيخ السباعي، بل ومَنْ بعضهم مُصابٌ في عقيدته، بأوصاف هائلة، كشمس الأئمة وعلم الأمة، ومثل تلك الألقاب التي لا تليق إلا بأصحاب المذاهب الأربعة ومن هم على شاكلتهم! لكن ذكر المرء بما فيه، حقاَ وصدقا، في موضع البيان، ليس من المدح المذموم، الذي فشا في أيامنا هذه، لكثرة الجهل وانتشاره، سواء المادحين أو الممدوحين!

الشيخ السباعي رجلٌ قويّ في الحق، لا يخشى فيه لومة لائم، شجاع لا يتردد في بيان ما يجب بيانه، دون تأخير أو مماحكة بصنم المصالح التي أقعدت غيره ممن زعم التحلي بالعلم والفقه والحديث. وقد وهبه الله لساناً فصيحاً مُبيناً لا يخرج منه العيب أو الفحش، جادا أو مازحاً، يعرف قدر نفسه وقدر غيره، فيحفظ نفسه ويحفظ

غيره، ويضع كلا في موضعه دون تعدٍ أو مزايدة. وهو، مع ذلك فطنٌ عارف بما يجب أن يقال ومتى يجب أن يقال، بعد أن عركته المحن والتجارب مدى عمره كلّه. فهو داعية مفوّه، وكاتب مُجيد، وأبٍ حنون وزوج صالح، وصديقٍ مخلص عرفته طويلاً، أحسبه ولا أزكي على الله أحدا.

وقد منّ الله على الشيخ الدكتور السباعي بنعمتين، قلما يجتمعا في الدعاة، إلا القليل منهم، نعمة حسن البيان وبلاغة الأسلوب وسلاسة العبارة وانضباط اللغة واستيعاب الجملة للمعنى المراد. ونعمة الخطابة التي برع فيها براعة فائقة بفضل الله عليه، حتى صار له مريدون ومتابعون، خاصة خطب الجمعة التي له منها ما يزيد على ألف وستين خطبة، غير دورات كاملة في القضاء الشرعي والتوحيد والإيمان وغير ذلك. فهو كاتب مجيد وخطيب مفوّه، ثم إنه شاعر طبعيّ له أشعار جميلة معبّرة.

تعلم الشيخ الدكتور في كتّاب المدينة (مكتب تحفيظ القرآن) وحفظ خمسة أجزاء من القرآن الكريم مع تعليم مبادئ اللغة العربية الأولية التي كانت تدرس في (الكتّاب)، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية النموذجية بمدينة القناطر الخيرية ثم بالمدرسة الإعدادية للبنين بمدينة القناطر الخيرية فالمدرسة الثانوية العامة بنين بالقناطر، ومنها إلى كلية الآثار جامعة القاهرة، التي تركها بسبب دراسة التماثيل، ثم التحق بكلية الحقوق وتخرج فيها، وكان يرى أنه من الممكن أن يفيد إخوانه المعتقلين الإسلاميين والتواصل معهم، فاشتغل في مهنة المحاماة بعد خروجه من المعتقل، وشارك في معظم قضايا الإسلاميين في منتصف الثمانينات مما أدى إلى اعتقاله وسجنه عدة سنين، ثم خرج بحكم البراءة. وأكمل عمله في الدفاع عن الإسلاميين أمام محاكم طاغوت مصر أيامها، حسني مبارك، حتى عام ١٩٩٣م، ثم اختفى فترة حتى وصل لندن عام ١٩٩٤م. وهناك، قبض عليه مرتين، دون تهم موجهة، وصدر قرار من مجلس الأمن ومن الإتحاد الأوروبي بوضع اسمه على لائحة الإرهاب، بطلب من مصر في وقتها! وحاولت

الحكومة البريطانية، ولا تزال، ترحيله إلى مصر، إلا أن بقية القضاء المستقل هناك تقف حجر عثرة في وجه الحكومة، خاصة وأن الكلّ يعلم حقيقة الحكم الإرهابي القائم في مصر. لكن الشيخ لا يزال يواجه حياة مضطربة، وتفتيش للمنزل واحتجاز حواسيبه وجواله، وصعوبة العيش بعد منعه من العمل أو التكسب بأي طريق كان، حتى مُنع من حمل ما يزيد عن عشرة جنيهات في جيبه!، وعدم إصدار أية أوراقٍ رسمية تبين هويته أو موطن إقامته، بعد مرور ما يقرب على ثلاثة عقود من الإقامة في إنجلترا! ومن أراد ثبتاً كاملاً بأعماله فدونَه السيرة الذاتية للشيخ، الموجودة في آخر هذا السِفر، فهي لائحة طويلة مباركة. والحمد لله تعالى أن وفّق الشيخ إلى أن يجمع الثروة المدونة التي جادت بها قريحته المهمومة بأدواء الأمة وابتلاءاتها، فوصف أكثرها، وطَبّ لها، فأحسن طَبّها، وأخرج نتاجاً ثريا من المقالات والأبحاثِ العلمية الرائعة، في كثير من فروع العلوم الإسلامية.

والشيخ، حفظه الله، على قدرته في كثير من فروع العلم إلا إنه قد تخصص في مجالين، فاق فيهما وتفوّق، التاريخ، الذي هو محل عشقه وموضع مهارته، وعلم القضاء الشرعي، الذي هو تخصُصه في البحث وموضوع دراسته العليا. كما عالج الشيخ، فيما كتب، الواقع المُعاش وأحوال الأمة، دون إعراضٍ عن أي من الأعراض السرطانية التي أفسدتها، والتي يخشى جلّ المتحدثين من غيره التعرض لها. وهذه المقالات والأبحاث هي مكونات هذا السِفْر الكبير، والتي قسّمها إلى عدة أبواب أساسية، ثم وضع لها فهرسا تفصيليا، ليسهل على القارئ والباحث تحديد موضع طلبته ومحلّ بُغيته.

كما أخرج العديد من الكتب العلمية النافعة، التي تنبئ عن فطرة علمية سديدة، وقدرة تحليلية مدققة ولعل الله سبحانه أن يوفقه لإخراج سفر تالٍ يشمل كلّ تلك الكتب النافعة القيّمة إن شاء الله تعالى.

ولعلي أطلت على القارئ، فحل بينه وبين قراءة هذا السِفر الماتع. لكن حقّ الشيخ أولى أن يكون مقدما، وما أوفيته حقه، إلا ما قدر عليه القلم العاجز. ثم أخلّي بينكم وبين الكتاب، أحسن الله إلى كاتبه وجزاه الجنّة بما قدّم إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

د طارق عبد الحليم

تورونتو كندا

٢ ربيع ثان ١٤٤٤ – ٢٨ أكتوبر ٢٠٢٢

# مقدمة المؤلف

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد:

هذه الأعمال ما كانت لتظهر مجتمعة في سفر مستقل؛ لولا فضل الله تعالى ثم فضيلة الشيخ الدكتور طارق عبد الحليم حفظه الله الذي نصحني بجمع شتات المقالات والدراسات في كتاب جامع واحد خشية ضياعها ولتكون سهلة للباحثين وللشبيبة المهتمين بواقعهم المعاصر وربطه بماضي أمتنا صعوداً وهبوطاً. على أية حال لا يسعني إلا أن أشكر فضيلة أخي الكبير الأستاذ الشيخ الدكتور طارق عبد الحليم على نصحه وعلى إرشاده جعل الله نصحه وإرشاده في ميزان حسناته يوم القيامة اللهم آمين.

أما عن هذه الأعمال فقد قسمتها إلى سفرين؛ السفر الأول عبارة عما تيسر لي من جمع كثير من المقالات المتفرقة، والدراسات والحوارات والأسئلة والأجوبة والبيانات ومتنوعات من كلمات ع الماشي. أما السفر الثاني: إذا كان في العمر بقية إن شاء الله ويسر الله طبعه سيحتوي أيضاً على كتب ومقالات وأبحاث أخرى خاصة بالعبد الضعيف.

وفي الختام أترك القارئ الكريم للتجوال في هذا السفر لعل الله أن ينفع به ورجاء ألا يسنانا من صالح دعائه. فما كان في هذا السفر من صواب فمن عند الله وحده، وما كان من خطأ فمن نفسي والشيطان وأستغفر الله العظيم.

كما أسأله سبحانه وتعالى أن يجعل هذه الأعمال خالصة لوجهه الكريم وأن ينفع بها وأن يجعلها صدقة جارية بعد مماتنا. اللهم آمين.

د. هاني السباعي

لندن ٤ ربيع الثاني ١٤٤٤هـ ٣٠ أكتوبر ٢٠٢٢

# أولاً: الأبحـاث والمقالات

# إعـادة النّظر في كتابة التّاريخ الإسلاميّ

د. هاني السباعي

كنّـا نـود أن يكتـب التّاريـخ الإسـلاميّ بنفـس دقّـة المنهـج الـذي دُوِّنـت بـه كتـب الأحاديـث.. ولكـن تدويـن التّاريـخ لـم يحـظ بهـذه العنايـة. وقـد يرجـع ذلـك إلـى عـدّة عوامـل منهـا: أنّ الكثيـر مـن كتـب التّاريـخ خضعـت لهـوى الحـكّام، إمّـا رغبـة فـي نـوال مـا عندهـم، أو رهبـة مـن سـطوة الدّولـة أو لميـل المـؤرّخ لتوجّهـات الدّولـة.. حتّـى إنّ الكثيـر مـن الوثائـق والمُكاتبـات الهامّـة قـد تـمّ طمسـها أو إخفاؤهـا بسـبب تدخّـل بعـض الحـكّام.. وقـد تنبّـه الإمـام الحافـظ الذّهبـي لهـذه الحقيقـة التّاريخيّـة حيـث يقـول فـي ترجمتـه لعبـد الصمـد بـن علـي بـن عبـد اللـه بـن عبـاس الأميـر وأنّـه ليـس بحجّـة: "ولعـلّ الحفّـاظ ربّمـا سـكتوا عليـه مُـداراة للدّولـة" ١(الذهبـي: ميـزان الاعتـدال ج٢ ص٦٢٠.. نقـلاً عـن العواصـم لابـن الوزيـر ج٨ ص٤٠,٤١).. وهـي كلمـة تعضـد وجهـة نّظرنـا هـذه، كمـا أنّنـا نـرى أنّ ابـن الأثيـر صاحـب <الكامـل فـي التاريـخ> كان متحيّـزا للأسـرة الزّنكيّـة الذّاهبـة علـى حسـاب صـلاح الدّيـن الأيّوبـي.. وممّـن تأثّـر بهـذا الدّكتـور حسـين مؤنـس فـي كتابيـه (نـور الدّيـن زنكـي) و(صـور مـن البطـولات العربيّـة والأجنبيّـة).. أو لأنّ التّاريـخ كان يـدوّن فـي فتـرة حكمهـم.. ممّـا جعـل بعـض علمـاء التّاريـخ يغـضّ الطّـرف عـن أحـداث هامـة للدّولـة المنصرمـة بُغيـة تحسـين فتـرة حكـم هـذه الدّولـة.. وتشـويه خصومهـا الذّيـن قامـوا علـى أنقاضهـم لكـن حملـة التّشـويه بـدأت فجّـة قويّـة فـي دولـة بنـي بُويـه.. هـذه الدّولـة الشّـيعيّة الخبيثـة التّـي أفسـدت التّاريـخ الإسـلاميّ إلـى وقتنـا الحاضـر. وقـد اسـتمرّت حملـة التّشـويه إلـى أن كانـت اليـد الطولـى للمستشـرقين منـذ قرنيـن فـي تشـويه وتقبيـح التّاريـخ، بـل وتعمّدهـم إبـراز الحـركات الهدّامـة كالزّنـج والقرامطـة، ودولـة بنـي بُويـه... الـخ.

ولمّا كنّا نمسّ هذه القضية مسّا خفيفا فإنّنا سنوضّح الصّورة في النّقاط الموجزة التّالية:

## أولاً: الدّولة الأمويّة الأولى والثّانية

لقد تعرّضت الدّولة الأمويّة لحملة تشويه من بعض الإسلاميّين قبل المستشرقين.. ولم تنصف هذه الدّولة رغم أنّها الدّولة الأنموذج في وحدة الأمّة في تاريخ المسلمين بعد عصر الخلافة الرّاشدة، وهي حالة لم تتكرّر في حقبة من حقب التّاريخ بعد ذلك.. بل العكس تماماً.. إذ انحسر دور الخلافة شيئاً فشيئاً.. حتّى دبَّ التّمزّق والتّشرذم في صفوف المسلمين فصاروا دويلات متناحرة.. وسبب عدم الإنصاف أن كتابة التّاريخ بدأت في عصر الخصوم فقد ظهر أول كتاب في تاريخ المسلمين العام لأبي حنيفة أحمد بن داود الدّينوري (ت ٢٨٢ هـ) <الأخبار الطوال> ويعتبر هذا الكتاب أقدم المصادر التّاريخيّة وهو كتاب موجز في تاريخ الإسلام حتّى أوائل الخلافة العبّاسية، لذلك هو أقرب المراجع التّي تكلّمت عن الخلافة الأمويّة، ورغم أهميّته فإنّه قد خلا من الوثائق والرّسائل التّي كانت ترسل من وإلى القوّاد وملوك الفرنجة وغيرهم.. ثمّ كتاب فتوح البلدان للبلاذري (ت ٢٧٩ هـ).. ثمّ ألف أبو جعفر محمّد بن جرير الطّبري (ت ٣١٠ هـ) كتابه <تاريخ الأمم والملوك> الذي يعتبر أغزر المصادر التّاريخيّة مادّة ويبدأ من القول في الزمان وخلق آدم وسائر الأنبياء ثم نسب النبي صلى الله عليه وسلم وسيرته وهجرته وغزواته وينتهي عند حوادث سنة ٣٠٢ هـ. ثم جاء عريب بن سعيد القرطبي فوصل تاريخ الطبري إلى سنة ٣٢٠هـ.

هكذا فإننا نلاحظ أنّ أهمّ وأقدم الكتب التّاريخيّة، بل وحركة تأليف كتب السّيرة والتّاريخ قد دوّنت كلّها في أواخر الدّولة الأمويّة وعهد العبّاسيّين على مدار خمسة قرون. ومن ثم لا توجد مصادر مستقلّة كتبت في هذه الحقبة عن تاريخ الدولة الأمويّة، وعالجتها بإنصاف؛ اللهمّ إلا كتاب أنساب الأشراف للبلاذري.. (والحق – إن العصر الأموي عصر مظلوم – على أهميّته – تحامل عليه المؤرّخون القدامى، ولم يدرسه

المؤرخـون المعاصـرون دراسـة موضوعيّـة تبـرز أهميّتـه فـي الحضـارة الإسـلاميّة. فَتَعَصُّـبُ العبّاسيين ضدهـم (..) وكذلـك ارتكـب الأمويّون ولاسـيما المتأخريّن منهـم أخطـاء شـنيعة أدت لا إلـى ذهـاب دّولتهـم فحسـب، بـل إلـى تشـويه سـمعتهم وتصويرهـم بغيـر صورتهـم الحقيقيّة) ٢(محمـد ماهـر حمـادة (د): دراسـة وثقيـه للتاريـخ الإسـلامي ومصـادره – مؤسسـة الرسـالة بيـروت ط أولـى ١٤٠٨هـ ص٢٠.).

**ثانياً: الدولة الزبيرية** (٦٣هـ إلى ٧٣هـ)

للأسـف الشّـديد أغفـل المؤرّخـون القدامـى حقبـة تاريخيّـة هامّـة وهـي فتـرة حكـم الدّولـة الزّبيريّـة؛ فتدويـن الخلافـة الزّبيريّـة يذكـر ضمـن الدّولـة الأمويّـة مـع الحـركات الخارجـة عـن الدّولـة مثـل الخـوارج!! رغـم أن عبـد اللـه بـن الزّبيـر رضـي اللـه عنـه كان الخليفـة الشّـرعيّ المعترف بـه فـي مصـر والحجـاز واليمـن والعراقيـن وخراسـان وأجـزاء مـن الشّـام، وقـد بُويـع لـه بالخلافـة بعـد مـوت يزيـد بـن معاويـة؛ يقـول الحافـظ السـيوطي مؤيّـداً لـرأي الحافـظ الذّهبـي: (ولـم يبـق خارجـاً عنـه إلا الشّـام ومصـر فإنّـه بُويـع بهمـا معاويـة بـن يزيـد فلـم تطـل مدّتـه، فلّمـا مـات أطـاع أهلهمـا ابـن الزّبيـر وبايعـوه، ثـمّ خـرج مـروان بـن الحكـم فغلـب علـى الشّـام ثـمّ مصـر، واسـتمرّ إلـى أن مـات سـنة خمـس وسـتّين، وقـد عهـد إلـى ابنـه عبـد الملـك، والأصـحّ مـا قالـه الذّهبـي أن مـروان لا يُعَـدّ فـي أمـراء المؤمنيـن، بـل هـو خـارج علـى ابـن الزّبيـر، ولا عهـده إلـى ابنـه بصحيـح، وإنّمـا صحّـت خلافـة عبـد الملـك مـن حيـن قُتِـلَ ابـن الزّبيـر، وأمّـا ابـن الزّبيـر فإنـه اسـتمرّ بمكّـة خليفـة إلـى أن تغلّـب عبـد الملـك لقتالـه الحجّـاج (..) وخـذَلَ ابـنَ الزّبيـر أصحابـه، وتسـلّلوا إلـى الحجّـاج فظفـر بـه وقتلـه وصلبـه وذلـك (..) سـنة ثـلاث وسـبعين) ٣(السـيوطي: تاريـخ الخلفـاء – دار الكتـب العلميـة – بيـروت – ط أولـى ١٤٠٨هـ ص١٦٩.).

ورغـم هـذا الجـلاء لشرعيّة خلافـة ابـن الزّبيـر رضـي اللـه عنـه إلا أنّ كتـب التاريـخ قسّـمت التّاريـخ الإسـلاميّ إلـى: الخلافـة الأمويّـة مـن ٤١هـ إلـى ١٣٢هـ، والخلافـة العبّاسـيّة ١٣٢هـ إلـى ٦٥٦هـ.

وهكـذا أغفـل الدّارسـون للتّاريـخ الدّولـة الزّبيريّـة فـلا تجدهـا إلاّ ضمـن الفـرق التّـي خرجت على الأمويّين رغم أن الحقيقـة التّاريخيّة تجافي ذلك.. وبناء على ما سبق كان الأولى أن يكـون التّقسـيم كالتّالـي:

الخلافة الأموية الأولى من ٤١ هـ إلى ٦٣ هـ.

ثمّ الخلافة الزّبيريّة من ٦٣ هـ إلى ٧٣ هـ.

ثمّ الخلافة الأمويّة الثّانية ٧٣ هـ إلى ١٣٢ هـ.

ثمّ الخلافة العبّاسيّة (الأولى والثانية) ١٣٢ هـ إلى ٦٥٦ هـ.

هكـذا نكـون قـد أنصفنـا هـذه الخلافـة المنسـيّة بيـن سـطور التّاريـخ.. إذ كان لزامـاً علينا أن نعيد لهـذه الخلافة الزّبيريّة اعتبارها وتكـون فـي الصـدارة التّاريخيّة بـدلا مـن هـذا النّسـيان.

**دولة بني بُويه:** (٣٢٠ هـ إلى ٤٧٧ هـ)

هـذه الدّولـة الخبيثـة تحتـاج إلـى إعـادة تقويـم لمـا جرّتـه مـن ويـلات علـى تاريـخ المسلمين، وقـد تولّـت هـذه الدّولة كبـر حملة تشـويه الصّـدر الأوّل مـن الإسـلام.. فـلأول مرّة تظهـر الكتابـات الشُّعوبيّة التّي تطعـن على جنس العرب، بل وتُشـكّك فـي الإسـلام، وتُعظّم الفرس.. أمّا عن نشأة هذه الدّولة المنحرفة: "وظهر بنو بُويه في عالم التّاريخ الإسلاميّ في أوائل القـرن الرّابع الهجريّ من خلال ذلك الغمـوض الـذي اكتنـف تاريخهـم قبـل ذلـك (..) وإن نسـب هـذه الأسـرة مسـألة يحوطهـا الشـكّ، الملوك والأمـراء الذّيـن تظهـر عظمتهـم مرة واحـدة" ٤ (حسـن إبراهيـم (د): تاريخ الإسلامي السياسـي والديني والثقافي والاجتماعي – دار الجيـل بيـروت – ص٤٣).. لذلـك لا غـرو أن نجـد تاريـخ الإسـلام مشـوّهاً إلـى بدايـة عهـد بني بُويـة ٣٢٠ هــ.. وسـبب ذلـك أنّ هـذه الدّولـة البُويهيّـة كانـت مكروهـة لـدى عامـة المسـلمين وخاصّتهـم.. وكان النّـاس يحتجّـون عليهـم بسـيرة السّـلف الصالـح، وضـاق بنـو بُوية ذرعـاً من هـذا الاحتجـاج.. فظهـر شعراء وكتّاب شعوبيّون حاقدون على جنس العرب،

بل وعلى أهل الإسلام وذلك بإيعاز من السلّطة الحاكمة لأنّ الخليفة العبّاسيّ لم يكن له إلا الاسم فقط؛ فقد ذكر ابن خلدون في تاريخه حالة الضّنك والخراب الذي عمّ المسلمين في عهد بني بُويه.. فليراجع (تاريخ بن خلدون الجزء الرّابع).. "إنّ آل بُويه قد اشتروا ضمائر أهل الطّمع، والانتفاع الشّخصيّ، من ضعفاء النّفوس، فراحوا يكيلون لهم المديح جزافاً حتى جاوزوا المقدار. هذا أبو هلال الصّابي, يضع كتاب <التّاجي> وهو سجين, وقد مرّ به بعض أصحابه فسأله فقال: ((أباطيل أُنمّقها، وأكاذيب أُلفّقها في تاريخ آل بُويه" ٥ (وليد الأعظمي: السيف اليماني في نحر الأصفهاني – دار الوفاء – مصر ص٦٥) حتى علماء النّحو تقرّبوا إليهم مثل أبو عليّ الفارسيّ عالم اللّغة والنّحو "ففي سنة ٣٤١ هـ جاء إلى حلب, إلى بلاط سيف الدّولة استدعاه إلى شيراز ليؤدّب أبناء أخيه خُسْروَهْ (كسرى) فنال حظوة عند عضد الدّولة وألّف له الإيضاح والتّكملة" ٦(عمر فروخ (د): تاريخ الأدب العربي – ج٢ – دار العلم للملايين – ص.(٥٣٧.

وهذا أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) يؤّلف كتابه الضّخم <الأغاني> للوزير أبي الحسن محمّد بن الحسن المهلّبي.. ورغم أنّه كتاب أدب وشعر وليس كتاب تاريخ بالمعنى الاصطلاحيّ.. إلاّ أنّ هذا الكتاب كان تكأة المستشرقين والعلمانيّين وضعاف النّفوس في النّيل من تاريخ الإسلام وأهله.. وصار عمدة في تقييم التّاريخ الإسلاميّ.. وجلّ حجّتهم البالغة هذه القصص والحكايات التي ذكرها الأصفهاني عن المغنّيين وأهل الطّرب والمجون، حيث صار تاريخ السّلف الصالح إلى سنة ٢٨٩ هـ عبارة عن مجموعة من المتآمرين سفاكي الدماء.. ومجموعة من الحمقى همّهم القصف واللّهو.. هذا هو تاريخ الإسلام الذي قدّمه الأصفهاني للتاريخ لينال حُظوة آل بُويه.. ورغم أنّ أعلام المسلمين وأهل الحديث الموثوق في أمانتهم العلميّة قد فضحوا هذا الكتاب وحذّروا منه.. إلاّ أنّ هناك إصراراً عجيباً من قبل الدّارسين في هذا الزّمن من علمانيّين ومن على أشكالهم على الاعتماد عليه في كثير من تحليلاتهم المهترئة..

فهذا الحفظ أبو الفرج بن الجوزي يقول عن الأصفهاني: "وكان يتشيّع ومثله لا يوثق بروايته، فإنّه يصرّح في كتبه بما يوجب عليه الفسق، وتُهّون شرب الخمر

وربّما حكى ذلك عن نفسه ومن تأمّل كتاب الأغاني رأى كل قبيح ومنكر" ٧(ابن الجوزي: المنتظم ج٦ ص٤٠,٤١) وليس هذا رأي ابن الجوزي فقط، بل جمهرة علماء الأمّة كالخطيب البغدادي وابن كثير وابن تيمية وغيرهم.. "وعلى كل حال فإنّ كتاب الأغاني كُتب في عهد آل بُويه، وتناول الغناء وما يتعلّق به مع أخبار شائنة منذ الجاهليّة إلى عهد الخليفة المعتضد بالله المتوفّى سنة ٢٨٩ هجرية، وسكت عمّا بعد ذلك فهل انقطع الغناء؟ أم أنّه أراد أن يسكت قبل مجيء العهد البُويهي، لئلا يضطر إلى ذكر أشياء قبيحة لا يحسن ذكرها؟ لذلك نال الكتاب رضا آل بُويه، واتّفق مع رغبتهم وهواهم في تشويه تاريخنا، والدسّ والافتراء والكذاب على آل البيت النّبوي الشّريف، وعلى الأمويّين، وعلى أعلام أمّتنا ولذلك كان عضد الدّولة البُويهي لا يفارق كتاب الأغاني" ٨(السيف اليماني ص٧٠).

وبعد.. إنّ كتابة التّاريخ الإسلاميّ تعرضت لتشويه متعمد من قبل السلطة وكان الإخباريّون والشّعراء أدوات السلطة في حملة التّشويه.

**الدّولة المملوكيّة:** (٦٤٨ هـ إلى ٩٢٣ هـ)

هذه الدّولة قد تعرّضت لحملة تشويه لكلّ من هبّ ودبّ في كتابة التّاريخ، وصارت أنموذج الانحطاط الحضاريّ والأدبيّ واللّغويّ حتّى وصمت بكلّ الموبقات.. فلا تجد نقيصة إلاّ في العهد المملوكيّ.. على سبيل المثال: - يقول شاعر علمانيّ (أحمد عبد المعطي حجازي) في مقال له في جريدة الأهرام المصريّة بتاريخ ٢٦/٦/١٩٩٦: (وكذلك في عصور الانحطاط التي شهدها الأدب العربيّ في العصر المملوكيّ؛ ففي هذا العصر الذّي تراجع فيه الشعر وتدهورت الكتابة...).

مع أن هذا العصر الإسلاميّ شهد أعظم المعارك وأشدّها على الأمم الكافرة.. وفيه انتهت أسطورة التّتار ذلك الجيش المغوليّ الذي لا يقهر وكانت مقبرته في عين جالوت.. وكانت نهاية الصّليبيّين على يد المماليك أيضاً..

لقد كانت نهاية الغطرسة والتّهاون بهيبة المسلمين على يد سيف الدّين قطز، وبيبرس البندقداريّ (ت ٦٧٦ هـ) والأشرف خليل قلاوون (ت ٦٩٣ هـ) هؤلاء السلاطين المماليك هم الذين دوّخوا الأمم الكافرة واستعادوا هيبة وعظمة الإسلام.. فلولا أنّ الله رحم الأمة بهؤلاء المماليك لدخل التتار مصر..

وأوروبا نفسها مدينة لهؤلاء المماليك.. فلولا عين جالوت لزحف التّتار على العالم.. فهؤلاء المماليك هم الذين أوقفوا ذلك المارد المدمّر الذي كاد أن يبيد حضارة الإسلام، بل والعالم أجمع.. فلماذا الهجوم التشويه؟

مما لا شكّ فيه أنّنا نكون مخطئين إذا تصوّرنا أنّ عصر المماليك كعصر الصّحابة أو الخلافة الرّاشدة أو حتى العصور الإسلامية الأولى النقية.. ولكن يجب أن ننظر إلى تقويم هذا الدّولة من خلال الظّرف التّاريخيّ الذي وجدت فيه.. فحالة الفوضى وتوالي الهزائم على المسلمين.. أفقدتهم الثّقة بأنفسهم وكادت أن تفقدهم الثّقة في دينهم.. فيكفي هؤلاء المماليك فخراً أنّهم هم الذين أعاد الله على أيديهم الثّقة في نفوس المسلمين.. هذا من النّاحية العسكريّة.

أمّا على الجانب الأدبيّ والتّاريخيّ واللّغويّ فعصر المماليك هو عصر الموسوعات التّاريخيّة الكبرى.. عصر المماليك هو الذي حفظ لنا تاريخ الإسلام الذي كاد أن يندثر في الحروب الصليبية والهجوم المغوليّ المدمّر..

وهذه عينة من علماء ذلك العصر.. ابن منظور، القلقشندي، الفيروز آبادي، المقريزي، خليل أيبك الصفدي، ابن خلدون، ابن تغري بردي، ابن تيمية، ابن جماعة، ابن شاكر الكتبي، ابن شاهين الظاهري، ابن دقماق، ابن إياس، ابن بنت الأعز، البقاعي، ابن الجزري، الداودي، ابن بطوطة، ابن حبيب، النعيمي، ابن الفرات، ابن الرفعة، ابن طولون، ابن قاضي شهبة، قاسم بن قطلوبغا، ابن كثير، ابن العديم، ابن عبد الظاهر، ابن الفرات، النويري، السّبكي وابنه، الذّهبي، ابن القيم، ابن رجب، ابن حجر العسقلاني، بدر الدين العيني، السخاوي، السّيوطي.. الخ القائمة طويلة.. لو أردنا أن نفرد لكل عالم منهم ترجمة لاحتجنا إلى عدة مجلدات.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم *** إذا جمعتنا يا جرير المجامع

هؤلاءِ هم علماء الأمة الذين نأخذ عنهم ونفتخر بهم.. بل وتتشرف أيّ أمّة بأسمائهم.. وكتبهم ملأت الدّنيا بعلومهم الغزيرة ومنهجهم القويم.. هؤلاء العلماء كانوا في عصر المماليك تلك الدّولة المفترى عليها..

## صفوة القول

بعد هذا التطواف السريع نقول: بعيداً عن حكايات الإخباريّين غير الموثوقة وقصص الوضّاعين وموتوري النّفوس؛ نستطيع أن نقرأ التّاريخ بعيون جديدة ونظرات موضوعيّة، ولكن علينا ألا ننسى أنّ تاريخنا هو تاريخ بشريّ؛ فهو حركة حياة تعجّ بكلّ ما في الإنسان من إرادات وشهوات ورغبات، ولكن كان علينا أن ننظر إلى التّاريخ بقراءة العلم لا بقراءة الحكايات ولا بنفوس متربصة حاقدة وموتورة.

*نشر هذا المقال في مجلة المنهاج بلندن العدد الاول السنة الأولى شهر صفر ١٤١٨هـ يونيو ١٩٩٧ من ص (٦٨- ص٤).

# القدس لنا ونحن أولى بها منهم

د. هاني السباعي

للقدس منزلة عظيمة في قلوب المسلمين فهي مسرى نبينا صلى الله عليه وسلم ومعراجه، وهي أولى القبلتين، ثالث الحرمين، وقد شرفها الله في كتابه الكريم: {سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله} ، وهناك عشرات الأحاديث النبوية التي تبين فضل بيت المقدس وبركته.

وقبل أن أشرع في الموضوع أحب أن نتكلم في النقاط التالية:

أود أن ألقي الضوء على عقيدة النصارى في القدس لكي تتضح الأمور وليعلم الناس لماذا المسلمون أولى بالقدس من غيرهم:

## عقيدة النصارى في القدس:

القدس جزء من فلسطين المقدسة لدى المسيحيين، بل هي الأقدس والأعز لديهم، لذا فهي خاضعة لحكمهم، شأنهم شأن جميع فلسطين لكنها تكون لسائر الأمم ولا تقفل بوجه أحد، في عقيدة الإنجيل، أي أنها تخضع للتدويل، إذ هي ليست مقصورة على دين معين أو قوم معينين أو شعب خاص، فهي ليست للعرب ولا للمسلمين ولا للمسيحيين، مع احتفاظهم بالهيمنة الإدارية عليها، وستبقى كذلك لجميع الأمم والشعوب حتى يبعث السيد المسيح ثانية في آخر الزمان، حينئذ تكون " مسيحية خالصة لهم ".

ولقد أقر البابا " بولس السادس " بوجوب تدويلها، اعتماداً على نص الإنجيل فيها: ( تكون مدوسة من الأمم، حتى تكمل أزمنة الأمم ) ، أي حتى مجيء السيد المسيح ثانية، قبيل قيام الساعة، وفناء العالم إذ تكون القدس حينئذ " مسيحية خالصة لهم " !!

فلو آمنا بعقيدة التوراة العهد القديم من الكتاب المقدس وحدها لسلمنا " فلسطين " إلى اليهود من طيب نفس منا، وانحلت مشكلة فلسطين إلى الأبد وانتهى الأمر!! ولو آمنا بعقيدة العهد الجديد الذي منه الأناجيل في الكتاب المقدس، لصارت فلسطين صليبية، كما حاول مسيحيو أوروبا في أكثر من قرنين من الزمن أو في أكثر من عشر حملات رهيبة، انتزاعها من المسلمين، وازهقت الأرواح خلالها مئات الألوف، بل الملايين من الجانبين، ولكنهم رجعوا خائبين، ولصارت القدس لجميع الأمم فخسرناها.

إذ هي بين " التهويد " و " التدويل "!! ليست عربية ولا إسلامية!! ، التهويد بحكم التوراة، والتدويل بحكم الإنجيل!! وحكم البابا! وحكم هيئة الأمم!!

ولقد أخذت هيئة الأمم المتحدة في توصيتها عام ١٩٤٧ بشأن حل مشكلة فلسطين بقرار تدويل القدس، تبعاً للعقيدة المسيحية المثبتة في نص الإنجيل [عقيدة اليهود في تملك فلسطين/عابد توفيق الهاشمي/ص٢٠٤ بتصرف].

أردت من خلال هذه التقدمة أن أبين اعتقاد النصارى في القدس لأننا سنتعرض لهم من خلال مرورنا على محطات تاريخية للمدينة المقدسة.

القدس تاريخيا: " الهيكل وحقيقته، الصخرة وحكايتها. . .

القدس مدينة عربية قديمة أسسها اليبوسيون، وهم فرع من الكنعانيين، أسسوا المدينة وسموها " يبوس " عام ٢٥٠٠ ق.م.

وفي عهد العربي " ملكي صادق " وهو أحد حكام اليبوسيين وكان رجلاً صالحاً معتقداً التوحيد، وسع المدينة وسماها " أورسالم " أي مدينة السلام، وبنى فيها بيتاً للعبادة سماه " بيت قدس " فسميت في ذلك الوقت " بيت المقدس ".

ويقال في عهد الملك صادق زار خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام فلسطين، فأحسن ملكي صادق وفادته وضيافته وقدم له الطعام والشراب - كما جاء في الإصحاح ١٤ من سفر التكوين -

وفي عهد يوشع بن نون احتل بنو إسرائيل مدينة أريحا وكان ذلك عام ١٢٦٠ ق.م.

وفي عهد نبي الله داود عليه السلام دخل القدس واخذها عاصمة له، أي في عام ١٠٠٠ق.م.

ثم حكم نبي الله سليمان عليه السلام من بعد أبيه أربعين سنة، فبنى الهيكل في القدس بأيدي البنائيين الكنعانيين أي العرب حتى إن كلمة هيكل كلمة كنعانية وليست عبرية.

ولتمام الفائدة نلقي الضوء على قصة هذا الهيكل وحقيقته:

## ما هو الهيكل؟

كانت بنو إسرائيل يحفظون في التابوت مخلفات أنبيائهم من آل موسى وآل هارون. وبعد موت يوشع بن نون، حين انحرفوا عن طاعة الله، صار بأيد أعدائهم، ثم انتزعه داود عليه السلام في معارك ضارية ضد خصومه، وحفظه سليمان عليه السلام بعد أبيه في " قدس الأقداس " عند الهيكل الذي بناه، والمسمى بهيكل سليمان. وكان يحرم فيه الرؤية واللمس على الناس باستثناء الكهنة وحدهم. ولمن انتهك التابوت جزاؤه الموت الزؤام.

## أما عن شكل هذا الهيكل:

فيبلغ طوله ٣٠م، وعرضه ١٠م، وارتفاعه ١٥م. ينقسم إلى مكانين:

مكان يعرف باسم " بير " وآخر " هيكل "، وفي الجهة الغربية يقوم " قدس الأقداس " ، وهو مكعب تبلغ مساحته ١٠م، وفيه يوجد التابوت. وقد هدم الهيكل بما فيه وقدس الأقداس خمس مرات وهذ ما سنوضحه في الفقرة التالية.

## أما هل الهيكل موجود حالياً:

من خلال هذه المحطات التاريخية تنجلي الحقيقة: يؤكد المؤرخون أن دولة يهود الموحدة لم تدم إلا حوالي ٩٧ عاماً فقط لأنه بوفاة نبي الله سليمان عليه السلام خلفه ابنه " رحبعام " الذي انقسمت الدولة في زمنه إلى دولتين:

مملكة يهوذا في الجنوب وعاصمتها أورشليم.

مملكة إسرائيل في الشمال وعاصمتها السامرة قرب نابلس.

ونشبت حروب دامية بين المملكتين حتى إن الملك (يهواش) ملك إسرائيل أغار على أورشليم واستباح هيكلها.

ثم اجتاح "سرجون" الآشوري مملكة إسرائيل فاستولى عليها عام ٧٢٢ق.م. وسبى أهلها إلى بابل، وأسكن محلهم قبائل عربية نزحت من سورية.

أما مملكة يهوذا فقد اجتاحها " نبوخذ نصر " عام ٥٨٦ق.م. فاحرق أورشليم وسبى أهلها ودمر الهيكل وغنم كل ما فيه. وفي عهد كورش الفارسي عمل اليهود جواسيس لمصلحته ضد الدولة الكلدية التي هزمها عام ٥٣٩ق. ومن ثم علت منزلة اليهود عنده، وخاصة بعد أن تزوج "إستير" اليهودية وسمح لهم بالعودة إلى إورشليم، وبنى لهم الهيكل عام ٥١٦ق.م. رغم أنه لم يكن لهم أي شأن سياسي فبه فقد ظل تحت السيطرة الفعلية للحثيين العرب.

وبقيت القدس تحت الحكم الفارسي حتى فتحها الإسكندر المقدوني عام ٣٣٢ق.م.

وبقيت القدس تحت الحكم اليوناني حتى استولى عليها القائد الروماني " بومبي " عام ٦٣ ق.م.

وفي عهد الإمبراطور " هارديان "عام ١٣٠م قام اليهود بثورة في القدس، فسحقها بعنف ودمر الهيكل ولم يكتف بذلك، بل إنه أبدل اسمها إلى " إيلياء " وحرم على اليهود دخولها أو السكن فيها.

وفي عام ٦٢٤ اجتاح الفرس فلسطين واحتلوا إيلياء وذبحوا آلاف النصارى فيها وهدموا كنيسة القيامة، وقد ساعدهم اليهود على ذلك، بل وشاركوهم جرائمهم فقتلوا الكثير من النصارى.

وفي سنة ٦٢٨م استرد هرقل القدس وانتصر على الفرس أمرت أمه بتطهير مكان القمامة واتخاذه كنيسة هائلة. وظل بيت المقدس تحت الحكم الروماني حتى فتحها الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام ١٥هـ.

ولما دخل عمر رضي الله عنه بيت المقدس طلب من البطريرك " صفرونيوس " عن مكان الصخرة فدله عليها: فوجدوها وقد اتخذها النصارى مزبلة. كما فعلت اليهود بمكان القمامة وهو المكان الذي صلب فيه المصلوب الذي شبه بعيسى عليه السلام فاعتقدت النصارى واليهود أنه المسيح. وقد كذبوا في اعتقادهم هذا كما نص الله تعالى على خطئهم في ذلك.

ويحكي لنا الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية هذا الحدث العظيم: (ثم نقل التراب عن الصخرة في طرف ردائه وقبائه، ونقل المسلمون معه في ذلك وسخر أهل الأردن في نقل بقيتها، وكانت الروم جعلوا الصخرة مزبلة لأنها قبلة اليهود، حتى إن المرأة كانت ترسل خرقة حيضتها من داخل الحوز لتلقى في الصخرة، وذلك مكافأة لما كانت اليهود صلبوا فيه المصلوب. فجعلوا يلقون على قبره القمامة. فلأجل ذلك سمي الموضع القمامة وانسحب هذا الاسم على الكنيسة التي بناها النصارى هنالك)

**وبقيت القدس تنعم بأمن الإسلام:**

وفي عام ٦٦هـ ابتدأ عبد الملك بن مروان - ت٨٦هـ - ببناء القبة على صخرة بيت المقدس وعمارة الجامع الأقصى، وكملت عمارته سنة ٧٣هـ.

ويحكي لنا ابن كثير أن عبد الملك بن مروان جمع الصناع من أطراف البلاد وأرسلهم إلى بيت المقدس: ( فبنوا القبة فجاءت من أحسن البناء، وفرشها بالرخام الملون، (..) وحفا القبة بأنواع الستور، وأقاما لها سدنة وخداماً بأنواع الطيب والمسك والعنبر والماورد والزعفران، ويبخرون القبة والمسجد بالليل، وجعل فيها قناديل من الذهب والفضة. وجعل فيها العود القماري المغلف بالمسك وفرشاها والمسجد بأنواع البسط الملونة، وكانوا إذا أطلقوا البخور شم من مسافة بعيدة، وكان الرجل إذا رجع من بيت

المقدس إلى بلاده توجد منه رائحة المسك والطيب والبخور أياما، ويعرف أنه قد أقبل من بيت المقدس، وأنه دخل الصخرة).

**أما هذه الصخرة:**

فهي الصخرة التي صلى عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم إماماً بالأنبياء ليلة الإسراء والمعراج. ويبلغ طولها ١٨ متراً وعرضها ١٤ متراً.

وكانت هذه الصخرة مكشوفة حتى أمر عبد الملك بن مروان ببناء القبة فكان مسجد الصخرة: الذي يقع على قمة جبل موريا وتقع تحت قبته الصخرة المقدسة.

وظل القدس في عيش رغيد حتى استولى عليها الصليبيون ١٥/٧/١٠٩٩م وبعد معركة دامية ذاد المسلمون عن مدينتهم، ولما لجأ المسلمون إلى ساحة المسجد الأقصى داهمتهم جيوش الصليبيين وذبحت حوالي ٧٠ ألف مسلم يشيب لها الولدان لمن أراد المزيد فعليه بابن الأثير الذي وصف هذا الهول في كتابه الكامل.

وبقيت دولة الصليبيين في القدس حوالي ٨٨ عاما حتى خلصها من براثنهم البطل العظيم صلاح الدين الأيوبي، الذي كان بحق صلاح الدنيا والدين رحمه الله. وأمر السلطان الناصر صلاح الدين بتطهير المسجد الأقصى والصخرة المباركة من أوساخ الصليبيين، وصلى على قبة الصخرة، وأحضر المنبر المشهور الذي كان قد عمله الملك العادل نور الدين محمود وكانت أمنيته أن يحضر هذا المنبر الذي أحضر له أمهر الصناع وظل المنبر في حلب قرابة عشرين عاماً حتى فتح الله القدس على يد صلاح الدين عام ٥٨٣هـ فأمر بنقل المنبر ونصبه يوم الفتح في المسجد الأقصى حيث خطب عليه قاضي دمشق محيي الدين بن الزكي خطبة الجمعة بعد انقطاع دام حوالي تسعين عاماً. وقد أحرق اليهود منبر صلاح الدين الأيوبي عام ١٩٦٩م.

وبقيت القدس تحت حكم الخلافة العثمانية حتى جاء الصليبيون الجدد حيث استولى عليها الإنجليز بقيادة الجنرال " اللنبي " في ١١/١٢/١٩١٧م. وهو صاحب قولته الشهيرة (الآن انتهت الحروب الصليبية).

ثم جاء الصليبي الحاقد الجنرال الفرنسي "غورو" حينما دخل دمشق عام ١٩٢٠ ووقف على قبر صلاح الدين الأيوبي، وضرب الضريح بسيفه قائلاً: (أنا من أحفاد الصليبيين، فأين أحفادك يا صلاح الدين).

وقد كان هذا ديدن اليهود أيضاً فبعد هزيمة ٥ يونية ١٩٦٧م اقتحم اليهود المسجد الأقصى وكان هتافهم مهيناً يومذاك، مهيناً لكل المسلمين، يمزق القلوب ويفتت الأكباد، كان هتافهم لعنهم الله: " محمد مات وخلف بنات" رددوها بالعربية والعبرية!!

ويدور الزمان دورته وحكام العرب والمسلمين يضعون أنف أمتنا الرغام وأحلوا قومهم البوار..

وفي خضم هذه الهزائم المتكررة وفي خضم هذا الحصار والتعتيم الإعلامي تخرج الطير الأبابيل بحجارة مباركة تقض مضاجع اليهود..

تأتي الحجارة الصغيرة لترد على الجنرال الصليبي الحاقد غورو.. ها نحن أولاء يا "غورو" نحن أحفاد صلاح الدين!! يأتي محمد الدرة تقبله الله ليفضح هذه الحضارة الزائفة وليدحض مراكز الدراسات التي كرست قانون العجز والهزيمة لتجعله واقعاً لا مناص منه!!

جاء الدرة وأطفال الحجارة ليقولوا لليهود المغتصبين لفلسطين: محمد صلى الله عليه وسلم مات لأن الله كتب على كل نفس الموت والموت حق، لكن محمداً صلى الله عليه وسلم خلف رجالاً يقضون مضاجعكم ويجعلون الأرض المقدسة سماً زعافاً بدلاً أن تكون لبناً وعسلاً كما تريدون.

## صفوة القول

أولاً: القدس عربية إسلامية، أعني القدس بشقيها؛ القديم والجديد، أعني المسجد الأقصى وما حوله، فالله سبحانه وتعالى يقول (الذي باركنا حوله) أي أن المسجد الأقصى وما حوله من قرى ومدن وصحراء وزروع ونخيل وزيتون يقع تحت ظل هذه الآية.. فلسطين كلها مباركة بأرضها وسمائها، ففي كل شبر على أرضها دم شهيد فقد رواها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بدمائهم الطاهرة.

ثانياً: نحن أولى بالقدس من اليهود والنصارى، فالمسلمون فقط هم المؤهلون حقاً لحكم فلسطين، نحن نؤمن بجميع الأنبياء وهم لا يؤمنون إلا بأنبيائهم فقط. فماذا فعلوا وماذا فعلنا بهم فالتاريخ شاهد على عظمتنا وتسامحنا والتاريخ نفسه شاهد على خستهم ونذالتهم وغدرهم. فماذا فعلوا لما كانت تحت سيطرتهم حيناً من الدهر.. ألم يقم اليهود بذبح وقتل النصارى وتدمير كنائسهم. ألم يقم النصارى بذبح اليهود وتشريدهم وتمزيقهم شر ممزق. ألم يقم الصليبيون بذبح ٧٠ ألف مسلم في المسجد الأقصى في حملتهم الأولى. ألم يتخذوا المسجد الأقصى وسائر مساجد فلسطين اصطبلات لخيولهم ودوابهم. ألم يقم اليهود بهد حي المغاربة بحجة البحث عن هيكلهم المزعوم رغم أن هؤلاء المغاربة الطيبين هم الذين كانوا يشفعون لهؤلاءِ اليهود لدى الخليفة العثماني!! فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان. لكنها جبلة اليهود قتلة الأنبياء.

ثالثاً: أما الهيكل المزعوم فقد دمر خمس مرات ودمره بالكامل الإمبراطور هارديان.. وكما معلوم أن الاهتمام بحائط البراق ظهر لدى اليهود منذ ٤٠٠ سنة فقط أي في القرن ١٦م. فهم مختلفون أصلاً حتى في موقع الهيكل: فطائفة تقول موجود في ساحة الأقصى. وأخرى تزعم أنه خارج الأقصى. وبعد أن حفروا خندقاً حوالي ١٥ متراً لم يعثروا حتى يومنا هذا على أية قطعة أثرية تدل على هيكلهم المزعوم، بل العكس فقد وجدوا آثاراً إسلامية على مختلف العصور وآثاراً بيزنطية، ويونانية. وبالطبع قد كان هناك هدف آخر لهذه الحفريات ألا وهو خلخلة أساسات المسجد الأقصى.

رابعاً: لقد فتحت القدس تحت راية الجهاد.. وتحت هذه الراية وحدها فتحها عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٥هـ. وتحت راية الجهاد استرد صلاح الدين الأيوبي المدينة المقدسة من الصليبيين سنة ٥٨٣هـ. وتحت راية الجهاد أيضاً ستعود فلسطين لنا إن شاء الله.

**مركز المقريزي للدراسات التاريخية**

ر بيع الأول ١٤٢٠هـ الموافق مارس ١٩٩٩

**هامش:**

لقد قمت بكتابة هذه المقالة بعد قراءة لمجموعة من المراجع أختار منها:

١- البداية والنهاية لابن كثير المجلد الرابع.

٢- المحاسن اليوسفية والنوادر السلطانية للقاضي ابن شداد.

٣- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب لابن واصل.

٤- كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية لأبي شامة

٥- النجوم الزاهرة لابن تغري بردي

٦- عقيدة اليهود في تملك فلسطين لعابد توفيق الهاشمي

٧- هيكل سليمان ليوسف الحاج.

٨- مقارنة الأديان أحمد شلبي.

٩- فضح التلمود لزهدي الفاتح.

١٠- خطر اليهودية على الإسلام والمسيحية لعبد الله التل

١١- مجلة الأمة القطرية، مجلة العربي الكويتية، وغيرها من مجلات عربية وإسلامية.

# تعريـف الإرهاب في المنظومة الغربية

د. هاني السباعي

**تقدمة:**

إن جـذور الخـوف مـن الإسـلام قديمـة لـدى الغـرب، فقـد ورث الغـرب تركـة مـن الفـزع والهلـع جعلتهـم يحقـدون علـى الإسـلام وأهلـه! لكـن أخفـى الغـرب هـذه الكراهيـة خـلال صراعـه مـع الكتلـة الشـيوعية.. ثـم لمـا سـقطت المنظومـة الشـيوعية وانهـار عقدهـا كانهيـار المتواليـات الهندسـية.. انفـرد الغـرب بزعامـة أمريـكا وأسـفر عـن وجهـه الحقيقـي وعلـت الأبـواق التـي تصـم الإسـلام بالإرهـاب.. وطفقـوا يتخـذون الإسـلام عـدوا لهـم بديـلاً عـن الشـيوعية.. كل ذلـك يتـم تحـت شـعار محاربـة الأصوليـة الإسـلامية!! والقضـاء علـى الإرهـاب!! ومـن ثـم اسـتخدم مصطلـح الإرهـاب فـي معجـم الإعـلام اليومـي وكافـة المحافـل السياسـية والاقتصاديـة والمنتديـات الثقافيـة بشـكل واسـع.. بغيـة توسـيع دائـرة حصـار الإسـلام وتشـكيل رأي عـام عالمـي لكـره الإسـلام باعتبـار أن الإرهـاب لازمـة مـن لـوازم الإسـلام!!

ومثلنـا ومثـل الغـرب كقـول العـرب قديمـاً "رمتنـي بدائهـا وانسـلت!!" فكمـا هـو معلـوم تاريخيـا أن أول مـن أدخـل كلمـة الإرهـاب فـي قامـوس عالمنـا الإسـلامي الـوادع الهـادئ هـم العصابـات اليهوديـة فـي فلسـطين المحتلـة وذلـك بشـهادة "باتريـك سـيل" وهـو ليـس مـن بنـي جلدتنـا إذ يقـول: (أثنـاء التمـرد العربـي فـي الفتـرة مـن ١٩٣٦-١٩٣٩ كانـت ال"سـتيرن جانـج" أول مـن أدخـل الإرهـاب إلـى الشـرق الأوسـط عـن طريـق تفجيـر القنابـل فـي الأتوبيسـات وفـي الأسـواق العربيـة. ومنظمـة "الأرجـون" اليهوديـة الإرهابيـة وهـي فكـرة مثيـر الفتـن روسـي المولـد "فلاديميـر جابوتنسـكي" والـذي كان يدعـو إلـى اسـتخدام القـوة بـدون خجـل "الجـدار الحديـدي" ضـد العـرب لإقامـة سـيادة يهوديـة كاملـة فـوق ضفتـي

نهر الأردن وهو جدول الأعمال الذي تبناه تلامذته المخلصون إسحاق شامير ومناحم بيجين) (١) (باتريك سيل: بندقية للإيجار/مراجعة وتقديم/أحمد رائف/مركز الدراسات والترجمة/الزهراء للإعلام/ص١٠٩)..

ومن منطلق هذه التقدمة سيسير بحثنا على النحو التالي:

أولاً: تعريف الإرهاب في اللغة العربية كمدخل للموضوع.

ثانياً: تعريف الإرهاب في المنظومتين الغربية والاشتراكية.

ثالثاً: الإرهاب في المنظومة الشرعية.

أولاً: تعريف الإرهاب في اللغة العربية:

ورد في لسان العرب في مادة "رهب": (رَهِبَ: بالكسر, يَرْهَبُ رَهْبَةً ورُهْبَاً، بالضم، ورَهَباً أي خاف، ورهب الشيء رهباً ورهبه: خافه. والاسم/الرُّهْبُ، والرُّهْبى, والرهبوتُ، والرهبوني, ورجل رهبوت, يقال: رهبوتٌ خيرٌ من رحموت، أي لأن تُرْهَب خيرٌ من أن ترْحَم. وترهب غيره إذا توعده، وأنشد الأزهري العجاج يصف عيراً وأتته:

تُعطِيهِ رَهباها إذا ترهبا ***على اضطمار الكشح بولاً زغربا

**عصارة الجَزء الذي تحلَّبا**

رهباها: الذي ترهبه، كما يقال: هالكٌ وهلك. إذا ترهبا: إذا توعدا. وقال الليث: الرَهْبُ: جزم، لغة في الرهب. قال: الرهباء اسم من الرهب، نقول: الرهباء من الله والرغباء إليه. وفي حديث الدعاء: رغبة ورهبة إليك. الرهبةُ: الخوف والفزع جمع بين الرغبة والرهبة. وفي حديث رضاع الكبير: فبقيت سنة لا أحدث بها رهبته. قال ابن الأثير: هكذا جاء في رواية أي من أجل رهبته، وهو منصوب على المفعول له. وأرهبه ورهبه: أي أخافه وفزعه واسترهبه: استرعى رهبته حتى رهبه الناس، وبذلك فسر قوله عز وجل: (واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم)، أي أرهبوهم)(٢)(ابن منظور: لسان العرب / دار صادر/بيروت/ط٣/مج أول/مادة رهب/ ص٤٣٦وص٤٣٧)

هكذا نجد أن "الإرهاب" في اللغة العربية يدور حول هذه المعاني: الخوف، والفزع والرعب والتهديد. كلها تصب في معنى واحد وسنرجع إلى هذه المرادفات عند حديثنا عن الإرهاب في المنظور الشرعي.

أما الآن فسنستعرض تعريف الإرهاب في القاموس الغربي وتعريفات ساسة وقادة ومفكري المنظومة الغربية وتعليقنا على تلكم التعريفات:

تعريف الإرهاب في اللغة الإنجليزية:

جاء في قاموس ”أكسفورد“) Terror/1. Extreme Fear. 2a. Terrifying person or thing. 2b. formidable or troublesome person or thing. Esp. a child.

3. Organized intimidation. Terrorism [Latin terreo frighten]. Terrorist: person using esp. organized violence against a government)

أقول: نلاحظ أن تعريف الإرهاب طبقاً لنص قاموس أكسفورد يتفق – إلى حد كبير- والتعريف الوارد في لسان العرب لابن منظور في موضوع الخوف الفزع والتهديد وإن كان التعريف العربي لم يحدد الجهة التي تمارس الإرهاب أو من يمارس ضدها.. وقد ورد تحديد الجهة في القرآن الكريم (ترهبون به عدو الله وعدوكم) وفي السنة (نصرت بالرعب).. فالتعريف العام لكلمة "رهب" في اللغة العربية لم يحدد الجهة الممارسة ولا الممارس ضدها الإرهاب.. أما القرآن الكريم فقد ذكر أن إدخال الرعب والفزع في قلوب الكفار أمر محمود يثاب المسلم عليه وكذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم "نصرت بالرعب" أي نصره الله على الكفار بإدخال الرعب والخوف في قلوبهم.. إذن السنة النبوية قد حددت الجهة الممارس ضدها الإرهاب.. وهذا ما سنفصله في القسم الشرعي.

## أما مصطلح الإرهاب في اللغة الإنجليزية:

فقد حدد قاموس أكسفورد آنف الذكر الجهة الممارسة للإرهاب وكذا الجهة الممارس ضدها. إذن فقد ذكر أن هذا الإرهاب أي الخوف أو العنف أو الفزع قد يمارسه شخص أو منظمة ضد الحكومة أو ضد الأفراد أو الأطفال.. وفي قاموس

أكسفورد تعريف آخر للإرهاب: (على أنه حكم عن طريق التهديد كما وجهه ونفذه الحزب الموجود في السلطة في فرنسا إبان ثورة ١٧٨٩، ١٧٩٤).. نلاحظ أن هذا التعريف قاصر على الجهة الممارسة للإرهاب وهي الحكومة أو الحرب الموجود في حكومة فرنسا نظراً لاقترافه القمع وتصفية المعارضين وقتل وتدمير المدنيين في تلكم الحقبة فنجد أن التعريف قد تأثر بهذه الحالة فاقتصر على الجهة الممارسة للإرهاب ولم يبين الدافع أو الباعث على ذلك كما أنه لم يذكر الجهة الممارس ضدها الإرهاب طبقاً لهذا التعريف غير أن التعريف اللاحق والذي نقلنا جزءاً منه قد تدارك هذا القصور وذكر أشياء لم يذكرها في التعريف الحالي فقد تكلم عن كلام عام قد ينطبق على فرنسا أو غيرها وبين الجهة الممارسة للإرهاب سواء الحكومة أو الأفراد أو المنظمات كما ذكر الجهة الممارس ضدها الإرهاب (الأفراد/الأطفال) وننبه على أن تعريف أكسفورد السابق ركز على إرهاب الأفراد والأحزاب والمنظمات ولم يركز على إرهاب الحكومة ضد الأحزاب أو المدنيين طبقاً لمصطلح المنظومة الغربية.

أقول: ونخلص من ذلك بنتيجة مفادها أن التعريفين السابقين لمصطلح الإرهاب كما ذكرهما قاموس أكسفورد- تعريفان قاصران للأسباب التالية:

أ- قصر التعريف على دولة مثل فرنسا كأنموذج للصورة القمعية رغم البون الزمني الواسع وتغير الظرف التاريخي.

ب- عندما تدارك النقص السابق أغفل قاموس Oxford ارهاب الحكومة ضد الأفراد والمنظمات.

ج- عندما تدارك النقص السابق أغفل القاموس في تعريفه ارهاب الحكومة ضد الأفراد.

د- لم يذكر التعريف آنف الذكر الباعث على ارهاب المنظمات أو الأفراد ضد الحكومة بمعنى هل هذا يمارس الإرهاب بغرض ديني أو سياسي أو اقتصادي أو نتيجة ظلم اجتماعي أو استقلالي ذاتي ..إلخ

## زبدة القول:

إن تعريف أكسفورد غير جامع كما أنه تعريف مضطرب وقد يكون وليد ظرف سياسي خاصة بعد استقرار الحكومة ووجود بعض المنظمات أو الحركات التي تطالب بحكم ذاتي أو مستقل عن الحكومة مثل الجيش الجمهوري لذلك لا غرو إن قلنا أن تعريف أكسفورد أشبه بحالة خاصة أو تعريف محلي رغم عموم بعض الألفاظ التي صيغ به.

تعريف الإرهاب لدي بعض الهيئات والحكومات وبعض الساسة ومفكري المنظومة الغربية:

جاء في الطبعة الأولى من كتاب الإرهاب السياسي (Political Terrorism) سجل "شميد" مئة وتسعة تعريفا من وضع علماء متنوعين من جميع العلوم الاجتماعية، بما في ذلك علماء القانون، واستناداً إلى هذه التعريفات المائة وتسعة، فقد أقدم "شميد" على مغامرة تقديم تعريف في رأيه جمع العناصر المشتركة في غالبية التعريفات:

(الإرهاب هو أسلوب من أساليب الصراع الذي تقع فيه الضحايا الجزافية كهدف عنف فعال، وتشترك هذه الضحايا الفعالة في خصائصها مع جماعة أو طبقة في خصائصها مما يشكل أساساً لانتقائها من أجل التضحية بها. ومن خلال الاستخدام السابق للعنف والتهديد الجدي بالعنف، فإن أعضاء تلك الجماعة أو الطبقة الآخرين يوضعون في حالة من الخوف المزمن [الرهبة] هذه الجماعة أو الطبقة التي تم تقويض احساس أعضائها بالأمن عن قصد، هي هدف الرهبة. وتعتبر التضحية بمن اتخذ هدفاً للعنف عملاً غير سوي أو زمن (وقت السلم مثلاً) أو مكان (في غير ميادين القتال) عملية التضحية أو عدم التقيد بقواعد القتال المقبولة في الحرب التقليدية، وانتهاك حرمة القواعد، هذا يخلق جمهوراً يقظاً خارج نطاق الرهبة ويحتمل أن تشكل قطاعات من هذا الجمهور بدورها هدف الاستمالة الرئيسي والقصد من هذا الأسلوب غير المباشر للقتال هو إما شل حركة هدف الرهبة وذلك من أجل إرباك أو إذعان، وإما لحشد

أهداف من المطالب الثانوية (حكومة مثلاً) أو أهداف للفت الانتباه (الرأي العام مثلاً) لإدخال تغييرات على الموقف أو السلوك بحيث يصبح متعاطفاً مع المصالح القصيرة أو الطويلة لمستخدمي هذا الأسلوب من الصراع)(٣)(محمد عزيز شكري (الدكتور): الإرهاب الدولي / دار العلم للملايين/بيروت/ط/ أولى١٩٩١/ ص٤٥، ٤٦).

**أقول: ملاحظاتنا على التعريف السابق:**

أ- نلاحظ أن شميد حشد جمعاً من التعريفات فحشرها وصهرها في تعريف واحد.. مما أفرز تعريفاً مهلهلاً كالثوب المرقع من عدة خرق أو كقوالب طوب مرصوصة لا تفي بالغرض الذي جمعت من أجله!!

ب- خلط "شميد" بين التعريف والأسلوب والباعث.. فلم يستطع أن يخرج لنا بتعريف جامع مانع لمعنى الإرهاب بل إنه تكلم عن وشرح بواعث وأهداف الإرهاب وطرق استخدامه وتكلم عن المقاصد والوسائل ولم يعرف مصطلح الإرهاب تعريفاً محدداً.

ج- نلاحظ الاضطراب والتناقض في التعريف فعندما يقول: (الإرهاب هو أسلوب من أساليب الصراع الذي تقع فيه الضحايا الجزافية كهدف عنف فعال).. ثم يقول بعدها: (...مما يشكل أساساً لانتقائها من أجل التضحية).. فمرة يقول (الجزافية).. ومرة يقول (لانتقائها).. فهل تقع هذه الضحايا –طبقاً لتعريف شميد- بطريقة عشوائية أم بطريقة مقصودة ومنتقاة بعناية؟!! وتفسيرنا لهذا التناقض الذي وقع فيه شميد أنه يخلط بين مصطلح (الفوضى) ومصطلح (الإرهاب).. فلا هو عرف لنا الفوضى ولا حدد لنا معنى الإرهاب!! ولا يفوتنا أن ننبه أن الإرهاب الجزافي لا يتفق والمنظومة الإسلامية.. لأن الإسلام له منطلقات مغايرة ومتباينة للمفهوم الغربي للإرهاب.. كما سنذكره إن شاء الله.

د- ركز "شميد" على منهج الإرهاب وطرقه من قبل المجموعات أو المنظمات ولم يركز على إرهاب الدولة.

هـ - نلاحظ أنه ذكر في حالة الحكم على الإرهاب أو العنف التي قد تختلف من مجتمع لآخر ومن مذهب لمذهب آخر بل ومن ديانة لديانة أخرى [وتعتبر التضحية بمن اتخذ هدفاً للعنف عملاً غير سوي من قبل معظم المراقبين من جمهور المشاهدين على أساس من قسوة أو...] فمن هذا الجمهور الذي يقبل التضحية بمن اتخذ هدفاً للعنف عملاً غير سوي؟ فهل يقصد شميد حالة معينة لبلد معين أو أنه يقصد جمهور العالم كله على اختلاف مشاربهم؟!! لم يوضح لنا ما يريد مما يجعل تعريفه مضطرباً.. ولنأخذ مثلاً لتوضيح الصورة:

عقب اغتيال المجاهد الفلسطيني يحيى عياش في ١٩٩٦/١/٥م عن طريق تفجير هاتفه النقال كما قيل وقتئذ.. هلل الإسرائيليون حكومة وشعباً لمقتل العدو رقم واحد -على حد تعبيرهم- لإسرائيل.. وقد أجرى معهد "داحاف" استطلاعاً للراي أكد فيه ترحيب غالبية الشعب الإسرائيلي لمقتل يحيى عياش وهذا نصه: (أفاد استطلاع للرأي نشرته صحيفة (يديعوت أحرنوت) أمس الإثنين أن غالبية ساحقة من الإسرائيليين (٨٧٪) مع تصفية خبير المتفجرات في حركة المقاومة الإسلامية حماس يحيى عياش الذي اغتيل الجمعة الماضي في غزة. وجاء السؤال في الاستطلاع على الوجه التالي: [هل تعتبر تصفية يحيى عياش لها ما يبررها في الوقت الذي بلغت فيه مسيرة السلام سنين أوجها؟ ورد ٨٧٪ بالإيجاب واعترض ١١٪ ولم يبد رأياً ٢٪. وأجرى الاستطلاع معهد "داحاف" وشمل عينة تمثيلية من الإسرائيليين البالغين])(٣)(جريدة الحياة/العدد ٢٠٠٨/شعبان ١٤١٦هـ)

هكذا يؤكد الاستطلاع المذكور خطأ واضطراب تعريف "شميد" للإرهاب.. فهل اعتبر غالبية اليهود اغتيال يحيى عياش عملاً غير سوي؟!! على العكس تماماً فقد فرح المراقبون الموالون لإسرائيل واليهود والفرحة كانت أكبر لدى الجمهور اليهودي.. وهناك أمثلة كثر لإثبات خطأ واضطراب تعريف شميد للإرهاب..

## تعريف "جيكنز" للإرهاب:

يعرف جيكنز الإرهاب: (بأنه العنف الذي يهدد ضحاياه سواء كان بممارسة الأفراد والجماعات للعنف المصمم ميدانياً لتحقيق الخوف أو الرهبة الذي يأتي على ضحية الإرهابي الذي قد لا تكون له أي علاقة بقضية الإرهابي.. إن الإرهاب هو العنف الموجه للعامة المراقبين ويكون الخوف هو الأثر المستهدف تحقيقه) (٥)(سالم إبراهيم: العنف والإرهاب /منشورات المركز العالمي لدراسات وأبحاث ندوة جامعة الفاتح/ليبيا/ص٩٠)

أقول: نلاحظ أن "جيكنز" قصر ممارسة الإرهاب على الأفراد أو الجماعات وأغفل إرهاب الدولة!! كما أن الإرهاب طبقاً لتعريفه.. غايته تحقيق الخوف وأن الجهة الممارس ضدها الإرهاب هم العامة أو الجمهور.. ومن ثم كان تعريفه ناقصاً وغير كاف نظراً لتعدد الشرائح الاجتماعية الممارسة للإرهاب وكذا الممارس ضدها.. كما أنه أغفل المقصد من الإرهاب..

## تعريف وكالة الاستخبارات المركزية:

عرفت وكالة الاستخبارات الأمريكية CIA الإرهاب عام ١٩٨٠: (التهديد الناشئ عن عنف من قبل أفراد أو جماعات)(٦)(الإرهاب الدولي/مرجع سابق/ص٤٥)

## تعريف مكتب التحقيقات الفيدرالي الأمريكي عام ١٩٨٣م:

(الإرهاب هو عمل عنيف أو عمل يشكل خطراً على الحياة الإنسانية وينتهك حرمة القوانين الجنائية في أية دولة) (٧)(المرجع السابق/ص٤٥)

## تعريف وزارة العدل الأمريكية عام ١٩٨٤م:

(أسلوب جنائي عنيف يقصد به بوضوح التأثير على حكومة ما عن طريق الاغتيال أو الخطف)(٨)(المرجع السابق/ص٤٦)

## تعريف الجيش الأمريكي للإرهاب عام ١٩٨٣م:

(واعتبر التعريف الموحد لاستعماله من قبل الجيش الأمريكي والقوات الجوية

والاسترالية والبريطانية والكندية والنيوزلندية: الاستعمال أو التهديد بالاستعمال غير المشروع للقوة أو العنف من قبل منظمة ثورية) (٩) (المرجع السابق/ص٤٦)

**تعريف وزارة الدفاع الأمريكية عام ١٩٨٦م:**

(الاستعمال أو التهديد غير المشروع للقوة ضد الأشخاص أو الأموال، غالباً لتحقيق أهداف سياسية أو دينية أو عقائدية)(١٠)(المرجع السابق/ص٤٦)

**تعريف وزارة الخارجية الأمريكية عام ١٩٨٨م:**

(عنف ذو باعث سياسي يرتكب عن سابق تصور وتصميم ضد أهداف غير حربية من قبل مجموعات وطنية فرعية أو عملاء دولة سريين ويقصد به عادة التأثير على جمهور ما) (١١)(المرجع السابق/ص٤٦)

**تعريف فريق المهمات الخاصة التابع لنائب الرئيس الأمريكي للإرهاب عام ١٩٨٨م:**

(في سعيهم للقضاء على الحرية والديمقراطية، يتخذ الإرهابيون أهدافهم من غير المحاربين عن عمد لتحقيق أغراضهم الذاتية الخاصة فهم يقتلون ويشوهون الرجال والنساء والأطفال العزل. كما يقدمون عمداً على قتل القضاة، ومراسلي الصحف، والرسميين المنتخبين، والإداريين الحكوميين، والقادة النقابيين ورجال الشرطة وغيرهم ممن يدافع عن قيم المجتمع) (١٢) (المرجع السابق/ص٤٦).

**أقول: تعليقنا على التعريفات السابقة بما يلي:**

نلاحظ أن التعريفات السابقة لو وضعناها كلها في تعريف واحد لصارت مضطربة وقاصرة!! فهذه التعريفات غير موضوعية وتعبر عن وجهة نظر الحكومة الأمريكية بمعنى أن كل عمل ضد الإدارة الأمريكية فهو إرهاب! أما ارهاب الحكومة فقد أغفلته التعريفات السابقة مجتمعة! أما تعريف فريق المهمات الخاصة السابق فهو أشبه بحملة دعائية إعلامية عن أن يكون تعريفاً منضبطاً..

**ومصداقاً لوجهة نظرنا:**

التحقيق الذي نشرته مجلة المشاهد السياسي: عن ما هو الإرهاب والإرهابي؟

وقد عرف البروفيسور نوام تشومسكي من معهد التكنولوجيا في جامعة "كامبريدج" بولاية ماساشوستس بالولايات المتحدة الأمريكية حيث قال: (الإرهاب محاولة لإخضاع أو قسر السكان المدنيين أو حكومة ما، عن طريق الاغتيال أو الخطف أو أعمال العنف، وذلك لتحقيق أهداف سياسية. هناك تعريف آخر ويأتي في نطاق مكافحة من تسميه الولايات المتحدة التمرد والعصيان الذي تلتزم به الولايات المتحدة بشكل رسمي، وتدخل في قائمة المتمردين العاصين دول أخرى ككوبا مثلاً ونيكاراجوا وقد نلنا بفضل ما اتخذناه على الجبهتين من اجراءات لقمعهما تنديداً من محكمة العدل الدولية بتهمة ارتكابنا الإرهاب الدولي.

[المشاهد]: لقد تكلمت حتى الآن عن تعريف الولايات المتحدة الرسمي للإرهاب، كيف تعرفه أنت كأكاديمي ومحلل سياسي مرموق؟ أو بالأحرى هل هناك ازدواجية في المفهوم؟ هل هناك أكثر من معيار؟

[تشومسكي]: إنه معيار واحد، ترى كل دولة أن الإرهاب هو ما يرتكبه الآخرون فحسب، لقد ضم اجتماع "شرم الشيخ" مثلاً بعض أهم قيادي الإرهاب في العالم، ومع ذلك كان التنديد بالإرهاب الصادر عن آخرين شديداً، لو تحقق اجتماع قمة مماثلة لقمة "لشرم الشيخ" في دمشق وحضره كل من ليبيا والسودان وإيران لندد البيان الصادر عنهم بالإرهاب بقوة.. وبريق بيان "شرم الشيخ" نفسه.. نعم الإرهاب بنظرنا هو ما يرتكبه الطرف الآخر فقط بغض النظر عما نفعله نحن) (١٢)(المشاهد السياسي/ العدد الثالث/٣١مارس١٩٩٦/ص١٠، ص١١)

أقول: إذن لأمريكا تعريفها الخاص، فما يرتكبه الطرف الآخر= ارهاب بعينه! أما ما ترتكبه أمريكا من الفظائع والمجازر وتجويع الأطفال والعجائز وقتل الشعوب وتدمير البنى التحتية للدول المخالفة لنظامها= عمل مشروع لأنه يحقق لأمريكا مصالح قومية واستراتيجية!!

**ولمزيد من توضيح الصورة ما جاء في الوصايا العشر!:**

وهو مشروع اللجنة اليهودية الأمريكية وهو عبارة عن مشروع من عشر نقاط قدمه "وايفد هارس" المدير التنفيذي للجنة اليهودية يرى أن الحكومة يجب أن تتبناها من أجل مكافحة النشاطات الإرهابية (المسلمين)، وقد صدر هذا التقرير في ١٦ديسمبر١٩٩٤م:

(١- يجب على الكونجرس أن يضاعف من قيمة الميزانية المخصصة لمكافحة الإرهاب واعتبار ذلك أولوية وكذلك لابد من اخضاع أعمال إصدار التأشيرات الأمريكية لمكتب التحقيقات الفيدرالية وبقية الوكالات, كما يجب على الكونجرس أن يصدر تشريعات خاصة بقضايا الإرهاب والإرهابيين، والموازنة بين قضايا المدنيين والحماية من الإرهابيين ونشاطاتهم.

٢- يُطلب من الرئيس إصدار قرار رئاسي أمني قومي يحدد الإستراتيجية التي تتبناها الإدارة تجاه الإرهاب وسبل مكافحته.

٣- دعم جهود الإدارة الأمريكية الرامية إلى الحفاظ على المقاطعة المفروضة على العراق كياناً يمكن أن يؤثر على الاستقرار في منطقة الشرق الأوسط.

٤- تشجيع الدول الأخرى وخصوصاً دول أوروبا الغربية والشرق الأقصى على إيقاف أو تقليص مبادلاتهم التجارية العادية وصلاتهم السياسية مع إيران خصوصاً في مجال التكنولوجيا والإعانات المالية والديون.

٥- التأكيد للحكومات الأجنبية على أهمية وخطورة وشمولية الخطر الإرهابي والحاجة إلى حماية الحدود، وتطويع مشاريع المتابعات لكل المجموعات الإرهابية مثل "حماس" وغيرها من المنظمات الإرهابية.

٦- تشجيع الولايات المتحدة والدول الأخرى على أن يأخذوا على عاتقهم العمل على إنهاء الإرهاب العالمي، وتطوير التعاون الحكومي بين الدول من أجل ذلك،

وتشجيع التعاون الاقتصادي مع الدول العربية المعتدلة!! الأمر الذي يشكل حاجزاً ضد انتشار الإرهاب.

٧- استمرار الدعم القومي لعملية السلام في الشرق الأوسط، ومعيار ذلك التطور الاقتصادي واتاحة الفرص الاستثمارية، الأمر الذي يخفف من بريق حركة "حماس" والطوائف الأخرى الرافضة للسلام.

٨- تعليم وإعلام الرأي العام الأمريكي حول الإرهاب والخطر الإرهابي الذي يشكله الإسلام المتطرف للأمن والمصالح الأمريكية ولكل الأمريكان.

٩- الطلب من الحكومة الأمريكية والحكومات في العالم أن يجمدوا أموال الإرهابيين ويمنعوا مواطنيهم من إرسال تبرعات خاصة من شأنها أن تساعد في نشاطات إرهابية.

١٠- على الدول الراعية أو المساعدة للحركات الإرهابية منعها من الحصول على مساعدات من الولايات المتحدة أو الصندوق الدولي أو أية منظمات دولية أخرى) (١٤) (قضايا دولية/العدد٢٧٠، ٢٧١/السنة السادسة/ ص٥)

بالطبع لم نبعد النجعة! إذ ذكرنا النقاط السابقة نظراً لارتباطها بالمناخ السياسي والظرف الإعلامي الموجه الذي أفرز التعريفات الأمريكية للإرهاب. وفعلاً تبنى "كلينتون" مشروع اللجنة اليهودية أصدر قراراً رئاسياً بناء على المادة ٢٠٤ب من قانون سلطات الطوارئ القومي، وكان أول شيء فعله "كلينتون" أن قام بتوقيع قرار رئاسي يقضي بتجميد أرصدة وممتلكات ١٢ منظمة و١٨ شخصية، كما يقضي أيضاً بإيقاف أية عمليات تحويل مالية من أي شخص يقيم في الولايات المتحدة، سواء كان مواطناً أو طالباً، إلى هذه المنظمات والشخصيات بما في ذلك التبرعات الخيرية المالية أو السلع أو الخدمات.

هذا هو المعيار المنضبط لدى الإدارة الأمريكية!! التي تفتخر بتمثال الحرية!! وشعارات الديمقراطية الجوفاء!! فدين أمريكا الجديد = الديمقراطية لخدمة الرجل

الأمريكي فقط وليذهب الجميع إلى الجحيم!! والعجيب أن أمريكا تريد أن يحذوا العالم حذوها وتعبيده لديانة الديمقراطية الأمريكية!! ومعنى ذلك أن كل دول العالم ستعتبر أمريكا دولة إرهابية طبقاً للتعريف البرجماتي الأمريكي للإرهاب!! ومن ثم سيكوم تعريف الإرهاب الرسمي بقدر عدد دول القارات الخمس وسينشطر العريف إلى آلاف التعاريف طبقاً لمعيار أمريكا النفعي!!

## تعريف مكتب جمهورية ألمانيا الإتحادية لحماية الدستور ١٩٨٥م:

(الإرهاب هو كفاح موجه نحو أهداف سياسية يقصد تحقيقها بواسطة الهجوم على أرواح وممتلكات أشخاص آخرين، وخصوصاً بواسطة جرائم قاسية) (١٤)(الإرهاب الدولي/مرجع سابق/ص٤٦)

## وفي تعليق السنوسي بلاله في كتابه (منهج الإرهاب):

(ورغم إيماننا العميق بعدم إمكانية قولبة تعريف الإرهاب السياسي بالتحديد إلا أنه: سلوك مخالف للقانون وخارج عن قواعد المجتمع وسيلة أو أسلوب مبرمج يهدف إلى تحقيق غايات معينة. وقد ورد تعريف الإرهاب في (الموسوعة السياسية) بأنه: استخدام العنف أو التهديد به بأشكاله المختلفة كالاغتيال والتشويه والتخريب والنسف، بغية تحقيق هدف سياسي معين، مثل كسر روح المقاومة والالتزام عند الأفراد، وهدم المعنويات والمؤسسات)(١٥)(السنوسي بلاله: منهج الإرهاب /دراسة في نشأة وتطبيقات بعض جوانب الإرهاب السياسي عند[لينين-ماو-القذافي]/دار الإنقاذ للنشر والإعلام/ص٦)

لقد أغفل "السنوسي بلاله" إرهاب الدولة وقصر الإرهاب على كل من يخالف القانون أو قواعد المجتمع، رغم أن الحكومة نفسها هي التي تخرق القانون وقواعد المجتمع مثل حوادث إطلاق النار على المدنيين أثناء القبض عليهم أو حصار وتدمير قرى كاملة بسبب الاعتداء على رجل الإدارة كضابط أو مخبر.. إلخ.. فهل هذا

السلوك يتفق وضوابط المجتمع؟!! إذن فليس الأفراد أو المجموعات هي التي تمارس الإرهاب وحدها بل إن إرهاب الحكومة يفوق الجميع!!

## تعريف الإرهاب حسب دائرة المعارف الروسية:

(إنه سياسة التخويف المنهجي للخصوم بما في ذلك استئصالهم مادياً.. كما يعرف العنف عادة بأنه الاستعمال المنظم المشروع للقوة داخل المجتمع وتذهب كثير من الأنظمة إلى تحديد المشروعية لممارسة القوة بتولي السلطة باسم المجتمع وحماية النظام العام داخل الشرعية الحكومية، أي ممارسة للعنف خارج هذا النطاق تعد لدى الأنظمة التقليدية ممارسة للعنف)(١٧)(العنف والإرهاب/مرجع سابق/ص٩٠)

* نلاحظ أن التعريف السابق فرق بين "الإرهاب" و"العنف" وإن كانت النتيجة واحدة والجدير بالذكر أن بعض الباحثين يفرقون بين المصطلحين والكثير منهم يخلط بينهما مما يجعل التعريف مضرباً.

* ذكر التعريف السابق أن الإرهاب هو سياسة التخويف المنهجي.. بما في ذلك استئصالهم مادياً.. أي تصفية الخصوم جسدياً.. ولم يذكر لنا التعريف الباعث على الإرهاب!!

- الجديد في التعريف السابق أنه لفت الانتباه إلى أن كثيراً من الأنظمة –وهذه حقيقة واقعة- تعتبر أن أي ممارسة للعنف أو القوة خارج نطاق السلطة تعد عنفاً بمعنى أن الحكومة وحدها هي التي من حقها ممارسة العنف باسم حماية المجتمع والنظام العام.. ومن ثم تسن كثيراً من قوانين في منتهى القسوة وهي ما تسمى بقوانين مكافحة الإرهاب وحق الدولة في انتهاك الحرمات الخاصة للأفراد والمنظمات بدون علمهم والتصنت على حياتهم الخاصة جداً وسجنهم بون إبداء أسباب ومسوغات طبقاً لهذه القوانين الاستئصالية كل ذلك يتم باسم حماية النظام العام والمجتمع!! ونفس الصورة نجدها أوضح في دول العالم الثالث ولكنها تمارسها الأنظمة على نطاق واسع وبوحشية أفظع.. حيث يشرع الحاكم القوانين ضد

الخصوم والمعارضين حسب مزاجه الشخصي.. وممارسة القمع والتنكيل بالخصوم تتم علانية تحت عباءة حماية النظام العام أيضاً!! وتحت شعار المكاسب التي حققتها الجماهير من أجل الحرية والسلام الاجتماعي!!

**مؤتمر" جوناثان" حول الإرهاب:**

في هذه المؤتمر صعد كل من: (Dolewise Liekedourie and Company إلى المنصة ليقولا بأن الإسلام هو في الواقع دين إرهابي، وعليه فإن مصطلح "الإرهابيون الإسلاميون" هو مصطلح مشروع سوف يخدم في تعليل وإلى حد كبير في توضيح اللجوء إلى استعمال الإرهاب السياسي في أيامنا هذه)(١٨)(الإرهاب الدولي/مرجع سابق/ص٧٥).

أقول: هكذا نجد أن الحقد والعنصرية يتحكمان في تعريف المصطلحات المفترض ألا تتأثر بمنطلقات الباحث طبقاً للمنظومة الغربية! هذان الكاتبان اليهوديان يصعدان إلى المنصة وفي مؤتمر دولي عقد خصيصاً لبحث آراء الكتاب والمفكرين حول مصطلح الإرهاب.. فإذا بهما يفصحان عن حقيقة الصراع مع الغرب.. فكرة الإسلام والخوف من المسلمين يفرز عبارة هذين الباحثين الحاقدين –بأن الإسلام في الواقع دين إرهابي!!- فهل هذا تعريف محترم؟! هل هذا يليق بباحث يفترض فيه الحيدة؟! ماذا سيحدث لو أن باحثاً إسلامياً صعد المنصة وقال: اليهودية ديانة إرهابية! هل كان مؤتمر جوناثان يرضى ويسكت؟! بالطبع فإن الدنيا كانت ستقوم ولن تقعد! ويتهم هذا الباحث بأنه عدو للسامية! وأنه باحث عنصري متطرف يكره اليهود!! أما ما حدث في هذا المؤتمر من تصريح هذين الكاتبين: فهو تهريج وليس مؤتمراً علمياً مما يجعلنا نوجه أصابع الاتهام لهذه المؤتمرات التي تدعي الحيدة والعلمية والجدية.. فقضية كره الغرب للإسلام راسخة في أذهان ومنطلقات وتصورات الباحثين الغربيين وإن زعموا أنهم منصفون ومحايدون!!

**وفي كتابه "سيكولوجية الإرهاب السياسي" يقول الدكتور خليل فاضل:**

(على الرغم من عدم وجود تعريف محدد لجرائم الإرهاب إلا أن أحد القانونيين العرب عرفها بأنها "جرائم تبعث الذعر وتنشئ خطراً عاماً يهدد عدداً غير محدد من

الأشخاص وتعتمد على أساليب وحشية لا يتناسب ضررها مع الغرض المستهدف بها مثال على ذلك: نسف المباني وبصفة خاصة قاعات الاجتماع في وقت يجتمع فيه الناس، وإتلاف الخطوط الحديدية، تسمم المياه") (١٩)(خليل فاضل (الدكتور): سيكولوجية الإرهاب السياسي/ط/أولى/إصدارات خليل فاضل/١٩٩١م)

اعتراف الكاتب أنه لا يوجد تعريف محدد لجرائم الإرهاب حيث خلط الكاتب بين المصطلح ونتيجته! فهل نحن بصدد تعريف جرائم الإرهاب أم بصدد تعريف الإرهاب؟ لقد خلط بين التعريف وأثره!! لم يحدد الكاتب الجهة الممارسة للإرهاب أو الجهة الممارس ضدها الإرهاب.. قوله "لا يتناسب ضررها مع الغرض المستهدف بها" لم يذكر الكاتب هذا الغرض الذي تم من أجله فعل الإرهاب!! أغفل الكاتب إرهاب الحكومة ومن ثم نرى أن هذا التعريف أيضاً غير منضبط وقاصر وخرج من نفس مشكاة المنظومة الغربية!

## تعريف الإرهاب حسب قاموس الأكاديمية الفرنسية نسخة عام ١٧٩٦م:

(عرف الإرهاب: "هو نظام الرعب" وعرف الإرهابي: "بأنه الشخص الذي يحاول فرض وجهة نظره بطريقة قسرية تثير الخوف") (٢٠)(العنف والإرهاب/مرجع سابق/ص٨٨)

أقول: نلاحظ أن التعريف الفرنسي السابق تعريف مهم فقوله "هو نظام الرعب" هل يقصد نظام الرعب عملاً منظماً من قبل أشخاص أو جهات معنية؟! أم يقصد حكومة الرعب التي تقوم على القمع والبطش؟! غلبة الظن أنه يقصد المفهوم الأول لأن الجهة الممارسة للإرهاب: "الشخص الذي يحاول فرض وجهة نظره بطريقة قسرية"..إلخ

إذن الأكاديمية الفرنسية أغفلت إرهاب الدولة ومن ثم فكل مقاومة خارج نطاق الدولة أو السلطة تعد إرهاباً. لم يذكر التعريف ا لفرنسي الباعث على فرض وجهة النظر بهذه الطريقة القسرية التي تثير الخوف ومن ثم فإن هذا التعريف أشبه بتعريف سلطوي منه تعريف أكاديمي علمي!!

وهناك فريق آخر من علماء الاجتماع والتاريخ يقصرون الإرهاب على الدولة حيث يصف الكاتب الفرنسي "ج.م. دومناك" الدولة بأنها عنف منظم. وقد عبر "ج. لافو" عن ذلك بمرونة أكثر إذ يقول: إن السياسة لا تقوم بدون عنف (..) بل جوهر السياسة في كل زمان ومكان ينطوي على العنف) (٢٢) (العنف والإرهاب/مرجع سابق/ص٨٩).

**ويسير على نفس المنوال "ح.فروبند" الذي يقول:**

"(إن القوة تكون بالضرورة أداة السياسة الأساسية وأنها من مقوماتها الجوهرية. وعرف العنف بقوله: "سوف نطلق اسم العنف على القوة التي تهاجم مباشرة شخص الآخرين وخيراتهم أفراداً أو جماعات بقصد السيطرة عليهم بالموت والتدمير والإخضاع والهزيمة)

نلاحظ أن التعريفات السابقة ذات التوجه الشيوعي تغفل إرهاب الأفراد أو الجماعات وتقصر التعريف على عنف الدولة بل وتخلط بين مصطلحي العنف والإرهاب وهناك فريق من الكتاب العرب يتبنون التعريف السابق للإرهاب مثل (سالم إبراهيم) وهو من نفس المدرسة ذات الميول الاشتراكية إذ يقول:

(وقد أظهرت الدراسات التاريخية أن الإرهاب الذي تمارسه أنظمة الحكم التي تسيطر على أساس التسلط والسيطرة أكثر بكثير من العنف الذي تمارسه الطبقات المعارضة. ويستشهد بقول الكاتب الأمريكي "مايكل كلير" : [إن الولايات المتحدة تقف في نهاية الخط الذي يمد معظم الأنظمة الاستبدادية في العالم بتقنية القمع) (العنف والإرهاب/المرجع السابق/ص٨٩)

أقول: هكذا تتغاير التعريفات طبقاً لتباين المعتقدات والمنطلقات فوصف الكاتب الأمريكي "مايكل كلير" ذي التوجه الاشتراكي الولايات المتحدة الأمريكية بأنها تقف في نهاية الخط الذي يمد معظم الأنظمة الاستبدادية في العالم بتقنية القمع مثل القنابل المسلة للدموع والعصاة المكهربة الصاعقة ومصفحات الأمن المركزي والطائرات المروحية والغازات السامة بالإضافة إلى حماية الأنظمة الديكتاتورية من انتفاضة شعوبها.. هذا لا مراء فيه وحق لا ينكره من اطلع على أصول السياسة الأمريكية وممارساتها في بقاع العالم.. لكن

هذا الوصف لا يصلح أن يكون تعريفاً منضبطاً للإرهاب.. فالكاتب "مايكل كلير" يعرف الإرهاب من منطلق الأيدلوجية الاشتراكية.. لأننا يمكننا في المقابل أن نقول: إن الاتحاد السوفياتي السابق وروسيا الحالية يقف وراء كل قمع وتهجير عرقي وتعذيب وحشي لدول وجماعات بأسرها وتاريخ روسيا ملطخ بدماء شعوب القوقاز التي قتلت في زمهرير صحراء سيبيريا.. ومحنة الشعب الأفغاني المسلم لم تمح من ذاكرة العالم.. وتدمير الروس للشعب الشيشاني المسلم شاهد على أبشع صور الإرهاب والعنف والقمع الذي تمارسه دولة قوية ضد دولة ضعيفة بل وضد مجموعة من الأفراد!! رغم أنهم يدافعون عن هويتهم..

## صفوة القول

هكذا لم يتفق الباحثون على تعريفات محددة لمصطلح الإرهاب ومن ثم استبان لنا اضطراب التعريفات السابقة وقصورها.. فالمنظومة الاشتراكية تعرف الإرهاب حسب منطلقاتها ومصالحها.. فمصلحة البروليتاريا والسلام الاجتماعي يبرر عنف الدولة طبقاً للأيدلوجية الاشتراكية أو الشيوعية!!

وهذا يتفق والمنظومة الغربية بزعامة أمريكا التي تبرر إرهاب إسرائيل بحجة الدفاع عن سلامة أراضيها وأمنها القومي!! إذن تعريف الإرهاب له مقاييس متباينة ومتقابلة لم تحسم بعد.

أما عن الإرهاب في المنظومة الشرعية فسنفرد له مقالة مستقلة إن شاء الله.

مركز المقريزي للدراسات التاريخية بلندن

٤ رجب ١٤١٧هـ ١٥ نوفمبر ١٩٩٦

# الموريسكيون الجدد.. مسلمو فرنسا

من شارل الخامس إلى جاك شيراك

**د. هاني السباعي**

قال جرير:

ويقضى الأمر حين تغيب تيمٌ *** ولا يستأمرون وهم شهودُ

لقد كان من احتقار جرير لقبيلة (تيم) وازدرائه بهم أن وصفهم بأنهم قوم لا قدر ولا قيمة لهم فهم لا يستشارون في الأمور الجليلة سواء كانوا حاضرين أم غائبين. هذا بالضبط ما أراد الرئيس الفرنسي (جاك شيراك) أن يقوله لمسلمي فرنسا (خمس ملايين) لا قدر ولا قيمة لهم وهم أرذل وأحط من أن يأخذ رأيهم في قضية حظر الحجاب في الدوائر الحكومية والمؤسسات التعليمية وغيرها.

فهذا القانون الذي يوصي به شيراك ليفرض رسميا من قبل المجلس التشريعي الفرنسي في غضون شهور لم يكن وليد صدفة أو يقظة ضمير قصر (الإليزيه) ليحمي لحمة المجتمع الفرنسي المتفكك خلقياً من قطعة قماش توضع على رأس المرأة المسلمة إذ أن هذا الحجاب يذكر الطبقات المنحلة بحكاية اسمها العفاف والطهر فحال لسانهم يقول (أخرجوا آل لوط من قريتكم إنهم أناس يتطهرون). بل إن الأمر له رواسب تاريخية من بقايا الحقد الصليبي الذي ينظر إلى الإسلام وأهله نظرة شؤم وازدراء واستعلاء.. وقد يكون هذا القانون إذا ما تم سنه بداية لسلسلة من قوانين تحظر الحجاب ليس في المؤسسات الحكومية فقط في بل في الشارع أيضاً وقد يتعدى الحظر إلى منع أي هدي ظاهر للمسلمين رجالاً ونساء كما مسودة مشروع قانون

الإرهاب في انجلترا الذي يحظر أي زي يمثل استفزازاً لمشاعر الشعب الإنجليزي لكنه لم يقر ولم ينفذ حتى الآن!

### ماذا بعد قانون حظر الحجاب:

إن قانون جاك شيراك قد ينتهي إلى حظر ديانة الإسلام أصلاً في فرنسا وأوروبا فيما بعد.. بل إنني أذهب أبعد من ذلك قد يصل بهم الأمر أن يصدروا قانوناً بتنصير المسلمين!

قد يقول قائل: أنت متشائم لم هذه الصورة السوداوية لمستقبل المسلمين في أوربا بصفة عامة وفرنسا بصفة خاصة؟

أعتقد أنني لست متشائماً بل إنني أحاول أن أقرأ التاريخ المعاصر بربطه بعبر التاريخ القديم ولإثبات هذه القراءة نشرع في التساؤل التالي:

هل يعيد التاريخ نفسه؟ هل من الممكن أن يعود الموريسكيون من جديد؟ وهل يتصور أن يتحول المسلمون في فرنسا إلى موريسكيين جدد؟

للإجابة على ذلك نعود بالذاكرة إلى نهاية تاريخ المسلمين في الأندلس.. لقد تدرج نصارى الأسبان مع المسلمين بنفس الطريقة الفرنسية حالياً في أول الأمر تركوا للمسلمين بعض الشعائر وانتهى الأمر بمحنة المدجنين والموريسكيين. وكما هو معلوم تاريخياً فإن المدجنين لفظ أطلق على المسلمين الذين ظلوا في بلاد الأندلس التي احتلها الأسبان وحافظوا على دينهم وعاداتهم فيها قبل سقوط غرناطة بيد الأسبان سنة ٨٩٧هـ الموافق١٤٩٢م. أما الموريسكيون: فهم الذين بقوا في مملكة غرناطة وظلوا متمسكين بدينهم وعاداتهم رغم الاضطهاد الوحشي الذي تعرضوا له من قبل رجال الكنسية في ذلك الوقت.

وعلى أية حال فهناك من المؤرخين من يطلق لفظ الموريسكيين ويقصد أيضاً المدجنين.

فهـؤلاء الموريسـكيون لـم يهربـوا كمـا هـرب معظـم سـكان الأندلـس إلـى شـمال إفريقيـا ومصـر.. فهـؤلاء المسـاكين التعسـاء كان قدرهـم أن كانـوا تحـت حكـم الإمبراطـور السـفاح (فرنانـدو) الـذي أذاق المسـلمين بعـد سـقوط الأندلـس سـوء العـذاب علـى مـدار عشـرين سـنة، وقـد صـدر فـي عهـده مرسـوم بأبـوي بإنشـاء محاكـم التفتيـش فـي (رمضـان ٨٨٨هـ الموافـق أكتوبـر ١٤٨٣م). ولعـل التاريـخ لا ينسـى القـس الجـزار (تومـاس دي تركيمـادا) الـذي عيـن مفتشـاً عامًـا لهـذه المحاكـم.

ولمـا مـات (فرنانـدو) انتقـل الحكـم إلـى حفيـده (شـارل الخامـس) الـذي أوصـاه جـده أن يكـون فـي خدمـة الـرب وأن يكـون نصيـر الكنيسـة الكاثوليكيـة وأن يسـحق أمـة محمـد (صلـى اللـه عليـه وسـلم ) سـحقاً!!

المهـم لقـد ظـن الموريسـكيون بشـارل خيـراً فـإذا بـه ألعـن مـن سـابقيه فقـد رفعـوا شـكوى لـه بتضررهـم مـن قانـون تنصيرهـم لأنهـم تعرضـوا لإكـراه ويريـدون أن يسـمح لهـم بالهجـرة مـن هـذه البـلاد فشـكل لهـم محكمـة بأبويـة أصـدرت حكمـا ضدهـم بأنهـم صـاروا نصـارى باختيارهـم ولا يحـق لهـم الخـروج مـن البـلاد ومـن هـرب فقـد خـرج عـن ديـن النصرانيـة وصـاراً مرتـداً يجـب قتلـه!! ولتطبيـق ذلـك وضعـوا قـوات مـن الأمـن تراقـب الحـدود مـع شـمال إفريقيـا حتـى لا تسـمح لهـم بالهجـرة والهـرب وظلـوا يعملـون فـي رعـي الخنازيـر والفلاحـة وفـي كسـح الكنـف وتنظيـف الشـوارع... مـا أشـد مأسـاة هـؤلاء التعسـاء!

وإمعانـاً فـي إذلال المسـلمين الذيـن تنصـروا فـي العلـن وأخفـوا إسـلامهم صـدر مرسـوم ملكـي آخـر فـي ٢٢ ربيـع أول ٩١٧هـ الموافـق٢٠ يونيـو ١٥١١م يلـزم المسـلمين بتسـليم كتبهـم الدينيـة والفقهيـة وحرقهـا فـي ميـدان عـام تحـت إشـراف أحـد الكرادلـة.

وتأكيـداً لأمـر المحكمـة البابويـة أصـدر شـارل مرسـوماً بقانـون يلـزم تنصيـر كل مسـلم بقـي علـى دينـه وكان ذلـك فـي ١٦ جمـادى الأولـى ٩٣١هـ الموافـق ١٢ مـارس ١٥٢٤م..

لكن هل اكتفى الأسبان بما سبق؛ لقد أصدر شارل الخامس في ٩٣٢ هـ=١٥٢٦م مرسوماً يحظر على الموريسكيين التخاطب باللغة العربية أو تعليم أولادهم لها.. طبعاً بغية استئصال شأفة أي أثر للإسلام في الأندلس وللقضاء على روح الترابط والتخاطب الذي يذكر الأجيال بلغة دينهم الأصلي بل إن الموريسكيين كانوا يدفعون إتاوات لبعض المحققين لكي لا يطبق عليهم هذا القانون بحذافيره.. ثم أصدر فيليب الثاني سنة (٩٦٤هـ الموافق ١٥٦٦م) قانونًا جديدًا يحرم التخاطب بالعربية، وفرضت القشتالية (لغة البرتغاليين قديما) كلغة للتخاطب والتعامل. وحوربوا حرباً لا هوادة فيها، وكتبوا لغتهم بطريقة سرية إذ كانوا يكتبون اللغة العربية بحروف لغة القشتاليين كما هو قائم الآن في تركيا بعد أن أصدر كمال أتاتورك قانوناً بوجوب كتابة اللغة التركية بحروف لاتينية.. لأن الحروف التركية القديمة حروف عربية تذكر الأجيال بأصلهم الإسلامي (تشابهت قلوبهم)! لكن هؤلاء الموريسكيين لم ييأسوا فطفقوا يألفون كتباً في الفقه والأدب والشعر بلغة جديدة أطلق عليها (الإلخميادو) التي ظلت قرنين من الزمان يتناقلونها جيلاً إثر جيل حيث لم تنتبه إليها الحكومة الأسبانية.. ولما ضاق بهم الحال كانوا يرسلون رسائل سرية لفقهاء بلاد المغرب يسألون عن بعض الأحكام إذ كانوا مراقبين من قبل رجال الكنيسة الذين كانوا يقتحمون منازلهم ليفتشوا فيها على مصحف مخبأ أو أي أثر من شعائر المسلمين مع استجواب الأطفال وسؤالهم إن كانوا يرون آباءهم أو أمهاتهم يصلون أو يقرأون القرآن!! وإزاء هذا التضييق أفتى لهم بعض فقهاء مراكش وسرب لهم رسالة وأطلق عليهم اسم الغرباء يبين لهم الأحكام الشرعية التي يمكن أن يلجؤوا إليها ليعملوا بالتقية وحتى يتمكنوا من ممارسة شعائرهم خفية: فيجوز الصلاة بالإيماء أي بالإشارة، وركن الزكاة يؤدى في صورة هدية لفقير.. ورفع الجنابة عن طريق العوم في البحر بزعم الاستحمام.. وإن أكرهتم على النطق بكلمة الكفر فقولوها تورية، وإن لم تستطيعوا فقولوها بألسنتكم وقلوبكم مطمئنة بالإيمان.. وهكذا كان يعيش هؤلاء

الموريسكيون تحت هذا القمع الرهيب.. وقد أشار الحافظ أبو العباس الونشريسي المتوفى ٩١٤هـ في كتاب المعيار المعرب إلى بعض نتف لمسائل فقهية ذكر فيها (المدجنين).

وهذا يفسر لنا سر اصرار فرنسا وألمانيا ومعظم دول الغرب على ضرورة التخاطب بلغة الدولة التي يقيم فيها المسلمون بل وضرورة تعليم الأولاد في المدارس الحكومية، والتضييق عليهم في المدارس الخاصة ورفع الإعانة عنهم، واتهام هذه المدارس بأنها مفرخة للإرهاب!! هذا الإصرار على ضرورة التخاطب باللغة الفرنسية أو لغة الدولة التي يقيم فيها المسلمون مرحلة من مراحل الذوبان والتخلي عن هوية الإسلام للجيل الحالي ومن سيأتي بعده بالانصهار الكامل في بوتقة المجتمع الغربي ومن ثم يسهل تحويل هذه الأجيال طوعاً أو كرهاً إلى (موريسكيين جدد)!.

واحقاقاً للحق فإن الموريسكيين القدماء كانوا يكافحون وقاموا بعدة ثورات ضد الأباطرة الذين حكموا أسبانيا أجداد خوليو وخوان كاركوس وأثنار.. فهذا الخلف من ذاك السلف!

فالصليبيون الجدد كجاك شيراك وبطانته من سلالة بطرس الناسك وأوربان.. الفارق بينهم أن أسلافهم كانوا يعلنون أنهم حماة الصليب.. أما الخلف الجدد فإنهم يقدمون أنفسهم على أنهم سدنة العلمانية وحماة الحرية وحقوق الإنسان وأتباع المسيح!! والمسيح عليه السلام منهم براء، وصدق فيهم شوقي إذ قال:

عيسى سبيلك رحمةٌ *** في العالمين وعصمةٌ وسلامُ

ما كنتَ سفاك الدماء ولا امرءاً *** هان الضعافُ عليه والأيتامُ

يا حامل الآلام عن هذا الورى *** كثرت علينا باسمك الآلامُ

هـذه العلمانيـة المعاصـرة التـي يمثلهـا شـيراك وشـرودر وبريلسـكوني ورعـاة البرجـر والكوكاكولا!! علمانية تثير العجب العجاب إذ أن إحداثي بوصلتها موجهة نحو المسلمين فقط دون خلق الله!! علمانية مبرمجة بحقد صليبي دفين على غرار علمانية جنرالات تركيا وبعض أقزام العرب الذي يتمسكون بالعلمانية للهجوم على الهدي الظاهر والباطن لدين الإسلام بصفة خاصة!

**ما سر استهتار جاك شيراك بمشاعر المسلمين:**

لكن ما سر الاستهتار بمشاعر المسلمين من قبل جاك شيراك ومن على شاكلته من حكام الغرب؟

ولمعرفة سر ذلك نقسم المسلمين في فرنسا إلى الشرائح التالية:

**الأولى: بالنسبة للمسلمين في فرنسا كحالة آنية:** فتعدادهم قرابة خمسة ملايين.. وهذا العدد أكبر طبعاً من تعداد اليهود أو أي ديانة أخرى بخلاف النصرانية.. هذا العدد أشبه بغثاء كغثاء السيل إذ أن هذه الكثرة لا فائدة منها فلا آصرة تجمعها ولا هدف ينظمها وهي خليط من التشرذم والتفرق والتحلل.. والحكومة الفرنسية تعلم ذلك جيداً لذلك لم تلق لهم بالاً ولم تضع حجم هذه الملايين في حسبانها يوم أن صرح جاك شيرك بموافقته على حظر الحجاب!

**الثانية: طائفة من مسلمي فرنسا هم أقدم من غيرهم** إذ أنهم رحلوا مع الاحتلال الفرنسي لتونس والجزائر لأنهم كانوا مرتبطين بمصالح المحتل وكانوا عيوناً له في أوطانهم وبعد التحرير رحلوا بعوائلهم إلى فرنسا ولما كانوا يحلمون أسماء إسلامية والكثير منهم لم يتخل عن ديانة الإسلام وخلفوا جيلاً يحمل كثير منهم أسماء إسلامية، ولم يغيروا دينهم الإسلامي أيضاً أي لم يعلنوا تنصرهم فهم ضمن تعداد الخمسة ملايين.. رغم أنهم لا يحملون من الإسلام إلا اسمه وجلهم لا يحمل هموم الإسلام في المشرق.

**الثالثة: هناك هجرة اقتصادية وخاصة من شمال إفريقيا** لتحسين أوضاعهم المعيشية وهم الغالبية العظمى، وكثرتهم مشغولون بمصالحهم الشخصية والاستماتة في الحصول على الإقامة الدائمة أو الحصول على الجنسية، فلا يهمهم حظر الحجاب أو حظر الصلاة.. ويحسب هؤلاء في تعداد الخمس ملايين مسلم.

**الرابعة: الهجرة السياسية: وارتفعت أمواج الهجرة** البشرية بعد تدهور الأوضاع السياسية في الجزائر بصفة خاصة وتونس وليبيا والمغرب وموريتانيا بصفة عامة.. هؤلاء فروا من بطش السلطة ثم استقروا في فرنسا ومعظمهم من أصحاب التوجه الإسلامي الحركي لكنهم للأسف الشديد جاءوا بمشاكلهم وباختلافاتهم الفكرية والمذهبية فلم يتفقوا على كلمة سواء، وطفق كل فريق يطعن في الآخر.. فصاروا طرائق قدداً! فهؤلاء الإخوة المتشاكسون يحسبون أيضاً ضمن تعداد الخمسة ملايين مسلم في فرنسا.. لكن على أية حال فقد ظهرت الصحوة الإسلامية بصورة قوية على أيدي هؤلاء المهاجرين الإسلاميين الذين كانوا يتميزون بهديهم الظاهر من حجاب ونقاب وقمصان طويلة ولحى وعمائم وأداء شعائر في شوارع عامة.. وهنا دب الفزع في صدور سدنة العلمانية الفرنسية!!

**الخامسة: المؤسسات الإسلامية: عبارة عن مؤسسات** تمثل وجهة نظر الحكومات التي تنفق على هذا المسجد أو تلك الجمعية، وصارت أشبه بنسخة مكررة من القنصليات العربية أوما يسمى بقنصليات إسلامية! فلم يعبأ المسلم العادي بهذه المؤسسات، وينظر إليها بنظر الريب وهي نسخة من وزارات أوقاف أوقاف حال طبعاً فلم تدافع هذه الجمعيات والمؤسسات الدينية والخيرية بجدية عن مصالح المسلمين في فرنسا.. وشئنا أم أبينا فإن هذه المؤسسات الإسلامية والخيرية والحقوقية تحسب في تعداد الخمس ملايين مسلم.

إذن نحن بصدد غثائية مهينة تستخف بها الحكومة الفرنسية فلا ضير على شيراك وبطانته من سن قانون يحظر الحجاب أو حتى يحظر تواجد المسلمين في فرنسا من أصله!

## صفوة القول

في نهاية هذا التطواف أعتقد أن هذه الملايين في فرنسا هم مشروع موريسكيون جدد طالما رضوا بالدنية ولم يدافعوا عن دينهم وعقيدتهم.. فالموريسكيون القدامى قاموا بتظاهرات عارمة واضرابات وثورات مستمرة ضد قوى الظلم في أسبانيا قديماً. ورغم تعرضهم لأبشع حملة تنكيل في تاريخ البشرية فقد ظلوا يقاومون واستصرخوا العالم الإسلامي في المشرق فلا مغيث ولا مجيب؛ فالعثمانيون ظهروا كقوة فتية وبذلوا جهوداً لاسترداد الأندلس لكنهم لم يفلحوا ولم يستطيعوا نجدتهم لبعد بلاد الأندلس عنهم ولانشغالهم في حروب مع أوربا المجاورة لهم.. أما المماليك في مصر فكانوا في حالة ضعف وتفكك وحاول المماليك والمسلمون في الجزائر إرسال بعض السفن والقراصنة للهجوم على شواطئ الأندلس وامداد الثوار الموريسكيين فلم تستمر طويلا.. ثم طحنتهم عجلة النسيان وصرنا نذكرهم في أسود صفحة في تاريخ البشرية، وصارت حكايتهم مرثية دامية باكية في زاوية صغيرة من كتب التاريخ!

أعتقد أن المسلمين في فرنسا في حالة تحد: نكون أولا نكون! فليتخذ مسلمو فرنسا الجالية الإسلامية في بريطانيا مثلاً في التحدي النسبي وهذا أضعف الإيمان.. فالمسلمون في انجلترا رغم تفرقهم شيعاً وأحزاباً إلا أن الجالية الباكستانية والبنجالية ومعظم مسلمي جنوب شرق آسيا هم الذين رفعوا شأن المسلمين إلى حد ما في بريطانيا؛ فمنذ أن قدموا إلى بلاد الإنجليز بداية القرن المنصرم وهم يكافحون ويتحدون التمييز العنصري ضدهم ومتمسكون بعاداتهم وتقاليدهم وقاموا بعدة احتجاجات ضد الحكومة وقوات الأمن إذا حدث انتهاك لأحدهم أو اعتدي على بعضهم حتى صارت الحكومة تعمل لهم حساباً إلى حد ما في قراراتها حيث استفاد من هذه التسهيلات سائر المسلمين خاصة العرب.. فهل المسلمون في فرنسا بحاجة إلى جالية إسلامية من جنوب شرق آسيا لتدافع عن حقوقهم وعقيدتهم؟! أم أنهم سيظلون في تردد وحيرة حتى يطبق عليهم القانون الإجباري بتنصيرهم وتحويلهم إلى موريسكيين جدد!

مركز المقريزي للدراسات التاريخية

١ محرم ١٤٢٥ هـ الموافق ٢١فبراير٢٠٠٤

# خليفة بن خياط ومنهجه في كتابة التاريخ

د. هاني السباعي

قال قائل: كيف تضع تاريخ خليفة بن خياط كمصدر من مصادر السيرة النبوية قبل تاريخ الإسلام للذهبي والكامل لابن الأثير رغم أن ابن خياط قد تكلم فيه بعض علماء الجرح والتعديل حيث غمزه ابن المديني وقال عنه: (ابن خياط شجر يحمل الحديث)!! وضعفه العقيلي ولم يحدث عنه أبو حاتم الرازي ولم يوثقه أبو زرعة الرازي. ورغم ذلك تعتمد كتابه كمصدر من مصادر السيرة والرجل بهذا الضعف؟!! ولمناقشة هذا الاعتراض والرد عليه عبر النقاط التالية: أولاً: التعريف بابن خياط وأقوال العلماء فيه تجريحاً وتعديلاً. ثانياً: منهج ابن خياط في كتابة التاريخ. ثالثاً: **صفوة القول**. أولاً: التعريف بابن خياط وأقوال العلماء فيه تجريحاً وتعديلاً: يعرفه لنا الحافظ محمد بن طاهر بن القيسراني المتوفى (٥٠٧هـ) في كتابه( تذكرة الحفاظ): "الحافظ الإمام أبو عمرو العصفري المعروف بشباب محدث نسابة اخباري علامة صنف التاريخ والطبقات وسمع ابن عيينة ويزيد زُريع وغندراً وطبقتهم وعنه البخاري وبقي بن مخلد وعبدان وأبو يعلى وطائفة قال ابن عدي مستقيم الحديث صدوق من متيقظي الرواة. قال مطين مات سنة أربعين ومائتين رحمه الله تعالى يقع لنا حديثه عالياً من مسند أبي يعلى الموصلي" ويقول عنه الحافظ السيوطي المتوفى (٩١١هـ): خليفة بن خياط بن خليفة بن خياط العصفري أبو عمرو البصري الحافظ المعروف بشباب كان عالماً بالنسب والسير وأيام الناس روى عن ابن علية وبشر بن المفضل وأبي داود الطيالسي وابن عيينة وابن مهدي ويزيد بن زريع وعنه البخاري وأبو يعلى وبقي بن مخلد وحرب بن إسماعيل الكرماني والدارمي وعبد الله بن أحمد بن حنبل" وقال عنه الحافظ محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم البستي المتوفى (٣٥٤هـ): خليفة بن خياط أبو عمر العصفري من أهل البصرة يقال له شباب يروي عن ابن عيينة والبصريين حدثنا عنه الحسين بن سفيان وغيره وكان عالماً متقناً بأيام الناس وأنسابهم" ويقول عنه الحافظ شمس الدين

الذهبي المتوفى (٧٤٨هـ) في (ميزان الاعتدال): "خليفة بن خياط العصفري الحافظ شباب صاحب التاريخ روى عن جعفر بن سليمان ومعتمر بن سليمان ويزيد بن زريع وخلق وعنه البخاري وأبو يعلى وعبدان وخلق" لكن لماذا ضعفه بعض العلماء رغم ثناء جماهير علماء الأمصار عليه؟! أقول: لقد اختلط على بعض المعاصرين الأمر وسبب ذلك أنهم يتعاملون مع ابن خياط من خلال من منظور واحد فخليفة بن خياط محدث ومؤرخ في وقت واحد فمن نظر إلى قول بعض العلماء فيه من الناحية الحديثية ومن حيث الرواية بشروطها وضوابطها الصارمة يضعفونه.. ومن ينظر إليه كمؤرخ علامة نسابة فهو الإمام المقدم في هذا الفن ومن ثم يتساهلون في بعض مروياته التاريخية.. ورغم ذلك فإنه محدث ثقة وليس كما يتوهم البعض أنه ضعيف سوف نثبت ذلك من خلال أقوال صيارفة الإسلام في علم التعديل والتجريح.. وسنتتبع أصل هذه القضية وكيف وصل إلينا الأمر أن خليفة بن خياط ضعيف الرواية على النحو التالي: لقد تمسك البعض بما ذكره الحافظ أبو جعفر محمد بن عمر العقيلي المتوفى (٣٢٢هـ) حيث قال في كتابه الضعفاء: "خليفة بن خياط البصري يعرف بشباب العصفري بصري حدثني زكريا بن يحيى الساجي قال حدثنا الحسين بن يحيى الأزدي قال سمعت علي بن المديني يقول في دار عبد الرحمن بن عمر بن جبلة: وشباب بن خياط شجر يحمل الحديث" ويشرح لنا الحافظ أبو الوليد الباجي المتوفى (٤٧٤هـ) أصل المشكلة بتفصيل أكثر في كتابه (التعديل والتجريح): "خليفة بن خياط يقال له شباب أبو عمرو العصفري البصري أخرج البخاري في الجنائز والدعوات عنه عن معتمر قال عبد الرحمن بن أبي حاتم انتهى أبو زرعة الرازي إلى أحاديث كان أخرجها في فوائده عن شباب العصفري فلم يقرأها علينا فضربنا عليها وتركت الرواية عنه قال أبو حاتم الرازي لا أحدث عن شباب هذا هو غير قوي. كتبت من مسنده أحاديث ثلاثة عن أبي الوليد فأتيت أبا الوليد فسألته عنها فأنكرها. فقلت كتبتها من كتاب شباب العصفري فعرفه وسكن غضبه وهذا على نحو ما قالوا وإنما يقول البخاري عنه في أكثر ما خرج وقال خليفة بن خياط وقد قال حدثني خليفة بن خياط وقرنه بان أبي الأسود جميعاً عن معتمر في باب مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب ومخرجه إلى بني قريظة وقال في تفسيره لسورة البقرة وقال لي خليفة بن خياط عن يزيد بن زريع وقرنه بمسلم عن هشام وقال في

الردة وحدثني خليفة بن خياط وقرنه بمحمد بن أبي بكر على هذا رأيت أمره إذا أفرده قال وقال لي خليفة وإذا قرنه قال وحدثني خليفة" هكذا استبان لنا لماذا غمز بعض العلماء ابن خياط؟! فالحافظ أبو الوليد الباجي ذكر قول أبي حاتم الرازي: (لا أحدث عن شباب هذا هو غير قوي كتبت من مسنده أحاديث ثلاثة...إلخ) لكن لما عرضها على الحافظ أبي الوليد أنكرها!! لكن أبا حاتم تدارك الأمر وقال: كتبتها من كتاب شباب العصفري.. بمعنى أنه إذا صرح خليفة بن خياط فهو ثبت ثقة أما إذا لم يصرح وقال الراوي: قال خليفة بن خياط.. فهنا لا يقبلون روايته إذا انفرد ولم يصرح بالتحديث.. وحاول الحافظ الباجي أن يبرر لماذا روى عنه البخاري في صحيحه؟! بمعنى أوضح إذا كان خليفة بن خياط ضعيفاً فلماذا روى البخاري عنه في صحيحه؟ بل إن خليفة بن خياط من شيوخ البخاري.. وقد قيل إن البخاري روى عنه مقروناً بغيره... ولنترك الحافظ شمس الدين الذهبي ليتكلم عن الخلفية العلمية لابن خياط ولنعرف رأيه في هذه القضية من خلال ترجمته في كتابه الماتع (سير أعلام النبلاء): "ابن خليفة بن خياط الإمام الحافظ العلامة الإخباري، أبو عمرو العصفري البصري، ويُلقب بشَبَاب، صاحب (التاريخ)، وكتاب (الطبقات)، وغير ذلك. سمع أباه، ويزيدَ بنَ زريع، وزيادَ بنَ عبدالله البكائي، وسفيان بن عيينة، وعبد الأعلى بن عبد الأعلى، ومحمدَ بنَ جعفر غُنْدَراً، وإسماعيل بن عُلية، ومحمدَ بنَ أبي عدي، ومُعْتَمر بن سليمان، ومحمد بن سَوَاء، وخالد بن الحارث، ويحيى القطّان، وابنَ مهدي، وأميةَ بنَ خالد، وحاتم بن مسلم، وهشام الكلبي، وعلي بن محمد المدائني، وخلقاً كثيراً" ونجد دقة الذهبي في استدراكه لشيخه الحافظ العلامة أبي الحجاج المزي المتوفى (٧٤٢هـ) في مسألة فنية بحتة وهو بصدد الكلام عن شيوخ خليفة بن خياط حيث يقول: "ذكر شيخنا في (تهذيب الكمال) أنه روى أيضاً عن حماد بن سلمة فهذا وهم بيّن، فإنّ الرجل لم يلحق أيضاً السماع من حماد بن زيد، وأُراه رآه" ولمن أراد أن يعرف قدر ابن خياط وثقة العلماء فيه وتوثيقهم له يقول عنه صاحب سير النبلاء: "حدث عنه: البخاري بسبعة أحاديث أو أزْيَد في صحيحه، وبقيُّ بنُ مَخْلد، وحرب الكرماني، وعبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، وأبوبكر بن أبي عاصم، وعمر بن أحمد الأهوازي، وموسى بن زكريا التُستري، وعَبْدَان الجواليقي، وزكريا السّاجي، وخلقٌ. وكان صدوقاً نسّابةً، عالماً

بالسير والأيام والرجال. وثقه بعضهمم. وقال ابن عدي: هو صدوق من متيقظي الرواة. قلتُ (الذهبي): ليّنَهُ بعضُهم بلا حجة. قال: مُطَّين وغيرُه: مات سنة أربعين ومائتين" انظر إلى قول الذهبي: (لينه بعضهم بلاحجة).. معنى ذلك أن الذهبي لا يثق في الرواية المذكورة عن أبي حاتم الرازي التي ذكرتها آنفاً. وينبري ابن حجر العسقلاني المتوفى في (٨٥٢هـ) مدافعاً عن ابن خياط مثلما فعل الذهبي ومن سبقه حيث يذكر في سياق الرد على في وجود أسماء مطعون عليها في صحيح البخاري فيقول في هدي الساري: "خليفة بن خياط العصفري أبو عمرو لقبه شباب أحد الحفاظ المصنفين من شيوخ البخاري. قال ابن عدي له حديث كثير وتصانيف، وهو مستقيم الحديث صدوق من المتيقظين وقال ابن حبان كان متقناً عالماً بأيام الناس، وقال العقيلي غمزه ابن المديني وتعقب ذلك ابن عدي بأنه من رواية الكديمي عن ابن المديني والكديمي ضعيف لكن روى الحسن بن يحيى عن علي بن المديني نحو ذلك، وقال ابن أبي حاتم ما رضي أبو زرعة يقرأ علينا حديثه، وقال أبو حاتم لا أحدث عنه، هو غير قوي كتبت من مسنده ثلاثة أحاديث عن أبي الوليد ثم أتيت أبا الوليد فسألته عنها فأنكرها وقال ما هذه من حديثي فقلت كتبتها من كتاب شباب العصفري فعرفه وسكن غضبه.. قلت (ابن حجر): هذه حكاية محتملة وجميع ما أخرجه له البخاري أن قرنه بغيره قال: حدثنا خليفة وذلك في ثلاث أحاديث وإن أفرده علق ذلك فقال: قال خليفة قاله أبو الوليد الباجي ومع ذلك فليس فيها شيء من افراده والله أعلم" أقول: انظر إلى قول ابن حجر (هذه حكاية محتملة) معنى ذلك أن ابن حجر لا يعتد بها ويوهنا وأنه لا يقبلها حجة في قدح ابن خياط وتجريحه. وانظر إلى استدراكه لأبي الوليد الباجي في قوله (ومع ذلك فليس فيها شيء من افراده والله أعلم) معنى ذلك أنه سواء قرن روايته البخاري أم أفرده فخليفة ابن خياط ثقة ثبت وصدوق. ثانياً: منهج ابن خياط في كتابة التاريخ: خليفة بن خياط من المؤرخين الكبار في التاريخ الإسلامي ومن أعظم رواد مدرسة البصرة. ألف كتابه الماتع (التاريخ) المشهور باسم (تاريخ خليفة بن خياط)، وله عدة كتب منها (طبقات القراء) (تاريخ الزمنى والعرجان والمرضى والعميان).

ولم يبق من هذه الكتب إلا كتابه (التاريخ) وكتاب طبقات القراء. نستطيع أن نقسم المصادر التي استقى منها معلوماته إلى: مصادره في تدوين السيرة النبوية: معظم معلومات

خليفة بن خياط أخذها عن محمد بن إسحاق (ت١٥١هـ) ونلاحظ وجود اسم وهب بن جرير الذي نقل عنه ابن سعد في طبقاته الكبرى، وكذا أبي معشر السندي. وقد بدأ حوليات كتابه بالسنة الأولى من الهجرة النبوية وانتهى إلى وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم مع ذكر عماله وكتّابه ثم شرع في ذكر الخلفاء الراشدين وبقية دول الإسلام إلى أحداث ٢٣٢هـ. أما في الأنساب: فقد أخذ عن هشام بن محمد الكلبي، أبي اليقظان سحيم النسابة، ونجد اسم أبي عبيدة معمر بن المثنى الذي أخذ عنه أخبار الخوارج. وقد أخذ عن يحيى بن محمد الكعبي ويزيد بن زريع وعبد الله بن المغيرة والوليد بن هشام وعبد الله بن قعنب وخلق كثير يبلغون أكثر من ١٠٣ من الإخباريين والرواة والمحدثين. أما عن طريقته في السرد التاريخي: يهتم بن خياط بالإسناد بصفته كمحدث ولا سيما فيما يتعلق بالجز الخاص بالسيرة النبوية والأحداث الخلافية، واتبع طريقة الحوليات في التاريخ، تلكم الطريقة التي سار عليها الطبري وكل ومعظم من كتب في تاريخ الإسلام. ويهتم ابن خياط بواقعات وأحداث تاريخية لا نجدها في كتاب الطبري مثل اهتمامه بذكر أسماء شهداء الصحابة في الغزوات والسرايا. كما أنه أعطانا معلومات هامة عن أسماء العمال والولاة في عهود الخلفاء وقدم لنا قوائم بأسماء القضاة وكبار رجال الدولة وبيت المال والخراج ورجال الشرطة ومن ثم تعتبر دراسة هامة للنظام الإداري والمالي في الإسلام. وقد ابتدأ ابن خياط كتابه (التاريخ) بإعطائنا نبذة عن معنى التاريخ ومتى بدأ الناس يؤرخون حتى وصل إلى التاريخ الهجري ومتى وكيف حدث ذلك ومن أراد المزيد فليرجع إلى ما ذكره في مقدمة كتابه.. وهناك كتاب مطبوع بتحقيق د. أكرم ضيا العمري باسم (تاريخ خليفة بن خياط).. **صفوة القول** لقد قدمتُ الحافظ خليفة بن خياط على غيره لأن كتاب أقدم كتاب في تاريخ الإسلام مرتب على الحوليات ليس هذا فحسب بل لأنه محدث ثقة صدوق بشهادة علماء التعديل والتجريح كما ذكرت آنفاً. أستطيع أن أؤكد أن شيخ المؤرخين الطبري أخذ عن ابن خياط كثيراً من المعلومات واحتذى طريقته في التأليف المرتب على الحوليات. قد استبان لنا براءة ابن خياط من الرواية المنسوبة إليه عن طريق الكديمي الذي ضعفه الحافظ ابن عدي بل إن الحافظ ابن عدي هو أول من شكك في رواية الكديمي ودافع بقوة عن خليفة بن خياط ومن ثم سار على نفس الدرب في الدفاع

عن ابن خياط علماء كثير كأبي الوليد الباجي والذهبي وابن حجر العسقلاني والسيوطي وغيرهم من علماء الإسلام. يعتبر كتاب (تاريخ خليفة بن خياط) وخاصة فيما يتعلق بقسم السيرة النبوية مصدراً مكملاً لبقية مصادر السيرة النبوية حيث اهتم بأحداث لم يذكرها غيره. لقد ظلم خليفة بن خياط حياً وميتاً فقد ابتلي بالمعتزلة الذين أتعبوه كثيراً وناصبوه العداء في عصر الخليفة المأمون وحسده أقرانه لسعة علمه وثقة الناس به. وظلم ميتاً حيث لم يأخذ مكان الصدارة في التاريخ الإسلامي ولم يهتم به الباحثون الإهتمام اللائق كمحدث ومؤرخ من كبار مؤرخي الإسلام.

لندن في ١١ يونيو ٢٠٠١

# كتب التاريخ العام

د. هاني السباعي

يتبادر إلى الذهن أننا نقصد كتاب تاريخ الطبري. نعم نقصده كمثال لكتب التاريخ العام ومن منطلق هذا الفهم نتناول هذا المصدر على النحو التالي:

أولاً: ما المقصود بكتب التاريخ العام؟

ثانياً: ما حقيقة اتهام الحافظ السليماني لابن جرير الطبري بأنه كان يضع الحديث للروافض. فهل كان الطبري من علماء الشيعة الإمامية أم كان سنياً؟

ثالثاً: ما حقيقة اتهام الطبري أنه كان يروي عن بعض الرواة الضعفاء والمتهمين لدى علماء الجرح والتعديل كأبي مخنف ومحمد بن السائب الكلبي وابنه هشام وغيرهم؟

رابعاً: تاريخ خليفة ابن خياط ومنهجه في كتابة التاريخ.

خامساً: منهج ابن الأثير في كتابة التاريخ.

سادساً: قراءة سريعة في تاريخ الإسلام للذهبي.

سابعاً: **صفوة القول**

ونشرع بتوفيق الله للإجابة على هذه الاستفسارات:

**أولاً: ما المقصود بكتب التاريخ العام؟**

كتب التاريخ العام هي مؤلفات تتناول تاريخ الأمم والدول والأفراد بشكل عام قبل الإسلام وبعده إلى زمن المؤلف. وهي تبدأ عادة ببدء الخلق مروراً بقصص الأنبياء

والإرهاصات التي حدثت قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وحتى وفاته ثم تتناول تاريخ خلفاء وملوك ومشاهير أهل الإسلام. وهذه الكتب تحوي بين دافتيها سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن ثم اعتمدها العلماء كمصدر من مصادر السيرة النبوية.

**ثانياً: ما حقيقة اتهام الحافظ السليماني لابن جرير الطبري بأنه كان يضع الحديث للروافض. فهل كان الطبري من علماء الشيعة الإمامية أم كان سنياً؟**

نود أن نثبت أن الذي أثار هذه التهمة قديماً هو الحافظ أحمد بن علي السليماني وهو الذي صرح أن الطبري يضع الحديث للروافض وإزاء تلكم المقولة قال الحافظ أبوحيان إن ابن جرير إمام من أئمة الشيعة الإمامية. ولما كنا بصدد البحث عن الحقيقة فإننا نترك علماء الجرح والتعديل يدلون بشهادتهم لتستبين حقيقة هذه التهمة:

**قال الحافظ أبوالوفاء الحلبي الطرابلسي ت ٨٤١هـ:**

"محمد بن جرير الطبري الإمام المفسر أبو جعفر شيخ الإسلام وصاحب التصانيف الباهرة توفي سنة عشر وثلاثمائة ثقة صادق فيه تشيع وموالاة لا تضر أقذع أحمد بن علي السليماني الحافظ فقال كان يضع للروافض"[١]

**قال الحافظ المؤرخ شمس الدين الذهبي ت٧٤٨هـ:**

"محمد بن جرير بن يزيد الطبري الإمام الجليل المفسر أبو جعفر صاحب التصانيف الباهرة ثقة صادق فيه تشيع يسير وموالاة لا تضر. أقذع أحمد بن علي السليماني الحافظ فقال كان يضع للروافض كذا قال السليماني. وهذا رجم بالظن الكاذب بل إن ابن جرير من كبار أئمة الإسلام المعتمدين وما ندعي عصمته من الخطأ ولا يحل لنا أن نؤذيه بالباطل والهوى، فإن كلام العلماء بعضهم في بعض ينبغي أن يتأنى فيه ولاسيما في مثل إمام كبير"[٢]

لكن كيف يتهم إمام حافظ مثل السليماني على جلالة قدره لابن جرير الطبري؟! فما أدلته على هذه التهمة؟!

يجيب على هذه الشبهة أيضاً الحافظ شمس الدين الذهبي:

"فلعل السليماني أراد الآتي: محمد بن جرير بن رستم أبو جعفر الطبري رافضي له تواليف منها كتاب الرواة عن أهل البيت رماه بالرفض عبد العزيز الكتاني"[٣]

**أما الحافظ ابن حجر العسقلاني ت٨٥٢هـ، فينبري مدافعاً عن الطبري قائلاً:** "محمد بن جرير بن يزيد الطبري الإمام الجليل المفسر صاحب التصانيف الباهرة مات سنة عشر وثلاث مائة، ثقة صادق فيه تشيع يسير وموالاة لا تضر أقذع أحمد بن علي السليماني الحافظ فقال كان يضع للروافض كذا قال السليماني وهذا رجم بالظن الكاذب بل ابن جرير من كبار أئمة الإسلام المعتمدين وما ندعي عصمته من الخطأ ولا يحل لنا أن نؤذيه بالباطل والهوى فإن كلام العلماء بعضهم في بعض ينبغي أن يتأنى فيه ولاسيما في مثل إمام كبير مثل السليماني فلعل السليماني أراد (محمد بن جرير بن رستم أبو جعفر) ولو حلفت ان السليماني ما أراد إلا (محمد بن جرير بن رستم أبو جعفر) لبررت والسليماني حافظ متقن كان يدري ما يخرج من رأسه فلا اعتقد انه يطعن في مثل هذا الإمام بهذا الباطل والله أعلم (..) وقد اغتر شيخ شيوخنا أبو حيان بكلام السليماني فقال في الكلام على الصراط في اوائل تفسيره وقال أبو جعفر الطبري وهو امام من أئمة الأمامية (..) ونبهت عليه لئلا يغتر به فقد ترجمه أئمة النقل في آلاف[٤] وبعده فلم يصفوه بذلك وانما ضره الاشتراك في اسمه واسم أبيه ونسبه وكنيته ومعاصرته وكثرة تصانيفه"[٥]

وهذه شهادة الحافظ أحمد بن علي أبي بكر الخطيب البغدادي ت٤٦٣هـ يترجم للطبري ترجمة مطولة في تاريخه نختار منها:

" قال الشيخ أبو بكر استوطن الطبري بغداد واقام بها الى حين وفاته وكان أحد أئمة العلماء يحكم بقوله ويرجع الى رأيه لمعرفته وفضله وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل الآلاف وكان حافظا لكتاب الله عارفا بالقرآت بصيراً بالمعاني فقيها في أحكام القرآن عالما بالسنن وطرقها صحيحها وسقيمها وناسخها ومنسوخها عارفا بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الخالفين في الاحكام ومسائل الحلال والحرام عارفا بأيام الناس وأخبارهم وله الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك وكتاب في التفسير لم يصنف أحد مثله وكتاب سماه تهذيب الآثار لم أر سواه في معناه الا انه لم يتمه وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة واختيار من أقاويل الفقهاء وتفرد بمسائل حفظت عنه وسمعت على بن عبيد الله بن عبد الغفار اللغوي المعروف بالسماني يحكى ان محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة وبلغني عن أبي حامد احمد بن أبي طاهر الفقيه الإسفراييني انه قال لو سافر رجل الى الصين حتى يحصل له كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيرا أو كلاما هذا معناه أخبرنا القاضي أبو عبد الله محمد قال ثنا علي بن احمد بن الصناع عبيد الله بن احمد السمسار وأبي ان أبا جعفر الطبري قال لأصحابه أتنشطون لتفسير القرآن قالوا كم يكون قدره فقال ثلاثون ألف ورقة فقالوا هذا مما تفنى الأعمار قبل تمامه فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة ثم قال هل تنشطون لتاريخ العالم من آدم الى وقتنا هذا قالوا كم قدره فذكر نحواً مما ذكره في التفسير فأجابوه بمثل ذلك فقال إنا لله ماتت الهمم"[٦]

على نور ما سبق نستطيع أن نخلص بالنتائج التالية:

(أ) براءة الحافظ العلامة ابن جرير الطبري مما هو منسوب إليه من تهمة الرفض والتشيع ووضع أحاديث لمصلحة أهل البيت.

(ب) أن الحافظ السليماني اختلط عليه الأمر حيث ظن أن الشيعي أباجعفر محمد بن جرير بن رستم هو نفسه أبا جعفر بن جرير الطبري صاحب التاريخ والتفسير.

(ج) أما الرجل الآخر الذي يتفق اسمه وكنيته ولقبه مع ابن جرير السني يقول عنه الحافظ ابن حجر: " محمد بن جرير بن رستم أبو جعفر الطبري رافضي له تواليف منها كتاب الرواة عن أهل البيت رماه بالرفض عبد العزيز الكتاني انتهى وقد ذكره أبو الحسن بن بأبويه في تاريخ الري بعد ترجمة محمد بن جرير الإمام فقال هو الآملي قدم الري وكان من جلة المتكلمين على مذهب المعتزلة وله مصنفات روى عنه الشريف أبو محمد الحسن بن حمزة الرعيني وروى أيضا عن أبي عثمان المازني وجماعة وعنه أبو الفرج الأصبهاني في أول ترجمة ابن الأسود من كتابه وذكر شيخنا في الذيل بما تقدم أولا وكأنه سقط من نسخته أراد الآتي بعد لعل السليماني الى آخره وكأنه لم يعلم بان في الرافضة من شاركه في اسمه واسم أبيه ونسبه وإنما يفترقان في اسم الجد ولعل ما حكي عن محمد بن جرير الطبري من الاكتفاء في الوضوء بمسح الرجلين إنما هو هذا الرافضي فإنه مذهبهم"[٧٧]

**(د) الطبري من أئمة علماء أهل السنة بشهادة علماء الجرح والتعديل وصيارفة الإسلام في علم أحوال الرجال كالذهبي وابن حجر والبغدادي والطرابلسي وغيرهم.**

(هـ) أما أنه كان فيه تشيع يسير وموالاة لأهل البيت لا تضر.. لا يعني ذلك أن الرجل كان يميل إلى عقيدة الشيعة بالمعنى الانحرافي؛ فالطبري شأنه شأن بعض العلماء الذين يوالون علياً رضي الله عنه في خلافه مع معاوية رضي الله عنه فقط. وهذه النعوت كان يستخدمها بعض علماء أهل السنة كابن قتيبة فكان يقول عن الرجل أو الراوي أنه شيعي بمجرد الموالاة لعلي بن أبي طالب وآل بيته دون الحط من منزلة

الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ودون أن يستتبع ذلك غلو أو سب في عموم الصحابة فإذا تجاوز هذا الحد إلى درجة الغلو فهنا يتحول المصطلح من شيعي إلى رافضي وهم خارجون على منهج أهل السنة والجماعة. هذا هو المقصود من مصطلح شيعي قديماً أما بعد تطور هذا المصطلح عقب العصور المختلفة في تاريخ الإسلام فقد تغير مدلوله الآن وصار مصطلحاً يتناقض ومنهج أهل السنة ومن ثم فلا يتصور أن يستخدم هذا المصطلح في وقتنا الحاضر بغية نعت أحد علماء أهل السنة بحجة أنه يوالي علياً رضي الله عنه وآل البيت لأن كلمة شيعي الآن لها دلالة تختلف عن معناها الاصطلاحي قديماً.

ثالثاً: ما حقيقة اتهام الطبري أنه كان يروي عن بعض الرواة الضعفاء المتهمين لدى علماء الجرح والتعديل كأبي مخنف ومحمد بن السائب الكلبي وابنه هشام وغيرهم؟

مما لا شك فيه أن الطبري روى عن أبي مخنف وابن الكلبي؛ ولنا وقفة مع هؤلاء الإخباريين بعد أن نلقي الضوء على أهم المصادر التي استند عليها الطبري في تاريخه:

الأول: تاريخ الطبري يبدأ منذ بدء الخليقة حتى أحداث سنة ٣٠٢هـ.

الثاني: مصادر الطبري في تاريخ الرسل والأنبياء ابن إسحاق وكتب وهب بن منبه.

الثالث: في تاريخ العرب قبل الإسلام على مرويات عبيد بن شرية ومحمد بن كعب القرظي وهشام الكلبي وابن إسحاق أيضاً.

الرابع: وفي السيرة النبوية استند إلى مرويات أبان بن عثمان وعروة بن الزبير وموسى بن عقبة وعاصم بن عمر والزهري وابن إسحاق وشرحبيل بن سعد.

الخامس: مصادره عن حروب الردة عن مرويات سيف بن عمر والمدائني.

السادس: أما مصادره في معركتي الجمل ٣٦هـ، وصفين ٣٧هـ فعلى مرويات أبي مخنف ومحمد بن السائب وابنه هشام الكلبي وسيف بن عمر.

السابع: ومصادره عن الدولة الأموية من مرويات عوانة بن الحكم وأبي مخنف والواقدي وابن الكلبي وعمر بن شبة.

الثامن: مصادره عن العصر العباسي على مرويان أحمد بن أبي خيثمة وابن زهير والمدائني وعمر بن راشد والهيثم بن عدي والواقدي.

نلاحظ أنه لم يعتمد على مرويات أبي مخنف وابني الكلبي فقط بل إنه قد نوع مصادره كما هو واضح. لكن أخطر مصادره بحق هي مرويات أبي مخنف عن موقعتي الجمل وصفين لأن هناك تزويراً وتلفيقاً وسباً يخلص المرء بعد قراءته لهاتين الموقعتين أن الصحابة رضوان الله عليهم كانوا مجموعة من أصحاب الدنيا الذين يتقاتلون على ملك زائل يشتم بعضهم بعضاً ويسب بعضهم بعضاً وكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاشاه ذلك قد فشل في تربيتهم وتأديبهم وصحابة رسول الله براء من هذه المرويات الكاذبة التي رواها أبو مخنف وابنا الكلبي، ومن ثم لزام علينا أن نلقي الضوء على هؤلاء الإخباريين:

**أما أبو مخنف لوط بن يحيى ت١٥٧هـ:**

يقول عنه ابن حجر العسقلاني: "إخباري تالف لا يوثق به تركه أبو حاتم وغيره، وقال الدارقطني ضعيف. وقال يحيى بن معين ليس بثقة، وقال مرة ليس بشيء. وقال ابن عدي شيعي محترق. وقال أبو عبيد الآجري سألت أبا حاتم عنه فنض يده وقال: أحد يسأل عن هذا وذكره في الضعفاء"[٨]

**وقال فيه الحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ت٢٧٢هـ:** "قرئ على العباس بن محمد الدوري قال سمعت يحيى بن معين يقول: أبو مخنف ليس بثقة نا عبد الرحمن قال سمعت أبي يقول متروك"[٩]

**وقال الحافظ أبو أحمد عبد الله بن عدي ت٢٦٥هـ:** "معروف بكنيته واسمه حدث بأخبار من تقدم من السلف الصالحين ولا يبعد منه أن يتناولهم وهو شيعي محترق صاحب أخبارهم"[١٠]

## أما عن محمد بن السائب الكلبي ت١٤٦هـ:

يقول الذهبي: "العلامة الإخباري أبو النضر محمد بن السائب بن المفسر وكان أيضا رأسا في الأنساب إلا أنه شيعي متروك الحديث يروي عنه ولده هشام وطائفة"[١١]

وقال الذهبي أيضاً في ميزان الاعتدال عن محمد بن السائب الكلبي:

" وقال يزيد بن زريع وكان سبئيا قال أبو معاوية قال الأعمش اتق هذه السبئية فإني أدركت الناس وإنما يسمونهم الكذابين. وقال ابن حبان (عن ابن الكلبي) سبئيا من أولئك الذين يقولون إن عليا لم يمت وإنه راجع إلى الدنيا ويملؤها عدلا كما ملئت جوراً وإن رأوا سحابة قالوا أمير المؤمنين فيها. وقال الجوزجاني وغيره كذاب وقال الدارقطني وجماعة متروك. وقال ابن حبان مذهبه في الدين ووضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه"[١٢]

**وقال ابن حجر العسقلاني في تقريب التهذيب:** " محمد بن السائب أبو النضر الكوفي النسابة المفسر متهم بالكذب ورمي بالرفض"[١٣]

## أما هشام بن السائب الكلبي ت٢٠٤هـ:

**يقول عنه ابن حجر:** "هشام بن محمد بن أبو المنذر الإخباري النسابة العلامة روى عن أبيه أبي المفسر وعن مجالد وحدث عنه جماعة قال أحمد بن حنبل إنما كان صاحب سمر ونسب ما ظننت أن أحداً يحدث عنه وقال الدارقطني وغيره متروك وقال بن عساكر رافضي ليس بثقة"[١٤]

**وذكره الخطيب البغدادي بعد أن ساق بسنده قائلاً:** " حدثنا عبد الله بن احمد قال سمعت أبى يقول هشام بن محمد بن من يحدث عنه إنما هو صاحب نسب وسمر وما ظننت أن أحداً يحدث عنه بلغني أن هشام مات في سنة أربع ومائتين وقيل سنة ست ومائتين"[١٥]

**وقال ابن عدي في كتابه الكامل في ضعفاء الرجال:** " هشام بن محمد بن السائب ومحمد بن السائب والده صاحب التفسير سمعت ا بن حماد يقول حدثني عبد الله سمعت أبى يقول هشام من يحدث عنه إنما هو صاحب سمر ونسبة وما ظننت ان أحدا يحدث عنه وهذا كما قال احمد هشام الغالب عليه الاخبار والاسمار والنسبة ولا اعرف له شيئا من المسند"[١٦]

## صفوة القول

إن أبا مخنف إخباري رافضي تالف متهم بالكذب، شيعي محترق. أما محمد بن السائب الكلبي وابنه هشام فهما إخباريان متهمان بالرفض والتشيع وتلفيق المرويات التاريخية.

لكن يبقى السؤال قائماً: لماذا روى الطبري عن هؤلاء الإخباريين رغم تجريح العلماء لهم؟

نجد الإجابة على هذا التساؤل في مقدمة تاريخ الطبري إذ يوضح لنا منهجه بكل صراحة:

"فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ولا معنى في الحقيقة فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا وإنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا"[١٧]

هكذا يلقي الطبري تبعة الرواية على عهدة الراوي لأنه يعلم أنه بمجرد ذكر اسم الراوي الذي أخذ عنه الخبر أو الحديث فإنه يكون قد أدى الأمانة لأصحابها لأن الناظر علمه بحال الراوي وخاصة في حالة الرواة المجروحين فإنه لن يقبل هذه الرواية الواهية أو المكذوبة. وهذه كانت طريقة كثير من علماء السلف قديما الذين لم يكونوا يشترطون على أنفسهم الصحة في كل المرويات التي يكتبونها. وكنا نود أن يعلق الطبري على الأخبار والخرافات والأساطير والأكاذيب التي قيلت في حق الصحابة رضوان الله عليهم وخاصة في موقعتي الجمل وصفين تلك المرويات التي اعتمد عليها كل من أراد النيل من تاريخ الصحابة الأخيار رضوان الله عليهم حتى صار الأمر ببعض البسطاء باعتقادهم أن ما شجر بين الصحابة مسلم به لأنه مروي عن ابن جرير لأنه المصدر الأساسي لكل هذه الكتب التي تناولت الحقبة التاريخية الأولى التي رواها الإخباري الخبيث أبو مخنف وابنا الكلبي. هكذا بعد هذا التطواف نستطيع أن نؤكد أن الطبري إمام حافظ ثقة براء مما هو منسوب إليه رحمه الله

# حكم إمامة المرأة للرجال في الصلاة
# بحث شرعي موجز

د. هاني السباعي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد:

هذا بحث شرعي مبسط أقدمه لإخواننا طلبة العلم المبتدئين، ولكل من يهمه أمر المسلمين. نسأل الله أن يستخدمنا لنصرة دينه. وقد سرت في هذا البحث المتواضع على النحو التالي:

أولاً: تقدمة.

ثانياً: هل صلاة الجمعة واجبة في الأصل على المرأة؟

ثالثاً: أدلة القائلين بإمامة المرأة للرجال في الصلاة.

رابعاً: أدلة القائلين بعدم جواز إمامة المرأة للرجال في الصلاة.

خامساً: نتف من أقوال علماء المذاهب الإسلامية.

**صفوة القول.**

**تقدمة:**

أستهل كلامي بحكاية ذكرها العلامة الونشريسي المتوفى سنة ٩١٤هـ في كتابه الماتع والموسوعي (المعيار المعرب) في الفرق بين علم القضاء وفقه القضاء وعلم الفتيا وفقه الفتيا: "ومن هذا المعنى ما ذكره ابن الرقيق أن أمير إفريقية استفتى أسد بن الفرات في دخول الحمام مع جواريه دون ساتر له ولهن، فأفتاه بالجواز لأنهن ملكه،

فأجاب ابن محرز بمنع ذلك وقال له: إن جاز نظرهن كذلك، ونظرهن إليك كذلك، لم يجز نظر بعضهن بعضاً، فأغفل أسد النظر في هذه الصورة الجزئية فلم يعتبر حالتهن فيما بينهن، واعتبره ابن محرز"[١]

أقول: الشاهد من هذه القصة أن هناك فرقاً بين كون الشخص عالماً بالشيء، وبين كونه فقيهاً فيه، وهو الفرق نفسه بين العلم بالفتيا والفقه بالفتيا؛ فقد يكون الشخص عالماً بالأحكام الكلية للفتيا أو القضاء، لكنه ليس فقيهاً في الفتيا أو القضاء إذ أن الفقه في الفتيا أو القضاء هو العلم بالأحكام مع تنزيلها على النوازل وواقعات الدعوى وهو ما أراد أن يؤكد عليه الونشريسي إذ يقول: "إنما الغرابة في استعمال كليات الفقه وانطباقها على جزئيات الوقائع بين الناس، وهو عسير على كثير من الناس، فتجد الرجل يحفظ كثيراً من الفقه ويفهمه ويعلمه غيره، فإذا سئل عن واقعة لبعض العوام من مسائل الصلاة أو مسألة من الأعيان لا يحسن الجواب، بل ولا يفهم مراد السائل عنها إلا بعد عسر"[٢]

لعل ما ذكره الونشريسي ينطبق على حالة الذين أفتوا تلكم المرأة (أمينة ودود) الأمريكية بجواز إمامتها للصلاة بسبب تمسكهم بشبهة تصيدوها من أحكام وأقوال مبثوثة في كتب الفقه فأفتوا لهذه المرأة أو هي أفتت لنفسها ولمن يحركها من أعداء الإسلام فصارت عالمة حسب مقاييسهم! لكنهم عندما أنزلوا الحكم على الواقع (إمامة المرأة لصلاة الجمعة) ضلوا ولم يفهموا مراد الحديث النبوي ولم يأخذوا في الاعتبار مواضيع أخرى متصلة بالصلاة مثل قوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم)[٣]، وقوله تعالى (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن)[٤]، وقوله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: (« يَا عَلِيُّ لاَ تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ فَإِنَّ لَكَ الأُولَى وَلَيْسَتْ

---

١ الونشريسي: المعيار المعرب دار الغرب الإسلامي بيروت ج١٠ ص٧٨.

٢ الونشريسي: المعيار المعرب دار الغرب الإسلامي بيروت ج١٠ ص٧٨.

٣ سورة النور آية ٣٠.

٤ سورة النور آية ٣١.

لَكَ الآخِرَةُ"[٥] وحيث جرير بن عبد الله رضي الله عنه: "قَالَ سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ فَأَمَرَنِى أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِى"[٦] وأحاديث أخرى كان ينبغي لمن أفتى بجواز إمامة المرأة للرجال في الصلاة أن يضمها إلى سائر الأدلة لكي يكون عالماً بفقه الفتوى التي أشار إليها صاحب المعيار المعرب.

## ثانياً: هل صلاة الجمعة واجبة على المرأة:

قال ابن القيم في خصائص يوم الجمعة: "الخاصة الثالثة: صلاة الجمعة التي هي من آكد فروض الإسلام، ومن أعظم مجامع المسلمين، وهي أعظم من كل مجمع يجتمعون فيه وأفرضه سوى مجمع عرفة، ومن تركها تهاوناً بها، طبع الله على قلبه، وقُربُ أهل الجنة يوم القيامة، وسبقهم إلى الزيارة يوم المزيد قربهم من الإمام يوم الجمعة وتبكيرهم"[٧]

أقول: أما من أداها استخفافاً واستهزاءً بهذه الشعيرة العظيمة كما فعلت وتفعل هذه المرأة الأمريكية (أمينة ودود) ومثيلاتها ومن يؤيدها ومن يكثر سوادها ويذب عنها فإنهم جميعاً على شفا هلكة ونحسب أن آية براءة قد شملتهم (قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون. لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم)[٨]

## استدل القائلون بعدم وجوب الجمعة على المرأة:

بحديث قَيْسِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ عَنِ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: "الْجُمُعَةُ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ في جَمَاعَةٍ إِلاَّ أَرْبَعَةً عَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَوِ امْرَأَةٌ أَوْ صَبِىٌّ أَوْ مَرِيضٌ". قَالَ أبو دَاوُدَ طَارِقُ بْنُ شِهَابٍ قَدْ رَأَى النَّبِىَّ -صلى الله عليه وسلم- وَلَمْ يَسْمَعْ مِنْهُ شَيْئًا"[٩]

---

٥ سنن الترمذي : الحديث رقم ٣٠٠٤. قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث شريك. والحديث رواه أبو داود في سننه في كتاب النكاح برقم ٢١٥١. وفي مسند أحمد: مسند علي بن أبي طالب برقم ١٣٨٩. وفي سنن الدرامي كتاب الرقاق ٢٧٦٥. وفي سنن البيهقي كتاب النكاح برقم ١٣٨٩٨.

٦ صحيح مسلم الحديث رقم ٥٧٧٠.

٧ ابن القيم: زاد المعاد تحقيق حمدي بن محمد آل نوفل مكتبة الصفا القاهرة ط١ ١٤٢٣هـ ج١ ص١٤٦.

٨ سورة التوبة آية ٦٥ ، آية ٦٦.

٩ أبو داود: سنن أبي داود الدار المصرية اللبنانية القاهرة ج١ ص٢٨٠ الحديث رقم ١٠٦٧.

وكما هو معلوم فإرسال الصحابي حجة عند جمهور العلماء وقد استشهد الزيلعي بقول النووي في الخلاصة: "وهذا غير قادح في صحته، فإنه يكون مرسل صحابي، وهو حجة، والحديث على شرط الصحيحين"[١٠] وحكم الألباني عليه بالصحة في صحيح الجامع.[١١]

قال الصنعاني: "والمرأة وهو مجمع على عدم وجوبها عليها"[١٢]

وقال الشوكاني في تعليقه على الحديث المذكور:

"فيه عدم وجوب الجمعة على النساء، أما غير العجائز (يقصد الشابة) فلا خلاف في ذلك، وأما العجائز فقال الشافعي: يستحب لهن حضورها"[١٣]

وقال في بداية المبتدي: "ولا تجب الجمعة على مسافر، ولا امرأة، ولا مريض، ولا عبد، ولا أعمى"[١٤]

وقال ابن العربي في شروط صلاة الجمعة: "العقل، والذكورية، والبلوغ، والقدرة، والإقامة، والقرية"[١٥]

قال الخرقي: "ولا جمعة على مسافر ولا عبد ولا امرأة"[١٦]

قالب الغزالي فيمن تلزمه الجمعة: "ولا تلزم إلا على مكلف، حر، ذكر، مقيم، صحيح؛ فالعاري من هذه الصفات لا يلزم فإن حضر لم يتم العدد به سوى المريض"[١٧]

قال ابن قدامة: "وأما المرأة فلا خلاف في أنها لا جمعة عليها قال ابن المنذر أجمع كل من نحفظ عنه من أهل العلم أن لا جمعة على النساء ولأن المرأة ليست من أهل الحضور في مجامع الرجال ولذلك لا تجب عليها جماعة"[١٨]

---

١٠ الزيلعي: نصب الراية دار الحديث القاهرة ج٢ ص٢٤٠.

١١ الألباني: صحيح الجامع الصغير وزيادته المكتب الإسلامي بيروت ط٣ ١٤٠٨هـ ج١ ص٥٧٩ الحديث رقم ٣١١١.

١٢ الصنعاني: سبل السلام دار الفكر بيروت ج٢ ص٦٥٩.

١٣ الشوكاني: نيل الأوطار دار الوفاء المنصورة مصر ج٢ ص٥٣٨، ص٥٣٩.

١٤ الميرغناني: الهداية شرح بداية المبتدي دار الحديث القاهرة مطبوع مع نصب الراية ج٢ ص٢٣٩.

١٥ ابن العربي: أحكام القرآن دار الكتب العلمية بيروت ج٤ ص٢٤٦.

١٦ ابن قدامة: المغني دار الكتاب العربي بيروت مطبوع مع الشرح الكبير ج٢ ص١٩٣.

١٧ الغزالي: الوجيز في فقه الإمام الشافعي دار المعرفة بيروت ج١ ص٦٤.

١٨ ابن قدامة: المغني دار الكتاب العربي بيروت مطبوع مع الشرح الكبير ج٢ ص١٩٣.

وقال ابن حزم في مراتب الإجماع: "واتفقوا أن المرأة لا تؤم الرجال. وهم يعلمون أنها امرأة فإن فعلوا فصلاتهم فاسدة بإجماع"[١٩]

وفي فتاوى مشيخة الأزهر سئل الشيخ عطية صقر: " تذهب بعض النساء لصلاة الجمعة في المسجد ، فهل صلاتها واجبة عليها بحيث لو لم تصلها تعاقب عليها ؟

أجاب: "صلاة الجمعة غير واجبة على المرأة، وذلك للحديث الذي رواه أبو داود والحاكم، وصححه غير واحد " الجمعة حق واجب على كل مسلم في جماعة، إلا أربعة: عبد مملوك أو امرأة أو صبى أو مريض (ولحديث أم عطية الذي أخرجه ابن خزيمة: نهينا عن اتباع الجنائز، ولا جمعة علينا.) لكن مع ذلك لو صلت الجمعة صحت وأغنتها عن صلاة الظهر باتفاق الفقهاء، وهل يستحب لها صلاتها؟ قال الأحناف: الأفضل لها أن تصلى في بيتها ظهرا، لمنعها عن الجمعة، سواء أكانت عجوزًا أم غيرها، وقال المالكية: إن كانت عجوزًا لا أرب للرجال فيها جاز حضورها الجمعة، وإن كان فيها أرب كره حضورها، أما الشابة فإن خيف من حضورها الفتنة حرم عليها الحضور، وإلا كره. وقال الحنابلة: يباح لها الحضور لصلاة الجمعة إن كانت غير حسناء، فإن كانت حسناء كره. وقال الشافعية: يكره للمرأة حضور الجماعة إن كانت مشتهاة ولو في ثياب بالية، وكذا غير المشتهاة إن تزينت أو تطيبت. وكل ذلك إذا أذن لها وليها بالحضور، وإلا حرم عليها حضور الجماعة كما يحرم حضورها إذا خيفت الفتنة "[٢٠]

وفي فقه الإمامية: قال الحلي فيمن يجب عليه صلاة الجمعة: "ويراعى فيه شروط سبعة: التكليف، والذكورة والحرية، والحضر، والسلامة من العمى والمرض والعرج..."[٢١]

قال الطوسي في النهاية تحت عنوان باب الجمعة وأحكامها: "وتسقط عن تسعة نفر: الشيخ الكبير، والطفل الصغير، والمرأة..."[٢٢]

---

١٩ ابن حزم: مراتب الإجماع مطبوع مع كتاب محاسن الإسلام لمحمد بن عبد الرحمن البخاري دار الكتاب العربي بيروت ط٣ ص٢٧.

٢٠ موسوعة فتاوى دار الإفتاء المصر وفتاوى لجنة الإفتاء بالأزهر: الموضوع رقم ٦٢ فتوى الشيخ عطية صقر في مايو ١٩٧٩م.

٢١ الحلي: شرائع الإسلام مؤسسة الوفاء بيروت ط٣ ١٣٠٣هـ ص٧٣.

٢٢ الطوسي: النهاية في مجرد الفقه والفتاوى درا الكتاب العربي بيروت ط١ ١٣٩٠هـ ص١٠٣.

**ثالثاً: أدلة من يرى إمامة المرأة للرجال في الصلاة:**

استند القائلون بهذا الرأي بالأدلة التالية:

(١): الدليل الأول:

حديث أم ورقة الأنصارية رضي الله عنها:

"عَنْ أُمِّ وَرَقَةَ بِنْتِ نَوْفَلٍ أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- لَمَّا غَزَا بَدْرًا قَالَتْ قُلْتُ لَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ائْذَنْ لِى فِي الْغَزْوِ مَعَكَ أُمَرِّضُ مَرْضَاكُمْ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَنِى شَهَادَةً. قَالَ (قِرِّى فِى بَيْتِكِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْزُقُكِ الشَّهَادَةَ). قَالَ فَكَانَتْ تُسَمَّى الشَّهِيدَةَ. قَالَ وَكَانَتْ قَدْ قَرَأَتِ الْقُرْآنَ فَاسْتَأْذَنَتِ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- أَنْ تَتَّخِذَ فِى دَارِهَا مُؤَذِّنًا فَأَذِنَ لَهَا قَالَ وَكَانَتْ دَبَّرَتْ غُلاَمًا لَهَا وَجَارِيَةً فَقَامَا إِلَيْهَا بِاللَّيْلِ فَغَمَّاهَا بِقَطِيفَةٍ لَهَا حَتَّى مَاتَتْ وَذَهَبَا فَأَصْبَحَ عُمَرُ فَقَامَ فِى النَّاسِ فَقَالَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ مِنْ هَذَيْنِ عِلْمٌ أَوْ مَنْ رَآهُمَا فَلْيَجِئْ بِهِمَا فَأَمَرَ بِهِمَا فَصُلِبَا فَكَانَا أَوَّلَ مَصْلُوبٍ بِالْمَدِينَةِ"[٢٣]

أقول: الحديث حسن ورواه ابن خزيمة أيضاً بسند حسن. وفي رواية أخرى لأبي داود قال راوي الحديث: عبد الرحمن بن خلاد: "فَأَنَا رَأَيْتُ مُؤَذِّنَهَا شَيْخًا كَبِيرًا"[٢٤]

وفي سنن الدارقطني: "حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ جُمَيْعٍ عَنْ أُمِّهِ عَنْ أُمِّ وَرَقَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَذِنَ لَهَا أَنْ يُؤَذَّنَ لَهَا وَيُقَامَ وَتَؤُمَّ نِسَاءَهَا"[٢٥]

نلاحظ أن في هذه الرواية نصاً على (وتؤم نساءها) أي أنها فسرت لنا الرواية الأخرى التي في سنن أبي داود وغيره (وأمرها أن تؤم أهل دارها)[٢٦] إذن تعلقهم بإمامة

---

٢٣ أبو داود: سنن أبي داود ج١ ص١٥٨ الحديث رقم ٥٩١. الحديث رواه أحمد في مسنده في مسند أم ورقة بنت عبد الله برقم ٢٨٠٤٢.

٢٤ أبو داود: سنن أبي داود ج١ ص ١٥٩ الحديث رقم ٥٩٢.

٢٥ سنن الدراقطني رقم الحديث ١٠٤٩.

٢٦ الحديث في سنن أبي داود برقم ٥٩٢ ونصه: " عَنِ الْوَلِيدِ بْنِ جُمَيْعٍ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَلاَّدٍ عَنْ أُمِّ وَرَقَةَ بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ بِهَذَا الْحَدِيثِ وَالأَوَّلُ أَتَمُّ قَالَ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَزُورُهَا فِى بَيْتِهَا وَجَعَلَ لَهَا مُؤَذِّنًا يُؤَذِّنُ لَهَا وَأَمَرَهَا أَنْ تَؤُمَّ أَهْلَ دَارِهَا. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ فَأَنَا رَأَيْتُ مُؤَذِّنَهَا شَيْخًا كَبِيرًا".

هذا الشيخ الكبير الذي أذن لها بأنه صلى وراءها تعلق ضعيف! وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأمر لها بامرأة تؤذن لها وهي تردد كلمات شرعية محضة فهل يجيز لها أن تؤم الرجال وهي تجهر بقراءة القرآن؟!. فهذا الحديث لا تنهض به حجة من يقول بإمامة المرأة للرجال لما فيه من الاحتمال طبقاً للقاعدة الأصولية التي اعتمدها متأخرو فقهاء المذاهب الإسلامية (ما تطرق به الاحتمال بطل به الاستدلال).

أما من فسر حديث أم ورقة بجواز إمامتها للرجل في النفل والتراويح دون الفرائض فلا وجه لتخصيصه لما ورد في رواية أخرى (تؤمهم في الفريضة) كما في سنن البيهقي: " وَأَمَرَ أَنْ يُؤَذَّنَ لَهَا وَيُقَامَ وَتَؤُمَّ أَهْلَ دَارِهَا فِى الْفَرَائِضِ"[٢٧] وكما هو معلوم فالأذان لا يكون إلا للفرائض.

أقول: فهذا الحديث هو عمدة ما استند عليه من يقول بإمامة المرأة للنساء والرجال وسبب ذلك أنهم يقولون إن النبي صلى الله عليه وسلم عين لها رجلاً يؤذن لها وكانت تؤمه مع أهل دارها إذن يصح لها أن تؤم الرجال وتخطب الجمعة أيضاً كما ذكر من زينوا للمرأة الأمريكية التي تدعى (أمينة ودود) بجواز إمامتها للرجال في الصلاة وجواز أدائها خطبة الجمعة.

### مناقشة هذا الرأي:

نلاحظ أن الحديث لم يذكر لنا أن الرجل كان من أهلها أم لا؟ إذن فلعله من غير أهلها؟ أو أنه كان يؤذن لها ثم يذهب ليصلي مع الصحابة في المسجد لأنه كان يؤذن لإعلامها بأوقات الصلاة أو أنه كان شيخاً كبيراً مقعداً فكان يصلي وحده بعد أن تنتهي أو يصلي وراءها على رأي من قال إنه كان من أهلها، ولم يكن يحسن قراءة القرآن مثلها فكانت هي أولى بالإمامة لأنها اقرأ منه وهو من محارمها على قول من يرى صحة إمامة المرأة لأهل دارها. وهو استثناء لا يجوز التوسع فيه لأن الأصل أن الإمامة في الصلاة للرجال للأدلة التي سنذكرها فيما بعد.

---

٢٧ سنن البيهقي: رقم الحديث ٥٥٦٠.

## (٢): الدليل الثاني:

استنادهم إلى قول أبي ثور والمزني والطبري بجواز إمامة المرأة للرجال:

مناقشة هذا الرأي: لا يوجد كتاب مستقل لأبي ثور ولا للطبري مدون فيه هذا الرأي، بل إن القائلين بهذا الرأي اعتمدوا على قول أبي ثور والطبري من خلال ما ذكره ابن رشد وابن قدامة وبعض الفقهاء من باب الأمانة العلمية لبعض الآراء الشاذة المنسوبة إلى أبي ثور والطبري وغيره. هذا ما سنبينه من خلال نقل بعض أقوال الفقهاء:

قال ابن رشد: "المسألة الرابعة اختلفوا في إمامة المرأة فالجمهور على أنه لا يجوز أن تؤم الرجال واختلفوا في إمامتها النساء فأجاز ذلك الشافعي ومنع ذلك مالك وشذ أبو ثور والطبري فأجازا إمامتها على الإطلاق وإنما اتفق الجمهور على منعها أن تؤم الرجال لأنه لو كان جائزا لنقل ذلك عن الصدر الأول ولأنه أيضا لما كانت سنتهن في الصلاة التأخير عن الرجال علم أنه ليس يجوز لهن التقدم عليهم لقوله عليه الصلاة والسلام أخروهن حيث أخرهن الله ولذلك أجاز بعضهم إمامتها النساء إذ كن متساويات في المرتبة في الصلاة مع أنه أيضا نقل ذلك عن بعض الصدر الأول"[٢٨]

أقول: لم يجز الطبري إمامة المرأة للرجل في الصلاة على الإطلاق، بل إنه أجازها بشرط كما قال الصنعاني: "أن المرأة لا تؤم الرجل وهو مذهب الهادوية والحنفية والشافعية وغيرهم، وأجاز المزني وأبو ثور إمامة المرأة، وأجاز الطبري إمامتها في التراويح إذا لم يحضر من يحفظ القرآن"[٢٩]

## كلام صاحب المغني تعليقاً على الخرقي:

"مسألة قال (وإن صلى خلف مشرك أو امرأة أو خنثى مشكل أعاد الصلاة) وجملته أن الكافر لا تصح الصلاة خلفه بحال سواء علم بكفره بعد فراغه من الصلاة أو قبل ذلك وعلى من صلى وراءه الإعادة، وبهذا قال الشافعي وأصحاب الرأي، وقال أبو ثور والمزني لا إعادة على من صلى خلفه وهو لا يعلم لأنه ائتم بمن لا يعلم حاله فأشبه

---

٢٨ بداية المجتهد ج١/ص١٠٥

٢٩ سبل السلام ج٢/ص٢٩

ما لو ائتم بمحدث. ولنا إنه ائتم بمن ليس من أهل الصلاة فلم تصح صلاته كما لو ائتم بمجنون، وأما المحدث فيشترط ألا يعلم حدث نفسه والكافر يعلم حال نفسه وأما المرأة فلا يصح أن يأتم بها الرجل بحال في فرض ولا نافلة في قول عامة الفقهاء وقال أبو ثور لا إعادة على من صلى خلفها وهو قياس قول المزني"[٣٠]

أقول: إذا أمعنا النظر في كلام ابن قدامة نجد أن صورة المسألة تكون على النحو التالي:

رجل صلى خلف كافر ولم يعلم أنه كافر أو أنه كان يعلم قبل الصلاة.

فالشافعي وأصحاب الرأي وأصحاب المذاهب الإسلامية قاطبة ومعهم أبو ثور والمزني والطبري قالوا لا تصح الصلاة وراء الكافر إذا علم المأموم أنه كافر قبل الصلاة.

أما الخلاف هو شاذ إذا صلى المأموم خلف إمام كافر ثم تبين له بعد الصلاة أنه كافر فهل تصح صلاته وهل يعيد فعلى رأي أبي ثور والمزني والطبري لا إعادة عليه وحجتهم في ذلك أن المأموم صلى خلفه وهو لا يعلم أنه كافر لأنه ائتم بمن لا يعلم حاله فأشبه بحال ما لو ائتم بمحدث.

لذلك قالوا إن من صلى خلف امرأة وهو لا يعلم فإن صلاته صحيحة قياساً على من صلى وراء شخص محدث (أخرج ريحاً أو كان جنباً أو لم يكن متوضئاً في الأصل حسب رأي أبي ثور والمزني والطبري وهذا ما ذكره ابن قدامة في الفقرة السابقة: (وقال أبو ثور لا إعادة على من صلى خلفها وهو قياس قول المزني).

ولعل قائلاً يقول: ماذا يقصد ابن قدامة من هذه العبارة وهو قياس قول المزني؟

أقول: إن المزني قال بصحة الصلاة خلف المرأة أو الكافر للمأموم الذي لا يعلم أن الإمام امرأة أو أن الإمام كافر قياساً على رأيه القائل إن من صلى خلف المحدث وهو لا يعلم أنه محدث فإن صلاته صحيحة ولا إعادة عليه حتى لو علم بعد الصلاة. هكذا تبين لنا بجلاء أصل المسألة التي يتخذها تكأة القائلون بجواز إمامة المرأة للرجال

---

٣٠ ابن قدامة: المغني ج٢ص٣٣.

معتمدين على رأي شاذ لأبي ثور والمزني رغم أنهما لم يفتيا بصحة صلاة المأموم الذي يصلي وهو يعلم أن الإمام امرأة.. فلم يقولا ذلك ولم يذهبا إلى ما ذهب إليه القائلون بإمامة المرأة للرجال في الصلاة المفروضة والنافلة.

أما ابن جرير الطبري فإن هناك أقوالاً شاذة مبثوثة في بعض كتب الفقه منسوبة إليه كقوله بجواز إمامة المرأة للرجال في الصلاة وقوله بجواز توليتها للقضاء والإمامة الكبرى. ولعل بعض من يعتمد على قول الطبري يأخذه على طريقة (فويل للمصلين)!! فالطبري كما يقول الصنعاني: "وأجاز الطبري إمامتها في التراويح إذا لم يحضر من يحفظ القرآن وحجتهم حديث أم ورقة"[٣١] إذن الطبري يجيز إمامة المرأة للصلاة التراويح وليس الفريضة ويشترط ألا يوجد من يحفظ القرآن غيرها. ويستند إلى حديث أم ورقة الأنصارية والحديثة حجة عليهم لا لهم لأنها كانت تؤم أهل دارها ومحارمها على افتراض وجود الشيخ الكبير فإنه قد يكون من محارمها وتكون هذه حالة خاصة بأم ورقة ولم يأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لغيرها.

وعلى أية حال فبعد التحقيق والتمحيص في الكتب المطبوعة للطبري لم نجد لهذه الآراء ذكر في كتبه خاصة كتابه الشهير جامع البيان عن تأويل آي القرآن المسمى بتفسير الطبري الذي يتعرض فيه للعديد من المسائل الفقهية حيث يناقش ويفند ويرجح ما يراه فلم نعثر على القول المنسوب إليه في هذا الكتاب فعلى سبيل المثال عندما تعرض لتفسير آية سورة النساء (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا...الآية). يقول الطبري: يعني بقوله جل ثناؤه: (الرجال قوامون على النساء) الرجال أهل قيام على نسائهم في تأديبهن والأخذ على أيديهن، فيما يجب عليهن لله ولأنفسهن؛ (بما فضل الله بعضهم على بعض): يعني بما فضل الله به الرجال على أزواجهم من سوقهم إليهن مهورهن، وإنفاقهن عليهن أموالهن، وكفايتهن إياهن مؤنهن. وذلك تفضيل الله تبارك وتعالى إياهن عليهن، ولذلك صاروا قوّاماً، نافذي الأمر عليهن فيما جعل الله إليهم من أمورهن"[٣٢]

---

٣١ الصنعاني: سبل السلام ج٢ ص٥٨١.

٣٢ الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن دار الفكر بيروت مج٤ ص٧٤.

فهذا قول الطبري في مسألة القوامة فهل يناقض نفسه ويجيز للمرأة أن تتولى الولاية الصغرى (إمامة الصلاة للرجال) والولاية العامة كالقضاء ورياسة الدولة؟!!

أما من يجيز إمامة المرأة للرجال في صلاة التراويح وليس في الفريضة وهو قول بعض الحنابلة إذ يقول ابن قدامة: "وقال بعض أصحابنا يجوز أن تؤم الرجال في التراويح وتكون وراءهم لما روي عن أم ورقة بنت عبد الله أن رسول الله صلى الله جعل لها مؤذناً يؤذن لها وأمرها أن تؤم أهل دارها. رواه أبو داود وهذا عام في الرجال والنساء"[٣٣]

**وقد ذكر المرداوي الحنبلي هذه الصورة بقوله:**

" قال القاضي في المجرد ولا يجوز في غير التراويح: فعلى هذه الرواية قيل يصح إن كانت قارئة وهم أميون جزم به في المذهب والفائق وبن تميم والحاويين قال الزركشي وقدمه ناظم المفردات والرعاية الكبرى وقيل إن كانت أقرأ من الرجال وقيل إن كانت أقرأ وذا رحم وجزم به في المستوعب وقيل إن كانت ذا رحم أو عجوزاً، واختار القاضي يصح إن كانت عجوزاً. قال في الفروع واختار الأكثر صحة إمامتها في الجملة لخبر أم ورقة العام والخاص"[٣٤]

ويذكر صاحب الإنصاف كيف تؤم المرأة الرجال في صلاة التراويح: "فائدة حيث قلنا تصح إمامتها بهم فإنها تقف خلفهم لأنه أستر ويقتدون بها" وينقل صاحب الإنصاف عن أحد الحنابلة قوله: "وعنه تقتدي هي بهم في غير القراءة فينوي الإمامة أحدهم"[٣٥]

أقول: هذا الرأي في غاية العجب! يجيزون للمرأة أن تكون إماماً للرجال بشرطين:

(أ): الشرط الأول: أن تكون إماماً للرجال في صلاة التراويح وليس الفريضة.

(ب) الشرط الثاني: أن تكون عجوزاً وألا يوجد من الرجال من يحفظ القرآن.

---

٣٣ ابن قدامة: المغني ج٢ ص١٩٣.
٣٤ المرداوي: الإنصاف للمرداوي ج٢/ص٢٦٤.
٣٥ المرداوي: الإنصاف للمرداوي ج٢/ص٢٦٤.

(ب): الشرط الثالث: أن تصلي خلف صفوف الرجال أي أن الرجال وجوههم للقبلة بدون إمام وهي (الإمام) تقف خلفهم ويتبعونها في القراءة وفي الركوع والسجود!!

ولما وجد بعض الحنابلة أن الصورة في الشرط الثالث غير مقبولة لتعارضها مع حديث (إنما جعل الإمام ليؤتم به) قالوا بالصورة التي ذكرها المرداوي وهي أعجب: أن تصلي المرأة خلف الرجال تقرأ فقط والرجال يختارون إماماً منهم يقتدون به في الركوع والسجود بدون القراءة!!

وهذا ما يتمسك به من أفتى للمرأة الأمريكية وحرضها لاقتحام حرم الإمامة بزعم أن ابن قدامة ذكر أن بعض الحنابلة أجازوا ذلك!! وهذا تدليس على ابن قدامة فالصورة كما عرضناها أن ابن قدامة يستعرض رأي بعض الحنابلة على سبيل الاستنكار. وتصداقاً لذلك فإنه يرد على أصحاب هذا الرأي الغريب بقوله: "ولنا (يقصد المعتمد في المذهب الحنبلي) قول النبي صلى الله عليه وسلم (لا تؤمن امرأة رجلاً)، ولأنها لا تؤذن للرجال فلم يجز أن تؤمهم كالمجنون. وحديث أم ورقة إنما أذن لها أن تؤم نساء أهل دارها كذلك رواه الدارقطني. وهذه زيادة يجب قبولها ولو لم يذكر ذلك لتعين حمل الخبر عليه. لأنه أذن لها أن تؤم في الفرائض بدليل أنه جعل لها مؤذنا والأذان إنما يشرع في الفرائض ولا خلاف في أنها لا تؤمهم في الفرائض ولأن تخصيص ذلك بالتراويح واشتراط تأخرها تحكم يخالف الأصول بغير دليل فلا يجوز المصير إليه ولو قدر ثبوت ذلك لأم ورقة لكان خاصا لها بدليل أنه لا يشرع لغيرها من النساء أذان ولا إقامة فتختص بالإمامة لاختصاصها بالأذان والإقامة"[٣٦]

## رابعاً: أدلة القائلين بعدم جواز إمامة المرأة للرجال:

### الدليل الأول:

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- "خَيْرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أَوَّلُهَا وَشَرُّهَا آخِرُهَا وَخَيْرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا وَشَرُّهَا أَوَّلُهَا"[٣٧]

---

٣٦ ابن قدامة: المغني ج٢ ص٣٣.

٣٧ صحيح مسلم رقم الحديث ١٠١٣.

وفـي مسـند أحمـد: " أَحْسِـنُوا إِقَامَـةَ الصُّفُـوفِ فِـى الصَّـلاَةِ خَيْـرُ صُفُـوفِ الرِّجَـالِ فِـى الصَّـلاَةِ أَوَّلُهَـا وَشَـرُّهَا آخِرُهَـا وَخَيْـرُ صُفُـوفِ النِّسَـاءِ فِـى الصَّـلاَةِ آخِرُهَـا وَشَـرُّهَا أَوَّلُهَـا"[٣٨]

قـال النـووي: "أمـا صفـوف الرجـال فهـي علـى عمومهـا فخيرهـا أولهـا وشـرها أبـداً أمـا صفـوف النسـاء فالمـراد بالحديـث صفـوف النسـاء اللواتـي يصليـن مـع الرجـال، وأمـا إذا صليـن متميـزات لا مـع الرجـال فهـن كالرجـال خيـر صفوفهـن أولهـا وشـرها آخرهـا. والمـراد بشـر الصفـوف فـي الرجـال والنسـاء أقلهـا وثوابـاً وفضـلاً وأبعدهـا مـن مطلـوب الشـرع وخيرهـا بعكسـه، وإنمـا فضـل آخـر صفـوف النسـاء الحاضـرات مـع الرجـال بعدهـن مـن مخالطـة الرجـال ورؤيتهـن وتعلـق القلـب بهـم عنـد رؤيـة حركاتهـم وسـماع كلامهـم ونحـو ذلـك، وذم أول صفوفهـن لعكـس ذلـك والله أعلـم"[٣٩]

قـال الصنعانـي: "وقـد علـل خيريتـه آخـر صفوفهـن بأنهـن عنـد ذلـك يبعـدن عـن الرجـال وعـن رؤيتهـن وسـماع كلامهـم إلا أنهـا علـى لا تتـم إلا إذا كانـت صلاتهـن مـع الرجـال، وأمـا إذا صليـن وإمامتهـن امـرأة فصفوفهـا كصفـوف الرجـال أفضلهـا أولهـا"[٤٠]

أقـول: فمـا بالـك بامـرأة تصلـي بالرجـال وتختلـط النسـاء بالرجـال فـي صـف واحـد؛ حـذو الكتـف بالكتـف، ولـزق القـدم بالقـدم!! بـل وصـل الاسـتخفاف إلـى درجـة أن شـاهدنا عبـر المرئيـات بـأم أعيننـا: تقـام صـلاة الجمعـة فـي كنيسـة فـي أميـركا: الخطيـب امـرأة، والإمـام امـرأة، والمـؤذن امـرأة سـافرة حاسـرة، والمأمومـون خليـط مـن الرجـال والنسـاء!!

## الدليل الثاني:

"عَـنْ أَنَـسِ بْـنِ مَالِـكٍ أَنَّ جَدَّتَـهُ مُلَيْكَـةَ دَعَـتْ رَسُـولَ اللَّـهِ - صلـى الله عليـه وسـلم - لِطَعَـامٍ صَنَعَتْـهُ لَـهُ، فَـأَكَلَ مِنْـهُ ثُـمَّ قَـالَ «قُومُـوا فَلأُصَـلِّ لَكُـمْ». قَـالَ أَنَـسٌ فَقُمْـتُ إِلَـى حَصِيرٍ لَنَـا قَـدِ اسْـوَدَّ مِـنْ طُـولِ مَـا لُبِـسَ، فَنَضَحْتُـهُ بِمَـاءٍ، فَقَـامَ رَسُـولُ اللَّـهِ - صلـى الله عليـه وسـلم

---

٣٨ مسند أحمد: رقم الحديث ١٠٥٦١.

٣٩ النووي: صحيح مسلم بشرح النووي مكتبة أبي بكر الصديق القاهرة مج٢ ص١٤٢.

٤٠ الصنعاني: سبل السلام ج٢ ص٥٨٦.

- وَصَفَفْتُ وَالْيَتِيمَ وَرَاءَهُ، وَالْعَجُوزُ مِنْ وَرَائِنَا، فَصَلَّى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ انْصَرَفَ "[٤١]

قال الصنعاني: "وعلى أن المرأة لا تصف مع الرجال"[٤٢]

أقول: ومن باب أولى ألا تصلي إماماً بالرجال.

**الدليل الثالث:**

"لَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَنَّ أَهْلَ فَارِسَ قَدْ مَلَّكُوا عَلَيْهِمْ بِنْتَ كِسْرَى قَالَ « لَنْ يُفْلِحَ قَوْمٌ وَلَّوْا أَمْرَهُمُ امْرَأَةً"[٤٣]

قال الخطابي: "في الحديث أن المرأة لا تلي الإمارة ولا القضاء، وفيه أنه لا تزوج نفسها، ولا تلي العقد على غيرها"[٤٤]

قال الشوكاني: "لأنا نقول قد ورد ما يدل على أنهن لا يصلحن لتولي شيء من الأمور وهذا من جملة الأمور بل هو أعلاها وأشرفها فعموم قوله (لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) كما في الصحيحين وغيرهما يفيد منعهن من أن يكون لهن منصب الإمامة في الصلاة للرجال"[٤٥]

**الدليل الرابع:**

"عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ قَالَ خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - فِى أَضْحًى - أَوْ فِطْرٍ - إِلَى الْمُصَلَّى، فَمَرَّ عَلَى النِّسَاءِ فَقَالَ «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، فإني أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ». فَقُلْنَ وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الْحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ». قُلْنَ وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ «أَلَيْسَ شَهَادَةُ الْمَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ». قُلْنَ

٤١ صحيح البخاري رقم الحديث ٣٨٠.

٤٢ الصنعاني: سبل السلام ج٢ ص٥٨٨.

٤٣ صحيح البخاري: رقم الحديث ٤٤٢٥.

٤٤ ابن حجر: فتح الباري دار الفكر بيروت ج٨ ص٤٧٢.

٤٥ الشوكاني: السيل الجرار تحقيق محمود زايد دار الكتب العلمية بيروت ط١ ١٤٠٥هـ ج١/ص٢٥٠.

بَلَى. قَالَ «فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ». قُلْنَ بَلَى . قَالَ «فَذَلِكَ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا"[٤٦]

**قال النفرواي المالكي:**

"وأشار إلى بيان من يصلح للإمامة بقوله ويؤم الناس أفضلهم وأفقههم لخبر أئمتكم شفعاؤكم وخبر وليؤمكم أكبركم وقال عليه الصلاة والسلام إن سركم أن تقبل منكم صلاتكم فليؤمكم خياركم فإنه وفد بينكم وبين ربكم فلا يؤمكم إلا الذكور ولا يصح أن تؤم المرأة في فريضة ولا نافلة لا رجالا ولا نساء لخبر (لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة) وسواء عدمت الرجال أو وجدت لأن الإمامة خطة شريفة في الدين ومن شرائع المسلمين واعلم أن الإمامة لها شروط صحة وشروط كمال فشروط صحتها ثلاثة عشر أولها الذكورة المحققة فلا تصح إمامة المرأة"[٤٧]

**الدليل الخامس:**

قول الله سبحانه وتعالى (الرجال قوامون على النساء)[٤٨]

قال الشافعي في الأم:

"وإذا صلت المرأة برجال ونساء وصبيان ذكور فصلاة النساء مجزئة وصلاة الرجال والصبيان الذكور غير مجزئة لأن الله عز وجل جعل الرجال قوامين على النساء وقصرهن عن أن يكن أولياء وغير ذلك ولا يجوز أن تكون امرأة إمام رجل في صلاة بحال أبداً"[٤٩]

**وفي الدراري المضية:**

"وأما عدم صحة إمامة المرأة بالرجل فلأنها عورة وناقصة عقل ودين والرجال قوامون على النساء، ولن يفلح قوم لوا أمرهم امرأة كما ثبت في الصحيح، ومن ائتم بالمرأة فقد ولاها أمر صلاته"[٥٠]

---

٤٦ صحيح البخاري: رقم الحديث ٣٠٤.

٤٧ النفراوي: أحمد بن غنيم بن سالم: الفواكه الدواني دار الفكر بيروت ١٤٠٥هـ ج١/ص٢٠٥

٤٨ سورة النساء آية ٣٤.

٤٩ الشافعي: الأم دار المعرفة بيروت ط٢ ١٣٩٣هـ ج١ص١٦٤

٥٠ الشوكاني: الدراري المضية دار الجيل بيروت ج١ ١٤٠٧هـ ص١٣٤

**خامساً: نتف من بعض أقوال العلماء:**

قال في عين المعبود:

"قال الخطابي قلت فيه من الفقه جواز صلاة الجماعة في التطوع وفيه جواز صلاة المنفرد خلف الصف لأن المرأة قامت وحدها من ورائهما وفيه دليل أن إمامة المرأة للرجال غير جائزة لأنها لما زحمت عن مساواتهم من مقام الصف كانت من أن تتقدمهم أبعد وفيه دليل على وجوب ترتيب مواقف المأمومين وأن الأفضل يقدم على من دونه في الفضل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليليني منكم أولو الأحلام والنهي"[٥١]

قال الكاساني:

"ولا يجوز الاقتداء بالكافر ولا اقتداء الرجل بالمرأة لأن الكافر ليس من أهل الصلاة والمرأة ليست من أهل إمامة الرجال فكانت صلاتها عدما في حق الرجل فانعدم معنى الاقتداء وهو البناء ولا يجوز اقتداء الرجل بالخنثى المشكل لجواز أن يكون امرأة ويجوز اقتداء المرأة بالمرأة لاستواء حالهما إلا أن صلاتهن فرادى أفضل لأن جماعتهن منسوخة"[٥٢]

ويقول الكاساني في حكم من يصلي بجوار أو خلف امرأة في نفس صفه: "وإذا عرف أن المحاذاة مفسدة فنقول إذا قامت في الصف امرأة فسدت صلاة رجل عن يمينها، ورجل عن يسارها، ورجل خلفها بحذائها"[٥٣]

قال في التاج والإكليل:

قال المازوري: "لا تصح إمامة المرأة عندنا وليعد صلاته من صلى وراءها وإن خرج الوقت"[٥٤]

---

٥١ محمد شمس الحق آبادي: عون المعبود دار الكتب العلمية بيروت دار الكتب العلمية بيروت ج٢/ص٢٢٥

٥٢ الكاساني: بدائع الصنائع دار الكتاب العربي بيروت ج١ص١٤٠.

٥٣ الكاساني: بدائع الصنائع ج١ ص١٤٠.

٥٤ العبدري: محمد بن يوسف:التاج والإكليل دار الفكر بيروت ج٢ص٩٢

قال في التلقين:

" ولا تجوز إمامة الفاسق ولا المرأة ولا الصبي إلا في نافلة"[٥٥]

قال ابن حزم:

"وصلاة المرأة بالنساء جائزة؛ ولا يجوز أن تؤم الرجال"[٥٦]

وفي فتاوى مشيخة الأزهر: سئل الشيخ عطية صقر "هل يجوز للمرأة أن تكون إماما فى الصلاة؟ أجاب: معلوم أن صلاة الجماعة أفضل من صلاة المنفرد، والنصوص في ذلك كثيرة، وإذا كان الإسلام يفضل أن تصلى المرأة في بيتها بدل أن تصلى في المسجد من أجل ثواب الجماعة فإنه يمكنها أن تقيم صلاة الجماعة في بيتها، أوفي المدرسة التي تتعلم أو تعلم فيها، أو العمل الذي تمارسه مع الزميلات. فإذا كان في البيت زوجها أو ولدها أو أبوها أو أخوها مثلا كان هو الإمام والمرأة مأمومة، وكذلك فى المدرسة أو العمل يجوز أن يصلى بالنساء أحد المدرسين أو أحد الزملاء، سواء أكانت الصلاة فى مسجد أو مكان مُعَدّ لذلك. فإذا لم يوجد رجل أمكن للمرأة أن تكون إماما لبناتها أو نساء أخريات فى المنزل أو للزميلات فى المدرسة والعمل. وذلك على رأى جمهور الأئمة. والإمام مالك هو الذي يمنع أن تكون المرأة إماما مطلقا، لا للرجال ولا للنساء، فلا يجوز أن يقتدي بها الرجل حتى لو كان ابنها أو أباها أو أخاها، فإمامتها على رأى الجمهور جائزة للنساء فقط. روى أبو داود والحاكم وابن خزيمة وصححه أن النبي صلى الله عليه وسلم جعل لأم ورقة مؤذنا، وأباح لها أن تؤم أهل بيتها، أي النساء فقط "[٥٧]

وعن الحكمة في تأخير صفوف النساء يقول الشيخ عطية صقر: "والحكمة فى جعل النساء فى الصفوف الخلفية تظهر فى أمور، منها (١) أن المرأة ليست فى

---

٥٥ الثعلبي المالكي: عبد الوهاب بن علي: التلقين تحقيق محمد الغاني المكتبة التجارية مكة المكرمة ج ١ص ١١٦

٥٦ ابن حزم: المحلى تحقيق د. عبد الغغار البنداري دار الكتب العلمية بيروت ج٣ ص١٣٥.

٥٧ موسوعة فتاوى دار الإفتاء المصر وفتاوى لجنة الإفتاء بالأزهر: الموضوع رقم ٦٣ صدرت في مايو ١٩٩٧م..

مستوى الرجال وبخاصة أولوا الأحلام والنهى فيما يتميزون به مما سبق ذكره.(٢ ) أن تقدمها أمام الرجال فيه صورة إمامتها لهم ، وهى ممنوعة باتفاق الأئمة. (٣) أنها تشغل الرجال عن الخشوع فى الصلاة بمجرد وجودها أمامهم، وذلك أمر طبيعي وعند ركوعها وسجودها يكون الانشغال أشد، وهو ما يفسر به حديث قطع المرأة للصلاة إذا مرت أمام المصلى عند جمهور الفقهاء.(٤) ألا تختلط صفوف الرجال بالنساء إذا تخللن صفوفهم فيكون انصرافهن بعد انتهاء الصلاة أيسر، وكان من المأثور أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا ينصرف عقب الصلاة مباشرة بل ينتظر هو وأصحابه حتى ينصرف النساء أولا. هذا، وكان من المتبع في ترتيب الصفوف في الجماعة أن يكون الرجال في الصفوف الأولى ثم يليهم الصبيان ثم يليهم النساء، كما رواه أحمد. وتوسط الصبيان فيه شدة حيطة من انشغال الرجال بالنساء، فمن الجائز أن بعض من فى الصف الذي يليه صف النساء إذا ركع لمح بنظره بعض النساء، ولا شك أن الخشوع في الصلاة أساس قبولها كما قال تعالى(قد أفلح المؤمنون. الذين هم فى صلاتهم خاشعون)"[٥٨]

قال الطوسي في النهاية: "ولا تؤم المرأة بالرجال"[٥٩]

قال المرداوي: "قوله ولا تصح إمامة المرأة للرجل: هذا المذهب مطلقا؛ قال في المستوعب هذا الصحيح من المذهب ونصره المصنف واختاره أبو الخطاب وابن عبدوس في تذكرته وجزم به في الكافي والمحرر والوجيز والمنور والمنتخب وتجريد العناية والإفادات وقدمه في الفروع والرعايتين والحاويين والنظم ومجمع البحرين والشرح والفائق وإدراك الغاية وغيرهم وهو ظاهر كلام الخرقي"[٦٠]

قال ابن مفلح في المبدع:

"لا يصح أن يأتم رجل بامرأة في الصحيح من المذهب وهو قول عامتهم قال البيهقي وعليه الفقهاء السبعة والتابعون"[٦١]

---

٥٨ موسوعة فتاوى دار الإفتاء المصر وفتاوى لجنة الإفتاء بالأزهر: الموضوع رقم ٨٠ في مايو ١٩٩٧م.

٥٩ الطوسي: النهاية في مجرد الفقه والفتاوى ص١١٢.

٦٠ المرداوي: علي بن سليمان: الإنصاف تحقيق محمد حامد الفقي دار إحياء التراث بيروت ج٢/ص٢٦٤.

٦١ ابن مفلح: إبراهيم بن محمد: المبدع المكتب الإسلامي بيروت ج٢/ص٧٢.

قال الشاشي في حلية العلماء:

"ولا تصح إمامة المرأة للرجال. وحكي عن أبي ثور وابن جرير الطبري أنه يجوز إمامتها في صلاة التراويح إذا لم يكن هناك قارئ غيرها وتقف خلف الرجال"[٦٢]

قال في المحرر:

"ولا تصح إمامة المرأة، ولا الخنثى إلا بالنساء، ولا تصح إمامة كافر، ولا أخرس "[٦٣]

وفي دليل الطالب:

"ولا تصح إمامة المرأة بالرجال"[٦٤]

وفي عمدة الفقه:

"ولا تصح إمامة المرأة بالرجال ومن به سلس البول والأمي الذي لا يحسن الفاتحة أو يخل بحرف منها إلا بمثلهم"[٦٥]

وفي منار السبيل:

"ولا تصح إمامة المرأة بالرجل"[٦٦]

قال في السيل الجرار:

"أقول لم يثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في جواز إمامة المرأة بالرجل أو الرجال شيء ولا وقع في عصره ولا في عصر الصحابة والتابعين من ذلك شيء وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوفهن بعد صفوف الرجال وذلك لأنهن عورات وائتمام الرجل بالمرأة خلاف ما يفيده هذا ولا يقال الأصل الصحة لأنا نقول

---

٦٢ الشاشي القفال: محمد بن أحمد: حلية العلماء تحقيق د. ياسين أحمد درادكة مؤسسة الرسالة بيروت عمان ج٢/ص١٧٠

٦٣ ابن تيمية: عبد السلام ين عبد الله: المحرر في الفقه مكتبة المعارف الرياض ج١ص١٠٤

٦٤ مرعي بن يوسف الحنبلي: دليل الطالب المكتب السلامي بيروت ص٤٦

٦٥ ابن قدامة المقدسي: عمدة الفقه مكتبة الطرفين الطائف ج١/ص٢٣

٦٦ ابن ضوبان: إبراهيم بن محمد بن سالم: منار السبيل تحقيق عصام القلعجي مكتبة المعارف الرياض ج١/ ص١٢٥.

قد ورد ما يدل على أنهن لا يصلحن لتولي شيء من الأمور وهذا من جملة الأمور بل هو أعلاها وأشرفها فعموم قوله لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة كما في الصحيحين وغيرهما يفيد منعهن من أن يكون لهن منصب الإمامة في الصلاة للرجال"[٦٧]

## صفوة القول

بعد هذا التطواف حول آراء العلماء وبعد البحث والنظر والمناقشة أرجح الرأي القائل بعدم جواز إمامة المرأة للرجال في الفرض والنفل، وعدم صحة صلاة من يصلي وراءها.. كما أرى عدم جواز خطبة المرأة للجمعة وعدم صحة من يصلي وراءها ويجب عليهم إعادتها ظهراً. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مركز المقريزي للدراسات التاريخية

٩ صفر ١٤٢٦ هـ الموافق ١٩ مارس ٢٠٠٥

٦٧ الشوكاني: السيل الجرار- ج١ص٢٥٠

# ثورة الزنج
# العلمانيون ومدحهم لثورة الزنج وزعيمها

**دكتور هاني السباعي**

الطبعة الأولى ربيع الأول ١٤١٨هـ يوليو ١٩٩٧م

## العلمانيون وثورة الزنج

د. هاني السباعي

**تقدمة:**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد.

أقدم كتابي المتواضع للشبيبة ولمحبي العلم والتاريخ ولكل باحث جاد عن صاحب الزنج وثورته في القرن الثالث الهجري. مع التنبيه أن أصل هذه الكتاب مقالة نشرتها قديما عام١٤١٨هـ ١٩٩٧ بمجلة المنهاج التي كانت تصدر في لندن.

**وعلى أية حال أقول وبالله التوفيق:**

لقد كان للدكتور طه حسين (المتوفى عام ١٩٧٣)؛ السبق في إبراز أحداث النشاز في التاريخ الإسلامي؛ ففي سنة ١٩٤٦ نشر مقالة في مجلة (الكاتب المصري)[١] بعنوان (ثورتان)؛ حث فيها طه حسين الأدباء والمثقفين العرب على استلهام ثورة الزنج كما استلهم الأوروبيون ثورة (سبارتكوس)؛ بغية الوصول إلى العدالة المنشودة على حد زعمه ومن ثم فقد فتح طه حسين شهية العلمانيين؛ خاصة الماركسيين، والشيوعيين، ومن يسمون أنفسهم باليسار الإسلامي!، وأرباب المدرسة الاعتزالية للنيل من الإسلام بحجة البحث والإبداع وإيصال الماضي بالحاضر!

وفـي منتصـف الخمسـينيات نشـر المـؤرخ العراقـي والكاتـب الشـيوعي فيصـل السـامر المتوفـي عـام ١٩٨٣ ـ؛ كتابـه (ثـورة الزنـج).. وفـي سـنة ١٩٦١ نشـر اللبنانـي اليسـاري الدكتـور أحمـد علبـي كتابـه (ثـورة الزنـج وقائدهـا علـي بـن محمـد) .. ثـم ألـف الدكتـور محمـد عمـارة (معتزلـي حاليـاً وماركسـي سـابق) كتابـه (مسـلمون ثـوار)؛ حيـث كتـب فصـلاً مطـولاً عـن صاحـب الزنـج، وتعاطـف معـه وحسـن صورتـه، وبيـض فتنتـه! عكـس مـن سـبقه مـن الكتـاب!! فمثـلاً: الكاتـب أحمـد علبـي ذكـر أن لصاحـب الزنـج وثورتـه سـلبيات. أمـا الدكتـور عمـارة فلـم يثبـت هـذه السـلبيات أقصـد الجرائـم التـي ارتكبهـا صاحـب الزنـج فـي حـق الإسـلام. ثـم توالـت الكتابـات فقـد نشـر الشـاعر الفلسـطيني معيـن بسيسـو المتوفـي ١٩٨٤مسـرحيته الشـعرية (ثـورة الزنـج).. وكتـب نـور الديـن فـارس مسـرحيته الشـعرية (لتنهضـوا أيهـا العبيـد) .. ثـم عـاود أحمـد علبـي الكتابـة عـن صاحـب الزنـج فنشـر سـنة ١٩٨٥ كتابـه (ثـوار وعبيـد).. وفـي سـنة ١٩٩٥ صـدر كتـاب (شـخصيات غيـر قلقـة فـي الإسـلام) لهـادي العلـوي وخـصّ صاحـب الزنـج بفصـل كامـل وسـار علـى درب مـن سـبقه مـن يسـاريين وعلمانييـن!!

وبعـد.. فـكل هـذه المؤلفـات تدنـدن حـول التمجيـد والإشـادة بثـورة علـي بـن محمـد صاحـب الزنـج، والانتصـار لـه حيـث كان فـي نظرهـم كان ضحيـة لمؤامـرة تاريخيـة كبـرى!!

أمـا الكتـاب الإسـلاميون فـلا تـكاد تجـد كتابـة حديثـة عـن صاحـب الزنـج وفتنتـه تعالـج هـذه القضيـة مـن منظـور إسـلامي بحـت؛ لا مـن وجهـة نظـر ماركسـية أو علمانيـة أو قوميـة. وقـد يرجـع ذلـك إلـى أن كتـب التاريـخ الإسـلامي المعتمـدة قـد حسـمت هـذه القضيـة التاريخيـة بمـا فيـه الكفايـة؛ بـل إن علمـاء الإسـلام علـى اختـلاف مذاهبهـم ومشـاربهم قـد اتفقـوا علـى تضليـل وتفسـيق هـذه الفتنـة التـي يطلـق عليهـا العلمانيـون (ثـورة الزنـج)!! ولكـن لمـا دعـت الحاجـة إلـى دحـض شـبهات المبطليـن الطاعنيـن فـي الإسـلام وعقيدتـه تحـت سـتار الدفـاع عـن صاحـب الزنـج والتعاطـف معـه، قمنـا بكتابـة هـذه المقالـة مسـاهمة منـا فـي وضـع لبنـة لبنـاء جبهـة تأريخيـة تـرد علـى شـبه المرجفيـن، ودعـوة الغيوريـن علـى تاريـخ الإسـلام؛ أن يسـاهموا فـي الـذب عـن تاريـخ أمتنـا التليـد حتـى يسـتبين الحـق مـن الباطـل..

ويظهر الغث من السمين..

بعد هذه التقدمة أشرع في النقاط التالية:

الفصل الأول

أقوال بعض العلمانيين ومن على شاكلتهم في صاحب الزنج

الفصل الثاني

أقوال بعض علماء الإسلام في صاحب الزنج وفتنته:

نماذج من جرائم صاحب الزنج:

الاعتداء على قوافل الحجاج:

الفصل الثالث

نهاية صاحب الزنج ودولته

## صفوة القول

# الفصل الأول

## أقوال بعض العلمانيين

## ومن على شاكلتهم في صاحب الزنج

يقول أحمد علبي: "أما الدافع الذي حملنا على انتقاء ثورة الزنج بالذات؛ فهو أن هذه الثورة تلقي نوراً كاشفاً على طبيعة العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية خلال القرن الثالث الهجري في الدولة العباسية؛ بالإضافة إلى أنها حلقة لاهبة من الثورات التي اجتاحت بلدان الخلافة في كل قطر من أقطارها، بحيث إن دراستها بعث لتراثنا الثوري، واحياء فكري لنضال العبيد الزنج في سبيل الخبز والحرية"[٢]

ويتساءل علبي: "ولكن هل يعتقد القارئ أن الثورة انتهت إلى لا شئ؟ إن كل ثورة مهما أصابت من النجاح الضئيل أو الفشل الذريع، هي وقود لثورة قادمة ومعركة تحريرية تالية.. فالثورة المخفقة تنجح في تبيان أخطاء اخفاقها.. وتقود إلى ثورة أمضى.. وثورة الزنج كانت، على الأرجح، مهمازاً لثورة القرامطة وغيرها من الثورات التي شملت العالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري"[٣]

ويقول أدونيس: "يتضح مما تقدم أن ثورة الزنج هي من جهة؛ ثورة عبيد على أسياد، وأنها من جهة ثانية؛ وعد بحياة كريمة يملكون فيها ملك أسيادهم، وأنها من جهة ثالثة؛ ذات قيادة من طبيعة نبوية فهة لم يخرج لعرض من أعراض الدنيا كما أعلن وإنما خرج (غضباً لله)، ولما رأى عليه الناس من فساد في الدين... وقد استمرت حركة الزنج أربع عشرة سنة، بين سنة ٢٥٥هـ وسنة ٢٧٠هـ السنة التي قتل فيها علي بن محمد، وكانت في أساسها ثورة فقراء مسحوقين على أسياد طغاة ظالمين"[٤]

ويقول هادي العلوي: "مهما يكن فصاحب الزنج عربي لا زنجي وقيادته لحركة الزنج تندرج في ظاهرة ملحوظة في تاريخ الحركات الاجتماعية وهي أن المسحوقين غالباً ما يقود ثوراتهم وانتفاضاتهم ناس من خارجهم. ويرجع ذلك إلى عدم توافر الفرص لظهور القيادات بين المسحوقين وتوفرها للفئات والطبقات المالكة للثروة والمصدرة في

المجتمع والتي تنعم بإمكانات تأهيل وتوعية تساعد على تشكيل الكفاءات في مناحي الحياة المختلفة"[٥]

أما د. محمد عمارة فيقول: "عندما أكتب اليوم عن ثورة الزنج، وقائدها علي بن محمد (٢٧٠هـ/٨٨٣م) فإنني أحقق بذلك أمنية تمنيتها منذ ما يزيد على ربع قرن من الزمان. فلقد قرأت يومها صفحات كتبها المرحوم الدكتور طه حسين (١٨٨٩م ١٩٧٣م) عن هذه الثورة، قارن بينها وبين ثورة سبارتكوس Spartacus (٧٣ ٧١ ق.م) لتحرير العبيد من مظالم الدولة الرومانية واستعبادها وتمنى في بحثه ذاك أن تحظى ثورة الزنج بما حظيت به ثورة سبارتكوس، في حقل الأدب والفن عندما استلهمهما عدد من عمالقة هذا الميدان في حضارة الغرب، فقدموا لشعوبهم تراثهم القديم في الثوب الذي يعين هذه الشعوب على تحقيق المزيد من الحرية والتقدم لحاضرها الذي تعيشه ولمستقبلها المأمول. فمنذ ذلك اليوم تمنيت أن أكتب عن ثورة الزنج هذه. وكبرت الأمنية ونمت مع السنوات، وخاصة بعد أن أصبح التراث العربي الإسلامي، وصفحاته المشرقة بالثورة، وبأحلام العدل الاجتماعي، وبإعلاء سلطان العقل كي يطارد الخرافة، هي الميدان الذي وقع عليه أغلب الجهد الذي قدمته وأقدمه في التأليف والتحقيق"[٦]

ويقول د. عمارة في موضع آخر: "نعم انتهت ثورة الزنج وطافت الدولة العباسية برأس الثائر الشاعر العالم علي بن محمد في المدن والأمصار والآفاق، ولكن حلم الإنسان العربي المسلم بالعدل لم ينته بنهاية هذه الثورة"[٧]

أقول: مما لا شك فيه أن د. محمد عمارة له جهد واضح في الرد على العلمانيين وخاصة في مناظرته لفرج فودة في معرض الكتاب الذي عقد بالقاهرة عام ١٩٩٢ وكذلك كتابه في الرد على العلمانيين ودحض شبهاتهم، ومناظرته لنصر حامد أبي زيد التي عرضتها قناة الجزيرة الفضائية. وهذا كله جهد يعلمه المتتبع لكتابات د. عمارة ومقالاته في جريدة الشعب المعارضة بمصر.. لكن الحقيقة التي لم ينكرها د. عمارة أنه يسير في أفكاره على منظومة المعتزلة في تقديم العقل على النقل، واهدار سلطة النص القرآني والاستشهاد به وأحاديث الآحاد وحتى المتواترة على سبيل الاستئناس

الـذي يعضـد ويوافـق فكرتـه العقليـة.. فالدكتـور محمـد عمـارة رغـم أنـه ليـس علمانيـاً بالمعنى الاصطلاحي إلا أنـه ينطلق مـن نفـس منطلقـات العلمانيين في تقديـم العقـل على النقـل.. حيـث يعتبر الدكتـور عمـارة أن العصـر الذهبـي للحضـارة الإسـلامية كان فـي عصـر المأمـون والمعتصـم والواثـق: "ولقـد كان هـؤلاء الخلفـاء الثلاثـة مـن أنصـار التيـار العقلانـي فـي الفكـر الإسـلامي، إذ كانـوا علـى مذهـب المعتزلـة؛ أهـل العـدل والتوحيـد.. وفـي ظـل حكمهـم اسـتخدم التيـار العقلانـي جهـاز الدولـة فـي إشـاعة مفاهيمـه، وتدعيـم القسـمات التـي تميـزت بهـا حضارتنـا فـي عصرهـا الذهبـي"[٨]

هكـذا اختـزل عمـارة التاريـخ الإسـلامي فـي هـؤلاء الخلفـاء الثلاثـة ناسـياً مـن سـبقهم مـن خلافـة راشـدة وأمويـين أجـداد هـؤلاء الخلفـاء حتـى هـارون الرشـيد خـرج مـن العصـر الذهبـي طبقـاً لتحديـد الدكتـور عمـارة!! أمـا عصـر الانحطـاط والتخلـف فيأتـي مـن بعـد هـؤلاء الثلاثة!! فيتهـم د. عمـارة الخليفـة المتـوكل بالتخلـف والجمـود لأنـه نصـر أهـل السـنة وقضـى علـى فتنـة خلـق القـرآن: "وهكـذا تحولـت الإدارة التـي أرادهـا المعتصـم حصنـاً للحضـارة العقلانيـة، ضـد (العامـة)، تحولـت إلـى حصـن للفكـر المتخلـف، انطلقـت منـه (العامة) وفقهاؤهـا ليصيبوا ذلـك المـد الحضـاري العقلانـي، بالتوقـف، فالجمـود، فالتخلـف، فالتراجـع، وذلـك بمجـرد اسـتيلاء الخليفـة المتوكل (٢٣٢هـ ٢٤٧هـ) علـى السـلطة بعـد مـوت الخليفـة الواثـق! .. ولقـد رضيـت العامـة وفقهاؤهـا مـن النصوصيين، لقصـر نظرهـا، عـن هـذا الانقـلاب"[٩]

أقـول: هكـذا يصـب د. عمـارة فـي نفـس قنـاة العلمانييـن!! ففـي نظـره أن الخليفـة المتـوكل اسـتولى علـى السـلطة رغـم علمـه أن الحقيقـة غيـر ذلـك وأنـه بويـع بيعـة صحيحـة.. ولا نـدري لمـاذا سـكت عـن كيفيـة وصـول الخلفـاء الثلاثـة: المأمـون/ المعتصـم/الواثـق.. إلـى الحكـم!! ولمـاذا لـم يتكلـم عـن الملـك الوراثـي وهـل يوافـق علـى ذلـك؟! ألأنهـم انتصـروا لمذهـب المعتزلـة وسـلموا عقولهـم لابـن أبـي دوؤاد الـذي أثـار هـذه الفتـن.. يغـض الطـرف عنهـم؟!!

والعجيـب أن عمـارة يشـيد بالخليفـة المعتصـم فـي قضايـا الفكـر والحضـارة رغـم علمـه أن الخليفـة المتـوكل يعتبـر مـن الخلفـاء الأدبـاء فقـد كان يمتحـن الفقهـاء والشـعراء

ويناقشهم في مسائل شرعية ولغوية عويصة .. عكس الخليفة المعتصم الذي كان مشغولاً دائماً بالجهاد في سبيل الله ولم يكن يعبأ كثيراً بمذهب الإعتزال لولا وسوسة ابن أبي دوؤاد له!!

ولكن لماذا تحامل د. عمارة على الخليفة المتوكل وفقهاء الأمة في ذلك الزمان وهم الإمام أحمد بن حنبل وابن راهويه والبخاري ومسلم وأبو زرعة الرازي وأصحاب السنن وغيرهم من العلماء الذين نتشرف بذكر أسمائهم والانتساب لهم بل إن جل أحاديث الأحكام والعقيدة مأخوذة عنهم ومنهم.. لماذا تحامل عمارة على هؤلاء جميعاً؟! ألأنهم دافعوا عن منهج السلف الصالح وقدموا النص على العقل.. أم لأنهم دحضوا شبهات المعتزلة وأصولهم الخمسة: التوحيد/ العدل/ الوعد/ الوعيد / المنزلة بين المنزلتين/ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... أعتقد أن الأمر صار جلياً!!

## عود إلى ثورة الزنج:

## ثانياً: مؤامرة تاريخية كبرى على صاحب الزنج!!

لقد تحامل العلمانيون ومن على طريقتهم على علماء الإسلام وخاصة شيخ المؤرخين أبا جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠هـ .. لماذا؟ لأن ابن جرير عمدة الرواة وأهل الأخبار في سرد فتنة صاحب الزنج! العجيب أن الطبري في مواطن أخرى لدى هؤلاء اللادينيين: عالم مؤرخ ثقة لم يكن ممالئاً للسلطة!! أما إذا جاء بما لم يوافق هواهم فابن جرير بوق لمؤسسة اعلامية تابعة للسلطة!! فهو يتكلم باسمها.. هناك مؤامرة تاريخية من أصحاب المذهب التقليدي النصوصي!! وأصاب الطبري سهام التجريح والطعن والتفسير التآمري للتاريخ!! لأنه نطق بالحق!! مع العلم أن الطبري ولد سنة ٢٢٤هـ وتوفي سنة ٣١٠ وفتنة الزنج اندلعت سنة ٢٥٥ هـ واستمرت حتى قضي عليها بمقتل صحاب الفتنة سنة ٢٧٠هـ.. معنى ذلك أن الطبري عاصر هذه الحركة منذ بداية دعوتها بالتحديد سنة ٢٤٩هـ أي قبل اعلان الحركة عن نفسها وقبل تأسيس عاصمة الزنج (المختارة) مروراً بسنة ٢٥٥هـ حتى زوال فتنة الزنج سنة ٢٧٠هـ.. فابن جرير لقربه من مسرح الأحداث كان شاهد عيان، وكان يدونها بما يشبه عمل الصحف

اليوم لدرجة أنه أفرد لهذه الفتنة أكثر من مائتي صفحة في كتابه الضخم (تاريخ الأمم والملوك) إذن ابن جرير شاهد على عصره وناقل أمين لفتنة الزنج التي كادت أن تقوض دعائم أرض الخلافة التي صارت مرتعاً لكل طامع.. ورغم هذه الحقيقة عن الطبري إلا أنهم أبوا إلا الطعن فيه ليسهل الطعن في كل علماء التاريخ الذين أخذوا عن الطبري، ومن ثم يتحقق لهؤلاء المبطلين مآربهم للنيل من الإسلام ومنهجه!!

فهذا هادي العلوي يسير على منهج المستشرق الفرنسي ماسنيون ويردد نفس مقولته عن الطبري: "وكان الطبري مقاطعاً للسلطة على طريقة فقهاء القرن الأول وكان يتمتع بقسط من حرية الرأي الاجتهاد مع الاتجاه إلى مطالعة كتب الفلسفة في السر لكن معالجته لثورة الزنج بدت كما لو أنها من فعل مؤسسة اعلامية وجهت لدعم حرب العباسيين ضد قائدها الذي يرجع تلقيبه بالخبيث إلى الطبري نفسه"[١٠]

ويقول هادي العلوي في موضع آخر: "وقف المجتمع الإسلامي بأسره ضد صاحب الزنج فسحب منه هويته كما منحه لقب (الخبيث) الذي صار علماً عليه في مصادر التاريخ بدءاً من الطبري... ولم يدافع عن الثورة أحد من الفرق والشخصيات الثقافية أو الاجتماعية"[١١]

أما د. محمد عمارة فيقول متعجباً: "فالطبري يقدم أهم أخبارها، وأكثرها ينطلق في تأريخه لها من منطلق العداء، بل والعداء الشديد... فهو (الطبري) يطلق على قائدها: علي بن محمد، أوصافاً من مثل: (الخبيث)! و(اللعين)! و(الخائن)! و(الفاسق)! بل ويكتفي بصفة من هذه الصفات أو أكثر، عندما يريد الحديث عن صاحب الزنج، ولا يذكر اسمه إلا في القليل"[١٢]

ويستنكر أحمد علبي وصف الطبري لصاحب الزنج قائلاً: "ولهذا فإن مقتل صاحب الزنج بعد جهاد جهيد كان بمثابة (البشير) كما ورد لدى الطبري ت ٣١٠هـ الذي هو بمنزلة المؤرخ الرسمي لثورة الزنج: (جاء البشير بقتل الفاجر) إلى الموفق، ثم وفاه أحدهم يحمل كفاً يزعم أنها كف صاحب الزنج. ثم (أتاه غلام من أصحاب لؤلؤ يركض ومعه رأس الخبيث) وأمر الموفق برفع رأس الفاجر على قناة ونصبه بين يديه)..

ولا يدهشن قارئ بأمثال هذين النعتين لقائد ثورة الزنج: الفاجر، الخبيث.. فكل متمرد وإن كان الحق ملء برديه والعدالة سرباله وفيض يديه.. هو في نظر السلطة القائمة قمين بكل النعوت ابتداء من الخيانة حتى الفجور والإلحاد، لأن الإيمان يغدو هنا حكراً على السلطة أو أمير المؤمنين، أياً كانت سيرته"[١٣]

أقول: هكذا نخلص إلى استهجان العلمانيين وبعض الإعتزاليين ومن يسيرون على خطاهم وفي مقدمتهم المستشرق الفرنسي ماسنيون؛ من وصف الطبري لصاحب الزنج بالخبيث أو اللعين أو الفاسق.. فإنهم جميعاً يتميزون غيظاً وحنقاً لهذه النعوت التي يكررها ابن جرير لصاحب الزنج.. وكأنهم يريدون من الطبري أن ينعت صاحب الزنج بما ليس فيه!! كان لزاماً على الطبري أن ينعت من يسفك دماء الأبرياء وينتهك المحارم والحرمات ويستبيح بيضة الإسلام ويروع الآمنين ويقتل الأطفال.. كان لزاماً عليه حسب مزاجهم أن ينعت هذا السفاح السفاك الخارج عن الخليفة الشرعي ؛ بالبطل المغوار والثائر المجاهد، والمؤمن التقي!! لقد كان الطبري مهذباً في نعته لصاحب الزنج.. فهؤلاء اللادينيون ينعتون الشباب الذين يقومون بواجبهم الشرعي ضد السلطات القائمة بأقبح النعوت وبألفاظ ما أنزل الله بها من سلطان!! من أمثال: (بلطجية) .. (مجرمون) .. (ارهابيون) .. (متطرفون).. إلخ .. فهؤلاء العلمانيون يكيلون بمكيالين، بل لا يحترمون عقولهم ولا عقول غيرهم!!

## العلمانيون .. وابن الرومي:

لقد أغضب الشاعر أبو الحسن بن علي بن العباس بن جريج الشهير بابن الرومي ت٢٨٤هـ تيار اليسار الإسلامي وأصحاب العلمنة الغربية وغيرهم.. لماذا؟! لأن ابن الرومي رثا مدينة البصرة وبكاها في شعره بعدما خربها صاحب الزنج، وكانوا ينظرون إليه على أنه شاعر ساخط على الخلافة العباسية لأنه ليس عربياً خالصاً!! ولسيت هذه الدراسة لتقويم ابن الرومي أو الدفاع عنه، فابن الرومي له تصرفات شخصية لكن لا تصل إلى ما كان يتمناه العلمانيون .. فكما يصف لنا ابن رشيق القيرواني ت ٤٥٦هـ : "كان ابن الرومي كثير الطيرة؛ ربما أقام المدة الطويلة لا يتصرف تطيراً بسوء ما يراه

أو ما يسمعه، حتى إن بعض إخوانه من الأمراء افتقده فأعلم بحاله في الطيرة، فبعث إليه خادماً اسمه اقبال ليتفاءل به، فلما أخذ أهبته للركوب قال للخادم: انصرف إلى مولاك فأنت ناقص! ومنكوس: اسمك لا بقا.."[١٤]

لعل تشاؤم ابن الرومي وسخطه كان مفتاح شخصيته: لكن العلمانيين أساءهم صنيع ابن الرومي وهو يهجو صاحب الزنج لتسميه بلقب إمام:

وتسمَّى بغير حقٍ إماماً *** لا هدى اللهُ سعيَه من إمام

ولم يعجبهم وصف ابن الرومي دخول الزنج البصرة:

دخلوها كأنهم قطع الليـ *** ـل، إذا راح مُدلهمّ الظلام

ولم يعجبهم وصفه لأفاعيل وجرائم الزنج في أهل البصرة:

كم أب قد رأى عزيزَ بنيه ***وهو يعلو بصارم صمصام

كم رضيع هناك قد فطموه*** بشبا السيف قبل حين الفطام

ولم يعجبهم وصف ابن الرومي لأطلال البصرة وما حل بها من خراب:

وخلت من حلولها فهي قفرٌ *** لا ترى العين بين تلك الأكام

غير أيدٍ وأرجلٍ لأناس بائنات *** نبذت بينهنّ أفلاقُ هام

ووجوه قد رملتها دماء *** بأبي تلكم الوجوهُ الدوامي

وطئت بالهوان والذل قسراً *** بعد طول التبجيل والإعظام

فتراها تسفي الرياح عليها *** جاريات بهبوةٍ وقتام

خاشعاتٍ كأنها باكياتٌ *** باديات الثغور، لا ، لابتسام

ولم يعجبهم حض ابن الرومي فقهاء المسلمين على الجهاد:

كم خذلنا من ناسك ذي اجتهادٍ *** وفقيه في دينه علام

ولم يعجبهم أيضاً في نهاية القصيدة حث ابن الرومي المسلمين على الأخذ بالثأر وتحرير السبايا ووصفه لصاحب الزنج باللعين:

إن قعدتم عن اللعين فأنتم *** شركاءُ اللعين في الآثام

ويهاجم هادي العلوي ابن الرومي بقوله: "وتكشف قصيدة ابن الرومي عن نقطة التقاء قاطعة بين الطرفين وبين ابن الرومي مؤيد للعلويين، مناوئ للعباسيين ولم يكن يحب تلك الدولة التي عاش في ظلها ينظر بعين الحسد إلى الشرطة إنه لم يجد في عصيان الزنج ما يلأم جروحه، بل بالعكس فقد نكأها بما أيقظه في روحه من عرقية بيضاء يعززها نسب يوناني صريح ومن حس السيادة لدى مالك العبيد، وهكذا وجد نفسه في صف مجوعيه العباسيين يبكي على جمال البصرة الذي دنسه التنين الأسود"[١٥]

انظر إلى هذا التحليل! فقصيدة ابن الرومي حوالي ٨٣ بيتاً لم نجد فيها البكاء على الخبز والجوع!! بل على العكس فكلها حض على الجهاد ورثاء لما حلّ بحريم المسلمين وما ارتكبه الزنج من مجازر بحق الشيوخ والأطفال والنساء وما آلت إليه حال تلك المدينة التي كانت آمنة من قبل أن يخربها الزنج.. هكذا يفسر العلمانيون حوادث التاريخ من خلال منظور مادي بحت! وكأن ابن الرومي لم يكن مسلماً أباً عن جد!! فقد جردوا الرجل حتى من مشاعره وعقيدته الإسلامية التي حركته ليحض المسلمين وفقهائهم لنجدة السبايا والانتصار لدين الله.. بالطبع لم يكن الطعن موجهاً لابن الرومي فقط فكل الشعراء الذين عاصروا هذه الفتنة مثل ابن الرومي، ويحيى بن محمد الأسلمي، ويحيى بن خالد بن مروان وغيرهم قد أصابهم سهام التجريح بتهمة التآمر مع السلطة.. فنجد أحمد علبي يقول: " ولا ننتظر أن ينهض بين الشعراء المتكسبين المرتزقة من يقف في صف صاحب الزنج، ويعاضد ثورته، فالشعر العربي كان في معظمه وقفاً على فئة ارستقراطية حاكمة أو نافذة فعكس مأربها ونظم حياتها الزاهية وظل يدور في دائرة مترفة ولم يتعدّ عتبة القصور إلا لمما، وابن الرومي الذي رثا يحيى بن عمر العلوي أجمل رثاء هذا الشاعر نفسه نظر إلى ثورة الزنج وصاحب الزنج نظرة تقليدية فقال:

أيّ نومٍ من بعد ما انتهك *** الزنج جهراً محارم الإسلام"[١٦]

## الفصل الثاني

## أقوال بعض علماء الإسلام في صاحب الزنج وفتنته

١ـ أبو جعفر بن جرير الطبري: قال في أحداث ٢٥٥هـ :"وللنصف من شوال في هذه السنة ظهر في فرات البصرة رجل زعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وجمع إليه الزنج الذين كانوا يكسحون السباخ ثم عبر دجلة فنزل الديناري"[١٧]

ويقول الطبري مكذباً ادعاء صاحب الزنج بأنه علوي النسب فيصحح نسبه: "وكان اسمه فيما ذكر: علي بن محمد بن عبد الرحيم ونسبه عبد القيس وأمه قرّة بنت علي بن رجب بن محمد بن حكيم من بني أسد بن خزيمة من ساكني قرية من قرى الري يقال لها (ورزنين) بها مولده ومنشؤه"[١٨] .. "ثم إنه (صاحب الزنج) شخص فيما ذكر من سامراء سنة تسع وأربعين ومائتين إلى البحرين فادعى بها أنه علي بن محمد بن الفضل بن حسن بن عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب، ودعا الناس بـ (هجر) مدينة كانت تابعة للبحرين إلى طاعته واتبعه جماعة كثيرة من أهلها .. فانتقل إلى الأحساء وضوى إلى حي من بني تميم ثم من بني سعد يقال لهم بنو الشماس.. فكان بيهم مقامه.. وقد كان أهل البحرين أحلوه من أنفسهم محل النبي... وقاتلوا أسباب السلطان بسببه ووتر منهم جماعة كثيرة فتنكروا له، فتحول عنهم إلى البادية"[١٩]

وكان صاحب الزنج يتلون ويغير اسمه حسب القبيلة التي ينزل فيها.. يقول الطبري: "وذكر أنه عند مسيره إلى البادية أوهم أهلها أنه يحيى بن عمر أبا الحسين المقتول بناحية الكوفة، فانخدع بذلك قوم منهم، حتى اجتمع بها منهم جماعة كثيرة، فزحف بهم إلى موضع بالبحرين يقال له الردم، فكانت بينهم وقعة عظيمة، كانت الدائرة عليه وعلى أصحابه قتلوا فيها قتلاً ذريعاً.. فنفرت منه العرب وكرهته وتجنبت صحبته. فلما تفرقت عنه العرب ونبت به البادية شخص عنها إلى البصرة فنزل بها في بني ضبيعة فاتبعه بها جماعة منهم علي بن أبان المعروف بالمهلبي.. وكان قدومه البصرة سنة أربع وخمسين مائتين ومحمد بن رجاء الحضاري عامل السلطان بها، ووافق ذلك فتنة

أهل البصرة بالبلالية والسعدية فطمع في أحد الفريقين أن يميل إليه، فأمر أربعة نفر من أصحابه فخرجوا بمسجد عبّاد.. وهم الذين كانوا صاحبوه بالبحرين فدعوا إليه فلم يجبهم من أهل البلد أحد، وثاب إليهم جند السلطان فتفرقوا ولم يظفر بأحد منهم.. فخرج من البصرة هارباً ..فسار إلى مدينة السلام (بغداد) فأقام فيها حولاً وانتسب فيها إلى أحمد بن عيسى بن زيد، وكان يزعم أنه ظهر له أيام مقامه آيات وعرف ما في ضمائر أصحابه، وما يفعله كل واحد منهم؛ وأنه سأل ربه آية أن يعلم حقيقة أمره فرأى كتاباً يُكتب له وهو ينظر إليه على حائط، ولا يرى شيئاً"[٢٠]

ويسترسل الطبري في حديثه: "وذكر بعض تُبَّاعه أنه بمقامه بمدينة السلام استمال جماعة منهم جعفر بن محمد الصوحاني، ومحمد بن القاسم، وغلاما يحيى بن عبد الرحيم بن خاقان: (مشرقاً ورفيقاً) فسمى مشرقاً حمزة وكناه أبا أحمد وسمى رفيقاً جعفر وكناه أبا الفضل.. ثم لم يزل عامه بمدينة السلام حتى عُزل محمد بن رجاء عن البصرة، فخرج منها، فوثب رؤساء الفتنة من البلالية والسعدية ففتحوا المحابس، وأطلقوا من كان فيها؛ فتخلصوا فيمن تخلص.. فلما بلغه خلاص أهله شخص إلى البصرة فكان رجوعه إليها في شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين"[٢١]

أقول: نلاحظ أن صاحب الزنج كل هذه الفترة لم ينضم إليه أي زنجي، فعلى مدار سبع سنوات كان يدعو العرب فقط وكان كل قواده من الأعراب أو بالأحرى كان جل أتباعه من اللصوص وقطاع الطرق والهاربين من السجون والمطاريد!! ثم متى وكيف ضم إليه الزنج وهم جماعة من العبيد من السودان ومن بلاد الحبشة كانوا يشتغلون في استصلاح الأراضي الزراعية والبصرة وضواحيها؟!

ذكر ابن جرير أن أول من انضم إليه من العبيد غلام اسمه ريحان بن صالح: "وفي سنة ٢٥٥هـ اتخذ صاحب الزنج لواء مكتوباً عليه بحمرة وخضرة الآية ١١١ من سورة براءة (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله) وكتب اسمه واسم أبيه على هذا اللواء وعلقه في خشبة وأخذ يعد العبيد ويحرضهم على عصيان مواليهم بل أمر هؤلاء الغلمان بضرب مواليهم يقول الطبري في

ذلك: "فأمر غلمانهم فأحضروا شطبة (سعف أخضر من جريد النخل) ثم بطح كل قوم مواليهم ووكيلهم فضرب كل رجل منهم خمسمائة شطبة"[٢٢]

وهكذا انضم الزنج إلى دعوة هذا المتمرد الخبيث.. "فلما سار إلى القادسية والشيفيا (..) أمر غلمانه بانتهاك القريتين، فانتهب منهما مالاً عظيماً عيناً وورقاً وجوهراً وأواني ذهب وفضة وسبى منهما يومئذ أربعة عشر غلاماً ونسوة وذلك أول سَبي سُبي"[٢٣]

وفي أحداث ٢٥٧ هـ يقول الطبري: ذكر خبر دخول الزنج البصرة هذا العام وفيها دخل أصحاب الخبيث البصرة فلما كان في شوال من هذه السنة أجمع الخبيث على جمع أصحابه للهجوم على أهل البصرة والجد في خرابها، وذلك لعلمه بضعف أهلها وتفرقهم، واضرار الحصار بهم، وخراب ما حولها من القرى"[٢٤]

ادعاؤه أنه كان يوحى إليه: "فذكر عن محمد بن سهل أنه قال سمعته يقول اجتهدت في الدعاء على أهل البصرة وابتهلت إلى الله في تعجيل خرابها فخوطبت فقيل لي إنما البصرة خبزة لك تأكلها من جوانبها؛ فإذا انكسر الرغيف خربت البصرة"[٢٥]

## غدر صاحب الزنج بأهل البصرة:

"ولم يكن في وجهه أحد يدافعه، ولقيه إبراهيم بن يحيى المهلبي، فاستأمنه لأهل البصرة فأمنهم، ونادى مناد إبراهيم بن يحيى: من أراد الأمان فليحضر دار إبراهيم، فحضر أهل البصرة قاطبة حتى ملأوا الرحاب. فلما رأى اجتماعهم انتهز الفرصة في ذلك منهم، وأمر أصحابه بقتلهم، فقتل كل من شهد ذلك المشهد إلا الشاذ"[٢٦]

## الاعتداء على قوافل الحجاج:

يقول الطبري في أحداث ٢٦٦هـ: "وفيها وثب الأعراب على كسوة الكعبة، فانتهبوها، وصار بعضها إلى صاحب الزنج، وأصاب الحاج فيها شدة"[٢٧]

وفي أحداث ٢٦٩هـ: "قطع الأعراب على قافلة من الحجاج بين تور وسميراء، فاستلبوهم واستاقوا نحواً من خمسة آلاف بعير بأحمالها وأناساً كثيرين"[٢٨]

وفي أحداث ٢٦٧هـ: "دخل صاحب الزنج رامهرمز فاستباحها" .. وفي أحداث ٢٦٤هـ: "دخل الخبيث واسط واستباحها وخربها" .. وفي أحداث ٢٦٧هـ يقول الطبري: "وظفر أبو العباس برئيسهم ثابت بن أبي دلف، فمنّ عليه واستبقاه، وضمه إلى بعض قواده ... واستنقذ يومئذ من النساء اللواتي كنّ في أيدي الزنج خلق كثير، فأمر أبو العباس بإطلاقهن وردهنّ إلى أهلهنّ، وأخذ كل ما كان الزنج جمعوه"[٢٩]

وفي أحداث ٢٦٧هـ: "استنقذ أبو أحمد (الموفق) من نساء أهل واسط وصبيانهم ومما اتصل بذلك من القرى ونواحي الكوفة زهاء عشرة آلاف، فأمر أبو أحمد بحياطتهم وبالإنفاق عليهم، وحملوا إلى واسط ودُفعوا إلى أهليهم"[٣٠]

## اعذار وانذار من الموفق إلى صاحب الزنج:

ذكر ابن جرير في أحداث ٢٦٧هـ: "ولما نزل أبو أحمد نهر المبارك .. كان أول ما عمل به في أمر الخبيث أن كتب إليه كتاباً يدعوه فيه إلى التوبة والإنابة إلى الله تعالى مما ارتكب من سفك الدماء وانتهاك المحارم واخراب البلدان والأمصار، واستحلال الفروج والأموال، وانتحال ما لم يجعله الله له أهلاً من النبوة والرسالة، ويعلمه أن التوبة له مبسوطة، والأمان له موجود، فإن هو نزع عما هو عليه من الأمور التي يسخطها الله، ودخل في جماعة المسلمين، محا ذلك ما سلف من عظيم جرائمه، وكان له به الحظ الجزيل في دنياه.. وأنفذ ذلك مع رسوله إلى الخبيث، فألقاه الرسول إليهم، فأخذوه وأتوا به إلى الخبيث، فقرأه فلم يزده ما كان فيه من الوعظ إلا نفوراً واصراراً، ولم يجب عن الكتاب بشيء وأقام على اغترار، ورجع الرسول إلى أبي أحمد فأخبره بما فعل، وترك الخبيث الإجابة على الكتاب"[٣١]

أقول: قد يقول قائل إن صاحب الزنج خشي أن يغدر به الموفق... هذا التصور غير صحيح لأن صاحب الزنج يعلم جيداً أن الموفق شخصية دَيّنة هو أخو الخليفة كما أنه الآمر الناهي في أرض الخلافة ولم يثبت من سيرته أنه غدر بأحد من قبل بدليل أن كثيراً من قواد صاحب الزنج لما أرسل لهم دعوته للأمان والرجوع والإنابة رجعوا ولم يفتك بهم بل على العكس صاروا في مقدمة الصفوف يقاتلون صاحب الزنج وأتباعه الذين غدروا بأهل البصرة وواسط والأبلة وعبادان ورامهرمز كما علمنا آنفاً، ونستزيد من ذلك في الفقرات التالية.

## بيع الحرائر وكشف عوراتهن:

يقول الطبري في مرثية باكية تتفتت لها لأكباد في معرض حديثه عن أحداث ٢٦٧هـ حول خبر مقتل أحد قواد الخبيث ويدعى صندل: "وكان فيما ذكروا يكشف وجوه الحرائر المسلمات ورؤوسهن ويقلبهن تقليب الإماء، فإن امتنعت منهن امرأة ضرب وجهها ودفعها إلى بعض علوج الزنج ببيعها بأوكس الثمن"[٣٢]

وفي أحداث ٢٦٨هـ: "واستنقذوا جماعة من النساء اللواتي كان الخبيث استرقهن، ودخل غلمان الموفق سائر دور الخبيث ودور ابنه انكلاي، فأضرموها ناراً، وعظم سرور الناس بما هيأ الله لهم في هذا اليوم"[٣٣]

وفي أحداث ٢٦٩هـ: "واستنقذوا من النساء والأطفال ما لا يحصى عدده"[٣٤]

"وهرب الخبيث في ذلك اليوم ولم يوقف في ذلك على مواضع أمواله. واستنقذوا في هذا اليوم نسوة علويات كنّ محتسبات في موضع قريب من داره التي كان يسكنها، فأمر الموفق بحملهنّ إلى عسكره وأحسن إليهنّ، ووصلهنّ"[٣٥]

## معاملة الموفق نساء وأولاد صاحب الزنج:

ذكر ابن جرير أن جند الموفق: "أخذوا حرمه وولده الذكور والإناث وكانوا أكثر من مائة بين امرأة وصبي، وتخلص الفاسق ومضى هارباً نحو دار المهلبي، لا يلوي على أهل ولا مال، وأحرقت داره وما بقي فيها من متاع وأثاث وأتى الموفق بنساء الخبيث وأولاده فأمر بحملهم إلى الموفقية مدينة بناها الموفق أمام مدينة الخبيث والتوكيل بهم والإحسان إليهم"[٣٦]

أقول: هكذا كانت أخلاق أبي أحمد الموفق وابنه أبي العباس الذي صار خليفة فيما بعد.. وكان هذا دأب الموفق في خروجه ضد الأعداء.. ففي أحداث ٢٦٩هـ: "فأمر جماعة من غلمانه السودان وعرفهم بأن يقصدوا المواضع التي اعتادها الزنج وأن يستميلوهم ويستدعوا طاعتهم فمن أبى الدخول منهم في ذلك قتلوه وحملوا رأسه وجعل لهم جعلاً فحرصوا وواظبوا على الغدو والرواح فكانوا لا يخلون في يوم من الأيام من

جماعة يجلبونهم ورؤوس يأتون بها وأسرى يأسرونهم"[٣٧]

## حكم الموفق في أسرى الزنج ورحمته بهم:

أعتقد أن العلمانيين يحسنون القراءة لكنهم لا يحسنون الفهم (فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور) الحج/٤٦.

**فهذا أنموذج لما كان يتعامل به الموفق وابنه مع أسرى الزنج ومن يأتيهم مستأمناً:**

ففي أحداث ٢٦٩هـ ذكر الطبري: "ولما كثرت أسرى الزنج عند الموفق أمر باعتراضهم فمن كان منهم ذا قوة وجلد ونهوض بالسلاح منّ عليه وأحسن إليه وخالطه بغلمانه السودان وعرفهم مالهم عنده من البر والإحسان ومن كان منهم ضعيفاً لا حراك به أو شيخاً فانياً لا يطيق حمل السلاح أو مجروحاً قد أزمنته أمر أن يكسى ثوبين ويوصل بدراهم، ويزود ويحمل إلى عسكر الخبيث فيلقى هناك بعدما يؤمر بوصف ما عاين من إحسان الموفق إلى كل من يصير إليه وأن ذلك رأيه في جميع من يأتيه مستأمناً ويأسره منهم فتهيأ له من ذلك من استمالة أصحاب صاحب الزنج حتى استشعروا إلى ناحيته والدخول في سلمه وطاعته"[٣٨]

"وانطلق الموفق ومعه أبو العباس وسائر قواده وجميع جيشه قد غنموا أموال الفاسق واستنقذوا جمعاً من النساء اللواتي كان غلب عليهن من حرم المسلمين كثيراً"[٣٩]

أقول: هكذا كان الموفق قائد هذه الحروب.. فمن الذي يستحق أن يتغنى بأمجاده؟! الموفق هذا الرجل القوي الرحيم الشفوق صاحب الدين والمروءة أم ذاك الخبيث صاحب الزنج سفاك الدماء الغادر الخائن المخالف للعهود والوعود؟! لو أنصفوا لأشادوا بأبي أحمد الموفق ولصبوا اللعنات على صاحب الزنج السفاح الأفاك!! لكنهم لا يخجلون لمرض في قلوبهم!!

## الفصل الثالث

## نهاية صاحب الزنج ودولته

### يقول ابن جرير الطبري:

في سنة ٢٧٠هـ : "وانتهى الموفق إلى نهر أبي الخصيب، فوافاه البشير بقتل الفاجر، ولم يلبث أن وافاه بشير آخر ومعه كف زعم أنها كفه، فقوي الخبر عنده بعض القوة. ثم أتاه غلام من أصحاب لؤلؤ يركض على فرسه ومعه رأس الخبيث، فأدناه منه، فعرضه على جماعة ممن كان بحضرته من قواد المستأمنة، فعرفوه. فخر لله ساجداً على ما أولاه وأبلاه، وسجد أبو العباس وقواد موالي الموفق وغلمانه شكراً لله، فأكثروا حمد الله والثناء عليه، وأمر الموفق برفع رأس الفاجر على قناة ونصبه بين يديه، فتأمله الناس وعرفوا صحة الخبر بقتله فارتفعت أصواتهم بالحمد لله"[ ٤٠ ]

أقول: إنه منظر مهيب يحرك المشاعر ويلين القلوب قبل العيون .. أن ترى جيشاً بأسره ساجداً لله على ما أيدهم بنصره.. إنها صورة مهيبة بحق تهز كيان الإنسان وتزلزل مشاعره وأحاسيسه وهو يرى خليفة المسلمين وولي العهد وكبار القادة وسائر الجند وعوام المسلمين كبيرهم وصغيرهم يؤدون وظيفة العبودية لله وهم يمرغون وجوههم في التراب شكراً وحمداً لله رب العالمين قاصم الجبابرة.. الأمة كلها ساجدة لله رب العالمين؛ الذي أنقذهم وحررهم من هذا الورم الخبيث المسمى بصاحب الزنج الذي كاد أن يقضي على الأخضر واليابس.. وكادت شمس الخلافة أن تغيب!! إنه منظر يهيج القلوب المتعطشة إلى شفاء الصدور وذهاب الغيظ.. لقد كانت التسابيح والتهاليل تهز أركان الخلافة مغردة بالنصر المبين وشاكرة للرب العظيم.. لم نسمع طبلاً ولا زمراً ولم نر رقصاً ولا عربدة لانتصارات مزيفة ولأبطال من ورق!! بل ردت الأمة وقادتها الأمر كله لله وحده.. وهذه المعاني لا تلامس شغاف قلوب العلمانيين لذلك لا يفهمونها ولا يشعرون بها!!

ويلخص لنا الطبري تلكم الحقبة بقوله: "وكان خروج صاحب الزنج في يوم الأربعاء لأربع بقين من شهر رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين، وقتل يوم السبت لليلتين

خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين، فكانت أيامه منذ خروجه إلى اليوم الذي قتل فيه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيام، وكان دخوله الأهواز لثلاث عشرة ليلة بقيت من شوال سنة سبع وخمسين ومائتين"[٤١]

### يقول أبو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي في أحداث ٢٥٥هـ:

"وللنصف من شوال هذه السنة: ظهر في نواحي البصرة رجل زعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن علي بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وكان يقول أن جده لأمه خرج مع زيد بن علي على هشام بن عبد الملك وكان من أهل) ورزنين) وكان عبادًا يتكلم في علم النجوم فربما كتب العوذ فخرج في نفر من الزنج فأخذه محمد بن أبي عون فحبسه ثم أطلقه فخرج في قراب البصرة في مكان يقال له:) برنجل) وجمع الزنج الذين كانوا يكتسحون السباخ فاستغواهم ثم عبر دجلة ونزل (الديناري) وكان هذا الرجل متصلًا بقوم من أصحاب السلطان يمدحهم ويستميحهم بشعره ثم خرج من) سامراء) سنة تسع وأربعين ومائتين إلى البحرين وادعى أنه من ولد علي بن أبي طالب ودعا الناس إلى طاعته فتبعه جماعة وأباه جماعة فوقع بينهم قتال على ذلك فانتقل عنهم إلى الإحساء فضوى إلى حي من بني تميم وصحبه جماعة من أهل البحرين ثم كان ينتقل في البادية من حي إلى حي ولم يزل أمره يقوى إلى سنة سبعين"[٤٢]

### يوحى إلى صاحب الزنج بالاتجاه إلى البصرة!!:

" وكان يقول: أوتيت آيات من آيات القرآن إمامتي منها لقيت سورًا من القرآن لا أحفظها فجرى بها لساني في ساعة واحدة منها: سبحان والكهف وص وألقيت نفسي على فراشي فجعلت أفكر في الموضع الذي أقصد له وأقيم فيه إذ نبت بي البادية فأظلتني سحابة فبرقت ورعدت وقيل لي: أقصد للبصرة فمضى إليها فقدمها في سنة أربع وخمسين. ونزل في بني ضبيعة فاتبعه جماعة منهم علي بن أبان المهلبي ووافق ذلك فتنة البصرة بالبلالية والسعدية فرجى أن يتبعه منهم أحد فلم يتبعه فهرب وطلبه محمد بن رجاء عامل السلطان بها فلم يقدر عليه فأتى بغداد فأقام بها فاستمال

جماعة فلما عزل محمد بن رجاء عن البصرة وثب رؤوس الفتنة من البلالية والسعدية ففتحوا الحبوس وأطلقوا من كان فيها فبلغه ذلك فخرج إلى البصرة في رمضان سنة خمس وخمسين وأخذ حريرة وكتب عليها: (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) .. وكتب اسمه واسم أبيه وعلقها على رأس مردي وخرج في السحر من ليلة السبت لليلتين بقيتا من شهر رمضان"[٤٣]

## يأمر الغلمان بضرب مواليهم:

" فلقيه غلمان فأمر بأخذهم وكانوا خمسين غلامًا ثم صار إلى مكان آخر فأخذ منه خمس مائة غلامٍ ثم صار إلى الموضع آخر فأخذ منه مائة وخمسين غلاما وجمع من الغلمان خلقًا كثيرًا وقام فيهم خطيبًا فمناهم ووعدهم أن يقودهم ويرأسهم ويملكهم ولا يدع من الإحسان شيئًا إلا فعله لهم ثم دعا قد أردت ضرب أعناقكم لما كنتم تأتون إلى هؤلاء الغلمان الذين استضعفتموهم وقهرتموهم وحملتموهم ما لا يطيقون فكلمني أصحابي فيكم فرأيت إطلاقكم فقالوا: إن هؤلاء الغلمان أباق فهم يتهربون منك فخذ منا مالًا وأطلقهم لنا . فأمر بهم فبطح كل قوم مولاهم وضرب كل واحد منهم خمسين سوطًا أحلفهم بطلاق نسائهم أن لا يعلموا أحدًا بموضعه وأطلقهم"[٤٤]

## صاحب الزنج يحرض العبيد:

"ثم خرج حتى عبر دجيلًا واجتمع إليه السودان فلما حضر العيد ركز المردي الذي عليه لواؤه وصلى بهم وخطب للعيد وذكر ما كانوا فيه من الشقاء وأن الله سبحانه استنقذهم من ذلك وأنه يريد أن يرفع أقدارهم ويملكهم العبيد والأموال والمنازل ويبلغ بهم أعلى الأمر ثم حلف لهم على ذلك وكانوا جمعًا كبيرًا وليس لهم إلا ثلاثة أسياف وأهدي له فرس فلم يجد له سرجًا ولا لجامًا فركبه بحبل وسنفه بليف. وما زال ينتقل من مكان إلى مكان ويأخذ ما يقدر عليه وينتهب السلاح وغيره حتى صار له قوة وخاف الموالي منه أن يردهم إلى مواليهم فحلف لهم يوثق من نفسه وقال: ليحط بي منكم جماعة فإن أحسوا مني غدرًا فليقتلوني . وأعلمهم أنه لم يخرج لعرض الدنيا بل غضبًا لله عز وجل ولما رأى من فساد الدين"[٤٥]

## أول سبي لصاحب الزنج:

"ومر على قرية فخالفوه فانتهب منها مالًا عظيمًا وجوهرًا كثيرًا وغلمانًا ونسوة وذلك أول سبي سباه وما زال يعيث وينتهب فجاءه رجل من أهل البصرة فسأله عن البلالية والسعدية فقال: إنما جئت إليك برسالتهم يسألونك شروطًا فإن أعطيتهم إياها سمعوا لك وأطاعوا . فأعطاهم ما سألوا (..) إلى أن اجتمع عليه خلق كثير من أهل البصرة فقال: اللهم إن هذه ساعة النصرة فأعني فزعموا أنه رأى طيورًا بيضاء فأظلتهم. وكان سبب هزيمة أعدائه وقتلهم فقوي عدو الله ودخل رعبه في قلوب أهل البصرة وكتبوا إلى السلطان يخبرونه خبره فوجه جعلان التركي ونزل الخبيث سبخة وأمر أصحابه باتخاذ الأكواخ وبثهم في القرى يغيرون"[٤٦]

وفي أحداث سنة ٢٧٠ هـ يقول ابن الجوزي: "فمن الحوادث فيها: وقعة كانت بين أبي أحمد وصاحب الزنج في المحرم أضعفت أركان صاحب الزنج واسمه (بهبوذ) وفي صفر قتل وشرح القصة: أن أبا أحمد ألح على حربه ورغب الناس في جهاد العدو وصار معه جماعة من المطوعة ورتب الناس وأمرهم أن يزحف جميعهم مرة واحدة وعبر يوم الاثنين لثلاث بقين من المحرم سنة سبعين فنصر ومنح أكتاف القوم فولوا منهزمين واتبعهم الناس يقتلون ويأسرون فقتل ما لا يحصى وخربت مدينة الخبيث بأسرها واستنقذوا ما كان فيها من الأسارى من الرجال والنساء والصبيان وهرب الخبيث وخواصه إلى موضع قد كان وطأه لنفسه ملجأ إذا غلب على مدينته فتبعه الناس فانهزم أصحابه وغدا أبو أحمد يوم السبت لليلتين خلتا من صفر فسار إلى الفاسق وكان قد عاد إلى المدينة بعد انصراف الناس فلقي الناس قواد الفسق فأسروهم وجاء البشير بقتل الفاسق ثم جاء رجل معه رأس الفاسق فسجد الناس شكرًا لله تعالى وأمر أحمد فرفع على قناة فارتفعت أصوات الناس بحمد الله تعالى وشكره وأمر أبو أحمد أن يكتب إلى أمصار المسلمين بالنداء في أهل البصرة والأبلة وكور دجلة والأهواز وكورها وأهل واسط وما حولها مما دخله الزنج بقتل الفاسق وأن يؤمروا بالرجوع إلى أوطانهم. وولي البصرة والأبلة وكور دجلة رجلًا من قواده ومواليه وولى قضاء هذه الأماكن محمد بن

حماد وقدم ابنه العباس إلى بغداد ومعه رأس الخبيث ليراه الناس فيسروا فوافى بغداد يوم السبت لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الأولى في هذه السنة والرأس بين يديه على قناة فأكثر الناس التكبير والشكر لله تعالى والمدح لابن الموفق وأبيه ودخل أحمد بن الموفق بغداد برأس الخبيث وركب في جيش لم ير مثله من سوق الثلاثاء إلى المخرم وباب الطاق وسوق يحيى حتى هبط إلى الجزيرة ثم انحدر في دجلة إلى قصر الخلافة في جمادى هذه السنة وضربت القباب وزينت الحيطان"[٤٧]

### ٣ قول العلامة ابن الأثير:

ذكر الحافظ عز الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري في أحداث ٢٥٧هـ وفيه أحرق الزنج مدينة البصرة وغدروا بأهلها:

"فلما كان في شوال أزمعا الخبيث على جمع أصحابه لدخول البصرة والجد في اخرابها لضعف أهلها وتفرقهم وخراب ما حولهم من القرى ثم أمر محمد ن يزيد الدارمي وهو أحد من صحبه بالبحرين أن يخرج إلى الأعراب ليجمعهم فأتاه منهم خلق كثير فأناخوا) بالقندل) ووجه إليهم العلوي سليمان بن موسى الشعراني وأمرهم بتطرق البصرة والإيقاع بها ليتمرن الأعراب على ذلك ثم أنهض علي بن أبان وضم إليه طائفة من الأعراب وأمره بإتيان البصرة من ناحية بني سعيد وأمر يحيى بن محمد البحراني بإتيانها مما يلي نهر عدي وضم إليه سائر الأعراب.

فكان أول من واقع أهل البصرة علي بن أبان و(بفراج) يومئذ بالبصرة في جماعة من الجند فأقام يقاتلهم يومين ومال الناس نحوه"[٤٨]

### الغدر بأهل البصرة:

"وأقبل يحيى بن محمد فيمن معه نحو الجسر فدخل علي بن أبان وقت صلاة الجمعة لثلاث عشرة بقيت من شوال فأقام يقتل ويحرق يوم الجمعة وليلة السبت وغادى يحيى البصرة يوم الأحد فتلقاه (بفراج) و(برية) في جمع فردوه فرجع يومه ذلك. ثم غاداهم اليوم الآخر فدخل وقد تفرق الجند وهرب برية وانحاز بفراج ومن معه

ولقيه إبراهيم بن يحيى المهلبي فاستأمنه لأهل البصرة فأمنهم فنادى منادي إبراهيم: من أراد الأمان فليحضر دار إبراهيم فحضر أهل البصرة قاطبة حتى ملأوا الرحاب فلما رأى اجتماعهم انتهز الفرصة لئلا يتفرقوا فغدر بهم وأمر أصحابه بقتلهم فكان السيف يعمل فيهم وأصواتهم مرتفعة بالشهادة فقتل ذلك الجمع كله ولم يسلم إلا النادر منهم ثم انصرف يومه ذلك إلى الحربية. ودخل علي بن أبان الجامع فأحرقه وأحرقت البصرة في عدة مواضع منها المربد وزهران وغيرهما واتسع الحريق من الجبل إلى الجبل وعظم الخطب وعمها القتل والنهب والإحراق وقتلوا كل من رأوا بها فمن كان من أهل اليسار أخذوا ماله وقتلوه ومن كان فقيرًا قتلوه لوقته وبقوا كذلك عدة أيام"[٤٩]

أقول: هكذا كانت أمجاد صاحب الزنج؛ الغدر واحراق المساجد وقتل الأغنياء والفقراء.. فأين مبادئ ثورة الخبز ونصرة الفقراء كما يزعمون؟!!

وفي أحداث سنة ٢٥٦هـ يقول ابن الأثير: "ثم رحل إلى المدينة التي سماها صاحب الزنج المنيعة من سوق الخميس يوم الثلاثاء لثمان خلون من ربيع الآخر من هذه السنة وسلك بالسفن في نهر مساور، وسارت الخيل بإزائه شرقي نهر مساور حتى جاوزوا براطق الذي يوصل إلى المنيعة وأمر بتعبير الخيل وتصييرها من الجانبين وأمر ابنه العباس بالتقدم بالشذا بعامة الجيش ففعل فلقيه الزنج فحاربوه حربًا شديدة ووافاهم أبو أحمد الموفق والخيل من جانبي النهر فلما رأوا ذلك انهزموا وتفرقوا وعلا أصحاب أبي العباس السور ووضعوا السيوف فيمن لقيهم ودخلوا المدينة فقتلوا فيها خلقًا كثير أن وأسروا عالمًا عظيماً وغنموا ما كان فيها وهرب الشعراني ومن معه وتبعه أصحاب الموفق إلى البطائح فغرق منهم خلق كثير ولجأ الباقون إلى الآجام.

ورجع أبو أحمد إلى معسكره من يومه وقد استنقذ من المسلمات زهاء خمسة آلاف امرأة سوى من ظفر به من الزنجيات وأمر أبو أحمد بحفظ النساء وحملهم إلى واسط ليدفعن إلى أهلهن ثم بكر إلى المدينة فأمر الناس بأخذ ما فيها فأخذ جميعه وأمر بهدم سورها وطم خندقها وإحراق ما بقي بها من السفن وأخذوا من الطعام والشعير والأرز وغير ذلك ما لا حد عليه، فأمر ببيع ذلك وصرفه إلى الجند"[٥٠]

**يقول عنه الذهبي في أحداث سنة ٢٧٠ هـ في كتابه العبر في اخبار من غبر:**

"سنة سبعين ومائتين فيها التقى المسلمون والخبيث فاستظهروا ثم وقعة أخرى قتل فيها. وعجل الله بروحه إلى النار واسمه علي بن محمد العبقسي المدعي أنه علوي ولقد طال قتال المسلمين معه واجتمع مع الموفق نحو ثلاثمائة ألف مقاتل أجناد ومطوعة وفي آخر الأمر التجأ الخبيث إلى جبل ثم تراجع هو وأصحابه إلى مدينهم فحاربهم المسلمون. فانهزم الخبيث وتبعهم أصحاب الموفق يأسرون ويقتلون ثم استقبل هو وفرسانه وجملوا على الناس فأزالوهم فحمل عليه الموفق والتحم القتال وإذا بفارس قد أقبل ورأس الخبيث في يده فلم يصدقه فعرفه جماعة من الناس فحينئذ ترجل الموفق وابنه المعتضد والأمراء فخروا لله سجدًا وكبروا وسار الموفق فدخل بالرأس بغداد وعملت القباب وكان يوما مشهودًا وأمن الناس وشرعوا يتراجعون إلى الأمصار التي أخذها الخبيث وكانت أيامه خمس عشرة سنة. قال الصولي: قتل من المسلمين ألف ألف وخمسمائة ألف. قال: وقتل في يوم واحد بالبصرة ثلاثمائة ألف وكان يصعد على المنبر فيسب عثمان وعليًا وعائشة ومعاوية. وهو اعتقادً الأزارقة وكان ينادي في عسكره على العلوية بدرهمين وثلاثة وكان عند الواحد من الزنج العشرة من العلويات يفترشهن وكان الخبيث خارجيًا يقول: لا =حكم إلا لله. (على طريقة الخوارج طبعاً).. وقيل: كان زنديقًا يتستر بمذهب الخوارج وهو أشبه فان الموفق كتب إليه وهو يحاربه في سنة سبع وستين يدعوه إلى التوبة والإنابة إلى الله مما فعل من سفك الدماء وسبي الحريم وانتحال النبوة والوحي فما زاده الكتاب إلا تجبرًا وطغيانًا"[٥١]

وذكر الملك المؤيد إسماعيل بن أبي الفداء في تاريخه في أحداث سنة ٢٧٠ هـ :" في هذه السنة قتل صاحب الزنج لعنه الله بعد قتل وغَرقِ غالب أصحابه وقُطع رأسه وطيف به على رمح وكثر ضجيج الناس بالتحميد ورجع الموقف إلى موضعه والرأس بين يديه وأتاه من الزنج عالم كثير يطلبون الأمان فأمنهم ثم بعث برأس الخبيث إلى بغداد وكان خروج صاحب الزنج يوم الأربعاء لأربع بقين من رمضان سنة خمس وخمسين ومائتين وقتل يوم السبت لليلتين خلتا من صفر سنة سبعين ومائتين فكانت أيامه أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وستة أيام"[٥٢]

### أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي:

يقول في نجومه الزاهرة في أحداث ٢٥٥هـ: "فيا كان ابتداء خروج الزنج، وخرج قائدهم بالبصرة، فلما خرج انتسب إلى زيد بن علي (..) بن الحسين بن علي بن أبي طالب؛ وهذا نسب غير صحيح، وانضم إليه معظم أهل البصرة وعظم أمره وفعل بالمسلمين الأفاعيل"[٥٣]

أما في أحداث ٢٧٠ هـ يقول ابن تغري بردي: "وفيها توفي علي بن محمد صاحب الزنج وكانت مدة اقامته أربع عشرة سنة وأربعة أشهر وعشرة أيام. ولقي الناس منه في هذه المدة شدائد؛ قال الصولي: قتل من المسلمين ألف ألف وخمسمائة ألف ما بين شيخ وشاب وذكر وأنثى، وقتل في يوم واحد بالبصرة ثلاثمائة ألف. وكان له منبر في مدينته يصعد عليه ويسب فيه عثمان وعلياً ومعاوية وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم. وهذا رأي الخوارج الأزارقة لعنة الله عليهم واستراح المسلمون بموته كثيراً ولله الحمد والمنة"[٥٤]

### الحافظ جلال الدين السيوطي:

ذكر السيوطي في ترجمة الخليفة العباسي المعتمد على الله أبي العباس: "وفي أيامه دخلت الزنج البصرة وأعمالها وأخربوها، وبذلوا السيف وأحرقوا وخربوا وسبوا، وجرى بينهم وبين عسكره عدة وقعات، وأمير عسكره في أكثرها الموفق أخوه (..) واستمر القتال مع الزنج من سنة ستة وخمسين إلى سنة سبعين، فقتل فيها رأس الزنج لعنه الله واسمه بهبوذ، وكان ادعى أنه أرسل إلى الخلق فرد الرسالة وأنه مطلع على المغيبات (..) وكان ينادي على المرأة العلوية بدرهمين وثلاثة، وكان عند واحد من الزنج عشرة من العلويات يطؤهن ويستخدمهن"[٥٥]

### الفقيه المؤرخ أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي:

قال في أحداث ٢٥٥هـ: "فيها فتنة الزنج وخروج العلوي القائد الزنج بالبصرة فعسكر ودعا إلى نفسه وزعم أنه علي بن محمد (..) بن الشهيد زيد بن الحسين بن علي. ولم يثبت نسبه فبادر إلى دعوة عبيد أهل البصرة والسودان، ومن ثم قيل الزنج،

والتف إليه كل صاحب فتنة حتى استفحل أمره واستباح البصرة وغيرها وفعل الأفاعيل وامتدت أيامه إلى أن قتل إلى غير رحمة الله في سنة سبعين"[٥٦]

وفي أحداث ٢٥٩هـ يقول ابن العماد: "كان طاغية الزنج قد نزل بالبطيحة وشق حوله الأنهار وتحصن فهجم عليه الموفق فقتل من أصحابه خلقاً وحرق أكواخه واستنقذ منه النساء خلقاً كثيراً فصار الخبيث إلى الأهواز ووضع السيف في الأمة فقتل خمسين ألفاً، وسبى مثلهم"[٥٧]

وفي أحداث ٢٧٠هـ: "وكان يصعد المنبر فيسب عثمان وعلياً ومعاوية وعائشة وهو اعتقاد الأزارقة، وكان ينادي في عسكره على العلوية (أي القرشية) بدرهمين أو ثلاثة وكان عند واحد من الزنج العشرة من العلويات يفترشهن، وكان الخبيث خارجياً يقول لا حكم إلا لله! وقيل كان زنديقاً يتستر بمذهب الخوارج وهو أشبه، فإن الموفق كتب إليه وهو يحاربه في سنة سبعة وستين يدعوه إلى التوبة والإنابة إلى الله مما فعل من سفك الدماء وسبي الحريم وانتحال النبوة والوحي فما زاده إلا تكبراً وطغياناً"[٥٨]

**الحافظ ابن كثير:**

يقول في أحداث ٢٥٥هـ: "خارجي آخر ادعى أنه من أهل البيت بالبصرة (..) زعم أنه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولم يكن صادقاً وإنما كان عسيفاً يعني أجيراً من عبد القيس واسمه علي بن محمد بن عبد الرحيم"[٥٩]

في أحداث ٢٧٠هـ: "انتهت أيام صاحب الزنج المدعي الكذاب قبحه الله"[٦٠]

في أحداث ٢٥٧هـ: "كانت الزنج تحيط بجماعة من أهل البصرة وكان يقول بعضهم لبعض (كيلوا) وهي إشارة القتل فيحملون عليهم بالسيوف فلا يسمع إلى قول أشهد ألا إله إلا الله، من أولئك المقتولين وضجيجهم عند القتل أي صراخ الزنج وضحكهم فإنا لله وإنا إليه راجعون. هكذا كانوا يفعلون في كل محال البصرة أيام نحسات، وهرب الناس منه كل مهرب، وحرقوا الكلأ من جبل إلى جبل، فكانت النار

تحرق ما وجدت من شئ من انسان أو بهيمة أو آثار أو غير ذلك، وأحرقوا المسجد الجماع. وقتل هؤلاء جماعة كثيرة من الأعيان والأتباع والفضلاء والمحدثين والعلماء. فإنا لله وإنا إليه راجعون"[٦١]

أقول: هذه هي ثورة الزنج التي يدافع عنها العلمانيون ومن على شاكلتهم!! ثورة الخبز والفقر وتحرير العبيد!! إنها ثورة اللصوص وسفاكي الدماء.. إنهم يضحكون وهم يسمعون صراخ وعويل الضعفاء والشيوخ وهم يصرخون بكلمة التوحيد .. أي قلوب هذه؟! وأي ثورة هذه التي يدافع عنها العلمانيون ويتمسحون بالدين الإسلامي؟!

**المؤرخ أبو الحسن علي بن الحسن بن علي المسعودي:**

يقول في مروجه في أحداث ٢٥٥هـ: "وكان خروج صاحب الزنج بالبصرة في خلافة المهتدي (..) وكان يزعم أنه علي بن محمد (..) بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وأكثر الناس يقول: إنه دعي لأبي طالب ينكرونه وكان من أهل قرية من أعمال الري يقال لها ورزنين، وظهر من فعله ما دلّ على تصديق ما رمي به من أنه كان يرى رأي الأزارقة من الخوارج؛ بأن أفعاله في قتل النساء والأطفال وغيرهم من الشيخ الفاني وغيرهم ممن لا يستحق القتل يشهد بذلك عليه، وله خطبة يقول في أولها: الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله ، والله أكبر ألا لا حكم إلا لله.. وكان يرى الذنوب كلها شركاً"[٦٢]

**الناس يأكلون القطط والكلاب ويأكلون بعضهم:**

يقول المسعودي: "ولما ركن من بقي من البصرة إلى هذا الفعل من المهلبي (أحد قواد صاحب الزنج بها) اجتمعوا في بعض الجمع، فوضع فيهم السيف، فمن ناج سالم، ومن مقتول، ومن غريق، واختفى كثير من الناس في الدور والآبار، فكانوا يظهرون بالليل فيأكلون الكلاب ويذبحونها ويأكلونها والفئران والسنانير، فأفنوها حتى لم يقدروا منهم على شئ، فكانوا إذا مات منهم الواحد أكلوه ويراعي بعضهم موت بعض، ومن قدر منهم على صاحبه قتله وأكله، وعدموا مع ذلك الماء العذب"[٦٣]

ويصف لنا المسعودي هول ما لاقاه الناس من فتنة الزنج وذكر عن امرأة أنها "أحضرت امرأة تنازع ومعها أختها، وقد أحتوشوها ينتظرون أن تموت فيأكلون لحمها. قالت المرأة: فما ماتت حتى ابتدرناها فقطعنا لحمها وأكلناها، ولقد حضرت أختها وقد جاءت على النهر ونحن على مشرعة عيسى بن أبي حرب وهي تبكي ومعها رأس أختها فقيل لها: ويحك مالك تبكين؟ قالت اجتمعوا على أختي ما تركوها تموت موتاً حسناً حتى قطعوها، فظلموني فلم يعطوني من لحمها شيئاً إلا رأسها هذا، وهي تشتكي ظلمهم لها في أختها مثل هذا كثير وأعظم مما وصفنا"[٦٤]

أقول: هذه ثورة الزنج .. ثورة الجياع!! التي أوصلت الناس إلى هذا الهوان.. ثورة الفقراء التي جعلت الناس يأكلون الفئران والكلاب بل ويأكلون ذويهم ويتعجلون وفاتهم!! العجب العجاب أن هؤلاء العلمانيين لا يزالون يدافعون ويشيدون بصاحب الزنج وثورته رغم كل جرائمه البشعة.. ألا يستحون!!

### نساء آل البيت يطؤهن عبد زنجي:

انظر إلى تحرير المرأة وحفظ كرامتها على أيدي الزنج وصاحبهم الملهم علي بن محمد! يقول المسعودي: "وبلغ من أمر عسكره أنه كان ينادي فيه على المرأة من ولد الحسن والحسين والعباس وغيرهم من ولد هاشم وقريش وغيرهم من سائر العرب وأبناء الناس، تباع الجارية منهم بالدرهمين والثلاثة، وينادى عليها بنسبها؛ هذه ابنة فلان الفلاني، لكل زنجي منهم العشرة والعشرون والثلاثون؛ يطؤهن الزنج، ويخدمن النساء الزنجيات كما تخدم الوصائف، ولقد استغاثت إلى علي بن محمد امرأ، من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب كانت عند بعض الزنج وسألته أن ينقلها منه إلى غيره من الزنج أو يعتقها مما هي فيه. فقال لها: هو مولاك وأولى بك من غيره"[٦٥]

أهكذا يكون صاحب الزنج علوياً ينتسب إلى آل البيت وهو يمعن في إذلال نسائهم وهتك أعراض بناتهم واسترقاقهن وهو الحرائر العفيفات.. ثم يأتي علمانيو هذا الزمان ويدافعون عن فتنته العمياء!! لقد تعمدنا نقل كلام المسعودي لعلمنا بتشيعه

وميوله إلى العلويين والطالبيين وبغضه للعباسيين ونظراً لإطراء كثير من المستشرقين بالمسعودي فيما يتعلق من هجومه على الولاة العباسيين!!

ورغم كل ما ذكرناه فماذا عسى دعاة تيار اليسار الإسلامي والعلمنة المتمحكة بالإسلام.. ماذا عسى العقلنة الاعتزالية أن تقول ازاء هذه الشهادات الدامغة من علماء الأمة على اختلاف مشارهم وتباين عصورهم؟! أعتقد أن جوابهم جاهز: إنها مؤامرة تاريخية كبرى!!

## الحافظ شمس الدين الذهبي:

يقول الحافظ في كتابه (سير أعلام النبلاء) في ترجمة علي بن محمد تحت عنوان (الخبيث): "هو طاغية الزنج، علي بن محمد (..) افترى وزعم أنه من ولد زيد بن علي العلوي، كان من منجماً طرقياً ذكياً حرورياً ماكراً، داهية منتحلاً، على رأي فجرة الخوارج، يتستر بالانتماء إليهم وإلا فالرجل دهري فيلسوف زنديق. ظهر بالبصرة واستغوى عبيد الناس وأوباشهم فتجمع له كل لص ومريب، وكثروا فشد بهم على أهل البصرة، وتم له ذلك واستباحوا البلد، واسترقوا الذرية، وملكوا، فانتدب لحربهم عسكر المتعمد، فالتقى الفريقان وانتصر الخبيث واستفحل بلواؤه، وطوى البلد وأباد العباد، وكاد أن يملك بغداد وجرت بينه وبين الجيش عدة مصافات، وأنشأ مدينة سماها (المختارة)، في غاية الحصانة، وزاد جيشه إلى مائة ألف، ولولا زندقته ومروقه لاستولى على الممالك"[٦٦]

## سبب خروجه ودعوته إلى فتنته:

يقول الذهبي: "بعد مصرع المتوكل وابنه أولئك الخلفاء المستضعفين المقتولين، نقض أمر الخلفاء جداً وطمع كل شيطان في التوثب، وخرج الصفّار بخراسان، اتسعت ممالكه، وخرج هذا الخبيث بالبصرة وفعل ما فعل، وهاجت روم وعظم الخطب"[٦٧]

## عقيدة ومبادئ صاحب الزنج:

يقول الذهبي: "وادعى أنه هو عبد الله المذكور في (قل أوحي إلي) وزعم أن النبي صلى الله عليه وسلم ما يمتاز عليه إلا بالنبوة"[٦٨] "وزعم أنه تكلم في المهد؛

صيح به: يا علي! فقال لبيك"[٦٩] "وكان يجمع اليهود والنصارى، يسألهم عما في التوراة والإنجيل من ذكره وهم يسخرون منه، ويقرأون له فصولاً فيدعي أنها فيه، وزاد من الإفك، فنفرت منه قلوب خالق من أتباعه ومقتوه"[٧٠]

## كان يدعي الزهد والتقشف وهو أبعد الناس من ذلك:

يقول الذهبي: "ولم يجد لجيشه لما كثروا من بد من أرزاق، فقرر للجندي في الشهر عشرة دنانير، فحسده قواده الفرسان، وانشغل بإنشاء الأبنية وتفر عن الزنج فهموا بالفتك به"[٧١]

## العلامة عبد الرحمن بن خلدون:

"كان أكثر دعاة العَلَّوِيّة الخارجين بالعراق أيام المُعْتَصِم وما بعده أكثرهم من الزيْدِيَّةِ وكان من أئمتهم علي بن محمد بن أحمد بن عيسى بن زيد الشهير وكان نازلاً بالبصرة لما وقع البحث عليه من الخلفاء ظفروا بابن عمّه عليّ بن محمد بن الحسين فقتل بفدك ولأيام من قتله خرج رجل بالريّ يدّعي أنه علي بن محمد بن أحمد بن عيسى المطلوب وذلك سنة خمس وخمسين ومائتين أيام المهتدي. ولما ملك البصرة لقي عليّاً هذا حياً معروف النسب فرجع عن ذلك وانتسب إلى يحيى قتيل الجوزجان أخي عيسى المذكور. ونسبه المسعوديُّ إلى طاهر بن الحسين وأظنه الحسين بن طاهر بن يحيى المحدِّث بن الحسين بن جعفر بن عبد الله بن الحسين بن عليّ لأن ابن حزم قال في الحسين السبط إنه لا عقب له إلّا من عليّ بن الحسين وقال فيه عليّ بن محمد بن جعفر بن الحسين بن طاهر. وقال الطبري وابن حزم وغيرهم من المحقّقين إنه من عبد القيس واسمه عليّ بن عبد الرحيم من قرية من قرى الريّ ورأى كثرة خروج الزيديّةِ فحدّثته نفسه بالتوثّب فانتحل هذا النسب ويشهد لذلك أنه كان على رأي الأزارقة من الخوارج ولا يكون ذلك من أهل البيت"[٧٢]

ويقول ابن خلدون: "واستنقذ العباس من نساء الكوفة وواسط وصبيانهم أكثر من عشرة آلاف وأعطى ما وجده في (المنصورة) من الذخائر والأموال للأجناد"[٧٣]

## الشيخ محمد الخضري:

يقول في محاضراته التاريخية: "ولم يكن يدري إلا الله ماذا تكون العاقبة لو انتصر هذا الرجل بزنوجه على آل العباس بأتراكهم كان الأمر ينتقل من أيدي الأتراك إلى أيدي الزنوج فتقع الأمة في الشر العظيم والوباء الوبيل لأن هؤلاء الزنوج ليس لهم أدب معروف بل لا يكادون يفقهون قولاً.. فانتصار العباسيين عليهم خلاص للأمة من شر مستطير"[٧٤]

## صفوة القول

### من خلال عرضنا السابق نخلص إلى:

الأول: إن صاحب الزنج دعي آل طالب كذاب ونسبه ليس بالصحيح.. وأن اسمه علي بن محمد بن عبد الرحيم بن بني عبد القيس.

الثاني: لو افترضنا صحة نسبه لآل البيت فإن هذا لا يغني في دين الله.. فماذا أغنت قرابة أبي لهب وأبي جهل من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الثالث: إن صاحب الزنج لم يكن علوياً بل استغل ادعاء النسب لآل البيت لحب عامة الناس لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأحفاده. وليس كما ذهب أحمد علبي الذي يقول إن عقيدة الشيعة في ذلك الوقت هي عقيدة عامة الناس وهذا خطأ فعقيدة أهل السنة هلي التي كانت سائدة ولازالت إلى وقتنا الحاضر.

الرابع: هب أن صاحب الزنج علوي صحيح النسب! فكيف يستقيم هذا مع رجل يسمح بإذلال نساء آل البيت وخاصة من أبناء الحسن بن علي رضي الله عنهم؟! كيف يسمح بانتهاك حرمة هؤلاء العفيفات.. كيف يسمح باسترقاق هؤلاء الحرائر من آل البيت وبيعهن بأوكس الأثمان؟!! كيف يكون علوياً صحيح النسب وهو الذي كان يلعن علي بن أبي طالب من على المنبر ويأمر بذلك؟!

الخامس: كيف يستقيم ادعاؤه أنه من العلويين وهو الذي قتل علي بن زيد صاحب الكوفة سنة ٢٦٠هـ.

السادس: أما عن اعتقاده فكان أشبه بمعتقد الخوارج الأزارقة من قتل النساء والأطفال والأشياخ، واستحلال الفروج وكان يرفع نفس شعار الخوارج أيام التحكيم (لا حكم إلا لله)!! وإن كنا نميل إلى رأي الحافظ الذهبي أنه كان زنديقاً لا خارجياً ولا علوياً بل كان يتستر بهذين المذهبين لارتكاب الأفاعيل والجرائم في حق المسلمين.

السابع: كان هذا الخبيث يزعم أنه نزل عليه الوحي وأنه خوطب من الملائكة: (إنما البصرة كانت خبزة لك تأكلها من جوانبها)!!

الثامن: ادعى أنه رأى طيوراً بيضاء حاربت معه.

التاسع: ادعى أنه عرضت عليه النبوة فأباها لأن لها أعباء: خفتُ ألا أطيقها!!

العاشر: إن صاحب الزنج شخص مغامر استغل حالة الفوضى التي حلت بأرض الخلافة بعد مقتل بعض الخلفاء وليس كما زعم فيصل السامر وعلبي ومحمد عمارة إذ لم يكن يدور في خلد هؤلاء الزنوج التقسيم الذي أفرزته الثورة البلشفية لمجتمعات بروليتارية: عمال وفلاحين، وبرجوازية: أصحاب رؤوس الأموال والأملاك والإقطاعيين وأهل الحكم.. لم تكن هناك أسباب اجتماعية واقتصادية وسياسية وجيوسياسية وغير ذلك من تحليلات لم يسمع عنها أصحاب الزنج ولا أتباعه، فما حدث ليس إلا حالة من الفوضى لرجل زنديق استغل أعجمية هؤلاء الزنوج وعدم فهمهم للغة العربية مع وجود عدد كبير من الأعراب وقطاع الطرق والهاربين من الأحكام.. فهؤلاء المطاريد هم جند أصحاب الزنج!! فلم يكن لدى صاحب الزنج معتقد واضح ولا برنامج محدد، بل كلها شعارات لتهييج هؤلاء العبيد بأن يملكهم أراضي مواليهم ويحررهم.. ولم يحدث وكذب عليهم واستمروا في الرق فترة حكمه بل زاد في الرق حيث استرق الحرائر والأحرار من المسلمين!!

الحادي عشر: نلاحظ أن عنصر الزنج لم يشترك في هذه الفتنة إلا بعد سبع سنوات من بدء دعوة صاحب الزنج علي بن محمد سنة ٢٤٩هـ فأول زنجي انضم سنة ٢٥٥هـ وكان كل أتباع هذا الدعي من الأعراب، الذين كانوا يهددون قوافل الحجاج ويأوون اللصوص والهاربين من الأحكام.. حتى بعد انضمام الزنج فإن معظم قواده من كانوا من هؤلاء الأعراب، وكان الزنج عبارة عن جيش من المرتزقة سرعان ما انقلبوا عليه وهربوا منه لما تيقنوا كذبه ودجله..

الثاني عشر: جيش الخلافة الذي كان يحارب الزنج كان به فرق زنجية كاملة وكانت تحارب بإخلاص وبسالة ضد جيش صاحب الزنج.. لم يلتف هؤلاء العبيد حول الثورة المنشودة! ثورة الخبز والفقر التي تخلصهم من رق العبودية!!

الثالث عشر: إذا كان هناك بطل لهذه الفتنة فإنه أبو أحمد الموفق أخو الخليفة العباسي المعتمد، وكذلك ابنه العباس الذي صار خليفة المسلمين وتلقب باسم المعتضد بالله..

الرابع عشر: هؤلاء هو أهل الثناء والإشادة بعد توفيق الله سبحانه وتعالى.. هذا هو الأنموذج الذي يقدم لأمتنا؛ أخلاق أولاد النبي الأكرم.. أما الأنموذج الذي يقدمه لنا العلمانيون ويتباكى عليه اليسار الإسلامي ومن على شاكلتهم فهو الأنموذج الملفوظ، وهو الصورة القبيحة الدامية التي تعجب الماركسية الحمراء!!

الخامس عشر: هؤلاء العلمانيون خيالهم خصب!، ويسبحون في أوهام من الباطل صنعها لهم "ماسنيون" و"بروكلمان"؛ رغم أن التاريخ يكذبهم جميعاً إلا أنهم يصرون على الدفاع عن أكابر المجرمين، وسفاكي الدماء، ومنتهكي الأعراض وقتلة الأطفال والشيوخ!.. ثم بعد كل ذلك يقولون إنها مؤامرة تاريخية كبرى ضد صاحب الزنج!! (إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور).

مركز المقريزي للدراسات التاريخية بلندن

ربيع الأول ١٤١٨هـ الموافق يوليو ١٩٩٧م

**هامش:**

[١] الكاتب المصري مايو ١٩٤٦ ص٥٣٧ ، ص٥٥٣ .. ونشر تلك المقالة في كتاب: ألوان لطه حسين /دار المعارف/ مصر/ص١٦٤ ، ص١٨٧.

[٢] أحمد علبي: ثورة الزنج وقائدها علي بن محمد /دار الفا=رابي بيروت/ط جديدة ١٩٩١/ص١٠.

[٣] أحمد علبي: المرجع السابق/ص١٧٠: ص١٧١.

[٤] أدونيس: الثابت والمتحول/دار الساقي لندن/ص٦٧.

[٥] هادي العلوي: شخصيات غير قلقة في الإسلام /دار الكنوز الأدبية/ط أولى ١٩٩٥/بيروت/ص٢١٤ ، ص٢١٥.

[٦] محمد عمارة (الدكتور): مسلمون ثوار /دار الشروق/القاهرة ط ثالثة ١٩٨٨/ ص١٩٧.

[٧] محمد عمارة: المرجع السابق /ص٢٣٥.

[٨] محمد عمارة: المرجع السابق /ص٢٠١.

[٩] محمد عمارة: المرجع السابق/ ص٢٠٣ ، ص٢٠٤.

[١٠] هادي علوي: شخصيات غير قلقة في الإسلام/ص٢٢٤.

[١١] هادي علوي: المرجع السابق/ص٢٢٢.

[١٢] محمد عمارة: مسلمون ثوار/ص١٩٨، ص١٩٩.

[١٣] أحمد علبي: ثورة العبيد في الإسلام /دار الآداب بيروت/ ط١٩٨٥/ص١٦.

[١٤] ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده/تحقيق/محمد محي الدين عبد الحميد/الرشاد الحديثة/ الدار البيضاء/ص٦٩.

[١٥] هادي علوي: شخصيات غير قلقة في الإسلام/ص٢٢٤.

[١٦] أحمد علبي: ثورة الزنج /ص١٣٤.

[١٧] الطبري: تاريخ الأمم والملوك/ /تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم/دار المعارف القاهرة/ط٤/ج٩/ص٤١٠.

[١٨] الطبري: المرجع السابق/ج٩/ص٤١٠.

[١٩] الطبري: المرجع السابق/ج٩/ص٤١٠.

[٢٠] المرجع السابق /ج٩/ص٤١١ ، ص٤١٢.

[٢١] المرجع السابق/ج٩/ص٤١٢.

[٢٢] السابق/ج٩/ص٤١٤.

[٢٣] السابق/ج٩/٤٢٢.

[٢٤] السابق/ج٩/ص٤٨١.

[٢٥] السابق/ج٩/ص٤٨١.

[٢٦] السابق/ج٩/ص٤٨٢.

[٢٧] السابق/ج٩/ص٥٥٣.

[٢٨] السابق/ج٩/ص٦١٣.

[٢٩] السابق/ج٩/ص٥٦٤.

[٣٠] السابق/ج٩/ص٥٨١.

[٣١] السابق/ج٩/ص٥٨٨.

[٣٢] السابق/ج٩/٦٢٥.

[٣٣] السابق/ج٩/ص٦٤١.

[٣٤] السابق/ج٩/ص٦٤١.

[٣٥] السابق/ج٩/ص٦٤٨.

[٣٦] السابق/ج٩/ص٦٠٨.

[٣٧] السابق/ج٩ص٦٠٨.

[٣٨] السابق/ج٩ص٦٤٩.

[٣٩] الطبري/ج٩ص٦٦٠.

[٤٠] الطبري: السابق ج٩ص٦٦٣.

[٤١] الطبري: السابق ج٩ ص٦٦٣.

[٤٢] ابن الجوزي: المنتظم في أخبار الملوك والأمم دار الكتب العلمية بيروت ط أولى ١٩٩٢م ج١٢ ص٨٨ وما بعدها.

[٤٣] ابن الجوزي: المنتظم المرجع السابق.

[٤٤] ابن الجوزي: المنتظم المرجع السابق.

[٤٥] ابن الجوزي: المنتظم السابق.

[٤٦] ابن الجوزي: المنتظم السابق.

[٤٧] ابن الجوزي: السابق ج١٢ ص٢٨٨.

[٤٨] ابن الأثير: الكامل في التاريخ دار صادر بيروت مج٧ص٢٤٥ ، ٢٤٦.

[٤٩] ابن الأثير: الكامل السابق مج٧ص٢٤٥ ، ٢٤٦.

[٥٠] ابن الأثير: السابق مج٧ ص٣٤٤.

[٥١] الذهبي: العبر في أخبار من غبر دار الفكر ج١ ص١٢٢.

[٥٢] أبو الفداء: تاريخ أبي الفداء القاهرة ص

[٥٣] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة دار الكتب العلمية بيروت ط أولى ١٩٩٢ ج٣ ص٢٧.

[٥٤] ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة السابق ج٣ ص٦٠ و ص٦١.

[٥٥] السيوطي: تاريخ الخلفاء دار الكتب العلمية بيروت ط أولى ١٩٨٨ ص٢٩١.

[٥٦] ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب دار الفكر ج٣ ص١٢٩ ، ١٣٠.

[٥٧] ابن العماد: السابق ج٣ ص١٣٩.

[٥٨] ابن العماد: السابق ج٣ ص١٥٦.

[٥٩] ابن كثير: البداية والنهاية دار الكتب العلمية بيروت ط أولى ١٩٥٨ ج١١ ص٢١.

[٦٠] ابن كثير: السابق ج١١ ص٤٨.

[٦١] ابن كثير: السابق ج١١ ص٣٢.

[٦٢] المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر المكتبة الإسلامية بيروت ج٧ ص١٩٤ وص١٩٥.

[٦٣] المسعودي: السابق ج٧ ص٣٠٧.

[٦٤] المسعودي: السابق ج٧ ص٣٠٧ وص٣٠٨.

[٦٥] المسعودي: ج٧ ص٣٠٨.

[٦٦] الذهبي: سير أعلام النبلاء مؤسسة الرسالة بيروت ط٢ ١٩٨٤ ج١٣ ص١٢٩ ، ص١٣٠.

[٦٧] الذهبي: المرجع السابق ج١٣ ص١٣٤.

[٦٨] الذهبي: ج١٣ ص١٣٤.

[٦٩] الذهبي: ج١٣ ص١٣٤.

[٧٠] الذهبي: ج١٣ ص١٣٥.

[٧١] الذهبي: ج١٣ ص١٣٥.

[٧٢] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون مؤسسة الأعلى للمطبوعات بيروت ج٣ ص٣٠٢.

[٧٣] ابن خلدون: ج٣ ص٣٢١.

[٧٤] محمد الخضري بك: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) دار المعارف بيروت ص٣٠٥

# أي الفريقين أحق بالعقل يا بنديكتوس؟!

بقلم د. هاني السباعي

مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية بلندن

**تقدمة:**

بتاريخ ١٢-٩-٢٠٠٦ ألقى رأس الكنيسة الكاثوليكية البابا بنديكت السادس عشر محاضرة بعنوان (العلاقة بين العقل والعنف في الإسلام والمسيحية) وكان من ضمن ما قاله واقتبسه حبر الكاثوليك (بنديكتوس) العبارات التالية:

"تداعت هذه الذكريات إلى ذهني عندما قرأت منذ فترة وجيزة جزءا من حوار نشره البروفيسور تيودور خوري، من جامعة مونستر، جرى بين الإمبراطور البيزنطي العالم مانويل الثاني ومثقف فارسي حول المسيحية والإسلام وحقيقة كل منهما خلال إقامته بالمعسكر الشتوي بالقرب من أنقره عام ١٣٩١".

"يبدو أن هذا الإمبراطور قد سجل هذا الحوار إبان حصار القسطنطينية بين عامي ١٣٩٤ و١٤٠٢، ويدل على ذلك أن مناظرته كانت أكثر توسعا من مناظرة محاوره الفارسي".

ثم يقتبس بنديكت ما ذكره البروفيسير (خوري) المذكور حول الجهاد في الإسلام وربطه بالعنف:

"ففي جولة الحوار السابعة كما أوردها البروفيسير خوري تناول الإمبراطور موضوع الجهاد، أي الحرب المقدسة. من المؤكد أن الإمبراطور كان على علم بأن الآية ٢٥٦ من السورة الثانية بالقرآن (سورة البقرة) تقول: لا إكراه في الدين.. إنها من أوائل السور، كما يقول لنا العارفون، وتعود للحقبة التي لم يكن لمحمد فيها سلطة ويخضع

لتهديدات. ولكن الإمبراطور من المؤكد أيضا أنه كان على دراية بما ورد، في مرحلة لاحقة، في القرآن حول الحرب المقدسة".

أقول: يعني أن القرآن ذكر (لا إكراه في الدين) عندما كان الرسول صلى الله عليه وسلم في مرحلة استضعاف في مكة أي من باب التقية حسب فهم خوري والإمبراطور وبنديكتوس!! بدليل أنه قال إن الإمبراطور كان على دراية بما ورد في مرحلة لا حقة في القرآن حول الحرب المقدسة؛ بقصد عندما فرض الجهاد في الحقبة المدنية؛ هذا يعني أن البابا (بنديكتوس) دارس، وفاهم، ويعي ما يقول! عكس ما قاله شيخ الأزهر طنطاوي ومن على شاكلته من علماء المسلمين الذي اتهموا البابا بالجهل بالإسلام!!!

ثم ينتقل البابا بنديكت إلى فقرة السب المباشر الذي نقله على لسان الإمبراطور البيزنطي في صورة الموافق والمادح لتحليل الإمبراطور الحقود على النحو التالي:

"وبدون أن يتوقف عن التفاصيل، مثل الفرق في معاملة (الإسلام) للمؤمنين وأهل الكتاب والكفار، طرح الإمبراطور على نحو مفاجئ على محاوره(...) السؤال المركزي بالنسبة لنا عن العلاقة بين الدين والعنف بصورة عامة. فقال: أرني شيئا جديدا أتى به محمد، فلن تجد إلا ما هو شرير ولا إنساني، مثل أمره بنشر الدين الذي كان يبشر به بحد السيف".

أقول: من الذي برأ البتول مريم؟! أليس هو القرآن الذي أوحاه الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم؟! ومن الذي برأ الرسل الكرام الذين اتهموهم بأنهم أولاد زنا ولصوص؟ أليس هو القرآن الذي أنزله الله على محمد صلى الله عليه وسلم؟! فهل وصل الحقد والحسد إلى هذا الانحطاط الأخلاقي؟!

لله در شوقي! في رده على حاسدي رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يا أيها الأمي حسبك رتبةَ ** في العلم أنْ دانتْ بك العلماءُ

فإذا رحمتَ فأنتَ أمٌ أو أبٌ ** هذان في الدنيا هما الرحماءُ

**ويستمر بنديكت في غيه متهما مقتبساً العبارة التالية:**

"الجملة الفاصلة في هذه المحاجة ضد نشر الدين بالعنف هي: العمل بشكل مناف للعقل مناف لطبيعة الرب، وقد علق المحرر تيودور خوري على هذه الجملة بالقول: بالنسبة للإمبراطور وهو بيزنطي تعلم من الفلسفة الإغريقية، هذه المقولة واضحة. في المقابل، بالنسبة للعقيدة الإسلامية، الرب ليست مشيئته مطلقة وإرادته ليست مرتبطة بأي من مقولاتنا ولا حتى بالعقل".

هكذا يخلص حبر الكاثوليك إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأت بجديد! وأنه صلى الله عليه وسلم (حاشاه) لم يأت إلا بما هو شرير وغير إنساني!! وأن الإسلام دين عنف! الإسلام دين مخالف للعقل!! ( كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِباً)(الكهف: ٥)

**وانطلاقا من تلكم التقدمة:**

أود أن أعلق انتصاراً لرسولنا الأكرم صلى الله عليه وسلم، وللذب عن دين الإسلام العظيم؛ الذي نحمد الله أن جعلنا مسلمين عبر النقاط التالية:

أولاً: مدخل تمهيدي: الباقلاني وخبر الروم الأعظم.

ثانياً: العنف المقدس من كتابهم المقدس!.

ثالثا: التاريخ المخزي.

رابعاً: **صفوة القول.**

## أولاً: مدخل تمهيدي: الباقلاني وحبر الروم الأعظم:

قد يتساءل البعض ما علاقة القاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني البغدادي إمام المالكية في زمانه المتوفى ٤٠٣هـ بالبابا (بنديكتوس) السادس عشر؟!

العلاقة أن سلف هذا البنديكتوس (حبر الروم الأعظم في زمانه)؛ قد طلب إمبراطوره في القسطنطينية من الخليفة العباسي؛ أن يرسل له أحد علماء المسلمين ليناظر الحبر

الأعظم للنصارى؛ فانتدب الخليفة العباسي الإمام العلامة الباقلاني؛ ليناظرهم. وقد ذكر هذه المناظرة القاضي عياض في ترتيب المدارك، وذكرها باختصار أيضاً الذهبي في سير أعلام النبلاء، وأشار إليها ابن خلكان في وفيات الأعيان.

وقد كان القاضي أبو بكر الباقلاني أعجوبة زمانه في العلم، وقوة الحجة، وكان يلقب بلسان الأمة وشيخ السنة، وكان مضرب الأمثال في الذكاء وسعة العلم، وقد استطاع أن يناظر عدة فرق في وقت واحد! حيث قضى على أساطين المعتزلة، وكل أصحاب البدع في زمانه! الشاهد من هذا السرد أن هذا العالم لم يتزلف إلى النصارى ويدعوهم إلى ما يسمى بحوار الحضارات الزائف!! بل إن إمبراطور الروم هو الذي سعى وطلب ليناظرهم في أس عقيدة الملتين؟!

**نبذة حول سير المناظرة:**

لقد رفض القاضي الباقلاني أن يخلع عمامته عندما دخل قصر الإمبراطور؛ بل أنه أصر على عدم نزع خفيه لما طلب منه ذلك.

وقال: لا أفعل ولا أدخل إلا بما أنا عليه من الزي! وقال: أنا رجل من علماء المسلمين، وما تحبونه منا ذل وصغار! والله قد رفعنا بالإسلام وأعزنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم. وأيضاً فإن من شأن الملوك إذا بعثوا رسلهم إلى ملك آخر، رفع أقدارهم، لا إذلالهم؛ سيما إذا كان الرسول من أهل العلم، ووضع قدره انهدام عند الله تعالى وعند المسلمين! فما كان من الإمبراطور إلا أن رحب به ووافق على كطالبه وشروطه!

أقول: هذا درس لعلماء المسلمين لا سيما الذين يهرولون للحوار مع الغرب! لدرجة أن أحدهم لو طلب منه أن يخلع جبته، وعمامته وكل ما يشير إلى هدي ظاهر من لحية وغيرها لا ستجاب غير متردد!!؛ بل إن من هؤلاء العلماء والدعاة على استعداد أن يتنازل عن المعلوم من الدين بالضرورة، وقواعد الإسلام الكبرى بزعم التقريب والتحبيب إلى الشريعة الغراء!! بالطبع هذا الذي شجع بنديكتوس وبطانته، وبوش وعصابته، وكل

من هب ودب على وجه البسيطة؛ الطعن في الإسلام، وصاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم، بل وفي الاستهزاء من رب العالمين سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً!

**عود إلى مناظرة الباقلاني:**

ونظراً لطول المناظرة فإني أنقل بعض المواقف منها على النحو التالي:

الموقف الأول:

قال الذهبي في السير ج١٠ ص٤٠٨ طبعة مكتبة الصفا بالقاهرة: "إن الطاغية (إمبراطور الروم) سأله: كيف جرى لزوجة نبيكم؟ يقصد توبيخاً. فقال: كما جرى لمريم بنت عمران، وبرأهما الله، لكن عائشة لم تأت بولد، فأفحمه".

الموقف الثاني:

جاء في ترتيب المدارك للقاضي عياض ج٢ ص٢١٠ طبعة دار الكتب العلمية بيروت: حيث قال له الملك (الإمبراطور: "هذا الذي تدعونه في معجزات نبيكم من انشقاق القمر، كيف هو عندكم؟ قلت (الباقلاني): هو صحيح عندنا، وانشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأى الناس ذلك. وإنما رآه الحضور، ومن اتفق نظره إليه في تلك الحال.

فقال الملك: وكيف لم يره جميع الناس؟

قلت (الباقلاني): لأن الناس لم يكونوا على أهبة ووعد لشقوقه وحضوره.

فقال (الملك): وهذا القمر بينكم وبينه نسبة وقرابة؟ لأي شئ لم تعرفه الروم وغيرها من سائر الناس، وإنما رأيتموه أنتم خاصة؟

قلت (الباقلاني): فهذه المائدة (أي المائدة التي نزلت على عيسى عليه السلام من السماء) بينكم وبينها نسبة؟ وأنتم رأيتموها دون اليهود، والمجوس، والبراهمة، وأهل الإلحاد، خاصة (يونان) جيرانكم، فإنهم كلهم منكرون لهذا الشأن، وأنتم رأيتموها دون غيركم. فتحير الملك".

وهنا استدعى الملك أحد القساوسة الكبار ليتدخل:

قال الباقلاني: "فلم أشعر إذ جاؤوا برجل كالذئب أشقر الشعر مسبله، فقعد، وحكيت له المسألة فقال (القسيس): الذي قاله المسلم لازم، هو الحق لا أعرف له جواباً إلا ما ذكره. فقلت له: أتقول إن الكسوف إذا كان يراه جميع أهل الأرض أم يراه أهل الإقليم الذي بمحاذاته. قال (القس): لا يراه إلا من كان في محاذاته. قلت: فما أنكرت من انشقاق القمر، إذا كان في ناحية لا يراه إلا أهل تلك الناحية، ومن تأهب للنظر له؟ فأما من أعرض عنه وكان في الأمكنة التي لا يرى القمر منها فلا يراه.

فقال (القس): هي كما قلت. ما يدفعك عنه دافع. وإنما الكلام في الرواة الذي نقلوه. وأما الطعن في غير هذا الوجه، فليس بصحيح. فقال الملك: وكيف يطعن في النقلة؟ فقال النصراني: شبه هذا من الآيات، إذا صح وجب أن ينقله الجم الغفير، إلى الجم الغفير، حتى تصل بنا العلم الضروري به، ولو كان كذلك لوقع إلينا العلم الضروري به. فلما لم يقع به العلم الضروري به، دل على أن الخبر مفتعل باطل. فالتفت الملك إلي وقال: الجواب.

قلت (الباقلاني): يلزمه في نزول المائدة، ما يلزمني في انشقاق القمر، ويقال له لو كان نزول المائدة صحيحاً، لوجب أن ينقله العدد الكثير، فلا يبقى يهودي ولا نصراني ولا ثنوي إلا ويعلم بهذا بالضرورة. ولما لم يعلموا ذلك بالضرورة، دل ذلك على أن الخبر كذب. فبهت النصراني والملك، ومن ضمه المجلس، وانفض المجلس على هذا".

الموقف الثالث:

قيل إن ملك الروم وعد القاضي الباقلاني الاجتماع معه في محفل من محافل النصرانية، فحضر الباقلاني وبولغ في زينة المجلس، وأدناه الملك منه وأجلسه بجانبه وكان الملك في أبهته، وخاصته عليه التاج ورجال مملكته يحيطون به، ثم جاء البطرك قيم ديانتهم (البابا في زمانه)، فسلم القاضي عليه أحفى سؤال.

ولنترك القاضي عياض والذهبي يحكيان لنا ما حدث في هذا الموقف الطريف:

"وقال له (الباقلاني): كيف الأهل والولد؟ فعظم قوله هذا عليه، وعلى جميعهم وتغيروا له، وصلبوا على وجوههم، وأنكروا قول أبي بكر عليه (الباقلاني)".

"فقال الملك: مه! أما علمت أن الراهب يتنزه عن هذا! فقال (الباقلاني): تنزهونه عن هذا، ولا تنزهون رب العالمين عن الصاحبة والولد!". انتهى بتصرف.

أقول: هكذا كان العلماء الأفذاذ الذين استعلوا بإيمانهم على الباطل؛ فلم يقتاتوا بعلمهم، ولم يعطوا الدنية في دينهم! فكانوا بحق نجوماً في سماء التاريخ.

ثانياً: العنف المقدس من كتابهم المقدس!:

لقد رمى البابا بنديكتوس السادس عشر الإسلام بالعنف! ومن ثم لن نرد عليه بالقرآن ولا بالسنة ولا بالنقل من الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية، ولا حتى مناظرات الشيخ أحمد ديدات الذي كسر شوكتهم في العصر الحديث رحمة الله عليه رحمة واسعة! ولكن من العهد القديم الذي يؤمن به البابا بنديكت وأهل الملة النصرانية جمعاء لنعلم بالدليل القاطع من الكذاب الأشر؟!

**وهذه عينة من بعض أسفار العهد القديم:**

(١) سفر التثنية: الإصحاح ٢٠:

الخروج للحرب: " فاَضْرِبوا كُلَ ذكَرٍ فيها بِحَدِّ السَّيفِ. وأمَّا النِّساءُ والأطفالُ والبَهائِمُ وجميعُ ما في المدينةِ مِنْ غَنيمةٍ، فاَغْنَموها لأنْفُسِكُم وتمَتَّعوا بِغَنيمةِ أعدائِكُمُ التي أعطاكُمُ الرّبُّ إلهُكُم. هكذا تفعَلونَ بجميعِ المُدُنِ البعيدةِ مِنكُم جدُا، التي لا تخصُّ هؤلاءِ الأُمَمَ هُنا. وأمَّا مُدُنُ هؤلاءِ الأُمَمِ التي يُعطيها لكُمُ الرّبُّ إلهُكُم مُلْكًا، فلا تُبقوا أحدًا مِنها حيًا بل تُحَلِّلونَ إبادَتَهُم، وهُمُ الحِثِّيّونَ والأموريُّونَ والكنعانِيُّونَ والفِرِّزِيُّونَ والحوِّيُّونَ واليَبوسيُّونَ ".

(٢) التثنية: الإصحاح ١٢:

"هذه هي الفرائض والأحكام التي تحفظون لتعملوها في الأرض التي أعطاك الرب اله آبائك لتمتلكها كل الأيام التي تحيون على الأرض. تخربون جميع الأماكن حيث عبدت الأمم التي ترثونها آلهتها على الجبال الشامخة وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء و تهدمون مذابحهم و تكسرون أنصابهم و تحرقون سواريهم بالنار و تقطعون تماثيل آلهتهم و تمحون اسمهم من ذلك المكان".

(٣) التثنية: الإصحاح ١٣:

"إن سمعت عن إحدى مدنك التي يعطيك الرب إلهك لتسكن فيها قولا. قد خرج أناس بنو لئيم من وسطك و طوحوا سكان مدينتهم قائلين نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفوها وفحصت و فتشت و سالت جيدا و إذا الآمر صحيح وأكيد قد عمل ذلك الرجس في وسطك. فضربا تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف و تحرمها بكل ما فيها مع بهائمها بحد السيف. تجمع كل أمتعتها إلى وسط ساحتها وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب إلهك فتكون تلا إلى الأبد لا تبنى بعد".

(٤) التثنية: الإصحاح ٧:

" ولكن هكذا تفعلون بهم تهدمون مذابحهم وتكسرون أنصابهم وتقطعون سواريهم وتحرقون تماثيلهم بالنار. أنك أنت شعب مقدس للرب إلهك إياك قد اختار الرب إلهك لتكون له شعبا أخص من جميع الشعوب الذين على وجه الأرض ".

(٥) سفر حزقيال: الإصحاح ٩:

" اعبروا في المدينة وراءه واضربوا لا تشفق أعينكم و لا تعفوا الشيخ و الشاب والعذراء والطفل والنساء اقتلوا للهلاك ولا تقربوا من إنسان عليه السمة وابتدئوا من مقدسي فابتدئوا بالرجال الشيوخ الذين أمام البيت. وقال لهم نجسوا البيت واملأوا الدور قتلى أخرجوا فخرجوا وقتلوا في المدينة".

(٦) سفر العدد: الإصحاح ٣١:

"وكلم الرب موسى قائلا: انتقم نقمة لبني إسرائيل من المديانيين ثم تضم إلى قومك. فكلم موسى الشعب قائلا جردوا منكم رجالا للجند فيكونوا على مديان ليجعلوا نقمة الرب على مديان. (..) فتجندوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم آوى وراقم و صور وحور ورابع خمسة ملوك مديان وبلعام بن بعور قتلوه بالسيف. وسبى بنو اسرائيل نساء مديان وأطفالهم ونهبوا جميع بهائمهم وجميع مواشيهم وكل أملاكهم. وأحرقوا جميع مدنهم بمساكنهم و جميع حصونهم بالنار. وأخذوا كل الغنيمة و كل النهب من الناس و البهائم. و أتوا إلى موسى و العازار الكاهن و إلى جماعة بني إسرائيل بالسبي و النهب و الغنيمة إلى المحلة إلى عربات موآب التي على أردن أريحا. فخرج موسى و العازار الكاهن و كل رؤساء الجماعة لاستقبالهم إلى خارج المحلة. فسخط موسى على وكلاء الجيش رؤساء الألوف ورؤساء المئات القادمين من جند الحرب. وقال لهم موسى هل أبقيتم كل أنثى حية. إن هؤلاء كن لبني إسرائيل حسب كلام بلعام سبب خيانة للرب في أمر فغور فكان الوبا في جماعة الرب. فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة ذكر اقتلوها".

أقول: فماذا عسى حبر النصارى الأعظم (بنديكتوس) أن يجيب على هذه النصوص الصريحة في التحريض على القتل، والعنف، وقتل الأطفال والنساء والشيوخ، وعدم استعمال الشفقة والرأفة والرحمة معهم؟!

ماذا عسى بنديكتوس وبطارقة الفاتيكان أن يردوا على هذه النصوص التي تحرض على هدم البيوت وتدمير المدن رأساً على عقب فوق سكانها؟!

فماذا عسى بنيكت وأخبار النصارى أن يفسروا لنا هذا التحريض الوحشي، وعدم الرحمة حتى مع البهائم والأمر باجتثاث الأشجار والزروع وكل ما يمت إلى خصومهم؟! وماذا.. وماذا.. وماذا..؟! حقاً رمتني بدائها وانسلت!

وصدق شوقي في تألمه من الذين يزعمون أنهم يحاربون باسم المسيح عيسى عليه السلام وهو منهم براء:

ما كنت سفاك الدماء ولا امرءاً ⁂ هان الضعاف عليه والأيتامُ

يا حامل الآلام عن هذا الورى ⁂ كثرت علينا باسمك الآلامُ

ثالثا: التاريخ الدموي المخزي لآل بنديكتوس:

لن نتكلم عن المجازر التي ارتكبها النصارى مع أهل الإسلام إبان الحروب الصليبية، ولكن نتكلم عن المجازر التي اقترفها عباد الصليب مع بعضهم البعض ومع غيرهم من الأمم عبر النقاط التالية:

الأول: جار في تاريخ الدولة العلية ص ٧٤: مذبحة سان برتيلمي: "وهي مذبحة البروتستانت بجميع أنحاء فرنسا ذبحهم الكاثوليك بأمر ملك فرنسا (شارل التاسع) بناء على إيعاز والدته (كاترين دي مديسي) في يوم ٢٤ أغسطس ١٥٧٢م واختلف في عدد من قتل في هذا اليوم فأبلغه بعضهم إلى ٦٠ ألفاً"!

يا للهول! في يوم واحد! أجداد بنديكتوس يقتلون من بني جلدتهم؛ البروتستانت ستين ألف نسمة في يوم واحد! تاريخ مشرف فعلاً!!

الثاني: خسائر الحرب العالمية الأولى (١٩١٤م إلى ١٩١٨م) حوالى ٢٠ مليون نسمة. أنفقت الدول المشاركة حوالى ٨٢٫٤ مليار دولار.

خسائر الحرب العالمية الثانية: (١٩٣٩م إلى ١٩٤٥م) قرابة ٣٥ مليون قتيل.

نفقات التسلح ٢١٠٠ مليار دولار.

خسائر الحروب الماضية: ٢٠٧ ملايين نسمة؛ كان للحرب الأهلية والقومية والاستعمار فيها النصيب الأكبر.

أقول: لم يكن للمسلمين في هاتين الحربين ناقة ولا جمل! ولم يكن هناك تنظيم قاعدة، ولا ما يسمى بالإرهاب، إلا الإرهاب الغربي في تلك الحقبة بين نصارى ونصارى!.

فالنازية الهتلرية النصرانية صناعة غربية محضة! والفاشية الموسولينية صناعة غربية نصرانية بحتة!

وجماعات "كوكلوس كلان" التي أثارت الذعر بين الأمريكان الزنوج! صناعة أمريكية نصرانية بحتة! بل إن وضع أكياس على رؤوس الأسرى المسلمين في جوانتانامو وأبي غريب وباجرام مستوحاة من هذه الجماعات الهمجية الإرهابية الذين كانوا يحرقون منازل الزنوج وقراهم ويضعون أعواد مشانق أمام بيوت السود لإرهابهم!! ناهيك عن المافيا والجرائم العابرة للقارات كلها صناعة غربية نصرانية!

الثالث: قال الرئيس الأمريكي وليام ماكينلي الذي أمر بغزو الفلبين سنة ١٨٩٨م: "نحن لم نذهب إلى الفلبين بهدف احتلالها، لكن المسألة أن السيد المسيح زارني في المنام، وطلب مني أن نتصرف كأمريكيين، ونذهب إلى الفليبين لكي نجعل شعبها يتمتع بالحضارة".!

صدق أو لا تصدق! رؤساء النصارى يوحى إليهم! ماكينلي يغزو الفلبين لأن الرب جاءه في المنام! وجورج بوش الصغير زاره الرب أيضاً لغزو أفغانستان والعراق! وهلم جرا! من أجل ماذا لتتمتع هذه الشعوب بالحضارة!!

وهل تحققت الديمقراطية واستمتع أهل الفلبين بجنة الغرب النصراني!!

طبعاً تحولت أمان الله إلى الفلبين!! وانقرض المسلمون وصاروا أثراً بعد عين! ولم يبق من حضارة الغرب النصراني إلا التفنن في أكل القطط والكلاب وقتل المسلمين! تماماً مثل ما يحدث الآن في استمتاع الشعب العراقي والأفغاني بالحضارة الغربية النصرانية تحت قيادة أمريكا!!

الرابع: يقول يوهان جالتونج: "الأمم الغربية ملك للولايات المتحدة، والولايات المتحدة في حلف مع الله". (فهد العرابي: أمريكا التي تعلمنا الديمقراطية ص٣١١).

أقول: هذا حلف الشيطان طبعاً لأن الله لا يأمر بالفحشاء والمنكر. وصدق الله القائل فيهم: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ) (لأنفال:٧٣).

الخامس: قال روبرت كروش: من أن رئيسه قال له: لا أريد أسرى أريد إحصاء للجثث. ثم يضيف كروش: لقد كنا نعتبر كل من هو فوق الثانية عشرة مشروع جثة"! (أمريكا التي تعلمنا الديمقراطية ص٣٤٢).

السادس: في إيطاليا: "وإلى تاريخ متأخر ١٧٦٢م كان السجناء تحطم أجسادهم على دولاب التعذيب عظمة بعد عظمة، أو يسحلون على الأرض في ذيل حصان مهموز" (وول ديورانت: قصة الحضارة ترجمة فؤاد أندراوسمج٣٩_٤٠ ص١٧٦).

أقول: طبعاً لم نذكر محاكم التفتيش لأنها لا تحتاج إلى تذكير فهي من الأحداث الوحشية المتواترة التي ارتكبها أجداد بنديكتوس وبنو طائفته الكاثوليك في حق المسلمين في الأندلس!! أجل! إنها حقاً حضارة غربية نصرانية مشرفة جداً!!

السابع: هلاك السكان الأصليين:

يقول ناعوم تشومسكي في كتابه (الغزو مستمر) ترجمة مي النبهان ص ١٣: عن غزو الأوربيين للعالم أسفر عن كارثتين لا مثيل لهما في التاريخ: "هلاك السكان الأصليين في نصف الكرة الغربي وخراب أفريقيا حيث تجارة الرقيق سريعاً".

ويرجع تشوماسكي السبب الأهم في نجاح الأوربيين في غزو العالم: "تمكن أوروبا من ثقافة العنف وانغماسها فيها".

الثامن: مدينة دكا:

لقد كانت مدينة (دكا) عاصمة بنجلاديش حالياً مزدهرة وغنية وكان الأوروبيون؛ يطلقون عليها ما مانشستر الهند! تشبيهاً بمدينة مانشستر الصناعية في بريطانيا! ماذا حدث لأهلها على يد دعاة الحضارة الغربية النصرانية؟! لقد انخفض عدد سكانها كما يقول تشاموسكي بفعل الإرهاب البريطاني من مائة وخمسين ألفاً إلى ثلاثين ألفاً فقط!!

التاسع: لقد قتل الأوربيون المتحضرون جداً عشرة ملايين إنسان من سكان زائير! يقول ناعوم: "وسوف يؤسس تشرشل لمبدأ القصف الكيماوي فيقول: (إن من الصحيح تماماً استخدام الغازات السامة ضد القبائل غير المتمدنة" ص٤٣.

وهذا ما فعلوه سابقاً ويفعلونه حالياً في أفغانستان! وإلا ماذا يفسر لنا البابا بنيديكت عن سبب وجود حلف الناتو الصليبي في أفغانستان؟!

هل يوزعون الحلوى والمن والسلوى على الشعب الأفغاني الفقير المظلوم؟!

أم أنهم يقذفونهم بأطنان المتفجرات والغازات السامة التي تبيد القرى عن بكرة أبيها!

ماذا يفعل الذين يزعمون أنهم أتباع المسيح عيسى عليه السلام في أفغانستان؟!

ألم ينشروا العنف والقتل والخراب في البلاد؟!

ألم يهتكوا الأعراض ويعيثوا في الأرض فسادا؟! من الذي قتل مليون ونصف مليون عراقي إبان الحصار الظالم لعاصمة الرشيد؟!

أليس زعماء الحضارة الغربية النصرانية المتحضرة جداً؟!

من الذي قتل أكثر من مائتي ألف قتيل في العراق منذ الغزو عام ٢٠٠٣م حتى الآن؟! أليس الغرب النصراني المتحضر وأذنابه العملاء!! أين حمرة الخجل يا بنديكت؟!

العاشر: وصية المؤرخ لاساس كاس:

شهد شاهد من أهلها: لقد كتب المؤرخ الأسباني (لاس كاساس) في وصيته قبل موته: "أظن أن الله سيصب غضبه، ومقته على أسبانيا بسبب هذه الأعمال الشائنة الإجرامية غير الورعة التي ارتكبت بظلم وبربرية وطغيان، لأن معظم الأسبان اشتركوا في الثروة المغموسة بالدم والتي اغتصبناها على تلك السواحل وسط المذابح والخراب" تشاوسكي: ص٥٨.

أقول: هلا تأسيت أيها البابا بنديكتوس! بالمؤرخ لاس! ورجعت إلى العقل ونطقت بالحق وتبرأت من جرائم أتباع ملتك التي اقترفوها في حق البشرية جمعاء؟! فأي الفريقين أحق بالعقل يا بنديكت؟!

## صفوة القول

لقد استبان لنا بعد هذا التطواف أي الفريقين أحق بالعقل؟! هل هم الذين طعنوا في أنبيائهم أم الذين ينزهونهم وينتصرون لهم؟! فأين عقولكم يا بنديكتوس وأنتم تؤمنون بزنا نبي الله لوط عليه السلام مع ابنتيه؟!

وها هو ذا النص الذي تشيب له الرؤوس وتنخلع منه القلوب! كما جاء في سفر التكوين الإصحاح التاسع عشر: " وصعد لوط من (صوغر) وسكن في الجبل، وابنتاه معه أنه خاف ان يسكن في صوغر، فسكن في المغارة هو وابنتاه. وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض. هلم نسقي أبانا خمراً، ونضطجع معه؛ فنحيي من أبينا نسلا. فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة: إني قد اضطجعت البارحة مع أبى نسقيه خمرا الليلة أيضا فادخلي اضطجعي معه فنحيي من أبينا نسلا. فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة أيضا وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. فحبلت ابنتا لوط من أبيهما. فولدت البكر ابنا ودعت اسمه (موآب) وهو أبو الموآبيين إلى اليوم والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه (بن عمي) وهو أبو بني عمون إلى اليوم".

تأمل: شرب خمر واقتراف زنا وليس أي زنا؟! زنا من نبي منزه معصوم عن الخطأ ناهيك عن الخطيئة! يزني مع محارمه مع ابنتيه وليس بنتاً واحدة! يعني سلالة زنا!!

إذن هذا هو سر شيوع الفاحشة والدعارة وزنا المحارم، والانسلاخ من الفطرة عبر ممارسة فعل قوم لوط وانتشار السحاق!!

فلم العجب فلقد اقترف أحد الأنبياء الأطهار الزنا مع ابنتيه؟!

هل هذه عقول تستحق الاحترام وهي تؤمن بهذه الخرافات والافتراءات على أشرف خلق الله من البشر؛ أنبيائه الأبرار ورسله الكرام الأخيار! سبحانك هذا بهتان عظيم!!

أين ذهبت عقول هؤلاء القوم؟! الذين يؤمنون بأن ابن الله على حد زعمهم كان يعيش في رحم امرأة؟! ولماذا تركه أبوه (الإله) يصلب ويقتل هذه القتلة الشريرة؟! أين حكمة هذا الأب (الإله) الذي يترك ابنه يعبث به هؤلاء المجرمون؟!

أين ذهب عقلك يا بنديكت! وأنت تؤمن أن نبي الله يعقوب يصارع الله!! كما ورد في سفر التكوين الإصحاح الثاني والثلاثين: " ولما رأى انه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه فانخلع حق فخذ يعقوب في مصارعته معه. وقال أطلقني لأنه قد طلع الفجر فقال لا أطلقك إن لم تباركني. فقال له ما اسمك فقال يعقوب. فقال لا يدعى اسمك فيما بعد يعقوب بل إسرائيل لأنك جاهدت مع الله والناس وقدرت. وسأل يعقوب وقال أخبرني باسمك فقال لماذا تسال عن اسمي وباركه هناك. فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل قائلا لأني نظرت الله وجها لوجه ونجيت نفسي وأشرقت له الشمس إذ عبر فنوئيل وهو يخمع على فخذه. لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النسا الذي على حق الفخذ إلي هذا اليوم انه ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النسا. "!!

تأمل! أكرم الله عقولنا أهل الإسلام! يعقوب عليه السلام يصارع الله رب العالمين!! والرب يتوسل ليعقوب أن يطلقه لأن الفجر طلع! والرب يجهل اسم يعقوب ويقول له ما اسمك ثم يسميه إسرائيل!! ثم آخر المضحكات المبكيات: عرق النسا! الذي لا يأكله بنو إسرائيل لأن الله ضرب حق فخذ يعقوب على عرق النسا!!.

الحمد لله على نعمة العقل! (قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِباً إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا) (لأعراف:٨٩).

أين ذهبت عقول هؤلاء القوم! وهم يؤمنون بأن المسيح عليه السلام يتهم الأنبياء قبله بأنهم لصوص! ليس هذا افتراء منا على بنديكت وأهل ملته! فقد ورد النص في إنجيل يوحنا الإصحاح العاشر: "فقال لهم يسوع أيضا الحق والحق أقول لكم إني أنا باب الخراف. جميع الذين أتوا قبلي هم سراق و لصوص ولكن الخراف لم تسمع لهم".!!

تأمل! واسترجع وحوقل! أنبياء الله؛ سراق ولصوص!! سبحانك هذا بهتان عظيم!!

الآن قد حصحص الحق أيها الحبر بنديكتوس! واستبان لكل ذي لب: أي الفريقين أحق بالعقل؟!

مركز المقريزي للدراسات التاريخية

لندن في ٢٠ جمادى الأولى ١٤٢٧ هـ ١٦ يونيو ٢٠٠٦م

# موالاة الأعداء ناقض للتوحيد
# حكام بلاد المسلمين أنموذجاً

د. هاني السباعي

حكام بلاد المسلمين عرباً وعجماً موالون لأعداء الإسلام من جميع الملل والنحل! يفتخرون بموالاتهم للأعداء! بل يتنافسون في القرب والدنو والتزلف في نصرة رؤوس الطواغيت المستكبرين المحاربين للإسلام! يتعاونون ويمدون الروس والأمريكان بالمعلومات لقصف وقتل المسلمين! كما في الشام وأفغانستان والعراق واليمن وليبيا وغيرها! ثم يتبجحون أنهم حكام مسلمون!

أحد هؤلاء الحكام يعلن بلا خجل! أنه ينسق مع الروس لقصف المسلمين بإدلب! ما ذنب هؤلاء المسلمين الذين يدافعون عن دينهم وأنفسهم وأعراضهم وأموالهم وبلادهم؟! (وما نقموا مهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد). وما نقموا منهم إلا أنهم لم يعطوا الدنية في دينهم!.

العجب العجاب! أن هؤلاء الحكام صدعوا رؤوس الأمة بأنهم مسلمون! والمشكلة في علماء السوء الذين لم يبينوا لهم أنهم قد نقضوا كلمة التوحيد، وخرجوا من الإسلام؛ جراء تلبسهم وإقرارهم بمظاهرة المشركين، ومعاونتهم بل وتحريضهم على المسلمين؛ بتمكينهم من بلاد الإسلام وتقديم التعاون الاستخباراتي؛ لقتل واغتيال قادة المجاهدين وجماهير غفيرة من المسلمين الأبرياء!.

اقترف حكام بلاد المسلمين موالاة تامة بتعاونهم ونصرتهم لأعداء الإسلام بفتح قواعد عسكرية، واستقدام جيوش جرارة تفتك بالمسلمين الأبرياء بلا رحمة!. فإن لم يكن حكم بلاد المسلمين من الخارجين عن الإسلام فمن يكون إذن؟!!

فما معنى الموالاة إذن؟! أليس من معاني الولاء؛ المحبة والنصر والقرب والاتباع والدنو! أليس من معاني الموالاة التقرب إلى الكفار وإظهار الاحترام والود لهم بالأقوال والأفعال

والنوايا؟! قال تعالى في محكم التنزيل (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين). المائدة آية٥١. الشاهد في قوله تعالى (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) فهذا مناط مكفر بذاته!. قال العلامة القرطبي "بين تعالى أن حكمه كحكمهم وهو يمنع إثبات الميراث للمسلم من المرتد (..) ثم هذا الحكم باق إلى يوم القيامة في قطع الموالاة. "أهـ

قد يقول قائل: هؤلاء الحكام يوالون أعداء الإسلام ويسارعون في نصرتهم والتعاون معهم لأنهم يخافون على بلادهم!!

لقد أجاب الله تعالى على هذا التبرير الساقط شرعاً بقوله تعالى: (فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين) المائدة آية ٥٢.

قال الحافظ ابن كثير: "أي يبادرون إلى موالاتهم ومودتهم في الباطن والظاهر (يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة) أي يتأولون في مودتهم وموالاتهم أنهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكافرين بالمسلمين فتكون لهم أياد عند اليهود والنصارى من المنافقين" أهـ

ورغم هذا الوضوح الجلي لا يزال هؤلاء الحكام يركنون إلى أعداء الإسلام! قال تعالى (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) هود آية ١١٣. وإلى هؤلاء الحكام الخائنين لدينهم وأمتهم؛ قال الله تعالى في أمثالهم (وبشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليما. الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين. أيبتغون عنهم العزة فإن العزة لله جميعا) النساء آية ١٣٨: ١٣٩.

قال العلامة أبو السعود في تفسيره: "(أيبتغون عندهم العزة) إنكار لرأيهم، وإبطال له وبيان لخيبة رجائهم، وقطع لأطماعهم الفارغة، أي يطلبون بموالاة الكفرة القوة والغلبة، فإن انحصار جميع أفراد العزة في جنابه عزَّ وجلَّ وعلا بحيث لا ينالها إلا أولياؤه الذين كتب لهم العزة والغلبة، قال تعالى: (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين)، واستحال الانتفاع بمن ينتفع بغير الله ورسوله والمؤمنين" أهـ.

## صفوة القول

حكام بلاد المسلمين موالون لأعداء الإسلام فهم منهم ومثلهم في الحكم الشرعي، فهم الوجه الآخر لأعداء الإسلام. الفارق أنهم عدو قريب من أصل مسلم، والأخرون عدو بعيد كافر أصلي! وهذا الحكم يشمل أيضاً كل من يدافع عن هؤلاء الحكام الطواغيت من؛ جيش شرطة قضاة إعلام شيوخ مؤسسات رسمية أو غير رسمية ويشمل كل من يدعو المسلمين بالرضا بهم وبقوانينهم المناقضة لشريعة الرحمن؛ فحكمهم حكم الطواغيت؛ فهم أنصاره وأعمدته الفقرية التي لولاهم ما بقي طاغوت في سدة الحكم.

لم يكتف حكام بلاد المسلمين بمؤامراتهم خفية على الإسلام وأهله! لم يكتف حكام بلاد المسلمين بتدمير حصون الإسلام من داخلها! بل أعلنوا موالاتهم جهرة لأعداء الإسلام!

لم يكتف حكام بلاد المسلمين بإذلال أهل الإسلام! أذلهم الله وسقاهم من طينة الخبال! لكن الله من ورائهم محيط؛ فقد كشف الله سوأتهم العقدية وفضح خبيئة من كان يستتر منهم بضجيج القول حول الإسلام المرضي عنه غربياً وحسب مقاييس العلمنة! هكذا يريد الحكام العبابيد المناكيد! يريدون إسلاماً منزوع العقيدة! إسلاماً منزوع الولاء والبراء! إسلاماً كسيحاً قعيداً! إسلاماً بلا إسلام! على أية حال قدرنا أن نعيش تلكم الحقبة المظلمة بفتنها المحيطة بأمتنا؛ لكننا لن نيأس (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون).. نعم! نحن على يقين بأن فرج الله قريب. (ولتعلمن نبأه بعد حين).

تاريخ ١٧ المحرم ١٤٣٩هـ ٧ أكتوبر ٢٠١٧

# يزيد بن معاوية وحكام عصرنا

د. هاني السباعي

**تقدمة:**

كتب السيد: محمد الشنقيطي مدير المركز الإسلامي في تكساس بأمريكا تعليقاً على تعقيب شاب جزائري كتب بتاريخ [١٨ أكتوبر ٢٠٠٢] يعاتب الأستاذ الدكتور محمد عباس على تشبيهه الحكام المعاصرين بيزيد بن معاوية.

ثم في العدد التالي مباشرة لجريدة الشعب بتاريخ [٢٠٠٢/١٠/٢٥م] كتب الأستاذ محمد الشنقيطي رداً على هذا الشاب المسكين حيث افتتح مقالته بقول الله تعالى {رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين}، ثم طفق يستعرض بعض أقوال علماء السنة في يزيد بن معاوية وخاصة استشهاده بكلام شيخ الإسلام ابن تيمية.

لكن الذي أثار حفيظتي طريقة السيد الشنقيطي وهو يمتطي قلمه مستعرضاً بهذه النتف التي ابتسرها من أقوال ابن تيمية وبعض المرويات المنسوبة للإمام أحمد حيث يقول: (استغربت تعليق أخينا من الجزائر الذي حاول الدفاع عن يزيد بن معاوية.. وكأنه لم يطلع على ما كتبه أعلام السنة!!).

فلما قرأت هذه العبارة حوقلت واسترجعت وقلت لنفسي: ليت الأستاذ الشنقيطي نقل كلام علماء أعلام السنة كاملاً.. لكنه للأسف نقلها على طريقة {فويل للمصلين}!!

ثم يقول أيضاً بقلم يقطر استعلاء وعنجهية علمية: (وهذه ظاهرة للأسف بين بعض الشباب المتدين الذين تصاغ أفكارهم من وراء ستار على أيدي الحكام الظلمة، الباحثين عن شرعية لظلمهم في التاريخ الإسلامي والشرع الإسلامي)!!

أقول: هؤلاء الشباب هم أكثر الناس فهما لطريقة السلف الصالح وهم أكثر الناس ولاء لدينهم وأكثرهم براءة من الحكام الظالمين الباحثين عن شرعية لظلمهم..

هؤلاء الشباب هم الذين قاموا بالواجب الشرعي يوم أن قعد الناس..

هؤلاء الشاب هم الذي كشفوا زيغ أدعياء السلفية الذين هم ركن ركين لهذه الأنظمة الخارجة عن شرع الله..

هؤلاء الشباب تجدهم بين طريد وسجين وقتيل.. سل قوافل الشهداء وهي تخرج من فم التنين!! من الذي جاء بها إلى هذ السلخانات حيث الهول والتعذيب..

صدق القائل: رمتني بدائها وانسلت!!

بعد هذه التقدمة، أود أن ألخص ردي عبر النقاط التالية:

أولاً: النصوص التي اعتمد عليها الشنقيطي.

ثانياً: ردي على الشنقيطي من خلال نقل أقوال علماء السنة وخاصة ابن تيمية من نفس المراجع التي اعتمد عليها الشنقيطي.

ثالثا: أقوال بعض علماء السنة في قضية يزيد بن معاوية.

رابعاً: **صفوة القول**.

أولاً: النصوص التي اعتمد عليها الشنقيطي:

ثم شرع الأستاذ الشنقيطي في حجته البالغة التي أراد بها أن يفحم أخانا الجزائري!! قائلاً: (وفيما يلي بعض الإيضاحات لفظائع يزيد ومكانته، لدى من لا يُتهمون بالتشيع أو التطاول على أهل الصدر الأول، عسى أن تكون فيها عبرة..

"قال صالح بن أحمد [بن حنبل]: قلت لأبي: إن قوما يقولون إنهم يحبون يزيد، فقال: يا بني، وهل يحب يزيد أحد يؤمن بالله واليوم الآخر؟" [١].

وقد رفض الإمام أحمد رواية الحديث عن يزيد لظلمه وجوره.

قال الحافظ ابن الجوزي: "أسند يزيد بن معاوية الحديث، فروى عن أبيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإسنادنا إليه متصل. غير أن الإمام أحمد سئل: أيُروى عن يزيد الحديث؟ فقال: لا ولا كرامة. فلذلك امتنعنا أن نسند إليه" [٢].

وزاد ابن تيمية: (قال: لا، ولا كرامة أوليس هو الذي فعل بأهل المدينة ما فعل؟) [٣].

وقال الحافظ الذهبي: "كان [يزيد] قويا شجاعا، ذا رأي وحزم، وفطنة وفصاحة، وله شعر جيد. وكان ناصبيا فظا غليظا جلفا، يتناول المسكر، ويفعل المنكر. افتتح دولته بمقتل الشهيد الحسين، واختتمها بواقعة الحرة. فمقته الناس ولم يبارَك في عمره، وخرج عليه غير واحد بعد الحسين، كأهل المدينة قاموا له، وكمرداس بن أدية الحنظلي البصري، ونافع بن الأزرق، وطواف بن معلى السدوسي، وابن الزبير بمكة" [٤].

ورغم امتناع أغلب علماء السنة من لعن المعين، تنزيها للسان عن فحشاء القول، فقد رأى بعض أهل العلم أن لا بأس بلعن يزيد بن معاوية "وهو رواية عن أحمد بن حنبل اختارها الخلال وأبو بكر عبد العزيز والقاضي أبو يعلى وابنه القاضي أبو الحسن. وانتصر لذلك أبو الفرج بن الجوزي في مصنف مفرد وجوز لعنته" [٥].

وممن نحوا هذا النحو أيضا "الكيا الهرَّاس" [٦].

ومستند هؤلاء أن يزيد داخل في أحاديث كثيرة وردت بلعن من آذى أهل المدينة.

ومنها قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"من أخاف أهل المدينة ظلما أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدل"[٧].

"اللهم من ظلم أهل المدينة وأخافهم فأخفْه، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه صرف ولا عدل" [٨].

"من أخاف أهل المدينة فقد أخاف ما بين جنبيَّ" [٩].

"اللهم اكفهم من دهمهم ببأس – يعني أهل المدينة – ولا يريدها أحد إلا أذابه الله كما يذوب الملح في الماء" [١٠].

وقد استباح يزيد مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ( فصار عسكره في المدينة ثلاثا، يقتلون وينهبون، ويفتضون الفروج المحرمة.

ثم أرسل جيشا إلى مكة المشرفة، فحاصروا مكة، وتوفي يزيد وهم محاصرون مكة، وهذا من العدوان والظلم الذي فُعل بأمره) [١١].

أقول: كانت هذه أقوال بعض العلماء التي ذكرها الأستاذ محمد الشنقيطي..

ثم أنتقل الآن إلى الرد على هذه الفقرات...

ثانياً: ردي على الشنقيطي من خلال نقل أقوال علماء السنة وخاصة ابن تيمية من نفس المراجع التي اعتمد عليها الشنقيطي:

(أ): كلام ابن تيمية من مجموع الفتاوى: " افترق الناس في يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ثلاث فرق: طرفان ووسط: فأحد الطرفين قالوا: إنه كان كافرًا منافقًا، وأنه سعى في قتل سبط رسول اللّه، تَشَفِّيًا من رسول اللّه صلى الله عليه وسلم، وانتقامًا منه، وأخذًا بثأر جده عتبة، وأخي جده شيبة، وخاله الوليد بن عتبة، وغيرهم ممن قتلهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بيد علي بن أبي طالب وغيره يوم بدر وغيرها، وقالوا: تلك أحقاد بدرية، وآثار جاهلية، وأنشدوا عنه:

لما بدت تلك الحمول وأشرفت ** تلك الرؤوس على ربي

جيرون نعق الغراب، فقلت نح أولا تنح ** فلقد قضيت من النبي ديوني

وقالوا: إنه تمثل بشعر ابن الزِّبَعْرى الذي أنشده يوم أحد:

ليت أشياخي ببدر شهدوا ** جزع الخزرج من وقع الأسل

قد قتلنا الكثير من أشياخهم ** وعدلناه ببدر فاعتدل

وأشياء من هذا النمط. وهذا القول سهل على الرافضة الذين يكفرون أبا بكر، وعمر، وعثمان، فتكفير يزيد أسهل بكثير.

والطرف الثاني: يظنون أنه كان رجلًا صالحًا وإمام عدل، وأنه كان من الصحابة الذين ولدوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وحمله على يديه وبرَّك عليه، وربما فضله بعضهم على أبي بكر وعمر، وربما جعله بعضهم نبيًا، ويقولون عن الشيخ عدي، أو حسن المقتول كذبًا عليه: إن سبعين وليًا صرفت وجوههم عن القبلة لتوقفهم في يزيد.

وهذا قول غالية العدوية والأكراد ونحوهم من الضلال، فإن الشيخ عديًا كان من بني أمية، وكان رجلًا صالحًا عابدًا فاضلًا، ولم يحفظ عنه أنه دعاهم إلا إلى السنة التي يقولها غيره كالشيخ أبي الفرج المقدسي، فإن عقيدته موافقة لعقيدته، لكن زادوا في السنة أشياء كذب وضلال، من الأحاديث الموضوعة والتشبيه الباطل، والغلو في الشيخ عدي وفي يزيد، والغلو في ذم الرافضة، بأنه لا تقبل لهم توبة، وأشياء أخر.

وكلا القولين ظاهر البطلان عند من له أدنى عقل وعلم بالأمور وسير المتقدمين؛ ولهذا لا ينسب إلى أحد من أهل العلم المعروفين بالسنة، ولا إلى ذي عقل من العقلاء الذين لهم رأي وخبرة.

والقول الثالث: أنه كان ملكًا من ملوك المسلمين، له حسنات وسيئات، ولم يولد إلا في خلافة عثمان، ولم يكن كافرا، ولكن جرى بسببه ما جرى من مصرع الحسين، وفعل ما فعل بأهل الحرة، ولم يكن صاحبًا ولا من أولياء اللّه الصالحين، وهذا قول عامة أهل العقل والعلم والسنة والجماعة.

ثم افترقوا ثلاث فرق: فرقة لعنته، وفرقة أحبته، وفرقة لا تسبه ولا تحبه، وهذا هو المنصوص عن الإمام أحمد، وعليه المقتصدون من أصحابه وغيرهم من جميع المسلمين" [١٢].

أما عن رواية الإمام أحمد التي يستند إليها الشنقيطي.. من أن الإمام أحمد نهى أن يكتب عن يزيد بن معاوية الحديث لأنه فعل بأهلها ما فعل.. فما علاقة ذلك برواية الحديث؟

فالإمام أحمد لم يكن يكتب الحديث عن بعض أهل العلم والورع نظراً لمخالفتهم لشروطه التي اشترطها على نفسه.. بل إن سؤال صالح بن الإمام أحمد (هل يذكر عنه الحديث؟) يدل على أنهم جميعاً لم يكفروه وكانوا مختلفين في رواية الحديث عنه.

ورغم ذلك يقول ابن تيمية: " قال صالح بن أحمد: قلت لأبي: إن قومًا يقولون: إنهم يحبون يزيد، فقال: يا بني، وهل يحب يزيد أحد يؤمن باللّه واليوم الآخر؟ فقلت: يا أبت، فلماذا لا تلعنه؟ فقال: يا بني، ومتى رأيت أباك يلعن أحدًا.

وقال مهنا: سألت أحمد عن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان. فقال: هو الذي فعل بالمدينة ما فعل. قلت: وما فعل؟ قال: قتل من أصحاب رسول اللّه صلى الله عليه وسلم وفعل. قلت: وما فعل؟ قال: نهبها. قلت: فيذكر عنه الحديث؟ قال: لا يذكر عنه حديث.

وهكذا ذكر القاضي أبو يعلى وغيره. وقال أبو محمد المقدسي لما سئل عن يزيد: فيما بلغني لا يُسَبّ ولا يُحَبّ.

وبلغني أيضًا أن جدنا أبا عبد اللّه بن تيمية سئل عن يزيد. فقال: لا تنقص ولا تزيد. وهذا أعدل الأقوال فيه وفي أمثاله وأحسنها" [١٣].

مسألة سب ولعن يزيد:

يقول ابن تيمية: " أما ترك سبه ولعنته، فبناء على أنه لم يثبت فسقه الذي يقتضي لعنه، أو بناء على أن الفاسق المعين لا يلعن بخصوصه، إما تحريمًا، وإما تنزيهًا.

فقد ثبت في صحيح البخاري عن عمر في قصة (حمار) الذي تكرر منه شرب الخمر وجلده لما لعنه بعض الصحابة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تلعنه، فإنه يحب اللّه ورسوله) وقال: (لَعْنُ المؤمِن كقتله). متفق عليه.

هذا مع أنه قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لعن الخمر وشاربها، فقد ثبت أن النبي لعن عمومًا شارب الخمر، ونهى في الحديث الصحيح عن لعن هذا المعين.

وهذا كما أن نصوص الوعيد عامة في أكل أموال اليتامى، والزاني، والسارق، فلا نشهد بها عامة على معين بأنه من أصحاب النار؛ لجواز تخلف المقتضَى عن المقتضِي لمعارض راجح؛ إما توبة، وإما حسنات ماحية، وإما مصائب مكفرة، وإما شفاعة مقبولة، وإما غير ذلك كما قررناه في غير هذا الموضع، فهذه ثلاثة مآخذ.

ومن اللاعنين من يرى أن ترك لعنته مثل ترك سائر المباحات من فضول القول، لا لكراهة في اللعنة. وأما ترك محبته، فلأن المحبة الخاصة إنما تكون للنبيين،

والصديقين، والشهداء والصالحين، وليس واحدًا منهم، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (المرء مع من أحب).. ومن آمن باللّه واليوم الآخر، لا يختار أن يكون مع يزيد، ولا مع أمثاله من الملوك، الذين ليسوا بعادلين.

ولترك المحبة مأخذان: أحدهما: أنه لم يصدر عنه من الأعمال الصالحة ما يوجب محبته، فبقى واحدًا من الملوك المسلطين، ومحبة أشخاص هذا النوع ليست مشروعة، وهذا المأخذ، ومأخذ من لم يثبت عنده فسقه اعتقد تأويلًا.

والثاني: أنه صدر عنه ما يقتضي ظلمه وفسقه في سيرته، وأمر الحسين وأمر أهل الحرة.

وأما الذين لعنوه من العلماء كأبي الفرج ابن الجوزي، والكيا الهراس وغيرهما، فلما صدر عنه من الأفعال التي تبيح لعنته، ثم قد يقولون: هو فاسق، وكل فاسق يلعن.

وقد يقولون بلعن صاحب المعصية وإن لم يحكم بفسقه، كما لعن أهل صفين بعضهم بعضًا في القنوت، فلعن علي وأصحابه في قنوت الصلاة رجالًا معينين من أهل الشام؛ وكذلك أهل الشام لعنوا، مع أن المقتتلين من أهل التأويل السائغ العادلين، والباغين لا يفسق واحد منهم، وقد يلعن لخصوص ذنوبه الكبار، وإن كان لا يعلن سائر الفساق، كما لعن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم أنواعًا من أهل المعاصي، وأشخاصًا من العصاة، وإن لم يلعن جميعهم، فهذه ثلاثة مآخذ للعنته" [١٤].

### أما الذين يرون حب يزيد:

يقول عنهم ابن تيمية: "وأما الذين سوغوا محبته أو أحبوه، كالغزالي، والدستي فلهم مأخذان:

أحدهما: أنه مسلم ولي أمر الأمة على عهد الصحابة وتابعه بقاياهم، وكانت فيه خصال محمودة، وكان متأولًا فيما ينكر عليه من أمر الحرة وغيره، فيقولون: هو مجتهد مخطئ، ويقولون: إن أهل الحرة هم نقضوا بيعته أولًا، وأنكر ذلك عليهم ابن عمر وغيره، وأما قتل الحسين فلم يأمر به ولم يرض به، بل ظهر منه التألم لقتله، وذم من قتله، ولم يحمل الرأس إليه، وإنما حمل إلى ابن زياد.

والمأخذ الثاني: أنه قد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عمر؛ أن رسول اللّه صلى الله عليه وسلم قال: (أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور له) وأول جيش غزاها كان أميره يزيد.

والتحقيق أن هذين القولين يسوغ فيهما الاجتهاد؛ فإن اللعنة لمن يعمل المعاصي مما يسوغ فيها الاجتهاد، وكذلك محبة من يعمل حسنات وسيئات، بل لا يتنافى عندنا أن يجتمع في الرجل الحمد والذم، والثواب والعقاب، كذلك لا يتنافى أن يصلى عليه ويدعى له، وأن يلعن ويشتم أيضًا باعتبار وجهين. فإن أهل السنة متفقون على أن فساق أهل الملة وإن دخلوا النار، أو استحقوا دخولها فإنهم لابد أن يدخلوا الجنة، فيجتمع فيهم الثواب والعقاب، ولكن الخوارج والمعتزلة تنكر ذلك، وترى أن من استحق الثواب لا يستحق العقاب، ومن استحق العقاب لا يستحق الثواب.

والمسألة مشهورة، وتقريرها في غير هذا الموضع" [١٥].

سؤال الوزير المغولي لابن تيمية عن يزيد: " وبذلك أجبت مقدم المغل بولاي؛ لما قدموا دمشق في الفتنة الكبيرة، وجرت بيني وبينه وبين غيره مخاطبات، فسألني فيما سألني: ما تقولون في يزيد؟ فقلت: لا نسبه ولا نحبه، فإنه لم يكن رجلًا صالحًا فنحبه، ونحن لا نسب أحدًا من المسلمين بعينه، فقال: أفلا تلعنونه؟ أما كان ظالمًا؟

أما قتل الحسين؟ فقلت له: نحن إذا ذكر الظالمون كالحجاج بن يوسف وأمثاله نقول كما قال اللّه في القرآن: (ألا لعنة الله على الظالمين) ولا نحب أن نلعن أحدًا بعينه، وقد لعنه قوم من العلماء، وهذا مذهب يسوغ فيه الاجتهاد، لكن ذلك القول أحب إلينا وأحسن. وأما من قتل الحسين أو أعان على قتله، أو رضى بذلك، فعليه لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل اللّه منه صَرْفًا ولا عَدْلًا.

قال: فما تحبون أهل البيت؟

قلت: محبتهم عندنا فرض واجب يؤجر عليه، فإنه قد ثبت عندنا في صحيح مسلم عن زيد بن أرقم قال: خطبنا رسول اللّه صلى الله عليه وسلم بغَدِير يدعى:

خمّا، بين مكة والمدينة فقال: (أيها الناس، إني تارك فيكم الثقلين كتاب اللّه)، فذكر كتاب اللّه وحض عليه، ثم قال: (وعِتْرَتِي أهل بيتي، أذكركم اللّه في أهل بيتي، أذكركم اللّه في أهل بيتي).

قلت لمقدم: ونحن نقول في صلاتنا كل يوم: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

قال مقدم: فمن يبغض أهل البيت؟

قلت: من أبغضهم فعليه لعنة اللّه والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل اللّه منه صرفًا ولا عدلا.

ثم قلت للوزير المغولي: لأي شئ قال عن يزيد وهذا تتريٌّ؟

قال: قد قالوا له: إن أهل دمشق نواصب.

قلت بصوت عال: يكذب الذي قال هذا، ومن قال هذا، فعليه لعنة اللّه، واللّه ما في أهل دمشق نواصب، وما علمت فيهم ناصبيًا، ولو تنقص أحد عليا بدمشق، لقام المسلمون عليه، لكن كان قديمًا لما كان بنو أمية ولاة البلاد بعض بني أمية ينصب العداوة لعليّ ويسبه، وأما اليوم فما بقي من أولئك أحد" [١٦].

أقول: اكتفينا بهذا المقدار من نقل كلام ابن تيمية من مجموع الفتاوى الكبرى ليستقيم النص المنقول كاملاً أمام القارئ وليعلم عدم انضباط الأستاذ الشنقيطي بالمنهج العلمي السليم في نقل أقوال العلماء.

وها نحن أولاً ننتقل إلى مرجع آخر استند إليه الأستاذ الشنقيطي وهو كتاب منهاج السنة لابن تيمية سننقل منه مثلما نقل لتستقيم الفكرة لدى القارئ المقارن للمقالتين أو للنقلين:

(ب): كلام ان تيمية من منهاج السنة:

كان ابن تيمية يجيب في هذا الكتاب على كتاب منهاج الكرامة لابن المطهر الحلي الفقيه الشيعي الشهير المتوفى سنة ٧٢٦هـ أي قبل وفاة ابن تيمية بسنتين..

وقد ذكر ابن المطهر شبهات كثيرة يهاجم فيها أهل السنة مما دفع ابن تيمية للرد عليه وكان من ضمن الشبهات موضوع بيعة يزيد بن معاوية ولعنه واستدلال ابن المطهر لحديث الإمام أحمد المذكور مع تحريف في النص.

والعجيب أن الشنقيطي سار على نهج ابن المطهر الحلي وأغفل إجابة ابن تيمية رغم أنه ينتسب إلى هذا التيار السلفي الذي يزعم اتباعه لمدرسة ابن تيمية وليس هذا فحسب بل إنه أغفل ردود ابن تيمية على دعاوى ابن المهر من سبي أهل المدينة واستباحة فروج العفيفات.

وبعد هذا التنبيه نرجع إلى ما قاله ابن تيمية في منهاج السنة:

القول في لعن يزيد بن معاوية:

"القول في لعنة يزيد كالقول في لعنة أمثاله من الملوك الخلفاء وغيرهم، ويزيد خيرٌ من غيره: خيرٌ من المختار بن أبي عبيد الثقفي أمير العراق، الذي أظهر الانتقام من قتلة الحسين؛ فإن هذا ادعى أن جبريل يأتيه. وخير من الحجاج بن يوسف؛ فإنه أظلم من يزيد باتفاق الناس.

ومع هذا فيُقال: غاية يزيد وأمثاله من الملوك أن يكونوا فساقاً، فلعنة الفاسق المعيّن ليست مأموراً بها، إنما جاءت السنة بلعنة الأنواع، كقول النبي صلى الله عليه وسلم: (لعن الله السارق؛ يسرق البيضة فتقطع يده).

وقوله: (لعن الله من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً).

وقوله (لعن الله آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه) وقوله: (لعن الله المحلل والمحلل له).

(ولعن الله الخمر وعاصرها ومعتصرها، وحاملها والمحمولة إليه، وساقيها، وشاربها، وآكل ثمنها)." [١٧].

اختلاف العلماء في لعن الفاسق المعين:

يقول ابن تيمية: "وقد تنازع الناس في لعنة الفاسق المعيّن؛ فقيل: إنه جائز، كما قال ذلك طائفة من أصحاب أحمد وغيرهم، كأبي الفرج بن الجوزي وغيره.

وقيل: إنه لا يجوز، كما قال ذلك طائفة أخرى من أصحاب أحمد وغيرهم، كأبي بكر عبد العزيز وغيره. والمعروف عن أحمد كراهة لعن المعين، كالحجاج بن يوسف وأمثاله، وأن يقول كما قال الله تعالى: (ألا لعنة الله على الظالمين).

وقد ثبت في صحيح البخاري أن رجلاً كان يدعى حماراً، وكان يشرب الخمر، وكان يؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه، فأُتي به إليه، فقال رجل: لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به إلى النبي صلى الله عليه وسلم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لا تلعنه، فإنه يحب الله ورسوله).

فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن لعنة هذا المعين الذي كان يكثر شرب الخمر معللاً ذلك بأنه يحب الله ورسوله، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن شارب الخمر مطلقاً، فدل ذلك على أنه يجوز أن يُلعن المطلق ولا تجوز لعنة المعيَّن الذي يحب الله ورسوله).

ومن المعلوم أن كل مؤمن فلا بد أن يحب الله ورسوله، ولكن في المظهرين للإسلام من هم منافقون، فأولئك ملعونون لا يحبون الله ورسوله، ومن علم حال الواحد من هؤلاء لم يصل عليه إذا مات، لقوله تعالى: (ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره)" [١٨].

هل يجتمع في حق الشخص الواحد ثواب وعقاب:

يقول ابن تيمية: "ومن جوّز من أهل السنة والجماعة لعنة الفاسق المعين؛ فإنه يقول: يجوز أن أصلي عليه وأن ألعنه، فإنه مستحق للثواب، مستحق للعقاب، فالصلاة عليه لاستحقاقه الثواب، واللعنة له لاستحقاقه العقاب.

واللعنة البعد عن الرحمة، والصلاة عليه سبب للرحمة، فيُرحم من وجه، ويبعد عنها من وجه.

وهذا كله على مذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وسائر أهل السنة والجماعة، ومن يدخل فيهم من الكرّامية والمرجئة والشيعة، ومذهب كثير من الشيعة الإمامية وغيرهم، الذين يقولون: إن الفاسق لا يخلد في النار.

وأما من يقول بتخليده في النار كالخوارج والمعتزلة وبعض الشيعة، فهؤلاء عندهم لا يجتمع في حق الشخص الواحد ثواب وعقاب" [١٩].

ويصل ابن تيمية إلى بيت القصيد قائلاً: "وقد استفاضت السنة النبوية بأنه يخرج من النار قوم بالشفاعة، ويخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

وعلى هذا الأصل فالذي يجوّز لعنة يزيد وأمثاله يحتاج إلى شيئين: إلى ثبوت أنه كان من الفساق الظالمين الذين تباح لعنتهم، وأنه مات مصراً على ذلك.

والثاني: أن لعنة المعيّن من هؤلاء جائزة.

والمنازع يطعن في المقدمتين، ولا سيما الأولى" [٢٠].

ويتكلم ابن تيمية عن الاحتجاج بآية سورة هود قائلاً: "فأما قوله تعالى: (ألا لعنة الله على الظالمين) فهي آية عامة كآيات الوعيد، بمنزلة قوله تعالى: (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً).

وهذا يقتضي أن هذا الذنب سبب اللعن والعذاب، ولكن قد يرتفع موجبه لمعارض راجح: إما توبة، وإما حسنات ماحية، وإما مصائب مكفرة.

فمن أين يعلم الإنسان أن يزيد أو غيره من الظلمة لم يتب من هذه؟ أو لم تكن له حسنات ماحية تمحو ظلمه؟ ولم يبتل بمصائب تكفِّر عنه؟ وأن الله لا يغفر له ذلك مع قوله تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء).

وقد ثبت في صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أول جيش يغزو القسطنطينية مغفورلهم). وأول جيش غزاها كان أميرهم يزيد، والجيش عدد معين لا مطلق، وشمول المغفرة لآحاد هذا الجيش أقوى من شمول اللعنة لكل واحد من الظالمين، فإن هذا أخصّ، والجيش معيّنون.

ويقال: إن يزيد غزا القسطنطينية لأجل هذا الحديث.

ونحن نعلم أم أكثر المسلمين لا بد لهم من ظلم، فإن فتح هذا الباب ساغ أن يُلعن أكثر موتى المسلمين. والله تعالى أمر بالصلاة على موتى المسلمين، ولم يأمر بلعنتهم" [٢١].

تعليق ابن تيمية على رواية الإمام أحمد: "وأما ما نقله (يقصد ابن المطهر الحلي) عن أحمد، فالمنصوص الثابت عنه من رواية صالح أنه قال: ومتى رأيت أباك يلعن أحداً؟ لما قيل له: ألا تلعن يزيد؟ فقال: ومتى رأيت أباك يلعن أحد؟ وثبت عنه أن الرجل إذا ذكر الحجاج ونحوه من الظلمة وأراد أن يلعن يقول: ألا لعنة الله على الظالمين، وكره أن يُلعن المعين باسمه.

ونُقلت عنه رواية في لعنة يزيد وأنه قال: ألا ألعن من لعنه الله، واستدل بالآية، لكنها رواية منقطعة ليست ثابتة عنه.

والآية لا تدل على لعن المعيّن، ولو كان كل ذنب لُعن فاعله يلعن المعين الذي فعله للعن جمهور الناس. وهذا بمنزلة الوعيد المطلق، لا يستلزم ثبوته في حق المعين إلا إذا وجدت شروطه وانتفت موانعه وهكذا اللعن وهذا بتقدير أن يكون يزيد فعل ما يقطع به الرحم.

ثم إن هذا تحقق في كثير من بني هاشم الذين تقاتلوا من العباسيين والطالبيين. فهل يلعن هؤلاء كلهم، وكذلك من ظلم قرابة له لا سيما وبينه وبينه عدة آباء. أيلعنه بعينه؟

ثم إذا لُعن هؤلاءِ لعن كل من شمله ألفاظه وحينئذ فيلعن جمهور المسلمين.

وقوله تعالى: (فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم. أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم). وعيد عام في حق كل من فعل ذلك، وقد فعل بنو هاشم بعضهم ببعض أعظم مما فعل يزيد.

فإن قيل: بموجب هذا لعن ما شاء الله من بني هاشم: العلويين والعباسيين وغيرهم من المؤمنين" [٢٢].

الحافظ أبو الفرج الجوزي أباح لعن يزيد:

يقول ابن تيمية: "وأما أبو الفرج بن الجوزي، فله كتاب في إباحة لعنة يزيد، ورد فيه على الشيخ عبد المغيث الحربي؛ فإنه كان ينهى عن ذلك.

وقد قيل: إن الخليفة الناصر لما بلغه نهي الشيخ عبد المغيث عن ذلك قصده وسأله عن ذلك وعرف عبد المغيث أنه الخليفة، ولم يُظهر أنه يعلمه فقال: يا هذا أنا قصدي كف ألسنة الناس عن لعنة خلفاء المسلمين وولاتهم، وإلا فتحنا هذا الباب لكان خليفة وقتنا أحق باللعن؛ فإنه يفعل أموراً منكرة أعظم مما فعله يزيد؛ فإن هذا يفعل كذا وكذا. وجعل يعدد مظالم الخليفة، حتى قال له: ادع لي يا شيخ، وذهب" [٢٣].

أقول: الحافظ عبد المغيث الحربي قد خرج بنتيجة تخالف التي وصل إليه الأستاذ الشنقيطي، وذلك من خلال رده على الخليفة: (وإلا فتحنا هذا الباب لكان خليفة وقتنا أحق باللعن؛ فإنه يفعل أموراً منكرة أعظم مما فعله يزيد)!!

بالطبع هذا الخليفة كان يحكم بشرع الله ولم يكن يدور في خلدهم أن يحكموا بقوانين وضعية من أدمغة البشر!!

أما الأستاذ الشنقيطي فيدافع عن حكام عصرنا الخارجين على الشريعة الذين غيروا وبدلوا شريعة الإسلام بقوانين من صنع البشر، بل وقدسوها وحاربوا أهل الإسلام من أجل هذه القوانين التي تنازع الله في حكمه..

هؤلاء الحكام الذين باعوا البلاد للصليبيين في جزيرة العرب وعلى مقربة من أقدس المقدسات عند المسلمين..

هؤلاء الحكام الذين يأتمرون بأمر أعداء الأمة هم في نظر الأستاذ الشنقيطي أفضل من يزيد بن معاوية!!

فلأول مرة نجد هذا الفقه الجديد: الحاكم المرتد أفضل من الحاكم المسلم الفاسق!!!

عود إلى حكاية الحافظ عبد المغيث:

وإذا أراد الأستاذ الشنقيطي المزيد فليرجع إلى ما ذكره ابن رجب في الذيل على طبقات الحنابلة للقاضي أبي الحسين بن أبي يعلى في ترجمة العلامة الزاهد ابن عبد المغيث وخلافه مع العلامة ابن الجوزي: "عبد المغيث بن زهير بن علوي الحربي، المحدث الزاهد، أبو العز بن أبي الحرب. (..) وكان صالحاً متديناً، صدوقاً أميناً، حسن الطريقة، جميل السيرة، حميد الأخلاق مجتهداً في اتباع السنة والآثار، منظوراً إليه بعين الديانة والأمانة. وجمع وحدث، ولم يزل يفيد الناس إلى حين وفاته، وبورك له حتى حدث بجميع مروياته ومسع منه الكبار (..) وقال ابن القطيعي: كان أحد المحدثين مع صلابته في الدين، واشتهاره بالسنة وقراءة القرآن. وجرت بينه وبين صاحب المنتظم - يعني: أبا الفرج بن الجوزي -نفرة كان سببها الطعن على يزيد بن معاوية. وكان عبد المغيث يمنع من سبه. وصنف في ذلك كتاباً، وأسمعه. وصنف الآخر كتاباً سماه (الرد على المتعصب العنيد، المانع من ذم يزيد) وقرأته عليه، ومات عبد المغيث وهما متهاجران" [٢٤].

يعلق المصنف على ما ذكره ابن القطيعي قائلاً: "هذه المسألة وقع بين عبد المغيث وابن الجوزي بسببها فتنة، ويقال: إن عبد المغيث تتبع أبا الحسن بن البنا، فقيل: إنه صنف في منع ذم يزيد ولعنه، وابن الجوزي صنف في جواز ذلك. وحكى فيه: أن القاضي أبا الحسن صنف كتاباً فيمن يستحق اللعن، وذكر منهم يزيد، وذكر كلام أحمد في ذلك.

وكلام أحمد إنما فيه لعن الظالمين جملة، ليس فيه تصريح بجواز لعن يزيد معيناً. وقد ذكر القاضي في المعتمد: نصوص الإمام أحمد في هذه المسألة، وأشار إلى أن فيها خلافاً عنه" [٢٥].

أما عن رأي ابن الجوزي في الشيخ عبد المغيث:

"قال ابن الصيرفي: ولقد حكى لي شيخنا محب الدين أبو البقاء: أن الشيخ جمال الدين بن الجوزي كان يقول: إني لأرجو من الله سبحانه أن أجتمع أنا وعبد

المغيث في الجنة. قال: وهذا يدل على أنه كان يعلم أن الشيخ عبد المغيث من عباد الله الصالحين، فرحمة الله عليهما"[٢٦].

أقول: ذكر ابن مفلح ثناء العلماء على الحافظ عبد المغيث قائلاً: "عبد المغيث بن زهير بن علوى الحربي المحدث لصاحب أبو العز سمع من أبي القاسم بن الحصين وأبي غالب والقاضي أبي بكر الأنصاري وخلق وعنى بهذا الشأن وقرأ على المشايخ وكتب بخطه وحصل الأصول وتفقه على القاضي أبي يعلى وكان صالحا متدينا صدوقا أمينا حسن الطريقة جميل السيرة حميد الأخلاق مجتهدا في اتباع السنة والآثار جمع وصنف وحدث ولم يزل يفيد الناس إلى حين وفاته وبورك له حتى حدث بجميع مروياته وسمع منه الكبار وأثنى عليه الأئمة منهم المنذرى وابن القطيعى ووقع بينه وبين ابن الجوزي نفرة بسبب الطعن على يزيد بن معاوية فإن عبد المغيث كان يمنع من سبه وصنف في ذلك مصنفا وأسمعه وصنف ابن الجوزي مصنفا وسماه الرد على المتعصب العنيد المانع من ذم يزيد وقرئ عليه ومات الشيخ عبد المغيث وهما متهاجران وللشيخ عبد المغيث تصنيف في حياة الخضر في خمسة أجزاء وله كتاب الدليل الواضح في النهى عن ارتكاب الهوى الفاضح يشتمل على تحريم الغناء وآلات اللهو توفي ليلة الأحد ثالث عشر المحرم سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وكانت جنازته مشهورة ودفن بدكة قبر الإمام أحمد مع الشيوخ الكبار" [٢٧].

قصة سبي نساء الحسين رضي الله عنه وسبي بني هاشم:

ذكر الأستاذ الشنقيطي قصة استباحة جنود المدينة المنورة وقال (ويفتضون الفروج المحرمة) بدون أن يذكر رأي علماء الجرح والتعديل في هذا الشأن ودون أن يذكر حتى رأي ابن تيمية الذي نقل عنه هذه الرواية!!

وها نحن أولاء نذكر له ما قاله ابن تيمية في منهاج السنة: "وأما ما ذكره (يقصد ابن المطهر الحلي) من سبي نسائه والذراري، والدوران بهم في البلاد، وحملهم على الجمال بغير أقتاب، فهذا كذب وباطل؛ ما سبى المسلمون ولله الحمد هاشمية قط، ولا استحلت أمة محمد صلى الله عليه وسلم سبي بني هاشم قط، ولكن أهل الهوى

والجهل يكذبون كثيراً، كما تقول طائفة منهم: إن الحجاج قتل الأشراف، يعنون بني هاشم.

وبعض الوعاظ وقع بينه وبين بعض من كانوا يدّعون أنهم علويون، ونسبهم مطعون فيه، فقال رجل على منبره: إن الحجاج قتل الأشراف كلهم، فلم يبق لنسائهم رجل، فمكنوا منهن رجالاً، فهؤلاء من أولاد أولئك.

وهذا كله كذب؛ فإن الحجاج لم يقتل من بني هاشم أحداً قط، مع كثرة قتله لغيرهم، فإن عبد الملك أرسل إليه يقول له: إياك وبني هاشم أن تتعرض لهم، فقد رأيت بني حرب لما تعرضوا للحسين أصابهم ما أصابهم. أو كما قال.

ولكن قتل الحجاج كثيراً من أشراف العرب، أي سادات العرب، ولما سمع أنه قتل الأشراف وفي لغته أن الأشراف هم الهاشميون أو بعض الهاشميين، ففي بعض البلاد أن الأشراف عندهم ولد العباس، وفي بعضها ولد علي.

ولفظ الأشراف لا يتعلق به حكم شرعي، وإنما الحكم يتعلق ببني هاشم، كتحريم الصدقة، وأنهم آل محمد صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك (..) وفي الجملة فما يعرف في الإسلام أن المسلمين سبوا امرأة يعرفون أنها هاشمية، ولا سبي عيال الحسين، بل لما دخلوا إلى بيت يزيد قامت النياحة في بيته، وأكرمهم وخيّرهم بين المقام عنده والذهاب إلى المينة، فاختاروا الرجوع إلى المينة، ولا طيف برأس الحسين. وهذه الحوادث فيها من الأكاذيب ما ليس هذا بسطه" [٢٨].

لكن هل يرضى مسلم بقتل الحسين رضي الله عنه:

يقول ابن تيمية: "فلا ريب أن قتل الحسين من أعظم الذنوب، وأن فاعل ذلك والراضي به والمعين عليه مستحق لعقاب الله الذي يستحقه أمثاله، لكن قتله ليس بأعظم من قتل من هو أفضل منه من النبيين، والسابقين الأولين، ومن قتل في حرب مسيلمة، وكشهداء أحد، والذين قتلوا ببئر معونة، وكقتل عثمان، وقتل علي، ولا سيما والذين قتلوا أباه علياً كانوا يعتقدونه كافراً مرتداً، وأن قتله من أعظم القربات، بخلاف

الذين قتلوا الحسين؛ فإنهم لم يكونوا يعتقدون كفره، وكان كثير منهم أو أكثرهم يكرهون قتله، ويرونه ذنباً عظيماً، لكنهم قتلوه لغرضهم، كما يقتل الناس بعضهم بعضاً على الملك.

وبهذا وغيره يتبين أن كثيراً مما روى في ذلك كذب مثل كون السماء أمطرت دماً، فإن هذا ما وقع قط في قتل أحد، ومثل كون الحمة ظهرت في السماء يوم قتل الحسين ولم تظهر قبل ذلك؛ فإن هذا من الترهات، فما زالت الحمرة تظهر ولها سبب طبيعي من جهة الشم فهي بمنزلة الشفق.

وكذلك قول القائل: (إنه ما رفع حجر في الدنيا إلا وجد تحته دم عبيط). وهو أيضا كذب بين" [٢٩].

الحافظ ابن كثير يرد على أصحاب الأهواء:

" فكل مسلم ينبغي له أن يحزنه قتله رضي الله عنه، فإنه من سادات المسلمين، وعلماء الصحابة، وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التي هي أفضل بناته، وقد كان عابداً وشجاعاً وسخياً، ولكن لا يحسن ما يفعله الشيعة من إظهار الجزع والحزن الذي لعل أكثره تصنع ورياء.

وقد كان أبوه أفضل منه فقتل، وهم لا يتخذون مقتله مأتماً كيوم مقتل الحسين، فإن أباه قتل يوم الجمعة وهو خارج إلى صلاة الفجر في السابع عشر من رمضان سنة أربعين، وكذلك عثمان كان أفضل من علي عند أهل السنة والجماعة. وقد قتل وهو محصور في داره في أيام التشريق من شهر ذي الحجة سنة ست وثلاثين، وقد ذبح من الوريد إلى الوريد، ولم يتخذ الناس يوم قتله مأتماً.

وكذلك عمر بن الخطاب وهو أفضل من عثمان وعلي، قتل وهو قائم يصلي في المحراب صلاة الفجر ويقرأ القرآن، ولم يتخذ الناس يوم قتله مأتماً.

وكذلك الصديق كان أفضل منه ولم يتخذ الناس يوم وفاته مأتماً، ورسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم في الدنيا والآخرة، وقد قبضه الله إليه كما مات الأنبياء

قبله، ولم يتخذ أحد يوم موتهم مأتماً يفعلون فيه ما يفعله هؤلاء الجهلة من الرافضة يوم مصرع الحسين.

ولا ذكر أحد أنه ظهر يوم موتهم وقبلهم شيء مما ادعاه هؤلاء يوم مقتل الحسين من الأمور المتقدمة، مثل كسوف الشمس والحمرة التي تطلع في السماء، وغير ذلك.

وأحسن ما يقال عند ذكر هذه المصائب وأمثالها ما رواه علي بن الحسين: عن جده رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ما من مسلم يصاب بمصيبة فيتذكرها وإن تقادم عهدها فيحدث لها استرجاعاً إلا أعطاه الله من الأجر مثل يوم أصيب منها) رواه الإمام أحمد وابن ماجه" [٣٠].

الأحاديث التي وردت في ذم يزيد:

يقول ابن كثير: "وقد أورد ابن عساكر أحاديث في ذم يزيد بن معاوية كلها موضوعة لا يصح شيء منها، وأجود ما ورد ما ذكرناه على ضعف أسانيده وانقطاع بعضه والله أعلم" [٣١].

رواية أن ابن كثير لعن يزيد بن معاوية:

نذكر أصل الرواية من البداية والنهاية يقول الحافظ ابن كثير: "وأما ما يوردونه عنه من الشعر في ذلك واستشهاده بشعر ابن الزبعرى في وقعة أحد التي يقول فيها:

ليت أشياخي ببدر شهدوا *** جزع الخزرج في وقع الأسل

حين حلت بفناء بركها *** واستحر القتل في عبد الأشل

قد قتلنا الضعف من أشرافهم *** وعدلنا ميل بدر فاعتدل

وقد زاد بعض الروافض فيها فقال:

ليت هاشماً بالملك فلا *** ملك جاءه ولا وحي نزل

فهذا إن قاله يزيد بن معاوية فلعنة الله عليه ولعنة اللاعنين، وإن لم يكن قاله فلعنة الله على من وضعه عليه ليشنع به عليه" [٣٢].

أقول: نلاحظ أن ابن كثير صاغ الرواية بالتمريض وطريقة الشك في الرواية واضحة في كلامه كقوله: (ما يوردونه عنه من الشعر). و (وزاد بعض الروافض). ناهيك عن الأبيات والتفاخر بدعاوى الجاهلية والافتخار بأيام الكفر والطعن في صاحب الرسالة صلى الله عليه وسلم.. بالإضافة إلى الكفر الصراح في البيت الأخير!!

لذلك قال ابن كثير بصيغة الشك أيضا: (إن كان قاله يزيد فلعنة الله عليه) ويتمسك المدافعون عن الطواغيت الأحياء، المهاجمون للفاسقين الأموات بنص العبارة ولم يوردوا كلام ابن كثير في العبارة الأخرى: (وإن لم يكن قاله فلعنة الله على من وضعه عليه ليشنع به عليه). وقد ذكرنا آنفاً رد ابن تيمية على هذه التراهات التي تنسب إلى يزيد بن معاوية.

ثالثا: أقوال بعض علماء السنة زيادة على ما ذكره الشنقيطي:

ها هي ذي أقوال بعض العلماء في وشهادتهم على قضية يزيد بن معاوية:

الأول: شهادة محمد بن الحنفية رحمه الله في اتهام يزيد بشرب الخمر:

هذه شهادة محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو من أعمدة آل البيت، يقول ابن كثير عنه: "ولما رجع أهل المدينة من عند يزيد مشى عبد الله بن مطيع وأصحابه إلى محمد بن الحنفية فأرادوه على خلع يزيد فأبى عليهم، فقال ابن مطيع: إن يزيد يشرب الخمر، ويترك الصلاة، ويتعدى حكم الكتاب. فقال لهم: ما رأيت منه ما تذكرون، وقد حضرته وأقمت عنده فرأيته مواظباً على الصلاة، متحرياً للخير، يسأل عن الفقه، ملازماً للسنة. قالوا: فإن ذلك كان منه تصنعاً لك. فقال: وما الذي خاف مني أو رجا حتى يظهر إليّ الخشوع؟ أفأطلعكم على ما تذكرون من شرب الخمر؟ فلئن كان أطلعكم على ذلك إنكم لشركاؤه، وإن لم يطلعكم فما يحل لكم أن تشهدوا بما لم تعلموا. قالوا: إنه عندنا لحق وإن لم يكن رأيناه. فقال لهم: أبى الله ذلك على أهل الشهادة. فقال: ( إلا من شهد بالحق وهم يعلمون) ، ولست من أمركم في شيء. قالوا: فلعلك تكره أن يتولى الأمر غيرك فنحن نوليك أمرنا. قال:

ما أستحل القتال على ما تريدونني عليه تابعاً ولا متبوعاً، قالوا: فقد قاتلت مع أبيك. قال: يجيئوني بمثل أبي أقاتل على مثل ما قاتل عليه. فقالوا: فمر ابنيك أبا القاسم والقاسم بالقتال معنا. قال: لو أمرتهما قاتلت. قالوا: فقم معنا مقاماً تحض الناس فيه على القتال. قال: سبحان الله! آمر الناس بما لا أفعله ولا أرضاه إذاً ما نصحت لله في عباده. قالوا: إذاً نكرهك. قال: إذاً آمر الناس بتقوى الله ولا يرضون المخلوق بسخط الخالق، وخرج إلى مكة" [٣٣].

وهذا أبو جعفر الباقر: ينقل عنه ابن كثير: " وقال أبو جعفر الباقر: لم يخرج أحد من آل أبي طالب ولا من بني عبد المطلب أيام الحرة، ولما قدم مسلم بن عقبة المدينة أكرمه وأدنى مجلسه وأعطاه كتاب أمان" [٣٤].

موقف عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما:

"وقد كان عبد الله بن عمر بن الخطاب وجماعات أهل بيت النبوة ممن لم ينقض العهد، ولا بايع أحداً بعد بيعته ليزيد.

كما قال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن علية، حدثني صخر بن جويرية، عن نافع. قال: لما خلع الناس يزيد بن معاوية جمع ابن عمر بنيه وأهله ثم تشهد ثم قال: أما بعد، فإنا بايعنا هذا الرجل على بيع الله ورسوله، وإني سمعت رسول الله يقول: (إن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان، وإن من أعظم الغدر إلا أن يكون الإشراك بالله، أن يبايع رجل رجلاً على بيع الله ورسوله ثم ينكث بيعته) فلا يخلعن أحد منكم يزيد ولا يسرفن أحد منكم في هذا الأمر، فيكون الفيصل بيني وبينه.

وقد رواه مسلم والترمذي من حديث صخر بن جويرية، وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقد رواه أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني: عن صخر بن جويرية، عن نافع، عن ابن عمر فذكر مثله" [٣٥].

قول فقيه مصر الليث ابن سعد:

قال القاضي أبو بكر بن العربي: "فإن قيل: كان يزيد خماراً. قلنا: لا يحل إلا بشاهدين، فمن شهد بذلك عليه؟ بل شهد العدول بعدالته: فروى يحيى بن بكير عن الليث بن سعد، قال الليث:

(توفي أمير المؤمنين يزيد في تاريخ كذا) فسماه الليث (أمير المؤمنين) بعد ذهاب ملكهم وانقراض دولتهم، ولولا كونه عنده كذلك ما قال إلا (توفي يزيد)" [٣٦].

رواية المدائني:

"وروى المدائني أن مسلم بن عقبة بعث روح بن زنباع إلى يزيد ببشارة الحرة، فلما أخبره بما وقع قال: وا قوماه، ثم دعا الضحاك بن قيس الفهري فقال له: ترى ما لقي أهل المدينة؟ فما الذي يجبرهم؟ قال: الطعام والأعطية. فأمر بحمل الطعام إليهم وأفاض عليهم أعطيته. وهذا خلاف ما ذكره كذبة الروافض عنه من أنه شمت بهم واشتفى بقتلهم، وأنه أنشد ذكراً وأثراً شعر ابن الزبعري المتقدم ذكره" [٣٧].

كلام نفيس لابن خلدون:

يقول أبو عبد الرحمن بن خلدون في فصل ولاية العهد في مقدمته الماتعة: " والذي دعا معاوية لإيثار ابنه يزيد بالعهد دون من سواه إنما هو مراعاة المصلحة في اجتماع الناس واتفاق أهوائهم باتفاق أهل الحل والعقد عليه حينئذ من بني أمية إذ بنو أمية يومئذ لا يرضون سواهم وهم عصابة قريش وأهل الملة أجمع وأهل الغلب منهم.

فآثره بذلك دون غيره ممن يظن أنه أولى بها وعدل عن الفاضل إلى المفضول حرصاً على الاتفاق واجتماع الأهواء الذي شأنه أهم عند الشارع وإن كان لا يظن بمعاوية غير هذا فعدالته وصحبته مانعة من سوى ذلك.

وحضور أكابر الصحابة لذلك وسكوتهم عنه دليل على انتفاء الريب فيه فليسوا ممن يأخذهم في الحق هوادة وليس معاوية ممن تأخذه العزة في قبول الحق فإنهم كلهم أجل من ذلك وعدالتهم مانعة منه. وفرار عبد الله بن عمر من ذلك إنما هو محمول

على تورعه من الدخول في شيء من الأمور مباحاً كان أو محظوراً كما هو معروف عنه. ولم يبق في المخالفة لهذا العهد الذي اتفق عليه الجمهور إلا ابن الزبير وندور المخالف معروف" [٣٨].

أقول: لكن ابن عمر رضي الله عنه بايع يزيد بن معاوية كما هو ثابت في رواية البخاري الآتية:

رواية البخاري عن موقف ابن عمر:

حَدَّثَنَا سُلَيْمَانُ بْنُ حَرْبٍ حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَيُّوبَ عَنْ نَافِعٍ قَالَ: لَمَّا خَلَعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ جَمَعَ ابْنُ عُمَرَ حَشَمَهُ وَوَلَدَهُ فَقَالَ: إِنِّى سَمِعْتُ النَّبِىَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:« يُنْصَبُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ». وَإِنَّا قَدْ بَايَعْنَا هَذَا الرَّجُلَ عَلَى بَيْعِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَإِنِّى لاَ أَعْلَمُ غَدْراً أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يُبَايَعَ رَجُلٌ عَلَى بَيْعِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، ثُمَّ يُنْصَبُ لَهُ الْقِتَالُ، وَإِنِّى لاَ أَعْلَمُ أَحَداً مِنْكُمْ خَلَعَهُ، وَلاَ بَايَعَ فِى هَذَا الأَمْرِ، إِلاَّ كَانَتِ الْفَيْصَلَ بَيْنِى وَبَيْنَهُ" [٣٩].

رأي ابن خلدون في يزيد بن معاوية:

"وعرض هنا أمور تدعو الضرورة إلى بيان الحق فيها: فالأول منها ما حدث في يزيد من الفسق أيام خلافته. فإياك أن تظن بمعاوية رضي الله عنه أنه علم ذلك من يزيد فإنه أعدل من ذلك وأفضل بل كان يعزله أيام حياته في سماع الغناء وينهاه عنه وهو أقل من ذلك وكانت مذاهبهم فيه مختلفة.

ولما حدث في يزيد ما حدث من الفسق اختلف الصحابة حينئذ في شأنه. فمنهم من رأى الخروج عليه ونقض بيعته من أجل ذلك كما فعل الحسين وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ومن اتبعهما في ذلك ومنهم من أباه لما فيه من إثارة الفتنة وكثرة القتل مع العجز عن الوفاء به لأن شوكة يزيد يومئذ هي عصابة بني أمية وجمهور أهل الحل والعقد من قريش وتستتبع عصبية مضر أجمع وهي أعظم من كل شوكة ولا تطاق مقاومتهم فأقصروا عن يزيد بسبب ذلك وأقاموا على الدعاء بهدايته والراحة منه

وهذا كان شأن جمهور المسلمين. والكل مجتهدون ولا ينكر على أحد من الفريقين فمقاصدهم في البر وتحري الحق معروفة وفقنا الله للاقتداء بهم" [٤٠].

الوازع الديني والوازع السلطاني:

يستعرض ابن خلدون هذه القضية قائلاً: " ثم إنه وقع مثل ذلك من بعد معاوية من الخلفاء الذين كانوا يتحرون الحق ويعملون به مثل عبد الملك وسليمان من بني أمية والسفاح والمنصور والمهدي والرشيد من بني العباس وأمثالهم ممن عرفت عدالتهم وحسن رأيهم للمسلمين والنظر لهم ولا يعاب عليهم إيثار أبنائهم وإخوانهم وخروجهم عن سنن الخلفاء الأربعة في ذلك فشأنهم غير شأن أولئك الخلفاء فإنهم كانوا على حين لم تحدث طبيعة الملك وكان الوازع دينياً فعند كل أحد وازع من نفسه فعهدوا إلى من يرتضيه الدين فقط وآثروه على غيره ووكلوا كل من يسمو إلى ذلك إلى وازعه وأما من بعدهم من لدن معاوية فكانت العصبية قد أشرفت على غايتها من الملك والوازع الديني قد ضعف واحتيج إلى الوازع السلطاني والعصائبي.

فلو عهد إلى غير من ترتضيه العصبية لردت ذلك العهد وانتقض أمره سريعاً وصارت الجماعة إلى الفرقة والاختلاف سأل رجل علياً رضي الله عنه: ما بال المسلمين اختلفوا ا عليك ولم يختلفوا على أبي بكر وعمر فقال: لأن أبا بكر وعمر كانا واليين على مثلي وأنا اليوم وال على مثلك يشير إلى وازع الدين" [٤١].

العصبية وأثرها في ولاية العهد:

يقول ابن خلدون: "أفلا ترى إلى المأمون لما عهد إلى علي بن موسى بن جعفر الصادق وسماه الرضا كيف أنكرت العباسية ذلك ونقضوا بيعته وبايعوا لعمه إبراهيم بن المهدي وظهر من الهرج والخلاف وانقطاع السبل وتعدد الثوار والخوارج ما كاد أن يصطلم الأمر حتى بادر المأمون من خراسان إلى بغداد ورد أمرهم لمعاهده فلا بد من اعتبار ذلك في العهد فالعصور تختلف باختلاف ما يحدث فيها من الأمور والقبائل والعصبيات وتختلف باختلاف المصالح ولكل واحد منها حكم يخصه لطفاً من الله بعباده " [٤٢].

## صفوة القول

بعد نهاية هذا التطواف أقول إن الأستاذ محمد الشنقيطي قد جانبه الصواب عندما خلص إلى إلى النتيجة التالية: "وإذا كان أخونا صاحب التعليق يراهن على يزيد خير من بعض حكام عصرنا، فكفى يزيدا ذلك ذما، رغم أني أشك في أن من افتتح دولته بمقتل الشهيد الحسين، واختتمها بواقعة الحرة خير من هؤلاء: إن الرجل الذي قتل ستة عشر فردا من أفراد البيت النبوي جلهم فتيان صغار، واستباح المدينة المنورة وحصد من فيها من بقايا الصحابة بسيفه الغادر.. لهو من شرار خلق الله بدون ريب ".

رغم أن هذه النتيجة التي وصل إليها الشنقيطي تخالف ما استهل به مقالته بقوله: "وهذه ظاهرة شائعة للأسف بين بعض الشباب المتدين، الذين تصاغ أفكارهم من وراء ستار، على أيدي الحكام الظلمة، الباحثين عن شرعية لظلمهم في التاريخ الإسلامي والشرع الإسلامي".. رغم أنه استهل مقالته بقول الله تعالى ( رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين).

أقول: ليسمح لنا الأستاذ محمد الشنقيطي أن نسأله أسئلة مشروعة؛ أين هو من مظاهرة ومناصر أهل الحق المظلومين من قبل طواغيت العرب والعجم.

فعلى سبيل المثال: لم نقرأ له مقالة أو بياناً يستنكر ما حدث لعالم أزهري جار له في أمريكا - أقصد الشيخ المجاهد الدكتور عمر عبد الرحمن الذي يقبع في سجون الأمريكان منذ سنوات- الشيخ عمر عبد الرحمن الذي لم يكن في أي يوم من حياته ظهيراً للمجرمين!! إنه العالم العامل بحق ذلكم العملاق الذي قضى جل حياته في سجون الحاكمين المجرمين من عرب وعجم؟! لم نسمع لك استنكاراً ولم تدبج مقالة، والشيخ الضرير البصير قلبه عمر عبد الرحمن يستصرخ العالم يوم أن عذبوه في أمريكا وشرح بالتفصيل المعاملة المهينة التي يتعرض لها لدرجة أنهم جردوه من ملابسه عرياناً ليفتشوا عن قصاصة أو أسلحة في عورته!! استصرخ ولم يستجب له أحد.

فلم تستنفر أقلامك وفاكساتك لتنديد ولو مرة واحدة بما يرتكبه الأمريكان ضد هذا العالم الأزهري المسكين؟! أين الولاء والبراء وأين التطبيق العلمي لقوله تعالى: (رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين).

أم أن تطبيق هذه الآية خاص بالسلاطين والملوك الأموات فقط!!

بل أين أنت وشباب الإسلام يتخطف من كل مكان (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد)..

أين أنت وقد قبض على عشرات الشباب المساكين وهم بملابس الإحرام وهم متعلقون بأستار الكعبة.. سيقوا إلى غرف الإعدام في مصر والجزائر وليبيا وتونس.. ولم لم نسمع لك حساً؟!!

لم نقرأ لك بياناً تنتصر فيه لهؤلاء وتطالب بالإفراج عنهم.. والتبرؤ من خادم الحرمين وزبانيته!!

نسألك سؤالا مشروعاً: أين استنكارك أو ما قولك فيمن أدخل الصليبيين إلى أرض الحرمين؟

وأين أنت وبنوك الربا تناطح الكعبة المشرفة بل وتتحداها؟!

وأين بيانك يوم أن لبس خادم الحرمين الشريفين الصليب؟! وما حكم من فعل ذلك؟

السيد الشنقيطي؛ لم نسمع لك مظاهرة ولا مناصرة ولو مرة واحدة على سبيل الخطأ بشأن الشيخين علي بلحاج وعباس مدني!!

بل إن تعليقك اليتيم على مشاركة ما يسمى الجندي المسلم الأمريكي في ضرب أفغانستان كان تعليقاً باهتاً فاتراً لا طعم له ولا لون!!

أين أنت مما يحدث في سجون حكام عصرنا الذين تدافع أنت عنهم وتفضلهم على يزيد بن معاوية!!

والأمر المثير للدهشة أنك انتقائي لدرجة تثير الريب!! انظر إلى قولك: (وإذا كان أخونا صاحب التعليق يراهن على يزيد خير من بعض حكام عصرنا).. كلمة (بعض حكامنا)!. وكأن بقية الحكام خارج هذه المقارنة!!

يا سيد شنقيطي! فما ينبغي لمثلك أن يكون مدافعاً عن الخارجين عن شريعة الإسلام من هؤلاء الحكام..

دعني أسأل سؤالاً بريئاً: هل المسلم الفاسق أفضل أم المرتد؟! أعتقد أنه لا يوجد طالب علم مبتدئ يقول: المرتد أفضل من المسلم الفاسق أو الظالم!! لأنه لا وجه للمقارنة!! إذن لم لا نقول إن يزيد بن معاوية كان فاسقاً حسب رأي كثير من علماء السنة الثقات لكنه لم يكن مرتداً ولا خارجاً عن شريعة الإسلام ولا استبدل الذي هو أدنى (القوانين الوضعية) بالذي هو خير (الشريعة الإسلامية).. إذن لم المكابرة والزعم بأن هؤلاء الحكام المجرمين بحق أفضل من يزيد!!

هذه والله قسمة ضيزى! (أفنجعل المسلمين كالمجرمين. ما لكم كيف تحكمون).

إن يزيد بن معاوية رغم كل ما قيل فيه هو أفضل من كل حكام العالم الإسلامي المعاصرين بدون استثناء؛ كلهم وليس بعضهم.

كما أود أن أشير إلى أن شباب المسلمين ليس قدوتهم يزيد بن معاوية ولا غيره من ملوك العرب فهم يمتثلون قول الله تعالى (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً).

وهؤلاء الشباب المسلم بما فيهم قادة هؤلاء هم أمل هذه الأمة وهم الذين يدفعون عن عقيدة الأمة يوم أن خذلهم الناس. فهذا اعتقادهم في يزيد بن معاوية وفيما حدث من خلاف بين الصحابة تصداقاً لقوله تعالى (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلا تُسْأَلونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ).

هؤلاء الشباب هم أبعد الناس عن مظاهرة المجرمين من حكام وأعوان حكام!! فكيف يقال عن هؤلاء الشباب الذين رمتهم الدنيا بقوس واحدة (تصاغ أفكارهم من وراء ستار؟!!).

أين أنت يا حمرة الخجل؟! يا ملح البلد!! عودوا إلى رشدكم وكونوا في طليعة الأمة فماذا تقولون لربكم وقد رضيتم بالذي هو أدنى وتركتم الذي هو خير.

أقول: هؤلاء الشباب هم الحكماء بحق لأنهم يضعون الشيء في موضعه أما غيرهم ممن يقننون الجبن والخذلان ويزيفون التاريخ فهم أبعد الناس عن الحكمة!!

وأخيراً:

نأمل أن يراجع الأستاذ محمد الشنقيطي نفسه وينتصر لأهل الحق ويظاهرهم ويكون عوناً لهم لنكون جميعاً أهلاً لقول الله تعالى على لسان نبي الله موسى عليه السلام: (رب بما أنعمت علي فلن أكون ظهيراً للمجرمين).

٢٧ شعبان ١٤٢٣هـ الموافق ٢ نوفمبر ٢٠٠٢

# هل كان لنصارى مصر
# دور تاريخي في مقاومة المحتل

د. هاني السباعي

## الأقباط النصارى واستعراض القوة:

التظاهرة غير المبررة والمفتعلة التي قامت في الكاتدرائية القبطية في القاهرة بزعم خطف زوجة القسيس الذي تبين بعدها أن السيدة وفاء قسطنطين[٦٨] لم تخطف وأنها أسلمت سراً منذ سنوات وحفظت ١٧ جزءاً من القرآن الكريم ثم قررت أن تعلن إسلامها وتركت منزل الزوجية الذي انفسخ بحكم إسلامها.. فإذا بقيامة الأقباط قد قامت وغرهم انشغال الشعب المصري المسلم بما يعانيه من قهر وظلم وتضييق في حريته ورزقه. غرهم تحريض أقباط المهجر وخفافيش البنتاجون. واستمروا في العصيان لكن الملفت للانتباه أن هذه التظاهرة قوبلت كسابقتها (تظاهرة القس المشلوح الذي نشرت له صور خليعة) قوبلت التظاهرة من رجال الأمن بصبر منقطع النظير وغير معهود على هؤلاء الأشاوس الذين يتعاملون مع مثل هذه الأحداث رغم استفزاز المتظاهرين لقوات الأمن والحكومة وترديد شعارات معادية للإسلام وأهل البلد والحكومة نفسها حتى وصل الأمر إلى إصابة أكثر من أربعين من ضباط وجنود الشرطة مما اضطرهم للقبض على بعض هؤلاء المتظاهرين.. والعجيب أن الكنيسة انتفضت فجأة وكأن شعارهم (يا لثارات الأقباط) ثم إننا نجد أنفسنا أمام هذا الاستعراض الطائفي مسلطين الضوء على الحقائق التالية:

---

٦٨ وفاء قسطنطين كانت نصرانية ثم أسلمت وهي مصرية من مدينة شبين الكوم التابعة لمحافظة المنوفية بدلتا مصر كانت تعمل مهندسة زراعية وكانت تزوجت من مجدى يوسف عوض الكاهن بكنيسة بمدينة أبي المطامير بمحافظة البحيرة ثم أسلمت وقامت قيامة البابا شنودة ونصارى المهجر فتم خطفها بأمر رئيس مصر حسني مبارك وبمباركة شيخ الأزهر طنطاوي وأودعت في دير وادي النطرون.

أولاً: هذه تظاهرة لاستعراض القوة ومحاولة لابتزاز الحكومة التي دأبت على تدليل الأقلية القبطية والرضوخ لمطالبهم المتعسفة التي يفتقدها الشعب المسلم في مصر، بل يطالب عدد كبير من المسلمين أن تعاملهم الحكومة مثلما تعامل الأقلية المسيحية حيث كل أنواع القمع والتضييق على المسلمين سواء في الفصل من الوظائف الحكومية والتربوية وإحالة العديد من المدرسين إلى وظائف إدارية، والطرد من المؤسسة العسكرية أو جهاز الشرطة أو الأجهزة الإدارية الحساسة وغير الحساسة في الدولة لكل من يشتبه أن له قريباً كان ذات يوم معتقلاً سياسياً أو يشتبه بأن هذا القريب كانت له صلة بالجماعات الإسلامية، بالإضافة إلى حملة حكومية منظمة بغية تجفيف المنابع الإسلامية سواء في برامج الإعلام أو المناهج التعليمية.

ثانياً: اعتقاد بعض رجال الكنيسة المصرية أن ظهرهم محمي وأن وراءهم الغرب المسيحي وعلى رأسهم أمريكا؛ هذا الاعتقاد قد أدى إلى افتعال أحداث والمبالغة فيها بغية التزلف للغرب المعادي للإسلام كحادثة الكشح عام ٢٠٠٠م، وحادثة القس المشلوح بدير المحرق بأسيوط؛ صاحب الصور الخليعة عام ٢٠٠١م، ثم حادثة السيدة وفاء قسطنطين عام ٢٠٠٤م التي أسلمت وأجبرت على العودة إلى الكنيسة مما يتصادم مع النظام العام في مصر هو الإسلام.. ومن ثم الضغط على الحكومة بزعم أن الأقباط في مصر مضطهدون من قبل المسلمين وأن الحكومة تشجعهم.

ثالثاً: انشغال الحكومة في مطاردة وملاحقة الإسلاميين (٦٠ ألف معتقل مسلم لا يوجد بينهم نصراني) عبر سلسلة المحاكمات العسكرية وتأميم النقابات المهنية وفرض الحراسات عليها والاعتقال طويل الأمد ومحاربة روح التدين، والسخرية من الهدي الظاهر لدى المتدينين المسلمين كالنقاب واللحية وتسخير كافة الأجهزة الأمنية لمحاربة الإسلاميين تحت شعار محاربة (الإرهاب)، وأحداث سبتمبر ٢٠٠١م وجنون أميركا، واحتلالها العراق ٢٠٠٣م؛ كل ذلك شجع زعماء الكنيسة المصرية أن تدبر بليل تلكم التظاهرات وهي مطمئنة من عدم ملاحقة قوات الأمن لأتباعها لأن ظهرهم محمي جداً من أميركا وأوروبا.

رابعا: ارتفاع منحنى حماس الأقلية النصرانية في مصر بعد اعتراف الغرب بتيمور الشرقية للأقلية المسيحية وإجبار أندونيسيا على الاعتراف بهذا الانفصال عن الدولة الأم.. ونود أن نهمس في أذن الأقباط أن مصر الإسلامية التي افتتحها عمرو بن العاص والزبير بن العوام وعبادة بن الصامت وكل هؤلاء الأخيار لا ولن تكون قبطية مرة أخرى، ولن يعود التاريخ كما يحلم الواهمون.

## النقطة الأولى

## تمرد الأقباط المسلح تاريخياً[69]

بعد هذه التقدمة نود أن نلقي الضوء على جانب من تمرد الأقباط ونقضهم عقد الذمة منذ الفتح الإسلامي سنة ٢٠هـ ، رغم تعامل ولاة المسلمين معهم بكل تسامح، فكانوا يتظاهرون ويعلنون العصيان المسلح على الدولة ويقتلون عمال الحكومة ويتصلون بدولة الروم ثم يتصدى الحكام لهم بإرسال من يطالبهم بفض العصيان في مقابل العفو عنهم إلا أنهم في الغالب يتعنتون ويصرون على التمرد بزعم أن دولة الروم قد تساعدهم غير أن حساباتهم كانت على الدوام خاطئة فسرعان ما ينتصر عليهم جيش المسلمين ثم يعفو عنهم الخليفة أو الوالي ويجددون له الولاء والطاعة والالتزام بنود عقد الذمة المنصوص عليه في اتفاقيتي بابليون الأولى (الخاصة بأهل مصر قبل فتح الإسكندرية)سنة ٢٠هـ وبابليون الثانية (الخاصة بأهل الإسكندرية) سنة ٢٠هـ أيضاً، لكنهم يعودون مرة أخرى لعصيانهم متذرعين بأحداث لا تتناسب وحجم عصيانهم المسلح.. وهذا ما سنمر عليه سريعاً عبر هذه المحطات التاريخية السريعة التالية:

الأول: في ولاية عبد العزيز بن مروان (٦٥- ٨٦هـ) علي مصر قام بطريك الكنيسة المصرية بالاتصال بملكي الحبشة والنوبة للتآمر على الدولة الإسلامية.

---

٦٩ كل هذه المعلومات منتقاة من عدة مصادر تاريخية لمؤرخين كبار من أمثال: ابن عبد الحكم (ت٢٥٧هـ) في كتابه (فتوح مصر وأخبارها)، خليفة بن خياط (ت٢٤٠هـ) في كتابه (تاريخ خليفة بن خياط)، ابن تغري بردي (ت ٨٧٤هـ) في كتابه (النجوم الزاهرة)، الذهبي (ت٧٤٨هـ) في كتابه (تاريخ الإسلام)، المقريزي (ت٨٤٥هـ) في كتابه المواعظ والإعتبار، القلقشندي (ت٨٢١هـ) في كتابه كتاب (صبح الأعشى)، ابن إياس (ت ٩٣٠هـ) في كتابه (بدائع الزهور)، الجبرتي (ت ١٢٤١هـ) في كتابه (عجائب الآثار)، الماوردي (ت٤٥٠هـ) في كتابه (الأحكام السلطانية)، أبو يوسف (ت١٨٧هـ) في كتابه الخراج، يحيى بن آدم القرشي (ت٢٠٣هـ) في كتابه الخراج، ابن الأثير (ت٦٣٠هـ) في كتابه (الكامل في التاريخ)، البلاذري (ت٢٧٩هـ) في كتابه (فتوح البلدان)، ابن القيم (ت٧٥١هـ) في كتابه (أحكام أهل الذمة)، الفريد بتلر المؤرخ الإنجليزي في كتابه (فتح العرب لمصر) تعريب محمد فريد أبو حديد، سيدة إسماعيل الكاشف (الدكتورة) في كتابها (مصر في فجر التاريخ)، وغير ذلك من مصادر قديمة وحديثة لم نشأ ذكرها حتى لا نرهق القارئ وخاصة أن هذه مجرد مقالة لتبسيط المسألة القبطية لدى الشباب المعاصر.

الثاني: تمردهم على الخليفة الأموي مروان بن محمد بعد أن تبين أنه مطارد من قبل العباسيين وتآمروا على قتله سنة ١٣٢هـ.

الثالث: استغلوا الفتنة التي قامت بين الأمين والمأمون فأعلنوا عصيانهم بقيادة قساوستهم ورهبانهم في وجه بحري.

الرابع: وفي عهد الوالي عبد الله بن عبد الملك بن مروان (٨٦-٩٠هـ) قامت حركة تمرد ضد الدولة بقيادة قساوسة وادي النطرون وبطرك الكنيسة القبطية في الإسكندرية وتم إخماد المؤامرة.

الخامس: في عهد والي مصر قرة بن شريك (٩٠-٩٦هـ) تمرد النصارى وظل يطاردهم قرة بن شريك حتى توفي وجاء بعهده أسامة بن زيد التنوخي واستطاع اخماد الفتن.

السادس: وفي عهد الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (٩٩-١٠١هـ) ورغم تسامحه إلا أنهم كانوا يتآمرون سراً على الدولة الإسلامية.

السابع: في عهد الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك (١٠١-١٠٥هـ) تآمر النصارى وتمردوا على الحكومة مما جعل الخليفة يرسل جيشاً لقمع تمردهم ولذلك فإنهم يكرهونه جداً ويصفونه بالشيطان.

الثامن: وفي عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك (١٠٥-١٢٥هـ) فرغم تعامله مع نصارى مصر بالتسامح إلا أنهم تمردوا وتم قمع تمردهم.

أقول: لكن هذه الحركات المناوئة للدولة وإعلان العصيان لم تكن كبيرة بالمقارنة لما سيحدث بعد ذلك.

التاسع: في عهد هشام بن عبد الملك (١٠٦-١٢٦هـ) تحديداً في سنة ١٢١هـ أعلن أقباط الصعيد عصيانهم وعدم التزامهم باتفاقية بابليون الأولى والثانية وقاتلوا عمال الحكومة، وكان والي مصر في ذلك الوقت حنظلة بن صفوان (١١٩-١٢٤هـ) فأرسل لهم جيشاً لقتالهم فانتصر عليهم وقضى على فتنتهم.

العاشر: لم تهدأ حركة عصيان النصارى رغم تعامل الحكومات الإسلامية بالحسنى وبالشروط التي قبلوها والتزموا بها منذ الفتح الأول لمصر سنة ٢٠هـ. وفي ذلك الوقت أي في سنة ١٣٢هـ تمرد رجل نصراني من (سمنود) اسمه (يحنس) وجمع حوله مجموعة كبيرة من النصارى المسلحين لكن والي مصر عبد الملك بن موسى بن نصير أرسل جيشاً لمحاربته فانتصر عليهم وقتل يحنس.

حادي عشر: وفي عهد مروان بن محمد (١٢٩-١٣٢هـ) آخر الخلفاء الأمويين أعلن القبط بمدينة رشيد عصيانهم فأرسل جيشاً فقضى على تمردهم. وفي عهد هذا الخليفة أيضاً أثناء هروبه من العباسيين تمرد أهل (البشرود) واستغلوا فرصة انشغاله بحربه مع العباسيين فتآمروا عليه وكانوا سبباً في قتله سنة ١٣٢هـ لذلك كافأهم العباسيون في أول عهدهم.

ثاني عشر: وفي عهد الخليفة العباسي أبو العباس السفاح (١٣٢-١٣٧هـ) تمرد الأقباط في مدينة (سمنود) بزعامة شخص يدعى (أبو مينا) فبعث إليهم أبو عون والي مصر (١٣٣-١٣٦هـ) جيشاً لمحاربتهم فهزموا وقتل زعيمهم (أبو مينا).

ثالث عشر: ثم ما لبث الأقباط أن أعلنوا عصيانهم في مدينة (سخا) ١٥٠هـ إبان ولاية يزيد بن حاتم بن قبيصة على مصر (١٤٤-١٥٢هـ) واتسع التمرد فانضم إليهم أقباط (البشرود) وبعض مناطق الوجه البحري فقويت شوكتهم بعد أن هزم الجيش الذي أرسله الوالي والذي شجعهم على ذلك أنهم كانوا على اتصل بالكنيسة البيزنطية من خلال الجواسيس الذين ينزلون الإسكندرية ومحافظات الوجه البحري على هيئة تجار فكانوا يحرضونهم على التمرد والعصيان على دولة الخلافة. لذلك نجدهم يجاهرون بعدائهم ويجمعون أعداداً كبيرة من الأقباط سنة ١٥٦هـ في ولاية موسى بن علي اللخمي (١٥٥-١٦١هـ) فأرسل لهم جيشاً فهزمهم.

رابع عشر: لكن أعتى تمرد وأعنفه كان في سنة ٢١٦ هـ إبان عهد الخليفة المأمون ((١٩٨-٢١٨هـ) وكان والي مصر وقتئذ عيسى بن منصور حيث تمرد أقباط الوجه البحري كلهم لدرجة أن الخليفة المأمون بنفسه قدم مصر على رأس جيش فكسر

شوكتهم بقيادة قائده الشهير (الأفشين) واستطاع أن يلحق الهزيمة بأهل البشرود أو البشمور (كانوا يقطنون المنطقة الواقعة بين فرعي دمياط ورشيد)، وكانت هذه المنطقة تحيط بها المستنقعات والأوحال التي كانت تعيق حركة الجند لذلك كانوا يعلنون عصيانهم كثيراً نظراً لطبيعة أرضهم مما كان يضطر الجند للانصراف عنهم، لكن هذه المرة لم يهدأ الأشفين إلا أن يقتحم حصونهم، ويلحق الهزيمة بهم حتى جاء كبار قساوستهم وأعلنوا ولاءهم لدولة الخلافة مرة أخرى، وقد قبل منهم الخليفة المأمون حسب شروط اتفاقية بابليون الأولى والثانية. ونلاحظ أن الخليفة المأمون أحضر معه بطرك أنطاكية (ديونسيوس) ثم أرسل إلى أقباط البشرود وضواحيها البطرك (أنايوساب)، والبطرك (ديونسيوس)، ووعدهم ألا يعاقبهم إن هم رجعوا عن عصيانهم لكنهم رفضوا وغرتهم قوتهم وحصونهم ولم يجيبوا البطركين فحاصرهم الخليفة المأمون مع قائده الإفشين حتى هزمهم ثم غادر الخليفة المأمون مصر سنة ٢١٧ هـ بعد أن ظل فيها أكثر من أربعين يوماً ثم عاد إلى عاصمة الخلافة بغداد.

وقد ذكر ابن القيم تململ الخليفة المأمون منهم لدرجة أن المسلمين كانوا يتظلمون منهم أو كما قال "قال عمرو بن عبد الله الشيباني: استحضرني المأمون في بعض لياليه ونحن بمصر، فقال لي: قد كثرت سعاية النصارى، وتظلم المسلمون منهم، وخذلوا السلطان في ماله"[٧٠]

وكانت هذه آخر حركة عصيان مسلح قام به الأقباط وخاصة أقباط الوجه البحري ورغم نقضهم لجميع الاتفاقيات المتعلقة بأهل الذمة خلال هذه الفترات التاريخية إلا أن الحكام المسلمين كانوا يعفون عنهم، وكان في إمكان هؤلاء الحكام والولاة أن يبيدوهم عن بكرة أبيهم بموجب قانون الحرب، وكانت لدى هؤلاء الحجة، وهي نقض الأقباط العقود المتعلقة بأهل الذمة، لكنهم للأسف الشديد ظلوا يتربصون بالمسلمين الدوائر خاصة في حالات ضعف الدولة الإسلامية أو في حالات العدوان الذي شنه أعداء الأمة الإسلامية بدأ من الصليبيين الأوائل ومروراً بالعدوان الفرنسي على مصر (١٢١٣هـ)

---

٧٠ ابن القيم: أحكام أهل الذمة تحقيق طه عبد الرؤوف دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٥هـ ص١٧٠.

الموافق (١٧٩٨م)، وانتهاء بالصليبيين الجدد (احتلال بريطانيا لمصر عام ١٨٨٢م) ثم موقف بعض الضباط النصارى والجنود إبان العدوان الثلاثي على مصر في عام ١٩٥٦م عندما كانوا يذهبون للجنود الفرنسيين ويقولون لهم نحن مسيحيون مثلكم، وكانت فضيحة بكل المقاييس؛ لذلك غضت الدولة الطرف عنها ولم تسلط عليها أضواء وسائل الإعلام خشية غضبة الأمريكان الذين تدخلوا لمساعدة حكومة ناصر في ذلك الوقت.

## النقطة الثانية
## عيسى العوام
## رمز الوحدة الوطنية (الهلال والصليب)

لقد اختار النظام المصري في حقبة الستينات قصة شاب اسمه عيسى العوام؛ وزعموا أنه كان نصرانياً هذا الشاب الذي كان يحارب مع السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي وكان ماهراً في الغوص والعوم ويتجسس على الصليبيين، وينقل الرسائل ويهربها للسلطان صلاح الدين، وكانت هذه القصة ضمن المقرر الدراسي لتلاميذ المرحلة الابتدائية ولم يكتفوا بذلك بل شخصت في فيلم (الناصر صلاح الدين)، ليؤكدوا على هذه الوحدة الوطنية الموهومة ليثبتوا أن الأقباط شركاء للمسلمين في الوطن (مصر)، وأنهم شركاء في مقاومة المحتل (الصليبيين الفرنسيس الإنجليز)، ثم ثبت أن أصل القصة مختلق ولا علاقة لعيسى العوام الحقيقي بعيسى العوام (النسخة المعدلة) لعبد الرحمن الشرقاوي، وكتبة سيناريو فيلم الناصر صلاح الدين!.. وحتى لا يظن ظان أننا نفتري على القوم سنستعين بشاهد عيان ومؤرخ أمين (بهاء الدين بن شداد ت ٦٣٢هـ) فقد كان موجوداً في عكا إبان حصار الصليبيين لهم في سنة ٥٨٦هـ وقد ذكر ذلك بالتفصيل في كتابه الماتع (المحاسن اليوسفية) وهذا نصه:

**عيسى الغواص الحقيقي كان مسلماً:**

قال ابن شداد: "ومن نوادر هذه الواقعة ومحاسنها أن عواماً مسلماً كان يقال له عيسى، وكان يدخل إلى البلد بالكتب والنفقات على وسطه ليلاً، على غرة من العدو. وكان يغوص ويخرج منم الجانب الآخر من مراكب العدو، وكان ذات ليلة شد على وسطه ثلاثة أكياس. فيها ألف دينار وكتب للعسكر، وعام في البحر فجرى عليه من أهلكه، وأبطأ خبره عنا وكانت عادته أنه إذا دخل البلد طار طير عرّفنا بوصوله فأبطأ الطير فاستشعر الناس هلاكه، ولما كان بعد أيام بينما الناس على طرف البحر في البلد وإذا البحر قد قذف إليهم ميتاً غريقاً فافتقدوه فوجدوه عيسى العوام، ووجوا على وسطه الذهب وشمع الكتب وكان الذهب نفقة للمجاهدين، فما رؤي من أدى الأمانة في حال حياته وقد أداها بعد وفاته إلا هذا الرجل "[٧١]

---

٧١ ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق ص٢٠٦.

## النقطة الثالثة

## الحملة الفرنسية

## (١٢١٣هـ /١٧٩٨م ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م)

## ودور الأقباط فيها

من منا لا يعرف (المعلم يعقوب حنا القبطي وملطي وجرجس الجوهري ـوأنطوان الملقب بأبي طاقية وبرتيلمي الملقب بفرط الرومان، ونصر الله النصراني ترجمان قائمقام بلياز، وميخائيل الصباغ غيرهم من زعماء النصارى) الذين كانوا يعملون مع المحتل الفرنسي لمصر.

لقد استغل نصارى مصر احتلال نابليون لمصر فتقربوا إليه واستعان بهم ليكونوا عيون جيشه حيث كانوا يرشدونهم على بيوت أمراء المماليك ورجال المقاومة الذين كانوا يجاهدون الفرنسيس، وكل ذلك ثابت لدى الجبرتي في عجائب الآثار ونقولا الترك في (أخبار الفرنساوية وما وقع من أحداث في الديار المصرية)، إذ يؤكد المؤرخان المعاصران للحملة الفرنسية أن نابليون استقدم معه جماعة من نصارى الشام الكاثوليك كتراجمة بالإضافة إلى استعانته بنصارى مصر (الأرثوذكس) وقد ذكر الجبرتي المعلم يعقوب القبطي الذي كان يجمع المال من الأهالي لمصلحة الفرنسيس.. بل إن المعلم يعقوب وصل به الأمر أن كون فرقة من الأقباط لمعاونة المحتل إذ يقول الجبرتي: "ومنها أن يعقوب القبطي لما تظاهر مع الفرنساوية وجعلوه ساري عسكر القبطة جمع شبان القبط وحلق لحاهم وزياهم بزي مشابه لعسكر الفرنساوية (..) وصيرهم ساري عسكره وعزوته وجمعهم من أقصى الصعيد، وهدم الأماكن المجاورة لحارة النصارى التي هو ساكن بها خلف الجامع الأحمر، وبنى له قلعة وسورها بسور عظيم وأبراج وباب كبير"[٧٢] بل إنهم كانوا يقطعون الأشجار والنخيل من جميع البساتين كما تفعل قوات الاحتلال في فلسطين والعراق، ولم يتورعوا في هدم المدافن والمقابر وتسويتها بالأرض خوفاً من تترس المحاربين حسب

---

٧٢ الجبرتي: عجائب الآثار/مج٤/ص٥٨٢.

وصف الجبرتي.. حتى قال "وبثوا الأعوان وحبسهم وضربهم، فدهى الناس بهذه النازلة التي لم يصابوا بمثلها ولا ما يقاربها"[٧٣] .. بل كان زعيمهم (برتيلمي) الذي تلقبه العامة بفرط الرومان لشدة احمرار وجهه ؛ كان يشرف بنفسه على تعذيب المجاهدين وهو الذي قام بحرق المجاهد سليمان الحلبي قاتل كليبر، وكان هذا البرتيلمي يسير في موكب وحاشية ويتعمد إهانة علماء المسلمين ويضيق عليهم في الطرقات محتمياً في أسياده الفرنسيس تماماً مثل ما يحدث في العراق اليوم من خلال الجواسيس الذين يعملون مع الاحتلال الأمريكي الذين يرشدون قوات الاحتلال على بيوت المقاومين.

## نص عريضة زعماء الأقباط إلى الجنرال مينو:

"حضرة ساري عسكر العام:

إن جنابكم من قبل ما فيكم من العدل والحلم والفطنة أرسلتم تسألونا بأن نوضح لكم ما نحن به من القهر، نحن قبل الآن لم نقصد كشف جراحنا التي كانت في كل يوم تتسع شيئاً فشيئاً؛ أولاً تسليماً للمقادير وعشماً بكون كل واحد منا يرجع لذاته ويحاسب نفسه. تأنياً خوفاً من أن يقال عنا أننا نحب السجس (الظلم) ونواخد (نؤاخذ) بذلك من الحكام. ثالث ليلى (لئلا) يتضح كأننا أخصام لأخوتنا وقاصدين الشكوى عليهم ولكن من حيث جنابكم أبو الجميع وطبيب الرعايا وقد زاد علينا الحال حتى ظهرنا من جملة العصاة على أوامركم وقد قاصصتمونا لذلك فاقتضى الحال أن نستغيث بكرسيكم تعيّنوا بأمركم أناساً من أهل الفطنة خاليين الغرض ممن ترونهم أنتم يقعدوا في ما بيننا ويتبصروا في حال حسابنا وفي النهاية بعد أن يردوا الجواب لجنابكم لكم التبصر فيما تأمرون به ومع ذلك فنرجوكم بأن لا تظنوا بكوننا قاصدين بعرض حالنا الشكوى على أحد أم قصاصه بل قصاصنا نحن بوجه خاص إنكان (إن كان) يظهر كلامنا هذا بخلاف الواقع ثم إن هذا الأمر يدركه أيضاً خادمكم الخاص حضرة الجنرال يعقوب ومع ذلك لأجل طبعه الوديع

٧٣ الجبرتي: السابق/ص٥٨٢.

محتار كيف يتصرف في مثل هذه الدعوى والله تعالى يحفظكم. من عند توابعكم المباشرين: ملطي وأنطوان"[٧٤]

أقول: مع العلم أن ملطي هذا كان من أكبر زعماء الأقباط وقد ظهر نجمه في أيام الاحتلال الفرنسي لمصر وقد تولى في عهد نابليون رئاسة محكمة القضايا.. وهي أول محاولة لتنحية الشريعة الإسلامية في مصر لأن هذه الهيئة كانت تتكون من اثني عشر تاجراً نصفهم من المسلمين والنصف الآخر من النصارى وأسند منصب رئيس المحكمة إلى قاضي قبطي هو الملطي الموقع على العريضة السابقة للجنرال مينو الذي خلف كليبر في الحكم.. وكذلك صديقه أنطوان الذي كانت تلقبه عوام المصريين بأبي طاقية وكان من كبار زعماء الأقباط وأكثرهم غنى، وأما الجنرال يعقوب فهو نفسه المعلم يعقوب حنا رجل الاحتلال الفرنسي وخادمهم المخلص الذي رحل معهم إلى فرنسا.

هكذا لم يثبت تاريخياً أن النصارى قاوموا الاحتلال الفرنسي وأن حكاية اختراع بطولات وهمية مثل أن بعض الأقباط في ثورة القاهرة الثانية كان يمد الثوار بالمال واللوازم خاصة في منطقة بولاق أثناء حصار كليبر لأهالي بولاق.. فهذه شهادة الجبرتي :" وأما أكابر القبط مثل جرجس الجوهري، وفلتيوس، وملطي فإنهم طلبوا الأمان من المتكلمين من المسلمين لكونهم انحصروا في دورهم وفي وسطهم وخافوا على نهب دورهم إذا خرجوا فارين، فأرسلوا إليهم الأمان"[٧٥] إذن ما دورهم في مقاومة الاحتلال الفرنسي إلا الفزع الهلع وطلب الأمان ثم صاروا العين الحارسة لمصالح الاحتلال.. بل إن زعيمهم المعلم يعقوب حنا كان شغله الشاغل هو حرب زعيم المجاهدين في منطقة بولاق حسن بك الجداوي؟ لماذا؟ لأن حسن بك الجداوي كان يطلب من الأغنياء مساعدة المجاهدين لشراء أسلحة وبارود وذخائر ومؤن وكل مستلزمات المقاومة فكان من يدفع منهم مالاً

---

٧٤ الجبرتي: عجائب الآثار- تحقيق عبد العزيز جمال الدين مكتبة مدبولي القاهرة ج٤ ملحق ٢٩ ص٧٨٧.

٧٥ الجبرتي: عجائب الآثار/مج٤ ص٣٣٥.

كان لصيانة نفسه وخوفه من انتقام المقاومين الذين كانوا متترسين في منطقة بولاق بالقاهرة وضواحيها لذلك قال الجبرتي في عجائبه: "وأما المعلم يعقوب فإنه كرنك في داره بالدرب الواسع جهة الرويعي واستعد استعداداً كبيراً بالسلاح والعسكر المحاربين وتحصن بقلعته التي كان شيدها بعد الواقعة الأولى، فكان معظم حرب حسن بك الجداوي معه"[٧٦]

هكذا استعد المعلم يعقوب لزعيم المجاهدين المسلمين وليس لجيش الاحتلال الفرنسي! كما أننا نتساءل أين كان شباب الأقباط في ذلك الوقت ولماذا لم نر لهم دوراً في مقاومة المحتل الفرنسي ولو كان ضعيفاً؟!

٧٦ الجبرتي: عجائب الآثار/مج٤ ص٣٣٦.

## النقطة الرابعة

## لماذا شارك الأقباط في ثورة ١٩١٩م؟

لا يهولننا بعض الكتابات التي تخرج بين فينة وأخرى مشيدة بدور الأقباط في الحركة الوطنية المصرية وإن كان كتابها من المسلمين؛ إذ للأسف الشديد فجل هؤلاء الكتاب ينطلق من منطلقات لا علاقة لها بالمنظومة الإسلامية لذلك نجدهم يرهقون أنفسهم في نبش التاريخ لعل وعسى يعثرون على حكاية أو قصة تثبت أن الأقباط كان لهم دور في مقاومة المحتلين، لذلك نجدهم يضخمون بعض الأحداث الفردية وتسليط الضوء عليها لتحسين دور الأقباط في حركة التاريخ المصري المقاوم للاحتلال.

لذلك يهتمون بثورة ١٩١٩م ومشاركة الأقباط فيها رغم أن الأقباط ما شاركوا فيها إلا ليأسهم من الإنجليز الذين كانوا ينظرون إليهم بعين الإزدراء؛ فالاحتلال الإنجليزي يدين بالولاء للكنيسة الإنجيلية التي لا تعترف بها الكنيسة الأرثوذكسية في مصر ولا حتى الكاثوليكية في روما، وهذا ما حدث من قبل مع نابليون وحملته العدوانية على مصر إذ تقرب الأقباط إليه واستخدمهم جيداً لكنه كان ينظر إليه أيضاً بعين الإزدراء فنابليون وإن كان لا دينيا فقد كانت لديه بقايا المعتقد الكاثوليكي مع الاعتزاز بتفوق الرجل الأبيض!

فلا غرو إذن أن يشارك الأقباط في ثورة ١٩١٩م لأنهم علموا بالتجهيزات التي يقوم بها المسلمون للثورة ويعلمون أن جماهير غفيرة من كل فئات الشعب ستشارك وأن انطلاقة الثورة ستكون من جامع الأزهر فكان لابد من المشاركة بأمر بعض زعمائهم (على طريقة حساب المكسب والخسارة) لأنه لو نجحت هذه الثورة لكان من حقهم أن يشاركوا في الحكم بقوة وهم مطمئنون أن الدولة المصرية الحديثة التي وضع لبناتها محمد علي باشا قد غيبت الشريعة الإسلامية ومن ثم فلا حكم إلا بالقانون الوضعي السائد في ذلك الوقت.. وينطبق هذا على مشاركتهم في بعض الحروب لأن التجنيد كان إجبارياً بحكم مفهوم المواطنة ولا مناص أمام شبابهم إلا الالتحاق بالجيش لتفادي العقوبة العسكرية التي ستحل بهم.

### النقطة الخامسة

### الحقبة العلمانية

### منذ (١٢٧٢هـ/١٨٥٦م إلى وقتنا الحاضر)

كانت مصر تحكم بالشريعة الإسلامية منذ الفتح الإسلامي عام ٢٠ هـ وكان أول قاض بمصر هو قيس بن أبي العاص السهمي؛ في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى وصل إلى سدة الحكم محمد علي باشا (ت١٨٤٩)؛ الذي حمى النطفة الأولى للعلمانية التي استنسخها الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي (ت١٨٧٣)، ثم جاء خلفاؤه وتبنوا هذا السلخ الجديد (العلمانية) فأنشأوا المحاكم المختلطة سنة ١٨٧٠م، وبعد احتلال الإنجليز مصر سنة ١٨٨٢ أكملوا مشروعهم التخريبي في استبعاد الشريعة الإسلامية من الحكم واستمر الوضع هكذا حتى قام انقلاب يوليو ١٩٥٢م، وتم القضاء على البقية الباقية من الحكم بالشريعة الإسلامية وتم الاستيلاء على أوقاف المسلين فقط أما أوقاف النصارى فلم تمس!!.

وفي عهد محمد علي باشا استورد لنا الشيخ رفاعة الطهطاوي مصطلح (المواطنة) حسب منطلقات المنظومة الغربية، وبموجب مفهوم هذا المصطلح الجديد حلت رابطة المواطنة محل رابطة الدين وصار الولاء للوطن مقدماً على الولاء للدين.. ومن ثم فلا ضرورة لعقد الذمة وأخذ الجزية ولسنا بحاجة إلى اتفاقية بابليون الأولى والثانية حسب الوضع الجديد الذي تبنته الأسرة العلوية حيث تم استبعاد الشريعة الإسلامية رسمياً من الحكم وتم إنشاء محاكم تحكم بقوانين مترجمة من فرنسا وإنجلترا وإيطاليا ولم يعد للشريعة الإسلامية مجال للحكم إلا فيما يسمى بقوانين الأحوال الشخصية من زواج وطلاق وميراث.

لذلك لا عجب أن يصبح في عهد الخديوي إسماعيل أول مجلس نيابي بالمعنى الغربي، ونواب أقباط لأول مرة في تاريخ مصر: أصبح لهم نواب في المجالس النيابية (كان لهم نائبان من أصل خمس وسبعين عام ١٨٦٩، وأربعة من أصل ثمانين عام ١٨٨١).

ولأول مرة يكون للأقباط قضاة ومستشارون في محاكم الاستئناف. ومنذ عام ١٨٨٣ جرى التقليد على تعيين وزير قبطي واحد في كل وزارة، ثم ارتفع العدد إلى اثنين عام ١٩٢٤ عندما شكل سعد زغلول وزارته. وفي العقدين الأول والثاني من القرن العشرين، تولى اثنان من الأقباط رئاسة الوزارة في مصر، وهما بطرس غالي ( ١٩٠٨-١٩١٠) ويوسف وهبه باشا (١٩١٩-١٩٢٠). واشترك الأقباط في الأحزاب السياسية المصرية، فكان منهم اثنان في الهيئة التأسيسية لحزب الإصلاح الذي تزعمه الشيخ علي يوسف.

واثنان من أبرز أعضاء قيادة الحزب الوطني الذي أسسه مصطفى كامل، وستة عشر عضواً من أصل مائة وثلاثة عشر عضواً في حزب الأمة الذي تأسس عام ١٩٠٧. كل ذلك تم ببركة محمد علي باشا وخلفاؤه الذين نحوا الشريعة الإسلامية التي ظلت حكم مصر منذ سنة ٢٠هـ حتى حكم محمد علي باشا.

## النقطة السادسة

## اعتكافات الأنبا شنودة السياسية

الأنبا شنودة الثالث وترتيبه رقم ١١٧ في قائمة الكنيسة القبطية الأرثوذكسية إذ شغل هذا المنصب بعد وفاة (كيرلس السادس) سنة ١٩٧١م وقد دأب الأنبا شنودة على اعتكافه السياسي إلى وادي النطرون كلما أراد أن يضغط على الحكومة للاستجابة لطلبات الأقباط المصطنعة؛ وقد فعل ذلك مع السادات عدة مرات ثم ها هو ذا يعود لهوايته القديمة لإجبار الحكومة على الإفراج عن المتظاهرين الأقباط وهذا ما سنشير إلى في النقطة التالية:

لقد أظهر محمد علي باشا وخلفاؤه المسألة القبطية ورغم ذلك فلم تنج من ألاعيب الحكام أيضاً مثل استغلال الرئيس أنور السادات (قتل ١٩٨١) تطبيق الشريعة الإسلامية لكسب شعبية بعد أحداث ١٨ ، ١٩ يناير١٩٧٧ م وللضغط على الأقباط ليكسب ودهم "وفي شهر أغسطس ١٩٧٧ وفي أعقاب نشر الصحف لما معناه أن الحكومة برئاسة ممدوح سالم تنوي تطبيق الحدود في الشريعة الإسلامية على المرتد عقد المجمع المقدس اجتماعاً في ١٩٧٧/٨/١ برئاسة البابا شنودة، وأصدر قراراً بتقديم مذكرة لرئيس الجمهورية تتضمن رفض الطوائف المسيحية تطبيق الشريعة الإسلامية وقانون الردة وضرورة حل مشاكل الطائفة(..) واتخذ قراراً بإعلان الصوم الانقطاعي ابتداءً من يوم ١٩٧٧/٩/٥ تعبيراً عن رفض مشروع قانون الردة. وبالتوازي مع هذه الحركة من الداخل كان للتكتلات القبطية والتي هاجرت واستقرت في أمريكا واستراليا تأثير كبير في الضغط على التشريعات، مستغلين كل وسائل الضغط المتاحة لهم من إعلام واتصالات، ولم يهدأوا إلا بعد أن أرسلت لهم قيادتهم الدينية في القاهرة برقية تنبئ بزوال الأزمة بعدما سحبت الحكومة مشروع القانون"[٧٧]

---

٧٧ المناوي: الأقباط: الكنيسة أم الوطن/دار الشباب العربي للنشر والتوزيع والطباعة/مصر/ص ٢٢٨ وما بعدها.

وهذا ما تكرر في قضية السيدة وفاء قسطنطين إذ ذهب الأنبا شنودة إلى معتكفه السياسي في دير وادي النطرون ليجبر الحكومة على الإفراج عن الأقباط المتظاهرين الذين اعتدوا بالسباب والضرب على رجال الشرطة الأشاوس الذين لا يظهرون قوتهم إلا في حالة اقتحام المساجد فقط أو اعتقال المسلمين!! وفعلاً تم الإفراج عن المتظاهرين وإن كان النائب العام قد أفرج عن نصفهم فبقيتهم سيفرج عنهم في مرحلة لاحقة حفاظاً لهيبة الدولة التي لا هيبة لها أصلاً لدى شنودة وبطانته، والمسلمين بالطبع.

## النقطة السابعة

## حادثة الزاوية الحمراء بالقاهرة ١٩٨١م

لقد شهدت هذه المنطقة (الزاوية الحمراء) أحداثاً دامية إذ بدأ الأقباط بالاعتداء وقام المسلمون بالرد عليهم وملخصها كالتي: بدأ الصراع على قطعة أرض فضاء لا عمران فيها فقام أهل الحي بإقامة سور عليها وجعلوها مكاناً للصلاة وتعليم الأطفال القرآن الكريم، وكان هناك قبطي اسمه كمال عياد يملك مدفعاً آلياً يطلق عليه في مصر (رشاش بورسعيدي)، وكان منزله أمام هذا المكان الذي أصبح مسجداً فيما بعد (مسجد النذير)، فنزل وأطلق عدة أعيرة نارية على الأطفال الذين يدرسون في ذلك الوقت فقتل وجرح عدداً منهم وفر هارباً. فلما علم أهل الحي بما حدث ورأوا الدماء ملطخة بحصير المسجد هاجوا وماجوا وطفقوا يتتبعون بيوتات الأقباط.

وقد ذهبت أنا شخصياً إلى مسجد النذير وكان حي الزاوية الحمراء أشبه بساحة معركة عسكرية؛ البيوت محترقة، ومكتوب عليها وعلى المحلات شعارات من كل طرف، قوات الأمن منتشرة في كل مكان، صلينا هناك وبتنا في المسجد رغم أنه كان عبارة عن مكان محاط بسور وأرض مغطاة بالحصير للصلاة، وكان الناس يتوافدون من كل حدب وصوب بدافع حماية المسجد خاصة بعد علمهم أن النصارى قتلوا المسلمين في الزاوية الحمراء فهبوا للدفاع عنهم..

وشهادة للتاريخ فإن الذين ردوا عدوان الأقباط في الزاوية الحمراء كانوا من عوام الناس الذين لا تربطهم أية علاقات بالجماعات الإسلامية رغم قوة الجماعات الإسلامية في ذلك الوقت لكن بسطاء الناس الذين كانوا يجلسون على المقاهي ويدخنون الشيشة! والنرجيلة! هم الذين قاموا برد الاعتداء وخاصة لما سمعوا أن الأقباط يقتلون المسلمين ثم امتدت الأحداث إلى منطقة الوايلي بالقاهرة وكادت أن تعم القاهرة.

قد استغل الأقباط في الداخل والخراج هذه الأحداث؛ وصاروا يشنعون على المسلمين بالأكاذيب رغم أنهم هم الذين بادروا بالاعتداء، وقلبوا الحقائق وزعموا أن المسلمين هم الذين بدأوا قتال النصارى وهم الذين يحرقون بيوتهم.. ولا زلت أذكر هذه الأحداث ونحن نستمع لشهادات الناس إذ تبين لنا أن الكنائس الكبرى بها سراديب وأخاديد ومكدسة بالأسلحة والذخائر... وهناك أماكن خاصة في الكنائس للتدريب على استعمال الأسلحة الخفيفة والتدريب على الكاراتيه والكونجفو.. وأن بعض القساوسة يتقنون استخدام الخناجر بصفة خاصة وقد اقتحم بعض المسلمين في الزاوية الحمراء منزل أحد القساوسة الذي كان مختبئاً وراء دولاب الملابس!.. إذ صاح فيهم فجأة وأشهر خنجره وكان ماهراً في رياضة الكاراتيه إلا أنهم تمكنوا من شل حركته .. وهنا اتهم المسلمون الدولة بتشجيع الأقباط على استعمال السلاح في الوقت الذي تحرمه على المسلمين!!

تلاعب السادات بورقة تطبيق الشريعة الإسلامية:

هكذا كان السادات يستغل الدين ويلوح في وجه الأقلية القبطية بتطبيق الشريعة الإسلامية وهو غير جاد وكاذب في نفس الوقت!! بغية تحقيق مكاسب وشراء ولاء الأقباط حيث يشعرهم أنه لولاه لطبقت الشريعة الإسلامية في مصر وهم يخشون تطبيق الشريعة الإسلامية رغم أنهم أيام تطبيق الشريعة الإسلامية قبل الحقبة العلمانية لأسرة محمد علي باشا كانوا يعيشون في أمن وأمان ولم تظهر مثل هذه المشاكل وما يسمى بالفتنة الطائفية إلا في ظل الحكم العلماني وبسبب غياب الشريعة الإسلامية!

## النقطة الثامنة

## محاضر الدولة وشيخ الأزهر

في أيام الملك الصالح أيوب "كان في دولته نصراني يسمى (محاضر الدولة) أبا الفضائل بن دخان، ولم يكن من في المباشرين أمكن منه. وكان المذكور قذا في عين الإسلام، وبثرة في وجه الدين، ومثاله في الصحف مسطورة، ومخازيه مخلدة مذكورة، حتى بلغ من أمره أنه وقع لرجل نصراني أسلم بردّه إلى دين النصرانية، وخروجه من الملة الإسلامية، ولم يزل يكاتب الفرنج بأخبار المسلمين وأعمالهم وأمر الدولة وتفاصيل أحوالهم. وكان مجلسه معموراً برسل الفرنج والنصارى، وهم مكرمون لديه، وحوائجهم مقضية عنده، ويحل لهم الأدرار والضيافات؛ وأكابر المسلمين محجوبون على الباب لا يؤذن لهم، وإذا دخلوا لم ينصفوا في التحية ولا في الكلام. فاجتمع به بعض أكابر الكتاب فلامه على ذلك وحذره من سوء عاقبة صنعه، فلم يزده ذلك إلا تمرداً"[٧٨]

أقول: لكن كانت هناك بقية من دين وحياء لدى سلاطين ذلك الزمان فلما علم السلطان بجرائم ابن دخان عزله وعاقبه.. وهذا ما لا يستطيع شيخ الأزهر وأنصاره من أهل المشيخة.. فهل يجرؤ شيخ الأزهر أن يعلن اعتكافه في المسجد الأزهر مثلاً أو حتى في بيته احتجاجاً على تسليم السيدة وفاء قسطنطين التي أسلمت إلى الكنيسة وإجبارها على الردة؟! هل يستطيع شيخ الأزهر أن يشهر في وجه رئيس الدولة آية سورة الممتحنة (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ).. وهل يستطيع شيخ الأزهر أن يعلن الاعتكاف ولو على سبيل التجربة احتجاجاً على اعتقال ٦٠ ألف مسلم يقبعون في سجون النظام المستبد منذ عشرين سنة؟ هل يعتكف شيخ الأزهر مرة واحد مطالباً رئيسه الذي عينه بمساواة الأغلبية (٧٠مليون مسلم) بالأقلية (٧ مليون قبطي) في كافة الحقوق التي يحصل عليها الأقباط ويحرم منها غالب الشعب المصري المسلم؟ لا أظن أنه سيفعل؟

٧٨ ابن القيم: أحكام أهل الذمة ص١٨٨.

## النقطة التاسعة

## هل نصارى مصر أهل ذمة حقاً؟

منذ حكم الأسرة العلوية فإن نصارى مصر لم يعودوا أهل ذمة بالمعنى الشرعي لهذا المفهوم للأسباب التالية:

أولاً: لم يعد الحاكم مطبقاً للشريعة الإسلامية ومن ثم فقد صار خارجاً على الشريعة الإسلامية ولا يعتد بكافة القوانين التي يصدرها إذ أنه والعدم سواء وما بني على باطل صار باطلاً ومن هذا الباطل تخليه عن تطبيق عقد الذمة على نصارى مصر.

ثانيا: تعتبر ممارسات أقباط مصر مثل تعاونهم مع المحتل الفرنسي يعتبر نقضاً لعقد الذمة أي أنهم قد نقضوا عقد الذمة قبل استبعاد الشريعة الإسلامية من الحكم رسمياً إبان حكم محمد علي باشا وأسرته.

ثالثا: أقباط مصر في حاجة إلى تجديد عهد الذمة مستقبلاً لأنه لا يوجد حاكم مسلم يطالبهم بتجديد هذا العقد وحتى وجود هذا الحاكم المسلم فإن زعماءهم من بطاركة وقساوسة وشمامسة مطالبون بتبصير بني جلدتهم أنهم غير معاهدين لفسخ عقد الذمة بردة الحاكم ولنقضهم العقد من خلال عدم التزامهم ببنود عهد الذمة المنصوص عليه في الشريعة الإسلامية.

رابعاً: إن وجود ضباط وجنود أقباط في الجيش المصري شاركوا في الحروب التي خاضتها مصر منذ ١٩٥٦ وحتى ١٩٧٣م لا علاقة له بعقد الذمة إذ أنهم تحت حكم علماني لا يطبق الشريعة الإسلامية سواء كان هذا الحكم (خديوية ملكية جمهورية) فإنه لا يكون بديلاً عن عقد الذمة لأنهم بموجب قانون المواطنة والجنسية المصرية يتوجب عليهم أن يؤدوا الخدمة العسكرية وإلا سوف يحاكمون عسكرياً بعدم إطاعة الأوامر العسكرية التي تصل إلى حد الخيانة العظمى إذن فهم لم يشاركوا في هذه الحروب رغم قلتهم طواعية.

خامساً: لا يجوز أن تكون المواطنة بديلاً عن عقد الذمة وأخذ الجزية لأن المسألة ليست في بند أخذ الجزية فقط بل هناك شروط أخرى يجب أن يلتزم بها النصارى وقد أخلوا بها جميعاً ومنها وهي كالتالي:

" أما المستحق فستة شروط أحدها: أن لا يذكروا كتاب الله تعالى بطعن فيه ولا تحريف له. والثاني: أن لا يذكروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بتكذيب ولا ازدراء. والثالث: أن لا يذكروا دين الإسلام بذم له ولا قدح فيه، والرابع: أن لا يصيبوا مسلمة بزنا ولا باسم نكاح. والخامس: أن لا يفتنوا مسلماً عن دينه ولا يتعرضوا لماله ولا دينه. والسادس: أن لا يعينوا أهل الحرب ولا يودوا أغنيائهم. فهذه الستة حقوق ملتزمة فتلزمهم بغير شرط، وإنما تشترط إشعاراً لهم وتأكيداً لتغليظ العهد عليهم ويكون ارتكابها بعد الشرط نقضاً لعهدهم"[٧٩]

**وفي حالة نقضهم يقول الماوردي:**

"وإذا نقض أهل الذمة عهدهم لم يستبح بذلك قتلهم ولا غنم أموالهم ولا سبي ذراريهم ما لم يقاتلوا ووجب إخراجهم من بلاد المسلمين آمنين حتى يلحقوا مأمنهم من أدنى بلاد الشرك، فإن لم يخرجوا طوعاً أخرجوا كرهاً"[٨٠]

وهذا ما فعلوه في قضية السيدة وفاء قسطنطين، واستعانتهم بأعداء المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، ورغم علمنا أنهم قد نقضوا عقد الذمة منذ ما يناهز قرنين إلا أن ما قاموا به مع السيدة وفاء قسطنطين يعضد أنهم يتربصون بالمسلمين الدوائر.

---

٧٩ الماوردي: الأحكام السلطانية تحقيق عماد زكي البارودي المكتبة التوفيقية القاهرة ص٢٥٦ وص٢٥٧.

٨٠ الماوردي: الأحكام السلطانية ص٢٥٩.

## صفوة القول

إن أقباط مصر يرفعون شعارات بالية (مصر قبطية وستعود إلى الأقباط) ويقومون باستفزاز مسلمي مصر ويستعرضون قوتهم التي يتوهمونها أمام وسائل الإعلام في تحد سافر لمشاعر المسلمين؛ السواد الأعظم لشعب مصر. فحسب آخر إحصائية فإن عدد سكان مصر وصل تقريباً إلى ٧٧ مليون نسمة؛ نسبة الأقباط منها حوالي ٤ مليون!

إذن المتبقي هو ٧٣ مليوناً من المسلمين.. فهل يعي عقلاؤهم بما سيحدث لهم إذا نفد صبر عوام الشعب المصري وليس (الحركات الإسلامية) من جراء تعمدهم انتهاك حرمات المسلمين عبر تظاهراتهم المصطنعة وقنواتهم الفضائية التي تهاجم عقيدة المسلمين؟

إن ما يقوم به نصارى مصر بقيادة الأنبا شنودة الثالث إهانة لمشاعر المسلمين في مصر وفي العالم الإسلامي بأسره. الأنبا شنودة الذي عودنا على اعتكافه السياسي في وادي النطرون مهدداً القيادة المصرية الخانعة المرتجفة من ضغوط الغرب؛ لن يجدي اعتكافه هذا إذا تمخض الزلزال وخرج المارد من قمقمه فلن يتحمل الشعب المصري كل هذه الإهانات المتكررة من نصارى مصر تلك الأقلية التي لا هم لها إلا الاستقواء بالغرب؛ لا ولن تنفعهم أمريكا ولا قوات الناتو ولا من في الأرض جميعاً من غضبة الشعب المصري المسلم المكلوم المهان في دينه وكرامته..

فأفيقوا

قبل أن يتمخض الزلزال.. وساعتها سيقول الجميع ولات حين ندم!

مركز المقريزي للدراسات التاريخية لندن

ذو القعدة ١٤٢٥هـ ديسمبر ٢٠٠٤م

# أسباب تهميش واحتواء دور المؤسسات الدينية

د. هاني السباعي

لقد تم احتواء وتهميش دور المؤسسات الدينية في الحياة السياسية عبر حقب تاريخية متعاقبة منذ محمد علي باشا مروراً بالحقبة الخديوية والملكية حتى العهد الجمهوري.

يرجع ذلك إلى عدة أسباب سنحاول أن نسلط الضوء عليها، وقد اختصرتها في عشرة أسباب.

**وهي على النحو التالي:**

السبب الأول؛ عدم استقلالية علماء الأزهر مالياً وحل الأوقاف الأهلية، مما أضعفهم وجعلهم مرتبطين بالحكومة:

قبل أن نشرع في الحديث عن هذا السبب، أود أن أشير إلى أن أول من لفت الانتباه إلى الاستفادة من المؤسسة الدينية وضرب العلماء بعضهم ببعض؛ هو نابليون وحملته المشئومة على مصر عام ١٧٩٨.

لقد استطاعت كلاب الربيع - حسب وصف أحد المؤرخين لجيوش نابليون بونابرت - أن تكرس مفاهيم وتضع لبنات في كيفية التعامل مع المؤسسات الدينية وكيفية احتوائها بل واستخدامها لمصلحة السلطة.

لقد فعل نابليون في بضع سنين ما لم تستطع أن تفعله الحروب الصليبية على مدار قرنين من الزمان، لذلك فإن الأفكار البونابرتية كانت المنطلق الأساسي لمحمد على باشا وأسرته المتسلطة على حكم مصر والشام ردحاً من الزمن حتى وقتنا الحاضر.

لكن هناك حقيقة تاريخية أود أن تكون مدخلنا لهذا السبب وهي متعلقة بالعهدين المملوكي والعثماني.

كان الأزهر مستقلاً مالياً لذلك كان له دور في قيادة الجماهير وحتى عزل الولاة والسلاطين؛ "في عهدي المماليك والعثمانيين ونتيجة لعدد من العوامل الداخلية أهمها الاستقلال المالي والعلمي ومكانة علماء الأزهر في المجتمع أضحى الأزهر مستقلاً في ممارسة دوره - وليس تابعاً للسلطة - مما جعل الدين يحتل مكان الصدارة في المجتمع ويصبح معه علماء الأزهر صفوة المجتمع."

أقول: لقد عاش الأزهر بحق عصره الذهبي في تينك الحقبتين، "وتعاظم دور علماء الأزهر في الحقبتين المملوكية والعثمانية نتيجة استقلالهم المالي والعلمي والذي مكنهم من القيام بالعديد من الأدوار التي تفرضها مهمة العلماء في سياق إسلامي، وهي تعيين الحاكم وإسداء النصح له طوال فترة حكمه ومراقبته وتقويمه وخلعه عندما يفقد شروط المنصب، وأيضاً تعليم الدين والدفاع عن الشعب في مواجهة السلطة الظالمة وأن يكونوا حلقة وصل بينه وبين السلطة العادلة وتعبئته لتأييد سياستها إذا اقتضت الظروف ذلك.

وقد قام علماء الأزهر - كما ذكرناه آنفاً - بتولية محمد علي الذي فطن إلى قوتهم فعمل على تهميش دور الأزهر وأحدث شرخاً في استقلاليته، فتراجع نفوذ علمائه الاجتماعي في مقابل تقدم صفوة شبه علمانية في تفكيرها قادت عمليات تحديث على الطريقة الغربية."

والجدير بالذكر دور الخلفاء العثمانيين في عدم التدخل في شؤونهم المالية والعلمية.

"ولم تعين الدولة العثمانية أي عالم عثماني في منصب شيخ الجامع الأزهر طوال حكمها وتركت منصب شيخ الأزهر للعلماء المصريين دون أن ينافسهم علماء عثمانيون ولم تتدخل في اختيار أحد من المصريين لمنصب المشيخة ولم تحتم أن يكون الشيخ حنفي المذهب، بل تركت اختيار شيخ الجامع مطلقاً من كل قيد مذهبي ومنوطاً بالمشايخ أنفسهم، وعلى الرغم من أن السلطات العثمانية كانت تفضل بطبيعة الحال أن يكون شيخ الأزهر حنفي المذهب فإن أحداً من علماء الحنفية لم يحتل منصب مشيخة الأزهر طوال العصر العثماني، وإنما تقلب على مشيخة الأزهر إبان هذه الفترة

علماء من الشافعية والمالكية، بحيث كان منصب شيخ الأزهر محصوراً في علماء هذين المذهبين.

والمعنى المستفاد من هذه الحقيقة أن الدولة العثمانية أمسكت عن الزج بنفسها في شؤون الأزهر فقد كان مشايخ الأزهر يقومون باختيار شيخهم ويبلغون الوالي العثماني باسمه.

وبين الشيخ محمد الخراشي أول شيخ للأزهر [١٦٥٦ – ١٦٩٠] والشيخ جاد الحق علي جاد الحق [١٩٨٢ – ١٩٩٦]، شيخ الأزهر السابق [توفي في ١٥/مارس/١٩٩٦] تعاقب على مشيخة الأزهر اثنان وأربعون شيخاً على مدى ٣٤٠ عاماً ذوي مذاهب مختلفة ومواقف متباينة."

"لذلك استهدف الأزهر لعديد من المؤامرات نفذها الحكام الطواغيت، الذين كانوا أدوات تنفيذ المؤامرة على الشعب المسلم في مصر، بدءاً بمحمد علي، لقد وجه محمد علي أول ضربة للأزهر بالقضاء على كبار علمائه، الذين كانوا يمثلون الزعامات الشعبية فتخلص منهم، بالقتل أو السجن أو بالنفي أو الإبعاد."

أقول: ثم جاء ضباط يوليو/١٩٥٢ فأجهزوا على الرجل المريض، بل أطفأوا بقية قناديل الجامع العريق التي كانت تبدد ظلام الجهل وظلم الحكام.

ومصداق ذلك؛ "فترة ما بعد ثورة يوليو/١٩٥٢ فإنها وإن مثلت مرحلة تاريخية جديدة من مراحل التطور السياسي المصري، إلا أنها اختطت مساراً معيناً في تحديد العلاقة بين الظاهرة الدينية والظاهرة السياسية.

فقد أقدم جمال عبد الناصر في الداخل على إعادة صياغة الفكر الديني بأسلوب يتلاءم مع طبيعة العصر ومتطلبات التنمية كما حددتها الدولة وفق قناعاتها الفكرية والإيدلوجية فاستخدم الدين مع أدوات أخرى في عمليات التعبئة السياسية وإيجاد شرعية لنظامه.

وفي هذا الإطار أضعف النظام الناصري من استقلال العلماء من خلال سياسته تجاه المؤسسات الإسلامية التي انطلقت من عدة محاور تمثلت في القضاء على استقلال العلماء المالي بإصدار قانون إلغاء الوقف الأهلي وتحويل جانب كبير من

أراضي الأوقاف لوزارة الإصلاح الزراعي فضلاً عن الغاء المحاكم الشرعية - ألغيت المحاكم الشرعية بالقانون رقم ١٩٥٥/٤٦٢ - والقضاء على أي دور محتمل يمكن أن يؤديه الأزهر في شؤون المجتمع باستقلال عن الدولة وذلك بإصدار قانون إعادة تنظيم الأزهر.

بجانب هذا سعى النظام الناصري إلى إيجاد أداة إسلامية لسياساته، وهو ما تمثل في إنشاء المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية."

أقول: هكذا قضى جمال عبد الناصر على دور الأزهر في كافة المناحي الحياتية وصار الأزهر مقعداً لا يستطيع حراكاً، عقب استصداره قانون حل الأوقاف الأهلية - القانون رقم ١٩٥٧/١٥٢ - الخاص باستبدال الأراضي الزراعية الموقوفة على جهات البر العام وتسليمها للجنة العليا للإصلاح الزراعي، ومن ثم عجزت المؤسسة الدينية عن تأدية رسالتها وتم القضاء على أهم مصادر تمويل المؤسسة الدينية من خلال هذه القوانين الجائرة... لكن هل تم تطبيق هذه القوانين على أوقاف غير المسلمين أم أن هذه القوانين كانت موجهة أصلاً للقضاء على الحشاشة الباقية في عمر المؤسسة الدينية العريقة؟!

وعلى حين عوملت أوقاف المسلمين هذه المعاملة استثنيت أوقاف غير المسلمين من أحكام هذين القانونين، حيث وضع لها قانونان خاصان هما، القانون رقم ٢١٤ لسنة ١٩٦٠ في شأن استبدال الأراضي الزراعية الموقوفة على جهات البر العام للأقباط الأرثوذكس والقانون رقم ٣٥ لسنة ١٩٧١ بشأن الأحكام الخاصة بتملك الأراضي الزراعية واستبدالها بالنسبة إلى الجمعيات الخيرية وطوائف غير المسلمين.

وقد جعلت قوانين تنظيم الأوقاف في عهد الرئيس عبد الناصر الدعوة الإسلامية بلا سند مادي ترتكز عليه الأمر الذي أثر بصورة مباشرة على استقلال علماء الدين مادياً وفكرياً، وهو الأمر الذي كان له دوره البالغ في اتخاذ هؤلاء العلماء لمواقف الرفض والمعارضة من الدولة لاطمئنان كل منهم أن هذه المعارضة، وهذا النقد لن يؤثرا على حياتهم المعيشية ولن تفقدهم بالتالي وظائفهم.

علاوة على ذلك فإن هذه القوانين لم تطبق مبدأ المعاملة بالمثل، فلم تسر على أوقاف الكنائس حيث ترك لكل كنيسة أوقافها في حدود مائتي فدان وما زاد عن هذا كانت الدولة تأخذه وتدفع ثمنه بسعر "السوق السوداء"، وهو ما أدى في السبعينات لمناداة عدد من الأصوات بمساواة أوقاف المسلمين بأوقاف المسيحيين.

* * *

السبب الثاني؛ عدم استقلالية الأزهر علمياً وتدخل الدولة في تعيين شيخ الأزهر، وحمل بعض مشايخ الأزهر لشهادات دكتوراه من دول غربية:

وكان لهذا أثر سلبي في شخصية عالم الدين وطريقة تفكيره الشرعية، ولم يكتف ناصر وبطانته بتبعية الأزهر وبقية المؤسسات التابعة له مالياً.

وفي عهد الشيخ محمود شلتوت الذي تولى مشيخة الأزهر [من ١٩٥٨ – ١٩٦٤] صدر القانون رقم ١٠٣ لسنة ١٩٦١، المعروف باسم "قانون تطوير الأزهر."

"وقد أريد به في حقيقة الأمر مسخ الأزهر وتخريبه باسم التطوير. لقد أنشئت بموجب هذا القانون كليات جديدة هي الطب والهندسة، والصيدلة، وطب الأسنان والعلوم، والتجارة، والزراعة، والتربية... بالإضافة إلى كليات الأزهر الأصيلة وهي كلية أصول الدين وكلية الشريعة وكلية اللغة العربية. ولقد استتبع إنشاء هذه الكليات تغيير مناهج التعليم الأزهري في المرحلتين؛ الإعدادية والثانوية، فأصبح على طالب الأزهر أن يدرس المناهج التي تدرس في المدارس المدنية كاملة بالإضافة إلى مناهج الأزهر، وكان لابد من مسخ العلوم الأزهرية حتى يخفف العبء عن الطلاب.

وبسبب هذه الازدواج في المنهج - العلوم الأزهرية إضافة إلى علوم المدارس المدنية - هبط مستوى الطلاب الأزهريين إلى أدنى المستويات، وأكثر من هذا ضاعت هوية الطالب الأزهري التي كانت تتشكل من خلال المناهج الإسلامية التي كان يدرسها في المرحلتين الابتدائية والثانوية القديمة... ولعل هذا كان هو الهدف الحقيقي من القانون رقم ١٠٣/١٩٦١م!"

أقول: واستمراراً لنزع مهابة العلم الشرعي من علماء الأزهر تم إرسال كثير منهم للحصول على نيل درجة الدكتوراه من الجامعات الغربية.

فالدكتور محمد الفحام [١٩٦٩ - ١٩٧٣] سافر في بعثة إلى فرنسا وعاد منها يحمل الدكتوراه من جامعة السوربون... والدكتور عبد الحليم محمود [١٩٧٣ - ١٩٧٨] سافر إلى فرنسا وحصل على الدكتوراه في الفلسفة الإسلامية... الدكتور عبد الرحمن بيصار [١٩٧٨ - ١٩٨٢] سافر إلى إنجلترا وحصل على الدكتوراه من جامعة أدنبرا، بالإضافة عدد من وزراء الأوقاف الذين حصلوا على درجة الدكتوراه من جامعات غربية كوزير الأوقاف الحالي حمدي زقزوق [يناير/١٩٩٦] سافر إلى ألمانيا وحصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة ميونخ، وبما يحويه دلالة لفظ "دكتور" في ذهن المسلم العادي، فهناك فارق بين لفظ "شيخ" وبما يحويه من إشارات عظيمة ودلالته الشرعية في ذهن المسلم.

ومن ثم فقد نزعت الأنظمة هيبة العلماء من صدور الناس! فبعد أن كانوا يتلقون العلم من "شيخ" صار صاحب الفتوى أو القدوة "دكتور" فلو أنهم عربوا الكلمة وقالوا مثلا: الشيخ فلان حاصل على درجة العالمية، لكان هذا حسناً، ولكن الأخطر من ذلك أن هذه العقليات المعممة جاءت من الغرب بدكتوراه حسب مزاج الحاكم، حيث استخدم هؤلاء الدكاترة المعممين! في الدفاع عن قرارات وقوانين الأنظمة الخارجة عن شرع الله، وإلباسها ثوب الشرع!

ولم يكتف عبد الناصر وبطانته من تكبيل وتكميم أفواه علماء الأزهر، بل إنه أعطى لنفسه ولأي حاكم يأتي بعده بموجب القانون ١٩٦١/١٠٣؛ لرئيس الجمهورية تعيين شيخ الأزهر، وكان هذا القانون يجعل الأزهر خاضعاً لوزير مختص... ثم لما كان شعار السادات "الرجل المؤمن"! وكان من لوازم هذا الشعار أو بالأحرى لوازم هذه المرحلة التي كانت القوى الشيوعية والناصرية تتربص به وتتآمر عليه... استخدم السادات الأزهر لتحقيق مآربه، وذلك عندما اعترض شيخ الأزهر د. عبد الحليم محمود بسبب تبعية الأزهر لوزير شئون الأزهر، واستجاب السادات لحاجة في نفسه لاقتراح

شيخ الأزهر وأصدر القرار رقم ١٩٧٥/٣٥٠، الذي نص على أن يكون شيخ الأزهر هو الإمام الأكبر وصاحب الرأي في كل ما يتصل بالشؤون الدينية وأصبح شيخ الأزهر بدرجة رئيس وزراء - مالياً - غير أنه يتبع رئيس الوزراء إدارياً!

لكن كل هذا من الناحية الشكلية، أما من الناحية الجوهرية؛ فشيخ الأزهر موظف في الدولة يقول ما تملي عليه المؤسسة الحاكمة، وحتى وزارة الأوقاف لم يتركوها من باب أولى في حالها.

فمنذ ١٩٥٢ وحتى الآن فقد تولى رئاسة هذه المؤسسة ستة وزراء غير أزهريين؛ أحمد طعيمة/ضابط، حسين الشافعي/ضابط، أحمد الشرباصي/مهندس، د. عبد العزيز كامل/ أستاذ بكلية آداب القاهرة، د. الأحمدي أبو النور/أستاذ بكلية دار العلوم، و د. محمد علي محجوب/مأذون سابق وأستاذ قانون بحقوق عين شمس! فهل عجزت المؤسسة الدينية الرسمية أن يوجد من بين أبنائها من يكون وزيراً، فتسند الوزارة إلى عسكري برتبة ضابط؟!

هكذا استطاع النظام أن يهمش دور الأزهر في المجتمع عبر خطط مدروسة ومنظمة... فماذا كانت النتيجة بالطبع لصالح النظام...

ونسوق أمثلة تصداقاً لما نقول:

مواقف لبعض علماء الأزهر سلباً وإيجاباً:

شيخ الأزهر محمد مصطفى المراغي:

تولى مشيخة الأزهر مرتين الأولى من [١٩٢٨ – ١٩٢٩] والثانية من [١٩٣٥ – ١٩٤٥]؛ هو تلميذ الشيخ محمد عبده.

هاجمه شيخ الإسلام مصطفى صبري المتوفى عام ١٩٥٤، بسبب آراء الشيخ المراغي في قضية فصل الدين عن الدولة لذا فقد "هاجم شيخ الإسلام مصطفى صبري الأزهر بعنف وشدة، أما السبب في هذا فإنه - أي الشيخ - كان يظن أن الأزهر سيسانده كأحد دعاة الفكرة الإسلامية أمام محاولات الشيخ في شرح علمانية النظام الكمالي، واستنهاض الشيخ لهمم المسلمين بعد إلغاء الخلافة، فإذا بالأزهر يعلن تأييده لانقلابات مصطفى كمال أتاتورك.

في العدد ٣٩٦ من "مجلة الرسالة" ظهرت مقالة بعنوان "أسبوع في تاريخ الأزهر"، فيها يقول الشيخ مصطفى صبري عن الشيخ الأكبر إمام الأزهر الشيخ المراغي؛ من أن الدين في كتاب الله غير الفقه، وأن من الإسراف في التعبير أن يقال عن الأحكام التي استنبطها الفقهاء وفرعوا عليها واختلفوا فيها، وتمسكوا بها حيناً ورجعوا عنها أنها أحكام الدين، فإنما الدين هو الشريعة التي أوصى الله بها الأنبياء جميعاً، أما القوانين المنظمة للتعامل والمحققة للعدل والدافعة للحرج فهي غير آراء الفقهاء مستمدة من أصولها الشرعية تختلف باختلاف العصور والاستعدادات وتبعاً لاختلاف الأمم ومقتضيات الحياة فيها وتبعاً لاختلاف البيانات والظروف، ولو جاز أن يكون الدين هو الفقه مع ما ترى من اختلاف الفقهاء بعضها مع بعض وتنفيذ كل آراء مخالفيه وعدّها باطلة لحقت علينا كلمة الله؛ {إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء}.

يقول شيخ الإسلام مصطفى صبري أفندي في رده على هذا: (لا دين في الأزهر باعتراف فضيلة شيخ الأزهر وإمامه، بمعنى لا علم يدرس فيه وفي كلياته يصح أن يسمى

علم الدين، ولا صحة لمما اشتهر عند الناس من كون الأزهر معهداً دينياً - بل كونه أكبر معاهد العالم الإسلامي الدينية - ولا لما تواطأ عليه المسلمون من اعتبار ما في كتب الفقه من الأحكام والقوانين أحكام الشريعة الإسلامية وقوانينها فتكون ما يسمونه الشريعة الإسلامية شريعة "عندية" لأناس يسمون الفقهاء... إن ما قاله شيخ الأزهر - الأستاذ الأكبر الإمام المراغي - اعتداء عظيم... على أئمة الإسلام أصحاب المذاهب المشهورة في الفقه مثل الإمام أبي حنيفة ومالك والشافعي وبان حنبل رضي الله عنهم....

ويواصل الشيخ مصطفى صبري تفنيده لآراء الشيخ المراغي قائلاً: (إن لقول الأستاذ الإمام المراغي مغزى لم يبح به قائله وقد خفي على محبذيه ومنكريه، وسأبديه أنا... يحاول الأستاذ الأكبر المراغي بقوله المنقول من قبل ترويج آخر آمال لهم "دعاة الفكرة الغربية"، وتمزيق آخر أوصال للإسلام وهو فصل الدين عن الحكومة فقد رام أن يتوصل إليه بفصل الدين عن الفقه وقطع صلته به، فكأنه يقول إن الفقه ينطوي على قوانين سنها الأئمة والمجتهدون وهي قوانين زمنية لا دينية، وخلاصة ادعاء فصل الدين عن السياسة قد وقع من زمان قدين في الإسلام منذ اتخاذ الحكومات الإسلامية آراء أئمة الفقه التي لا صلة لهم بالدين، قوانين معمول بها في بالد الإسلام، فلهذا يجوز لنا أن نهملها ونسن قوانين بدلاً منها قوانين أخرى أوفق لزماننا وسياستنا، ولا نكون إن فعلنا ذلك بدلنا ديننا إلى دين غير الإسلام، أو فصلنا الدين عن السياسة أول مرة... وكان الأولى بالأستاذ الأكبر أن لا يتوسل إلى ترويج مبدئه بالاعتداء على الفقه وإخراج أقوال الفقهاء أئمة الإسلام من الدين، بل يبقيهم في مقاماتهم المسلمة دينياً ويقول نحن نجتهد ونضع القوانين الجديدة مستمدين ذلك من الأصول الشرعية، فتكون آراؤنا أيضاً فقهاً وديناً كما كانت آراؤهم. لكنه لم يفعل.

إن مقصود الإمام المراغي؛ هو فصل الدين عن السياسة وتخليص الحكومات في سن القوانين عن التقييد بقيود الشرع الإسلامي، ثم إن هذه الفكرة من الأستاذ الإمام فكرة تنزيل الفقهاء أئمة الدين الواضعين للقوانين الشرعية، منزلة واضعي القوانين الزمنية غير المتقيدين في وضعها بالقيود الدينية، تشبه ما فعله الكتاب العصريون بمصر من تنزيل

الأنبياء إلى منازل العباقرة منكرين لهم النبوة الميتافيزيقية والمعجزات الخارقة لسنن الكون).
شيخ الأزهر عبد الرحمن تاج [١٩٥٤ – ١٩٥٨]:

وهو أنموذج عملي لعالم الدين الذي يبيع آخرته بدنياه! لقد استخدم عبد الناصر وبطانته هذا الشيخ في حملة الدعاية والتشهير ضد خصوم النظام، فقد استخدمه عبد الناصر عقب خلافه مع اللواء محمد نجيب - وهو أول رئيس جمهورية لمصر عقب انقلاب يوليو١٩٥٢ - فأصدر فتوى بحق النظام بسحب الجنسية المصرية من محمد نجيب، أو بالأحرى "سريان عقوبة التجريد من شرف المواطنة على الزعيم الذي يتعاون ضد بلاده"!

واستخدمه النظام الناصري أيضاً في حملته الرهيبة ضد جماعة الإخوان، فقد أصدر بياناً بعنوان "مؤامرة الإخوان" حرص خلاله على الهجوم على الجماعة من منطلق ديني على اعتبار أنهم يعملون على تشويه الدين وحقائقه، وأن الأزهر سوف يعمل من منطلق حمايته للإسلام على أن يرد هذه الجماعة إلى الصواب لتعود إلى الحق.

شيخ الأزهر حسن مأمون [١٩٦٤ – ١٩٦٩]:

في عهده تم إعدام الشهيد سيد قطب - نحسبه كذلك - في ٢٩/أغسطس/١٩٦٦.

ويصف "جيلز كيبل" رد فعل المؤسسة الدينية وردهم على كتاب "معالم في الطريق" قائلاً: (أما رد فعل المؤسسة الإسلامية المصرية العنيف والغاضب فقد بدأ في مجلة "منبر الإسلام"، وهي المجلة التي تصدرها وزارة الأوقاف، وفي العديد من الكتب التي صدرت أثناء محاكمة سيد قطب، وكانت وجهة النظر الأكثر رسمية، هي التي تجسدت في الوثيقة التي أعدها الشيخ محمد عبد اللطيف السبكي، رئيس لجنة الفتوى بالأزهر، بناء على طلب شيخ الأزهر وقتئذ حسن مأمون.

فقد أشار الشيخ السبكي إلى أنه رغم أن النظرة الأولى لكتاب "معالم في الطريق" تظهر أنه كتاب يلبي نداء الإسلام، فإن المرء ينفر منه بعد ذلك من "أسلوبه الملتهب"، وتأثيره وخيم العواقب على النشأ وعلى القراء الذين يعانون من نقص ثقافتهم.

وقد فند الشيخ الكتاب - كلاً وجزءاً - حيث أوضح أنه من الكفر وصف أية فترة بالجاهلية باستثناء تلك الفترة التي سبقت البعثة المحمدية، وبناء على ذلك اتهم سيد قطب بأنه من الخوارج - "مثله مثل الخوارج" - استخدم سيد قطب مقولة "الحاكمية لله" لكي يطلب من المسلمين أن يعارضوا أي حكم أرضي... وهذا الكتاب "يسعى إلى إيهام بسطاء العقول وتحويلهم إلى متعصبين وقتلة عميان").

شيخ الأزهر جاد الحق علي جاد الحق [١٩٨٢ - ١٩٩٦]:

يتهمه العلمانيون بأنه شيخ رجعي! سلفي! أصولي! وهاجموه في وسائل الإعلام كثيراً لخلافه معهم على قضايا ختان النساء واعتراضه على عائدات البنوك وشهادات الاستثمار...إلخ.

لكنه كان أداة النظام في قراراته المصيرية، فقد أيد معاهدة السلام مع العدو اليهودي عندما كان مفتياً... دافع عن النظام ونادى بعدم الخروج على الحاكم، كما في رده على كتاب "الفريضة الغائبة" للشهيد محمد عبد السلام فرج - نحسبه كذلك – ولا نزكي على الله أحداً.

وفي عام ١٩٨٩ استخدمت الدولة شيخ الأزهر المذكور وبعض العلماء المشاهير، وهم الشيخ محمد متولي الشعراوي والشيخ الغزالي ود. القرضاوي و د. الطيب النجار فأصدروا بيانهم الشهير الذي كرس دفاعه عن السلطة وممارستها وبينوا أن تنفيذ الحدود من حق الحاكم وحده، وأن حكام مصر لا يردون لله حكماً!

وتحت عنوان "استغلال الدين لأغراض الحكام" يقول الشيخ صلاح أبو إسماعيل رحمه الله: (وكان اليأس قد غلبني في مجلس الشعب السابق من عدم جدوى المحاولات في تطبيق الشريعة الإسلامية مع زملاء أناديهم فيستجيبون ثم يعدلون... ومجلس الشعب بحكم الدستور يستطيع أن يفرض على الحكومة ما يشاء... إلى أن كان يوم ١٨/ ديسمبر/١٩٧٨... وكانت وسائل إعلامنا تحدث الجماهير عن لقاء مرتقب بين السادات وبيغن على قمة جبل موسى في سيناء، ثم فوجئنا بأن بيغن في صلافة وعنجهية وغطرسة

تجاهل الموعد، ولم يحضر ولم يعتذر، ويحتم الاتجاه إلى اصطناع غطاء لهذه الفضيحة فإذا رئيس مجلس الشعب يفاجئنا بأنه يقترح على المجلس الموقر أن يوافق على تكوين لجنة عامة لتقنين الشريعة الإسلامية، وأحسست وقتها أن هذه المفاجأة السارة لم تكن إلا غطاء للطعنة الصهيونية التي وجهت إلى رئيس مصر السادات.

شيخ الأزهر الحالي د. سيد طنطاوي [٢٧/مارس/١٩٩٦]:

إذا كنا قد ضربنا بالشيخ عبد الرحمن تاج مثل العالم الذي يكون أداة في أيدي النظام... فإن الشيخ تاج يعتبر قطر في محيط فساد شيخ الأزهر الحالي... فقد فاق أقرانه وأتى بفتاوى وأقاويل وأحكام ما لم يأت بها الأوائل!

فالدكتور طنطاوي لا يرد للنظام الحاكم في مصر يد لامس! وفتاويه على حسب المقياس الرسمي للدولة! وإليك عينة من هذه المواقف:

أفتى طنطاوي؛ بجواز التحاق الفتيات إلى الكليات العسكرية والالتحاق بالجيش!

أفتى؛ بجواز تحويل الرجل إلى أنثى بشرط الضرورة الطبية!

أفتى؛ بأن تطبيق الشريعة الإسلامية يحتاج إلى وقت طويل يصل فيها الجميع إلى القناعة

بارك توصيات مؤتمر المرأة في بكين، وقال؛ إن مطالب مؤتمر بكين الخاصة بالمساواة بين الرجل والمرأة لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية!

استخدمته الدولة على نطاق واسع في حملته الشعواء ضد الجماعات الإسلامية، وطاف محافظات وأقاليم مصر يندد بالجماعات الإسلامية ويتهماها بالإرهاب والجهل والخروج عن الملة الإسلامية!

وأيد طنطاوي الدولة في إغلاق بيوت الله، وخاصة الزوايا والمساجد الصغيرة التي كان يتردد عليها بعض أفراد الجماعات الإسلامية، كذلك أيد قرار رئيس الجمهورية بإحالة أعضاء الجماعات الإسلامية إلى المحاكم العسكرية!

ولـم يطالـب الدولـة مـرة - ذراً للرمـاد - أن تلغـي قانـون الطـوارئ، كمـا لـم يطالـب الدولـة صراحـة بتطبيـق الشـريعة الإسـلامية وقـت أن كان مفتيـاً إلـى أن صـار شـيخاً للأزهـر!

فـي عـام ١٩٩٥ عندمـا كان مفتيـاً قـام بزيـارة إلـى أمريكـا بمصاحبـة القـس "صموئيـل حبيـب" رئيـس الطائفـة الإنجيليـة، وتـم حصولـه علـى الدكتـوراه الفخريـة مـن جامعـة "وستمنسـتر" بولايـة بنسـلفانيا! وقابـل الفتـى المدلـل لليهـود "آل جـور" نائـب الرئيـس الأمريكـي "بيـل كلنتـون"، والـذي لا يخفـي تعصبـه لصالحهـم ضـد العـرب والمسـلمين!

أمـا أهـم فتاويـه؛ فهـي اباحتـه للربـا، وهـي الخاصـة بشـهادات الاسـتثمار وصناديـق التوفيـر، حيـث أفتـى بـأن المعامـلات فيهـا جائـزة شـرعاً، ورد عليـه كثيـر مـن علمـاء الإسـلام، وخاصـة الدكتـور علـي السـالوس فـي كتابـه "حكـم ودائـع البنـوك وشـهادات الاسـتثمار فـي الفقـه الإسـلامي"!

وفـي حـرب الخليـج ١٩٩٠ كان بـوق النظـام الرسـمي مـع شـيخ الأزهـر جـاد الحـق، وقـد كان فـي صـف الكويـت والسـعودية حسـب الـدور المرسـوم لـه مـن الدولـة! بـل إنـه ذهـب بنفسـه إلـى السـعودية لزيـارة القـوات المصريـة فـي حفـر الباطـن! وأيـد الاسـتعانة بقـوات أجنبيـة، وقـال بجـواز ذلـك شـرعاً!

مواقف ايجابية لبعض علماء المؤسسة الدينية:

وفـي المقابـل كانـت هنـاك مواقـف تسـتحق الإشـادة والذكـر لعلمـاء المؤسسـة الدينيـة الرسـمية، مـن أمثـال الشـيخ محمـد أبـو زهـرة.

أحـب أن أضيـف قبـل أن أنتقـل إلـى السـبب الثالـث؛ موقـف الشـيخ محمـد أبـي زهـرة رغـم أنـه لـم يكـن شـيخاً للأزهـر، لكـن كانـت لـه مواقـف طيبـة وخاصـة قضيـة فلسـطين.

حيـث يقـول عنـه فـاروق منصـور: (لقـد وقـف مـع الشـعب الفلسـطيني منـذ البدايـة باعتبـار أن القضيـة إسـلامية وقـد رأيتـه يكافـح كفاحـاً مسـتميتاً ليحصـل علـى قـرار لمجمـع البحـوث الإسـلامية عـام ١٩٦٨ بالقاهـرة يؤكـد أن الجهـاد فـي فلسـطين فريضـة وأن علـى المسـلمين أن

يعلنوا الجهاد المقدس. كان الوقت عصيباً على الأمة العربية والعالم الإسلامي، فالجيوش منهزمة أمام العدو الصهيوني، والأرض محتلة، والقوى قد تبعثرت، وكان رأي بعض الأعضاء اعلان الجهاد المقدس ومطالبة المسلمين بذلك، وقاد الدعوة لذلك - للأمانة والتاريخ - الشيخ محمد أبو زهرة، والمفكر الجزائري مالك بن نبي رحمه الله، واللواء الركن محمود شيت خطاب أطال الله في عمره...

ولكن انتصر الرأي المنادي بإعلان الجهاد، وكان المؤتمر قد خصص جانباً من دراساته ومناقشاته لموضوع الجهاد، ومنه كانت فتوى الشيخ محمد أبو زهرة التي ضمنها دراسته: "إن العدو قد دخل ديارنا، وأخذ أرضاً مقدسة من أرضنا، وبذلك يكون القتال فرض عين، ولا يكون فرض كفاية، فيجب على كل مسلم، في أي أرض إسلامية أن يتقدم للقتال، ويأخذ الأهبة لذلك... وإن الذين احتلت أجزاء من ديارهم على المسلمين مجتمعين أن ينصروهم ولا يتركوهم".

ولم يقف الرجل عند هذه الفتوى بل اهتم بأن يؤكد أن واجب تحرير فلسطين يقع على الحكومات والشعوب لا على الأفراد والجماعات، وأن الجهاد أنواع كثيرة وليس وقفاً على عم الجيوش؛ "ليس الجهاد بالعمل الجامع للجيوش المجيشة بل للجهاد ضروب أخرى غير الجيوش، فليذهب إلى الأرض المغتصبة في كل اقليم إسلامي طائفة مدرعة بالإيمان والسلاح والمال، تنطلق فتقض مضاجع أولئك المغتصبين، وتجعلها عليهم سماً زعافاً، بدل أن تكون لبناً وعسلاً كما يريدون").

* * *

السبب الثالث؛ انتشار مذهب الإرجاء وشيوع التصوف في العالم العربي والإسلامي:

إن من لوازم منهج الإرجاء التواكل وعدم الخروج على الحكام، وهذا المنهج التواكليّ قديم نادى به بعض علماء السنة بعد واقعة دير الجماجم بين محمد بن عبد الرحمن بن الأشعث والحجاج بن يوسف، أي بعد فتنة القراء وهزيمتهم في دير الجماجم سنة٨١ هـ.

بدأ ينتشر رويداً حتى صار قاعدة عند أهل السنة - وهو ليس كذلك - بعدم الخروج على الحكام، مع إلقاء شبهات في غير محلها، ثم استمرأ بعض العلماء هذا المذهب، فتلقفته السلفية الحديثة، فألفت الكتب والأبحاث، بل إن الأنظمة الحاكمة ساعدت في طباعة ونشر هذه الأفكار لدرجة أن هذه الأفكار الإرجائية صارت مسلمة عند عامة المسلمين وطلاب العلم الشرعي!

وقد خدم مذهب الإرجاء الحكام على مر العصور أيما خدمة، من تسكين الجماهير وتخديرهم، فكانت النتيجة "دع الملك للمالك"، وقد سرى هذا المذهب في جسد الأمة حتى صارت مرتعاً للحملات الصليبية وهجمات التتار، وتسلط الحكام، واتسع الخرق على الراقع، واستفحل الداء.

يقول الجبرتي واصفاً حال الناس عقب علمهم بقدوم الفرنسيس: (وقد كانت العلماء عند توجه مراد بك تجتمع بالأزهر كل يوم ويقرأون البخاري وغيره من الدعوات، وكذلك مشايخ فقراء الأحمدية والرفاعية والبراهمة والقادرية والسعدية وغيرهم من الطوائف وأرباب الأشاير، ويعملون لهم مجالس بالأزهر، وكذلك أطفال المكاتب، ويذكرون أطفال المكاتب، ويكررون الاسم اللطيف وغيره من الأسماء.

ووصف الجبرتي أخلاط الناس وهم يصيحون عقب دخول الفرنسيس القاهرة ويعلق على ذلك: (ضج العامة والغوغاء من الرعية وأخلاط الناس بالصياح ورفع الأصوات بقولهم: يا رب يا لطيف، ويا رجال الله، ونحو ذلك وكأنهم يقاتلون ويحاربون بصياحهم وجلبتهم، فكان العقلاء من الناس يقولون لهم إن رسول والصحابة والمجاهدين إنما يقاتلون بالسيف والحراب وضرب الرقاب، لا برفع الأصوات والصراخ والنباح، فلا يستمعون، ولا يرجعون عما هم فيه، ومن يقرأ ومن يسمع!).

وقد ظل علماء الأزهر وشيوخه يحافظون على هذه البدعة، كلما ألمت بالبلاد مصيبة، أو داهمتها كارثة، فبعد مرور ما يقارب من تسعين عاماً على مجيء الفرنسيين إلى مصر، قام الأسطول الإنجليزي بقصف مدينة الإسكندرية وتمكن من احتلالها.

يقول القاياتي وهو من شيوخ الأزهر: (وعندما انتشبت الحرب بين الإنكليز وأهل الوطن العزيز، اجتهدوا غاية الاجتهاد، في سبيل المدافعة والجهاد، بأخذ الأهبة والاستعداد... وكانت السادة العلماء الأعلام، ولا سيما أستاذنا شيخ الإسلام - يعني شيخ الأزهر - يقرءون كتاب البخاري الشريف، في الجامع الأزهر الأنور المنيف.

أقول: لا عجب أن يقوم نابليون بإحياء هذه البدع وحضور الموالد، ويسير على دربه حكام اليوم الذين يريدون إسلاماً معيناً، هو إسلام الدراويش وأصحاب الرايات والبيارق، الذين لا يألون جهداً في الدفاع عن الأنظمة التي تحمي خزعبلاتهم وخرافاتهم، بل وتحمي أيضاً انحرافاتهم وملذاتهم المحرمة!

* * *

السبب الرابع؛ وجود طابور خامس من العلماء يعملون لحساب النظام، مع بث الفرقة ونشر الشائعات عن العلماء الذين لا يسيرون في فلك المنظومة السلطوية:

فبعد أن صارت مرتبات العلماء وكادرهم الوظيفي بأيدي الحكومة سهل على النظام اختراقهم وتجنيد بعض النفوس الضعيفة من العلماء فراحوا يكتبون التقارير السرية ضد توجهات زملائهم الفكرية والسياسية، بل إن الأمر معمول به في الجمعيات الخيرية الشرعية التابعة لوزارة الشؤون الاجتماعية فهناك بين أعضاء مجالس إدارة هذه المؤسسات الإسلامية من يعمل لصالح الأمن ويرسل عن نشاط زملائه المشايخ، مما سبب فصل بعض العلماء من قيادة هذه الجمعيات وسجنهم والتشهير بهم.

وقد أدى هذه السلوك إلى التشكيك في بعضهم والقاء التهم جزافاً مما أحدث فرقة بين المشايخ، فلم يقوموا بالدور الدعوي المنشود، وكل ذلك يصب في خانة النظام ولصالحه.

* * *

السبب الخامس؛ تركيز وسائل الإعلام الحكومية على رسم صورة نمطية ساخرة لعالم الدين، مما أدى لاهتزاز صورة عالم الدين في قلوب وعقول الأجيال المتعاقبة:

وتعتبر الماكينة الإعلامية للنظام الناصري هي أول من قامت بهذه الحملة الشرسة ضد علماء الدين بغية نزع التدين من الأمة تدريجياً، لهذا الغرض جند النظام مجموعة من المتفسخين شخصياً والمنبوذين لدى المجتمع بالقيام بهذا الدور، وقد صاروا أحد أعمدة النظام في ترويج الشائعات والنيل من الإسلام وأهله بحجة الإبداع والفن والفكاهة وغير ذلك من السخافات!

فقد طفحت أفلامهم ومسرحياتهم ومسلسلاتهم في كافة المناحي الحياتية، اقتحمت على الناس بيوتهم، يشوهون ويسخرون من الدين وأهله، تارة السخرية من رجل الدين المتنطع والمتقعر! وتارات من الشباب النقي الطاهر! ثم انكشف المخبوء فأفصحوا عما تخفي صدورهم فبعد الغمز واللمز على الإسلام وأهله صار الشتم الصراح على نبي الإسلام وعلى الذات العلية!... والعياذ بالله!

ولن نطيل في هذا الموضوع كثيراً فقد لوثوا الأجواء الفضائية بأفلامهم وأخبارهم وبرامجهم الهدامة!

* * *

السبب السادس؛ الضغوط الدولية والمؤامرات العالمية بغية إضعاف روح التدين لدى الأمة المسلمة عبر برامج ومعونات منظمة ينفذها أذنابهم المتسلطون في المنطقة العربية والإسلامية:

ألم يعترض الكيان اليهودي في فلسطين على حلقات الشيخ متولي الشعراوي عام ١٩٨٠ عند تفسيره لسورة البقرة وكلامه عن مكر اليهود وخداعهم وقتلهم الأنبياء بغير حق، ثم استجابت الحكومة المصرية فمنعت حلقات الشعراوي فترة، ثم أعادته بعد مقتل السادات!

ألم يقم شيخ الأزهر الحالي سيد طنطاوي بالموافقة على إلغاء السنة الدراسية لطلاب الأزهر والغاء بعض الفقرات الشرعية بحجة تحسين مستوى الطالب، فلمصلحة من؟ بالطبع لليهود وأجهزة الاستخبارات الغربية والأمريكية.

ألـم يقـم وزيـر التعليـم المصـري حسـين بهـاء الديـن بحذف بعـض غزوات الرسـول المتعلقة بسـيرة الرسـول لتلاميـذ المـدارس بنـاء على طلـب هيئـة استشـارية أمريكيـة، باعتبـار أن هـذه المقـررات والمناهـج المدرسـية تخـدم التطرف وضـد التطبيـع مـع اليهـود! بالإضافـة إلـى فصلـه كل مـدرس يشـبه فـي أنـه مـن الملتزميـن دينيـاً وإن كان شـكلياً، وراجـع إن شـئت ملف محاكـم القضـاء الإداري التـي يتظلـم منهـا المدرسـون ضـد وزيـر التعليـم بسـبب فصلـه إياهـم أو نقلهـم إلـى وظائـف إداريـة بعيـدة عـن التعاليـم التربـوي المباشـر!

ألـم يقـم وزيـر الإعـلام المصـري بتجفيـف برامـج إذاعـة القـرآن الكريـم، أكثـر مـن أحـد عشـر برنامجـاً دينيـاً تـم شـطبه وإلغـاؤه، لمصلحـة مـن؟! بالإضافـة إلـى فصـل ونقـل المذيعـات اللائـي ارتديـن الحجـاب!

مقابـلات شـيخ الأزهـر المشـبوهة لحاخامـات اليهـود وحصولـه علـى الدكتـوراه الفخريـة! مـن أجـل مـاذا؟! "هـلا جلـس أحدكـم فـي بيـت أبيـه وبيـت أمـه" – أو كمـا قـال الرسـول صلـى اللـه عليـه وسـلم لابـن اللُتبيـة.

لمصلحـة مـن هـذه المؤتمـرات المتوسـطية والإقليميـة والكونيـة، وازديـاد نغمـة محاربـة الأصوليـة والقضـاء علـى الإرهـاب! لدرجـة أن هـذا الشـعار الـذي ابتكـره النظـام المصـري - محاربـة الإرهـاب - يسـتخدم اليـوم بمباركـة علمـاء المؤسسـة الدينيـة الرسـمية فـي قتـل وتشـريد وتجويـع المسـلمين واحتـلال بلادهـم بحجـة القضـاء علـى الإرهـاب!

لذلـك لا ضيـر أن يـردد رئيـس روسـيا اليـوم فـي قتلـه لمسـلمي الشيشـان، طالمـا أن هنـاك شـعاراً ينطلـي علـى البسـطاء وبموافقـة العلمـاء؛ "نحـن لا نحـارب الإسـلام بـل نحـارب الإرهـاب"!

لا ضيـر أن يضـرب أمريـكا السـودان وأفغانسـتان والعـراق والعالـم الإسـلامي طالمـا أن هنـاك شـعاراً اسـمه "محاربـة الإرهـاب"!... وعلمـاء المؤسسـة الدينيـة لا يزالـون يتفرجـون، بـل إنهـم ينمقـون بيانـات التأييـد لضـرب العجائـز والأرامـل وطمـس الحضـارات ووأد المـآذن! كل ذلـك تحـت مسـمى الشـعار اللعيـن محاربـة "الإرهـاب"! (وإن كان مكرهـم لتـزول منـه الجبـال).

# التراث والتجديد في فكر حسن حنفي

د. هاني السباعي

مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية بلندن

**تقدمة:**

لقد فتح المعتزلة الأوائل المجال للعلمانيين ومن سار على دربهم في النيل من الإسلام وعقيدته، أطلقوا سلطة التحسين والتقبيح على حساب الشرع، فقدموا العقل على النقل، وقد نتج عن ذلك أنهم عطلوا صفات الله وقالوا بخلق القرآن وأنكروا رؤية الله سبحانه وتعالى يوم القيامة، وأنكروا أحاديث الشفاعة في أهل الكبائر يوم القيامة وقالوا مرتكب الكبيرة يخلد في النار، وقالوا إن الله لم يستو على عرشه وأولوها بالاستيلاء، وتطاولوا على الصحابة كأبي بكر الصديق وعثمان وعلي وطلحة والزبير وجرير بن عبدالله بن مسعود وسمرة بن جندب، وكان لأبي هريرة نصيب الأسد من الطعن والتجريح رضي الله عنهم أجمعين. وقد تولى كبر هذه المدرسة الكلامية واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد وأبو الهذيل العلاف والنظام والجاحظ والقاضي عبد الجبار وغيرهم، ثم زين المستشرقون آراء هذه الفرق الضالة. فسار- على تلك المنظومة وخاصة في القرنين المنصرمين – قلة من أبناء المسلمين المتسمين بالإسلام فبعد الطهطاوي جاء الرجل اللغز جمال الدين الأفغاني وتلامذته محمد عبده ومحمد مصطفى المراغي شيخ الأزهر الأسبق شلتوت وعبد العزيز جاويش ومحمد فريد وجدي وعلي عبد الرازق وغيرهم وعلا صوت هذه المدرسة وتم تلميع أئمتها كالأفغاني ومحمد عبده، فصارت فتاواهم عمدة وتكأة لآراء العلمانيين ومن يسمون أنفسهم بالإسلام المستنير!! وصار كل من هبّ ودبّ يتكلم في الإسلام كطه حسين الذي لم يجد نقيصة إلا ووصم بها الإسلام. طه حسين الذي قدم لنا الآداب الميتة ولغتها المندثرة كاليونانية وكان ينقب عن النشاز في التاريخ فيبرزه كثورة الزنج والقرامطة تزلفاً وعرفاناً بالجميل لأسياده

المستشرقين في ظل هذا الجو الكئيب وسيطرة الفكر الاعتزالي على جامعاتنا ومراكز الدراسات كان من الطبيعي أن يفرز ذلك المناخ الدكتور حسن حنفي أستاذ الفلسفة على الفكر الاعتزالي والمنظومة الماركسية الحمراء فأخرج لنا مؤلفاته التي تسير على غرار المنظومة الماركسية ولما كان مصراً على الاحتفاظ باسم مسلم فإنه صار على منهج المتناقضات بغية التوفيق أو قل التلفيق في تأويل الحدث التاريخي الطويل من البحث والتنقيب ظهر سلخ جديد اسمه اليسار الإسلامي، فصار التاريخ الإسلامي يسار ويمين فالمعتزلة يسار، والأشاعرة يمين، والفلسفة بها يمين ويسار، فالفلسفة عند ابن رشد يسار.. والفلسفة الإشراقية عند الفارابي وابن سينا يمين.. والتشريع يمين ويسار.. فالمالكية التي تقوم على المصالح المرسلة يسار، والفقه الافتراضيّ عند الحنفية يمين وفي التفسير بالمعقول يسار والتفسير بالمأثور يمين وفي التاريخ الفتنة الكبرى علي يسار ومعاوية يمينٍ.(١) العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب – محمد حامد الناصر- مكتبة الكوثر- الرياض الطبعة الأولى، ص٣٣٠و٣٣١).

نلاحظ أنه صنف الأحناف يمين لأن فقه الأحناف في نظره غير واقعي، ويتحدث عن أمور في المستقبل. أما التفسير بالمأثور يمين لأن الذين يفسرون بالمأثور يحتمون بالنص والنص يعتمد على سلطة الكتاب وليس على سلطة العقل وحجة السلطة ليست حجة لأن هناك كتباً مقدسة كثيرة في حين أنه يوجد واقع واحد وعقل واحد. (٢) العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب – محمد حامد الناصر- مكتبة الكوثر- الرياض الطبعة الأولى، ص٣٣٠و٣٣١).

هكذا بكل صراحة يعلن حسن حنفي معاداته للقرآن. فخلاصة فكر هذه المدرسة (اليسار الإسلامي). أنها امتداد للفكر الاعتزالي وما يسمى بالمدرسة الإصلاحية بزعامة الأفغاني ومحمد عبده ومن رجال هذا التيار اليسار الإسلامي فتحي عثمان ومحمد عابد الجابري وغيرهم ويركز هذا التيار على الثورة وابني الاشتراكية والعدل الاجتماعي وتجديد التراث وغير ذلك ويقول حسن حنفي:(إننا في غياب البديل الإسلامي الثوري لجأنا بالضرورة إلى الماركسية لحل قضية العدالة الاجتماعية وإلى الليبرالية – الديمقراطية

– لحل القمع المسلط على شعوبنا وإلى القومية لإنهاء حال التشرذم وإلى ديكارت لتأكيد العقلانية، لقد لاحظ اليسار الإسلامي أن في التراث الغربي بعض الجوانب الإنسانية المضيئة لا يمكن إهمالها ولا يمكن القيام بنهضة فكرية واجتماعية مالم نستفيد من هذه الجوانب التي يلخصونها في العقلانية والعدالة الاجتماعية والحرية والوحدة القومية. (٣) المرجع السابق ص٣٣٠و٣٣١).

ويعتبر حسن حنفي أن اليسار الإسلامي هو النقد الذاتي للحركة الإسلامية وهو التيار المعارض والمصحح داخل هذه الحركة الإسلامية، كما أنه يجب إحياء الجوانب الثورية في الدين وتأويل كل حدث على أنه ثورة إذ يقول: (ومهمة اليسار الإسلامي الكشف عن العناصر الثورية في الدين أو تأويل الدين على أنه ثورة، فالدين في ذاته ثورة وكانت الأنبياء ثواراً مصلحين ومجددين فقد مثل إبراهيم ثورة العقل ضد التقاليد وثورة التوحيد ضد التجسيم، ومثل موسى ثورة التحرر ضد الطغيان, وكان محمد ثورة الفقراء والعبيد والمضطهدين ضد الأغنياء وسادة قريش وطغاتها من أجل إقامة مجتمع حرية وإخاء ومساواة، ويؤرخ القرآن للنبوة على أنها ضد المفاسد الاجتماعية والخلقية(..) وقد ذخر التاريخ الإسلامي بالثورات الدينية والاجتماعية والسياسية مثل ثورة القرامطة وثورة الزنج في تاريخنا القديم والحركات الإصلاحية كالمهدية والسنوسية وثورة الجزائر وعمر المختار) (٤) المرجع السابق/ص٣٣٤).. هذه خلاصة أفكار اليسار الإسلامي تلك المدرسة التي يريد أن يفرضها علينا حسن حنفي ومن على شاكلته للأخذ بأيدي المسلمين للفوز بالسعادة الماركسية الحمراء وللمزيد من الإيضاح سنلقي الضوء بعون الله تعالى على أهم ركائز فكر حسن حنفي التدميري وذلك من خلال قراءة في كتابه (التراث والتجديد).. وقد اخترت هذا الكتاب بصفة خاصة عن سائر كتبه لأنه أوضح عبارة وأخطر طرحاً في إفصاحه المباشر عن اطروحته اليسارية ولا تحتاج عباراته إلى تأويل أو غموض يحتاج إلى تفسير.. فلكيلا يتهمنا أحد بالتحامل على الدكتور حسن حنفي حيث نفسر أقواله بما لا تحتمل.. لذلك رشحت هذا الكتاب الذي لم يتب مؤلفه حسن حنفي ولم يعلن ذلك على الملأ بل إنه يعتز به وينادي بكل ما فيه.. هذا

الكتاب يحتوي على أبرز القضايا التي يدعو لها الدكتور حسن حنفي ويدندن حولها في كتبه ومقالاته وخاصة مؤلفه الضخم: (من العقيدة إلى الثورة محاولة لإعادة أصول الدين).. وكتابه: (الدين والثورة في مصر).. وكتبابه: (مقدمة في علم الاستغراب).. وللكاتب مقالات أخرى في فلسفة اليسار الإسلامي غالبها يدور حول نفس الأفكار التي سنطرحها من خلال كتابه التراث والتجديد في هذه المقالة وأهم هذه الأفكار الهدامة هي: أولاً: العقل أساس النقل: يقول حسن حنفي مؤكداً للفكر الاعتزالي: (وقد ظهر أن العقل أساس النقل وأن كل ما عارض العقل فإنه يعارض النقل, وكل ما وافق العقل فإنه يوافق النقل، ظهر ذلك لدى المعتزلة وعند الفلاسفة وظهرت لغة التخيل في الوحي، ومنطق البرهان في الفكر، ولم نسر في هذه الرؤيا ورجعنا إلى التشبيه والتجسيم والتقليد وجعلنا النقل أساس العقل، وآمنا بالوقائع الحسية المادية وراء التصوير الفني، واعتمدنا على سلطة الكتاب في البرهان (٥) التراث والتجديد/ص١٠٤).

ويتهكم حسن حنفي مقتبساً تعبيراً من شطر بيت للشاعر العلماني الفلسطيني محمود درويش: (واحتمى أبوك بالنصوص فجاء اللصوص).. ورجعنا إلى النص الأول نعطي له الأولوية على الواقع (احتمينا بالنصوص فجاء اللصوص(٦) السابق ص١٠٤).

هكذا يعتقد حسن حنفي فانص الأول هو طبعاً القرآن الكريم. فالتمسك بالقرآن يأتي باللصوص!! سبحانك هذا بهتان عظيم. ثانياً: العلمانية أساس الوحي:

وحول هذا يتساءل حسن حنفي ويفتري على الله الكذب ويقول: (فإن قيل إن التراث والتجديد سيؤدي حتماً إلى حركة علمانية وفي العلمانية قضاء على تراثنا القديم وموروثاتنا الروحية وآثارنا الدينية، قيل قد نشأت العلمانية في الغرب استجابة لدعوة طبيعية تقوم على أساس رفض الصور الخارجية وقسمة الحياة إلى قسمين واستغلال المؤسسات الدينية للجماهير وتوطينها مع السلطة وحفاظها على الأنظمة القائمة نشأت العلمانية استرداداً للإنسان لحريته في السلوك والتعبير وحريته في الفهم والإدراك ورفضه لكل أشكال الوصاية عليه ولأي سلطة فوقه إلا من سلطة العقل والضمير، العلمانية اذن رجوع إلى المضمون دون الشكل وإلى الجوهر دون العرض، وإلى الصدق دون النفاق،

وإلى وحدة الإنسان دون ازدواجيته وإلى الإنسان دون غيره. العلمانية إذن هي أساس الوحي، فالوحي علماني في جوهره والدونية طارئة عليه من صنع التاريخ، تظهر في لحظات تخلف المجتمعات وتوقفها عن التطور، وما شأننا بالكهنوت والعلمانية ماهي إلا رفض له؟ العلمانية في تراثنا وواقعنا هي الأساس واتهامها باللا-دونية تبعية لفكر غريب وتراث مغاير وحضارة أخرى )(٧)(السابق/ص٦٣)..

ونلاحظ في الفقرة السابقة بياناً صريحاً لدعوة حسن حنفي الإلحادية.. فالصور الخارجية!! المرفوضة هي علم الغيب وهي الجنة والنار والملائكة.. فالوحي أي القرآن أو الدين بصفة عامة اغتصب حق الإنسان في السلوك والحرية حسب زعم حسن حنفي وأن العلمانية استردت هذا الحق المغصوب وأعادته للإنسان!! فالعلمانية تؤدي إلى الصدق!! أما الدين والوحي والقرآن فيؤدي كل منهما إلى النفاق والكذب!! العلمانية ترفض أي أشكال الوصاية على الإنسان والوصاية المقصودة هنا هي نصوص القرآن والدين بصفة عامة فالقرآن يضيق على تعبير وحرية الإنسان كما أن هذه العلمانية ترفض أي سلطة- أي النص القرآني- أما العقل فهو وحده رب العلمانية وآلهتها.. ويخلص حنفي إلى أن العلمانية جوهر والدونية طارئة عليه فالدين من صنع التاريخ!! بمعنى أوضح فالقرآن والدين الإسلامي نتاج بشري من صنع التاريخ ووليد ظروف اجتماعية متخلفة لأن الدين لا يظهر إلا في مجتمعات متخلفة توقفت عن التطور والعلمانية ترفض هذا الكهنوت – أي الدين- ثم بعد ذلك يقرر هذه الحتمية التاريخية التي لا يعرفها إلا حسن حنفي ومن على شاكلته: (العلمانية في تراثنا وواقعنا هي الأساس واتهامها باللا-دونية تبعية لفكر غريب وتراث مغاير وحضارة أخرى)!!

فأي دونية يقصد حسن حنفي؟!! أعتقد أنه يقصد أن العلمانية هي الدين لأنها أساس الوحي حسب زعمه!! ثالثاً: الوحي ليس ديناً: من المعلوم بداهة أن المقدمة إذا كانت باطلة فلابد أن تكون النتيجة باطلة تبعاً لذلك.. ولما كانت العلمانية هي أساس الوحي حسب زعم حنفي.. فالنتيجة أن الوحي ليس ديناً وهذا ما سنجده في الفقرة التالية: (يثار بيننا الجدل عن الحكومة الدينية خلافة أم علمانية؟ وتتصارع الأهواء

وتتضارب الغايات دون أن يحاول أحد تحليل الواقع الذي يمكنه أن يبدد كل هذا الجدل، فالواقع لا يوصف بما هو أقل منه كما أن له بناءه المثالي في الوحي، والوحي ليس ديناً بل هو البناء المثالي للعالم)(٧)(السابق/ص١٠١)..

فالكاتب يفترض أن هناك جدالاً قائماً يصوره له خياله الفلسفي! فمن هؤلاء العلماء الثقات الذي أثاروا الجدل وتساءلوا عن الحكومة الدينية سواء كانت خلافة أم علمانية؟!! فهذا التساؤل لم يدر إلا في خلد حسن حنفي ومن يحذو حذوه! أما العلماء الربانيون فإنهم لم يثيروا مثل هذا الجدل وطبيعة المنظومة الإسلامية. رابعاً: طعنه في آيات التحريم: يعتبر حسن حنفي أن من أسباب فشل تغيير الواقع بالقديم –أي القرآن- هو الاهتمام بتحريم المحرمات وفي ذلك يقول: (البداية بالمحرمات، والتشديد في العقوبات، وإصدار قوائم للممنوعات، وجعل السلوك الإنساني تحقيقاً للنواهي دون ذكر للمباحات التي يمكن أن يتصل من خلالها بالطبيعة، وجعل العالم مواطن للشبهات لا يجوز للإنسان أن يحوم حولها خشية التردي فيها، هذا كله يمنع الثقة بين الإنسان والعالم، ويضع في الإنسان الخوف بدل الشجاعة، والإحجام بدل الإقدام، ويجعل الإنسان متشككاً في سلوكه، متهماً لنفسه، نادماً على ما فعل مما يرسخ في نفسه الإحساس بالذنب الناتج عن الاقتراب من الطابو أو مجرد التفكير فيه، والوعي السياسي يتطلب القضاء على كل هذه المحرمات التي تخضع لتحليل العقل ولوصف الواقع، مما يعيد الثقة للإنسان بينه وبين العالم)

(٨)(السابق/ص٤٢).. هذه دعوى صريحة لرفض حكم الله والطعن في آيات الله وقرآنه.. فالبداية بالمحرمات –حسب زعمه- هي سبب فشل تغيير الواقع بالقرآن!! فحسن حنفي يقصد بقوله (البداية بالمحرمات).. قول الله تعالى: (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق).. ويتمادى حسن حنفي في جرأته على النص القرآني قائلاً: (البداية بقوانين العقاب أو تطبيق الحدود، وكأن الإسلام يأتي بالرجم والقتل وقطع اليد) (٩)(السابق/ص٤٢).

ويقصد حنفي بقوله التشديد بالعقاب.. قوله تعالى: (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم).. وقوله تعالى: (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله..) وقوله تعالى: (والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم).. فهذه الآيات البينات الكريمات لا تعجب أستاذ الفلسفة دكتور حسن حنفي، بل هي في زعمه سبب فشل تغيير الواقع عن طريق القديم!! أي عن طريق النص القرآني بمعنى أن الشريعة الإسلامية في نظره لا تصلح للواقع.. (كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا).. خامساً: لفظ الجلالة (الله) وألفاظ (الرسول.. الدين الجنة.. النار.. إلخ) لم تعد عند حسن حنفي قادرة على التعبير عن مضامينها: لم تسلم شعائر الدين الإسلامي من طعنه، ولم يسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حتى ذات الله واسمه الأعظم من افتراءات أستاذ الفلسفة حيث يقول: (إن العلوم الأساسية في تراثنا القديم مازالت تعبر عن نفسها بالألفاظ والمصطلحات التقليدية التي نشأت بها هذه العلوم والتي تقضي في الوقت نفسه على مضمونها ودلالتها والتي تمنع أيضاً إعادة فهمها وتطويرها، يسيطر على هذه اللغة القديمة الألفاظ والمصطلحات الدينية مثل: الله، الرسول، الدين، الجنة، النار، الثواب، العقاب(..) هذه اللغة لم تعد قادرة على التعبير عن مضامينها المتجددة طبقاً لمتطلبات العصر نظراً لطول مصاحبتها للمعاني التقليدية الشائعة التي تريد التخلص منها، ومهما أعطيناها معاني جديدة فإنها لن تؤدي غرضها لسيادة المعنى العرفي الشائع على المعنى الاصطلاحي الجديد، ومن ثم أصبحت لغة عاجزة عن الأداء بمهمتها في التعبير والإيصال)(١٠) (السابق١١٠).

انظر إلى هذا الافتراء وإلى هذه الجرأة الوقحة مع رب العزة سبحانه وتعالى، فلفظ الجلالة ما هو إلا لفظ قاصر ليس له واقع ولا يعبر عن شئ والرسول والجنة والنار ماهي إلا ألفاظ جوفاء قاصرة لا تعبر عن واقع ولا عن شئ بل يدعو حسن حنفي إلى التخلص منها

أي رفض الدين جملة وتفصيلاً؟! فالأمر إذن دعوة للإلحاد بالمعنى الفصيح. سادساً: لفظ الجلالة (الله) يحتوي على تناقض حسب افتراءات حسن حنفي: فحاشا لله أن يحتوي اسمه الأعظم على تناقض.. يشرح حنفي أسباب قصور اللغة القديمة أي النص القرآني فيقول: (إنها لغة إلهية تدور الألفاظ فيها حول "الله" ولو أنه يأخذ دلالات متعددة حسب كل علم، فهو "الشارع" في علم أصول الفقه.. وهو "الحكيم" في علم أصول الدين، وهو "الواحد" في التصوف، لفظ "الله" يستعمله الجميع دون تحديد سابق لمعنى اللفظ إن كان له معنى مستقل أو لما يقصده المتكلم من استعماله، بل إن لفظ "الله" يحتوي على تناقض داخلي في استعماله باعتباره مادة لغوية لتحديد المعاني أو التصورات، مطلقاً يراد التعبير عنه بلفظ محدود)(١١) (السابق/١١٢)..

ويزيد حسن حنفي شرحه للفظ الجلالة: (يعبر عن اقتضاء أو مطلب، ولا يعبر عن معين أي أنه صرخة وجودية، أكثر منه معنى يمكن التعبير عنه بلفظ من اللغة أو بصور في العقل، وهو رد فعل على حالة نفسية أو عن إحساس أكثر منه تعبيراً عن قصد أو إيصال لمعنى معين، فكل ما نعتقده ثم نعظمه تعويضاً عن فقد، يكون في الحس الشعبي هو الله، وكل ما نصبو إليه ولا نستطيع تحقيقه فهو أيضاً في الشعور الجماهيري هو الله، وكلما حصلنا على تجربة جمالية قلنا: الله! الله! وكلما حفت بنا المصائب دعونا الله، وحلفنا له أيضاً بالله) (السابق/١١٣). وماذا بعد كل هذه الافتراءات حول لفظ الجلالة؟! يخلص حنفي إلى الآتي: (فالله لفظ نعبر به عن صرخات الألم وصيحات الفرح أي أنه تعبير أدبي أكثر منه وصفاً لواقع، وتعبير إنشائي أكثر منه وصفاً خيرياً، وما زالت الإنسانية كلها تحاول البحث عن معنى للفظ الله(١٢)(السابق/١١٣)..

انظر إلى قوله (فما زالت الإنسانية كلها).. فلماذا كلها وليس بعضها؟! فهل هذا خطاب علمي موضوعي لرجل يزعم أنه أفنى عمره في البحث والتنقيب، فكأنه يخوفنا بتعميماته – الإنسانية كلها- لكن المسلمين وحتى أصحاب الديانات الأخرى ضد هذه الأطروحة الإلحادية.. أليس المسلمون وأصحاب الديانات الأخرى من الإنسانية؟! بالطبع هذا هراء علمي! وهذه طريقة الخطاب الماركسي في التعتيم والحتمية لإرهاب

القارئ بأن ما يكتب مسلمة تاريخية!! وفي تطاوله المستمر على لفظ الجلالة يقول حنفي: (فالله عند الجائع هو الرغيف، وعند المستعبد هو الحرية، وهند المظلوم هو العدل، وعند المحروم عاطفياً هو الحب، وعند المكبوت هو الإشباع، أي أنه في معظم الحالات صرخة المضطهدين، والله في مجتمع يخرج من الخرافة هو العلم، وفي مجتمع آخر هو التقدم، فإذا كان الله هو أعز مالينا فهو الأرض، والتحرر، والتنمية، والعدل، وإذا كان الله هو ما يقيم أودنا وأساس وجودنا ويحفظنا فهو الخبز، والرزق، والقوت، والإدارة، والحرية، وإذا كان الله ما نلجأ إليه حين الضرر، وما نستعيذ به من الشرر فهو القوة والعتاد، والاستعداد، كل إنسان وكل جماعة تسقط من احتياجاتها علي، ويمكن التعرف على تاريخ احتياجات البشر بتتبع معاني لفظ "الله" على مختلف العصور (..) ومن ثم فتوحيدنا هو لاهوت الأرض، ولا هوت الثورة، ولا هوت التنمية، ولا هوت النظام، ولا هوت التقدم، كما هو الحال في العديد من الثقافات المعاصرة في البلاد النامية التي نحن جزء منها)(١٣) (السابق/ص١١٣ وص١٣٩)..

أقول: هكذا يفتري هذا الرجل على الله تخرصاً (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً).. يفتري على اسم الله الأعظم.. تعالى الله عما يقول حنفي علواً كبيراً.. أهذا ما يريد اليسار الإسلامي لديننا!! أهكذا يكتب رجل عن رب العزة سبحانه وتعالى.. بكل هذه الوقاحة!! خبرونا إن لم يكن ما كتبه حسن حنفي في الفقرة السابقة إلحاداً وإنكاراً لوجود الله؟!! فماذا يكون إذن؟!! أهكذا يصل الخطاب تحت مظلة البحث العلمي بحق الله تعالى! في منتهى السخف والاستهزاء بجناب رب العزة.. فضلاً عن الاستهزاء بعقيدة أهل التوحيد.. (سبحانك هذا بهتان عظيم).. لو طلب من حسن حنفي أن يكتب بحثاً أو مقالة في فرعون من الفراعين ما اجترأ أن يتحدث بهذه الطريقة الإلحادية التي تدل على زندقة سافرة.. (الله هو الرغيف!! والحب والتنمية والأرض والحرية والرزق والقوت!!).. والله لقد قال هذا الزنديق الذي يصر على أنه مسلم قولاً (تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا).. ورغم هذا الكفر البواح يتبجح حسن حنفي عبر وسائل الإعلام مدعياً أنه مسلم يقدم مشروعاً حضارياً لينقذ

به أمة الإسلام!! سابعاً: السلام أفضل من الإسلام: حتى الإسلام الذي اختاره الله لأنبيائه وأوليائه بقوله سبحانه وتعالى: (إن الدين عند الله هو الإسلام).. وقوله سبحانه: (هو سماكم المسلمين من قبل).. والذي لا يقبل الله ديناً سواه (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه).. حتى هذا اللفظ المبارك الذي يعتز به المسلمون يضن به حسن حنفي علينا ويزين له خياله الفلسفي الذي أورده مهالك الزندقة والإلحاد إلى تفضيل لفظ "السلام" على "الإسلام" حيث يقول: (ولفظ السلام أيضاً يعبر أكثر عن مضمون الإسلام من اللفظ ذاته لأن السلام هو الذي يحقق السلام الداخلي للإنسان بعد تحرره من كل قيود القهر والاستعباد، ثم هو الذي يحقق المجتمع الواحد الذي لا طبقات فيه ولا استغلال ولا احتكار ومن ثم ينشأ السلام في المجتمع، وهو أيضاً الذي ينظم علاقات الأمم بعضها مع البعض الآخر على أساس من السيادة المتبادلة وأحلاف السلام)(١٤)(السابق/١١٦).

يستبين لنا من الفقرة المذكورة آنفاً أن الدكتور حسن حنفي يجهل اللغة العربية أو يتجاهل قواميس العرب وأن لفظ السلام أحد مكونات الإسلام وهو جزء من بعض معاني الإسلام فالإسلام أعم وأشمل من هذا الفهم الضيق القاصر.. ولو كان الإسلام بمعنى السلام الضيق الذي يريده حسن حنفي لما وصل الإسلام إلى المعمورة ولما خرج الإسلام من جزيرة العرب!! ثامناً: الألفاظ الأصولية توحي بأن الإنسان آلة: لم تسلم بالطبع مصطلحات اصول الفقه التي اتفق عليها علماء الأمة السابق منهم واللاحق من طعنه حيث يقول: (الواجب والحرام والمندوب والمكروه والمباح فهي ألفاظ توحي بأن الإنسان ما هو إلا آلة للتطبيق وأنه فاقد حريته، في حين أن التعبير بألفاظ أخرى مثل الطبيعة والانطلاق والازدهار فيها تأكيدا للذات وإثبات لحريتها وتحقيق وجودها)(١٥)(السابق/١١٨).

تاسعاً: الحديث عن الله وصفاته هو حديث عن الإنسان الكامل في الشعور: الله سبحانه وتعالى في نظر حسن حنفي عبارة عن صورة صنعها الإنسان في عقله للأنموذج الأمثل كأن الله أمنية أو صورة جميلة صنعها الإنسان لنفسه لصفات

الرجل الكامل الخالي من العيوب حيث يقول: (ويعبر لفظ الإنسان الكامل عن علم التوحيد وعلم التصوف معاً، فمع أن علماء أصول الدين يتحدثون عن الله ذاته وصفاته وأفعاله فإنهم في الحقيقة يتحدثون عن الإنسان الكامل، فكل ما وصفوه على أنه الله إن هو إلا انسان مكبر إلى أقصى حدوده)(١٦)(السابق/١٢٦).(تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً).

أليس هذا إلحاداً في أسماء الله وصفاته وأفعاله؟!! يقول الله تعالى متوعدا لأمثال حنفي: (إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا). لكن حسن حنفي تجاوز الإلحاد في الآيات والأسماء والصفات فالرجل ينكر وجود الله أصلاً.. عشراً: لا تقديس للقرآن والسنة: قد تناول حنفي في طعنه أعظم ما تعتز به هذه الأمة من شعائر دينها والعاصم لها من الضلال بعد الهدى ومصدر شريعتها إذ يقول: (نشأ التراث من مركز واحد وهو القرآن والسنة ولا يعني هذان المصدران أي تقديس لهما بل هو مجرد وصف لواقع)(١٦)(السابق١٥٤).

حادي عشر: الدعوة إلى التخلي عن اللغة المغلقة إلى لغة أكثر عقلانية: يقول حسن حنفي: (التخلي عن لغة اللاهوت الخاصة من إله، ورسول، وثواب، وعقاب، وملاك، وشيطان، وهي اللغة المغلقة التي مازالت خاضعة للرمز الديني، واستعمال لغة أكثر عقلانية وانفتاحاً وإنسانية يمكن لأي فرد أن يعقلها مثل الإنسان، والعقل، والنظر، والفضيلة، في حين أن علم الكلام ظل خاصاً، وعبر عن مضمونه بلغة خاصة في مقابل الفلسفة التي استطاعت أن تتجه نحو العالم، ونحن الآن قد رجعنا خطوة أخرى إلى الوراء، وألغينا التطور، وآثرنا لغة اللاهوت المغلق على لغة الفكر المفتوح(١٧)( )السابق/١٥). أقول: هكذا حققت الفلسفة على حد زعمه ما لم يحققه علم التوحيد علم الكلام فعلم التوحيد يحوي نظريات مبعثرة!! والكاتب يتأسف ويتحسر لأننا رجعنا إلى الوراء: (ونحن الآن قد رجعنا خطوة أخرى إلى الوراء بإيثارنا البقاء على نظريات مبعثرة دون تصور كوني عام وشامل نعرضه على مستوى الشعور دون أن نتركه يعمل في اللاشعور)(١٨) (السابق/١٥٨).

ثاني عشر: استعداؤه للإسلام ومقدساته وتملقه سلطات اليوم: في الوقت الذي يشن فيه حسن حنفي الحرب على الله وعلى مقدسات المسلمين وعلى الرسل وعلى الملائكة بجرأة فجة.. وعلى الجانب الآخر نجده شفوقاً حنوناً لين الجانب في الحديث عن الحكومات الحالية!! فقد هربت شجاعته العلمية التي يزعمها وطفق يستعدي الحكومات ضد الإسلام!! فحسن حنفي يطمئن هذه الحكومات حتى لا تفهمه خطأ عندما يستخدم مصطلح الثورة في كتاباته.. فيقول لهم إن الثورة التي يقصدها هي ثورة ضد الدين ضد الله لا ضدكم أنتم!! فلا تصادروا كتبي لأنني أدافع عنكم وأثبت عروشكم بهدمي لمعتقدات المسلمين إذ يقول : (تغيير الواقع بالوثوب على السلطة دون انتظار لتجنيد الجماهير –مصدر السلطة- ومن ثم كانت هذه الدعوات أقرب إلى محاولات الانقلابات منها إلى تغيير اجتماعي بالفعل)(١٨)(السابق/٤٠).

ويؤكد حنفي في فقرة أخرى: (الاعتماد على التنظيمات السرية وغالباً ما تكون مسلحة مما يقوي العقلية المتآمرة، والإحساس بالاضطهاد، والانفصال عن الآخرين، والرغبة في السيطرة)(١٩)(السابق/٤١).

وإذا أنزلنا ما يقوله على المنظومة الماركسية نجد أن حنفي يكيل بمكيالين!

فهل قامت الثورة البلشفية الشيوعية عام ١٩١٧ من دون أن تمر بالتنظيم السري أو الدعوة السرية؟!! وهل الوثوب على السلطة دون انتظار تجنيد الجماهير حلال للماركسية ومن على حمرتها، وحرام على بني الإسلام؟!! أحرام على بلابله الدوح حلال للطير من جنس ثالث عشر: الحجاب كبت جنسي: لم يترك حسن حنفي أي شعيرة أو فضيلة في الإسلام إلا نقضها وطعن فيها وتطاول وافترى على المشرع الحكيم الذي فرض الحجاب وأمر به!! فيقول حنفي: (سيادة التصور الجنسي للعالم، البداية بالحجاب وعدم الاختلاط، والأمر بغض البصر، وخفض الصوت، وكلما ازداد الحجاب ازدادت الرغبة في معرفة المستور، والدعوة السياسية الاجتماعية أرحب وأوسع عن هذا التصور الجنسي للعلاقات الاجتماعية، ولماذا يصنف المواطن إلى رجل وامرأة؟ ولماذا ينظر إلى الإنسان باعتباره ذكراً أم أنثى؟ إن تأكيد النظرة الإنسانية أو الإعلان عن الثورة السياسية من شأنه إحداث ثورة في السلوك

الفردي دون ما حاجة إلى التصنيف الجنسي للمواطنين، خاصة وإن كان لا يدل على فضيلة بل يدل على رغبة جنسية مكبوتة أو حرمان جنسي في حالة من التسامي والإعلاء( )(٢٠)السابق/٤٢).. انظر إلى هذا الميزان المقلوب الذي يزن به حسن حنفي أسباب فشل تغيير الواقع بالقديم أي عن طريق القرآن!! فهناك تناسب طردي بين الحجاب والرذيلة!! فكلما ازداد الحجاب زادت الرذيلة!! فالحجاب في نظره رغبة جنسية مكبوتة!! والحجاب سبب تفشي الرذيلة والفوضى الجنسية في العالم!! ويتطاول حسن حنفي على النص القرآني (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين).. ويتساءل حنفي لماذا ينظر إلى الإنسان باعتباره ذكراً أم أنثى؟!! ولماذا يصنف المواطنون إلى رجل وامرأة؟!! **صفوة القول** هكذا ظهر المخبوء وانكشف المستور، واستبان لكل منصف كذب الدكتور حسن حنفي وضلاله بل وزندقته.. فبعد كل هذا الإفك والافتراء على الله وعلى رسوله وعلى دينه يزعم حسن حنفي أنه مسلم!!! أي إسلام يريده حسن حنفي والإسلام في نظره عبارة عن ألفاظ جوفاء لوصف واقع فقط!! أعتقد بعد هذا التطواف في أحد كتب حسن حنفي (التراث والتجديد) أن الإسلام الذي يقدمه لنا من خلال مشروعه اليساري لم ينزل على محمد بن عبد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم.. هذا الدين الذين يدعونا إليه حسن حنفي لم يعرفه الصحابة رضوان الله عليهم وسلف هذه الأمة!! أما الدكتور أستاذ الفلسفة حسن حنفي فنحن براء من مشروعك اليساري فكن صريحاً مع نفسك وأفصح بإلحادك ولا تتمحك في الانتساب إلى الإسلام!! فمحاول التلفيق والتزوير وزعمك أن العلمانية هي أساس الوحي.. حديث خرافة!! وقد كان الكاتب العلماني عادل ضاهر أكثر جرأة ووضوحاً منك ومن غيرك في إفصاحه عن علمانيته بالمعنى الغربي الدقيق-اللاتيني- فقد أساءه كتابات هؤلاء العلمانيين العرب الذين يسيرون على منهج التوفيق والتلفيق فنقدهم في مقدمة كتابه (أسس الفلسفة العلمانية) قائلاً: (والأخطر من هذا تدليلاً على تراجع الفكر العلماني عندنا ما نشهده من محاولات حثيثة من قبل المفكرين العلمانيين لدعم موقفهم عن طريق اللجوء إلى الإسلام نفسه- القرآن والسنة- غير مدركين أنهم إنما يقدمون بهذا أكبر التنازلات للحركة المناوئة للعلمانية وأنهم –وهذا هو الخطر- يناقضون أنفسهم أيما تناقض إذا يجعلون النص الديني مرجعهم الأخير في مجال دفاعهم عن

علمانيتهم، بينما العلمانية تقوم في المقام الأول على مبدأ أسبقية العقل على النص(٢١)
)راجع مقدمة كتاب: الأسس الفلسفية للعلمانية/عادل ضاهر/دار الساقي لندن).

أقول: هكذا أراحنا عادل ضاهر وأراح نفسه وأعلن مفاصلته الكاملة للدين بمعنى أوضح أعلن إلحاده.

أما الدكتور حسن حنفي فإنه لم يملك هذه الجرأة.. والنتيجة واحدة في كلا الرجلين.. فكلاهما يهدم الإسلام وكلاهما ليسا على شيء.. لكن مهما لفق حسن حنفي وزور وزيف.. ومهما طبل له الإعلام المعادي للإسلام.. فإنه لن يكون في نهاية المطاف إلا زنديق من الزنادقة الذين يحاولن هدم الإسلام الشامخ على مر العصور.. ومصيرهم معروف.. في مزابل التاريخ.. ولن يفلحوا إن شاء الله فالإسلام أصلب من معاول هدمهم.

# محاولة لتشخيص أحد أمراض الأمة

د. هاني السباعي

مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية

**تقدمة:**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسلنا الأكرم صلى الله عليه وسلم.

هذه مقالة نقدمها للشبيبة الإسلامية وللجيل الصاعد من أبناء هذه الأمة؛ نحاول من خلالها تسليط الضوء على عامل من ضمن تلكم العوامل التي كانت وراء الحالة المزرية التي تعيشها أمتنا الإسلامية في وقتنا المعاصر. هذا وإن كنا نتناول عاملاً واحداً فإننا في نفس الوقت لا نغفل العوامل الأخرى التي أوصلت أمتنا إلى هذا الهوان والصغار كعامل العدو الخارجي؛ العدو التقليدي للأمة مع عوامل متعلقة بهذا العامل الخارجي كالعامل الاقتصادي والعسكري والثقافي والأخلاقي إلى غير ذلك من عوامل أخرى مجتمعة ومتفرقة ومتراكمة عبر عصور أدت إلى ما وصلنا إليه من تيه وتشرذم وتحارب وضياع!

قال صاحب التحفة الحليمية: " إن الدول والأمم تشبه الأفراد من حيث تعرضها للأمراض، فالاختلافات الداخلية في الممالك تشبه الأمراض الباطنية. وأسبابها الحكام الجهلاء الظالمون، ودواؤها الحكام العادلون مع الحزم والعلم. والمشاكل الخارجية كالقروح الظاهرة في الأجسام، ودواؤها القوة واليقظة"[٨١]

وبعد؛ فإننا نختار عاملاً واحداً لا يقل خطورة عن عامل العدو الخارجي ألا هو الخلل الذاتي في جسد الأمة أو ما يعبر عنه بالعدو القريب؛ أس الداء وأصل كل بلاء! فالأمة في حاجة لحملة تطهير ذاتي وتنظيف ما علق في جسدها من أدران، واجتثاث

---

٨١ إبراهيم بك حليم: التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية/مؤسسة المختار/ القاهرة ص٣٤.

الأورام الخبيثة للحفاظ على البقية الباقية من جسد هذه الأمة كي تصل إلى مرحلة النقاهة؛ ومن ثم تستعيد عافيتها بشريعتها المفقودة وحينئذ تستطيع أن تواجه أعداءها وتنتصر عليهم بإذن ربها..

هذا ما سنتناوله في هذه المقالة عبر المحاور والنقاط التالية:

أولاً: استهلال شرعي.

ثانياً: إطلالة على غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم.

ثالثاً: الخلاف الذي نشب بين الصحابة.

رابعاً: الأندلس.

خامساً: الدولة العباسية: (من ١٣٢ هـ إلى ٩٢٣هـ).

سادساً: ابن تومرت الدجال الذي دمر دولة المرابطين السنية (٤٥٣ هـ إلى ٥٤١ هـ).

سابعاً: الدولة العثمانية.

ثامناً: معركة التل الكبير سنة ١٢٩٩ هـ/ ١٨٨٢م بين الجيش المصري والإنجليزي.

تاسعاً: زوال إمارة أفغانستان الإسلامية (طالبان) على يد قوات الاحتلال الأنجلو-أمريكي عام ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.

عاشراً: احتلال عاصمة الرشيد عام ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م.

حادي عشر: احتلال الصومال عام ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م.

## صفوة القول.

## أولاً: استهلال شرعي:

(أ) ورد في كتاب الله العزيز: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) (آل عمران:١١٨).

قال ابن جرير في تفسيره: " يعني بذلك تعالى ذكره: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله، وأقرّوا بما جاءهم به نبيهم من عند ربهم، {لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ} يقول: لا تتخذوا أولياء وأصدقاء لأنفسكم من دونكم، يقول: من دون أهل دينكم وملتكم، يعني من غير المؤمنين. وإنما جعل البطانة مثلاً لخليل الرجل فشبهه بما ولي بطنه من ثيابه لحلوله منه في اطلاعه على أسراره، وما يطويه عن أباعده وكثير من أقاربه، محلّ ما ولي جسده من ثيابه، فنهى الله المؤمنين به أن يتخذوا من الكفار به أخلاء وأصفياء ثم عرّفهم ما هم عليه لهم منطوون من الغشّ والخيانة، وبغيهم إياهم الغوائل، فحذّرهم بذلك منهم عن مخالّطتهم"[٨٢]

وقال القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ هـ مسقطاً الآية على عصره: " قلت: وقد انقلبت الأحوال في هذه الأزمان باتخاذ أهل الكتاب كتبةً وأمناء وتَسوَّدُوا بذلك عند الجَهَلة الأغْبِياء من الوُلاة والأمراء. روى البخاريّ عن أبي سعيدٍ الخدرِيّ عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: "ما بعث الله مِن نبيّ ولا استخلف مِن خليفةٍ إلاَّ كانت له بِطانتانِ بِطانة تأمره بالمعروف وتحضُّه عليه وبِطانة تأمره بالشر وتحضّه عليه فالمعصوم من عَصَمَ اللَّهُ تعالى"[٨٣]

أقول: فما بلك بعصرنا الذي قدرنا أن نعيش الهوان ونتنفس انكسار أمتنا على أيدي هذه البطانية الخائنة!! فهذا تحذير قرآني صريح من اتخاذ بطانة من دون المؤمنين نحفظ بها أسرارنا خشية أن يطلعوا عليها أعداء الأمة وخاصة إذا كانت هذه البطانة ضمن دائرة الحكم ومن المقربين للحاكم وأصحاب النفوذ مع اقتناعنا بأن هؤلاء الحكام هم أنفسهم رأس الخيانة!!

(ب) وقوله تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا

---

٨٢ الطبري: جامع البيان عن أويل آي القرآن/دار الفكر/بيروت/ط١/١٤٢١ه/مج٣ج٤ ص٧٣،ص٧٤.

٨٣ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن/تحقيق د. محمد إبراهيم الحفناوي ود. محمود عثمان/دار الحديث/القاهرة/ط٢/١٤١٦ه/مج٣/٤ جج٤ ص١٨٩. الحديث رواه البخاري في كتاب الأحكام برقم 7198 أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِىِّ عَنِ النَّبِىِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِىٍّ وَلاَ اسْتَخْلَفَ مِنْ خَلِيفَةٍ ، إِلاَّ كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ ، بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ ، فَالْمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللَّهُ تَعَالَى".

إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (لأنفال:٤٦).

(ج) وقوله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (آل عمران:١٠٣)

(د) وقوله تعالى جل شأنه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (التوبة:١٢٣).

ذكر الطبري: "يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله قاتلوا من وليَكم من الكفار دون من بعُد منهم، يقول لهم: ابدأوا بقتال الأقرب فالأقرب إليكم داراً دون الأبعد فالأبعد. وكان الذين يلون المخاطبين بهذه الآية يومئذ الروم، لأنهم كانوا سكان الشام يومئذ، والشأم كانت أقرب إلى المدينة من العراق. فأما بعد أن فتح الله على المؤمنين البلاد، فإن الفرض على أهل كل ناحية قتال من وليهم من الأعداء دون الأبعد منهم ما لم يضطرّ إليهم أهل ناحية أخرى من نواحي بلاد الإسلام، فإن اضطرّوا إليهم لزم عونهم ونصرهم، لأن المسلمين يد على من سواهم. ولصحة كون ذلك، تأوّل كل من تأوّل هذه الآية أن معناها إيجاب الفرض على أهل كلّ ناحية قتال من وليهم من الأعداء"[٨٤]

يقول ابن كثير: "أمر الله تعالى المؤمنين أن يقاتلوا الكفار أولاً فأولاً، الأقرب فالأقرب إلى حوزة الإسلام، ولهذا بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتال المشركين في جزيرة العرب، فلما فرغ منهم، وفتح الله عليه مكة والمدينة والطائف واليمن واليمامة وهجر وخيبر وحضرموت، وغير ذلك من أقاليم جزيرة العرب، ودخل الناس من سائر أحياء العرب في دين الله أفواجاً، شرع في قتال أهل الكتاب، فتجهز لغزو الروم الذين هم أقرب الناس إلى جزيرة العرب، وأولى الناس بالدعوة إلى الإسلام؛ لأنهم أهل الكتاب، فبلغ تبوك، ثم رجع لأجل جهد الناس وجدب البلاد وضيق الحال، وذلك

٨٤ الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن//مج٧ج١١ ص٨٥، ص٨٦..

سنة تسع من هجرته عليه السلام، ثم اشتغل في السنة العاشرة بحجة الوداع، ثم عاجلته المنية صلوات الله وسلامه عليه بعد حجته بأحد وثمانين يوماً، فاختاره الله لما عنده، وقام بالأمر بعده وزيره وصديقه وخليفته أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وقد مال الدين ميلة كاد أن ينجفل، فثبته الله تعالى به، فوطد القواعد، وثبت الدعائم، ورد شارد الدين وهو راغم، ورد أهل الردة إلى الإسلام، وأخذ الزكاة ممن منعها من الطغاة، وبين الحق لمن جهله، وأدى عن الرسول ما حمله، ثم شرع في تجهيز الجيوش الإسلامية إلى الروم عبدة الصلبان، وإلى الفرس عبدة النيران، ففتح الله ببركة سفارته البلاد، وأرغم أنف كسرى وقيصر ومن أطاعهما من العباد، وأنفق كنوزهما في سبيل الله؛ كما أخبر بذلك رسول الله، وكان تمام الأمر على يدي وصيه من بعده، وولي عهده الفاروق الأواب، شهيد المحراب، أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فأرغم الله به أنوف الكفرة الملحدين، وقمع الطغاة والمنافقين، واستولى على الممالك شرقاً وغرباً، وحملت إليه خزائن الأموال من سائر الأقاليم بعداً وقرباً، ففرقها على الوجه الشرعي، والسبيل المرضي، ثم لما مات شهيداً، وقد عاش حميداً، أجمع الصحابة من المهاجرين والأنصار على خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه شهيد الدار. فكسا الإسلام رياسة حلة سابغة، وامتدت في سائر الأقاليم على رقاب العباد حجة الله البالغة، فظهر الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، وعلت كلمة الله، وظهر دينه، وبلغت الملة الحنيفية من أعداء الله غاية مآربها، وكلما علوا أمة، انتقلوا إلى من بعدهم، ثم الذين يلونهم من العتاة الفجار؛ امتثالاً لقوله تعالى: { يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ } وقوله تعالى: { وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً } أي: وليجد الكفار منكم غلظة في قتالكم لهم؛ فإن المؤمن الكامل هو الذي يكون رفيقاً لأخيه المؤمن، غليظاً على عدوه الكافر؛ كقوله تعالى:( فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ)"[٨٥]

---

٨٥ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم/تحقيق د. محمد إبراهيم البنا/دار ابن حزم/بيروت/١٤١٩هـ/ج٤ ص١٧٢٧، ص١٧٢٨.

ويشخص لنا ابن كثير حال الأمة بعد القرون الأولى قائلاً: "وهكذا الأمر لما كانت القرون الثلاثة الذين هم خير هذه الأمة في غاية الاستقامة والقيام بطاعة الله تعالى، لم يزالوا ظاهرين على عدوهم، ولم تزل الفتوحات كثيرة، ولم تزل الأعداء في سفال وخسار، ثم لما وقعت الفتن والأهواء والاختلافات بين الملوك، طمع الأعداء في أطراف البلاد، وتقدموا إليها، فلم يمانعوا لشغل الملوك بعضهم ببعض، ثم تقدموا إلى حوزة الإسلام، فأخذوا من الأطراف بلداناً كثيرة، ثم لم يزالوا حتى استحوذوا على كثير من بلاد الإسلام، ولله الأمر من قبل ومن بعد، فكلما قام ملك من ملوك الإسلام، وأطاع أوامر الله، وتوكل على الله، فتح الله عليه من البلاد، واسترجع من الأعداء بحسبه، وبقدر ما فيه من ولاية الله. والله المسؤول المأمول أن يمكن المسلمين من نواصي أعدائه الكافرين، وأن يعلي كلمتهم في سائر الأقاليم، إنه جواد كريم"[٨٦]

وقال الألوسي في روح المعاني: " لأنه من المعلوم أنه لا يمكن قتال جميع الكفار وغزو جميع البلاد في زمان واحد فكان من قرب أولى ممن بعد، ولأن ترك الأقرب والاشتغال بقتال إلا بعد لا يؤمن معه من الهجوم على الذراري والضعفاء، وأيضاً الأبعد لا حد له بخلاف الأقرب فلا يؤمر به، وقد لا يمكن قتال إلا بعد قبل قتال الأقرب، وقال بعضهم: المراد قاتلوا الأقرب فالأقرب حتى تصلوا إلى الأبعد فالأبعد وبذلك يحصل الغرض من قتال المشركين كافة، فهذا إرشاد إلى طريق تحصيله على الوجه الأصلح. ومن هنا قاتل صلى الله عليه وسلم أولاً قومه ثم انتقل إلى قتال سائر العرب ثم إلى قتال قريظة. والنضير. وخيبر. وأضرابهم ثم إلى قتال الروم فبدأ عليه الصلاة والسلام بقتال الأقرب فالأقرب وجرى أصحابه على سننه صلى الله عليه وسلم إلى أن وصلت سراياهم وجيوشهم إلى ما شاء الله تعالى"[٨٧]

وهكذا نلاحظ أن آية سورة التوبة (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ) تشير إلى صلب موضوعنا أنه لزام على المسلم ألا يغفل عن جبهته الداخلية وعن أعدائه القريبين لأن

---

٨٦ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم/ ج٤ ص١٧٢٨.

٨٧ الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/دار الكتب العلمية/ بيروت/١٤٢٥هـ/مج٤ ج٦ ص٤٧.

هذا مكمن الخطورة حيث ينشغل المسلمون في حرب ما مع عدو خارجي ثم يفاجأ المسلمون بخلل في جبهتهم الداخلية وأن هناك طابوراً خامساً يخرب بنية الأمة الداخلية وهذا ما حدث عبر حقب تاريخية متلاحقة مع الأسف الشديد!!

وهناك بعض الآيات تكلمت عن الردة بوجه عام سواء ردة الفرد أو الحاكم:

(ج) (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ) (آل عمران: ٩٠)

(د)(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً) (النساء:١٣٧)

(هـ) (كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْماً كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (آل عمران:٨٦)

(و)(إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ) (محمد:٢٥)

(ز) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (المائدة:٥٤).

قال الدكتور أيمن الظواهري في شفاء صدور المؤمنين: "بل في حساب الإسلام وأصول الشريعة يقدم قتال الحكام المرتدين على غيرهم من الكفار الأصليين لثلاث أسباب:

الأول: أنه قتال دفع متعين وهو مقدم على قتال الطلب لأن هؤلاء الحكام المرتدين عدو تسلط على بلاد المسلمين؛ قال ابن تيمية: "أما قتل الدفع، فهو أشد أنواع دفع الصائل على الحرمة والدين، فواجب إجماعاً، فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شئ أوجب بعد الإيمان من دفعه" (الاختيارات الفقهية ص٣٠٩).

الثاني: أن المرتد أغلظ جرماً من الكفار الأصلي. قال ابن تيمية: "وكفر الردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي" (الفتاوى ٤٧٨/٢٨). وقال أيضاً: "وقد استقرت السنة بأن عقوبة المرتد أعظم من عقوبة الكافر الأصلي" (الفتاوى ٥٣٤/٢٨). وقال أيضاً: والصديق رضي الله عنه وسائر الصحابة بدأوا بجهاد المرتدين قبل جهاد الكفار من أهل الكتاب، فإن جهاد هؤلاء حفظ لما فتح من بلاد المسلمين وأن يدخل فيه من أراد الخروج عنه. وجهاد من لم يقاتلنا من المشركين وأهل الكتاب من زيادة وإظهار الدين. وحفظ رأس المال مقدم على الربح" (الفتاوى ١٥٦/٣٥_١٥٩).

الثالث: لأنهم العدو الأقرب. قال ابن قدامة (مسألة) ويقاتل كل قوم من يليهم. والأصل في هذا قول الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) التوبة. ولأن الأقرب أكثر ضرراً، وفي قتاله دفع ضرره عن المقابل له وعمن وراءه، والاشتغال بالبعيد عنه يمكنه من انتهاز الفرصة في المسلمين لاشتغالهم عنه إلى أن قال إذا ثبت هذا فإن كان له عذر في البداية بالأبعد لكونه أخوف أو المصلحة في البداية به لقربه وإمكان الفرصة منه، أو لكون الأقرب مهادناً أو يمنع من قتاله مانع فلا بأس بالبداية بالأبعد لكونه موضع حاجة" (المغني مع والشرح الكبير ج١٠ ص٣٧٢_٣٧٣)"[٨٨]

أقول: نعم هناك حالات استثنائية للبداية بقتال العدو الأبعد كما ذكر ابن قدامة لكون الجبهة الداخلية أو العدو القريب مأمون الجانب!! قد تكون هذه الصورة الاستثنائية مقبولة إلى حد ما في ظل دولة تحكم بالإسلام وتفرض سيطرتها على العدو القريب والأقرب!! أما في وقتنا المعاصر فإنه لا توجد دولة تحكم بالإسلام بالمعنى الحقيقي لكلمة الإسلام بالإضافة أن الذي يحكمون بلاد المسلمين هم أنفسهم العدو القريب والأقرب!! لذلك فإن أغلظ أنواع الردة هي ردة الحكام حيث إنه من المفترض فيهم أن يكونوا حماة لعقيدة الإسلام وحراساً لها من سهام المعتدين وزيغ المبطلين!! لكن الحقيقة أن الأمة ابتليت بمجموعة من الحكام المنسلخين عن دينهم الموالين للشيطان المعادين لأولياء الرحمن بل هم العقبة الكأداء أم تقدم شعوبهم للحكم بشريعة الإسلام

---

٨٨ د. أيمن الظواهري: شفاء صدور المؤمنين/دار( المجاهدون) للنشر والإعلام/ص24، ص25.

الغراء وللدفاع عن مقدسات المسلمين السليبة التي اغتصبها أعداء الأمة بمباركة هؤلاء الحكام المتسلطين الخائنين! فبدل أن يكونوا رعاة خير يحمون بيضة الأمة ويذبون عن حياضها من ذئاب الشر الإنسية إذا هم أنفسهم الذئاب وبئس الذّئاب!

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها *** فكيف إذا الرعاة لها ذئاب

لكن قد يقول قائل إن كثيراً من بلاد المسلمين اليوم محتلة عن طريق العدو الخارجي مباشرة أو عن طريق الحكام المغتصبين للسلطة بمساعدة العدو الخارجي أيضاً.. فماذا عسانا أن نفعل حيث لا طاقة للأمة أن تقاتل على جبهتين في وقت واحد؟!

أقول: إننا بصدد تشخيص الحالة التي نعيشها والأسباب التي أوصلتنا إلى هذه الذل والهوان بمعنى آخر نحن نقر أن بعض بلاد المسلمين محتلة احتلالاً مباشراً كفلسطين وكشمير والشيشان وأفغانستان والعراق والصومال.. وفي هذه الحالة كما هو مقرر في كتب الفقه أن العدو إذا حل ببلد إسلامي ففرض عين على أهل تلك البلد من القادرين على حمل السلاح أن يقاتل الأعداء المحتلين لبلاده. وفي هذه الحالة فقد اجتمع عدوان في آن واحد؛ عدو خارجي غاز وعدو داخلي متسربل زوراً بالإسلام إذن فهما واحد واجتمعا في زمان ومكان واحد فيجب أن يعاملهم المسلم معاملة واحدة حيث صار العدو الداخلي منهم أي من أنصار العدو الخارجي المحتل المغتصب لبلد إسلامي بل هذا العدو القريب الداخلي هم أعين العدو الخارجي التي تحرسه وتتزلف إليه بالوشاية والتجسس على أماكن المجاهدين المدافعين عن ديارهم المغتصبة.. وصدق الله العلي القدير القائل في محكم التنزيل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) (المائدة: ٥١)

لكن السؤال هو من الذي تسبب في دخول القوات الغازية إلى ديار المسلمين؟ بالطبع هناك عوامل كثيرة من أهمها موضوع مقالتنا هذه وهو العدو الداخلي (القريب) وهم الأنظمة الحاكمة لبلاد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها؛ نقصد بالطبع

الحكام وأعوانهم! فكل هؤلاء الحكام صورة مستنسخة على نطاق واسع من أبي رغال ووالي عكا وابن العلقمي وإن اختلفت الأسماء والأزمنة!!

وهناك حديث ذكره مسلم في صحيحه في باب أشراط الساعة يبين أن مشكلة هذه الأمة تكمن في أنها لما ابتعدت عن كتاب ربها وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم سلط الله عليه عدواً من أنفسهم (العدو القريب) يهلك بعضهم بعضاً!! والحديث في صورة خبر يستعرض حالة الأمة لكي يحذر أولو الألباب وأولو الأمر من الحكام والعلماء ممن شؤم الفرقة والتناحر!!

الحديث كما ورد في صحيح مسلم: "عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِىَ الأَرْضَ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا وَإِنَّ أُمَّتِى سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِىَ لِى مِنْهَا وَأُعْطِيتُ الْكَنْزَيْنِ الأَحْمَرَ وَالأَبْيَضَ وَإِنِّى سَأَلْتُ رَبِّى لأُمَّتِى أَنْ لاَ يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ وَأَنْ لاَ يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ وَإِنَّ رَبِّى قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنِّى إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لاَ يُرَدُّ وَإِنِّى أَعْطَيْتُكَ لأُمَّتِكَ أَنْ لاَ أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ بِعَامَّةٍ وَأَنْ لاَ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا - أَوْ قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا - حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا وَيَسْبِى بَعْضُهُمْ بَعْضًا ».

## ثانياً: إطلالة على غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم:

لقد خاض الصحابة رضوان الله عليهم بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من ستين معركة حربية ما بين غزوة وسرية، وقد أوصلها الحاكم إلى مائة كما ذكر ذلك ابن حجر في الفتح في شرحه لحديث زيد بن أرقم رضي الله عنه عندما سئل (كم غزا النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة)[٨٩]

وقاد الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه حوالي ٢٨ غزوة كما جاء في مرويات السيرة النبوية.

---

٨٩ ابن حجر: فتح الباري /دار الفكر/بيروت/١٤١٤هـ /ج٨ ص٣ إلى ص٦.

الشاهد مما سبق أن الرسول صلى الله عليه وسلم خاض كل هذه المعارك سواء بنفسه أو من خلال تعيين قائد من أصحابه مع قومه وعشيرته باستثناء سرية مؤتة ٨هـ، وغزوة تبوك ٩ هـ، حيث كانتا موجهتين لقتال الروم وكان ذلك في المدينة المنورة. فإذا استعرضنا جانباً من الغزوات والسرايا سنجد معظمها موجهة إلى قريش وحلفائها من أهل الشرك ومن بعض القبائل المشركة التي كانت تحيط بالمدينة ولها تحالف أيضاً مع قريش! وقريش كما نعلم هم قبيلة الرسول صلى الله عليه وسلم وهم أعمامه وبنو عشيرته وهم الذين عاش وتربى معهم في فيافي وجبال مكة وربوعها وكذلك أصحابه رضوان الله عليهم! ولم ترد رواية صحيحة أو حتى ضعيفة أو موضوعة تذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (لا يقتل القرشي القرشي)!! (ولا يقتل المكي المكي) (ولا يقتل المدني المدني)!! ولم يرد في رواية صحية أو حتى موضوعة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (دم المكي مقدس وحرام)!! (ولم يقل دم المدني مقدس وحرام) ولم يرد أنه يرد في رواية صحيحة ولا موضوعة أن الرسول ذكر مصطلح (الوحدة الوطنية)!! التي حلت محل ولاء العقيدة في عصرنا المنكوب بعلمائه المنهزمين عقدياً!!

بل إننا نلاحظ أن الإسلام حرص على تطهير الصف الإسلامي المؤمن في غزوة أحد ٣ هـ وقد أكد هذه الحقيقة القرآن الكريم في سورة التوبة (براءة) وهي من أواخر ما نزل من القرآن الكريم كما أنها سورة مدنية تسمى أيضاً في كتب التفسير الفاضحة، والكاشفة، وسورة العذاب، والمقشقشة أي المبرئة من النفاق، وهي المبعثرة التي تفرق المنافقين وتشتت شملهم وتبعثر أسرارهم..

يقول سيد قطب ت ١٣٨٧هـ رحمه الله في تقديمه لسورة براءة: " ثم يجيء المقطع الرابع في سياق السورة - وهو أطول مقاطعها، وهو يستغرق أكثر من نصفها - في فضح المنافقين وأفاعيلهم في المجتمع المسلم، ووصف أحوالهم النفسية والعملية، ومواقفهم في غزوة تبوك وقبلها وفي أثنائها وما تلاها، وكشف حقيقة نواياهم وحيلهم ومعاذيرهم في التخلف عن الجهاد وبث الضعف والفتنة والفرقة في الصف، وإيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، والخلص من المؤمنين. يصاحب هذا الكشف

تحذير الخلصاء من المؤمنين من كيد المنافقين، وتحديد العلاقات بين هؤلاء وهؤلاء، والمفاصلة بين الفريقين وتمييز كل منهما بصفاته وأعماله. وهذا القطاع يؤلف في الحقيقة جسم السورة؛ ويتجلى من خلاله كيف عاد النفاق بعد فتح مكة فاستشرى بعد ما كاد أن يتلاشى من المجتمع المسلم قبيل الفتح.

وهذه الحملة الطويلة الكاشفة تشي بما كان للمنافقين في هذه الفترة من محاولات كثيرة لإيذاء الصف المسلم وفتنته وشغله بشتى الفتن والدسائس والأكاذيب عن وجهته. كما أنها في الوقت ذاته تكشف عن حالة من الخلخلة وعدم التناسق في التكوين العضوي للمجتمع الإسلامي في هذه الفترة؛ يشير إليها قول الله سبحانه: (وفيكم سماعون لهم) كما يشير إليها النهي المشدد عن الاستغفار للمنافقين أو الصلاة عليهم. هذه الحالة التي نشأت عن دخول جماعات كثيرة في الإسلام بعد الفتح لم يكن الإيمان قد استقر في قلوبهم، ولا كانوا قد انطبعوا بالطابع الإسلامي الصحيح"[٩٠]

هكذا نلاحظ أن سورة براءة عرت وفضحت الطابور الخامس في المجتمع المسلم وهم قطار المنافقين والزنادقة، وبعد نزول هذه السورة تطهرت الجبهة الداخلية للمجتمع الإسلامي ومن ثم كانت الانطلاقة الكبرى للفتوحات الإسلامية في أرجاء المعمورة!

## ثالثاً: الخلاف الذي نشب بين الصحابة:

إنه الخلاف الشهير الذي نشب بين الصحابة رضوان الله عليهم بعد مقتل الخليفة المظلوم عثمان بن عفان رضي الله عنه، ودور ابن سبأ الذي ادعى الإسلام في عهد أمير المؤمنين عثمان، وحدثت المأساة والانقسام واتسع الخرق على الراقع! بمقتل السبط؛ الحسين بن علي رضي الله عنه!! فاحتلبت الأمة دماً إلى وقتنا الحاضر! وكادت الجبهة الداخلية أن تقوض بفعلة ابن سبأ ومن شايعه وصار في فتنته!! فلولا لطف الله تعالى لكان قد قضي على الإسلام منذ نشوب أول خلاف حربي في معركتي الجمل ٣٦هـ، وصفين ٣٧ هـ! حيث إن الروم كانت في تلك الحقبة ممزقة وكانت تتهيب من

---

٩٠ سيد قطب: في ظلال القرآن/دار الشروق/مج٣/ج١٠ ص١٥٦٧ بتصرف يسير.

المسلمين وقد حاولوا فعلاً انتهاز فرصة الخلاف بين المسلمين فأغاروا على تخوم الشام لكن محاولاتهم باءت بالفشل لأسباب يطول شرحها في هذا المقام.

**رابعاً: الأندلس (٩٢هـ إلى ٨٩٧ هـ):**

الأندلس؛ فردوس المسلمين المفقود الذي فتح عام ٩٢ هـ لماذا ضاعت الأندلس؟ لماذا فقدت؟ لماذا ولماذا...؟ هناك العديد من الدراسات والأبحاث ذكرت مجموعة من الأسباب أدت إلى ضياع هذا البلد الذي كان غرة في جبين التاريخ على مدار ثمانية قرون! ذهبت كأن لم تغن بالأمس!

فعلى أية حال إذا سلطنا الضوء على عامل الجبهة الداخلية (العدو القريب) لتبين لنا أن المسلمين انهزموا في الأندلس داخلياً قبل أن يهزمهم العدو الخارجي الصليبي! ونجد ذلك واضحاً في دول الإسلام المتعاقبة في الأندلس وأقوى شاهد على تلك المراحل المخزية الأنموذجين التاليين:

الأنموذج الأول: دويلات الطوائف (٤٢٢هـ ٤٨٧هـ):

فهذا العصر من أسود الحقب في صفحات تاريخ المسلمين في الأندلس حتى جاء العصر الحديث وضرب رقماً قياسياً لدويلات الطوائف (في العالم العربي) لتكون أرذل وأخس وأشأم حقبة مرة في تاريخ الإسلام حتى وقتنا الحاضر..

وقد امتد عصر ملوك الطوائف أكثر من نصف قرن وقسمت فيه الأندلس إلى عدد كبير من الدويلات الهزيلة وكانت كلها تدفع الجزية إلى طاغية قشتالة (ألفونسو السادس).. وقد كان الإسلام الجامع لكل هذه الأعراق والجنسيات تحت خليفة واحد..

وقد أدى بهم التشرذم إلى أن انقسموا إلى ثلاث قوى: عربية بربرية عامرية نسبة إلى أتباع الحاجب المنصور بن أبي عامر.. وكانت هذه الدويلات تدفع الجزية لملوك الأسبان دفعاً لشرهم وكانت تحارب بعضها بعضاً، وتستعين في كثير من الأحيان بجنود مرتزقة من الأسبان للتغلب على هذا الرئيس أو ذاك.. إن دويلات الطوائف كانت ثلاثاً وعشرين دويلة .. قريب عدد الدول العربية اليوم مثل: دويلة العامريين وأميرهم المعتصم

بن صمادح.. ودويلة بني هود في سرقسطة.. ودويلة بني ذي النون في طليطلة.. ودويلة بين زيري في غرناطة.. ودويلة بني الأفطس في بطليوس.. لكن أشهر وأكبر هذه الدويلات (دويلة بني عباد في إشبيلية) بل إنها أكثرهم أثراً في حياة الأندلس.. والعجيب أن هذه الدويلات اتخذت مظاهر الأبهة والفخامة للدول الكبرى من التلقب بألقاب الخلافة ومن الحجابة ورئاسة الوزراء.. وكانوا يقلدون الخلفاء الأمويين والعباسيين رغم البون الشاسع بين العزيز والذليل!!

وكما وصف لنا حالهم ابن رشيق القيرواني:

مما يزهدني في أرض أندلس *** ألقاب معتمد فيها ومعتضد

ألقاب مملكة في غير موضعها *** كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

وكادت الأندلس أن تسقط في أيدي ألفونسو الصليبي لولا فضل الله قذف في قلب أمير المسلمين يوسف بن تاشفين الذي استجاب لدعوة المعتمد بن عباد أمير إشبيلية فأرسل جيشا عظيما لنجدتهم وخاض معركة حاسمة في تاريخ الإسلام والأندلس في وادي الزلاقة سنة ٤٧٩هـ واستطاع ابن تاشفين أن يجدد شباب الإسلام في الأندلس لأربعة قرون أخرى"[٩١]

هكذا كان ملوك الطوائف يدفعون الجزية لألفونس رغم أنهم كانوا أقوى منه لو اجتمعوا على قلب رجل واحد لكنهم لأسف كانوا طرائق قدداً!!

التلخيص لوجوه التخليص:

يقول ابن حزم ت ٤٥٦ هـ وقد عاصر ملوك الطوائف في كتابه: التلخيص لوجوه التخليص: "وأما في زماننا هذا وبلادنا هذه؛ فإنما هو باب أغلق عينيك، واضرب بيديك، ولك ما تجمع؛ إما ثمرة، وإما جمرة! وإنما فرقت بين زماننا هذا، والزمان الذي قبله؛ لأن الغلات في أيام الهدنة لم تكن حالتها ظاهرة؛ كما هي اليوم، والمغارم التي كان

---

٩١ راجع مقالنا: التاريخ الأسود لدويلات الطوائف قديماً وحديثاً (بتصرف)/موقع المقريزي/جريدة الشعب المصرية.

يقبضها السلاطين؛ فإنما كانت على الأرضين خاصة، فكانت تقرب مما فرض عمر على الأرض، وأما اليوم فإنما هي جزية على رؤوس المسلمين يسمونها بالقطيع، ويؤدونها مشاهير مشاهرة وضريبة على أموالهم من الغنم، والبقر، والدواب، والنحل، يرسم على كل ما يباع في الأسواق، وعلى إباحة بيع الخمر من المسلمين في بعض البلاد. هذا كل ما يقبضه المتغلبون اليوم، وهذا هو هتك الأستار، ونقض شرائع الإسلام، وحل عراه عروة عروة، وإحداث دين جديد، والتخلي من الله عز وجل، والله لو يعلمون أن في عبادة الصلبان تمشية أمورهم لبادروا إليها، فنحن نراهم يستمدون بالنصارى فيمكنونهم من حرم المسلمين، وأبنائهم ورجالهم يحملونهم أسارى إلى بلادهم، وربما يحمونهم عن حريم الأرض وحسرهم معهم آمنين، وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعاً فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس، لعن الله جميعهم، وسلط عليهم سيفاً من سيوفه"[٩٢]

## وثيقة تاريخية هامة:

الأنموذج الثاني: سقوط آخر معقل للمسلمين في الأندلس:

هناك وثيقة تاريخية في غاية الأهمية وتعتبر من أقدم الوثائق التاريخية التي وصلت إلينا تتكلم عن آخر أخبار المسلمين في الأندلس وكيف سقط آخر حصن لهم هناك حيث أعاد نشر هذه الوثيقة وحققها الدكتور محمد رضوان الداية، وهي عبارة عن كتاب بعنوان (نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر) تأليف مجاهد مجهول من المقاومة الإسلامية في غرناطة (من سنة ٩٠٠هـ إلى ١٠٠٠هـ) طبعة دار الفكر بدمشق عام ١٤٢٣هـ. وقد كشف هذا المؤلف المجهول الذي كان شاهد عيان حيث شارك في بعض المعارك الأخيرة ضد الصليبين.. والكتاب أشبه بالمذكرات الشخصية، والمدونات اليومية حيث عاصر آخر أيام دولة بني الأحمر (بني نصر) ملوك غرناطة ونهاية دولتهم .. والكتاب بالإضافة إلى أنه وثيقة تاريخية هامة إلا أنه أيضاً مرثية مأساوية حزينة باكية تفتت لها الأكباد وتنخلع من هولها القلوب التي في الصدور!!

---

٩٢ ابن حزم: التلخيص لوجوه التخليص/تحقيق عبد الحق التركماني/دار ابن حزم/بيروت/١٤٢٣ هـ/ص١٥٣، ص١٥٤.

نستعرض من خلال هذه الوثيقة ما ذكره هذا المجاهد المجهول عبر الواقعات التالية:

يذكر المؤلف حادثة في غاية الحسرة والأسف والهوان والخذلان تعتبر بحق أنموذجاً للعمالة السافرة مع أعداء الأمة لنعرف لماذا سقطت ديار الإسلام في أيدي أعداء الأمة لأنها سورة مكررة!!

(أ) (الأمير محمد بن سعد يبايع ملك قشتالة، ويساعده مع قواده) لتطويع ما بقي من بلاد المسلمين، صفر ٨٩٥هـ: "ثم خرج الأمير محمد بن سعد من مدينة وادي آش تابعاً لصاحب قشتالة، فلما لحقه بايعه ودخل في ذمته، وتحت طاعته؛ على أن يعطيه مدينة وادي آش، وكل مدينة وحصن وقرية كانت تحت طاعته وحكمه؛ فأجابه إلى مطلبه، ورجع معه إلى وادي آش؛ وهو فرح مسرور. فدخلها، العدو وقبض قصبتها، واستولى عليها في العشر الأول من شهر صفر عام خمسة وتسعين وثمان مائة. ودخل في ذمته جميع فرسان الأمير محمد بن سعد وجميع قواده، وصاروا له عوناً على المسلمين، وطوعوا له جميع البلاد والقرى والحصون التي كانت تحت طاعتهم من دينة المرية إلى مدينة المنكَّب، ومن مدينة المنكب إلى قرية البذول. فقبض صاحب قشتالة ذلك كله من غير قتال ولا حصار ولا تعب ولا نصب؛ فإنا لله وإنا إليه راجعون. وجعل في كل قصبة قائداً نصرانيا، مع جماعة من النصارى، يحكم في ذلك الموضع. وفي هذا الشهر خلصت جميع بلاد الأندلس لصاحب قشتالة، ودخلت تحت طاعته وتدجّن جميع أهلا؛ ولم يبق للمسلمين في الأندلس غير مدينة غرناطة وما حولها من القرى خاصة."[٩٣]

هكذا باع الأمير الملقب بالزغل دينه بثمن بخس لصاحب قشتالة فرناندو!! فسقط وسقطت غرناطة من جراء خيانته وخلافه مع ابن أخيه!! وقد ذكر المؤلف ما تردد في حينه عن سبب قدوم الأمير محمد بن سعد (الزغل) على بيعة فرناندو والدخول في طاعته!! "وزعم كثير من الناس أن الأمير محمد بن سعد وقواده باعوا من صاحب قشتالة هذه القرى والبلاد التي كانت تحت طاعتهم، وقبضوا منه ثمنها، وذلك على وجه الفرصة والانتقام

---

٩٣ نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر/ص٨٧،ص٨٨.

من ولد أخيه الأمير محمد بن علي وقواده لأنهم كانوا في غرناطة، ولم يكن تحت طاعته غيرها؛ وكان في صلح العدو، فأراد بذلك قطع علائق غرناطة لتهلك كما هلك غيرها!!"[٩٤]

مرثية حزينة لنهاية المسلمين في الأندلس:

يحكي لنا صاحب (نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر) عن سقوط غرناطة وعن نقض فرناندو شروط الصلح التي أبرمها مع المسلمين؛ بكل حسرة وتأسف عن أفول شمس الإسلام في الأندلس:

"فلما رأى ملك الروم أن الناس قد تركوا الجواز وعزموا على الدجن والاستيطان والمقام في الأوطان، أخذ في نقض الشروط، التي شرطوا عليه أول مرة، ولم يزل ينقضها شرطاً شرطاً، ويحلها فصلاً فصلاً إلى أن نقض جميعها. وزالت حرمة الإسلام وأدركهم الهوان والذلة، واستطال النصارى عليهم وفرضت عليهم الفروضات، وثقلت عليهم المغارم؛ وقطع لهم الأذان من الصوامع، وأمرهم بالخروج من مدينة غرناطة إلى الأرباض والقرى"[٩٥]

ويسترسل في مرثيته الحزينة: "فخرجوا أذلة صاغرين ثم بعد ذلك دعاهم إلى التنصر وأكرههم عليه، وذلك سنة أربع وتسع مائة، فدخلوا في دينه كرهاً، وصارت الأندلس كلها نصرانية. ولم يبق من يقول فيها: لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم جهراً، إلا من يقولها في نفسه وفي قلبه، أو خفية من الناس، وجعلت النواقيس في صوامعها بعد الأذان، وفي مساجدها الصور، والصلبان بعد ذك الله تعالى وتلاوة القرآن! فكم فيها من عين باكية، وكم فيها من قلب حزين، وكم فيها من الضعفاء والمعدومين لم يقدروا على الهجرة واللحوق بإخوانهم المسلمين! قلوبهم تشتعل ناراً، ودموعهم تسيل سيلاً غزيرً مريراً. وينظرون أولادهم وبناتهم يعبدون الصلبان، ويسجدون للأوثان، ويأكلون الخنزير والميتات، ويشربون الخمر التي هم أم الخبائث والمنكرات. فلا يقدرون على منعهم ولا على نهيهم ولا على زجرهم. ومن فعل ذلك عوقب أشد العقاب! فيا لها من فجيعة ما أمرّها، ومن مصيبة ما أعظمها وأضرها، وطامة ما أكبرها!"[٩٦]

---

٩٤ نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر/ ص٨٨).

٩٥ نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر/ص١٠٨، ص١٠٩.

٩٦ نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر/ص١٠٩، ص١١٠.

ثم يختتم كتابه قائلاً:

"وعمّ الكفر جميع القرى والبلدان وانطفأ من الأندلس نور الإسلام والإيمان! فعلى هذا فليبك الباكون ولينتحب المنتحبون. فإنا لله وإليه راجعون! كان ذلك في الكتاب مسطوراً، وكان أمر الله قدراً مقدوراً. لا مردّ لأمره، ولا معقب لحكمه، وهو القاهر فوق عباده، وهو الحكيم الخبير. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً"[٩٧]

أقول: إنه بحق كتاب جدير بالقراءة والدراسة أيضاً.. وقد استبان لنا أن الأسرة الحاكمة من بني الأحمر قد تنازعوا فيما بينهم ومزقوا البلاد شر ممزق وكل أفراد الأسرة كانوا يتآمرون مع صاحب قشتالة الصليبي فضاعت الأندلس بسبب هذا الصراع الداخلي على الملك بل إن البداية الحقيقة لهذه النهاية المأساوية لملوك بني الأحمر في الأندلس بدأت من اختراق النصارى للبيت السلطاني ثم أسر الأمير محمد بن علي الملقب أبي عبد الله الصغير في موقعة اللسانة سنة ٨٨٨ هـ الذي أبقى عليه النصارى وشحنوه وحرضوه على عمه (الزغل) وأمدوه ومكنوه من الاستيلاء على غرناطة وصار ألعوبة في أيديهم ثم مارسوا نفس اللعبة على عمه وكانت النتيجة أن الأميرين كانا يتنافسان أيهما أكثر عمالة لفرناندو! فكانت النتيجة المأساوية سقوط مدينة مالقة عام ٨٩٢ هـ، ثم مدينة بسطة سنة ٨٩٤ هـ. وهكذا سقطت القرى والمدن الإسلامية بالأندلس كانهيار المتواليات الهندسية! رغم أنه لو اعتصم أمراء بني الأحمر بحبل الله ولم يتفرقوا لما استطاع العدو الصليبي (فرناندو) أن يهزمهم ولربما جاءهم المدد من بلاد المشرق فيما بعد لأنه بسقوط مدينة بسطة ٨٩٤ هـ يكون فرناندو قد قطع خطوط الإمدادات التي كانت تأتيهم من بلاد المغرب والمشرق!! كل ذلك من جراء هذا الأمير الخائن وذاك الأمير المتآمر.. فضاعت الأندلس وصارت صفحة مطوية منسية في زمان التاريخ..

---

٩٧ نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر/ص١١١

ثم انقضت تلك السنون *** وأهلها فكأنها وكأنهم أحلام

خامساً: الدولة العباسية: (من ١٣٢ هـ إلى ٩٢٣هـ):

لقد قسم المؤرخون مدة الخلافة إلى أربعة عصور رئيسية هي:

العصر العباسي الأول: يمتد في الفترة من ١٣٢ إلى ٢٣٢ هـ.

العصر العباسي الثاني: يمتد في الفترة من ٢٣٢ إلى ٥٩٠ هـ.

العصر العباسي الثالث: يمتد في الفترة من ٥٩٠ إلى ٦٥٦ للهجرة.

العصر العباسي الرابع والأخير في مصر حتى سنة ٩٢٣هـ وتحولها بالغلبة إلى العثمانيين.

سنحاول أن نعلق على حادثتين فقط من تاريخ هذه الدولة لتعضيد وجهة نظرنا:

**الحادثة الأولى: مقتل الخليفة المتوكل سنة ٢٤٧هـ:**

لقد كان أول خليفة في تاريخ الإسلام يقتله ابنه بمعاونة حرسه وبطانته الخاصة بل إن منصب الخلافة صار صورياً بعد مقتل الخليفة المتوكل على الله جعفر بن الخليفة المعتصم بن الخليفة هارون الرشيد وطفق الناس يتهكمون على الخليفة الحبيس في قصره رغم أن كل المراسيم تختم باسمه والدعاء له! ومن ذلك قول الشاعر:

خليفة في قفص ** بين وصيف وبغا

يقول ما قالا له ** كما تقول الببغا

ويعتبر العصر العباسي الثاني عصر تسلط الأمراء على شخص ومنصب الخليفة مما أدى إلى ظهور البدع وشيوع الصراع والفوضى في العالم الإسلامي مثل حركة الزنج في البصرة، والقرامطة ثم ظهور العبيدين الذي حكموا نصف العالم الإسلامي قرابة قرنين ونصف وكانت فلسطين يوم أن احتلها الصليبيون تحت أيديهم!!

أما بالنسبة للخليفة المتوكل ناصر السنة وقامع أهل البدع والضلال على اختلاف مشاربهم فقد كان شوكة في حلوق هذه الفرق الضالة لذلك لا عجب عندما نقرأ في كتبهم (معتزلة/شيعة/أهل كتاب/زنادقة الإسلام الجدد) هجوماً وتشويهاً لسيرة هذا الخليفة العباسي.. ونظراً لأن أباه الخليفة المعتصم بالله العباسي ت ٢١٨ هـ قد أكثر من الجند الأعاجم الذي دخلوا في الإسلام وكثير منهم حسن إسلامه وكانوا عوناً قوياً لنصرة الخلفاء طالما كانوا جنوداً لكن لما استوزرهم وأدخلهم بيت الخلافة، واطلعوا على أسرار الخلافة!! ومن ثم صاروا هم المتنفذين في شؤون الدولة المترامية الأطراف، فهم أنفسهم الذين أوغلوا صدر ابن الخليفة المقلب بالمنتصر على أبيه وأخيه المعتز لأمور يطول شرحها.. وكان لهذا الابن الذي صار خليفة فيما بعد هوى مع الشيعة وقد أشار بطريق غير مباشر إلى ذلك بعض المؤرخين الحفاظ الكبار كالذهبي، وابن كثير، وابن القيم، والسيوطي..

ففي ترجمة الخليفة المتوكل على الله جعفر يقول السيوطي في تاريخه:

"بويع له في ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، بعد الواثق، فأظهر الميل إلى السنة، ونصر أهلها، ورفع المحنة، وكتب بذلك إلى الآفاق، وذلك في سنة أربع وثلاثين، واستقدم المحدثين إلى سامرا، وأجزل عطاياهم وأكرمهم، وأمرهم بأن يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية، وجلس أبو بكر بن أبي شيبة في جامع الرصافة (..) وجلس أخوه عثمان في جامع المنصور، (..)، وتوفر دعاء الخلق للمتوكل، وبالغوا في الثناء عليه والتعظيم له، حتى قال قائلهم الخلفاء ثلاثة: أبو بكر الصديق رضي الله عنه في قتل أهل الردة، وعمر بن عبد العزيز في رد المظالم، والمتوكل في إحياء السنة وإماتة التجهم"[٩٨]

وقد نقل السيوطي شعر أبي بكر بن الخبازة في مدح الخليفة المتوكل:

وبعدُ فإن السنة اليوم أصبحت ** معززةً حتى كأنْ لم تذلل

تصول وتسطو إذ أقيم منارها ** وحُطَّ منارُ الإفك والزور من عل

---

٩٨ السيوطي: تاريخ الخلفاء/دار الكتب العلمية /بيروت/ص٢٧٦، ص٢٧٧ بتصرف يسير.

وولى أخو الإبداع في الدين هارباً *** إلى النار يهوي مدبراً غير مقبل

شفى الله منهم بالخليفة جعفر *** خليفته ذي السنة المتوكل

وجامع شمل الدين بعد تشتتٍ *** وفاري رؤوس المارقين بمنصل

الخليفة المتوكل يأمر يهدم قبر الحسين رضي الله عنه:

ولمعرفة سر كراهية الشيعة للخليفة المتوكل نسوق هذا الخبر الذي ذكره ابن كثير في تاريخه: "ثم دخلت سنة ست وثلاثين ومائتين: وفيها أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما) وما حوله من المنازل والدور، ونودي في الناس من وجد هنا بعد ثلاثة أيام ذهبت به إلى المطبق (أي السجن)، فلم يبق هناك بشر، واتخذ ذلك مزرعة تحرث وتستغل"[٩٩]

بالطبع لم يعجب ذلك القرار الحافظ السيوطي المعروف بميوله الصوفية رغم إشادته بمعظم مواقف المتوكل!! حيث قال في تاريخه متهما المتوكل بالتعصب: "وان المتوكل معروفاً بالتعصب، فتألم المسلمون من ذلك، وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد وهجاه الشعراء"[١٠٠]

أقول: لقد تعصب السيوطي لصالح القبوريين حيث أوهم القارئ أن أهل بغداد جميعاً قد كتبوا على الحيطان عبارات تشتم الخليفة المتوكل!! والحقيقة أن شيعة بغداد وبعض شعرائهم هم الذين كانوا يسبون الخليفة في السر لأنه انتصر لأهل الحق وقمع أهل البدع والضلال! لذلك نجد أن السيوطي بعد مقتل المتوكل وعند ترجمته للخليفة الجديد قاتل أبيه الملقب بالمنتصر يقول في حقه: "محسناً إلى العلويين، وصولاً لهم، أزال عن آل طالب ما كانوا فيه من الخوف والمحنة بمنعهم من زيارة قبر الحسين، ورد على آل الحسين فدك"[١٠١]

---

٩٩ ابن كثير: البداية والنهاية/دار التقوى/مصر/مج٥/ج١٠ ص٣٥٣ ، ص٣٥٤.

١٠٠ السيوطي: تاريخ الخلفاء/ص٢٧٨.

١٠١ السيوطي: تاريخ الخلفاء/ص٢٨٥.

أقول: هكذا انكشف المخبوء واتضح لنا أن ابن الخليفة كان مخترقاً من قبل الشيعة الذي سمموا أفكاره وأفسدوا عقيدته مما دفعه للانتقام من أبيه بزعم أن أباه كان يريد أن يولي أخاه المعتز بدلاً منه ومن ثم نجده هذا الخليفة قاتل أبيه يهدم ما شيده أبوه ويعيد البدع كما كنت من قبل بل ويأمر بحمايتها!! ومن رحمة الله تعالى أن الخليفة المنتصر قاتل أبيه لم ينعم بالملك طويلاً فقد مات بعد ستة أشهر من ولايته!!

وإليك هذه الحادثة أيضاً:

الخليفة المتوكل يأمر بضرب رجل سب أبا بكر وعمر وعائشة (رضي الله عنهم):

قال ابن كثير في أحداث إحدى وأربعين ومائتين: "وفيها أمر الخليفة المتوكل على الله بضرب رجل من أعيان أهل بغداد يقال له: عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم، فضرب ضرباً شديداً مبرحاً يقال: إنه ضرب ألف سوط حتى مات، وذلك أنه شهد عليه سبعة عشر رجلاً عند قاضي الشرقية أبي حسان الزيادي أنه يشتم أبا بكر وعمر وعائشة وحفصة رضي الله عنهم، فرفع أمره إلى الخليفة، فجاء كتاب الخليفة إلى محمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسن نائب بغداد يأمره أن يضربه بين الناس حد السب، ثم يضرب بالسياط حتى يموت، ويلقى في دجلة، ولا يصلى عليه ليرتدع بذلك أهل الإلحاد والمعاندة، ففعل ذلك قبحه الله ولعنه، ومثل هذا يكفر إن كان قد قذف عائشة بالإجماع، وفي من قذف سواها من أمهات المؤمنين قولان، والصحيح أنه يكفر أيضاً لأنهن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهن"[١٠٢]

ولم يكتف الخليفة المتوكل بمعاقبة أهل البدع كالمعتزلة والشيعة الذين يسبون الصحابة رضوان الله عليهم؛ فقد وقف بحزم أيضاً لتجاوزات أهل الذمة ومن يوالونهم من المسلمين وفي ذلك يقول ابن القيم: "وقد انتهى إلى أمير المؤمنين أن أناساً لا رأي لهم ولا روية يستهينون بأهل الذمة في أفعالهم، ويتخذونهم بطانة من دون المسلمين،

---

١٠٢ ابن كثير: البداية والنهاية/مج٥/ج١٠/ص٣٦٣.

ويسلطونهم على الرعية فيسعفونهم، ويبسطون أيديهم إلى ظلمهم وغشمهم، والعدوان عليهم، فأعظم أمير المؤمنين ذلك وأنكره وأكبره وتبرأ إلى الله منه، وأحب التقرب إلى الله تعالى بحسمه والنهي عنه، ورأى أن يكتب إلى عماله على الكور والأمصار وولاة الثغور والأجناد في ترك استعمالهم للذمة في شيء من أعمالهم وأمورهم، والإشراك لهم في أماناتهم وما قلدهم أمير المؤمنين واستحفظهم إياه، وجعل في المؤمنين الثقة في الدين والأمانة على إخوانهم المؤمنين، وحسن الرعاية لما استرعاهم، والكفاية لما استكفوا، والقيام بما حملوا، ما أغنى عن الاستعانة بالمشركين بالله، المكذبين برسله، الجاحدين لآياته، الجاعلين معه إلهاً آخر، لا إله إلا هو وحده لا شريك له"[١٠٣].

هكذا كان الخليفة المتوكل يقظاً للجبهة الداخلية وحاول خلال فترة حكمه أن يطهر تلك الجبهة في الوقت الذي كانت جيوشه تخوض حروباً مع الروم وتدافع عن يغور دولة الإسلام.. وكانت الروم تخشاه وتهابه!! لكن رغم كل ذلك فإن مشروع الخليفة المتوكل في توحيد الجبهة الداخلية والقضاء على الطابور الخامس الذي كان بمثابة سوس ينخر جسد الأمة ويقوض دعائمها للأسف لم يكتمل بسبب أن هذا السوس كان قد وصل لبيت الخليفة نفسه ولأقرب المقربين منه؛ ابنه وبعض قواده الذين غافلوه وقتلوه، وفتحوا باباً من الشر على الأمة لم يلتئم بعد حيث قتلوا آخر الخلفاء الكبار في الدولة العباسية وبمقتله انتهى العصر الذهبي للدولة العباسية! وبدأ عصر الخلفاء الضعاف الذي انتهى بمأساة بغداد سنة ٦٥٦ هـ!!

الحادثة الثانية: مقتل الخليفة العباسي المستعصم بالله سنة ٦٥٦هـ:

هذا الخليفة أنموذج للخلفاء ضعاف الرأي؛ فقد تم اختياره من قبل الدويدار والشرابي؛ وزيري أبيه الخليفة المستنصر (ت ٦٤٠ هـ)، خشية أن يتولى عمه (الخفاجي) وكان شجاعاً وذا رأي يريد أن يقضي على التتار في معقلهم لكن لا تأتي الرياح بما تشتهيه السفن! ويحدثنا عن هذا الخلل الجسيم والداء العضال قطب الدين اليونيني

١٠٣ ابن القيم: أحكام أهل الذمة/دار الكتب العلمية/بيروت/ص١٧٤.

في ترجمة الخليفة المستعصم بالله آخر الخلفاء العباسيين في العراق: "كان متديناً، متمسكاً بالسنة كأبيه وجده، ولكنه لم يكن مثلهما في التيقظ والحزم وعلو الهمة، وكان للمستنصر أخ يعرف بالخفاجي يزيد عليه في الشجاعة والشهامة، وكان يقول: إن ملكني الله الأمر لأعبرن بالجيوش نهر جيحون، وأنتزع البلاد من التتار وأستأصلهم، فلما توفي المستنصر لم ير الدويدار والشرابي والكبار تقليد الخفاجي الأمر، وخافوا منه، وآثروا المستعصم للينه وانقياده؛ ليكون لهم الأمر، فأقاموه، ثم ركن المستعصم إلى وزيره مؤيد الدين العلقمي الرافضي، فأهلك الحرث والنسل"[١٠٤]

ابن العلقمي: يقول عنه الذهبي "ابن العلقمي البغدادي، الرافضي، وزير المستعصم: وكانت دولته أربع عشرة سنة، فأفشى الرفض، فعارضه السنة، وأُكبت، فتنمر، ورأى أن هولاكو على قصد العراق، فكاتبه وجسّره، وقوي عزمه على قصد العراق، ليتخذ عنده يداً، وليتمكن من أغراضه، وحفر للأمة قليباً، فأوقع قريباً، وذاق الهوان، وبقي يركب كديشاً وحده، بعد أن كانت ركبته تضاهي موكب سلطان، فمات غبناً وغماً، وفي الآخرة أشد خزياً وأشد تنكيلاً"[١٠٥]

وقد قام هذا العلقمي الخائن بتسريح معظم جيش الخلافة ليسهل مهمة هولاكو اجتياح بغداد!! ففي رواية للذهبي: "ثم استوزر (يقصد المستعصم) المؤيد بن العلقمي الرافضي، فأهلك الحرث والنسل، وحسنّ له جمع الأموال، وأن يقتصر على بعض العساكر، فقطع أكثرهم، وكان يلعب بالحمام"[١٠٦]

ابن العلقمي يخدع الخليفة: "وقيل بل أتى هولاكو البلد من الجانب الشرقي، فأشار الوزير على الخليفة بالمداراة، وقال (العلقمي) أخرج إليه أنا. فخرج واستوثق لنفسه، وردّ، فقال: القان راغب في أن يزوج بنته بابنك أبي بكر، ويبقي لك منصبك كما أبقى صاحب الروم في مملكته من تحت أوامر القان، فاخرجْ إليه. فخرج في كبراء دولته للنكاح يعني،

---

١٠٤ تاريخ الخلفاء/ص٣٧١، ص٣٧٢

١٠٥ الذهبي: سير أعلام النبلاء/مكتبة الصفا/القاهرة/مج١٣ ص٤٠٣

١٠٦ سير أعلام النبلاء /مج١٣ ص٣٠٢

فضرب أعناق الكل بهذه الخديعة، ورفس المستعصم حتى تلف، وبقي السيف في بغداد بضعة وثلاثين يوماً فأقل ما قيل: قتل بها ثمان مائة ألف نفس، وأكثر ما قيل: بلغوا ألف ألف وثمانمائة ألف، وجرت السيول من الدماء، فإنا لله وإنا إليه راجعون"[١٠٧]

وخربت بغداد وقتل أهلها حتى قال شاعرهم:

بادتْ وأهلوها معاً فبيوتهم ** ببقاءِ مولانا الوزير خرابُ

وقال آخرون:

يا عصبة الإسلام نوحي واندبي ** حزناً على ما تم للمستعصم

دستُ الوزارة كان قبل زمانه ** لابن الفرات فصار لابن العلقم

ومن أحسن ما قيل في بغداد قصيدة لتقي الدين أبي اليسر نختار منها:

لسائل الدمع عن بغداد أخبارُ ** فما وقوفك والأحبابُ قد ساروا

يا زائرين إلى الزوراء لا تفدوا ** فما بذاك الحمى والدارُ ديّارُ

تاج الخلافة والربع الذي شرفتْ ** به المعالم قد عفّاه إقفارُ

أضحى لعصف البلى في ربعه أثرٌ ** وللدموع على الآثار آثارُ

يا نار قلبيَ من نار لحرب وغى ** شبت عليه ووافى الربعَ إعصارُ

علا الصليبُ على أعلى منابرها ** وقام بالأمر مَنْ يحويه زُنّارُ

وكم حريم سبته التركُ غاصبةً ** وكم من دون ذاك الستر أستارُ

وكم بدورٍ على البدرية انخسفت ** ولم يعد لبدور منه إبدارُ

وكم ذخائر أضحتْ وهي شائعة ** من النهاب وقد حازته كفارُ

وكم حدود أقيمت من سيوفهم ** على الرقاب وحُطتْ فيه أوزارُ

ناديتُ والسبيُ مهتوك تجرّ بهم ** إلى السّفاح من الأعداء دُعَّارُ

١٠٧ سير أعلام النبلاء مج١٣ ص٣٠٥، ص٣٠٦

هكذا ضاعت حاضرة الإسلام بغداد وكأن الشاعر يتكلم عن اجتياح الأمريكان وحلفائهم بغداد عام ١٤٢٣هـ الموافق ٢٠٠٣م نفس الخيانة وإن اختلفت الشخوص وتغيرت الأزمنة لكنه نفس المكان.. عاصمة الرشيد!! هكذا ضاعت بغداد ليس بقوة جيوش هولاكو فقط بل بخيانة بطانة السوء؛ ذلكم الداء العضال (العدو القريب)!!

## سادساً: ابن تومرت الدجال الذي دمر دولة المرابطين السنية (٤٥٣ هـ إلى ٥٤١ هـ):

ابن تومرت الذي ادعى أنه المهدي المنتظر في زمانه اسمه أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي السوسي المتوفى عام ٥٣٤ هـ. وقد شكك بعض المؤرخين في اسمه حيث ذهب برفنسال في كتابه الإسلام في المغرب والأندلس أن ابن تومرت كان يتسمى باسم بربري.. وقد نقل هذا القول صاحب كتاب المهدي ابن تومرت وهو عبارة عن رسالة دكتوراه: "وقد ذهب برفنسال من الباحثين المحدثين إلى أن ابن تومرت كان يسمى باسم بربري بحت لم يستبدل به اسم محمد إلا في وقت متأخر تيمناً باسم الرسول صلى الله عليه وسلم"[١٠٨]

أقول: رغم أن هذا الرأي لم يعجب الدكتور عبد المجيد النجار إلا أنني أرى أن هذا التشكيك في محله لأن ابن تومرت ادعى أنه المهدي المنتظر وقد قرأ بالفعل الأحاديث الواردة في اسم وصفة المهدي المنتظر ومن ثم زعم أن اسمه محمد ليوافق رواية (لا تنقضي الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي)! وزعم أن أباه اسمه عبد الله ليوافق رواية أبي داود (اسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطا وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً)!..

كما أن هناك خبراً في نظم الجمان تؤكد ما ذهبنا إليه حيث: "ذكر ابن القطان أنه كان يلقب في صغره حينما كان يقرأ في المكتب (بأسفو)، ومعنى اسفو بالبربرية

---

١٠٨ د. عبد المجيد النجار: المهدي ابن تومرت/دار الغرب الإسلامي/بيروت/١٤٠٣هـ/ص٢٣

الضياء لملازمة ايقاد القنديل في المسجد للقراءة والصلاة. أما ما اشتهر به من لقب المهدي فإنه لم يطلق عليه إلا حينما أظهر المهدية وبايعه الناس، وأطلق عليه حينئذ لقب الإمام المعصوم المهدي المعلوم"[١٠٩]

فتوى أحد فقهاء المغرب في ابن تومرت وشيعته:

ويؤكد ما ذهبنا إليه؛ الونشريسي ت ٩١٤ هـ في المعيار المعرب في الرد على طائفة (جزناية) وهم من شيعة المهدي ابن تومرت ليستبين لنا تعاليم ابن تومرت وكذبه أن أباه اسمه عبد الله كما ورد في إجابة أحد فقهاء المغرب قديماً ننقل السؤال والجواب على النحو التالي:

"وسئل فقيه تازي ومفتيها الفقيه أبو عبد الله محمد بن عبد المؤمن رحمه الله عن طائفة جزناية من أخماس تازي، ونص السؤال من أوله إلى آخره: الحمد لله. سيدي رضي الله عنكم جوابكم في قوم فارقوا الجماعة ويكفرون المسلمين ولا يأكلون ذبائحهم ولا يصلون خلفهم ويقولون من لم يؤمن بالمهدي ابن تومرت فهو كافر ويفضلونه على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ويقولون من لم يعلم اثني عشر باباً من التوحيد فهو كافر، وينقضون الوضوء بلمس ذوات المحارم، ويقولون من حلق ما تحت اللحية فهو مجوسي. بينوا لنا الرد عليهم في ذلك وما يلزمهم. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته"[١١٠]

فماذا أجاب الفقيه أبو عبد الله بن عبد المؤمن؟ نختار من هذه الإجابة المطولة الفقرة التالية: "وهؤلاء القوم الذين ذكرتم حرفوا ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد قال عليه السلام: (من كذب علي متعمداً فيتبوأ مقعده من النار). وجعلوا مكان المهدي حفيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن تومرت، فيقال لهم ناشدناكم الله هل المهدي بن تومرت بويع بين الركن والمقام؟ وقد أخبر

---

١٠٩ د. عبد المجيد النجار: المهدي ابن تومرت/ص٢٤.

١١٠ الونشريسي: المعيار المعرب/دار الغرب الإسلامي/بيروت/ج٢ ص٤٥٣

عليه السلام بأن المهدي المعلوم يبايع بين الركن والمقام. ويقال لهم ناشدناكم الله هل المهدي بن تومرت بعث إليه بعث الشام فخسف بهم؟ فقد أخبر عليه السلام أن المهدي المعلوم يكون له ذلك. ويقال لهم ناشدناكم الله هل ابن تومرت سكن أنطاكية؟ فقد أخبر عليه السلام أن المهدي المعلوم يسكنها. ثم يقال لهم ناشدناكم الله هل ابن تومرت اسم أبيه على اسم النبي صلى الله عليه وسلم؟ فالفرق بينهما من الوجوه التي ذكرناها أن المهدي المعلوم حفيد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ولد فاطمة، وابن تومرت ليس كذلك؛ والمهدي المعلوم يبايع بين الركن والمقام، وابن تومرت ليس كذلك؛ بل لم يكن إماماً وإنما كان الإمام عبد المؤمن بن علي؛ وأيضاً فإن المهدي المعلوم يملك العرب، وابن تومرت ليس كذلك؛ وأيضاً فإن المهدي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً فتكون إمامته على جميع الأقاليم كما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وابن تومرت إنما كان بأرض المغرب؛ والمهدي المعلوم يسكن أنطاكية، وابن تومرت لم يسكنها؛ والمهدي المعلوم اسم أبيه على اسم أبي النبي صلى الله عليه وسلم، وابن تومرت ليس كذلك؛ والمهدي المعلوم خلقه كخلق النبي صلى الله عليه وسلم من عترته، وابن تومرت ليس كذلك؛ والمهدي المعلوم يأتيه أبدال الشام وأهل العراق، وابن تومرت لم يكن له شئ من ذلك؛ وخلافة المهدي المعلوم قريبة من نزول عيسى عليه السلام (..) وأما تفضيلهم إياه على الصحابة فهو كفر صراح لأنه قد انعقد الاجماع من المسلمين على أن أفضل الناس بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر، ثم تعارضت الظنون في عثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين. فهؤلاء خرقوا الاجماع، ومن خرق الاجماع فهو كافر يستتاب فإن تاب وإلا قتل"[١١١]

أقول: إذن فالمهدي ابن تومرت بربري ليس اسمه محمداً ولا اسم أبيه عبد الله!! بل ينتهي نسبه إلى قبيلة (هرغة) وهي بطن من بطون قبيلة (مصمودة) المشهورة ثم بعد كل هذا ينسب نفسه إلى ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم!

---

١١١ الونشريسي: المعيار المعرب/ج٢ ص٤٥٥، ص٤٥٦

لقد استطاع هذا الدعي الدجال أن يخدع عامة الناس بورعه الكاذب ويؤلب العامة على دولة المرابطين بزعم أنه كان يجهر بتغيير المنكر ومن ثم شكل له أتباعاً ومريدين وبث تعاليمه السامة في أدمغتهم وكفر حكومة المرابطين وجمهور أهل السنة بزعم أنهم مجسمة يقولون (الله فوق السماء) نظراً لأن معتقد المرابطين هو معتقد أهل السنة في الأسماء والصفات ويعتقدون أن الله واحد لا شريك له؛ في السماء بائن من خلقه معهم بعلمه وإحاطته ونصرته وليس بذاته كما يزعم أهل الحلول والجهمية ومن دان بمعتقدهم! لذلك شن ابن تومرت حملة شعواء قاسية على المرابطين لأنهم ليسوا على معتقده في الأسماء والصفات وفي قضايا التوحيد!! فصار يتقرب بدمائهم ويحرض على قتلهم وخاصة بعد أن قابل تلميذه ابن عبد المؤمن بن علي ت ٥٨٨ هـ الذي ناصر دعوته وأقام دولة الموحدين (٥١٥ هـ إلى ٦٦٨ هـ) بعد سقوط دولة المرابطين.. الشاهد من هذا السرد أن غفلة حكام المرابطين على هذا المشروع التخريبي التآمري والتسامح معه وانشغالهم بحرب الفرنجة في الأندلس لأن دولتهم كانت كبيرة جداً من أقصى حوض النيجر إلى المغرب الأقصى وأطراف تونس إلى الأندلس وقشتالة إلى حدود جبال البرانس!! فقد كان هذا السوس (الداء العضال) العدو القريب ابن تومرت وعصابته ينخرون في جسد دولة المرابطين والدولة غافلة عنهم وتتعامل معهم برعونة!! وكانت المفاجأة قيام جيش جرار يلتهم ولايات المرابطين ولاية ولاية حتى أزالوهم عن مراكش ودخلوا الأندلس وتمزق ملك آل تاشفين وضاع حلم الفقيه عبد الله بن ياسين المؤسس لهذه الدولة السنية التي هزمت الصليبين الأسبان في الزلاقة سنة ٤٧٩ هـ..

وهكذا انكسرت راية التوحيد الحق التي كانت بأيدي المرابطين!! وقامت دولة البدع والضلال المسماة (دولة الموحدين) التي أعملت السيف في أعناق أهل السنة واستباحت دماء الأبرياء وقتلت خلائق وجماعات من العلماء والقضاة والمفتين وأهل الخير والصلاح لأنهم لم يعتقدوا معتقدهم الأثيم ولم يؤمنوا بمذهب الموحدين الباطل ولا بعصمة المهدي الدجال ابن تومرت!!

وهناك رواية تعضد رأينا في خطورة العدو القريب وأن ضرر هذا العدو القريب فتاك إذا قوي واستحكم واستفحل أمره؛ نسوق هذه الواقعة:

المنصور الموحدي يمتنع عن نصرة صلاح الدين الأيوبي:

أمير دولة الموحدين (أبو يوسف بن يعقوب المنصور) المتوفى ٥٩٥ هـ وهو أول من تلقب من أمراء الموحدين بلقب فاختار لقب المنصور!! وتسمى بأمير المؤمنين! لقد امتنع هذا الخليفة! عن نصرة السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي وهو يطلب منه المدد لمواجهة جيوش الصليبيين في المشرق!! لماذا امتنع عن نصرة صلاح الدين؟ لأنه كان ينظر إلى المسلمين المشارقة على أنهم وثنيون مجسمة مرتدون لا يجب مناصرتهم!! رغم أنه تعلل بأشياء تافهة كما ذكر بعض المؤرخين: "واعتقد (أي المنصور) أنه يستحق إمامة المسلمين في كل مكان وخلافتهم، ولذلك لم يتنازل بالرد على صلاح الدين الأيوبي رحمه الله عندما أرسل له رسالة مع رسول يطلب منه أن يمد المسلمين في بلاد الشام في صراعهم ضد الصليبيين، واحتج بأن صلاح الدين لم يخاطبه بلقب أمير المؤمنين"[١١٢]

أقول كيف يخاطبه بأمير المؤمنين وفي عنق السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي بيعة للخليفة العباسي السني!! هذه علل واهية والحقيقة أن صاحب دولة الموحدين لم يستجب لرسالة واستغاثة صلاح الدين لأنه يعتبرهم كما قلنا آنفاً مجسمة مرتدين مخالفين له في المعتقد!!

## سابعاً: الدولة العثمانية (٦٩٩ هـ إلى ١٣٤٢ هـ):

هذه الدولة أقامها وأرسى دعائمها على أساسي ديني على مذهب أهل السنة والجماعة عثمان غازي وابنه أورخان غازي وحفيده مراد الأول الملقب بالسلطان الشهيد الذي قضى سنوات حكمه (٣٠ سنة) في الفتوحات وتوسيع مساحة الدولة لذلك يعده

---

١١٢ د. محمد ماهر حمادة: دراسة وثائقية للتاريخ الإسلامي ومصادره/مؤسسة الرسالة/الرياض/١٤٠٨ هـ/ص٥١٠

بعض من المؤرخين أول سلطان في الدولة العثمانية إذ أن والده أورخان وجده عثمان كان يلقبان بـ (بك).. ثم استكمل المسيرة من بعده بايزيد الأول الملقب بالصاعقة وبعض المؤرخين يعتبر بايزيد أول من حمل لقب سلطان بصفة رسمية في آل عثمان.. ثم جاء السلطان مراد الثاني والد السلطان محمد الثاني الملقب بالفاتح (فاتح القسطنطينية) و(الصرب) و(أثينا) (والبوسنة) و(قونية)، و(طرابزون)، و(أطراف سليفيكيا)، وشرع في الهجوم على إيطاليا وفتح (أوترانتو) وحاصر رودس!! وهكذا جدد العثمانيون شباب الإسلام بعد أن أفلت شمس الدين الحنيف في الأندلس!! وصار السلاطين العظام من آل عثمان يغزون ويفتحون بلاداً لم يدخل الإسلام فيها من قبل وصاروا يتحكمون في مصير العالم قرابة ستة قرون ما بين عصر ذهبي للسلاطين الكبار وعصر وسيط وعصور اضمحلال وضعف أو حسب ما أطلق على الدولة متأخراً (الرجل المريض)!!

الدولة المفترى عليها:

يقول المؤرخ د. الشناوي: "لقد عاشت الدولة العثمانية أكثر من ستة قرون واجتاحت جيوشها الإسلامية العثمانية أقاليم شاسعة في جنوبي شرق أوروبا ووسطها، وهي أقاليم لم تخضع قط من قبل لحاكم مسلم. وأحرزت باسم الإسلام انتصارات خاطفة وباهرة، وتساقطت في أيديها دول أوروبية عديدة. وامتلأت قلوب الحكومات والشعوب الأوروبية فزعاً وهلعاً من هذه الدولة الإسلامية الطارئة عليها في عقر دارها. وتعرضت الدولة في مسيرتها في أوروبا لتكتلات صليبية دولية تنادت إليها البابوية في روما وأسهمت فيها دول أوروبية عديدة. وفي بعض الأحيان تبادلت الدولة مع أعدائها الهزائم والانتصارات. ولم تترك الدول الأوروبية للدولة فرصة لالتقاط أنفاسها. وعلى الرغم من ذلك كانت الدولة تنهض من كبوتها وتعيد بناء قواتها البرية والبحرية وتستأنف مسيرتها المظفرة"[١١٣]

---

١١٣ د. عبد العزيز الشناوي/الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها/مكتبة الأنجلو المصرية/القاهرة/١٩٨٠/ ص٦.

هكذا كانت الدولة العثمانية التي رفعت راية الإسلام خفاقة على مدار ستة قرون! لكنها شاخت وتمزقت وصارت أثراً بعد عين! فكيف حدث ذلك؟

هناك دراسات وأبحاث حول أسباب قيام هذه الدولة وسر قوتها وعوامل ضعفها من قبل مؤرخين متحاملين حانقين وما أكثرهم.. وفريق آخر من المؤرخين المنصفين وللأسف ما أقلهم!

لكن قد يتساءل متسائل: ما علاقة الدولة العثمانية بموضوع العدو القريب وأس الداء والداء العضال حسب عنوان المقال؟

أقول: إن الدولة العثمانية أنموذج للدولة القوية الفتية التي كانت تضم بين جنباتها وتحت حمايتها العديد من الأعراق والأجناس والأمم الذين كانوا يتكلمون بلغات شتى، ورغم ذلك فقد عاش الجميع في أمن وسلام كرعايا للدولة الإسلامية العثمانية!! لكن المشكلة أن هناك عوامل كثيرة أدت إلى ضعف الدولة وانحسار سلطانها عن الأراضي التي افتتحتها وخاصة عامل العدو القريب ذلكم الداء العضال الذي أرهق الدولة سواء كان العدو القريب من داخل الباب العالي السلطاني مقر الخلافة أو كان هذا العدو القريب من الطامعين المنتسبين للدين الإسلامي كتيمورلنك والصفويين أو الخائفين على سلطانهم كالمماليك في مصر مثل قنصوة الغوري وطومان باي أو كان هذا العدو القريب من الطوائف غير الإسلامية صاحبة الامتيازات التي كانت شوكة في خاصرة الدولة العثمانية الذين أثاروا النزعات القومية متأثرين بالنزعات القومية التي ظهرت في تلك الحقبة وانتشرت في أوربا وقد تحقق لها ما أرادت بسبب ضعف وتخاذل السلاطين المتأخرين من آل عثمان!!

وسنحاول الآن أن نسلط الضوء على مثالين لتستبين لنا الفكرة جلية:

المثال الأول: السلطان بايزيد الأول ت ٨٠٤ هـ هازم الأوروبيين في معركة نيكوبولس مجتمعين وكيف كان مصيره؟!

هـذا السـلطان الغـازي الـذي أرعـب الأوروبيـين عندمـا حاصـر القسـطنطينية وكاد أن يفتحهـا ويكتسـح أوربـا بأسـرها.. لـولا مـا قـدره اللـه تعالـى مـن ظهـور تيمورلنـك التتـري الشـيعي الـذي فعل ما لـم تستطع ملوك أوروبا وجيوشـها الجـرارة فعله مـع السـلطان بايزيـد!!

وحسبنا هذه الواقعة:

الحملة الصليبية بقيادة سيجموند بقيادة ملك المجر سنة ٧٩٨هـ:

ذكـر صاحـب كتـاب العثمانيـون فـي التاريـخ: "وقصـة هـذه الحملـة الصليبيـة أن سـيجموند اسـتنجد بالبابـا وبأوروبـا لتكويـن حملـة أوروبيـة لإنقـاذ المجـر وبيزنطـة مـن الخطـر العثمانـي، فحملـت الحملـة شـعار سـحق الأتـراك أولاً ثـم احتـلال القـدس. تكونـت هـذه الحملـة مـن جيـوش مجرية وفرنسـية وألمانيـة وبولنديـة وإنجليزية وإيطاليـة وإسـبانية، واجتـازت هـذه القـوات المشـتركة بعـد أن بلغـت ١٣٠ ألـف محـارب نهـر الطونـة (نهـر الدانـوب) وبلغـت مدينـة نيكوبولـي وعندهـا دارت رحـى معركـة سـميت باسـمها أي باسـم هـذه المدينـة بيـن الصليبييـن بقيـادة سـيجموند ملـك المجـر وبيـن العثمانييـن بقيـادة الأميـر بايزيـد الصاعقـة عـام ١٣٩٦م (٧٩٨ هـ). انتهـت معركـة نيكوبولـي بانتصـار العثمانييـن، وأسـروا كثيـراً من أشـراف فرنسـا منهـم الكونـت دي نيفـر قائـد قـوات بورغنيـا وولـي عهدهـا. وقـد ألـزم هـذا الكونـت علـى القسـم بـألا يعـود إلـى حـرب العثمانييـن. وبعـد قـرار بايزيـد إطـلاق سـراح الأمـراء الأسـرى بعـد دفـع الفديـة، أراد بايزيـد أن يحلـل الكونـت دي نيفـر مـن قسـمه. قـال بايزيـد: (أيهـا الكونـت! لـك أن تعـود مـرة أخـرى لمحاربتـي لكـي تمسـح العـار الـذي لحـق بـك. واعلـم أنـي لا أخـاف مـن عودتـك وإلا مـا كنـت أطلقـت سـراحك، تعـال وقتمـا تشـاء فسـتجدني وجنـودي أمامـك. ذلـك لأنـي ولـدت لكـي أنتصـر علـى المحاربيـن الذيـن أجدهـم أمامـي. وعقـب انتصـار العثمانييـن فـي نيكوبولـي، أرسـل الأميـر بايزيـد الأول، أنبـاء هـذا إلـى الانتصـار الخليفـة المتـوكل العباسـي بالقاهـرة، فـكان جـواب الخليفـة عليـه أنـه أرسـل إليـه تشـريفاً وخلعـة وسـيفاً وكان هـذا معنـاه الاعتـراف ببايزيـد سـلطاناً علـى إقليـم الـروم"[١١٤]

---

١١٤ د.محمد حرب: العثمانيون في التاريخ والحضارة/المركز المصري للدراسات التركية بالقاهرة/ص١٧، ص١٨.

تيمورلنك ت ٨٠٧ هـ يوقف انتصارات السلطان بايزيد:

جاء في كتاب التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية لإبراهيم بك حليم وهو مؤرخ عاصر فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني وكان معاصراً لفترة حكم خديوي مصر عباس الثاني : "وفي سنة ٨٠٤ هـ زاد تيمورلنك في التسلط على الأملاك العثمانية يوماً فوق يوم، فدعاه السلطان بايزيد للحرب فحضر ومعه عشرين أميراً مستقلين تحت حمايته، بينهم أمراء شروان وأمير كيلان وديار بكر، وكردستان وبخشان وخان وتركستان إلى أنقرة، وأراد أخذ قلعتها من يد يعقوب بك محافظها، وإذا بالسلطان بايزيد وصل بجيشه إلى (توقاد) أمام جيش تيمورلنك. ففي يوم الجمعة ١٩ ذي الحجة من العام المذكور ابتدأ القتال (..) فلما رأى العساكر التتر الموجودين ضمن جيش بايزيد أن جيش تيمور لنك تتر مثلهم، تركوا بايزيد وانضموا إلى جيش تيمورلنك وكانوا خمسين ألفاً، فانهزم جيش بايزيد. واشتغل الأمراء بتخليص أولاده. وأما هو فلم ينهزم ولم ييأس من النصرة بل صعد مع خواص رجاله على ربوة. أما تيمورلنك فإنه أرسل محمود خان من نسل جنكيز خان بفرقة للقبض على بايزيد، فلما وصل إليه انكب فرس بايزيد به فأخذ إلى تيمورلنك أسيراً"[١١٥]

الغرب مدين لتيمورلنك:

يعقب ول ديورانت على معركة نيكوبولس: "والتحم أقدر قائدين في زمانهما في أنقرة ١٤٠١م/ وأرغمت استراتيجية تيمور أعداءه الأتراك على القتال بعد أن أرهقهم وأنهك قواهم طول السير، وهزم الأتراك هزيمة منكرة وأخذ بايزيد أسيراً، وابتهجت القسطنطينية، وظل العالم المسيحي بمنجاة من الأتراك لمدة نصف قرن بفضل التتار"[١١٦]

---

١١٥ إبراهيم بك حليم: التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية/مؤسسة المختار/ القاهرة ص٧٣، ص٧٤.

١١٦ ول ديورانت: قصة الحضارة/د. عبد الحميد يونس ومحمد علي أبو ذرة/مكتبة الأسرة بالقاهرة/مج١٣ ج٢٥، ج٢٦ ص٤٧.

الغرب يبارك انتصارات تيمورلنك:

"وبعث إليه هنري الرابع ملك انجلترا بالتهنئة، كما أوفدت إليه فرنسا أسقفاً يحمل الهدايا، وأوفد إليه هنري الثالث ملك قشتالة بعثة شهيرة برياسة روى جونزاليز كلافيجو"[١١٧]

مناظرة تيمور لنك ت ٨٠٧ هـ لعلماء حلب:

تيمورلنك قاتل نساء وأطفال مدينة حلب ذلكم الطاغية الذي كان مولعاً بغزو المسلمين دون الكفار!! فلننظر عن ماذا سأل العلماء والقضاة عندما دخلها سنة ٨٠٣هـ.

ذكر الشوكاني ت ١٢٥٠ هـ في البدر الطالع: "وطلب القضاة والعلماء للسلام عليه فامتثلوا أمره وجاؤوا إليه ليلة الخميس، فلم يكرمهم وجعل يتعنتهم بالسؤال. وكان آخر ما سألهم عنه أن قال: ما تقولون في معاوية ويزيد هل يجوز لعنهما أم لا؟ فأجابه القاضي علم الدين القفصي المالكي: بأن علياً اجتهد فأصاب فله أجران، ومعاوية اجتهد فأخطأ فله أجر فتغيظ لذلك. ثم أجاب الشرف أبو البركات الأنصاري الشافعي بأن معاوية لا يجوز لعنه لأنه صحابي، فقال تيمور: ما حد الصحابي؟ فأجاب القاضي شرف الدين أنه كل من رأى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال تيمور: فاليهود والنصارى رأوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأجاب بأن ذلك بشرط أن يكون الرائي مسلماً. وأجاب القاضي شرف الدين المذكور أنه رأى في حاشية على بعض الكتب أنه يجوز لعن يزيد، فتغيظ لذلك. ولا عتب عليه إذا تغيظ فالتعويل في مثل هذا الموقف العظيم في مناظرة هذا الطاغية الكبير في ذلك الأمر الذي مازالت المراجعة به بين أهل العلم في قديم الزمان وحديثه على حاشية وجدها على بعض الكتب؛ مما يوجب الغيظ سواء كان محقاً أم مبطلاً. وقد سألهم في هذا الموقف أو في موقف آخر بمسألة عجيبة، فقال ما مضمونه: إنه قد قتل منا ومنكم من قتل، فمن في الجنة ومن في

---

١١٧ ول ديورانت: قصة الحضارة ج٢٦ ص٤٧

النار قتلانا أو قتلاكم؟ فقال بعض العلماء الحاضرين وهو ابن الشحنة (..) هذا سؤال قد سئل عنه رسول الله صلى الله وآله وسلم، فاستنكر تيمورلنك ذلك وقال: كيف قلت؟ قال ثبت في الحديث الصحيح أن قائلاً قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يا رسول الله؛ الرجل يقاتل حمية، ويقاتل شجاعة، ويقاتل ليرى موضعه، فقال: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في الجنة أو كما قال. فلما سمع تيمور هذا الجواب أعجبه وأطربه. ولله دره هذا المجيب! فلقد وفقه الله في هذا الجواب. وهكذا فلتكن جوابات العلماء لا كما قاله القاضي شرف الدين إنه رأى في حاشية"[١١٨]

المثال الثاني: الغرب النصراني يشيد بالصفويين:

يقول صاحب قصة الحضارة: "وظل العالم الإسلامي في الشرقين الأدنى والأوسط ممزقاً متنابذاً من ١٥٠٨م إلى ١٦٣٨م، وأفاد العالم المسيحي من هذه الفرقة حيث انقطع سليمان القانوني عن شن هجماته على الغرب، ووجه حملاته نحو فارس. وفي ذلك كتب سفير فرديناند في القسطنطينية يقول: (إن فارس هي التي تقف حائلاً بيننا وبين الدمار). وفي أثناء هدنة مع فرديناند، قاد سليمان جيشاً آخر ضد (الرؤوس الحمراء الوضيعة) (وهو الاسم الذي أطلقه الأتراك على الفرس)، وانتزع إحدى وثلاثين مدينة، ثم استأنف هجماته على العالم المسيحي، وفيما بين عامي ١٥١٥م، ١٥٤٥م، عاود شارل المفاوضة مع فارس للوقوف في وجه سليمان وابتهج الغرب حين تولت فارس الهجوم وانتزعت أرضروم ولكن سليمان عاد في ١٥٥٤م واكتسح مساحات كبيرة من فارس، وأرغم طهماسب على عقد صلح بقيت بمقتضاه وبغداد والقسم الأدنى من أرض الجزيرة تحت حكم الأتراك"[١١٩]

ثامناً: معركة التل الكبير سنة١٢٩٩ هـ/ ١٨٨٢م بين الجيش المصري والإنجليزي:

هذه المعركة أنموذج للفوضى والفشل والخيانة بحيث إذا أردنا أن ندرس للشبيبة

---

١١٨ الشوكاني: البدر الطالع/تحقيق د. حسين بن عبد الله العمري/دار الفكر بدمشق/ص١٩٠

١١٩ ول ديورانت: قصة الحضارة/ج٢٦ ص٩٤، ص٩٥.

اليوم أنموذجاً للمعارك الفاشلة وخيبة الأمل التي حلت بالشعب المصري في تلك الحقبة من جراء انتصار الإنجليز بالخيانة واحتلالهم مصر بكل سهولة؛ فلن نجد أسوأ من معركة التل الكبير؛ كانت هذه المعركة بين الجيش المصري بقيادة أحمد عرابي الزعيم المصري الشهير؛ والقوات البريطانية.. فمن هو قائد هذا الجيش؟

ترجمة مبسطة لقائد الجيش المصري أحمد عرابي:

ولد أحمد عرابي في ٢١ مارس ١٨٤١م في قرية (رزنة) من محافظة الشرقية بالقرب من الزقازيق، وكان أبوه شيخ البلد، وقد تعلم في قريته خمس سنوات، ثم دخل الأزهر فمكث به أربع سنوات، ثم انتظم في الجيش المصري في سنة ١٨٥٤م. وترقى في الجيش إلى أن صار وزيراً وقائداً للثورة المنسوبة إليه وبعد الهزيمة حكم عليه ونفي ومات ١٩١١م"[١٢٠]

ويروي أحمد عرابي عن نفسه قائلاً:

"إنني فلاح مصري، وقد اجتهدت قدر طاقتي أن أحقق الإصلاح لوطني الذي أنا من أبنائه ومحبيه. لقد كنت أجتهد في حفظ استقلال بلادي مع نيل الحرية والعدل والمساواة للمساكين الذين أنا خادم لهم. فلسوء البخت لم يتيسر لي الغرض المقصود. وإنني مكتف بشرفي الشخصي الذي سوف يلازمني ما حييت ويبقى بعدي إذا مت. وسوف يرضيني دائماً أن أنادى بـ (أحمد عرابي المصري) فقط، وبغير ألقاب. لقد ولدت في بلاد الفراعنة وستظل أهراماتهم قبري. إن الأمة المصرية بأسرها كانت معي، وصحبة لي، كما أني محب لها أبداً، فآمل أنها لا تنساني"[١٢١]

أقول: لم تقم حركة الضباط التي قادها عرابي ضد الإنجليز من منطلق إسلامي ولا علاقة للدين بها فهي حركة تحتاج إلى تقويمها تاريخياً بعيداً عن أي مؤثرات ومن ثم الحكم عليها من المنظور الإسلامي في دراسة مستقلة.

---

١٢٠ راجع: كتابنا: دور رفاعة الطهطاوي في تخريب الهوية الإسلامية/مركز المقريزي/لندن ص١٦٢،ص١٦٣

١٢١ راجع: كتابنا: دور رفاعة الطهطاوي في تخريب الهوية الإسلامية/ ص١٦٢،ص١٦٣

أما عن سبب هزيمة الجيش المصري بقيادة عرابي فقد كتب عنها صاحب كتاب البطولات العربية والأجنبية: "ثم كانت معركة التل الكبير في الثالث عشر من سبتمبر ١٨٨٢م، وليس في تاريخنا الحربي والسياسي كله يوم تنكبنا فيه الحظ وباعدنا الرشاد كما حدث في ذلك اليوم الأسود وإن الإنسان ليقرأ التفاصيل فيعجب كيف وقعنا في هذه الأخطاء كلها، وكيف مشينا بأقدامنا إلى الهاوية بعيون أضلها الشيطان، وكان في ميسورنا أن نتلافى الأخطاء كلها واحداً بعد واحد وأن ننجو من الهاوية بشيء من الحكمة وبعد النظر!"[١٢٢]

ونلخص أسباب هزيمة الجيش المصري أمام الإنجليز في النقاط التالية:

(أ) تفرق الجيش المصري فقد كان أحمد عرابي ومعه وحدات من الجيش في التل الكبير، بينما أقام عبد العال حلمي ووحدات أخرى من الجيش في مدينة دمياط، ولم يحضر معركة التل الكبير إلا فرقتان بقيادة الأميرال محمد عبيد. بينما ظل الضابط طلبة عصمت حامي الإسكندرية وكان مشهوراً بالبسالة والجلد في المعارك؛ في البحرية بعيداً عن موقعة تل الكبير الحاسمة التي كانت في حاجة إلى مجهوده.

(ب) بساطة أحمد عرابي وسذاجته لدرجة وثوقه بالفرنسي ديليسبس الذي خدعه ووعده بشرفه!! بإقفال قناة السويس في وجه الإنجليز، وكانت الكارثة أن ترك ديليسبس قناة السويس مفتوحة خلف ظهر الجيش المصري. وصدق الله تعالى في محكم التنزيل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ) (آل عمران:١١٨).

(ج) وجود عدد كبير من الخونة في جيش عرابي وقد ذكر د. حسين مؤنس: "ولكن الخونة أحاطوا بعرابي وغدروا به: ما أصدر أمراً إلا نقلوه إلى الأعداء، وما

---

١٢٢ د. حسين مؤنس: صور من البطولات العربية والأجنبية/دار الرشاد/القاهرة/١٤١٣هـ/ص٣٤١

قدر تقديراً إلا انتقل خبره إلى الخصوم، وأقبل إليه سلطان باشا رئيس مجلس النواب وصديقه القديم يخدعه ويؤكد له إن الإنجليز لن يتقدموا، وغاب عن عرابي أن سلطان باشا انقلب على وطنه بليل وأنه يتقاضى ثمن الخيانة عشرة آلاف من الجنيهات، لم يفطن عرابي إلى ذلك وظل يلقى إليه بإذنه ويفتح له قلبه."[١٢٣]

(د) خيانة البدو وغدرهم بجيش عرابي: فقد كان شيخ قبائل البدو المسمى (مسعود) يضلل الجنود المصريين لدرجة أنهم ضللوا محمود سامي البارودي الذي انضم برجاله لنجدة عرابي فلم يدركوا المعركة!! وفي نفس الوقت كان هؤلاء البدو يرشدون الجنود الإنجليز إلى مواقع الجيش المصري!!

(هـ) كان هناك مجرم خائن اسمه (علي يوسف) يكتب التقارير ويرصد الأنباء وينقلها إلى الإنجليز لدرجة أنه استطاع أن يطلع على خطة الجيش المصري مكتوبة ويرسلها إلى الإنجليز ومن ثم كانت الهزيمة النكراء.

هكذا كان للعدو القريب الدور الأكبر إن لم يكن الوحيد في هزيمة الجيش المصري عام ١٢٩٩ هـ/ ١٨٨٢م . وهكذا انتصر الجيش البريطاني بخيانة أقرب المقربين لقائد الجيش المصري أحمد عرابي!!

تاسعاً: زوال دولة طالبان على يد قوات الاحتلال الأنجلو-أمريكي عام ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م:

لقد شاهدنا بأم أعيننا كيف سقطت دولة الأمن والأمان؛ إمارة أفغانستان الإسلامية على أيدي قوات تحالف الشر الأنجلو-أمريكي (تحالف أكثر من ثمانين دولة) غزت بقضها وقضيضها إمارة أفغانستان الإسلامية التي تعتبر من أفقر دول العالم!! ورغم كل هذه القوى الجبارة فلم يستطيعوا أن يجتاحوا أفغانستان إلا عبر العدو القريب!!

---

١٢٣ د. حسين مؤنس: صور من البطولات العربية والأجنبية / ص٣٤٢، ص٣٤٣.

والعدو القريب الذي تسبب في هزيمة طالبان مع عدم إهمالنا لقوة العدو البعيد.. كان على النحو التالي:

(أ) تحالف الشمال (رباني/سياف/دوستم/شيعة هزارة/أنصار الملكية/المتغربين).

(ب) باكستان (ضرب الإمارة الإسلامية في ظهرها/تقديم معلومات استخباراتية للأمريكان/تسهيل الأجواء والأراضي الباكستانية للأمريكان/القبض على مئات المجاهدين غير الأفغان وتسليمهم إلى الأمريكان/القبض على مئات الأفغان الطالبان وتسليمهم إلى المخابرات الأمريكية بالإضافة إلى طردهم وعوائلهم/الزج بآلاف الباكستانيين المتعاطفين مع الطالبان في سجون نظام برويز الخائن/حراسة الحدود لصالح الأمريكان).

(ج) إيران (فتح الأجواء الإيرانية لطائرات الشيطان الأكبر!! لضرب شعب أفغانستان المسلم الفقير (لأن غالبيتهم سنة)/ تدريب الحرس الثوري لحزب الوحدة الشيعي ودخوله مع القوات الأمريكية الغازية وإرشاده لمواقع المجاهدين في ولاية هيرات وبعض ولايات الشمال).

(د) تحالف الدول المجاورة؛ (روسيا، الصين، أوزبكستان، تركمنستان، طاجكستان) بالإضافة إلى إيران وباكستان لأفغانستان مع الغزو الأمريكي.

(هـ) خيانة المدعو (خسكار) الذي انضم إلى طالبان ولم يكن منهم في وقت متأخر قبل احتلال أفغانستان وللأسف الشديد فقد تم تعيينه مديراً لأمن كابل! وهو الذي تآمر وخدع قيادته وسلم العاصمة لتحالف الشمال بحفنة دولارات وقد تم تصفيته مؤخراً على أيدي مجاهدي طالبان!

عاشراً: احتلال عاصمة الرشيد عام ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م:

لقد احتلت العراق أيضاً والأمة فاغرة أفواهها مشدوهة عاكفة أمام وسائل الإعلام وهي تتجرع كأس الهزيمة وليس لها من الأمر شئ!

أما عن العدو القريب الذي شارك في احتلال العراق فهم على سبيل المثال:

(أ) بطانة النظام العراقي الخائنة التي كانت تتعامل مع الأمريكان من وراء رئيس الدولة وأجهزة استخباراته سواء كانت هذه البطانة من أقارب وحواري النظام كالشخص الذي باع رئيس العراق السابق صدام حسين للأمريكان!! وكذلك الشخص الذي أرشد عن ابني صدام حسين وحفيده إلى مكان مخبئهم!! أو كانت هذه البطانة من أجهزة النظام الحساسة مثل مدير المخابرات العراقية السابق (وفيق السامرائي) الذي تآمر وقدم معلومات هامة للأمريكان وكافأته قوات الاحتلال فصار مستشاراً لرئيس العراق المعين من قبل الاحتلال جلال الطالباني!! خيانة قطاعات من الجيش العراقي الموالين للزعامات الكردية، والموالين للمراجع الشيعية الذين كانوا يدبرون بليل مع الحكومة الإيرانية وبإشراف المخابرات الأمريكية!!

(ب) الكويت العدو القريب اللدود الذي فتح سماءه وأرضه وخزائنه للقوات الغازية.

(ج) إيران التي أخذت بمبدأ (عدو عدوي صديقي)! تحالفت مع الشيطان الأكبر (الأمريكان)! انتقاماً من أهل السنة في العراق وليس انتقاماً من حزب البعث كما يزعمون! إذ أن كثيراً قيادات حزب البعث من الشيعة!! وقد استبانت خبيئة وخبث نظام ولاية الفقيه المتاجر بالدين وأزلامه في العراق!

لقد اعترف محمد علي أبطحي نائب الرئيس الإيراني السابق بتصريح أدلى به في دولة الإمارات في ختام أعمال مؤتمر الخليج وتحديات المستقبل الذي ينظمه مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية سنويًا بإمارة أبي ظبي بتاريخ ٢٢ ذو القعدة ١٤٢٤ هـ/ ٢٠٠٤/١/١٤م حيث قال فيه: إن بلاده 'قدمت الكثير من العون للأمريكيين في حربيهم ضد أفغانستان والعراق" و 'لولا التعاون الإيراني لما سقطت كابول وبغداد بهذه السهولة'!!

وعن التعاون الإيراني الأمريكي قال صبحي الطفيلي الأمين العام الأسبق لحزب الله الشيعي اللبناني لجريدة الشرق الأوسط "حتى لا نخدع أنفسنا، أقول لا شك في

أن هناك حواراً أميركياً إيرانياً بدأ قبل غزو العراق. وان وفداً من المجلس الأعلى للثورة الإسلامية المؤيد لإيران زار واشنطن لهذه الغاية. والتيارات الإيرانية في العراق هي جزء من التركيبة التي تضعها الولايات المتحدة في العراق. حتى إن أحد كبار خطباء الجمعة في العاصمة الإيرانية قال في خطبة صلاة الجمعة انه لولا إيران لغرقت أميركا في وحل أفغانستان. فالإيرانيون سهلوا للأميركيين دخول أفغانستان ويسهلون بقاءهم الآن. أما القول عن اعتقال سفير سابق هنا أو حديث عن سلاح نووي هناك فهو يدخل من باب السعي الأميركي لتحسين شروط التعاون الإيراني. التشيع يستخدم الآن في إيران لدعم المشروع الأميركي في أفغانستان"(الشرق الأوسط بتاريخ ٢٥/٩/٢٠٠٦م).

(د) السعودية؛ سدنة البيت!! الذين هم أكثر خشية لبوش من رب العالمين!! لقد فتح آل سعود أرض النور ومهبط الوحي للقوات الصليبية الأنجلو أمريكية لتدنس هذه البقعة المباركة ولتنطلق الطائرات العملاقة لتصب أطناناً من المتفجرات والحمم على رؤوس مساكين أهل السنة في أفغانستان والعراق مع مباركة مشيخة آل سعود لهذا العدوان الصليبي الذي ينطلق من أراضيهم على أهل الإسلام!!

(هـ) قطر؛ دولة خليجية مجهرية تقتدي بأختها الكبرى في الخيانة والعمالة (السعودية)! فكانت قاعدة السيلية التي تدار منها العمليات العسكرية العدوانية على أهل الإسلام في أفغانستان والعراق أو أي دولة تقول (لا) للأمريكان في المستقبل!!

(و) تركيا عضو حلف الناتو الصليبي وسماحها للطائرات الأمريكية بضرب قواعد المجاهدين الأكراد قبيل غزو العراق وبعده مع تقديم كافة الخدمات للقوات الغازية.

(ز) الأردن عصارة الخيانة وسلالة العمالة حكومة أنشأها الإنجليز لحماية الكيان الغاصب لفلسطين وللتجسس على الأنظمة المجاورة!!

(ح) سوريا (النظام النصيري) الموالي لإخوانه (الإمامية) حكام قم! النظام الذي تخرج والنظام العراق في مدرسة حزب البعث العفلقي!! الأخوة الأعداء! المتآمرون على

إخوانهم في البعث! هم الذين طردوا رفقاءهم من الأراضي السورية، وسلموا معظمهم للأمريكان بغية نيل رضاهم!

(ط) مصر؛ وما أدراك ما مصر! أعني النظام المصري؛ ذلكم النظام الذي لا يرد للأعداء يد لامس! نظام شؤم على شعبه وعلى الأمة بأسرها! لم يكتف هذا النظام بتقديم معلومات كاذبة للأمريكان حول قدرة العراق العسكرية (أسلحة الدمار الشامل)! بل تمادى في غيه وضلاله وفتح قناة السويس للسفن الأمريكية تحمل الجنود والمؤن والعتاد لضرب العراق مرتين! وشارك بالفعل في حرب الخليج الثانية عام١٤١١ هـ/ ١٩٩١! وشارك في إسقاط بغداد عام ١٤٢٣ هـ/ ٢٠٠٣م!

حادي عشر: احتلال الصومال عام ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م:

لقد اختطفت الصومال أمام مرأى ومسمع العالم أجمع! حيث ضاع الأمن والاستقرار والعدل الذي جاء مع الفتية المؤمنة؛ (المحاكم الإسلامية) لقد ضاع الحلم والأمل بفعلة العدو القريب المتحالف مع العدو البعيد والأبعد!

وأحسب أن لسان حال المحاكم الإسلامية يردد قول الشاعر:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ** ليوم كريهة وسداد ثغر

ونستطيع أن نشير إلى العدو القريب الذي تسبب في سقوط مقديشيو مع عدم إغفالنا العوامل الأخرى على النحو التالي:

(أ) تحالف أبي رغال (الحكومة الانتقالية) بقيادة عبد الله يوسف؛ ذلكم المرتد وعصابته الذين أحلوا قومهم دار البوار حيث استخدمتهم حكومة أبرهة المعاصر (ملس زيناوي) الصليبية لاجتياح بلاد المسلمين (الصومال)! وقد وصل بأعضاء هذه الحكومة من الخسة والخساسة أن يصرح حسين عيديد؛ وزير داخلية الحكومة العميلة المؤقتة بفتح الحدود مع أثيوبيا وتوحيد العملة! حسين عيدي ذلكم الابن الضال الذي تآمر

على أبيه فارح عيدي وأرسل من يقتله لصالح الأمريكان ثم لما جاءه البشير (القاتل) قتله مباشرة ليخفي جريمته وليدفن سره!! هذا العيديد المتجنس أمريكياً صرح بمباركته انتهاك الطائرات الأمريكية لسماء الصومال لتقتل وتفتك بالقرويين الأبرياء!! وطلبه من الأمريكان أن يرسلوا قوات لتتبع أنصار المحاكم الإسلامية!!

(ب) قطاع الطرق أو من يطلق عليهم زعماء الحرب! هؤلاء مجموعة من اللصوص والقتلة الذين كان يسعون في الصومال فساداً بأمر المخابرات الأمريكية التي كانت مرتاحة لتقطيع أوصال الصومال وتمزيقه بين هذه العصابات الخائنة؛ فرغم أن المحاكم الإسلامية كانت قد كنستهم وطهرت البلاد من دنسهم ومن أفعالهم المشينة! إلا أنهم عادوا مرة أخرى في حماية الأمريكان والقوات الصليبية الأثيوبية!!

(ج) أثيوبيا (فاتيكان أفريقيا) لقد وصل الهوان بهذه الأمة أن تحتل أثيوبيا بلداً إسلامياً بهذه السهولة! مع العلم أن أثيوبيا بها أكثر من ٥٥ ٪ بالمائة من المسلمين ومعظمهم من عرقية (الأرومو) من تعداد الشعب الذي يصل إلى ٧٤ مليوناً وأن نسبة النصارى الأرثوذكس حوالى ٣٥ ٪ والبقية وثنيون!! يعني بالفصيح أن المسلمين هم الأغلبية ورغم ذلك فإنهم لا قيمة لهم لأن الغرب يريدها دولة صليبية تنشر النصرانية في ربوع وأدغال إفريقيا!!

(د) كينيا التي صارت مرتعاً للاستخبارات الأمريكية، هذه الدولة التي صارت وكراً تحاك فيه المؤامرات يعمل نظامها الصليبي على قدم وساق مع القوات الإثيوبية الصليبية بغية تفتيت الصومال وشرذمته لصالحهم ولصالح قوى الشر العالمي!

(هـ) الأنظمة العربية المتخاذلة المهزومة دائماً: فهذه أسماء الدول المهتمة بالشأن الصومالي (مصر، والسودان، والسعودية، وقطر، واليمن، وتونس، وجيبوتي) أو ما يطلق عليه اللجنة السباعية التي شكلتها الجامعة العربية تلكم الجامعة التي تعد بمثابة شاهد زور على مصائب العرب المسلمين منذ تأسيسها بأمر الإنجليز عام ١٩٤٩م!!

فرئيس النظام المصري حسني مبارك يصرح كما ورد في جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ١٦ من ذي الحجة ١٤٢٧هـ/ ٥ يناير ٢٠٠٧م : (أوضح السفير سليمان عواد المتحدث الرسمي باسم الرئاسة المصرية في تصريحات للصحافيين: «أن الرئيس مبارك أبدى تفهمه لدواعي تدخل إثيوبيا في الصومال والذي جاء بناء على طلب من الحكومة الصومالية والرئيس الصومالي عبد الله يوسف).

لاحظ: حسني مبارك متفهم سبب احتلال أثيوبيا للصومال!! وكلمة متفهم في قاموس الخيانة السياسي أنه يبارك ويبرر الغزو الصليبي الأثيوبي التي تحركه أمريكا للصومال! وعلى نفس المنوال الانهزامي يصرح علي عبد الله صالح الذي فتح بلاد اليمن السعيد على مصراعيها للمخابرات الأمريكية بجميع فروعها للتجسس ولتنشر الفساد والرذيلة في صفوف المسلمين! يصرح علي عبد الله صالح كنظيره المصري نذير الشؤم: حسب ما جاء بجريدة القدس العربي بتاريخ ١٧٢٧ من ذي الحجة ١٤٢٧هـ/ ١٧يناير/٢٠٠٧م: (وبرر صالح التدخل الإثيوبي كونه جاء بناءً على طلب من الحكومة الانتقالية. وقال قد يكون الإثيوبيون خائفين علي أمنهم بسبب وجود عناصر إسلامية في إقليم أوجادين، فهم خائفون من المد الإسلامي أن يؤثر علي الإقليم).!! هكذا صار علي عبد الله صالح أكثر حبشية من الأحباش أنفسهم!!

## صفوة القول

بعد هذا التطواف نستطيع أن نؤكد على النقاط التالية:

الأول: العدو القريب الذي نعنيه كل من يقيم ببلاد المسلمين سواء كانوا مرتدين عن الإسلام (الحكام وأعوانهم/أحزاب لا دينية لأسماء إسلامية/أفراد) أو كانوا كفاراً أصليين مقيمين بعهد وأمان ولكنهم نقضوا ذلك العهد والأمان وكان وجودهم ضرراً على دولة الإسلام. أو كانوا متاخمين ومجاورين لدولة المسلمين الأقرب فالأقرب.

الثاني: تعتبر الطوائف المنتسبة إلى أهل القبلة من أخطر الطوائف فتكاً وتدميراً بدولة الإسلام! قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقد اتفق أهل العلم بالأحوال إن أعظم السيوف التي سلت على أهل القبلة ممن ينتسب إليها، وأعظم الفساد الذي جرى على المسلمين ممن ينتسب إلى أهل القبلة، إنما هو من الطوائف المنتسبة إليهم"[١٢٤]

الثالث: لم يغفل العلماء قديماً عن تنبيه الأمة لخطورة الطوائف التي تعيش في دولة الإسلام لكن حكام المسلمين خاصة في القرون المتأخرة غضوا الطرف عن هذه الطوائف التي كانت تتعامل على مر التاريخ مع أعداء الأمة!

لذلك لما ضعفت دولة الإسلام وتداعت عليه الأمم كانت هذه الطوائف الطابور الخامس الذي مهد وسهل وذلل كل العقبات أم الأعداء لاجتياح العالم الإسلامي! وكان ابن تيمية ت ٧٢٨ هـ ممن تكلم بكل وضوح عن هذه الطوائف وخطرها على الأمة في كتبه ورسائله.

ومن المتأخرين العلامة محمد أمين الشهير بابن عابدين ت ١٢٥٢هـ في حاشيته حيث تكلم عن بعض هذه الفرق "(مطلب: حكم الدروز والتيامنة والنصيرية والإسماعيلية) تنبيه: يعلم مما هنا حكم الدروز والتيامنة، فإنهم في البلاد الشامية يظهرون الإسلام والصوم والصلاة مع أنهم يعتقدون تناسخ الأرواح، وحل الخمر والزنا، وأن الألوهية تظهر

١٢٤ ابن تيمية: مجموعة الفتاوى/ج٢٨ ص٤٧٩.

في شخص بعد شخص، ويقولون المسمى به غير المعنى المراد، ويتكلمون في جناب نبينا صلى الله عليه وسلم كلمات فظيعة. وللعلامة المحقق عبد الرحمن العمادي فيهم فتوى مطولة، وذكر فيها أنهم يتنحلون عقائد النصيرية والإسماعيلية الذين يلقبون بالقرامطة، والباطنية الذين ذكرهم صاحب المواقف. ونقل عن علماء المذاهب الأربعة أنه لا يحل إقرارهم في ديار الإسلام بجزية ولا غيرها، ولا تحل مناكحتهم ولا ذبائحهم"[١٢٥]

الرابع: العدو القريب مرض خبيث يسري في جسد أمتنا فتكاً وتدميراً فهو أس الداء وأصل كل بلاء والقضاء عليه فريضة شرعية! فالأمراض الداخلية المزمنة في الجسد تفقده المقاومة حيث يخور الجسد وينهار لنزلة برد أو لشكة دبوس!

الخامس: لزام على علماء الأمة إحياء عقيدة الولاء والبراء، ونشر الوعي بين أبناء الأمة وتبصيرهم بعدوهم القريب والأقرب! مع التنبيه على خطورة العدو البعيد!! كما أنه لزام علينا تحرير المصطلحات الشرعية مما علق بها من دخن وتدليس! مثل (مؤمن/كافر/منافق/فاسق/زنديق/مرتد/ملحد/خائن/جاسوس)! كما يجب كشف زيغ المصطلحات التي يشيعها القاموس الإعلامي المعادي للإسلام (أصولي/متطرف/متعصب/إرهابي)= مجاهد/مؤمن/تقي/مستمسك بدينه! (مشروبات روحية) = خمر! (كيف) = مخدرات/هروين/حشيش! (انفتاح) = خلاعة ومجون! (حرية المرأة) = تعرية المرأة! (مثليون) = قوم لوط! .. (أخوة وطنية/لحمة وطنية/رابطة قومية) = أخوة إسلامية/لحمة إيمانية/رابطة دينية! وهكذا يجب تتبع مخلفات القاموس الإعلامي المهيمن على مجتمعاتنا وضبط المصطلحات وتحريرها مع ذم التمييع والحذر كل الحذر من فريق: بين بين!..

مركز المقريزي للدراسات التاريخية بلندن

١٧ محرم ١٤٢٧ هـ الموافق ٥ فبراير ٢٠٠٧م

---

١٢٥ ابن عابدين: رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار/تحقيق الشيخ عادل عبد الموجود والشيخ علي معوض/دار الكتب العلمية/ بيروت/١٤٢٤هـ/مج٦ ص٣٦٨، ص ٣٨٧.

# التاريخ الأسود
# لدويلات الطوائف قديما وحديثاً
# آل صباح في الكويت .. وآل عباد في الأندلس

د. هاني السباعي

قال الشاعر العربي:

بيضٌ صنائعنا سودٌ وقائعنا *** خضرٌ مرابعنا حمرٌ مواضينا

بالطبع لم يكن يدور في خلد الشاعر صفي الدين الحلي (ت ٧٥٢ هـ) أن علم بني الصباح بألوانه الحالية مستوحاة من بيت شعر في قصيدته الرائعة (سلي الرماح).. وهو ابن مدينة الحلة قرب الكوفة وكأن العراق تأبى إلا أن تذكر الكويت بحدودها القديمة. بل إن اسم الكويت تصغير لكلمة كوت ومعناها في لغة أهل العراق: المبنى على هيئة قلعة أو حصن أو دور الفلاحين تحاط بسور أو بغيره.. والطريف في الأمر أن الكويت تصغير لمدينة الكوت بالعراق!!.

ومن محاسن التاريخ أنه ذكر أن هذه الأراضي وغيرها كانت خاضعة لقبيلة كندة الشهيرة.. لم يكن هناك ذكر لآل صباح ولا حتى السلالة التي ينتسبون إليها.. بل إن هذه المحمية الكويتية ومعها أرض البحرين كانت جميعها تحت سيطرة القرامطة الذين قتلوا الحجيج وردموا بئر زمزم بجثثهم وسرقوا الحجر الأسود واستمر لديهم قرابة عشرين عاماً!! فهل آل الصباح ينتسبون إلى فرقة القرامطة الذين أثاروا الذعر في العالم الإسلامي أم إلى ماذا ينتسبون؟!!.

التاريخ الحديث يقول إن قبيلة بني خالد في القرن ١٥ كانت قد سيطرت على مساحات شاسعة تمتد من البصرة إلى قطر وحتى محمية الكويت.. ولم يظهر شأن لأسرة آل الصباح في الأراضي الحالية التي هي امتداد لأرض العراق إلا في ظل ضعف

الدولة العثمانية والهجمة الاستعمارية على العالم الإسلامي.. وحسب تاريخ آل الصباح الرسمي فإنه قد تعاقب على حكم الكويت ثلاثة عشر حاكماً أولهم الشيخ صباح الأول بن جابر (١٧٥٦-١٧٦٢).. ونلاحظ أن هناك علامات استفهام في كيفية وصول هذه الأسرة إلى إلى حكم هذه الأرض!! كما أن هناك تشابها غريباً حول طريقة استيلائهم على ما يسمى بأرض الكويت وبين شذاذ الآفاق الذين جاء بهم الإنجليز في أرض فلسطين حتى صارت لهم دولة رغم أنف أهل الضاد!

فهؤلاء وأولئك خرجوا من رحم الاستعمار البريطاني!! وأما شعار بني الصباح الذي اتخذوه لدولة الكويت فقد كان عبارة عن خوذة وفوقها الصقر مع العلمين المتقاطعين.. علماً بأن تأسيس الكويت الحديث كان في ١٩٦١ كدولة مستقلة. وقد بقي هذا الشعار حتى منتصف ١٩٦٣ وعندما قرر مجلس الوزراء استبداله بآخر يمثل صقراً باسطاً جناحيه محتضناً سفينة (بوم) فوق الأمواج البيضاء والزرقاء تخليداً لماضي الكويت البحري القديم على حد زعمهم.. لكن الملفت للانتباه أن الصقر يحتضن (سفينة بوم).. وطائر البوم عند العرب نذير شؤم وخراب!! إذن قد يكون لطائر البوم معنى آخر في لغة آل الصباح!

ونحن نتساءل عن مغزى (سفينة البوم) التي يحتضنها صقر آل الصباح: هل في ذلك اشارة لسفن الإنجليز قديماً وحاملات الطائرات الأمريكية حديثاً تلك السفن التي تحمل الشر والخراب دائماً للعراق وأرض الجزيرة؟!!

أما عن ثالثة الأثافي: فقد جاء في نص المادة الأولى من دستور آل الصباح (الكويت): "دولة الكويت عربية مستقلة ذات سيادة تامة، ولا يجوز النزول عن سيادتها أو التخلي عن أي جزء من أراضيها. وشعب الكويت جزء من الأمة العربية" الشاهد هنا (ولا يجوز النزول عن سيادتها أو التخلي عن أي جزء من أراضيها)!! فكيف تسنى لبني الصباح أن يخالفوا الدستور ويتنازلوا عن ثلثي أرض الكويت لقوات العدوان الأمريكي!! وهل صحيح أن معظم شعب الكويت حسب منظومة آل الصباح جزء من الأمة العربية!! أم أن آل الصباح ومن يؤيدونهم جزء من ولاية آلاسكا!!

أما عن دويلات الطوائف (٤٢٢هـ ٤٨٧هـ) وهذا العصر من أسود الحقب في صفحات تاريخ المسلمين في الأندلس حتى جاء العصر الحديث وضرب رقماً قياسياً لدويلات الطوائف ومحارق النفط في الخليج لتكون أرذل وأخس وأشأم حقبة مرة في تاريخ الإسلام حتى وقتنا الحاضر.. وقد امتد عصر ملوك الطوائف أكثر من نصف قرن وقسمت فيه الأندلس إلى عدد كبير من الدويلات الهزيلة وكانت كلها تدفع الجزية إلى طاغية قشتالة (ألفونسو السادس).. وقد كان الإسلام الجامع لكل هذه الأعراق والجنسيات تحت خليفة واحد.. وقد أدى بهم التشرذم إلى أن انقسموا إلى ثلاث قوى: عربية بربرية عامرية نسبة إلى أتباع الحاجب المنصور بن أبي عامر.. كما في أيامنا عرب بربر أكراد تركمان وزاد الأمريكان سلالة جديدة: الكويتية!! وكانت هذه الدويلات تدفع الجزية لملوك الأسبان دفعاً لشرهم وكانت تحارب بعضها بعضاً، وتستعين في كثير من الأحيان بجنود مرتزقة من الأسبان للتغلب على هذا الرئيس أو ذاك.. تماماً كما يفعل آل الصباح في الكويت عندما استعانوا بالإنجليز ضد العثمانيين وابن رشيد قديماً.. واستغاثتهم بقوات المارينز الأمريكية لضرب العراق وتهديد الأمة وتمزيقها من أجل بقاء آل الصباح ثم لتذهب أمة العرب والإسلام إلى الجحيم!!

لكن شهادة للتاريخ إن ملوك الطوائف في الأندلس كانوا يدفعون الجزية وهم كارهون وكانوا يحاولون التخلص من هذا العار.. لكن آل صباح لا يرون في الاستغاثة بالأمريكان عاراً ولا شناراً بل إنهم يسبحون بحمد بوش الأكبر والأصغر لدرجة أن نفراً من رعاياهم أطلقوا على أولادهم بوش وبول وبريماكوف وفيلد والمولود الجديد فرانكس!!... تيمناً برب البيت الأبيض الذي أوهمهم أنهم عماليق من سلالة عاد!!.

إن دويلات الطوائف كانت ثلاثاً وعشرين دويلة قريب من عدد الدول العربية اليوم مثل: دويلة العامريين وأميرهم المعتصم بن صمادح.. ودويلة بني هود في سرقسطة.. ودويلة بني ذي النون في طليطلة.. ودويلة بين زيري في غرناطة.. ودويلة بني الأفطس في بطليوس.. لكن أشهر وأكبر هذه الدويلات (دويلة بني عباد في إشبيلية) بل إنها أكثرهم أثراً في حياة الأندلس.. والعجيب أن هذه الدويلات اتخذت مظاهر الأبهة

والفخامة للدول الكبرى من التلقب بألقاب الخلافة ومن الحجابة ورئاسة الوزراء.. وكانوا يقلدون الخلفاء الأمويين والعباسيين رغم البون الشاسع بين العزيز والذليل!! وكما وصف لنا حالهم ابن رشيق القيرواني:

مما يزهدني في أرض أندلس *** ألقاب معتمد فيها ومعتضد

ألقاب مملكة في غير موضعها *** كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

وهذا حاصل اليوم في دويلة آل صباح أصغر مساحة في العالم. جاءت هيئة الأمم المتحدة نجدة لهؤلاء الأقزام المجهريين لتكون لهم سفارة ووزارة وعلم يرفع فوق أبينة الممثليات في بلدان العالم. إن إحدى هذه الدويلات ضاقت ذرعاً من لقب الإمارة فانسلخت من جلدها الضئيل أصلاً إلى ما يسمى (مملكة).. ولله في خلقه شؤون!! أما عن العلاقة بين هؤلاء الإخوة المتشاكسين فقد كانت في غاية السوء ولم يعد أحد منهم يثق بصاحبه لأنه يعلم أن الآخر يخدعه ويتجسس لصالح ألفونسو!! وكلما اجتمعوا للتوحد انفضوا إلى فرقة ذميمة في صالح عدوهم.. كما يحدث فيما يسمى بمؤتمرات القمة التي يتجسس فيها الكل على الكل لصالح أعداء الأمة. جامعة الدول العربية التي ما زادت العرب والمسلمين إلا فرقة وتشرذما بسبب فيتو دويلات الطوائف!! ونظراً لهذه الحالة المزرية لم يكن من المستغرب أن يغدر الولد بأبيه أو يتآمر ضده كما فعل إسماعيل بن المعتضد بن عباد لما تآمر على أبيه وحاول قتله وانتزاع الملك منه لكن الملك نجا من المؤامرة وقتل ابنه وأذاع بياناً وجهه إلى أهل الأندلس..

فما أشبه الليلة بالبارحة: فدويلات الطوائف في العصر الحديث تواصوا بهذه المؤامرات وصارت لازمة لحكمهم!! وهل نسيت المحمية الكويتية كيف وصل الشيخ مبارك الصباح (ت١٩١٥) الحاكم السابع من هذه الأسرة إلى الحكم؟! تلك الأسرة التي جيء بها لتحمي قوافل الإنجليز ووافقت الدولة العثمانية على اختيار الإنجليز لتأمين قوافل الحجاج أيضاً وليكون شيخ البدو الرحل تابعاً لوالي البصرة العثماني.. ثم انتزعها البريطانيون بمعاهدة الحماية في ٢٣ يناير ١٨٩٩م .. المهم أن الشيخ مبارك الصباح استولى ذات ليلة من شهر مايو ١٨٩٦ بعد أن قتل شقيقيه عندما كان الاثنان

نائمين!! والشيخ مبارك هذا هو الذي سمل عيني أحد أبناء بيت صقر الغانم وهو أحد الشجعان من آل زايد!!.

هذا هو التاريخ المشرف لآل صباح!! وهل يعلم رعايا آل صباح أن شيخهم المفدى مبارك الصباح كان غارقاً في العمالة لأسياده الإنجليز من رأسه لأخمص قدميه!! بل هذا الـ (مبارك الصباح) هو الذي قدم الملك عبد العزيز بن سعود مؤسس دول آل سعود في الجزيرة إلى الإنجليز عندما كان في ضيافته وتقربا الاثنان إلى الإنجليز ضد الدولة العثمانية وابن رشيد الذي كان عدواً للإنجليز.. طبعاً كان هدف الشيخ مبارك الصباح هو نشر الفوضى في المنطقة وتمزيق جزيرة العرب ومن ثم تقسيمها بإيعاز من أصدقائه الإنجليز!!

أما دويلات الطوائف قديماً فقد وجه ألفونسو السادس رسالة ملؤها الصلف والغرور والوعيد إلى المعتمد بن عباد.. ولكن كيف يجيب العاجز الذي يدفع الجزية على القوي المتعجرف؟ ووصلت مثل هذه الرسالة إلى معظم حكام دويلات الطوائف تهددهم وتتوعدهم.. فلم يكن أمام هؤلاء المتشرذمين من الأندلسيين خيار: إما أن يرعوا الخنازير في جبال قشتالة (البرتغال حاليا) أو أن يرعوا الجمال في صحارى افريقية حيث يوسف بن تاشفين أمير دولة المرابطين وصيته الطيب في اقامة العدل ونشر الإسلام..

وبعد جدل بين الفرقاء نظراً لخشيتهم من أن يستولى المرابطون على بلادهم إذا انتصروا جميعاً على ألفونسوا.. قال لهم المعتمد بن عباد قولته الشهيرة التي صارت مثلاً: ويحكم! والله لرعي الإبل في صحاري افريقية خير لكم من رعي الخنازير في جبال قشتالة.. فأثبت القوم رغم ما أصابهم من انحراف وفساد وقسوة أن الإسلام لم يزل باقياً في صدورهم وأنهم بحق يغارون على الإسلام فأرسلوا أمير إشبيلية المعتمد بن عباد إلى يوسف بن تاشفين الذي جهز جيشا عظيما لنجدتهم وخاض معركة حاسمة في تاريخ الإسلام والأندلس في وادي الزلاقة سنة ٤٧٩هـ واستطاع ابن تاشفين أن يجدد شباب الإسلام في الأندلس لأربعة قرون أخرى.

هذا ما امتاز به آل عباد في إشبيلية على آل الصباح في الكويت فبنو عباد رجعوا إلى دينهم الذي حركهم ضد عدوهم الحقيقي.. أما آل الصباح فقد تربوا على أعين الاستعمار ورضعوا ألبان الخزي والبلادة من أسيادهم الأنجلو-أمريكان.. فلا خير فيهم فهي سلالة وضع بذرتها الإنجليز قديما واقتطف ثمرتها الأمريكان حديثاً.. وإلا ماذا عسانا أن نفسر هذا الموقف قبيل العدوان على العراق: عندما ترفض تركيا العلمانية المعادية للعرب والإسلام دخول ٦٠ ألف جندي أمريكي لأراضيها وفي نفس الوقت نرى شماريخ آل الصباح يرحبون ويقولون هل من مزيد!! المشكلة في ذهنية آل صباح الذين يحكمون المحمية الكويتية: توهمهم أن طائر (الزرزور) وهو في حجم العصفور-نسرٌ عظيم وشاهينٌ كاسر!!.. وتصداقا لذلك نختم بما ذكره صفي الدين الحلي الذي استوحى آل الصباح ألوان علمهم من شعره إذ يقول في نفس القصيدة:

إن الزرازيرَ لما قامَ قائمُها *** توهمتْ أنها صارتْ شواهينا

مركز المقريزي للدراسات التاريخية

١٩ ربيع الأول ١٤٢٤هـ ٢٠ مايو ٢٠٠٣

# القوميـة وأثرها على وحدة الأمة الإسلامية

## للشيخ / د. هاني السباعي حفظه الله

مُؤسَّسَة التَّحَايَا

قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، نثني عليه الخير كله، نشكره ولا نكفره، ونخلع ونترك من يفجره. اللهم إياك نعبد ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك، إن عذابك الجد بالكفار ملحق. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وبعد؛

الإخوة المكرمون، قديمًا قال علماؤنا: "العيون مغارف العلم"، وكنا نتمنى أن تمتلئ عيوننا منكم ويكون اللقاء كفاحًا بيننا وبينكم مباشرة، ولكن الله -سبحانه وتعالى- لم يحرمنا من نعمة التواصل بيننا وبينكم عبر هذا الهاتف، والتواصل القلبي بفضل الله عامر إن شاء الله، وقد يرى القلب ما لا تراه العين أحيانًا.

ونحب أن نشير لحضراتكم أن هناك نَسَبًا موصولًا بيننا جميعًا؛ وهو نسب الإسلام، وهو أعز الأواصر والروابط التي تجمع بيننا، كما نعضد ذلك الرابط برابطة العربية، رابطة اللغة، وهي والحمد لله مشترك بيننا. وهناك رابط طارئ وآصرة عارضة وهي رابطة الغربة التي تجمعنا جميعًا، وقديمًا قال القائل:

أجارتنا إن المَزَار قريبُ ... وإني مقيم ما أقام عسيبُ

أجارتنا إنا غريبان هاهنا ... وكل غريب للغريب نسيبُ

إذًا فهي أواصر ونسب متواصل ومُعضَّد والحمد لله.

أما عن محاضرتنا اليوم فسندندن حول القومية وخاصة العربية أو ما يُسمى بالقومية العربية، ولن نخوض فيها من ناحية السرد التاريخي، بل كما قلت سندندن حولها، ونتكلم عن مخاطر هذه القومية على المستوى الفكري والمستوى المعلوماتي والمنهجي لدى هذه الأمة والذي دمَّر هوية هذه الأمة، ونتكلم عن مخاطر هذه القومية التي دمَّرت المستوى الاجتماعي والسياسي لدى هذه الأمة العظيمة.

وقبل أن نتكلم أعرض حديثي بتقدمة بسيطة حتى تستقيم الفكرة، أولًا هؤلاء القوميون يذكِّروننا بقول هذا الرجل الأعرابي الذي دخل على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، دعا بعد أن شرع في صلاته رافعًا يديه ويقول: "اللهم ارحمني ومحمدًا ولا ترحم أحدًا بعدنا أو غيرنا"، فقال له الرسول -صلى الله عليه وسلم-: (قد حَجَّرت واسعًا، أو قد ضيَّقت واسعًا)؛ فهؤلاء القوميون ضيقوا وحجروا واسعًا، أمة عظيمة تعدادها مليار وثلاثمائة مليون يختزلونها في مسألة قُطرية لا تتجاوز ثلاثمائة مليون.

هذه القومية هي لها جذور وهذه نعرات أثارها أعداء الإسلام قديمًا، يعني هذا ليس بجديد، سنتكلم معكم عن المؤسِّس الحقيقي أو متى نشأت هذه الفكرة المدمِّرة لمجموع المسلمين.

لكن هذه الفكرة أيضًا كان أعداء الإسلام يثيرونها حتى في مهد الدولة الإسلامية الوليدة الجديدة؛ هذا رأس النفاق يثير الناس ويثير المسلمين ويثير حفيظة المسلمين في غزوة ماء الـمُريسيع في بني المصطلق، ويقول الرجل: "يا للأوس، ويا للخزرج، ويا للأنصار، ويا للمهاجرين". وفي نفس الغزوة أيضًا يثير أعداءُ الإسلام هؤلاء المنافقون أو الطابور الخامس أو السادس، هؤلاء أثاروا فتنة عارمة كادت أن تقوِّض دعائم الدولة الإسلامية في مهدها في حادثة الإفك الشهيرة، عندما أثاروا هذه الحادثة وحدث جدل بين المسلمين أحيا فيهم هذا الشيطان ونفث فيهم، هذا يقول لسعد بن عبادة وسعد بن معاذ: والله إنك لمنافق ولو كان الرجل من الأوس ما قَتَلتَه، ثم يرد عليه الخزرجي، حتى قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: (أفبدعوى الجاهلية وأنا حيٌّ بين ظَهْرَانيكم؟)، حتى استحوا وانْقَشعت الفتنة.

إذًا هذه النَّعرات وإحياء هذه القوميات أو القَبَليّة كانت حتى في بداية الدولة الجديدة، ودائمًا أعداء الأمة متربّصون بها، وأعداء الأمة لا يملّون ولا ييأسون، فهذه الحادثة -حادثة قيام ونشأة القومية العربية- هي تذكّرنا أيضًا بقومية معكوسة حدثت في أول تاريخ الإسلام وكادت أن تقوّض دعائم الدولة الإسلامية، في بداية الخلافة العباسية وخاصة في أيام الخليفة المهدي وابنه الهادي، هؤلاء الموالي أو الفرس شكَّلوا ما يُسمى بالشُّعوبية والحنين، وتمجيد عرق الفرس وأنهم أفضل من العرب، وهنا أطلَّت الزَّندقة وأطلَّت هذه القومية على حساب العرب.

كانوا لا يستطيعون أن يسيئوا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مباشرة، ولكن الخليفة المهدي فطن إلى ذلك وعرف أن الطعن في جنس العرب والطعن في العرب هو طعن في رسول العرب وهو عربي -صلى الله عليه وسلم-، ولذلك تصدّى بحزم لهذه القومية الجديدة؛ لأن الإسلام جاء ليصهر هذه العصبيات وهذه القوميات في بوتقة واحدة تُسمى الإسلام، ولذلك لما قال الله تعالى: {إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} اللهُ يخاطب الإنسانية ويخاطب البشرية بأنّ هذه كلها مصهورة في بوتقة اسمها الإسلام، والدليل على ذلك أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- يبين أنه لا حصانة لعربي ولا لعجمي إلا بالتقوى، لا فضل لعربي على أعجمي ولا أحمر على أبيض ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى، هكذا كان المقياس ولذلك قال الرسول -صلى الله عليه وسلم-: (سلمان منا آل البيت)، وسلمان كان رجلًا فارسيًا.

حتى إن الإسلام أزال هذه العصبيات التي كان العربي القديم لا يقبلها، كان هؤلاء قديمًا يقول كما قال قائلهم: لا يسألون أخاهم حين يَندُبُهم ... في النائبات على ما قال برهانًا

كانوا يتقاتلون لمجرد أن الرجل كان من نفس القبيلة سواء كان هذا القاتل ظالمًا أو مظلومًا، وكانت القبيلة ذات الشرف كانت تطالب القبيلة الضعيفة بأن الرجل إذا قُتلت منهم امرأة يطلبون رجلًا في مقابلها، وكانوا يشتطّون لدرجة -كما تعلمون- الحروب التافهة التي استمرت أكثر من أربعين سنة مثل حرب البَسُوس وغيرها.

هذه الحروب وهذا الرَّمم التاريخي، وهذه الرِّمم أحيتها القومية الحديثة أو ما يسمى القوميُّون، أحيوها من جديد بحجة أن العرب كانوا ذوي حضارة وكانت لهم سيادة وكان لهم تاريخ قبل الإسلام، يقصدون ذلك قبل الإسلام. رغم أن الله -سبحانه وتعالى- يُكذِّب هذه الدعوة ويدحضها؛ انظر إلى قول الله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ}، الله حكم وقال: {وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} فأي حضارة يقصدون؟ وكان هؤلاء في أعين الفرس والروم وحتى الصين وغير ذلك من الحضارات القديمة كانوا ينظرون إليهم باحتقار، وكان أقصى ما وصل إليه العربي من ترف ومن زخرف كان ترفًا خشنًا ترفًا بسيطًا، هؤلاء الـمَنَاذِرة الذين كانوا عملاء أو كانوا عينًا للفرس، وهؤلاء الغَسَاسِنة الذين كانوا أيضًا عينًا يحمون قوافل الروم، هؤلاء كانوا يحمونهم من بني جلدتهم، وكان هذا أقصى أنهم في نعال الأمم، وكانوا عبارة عن خدم وعبيد لما يُسمى بهذه الإمبراطوريات الكبيرة في ذلك العصر.

ما هي الحضارة؟ اذكروا لنا مثالًا قبل الإسلام أنكم حررتم حصنًا أو دولة أو فتحتم مدينة عظيمة! هؤلاء القوميون يكذبون على أنفسهم ويكذبون بل ويلفِّقون ويزوّرون التاريخ.

تجد الخطر الذي ابتُليت به هذه الأمة من هؤلاء القوميين تجد هذا الخطر على المستوى التعليمي والمستوى الفكري، وقبل أن ندخل على هذا المستوى نحب أن نتكلم عن نشأة هذه القومية لكي تستقيم الفكرة أمامكم.

أولًا بالنسبة لهذه القومية أو ما يُسمى بظهور هذه القوميات؛ ظهرت هذه القوميات أو الشعار الجديد ظهر أصلًا في أوروبا، واختصارًا للوقت فإن هذا الشعار جاء باعتبار أن معظم الجالية في استراليا -ما شاء من اللبنانيين- فكان حامل مشعل هذا الشعار هم من مسيحيي لبنان، أو بالأحرى سوريا ولبنان في هذه الفترة، ولكن معظمهم كانوا يسكنون في لبنان في هذه الفترة التاريخية.

هؤلاء أيضًا جاءوا مع سماح السلطان العثماني الذي خرَّب الدولة العثمانية وهو السلطان محمود، الذي كان في فترة محمد علي باشا، هذا السلطان سمح بدخول

الإرساليات والسفارات الأجنبية والتبشيرية في العالم الإسلامي، وطبعًا المؤامرات كانت على قدم وساق في جسد هذه الدولة المريضة وكلٌّ يتآمر عليها وعلى تقويضها، فلما سمح لهم هذا السلطان بهذه الامتيازات أنشأوا إرساليات تبشيرية وخاصة في سنة ١٨٢٠ تحديدًا دخل البروتستانت الأمريكان وهم مجموعة من المبشِّرين، أنشأوا إرسالية أو مدارس تبشيرية لتعليم العهد القديم والعهد الجديد لتنصير المسلمين، كان الهدف منها تنصير المسلمين، ولأن معظم من هاجروا وسافروا من مسيحي لبنان لما سافروا إلى أمريكا كانوا غالبًا لا يعودون، فهؤلاء المبشِّرون القساوسة قالوا إننا لا نستفيد من هؤلاء إذا سافروا إلينا فلا بد أن ننشئ لهم كليات ومعاهد علمية، هذه الكليات والمعاهد العلمية تكون في أصل العالم الإسلامي وأصل العالم غير المسيحي لكي يساعدونا ويسهّلوا علينا المهمة؛ لأنهم يتكلمون بلغة القوم ولتكون المسألة حلية لهم وليوجِدوا جيلًا جديدًا يستطيع أن يقوم بمهمتهم في تنصير المسلمين.

وهكذا قامت فعلًا الإرساليات وقاموا أولًا هذه المدارس التبشيرية وخاصة في النشاط، نلاحظ أن الذي حمل عبئ هذا هم البروتستانت الأمريكان، نعم إنجلترا وفرنسا في سوريا لوحدها في هذه الفترة تقريبًا على ما وصلنا سنة ١٩١٢ تقريبًا كان حوالي أكثر من أربعين مدرسة تبشيرية موجودة في سوريا ولبنان، كل هؤلاء من جميع دول أوروبا ومن أمريكا، من أسكوتلندا ومن إنجلترا ومن فرنسا ومن هولاندا، كل دول العالم المسيحي كلها فتحت مدارس في هذه المنطقة، ورغم اختلافاتهم المذهبية وتنافسهم أيضًا إلا أنهم اتفقوا جميعًا على تنصير المسلم وعلى تدمير دين الإسلام من خلال إيجاد هذا الجيل الذي يتكلم اللغة العربية.

وهنا أنشأوا في هذه الفترة الكلية الإنجيلية في سوريا، والتي صارت فيما بعد تُسمى الجامعة الأمريكية، هذه الكلية كانت في بدايتها كانت في بدايتها إذا أراد مسلم أن يلتحق فيها لا بد أن يذهب إلى الكنيسة لأنه كان فرض على كل طالب أن يدرس في الكنيسة ويستمع إلى المحاضرة سواء العهد القديم أو العهد الجديد يستمع في الكنيسة، يذهب بنفسه إلى الكنيسة، ثم استمر هذا حتى حدث تمرد لما ازداد

عدد الطلبة واضطروا بعد ذلك إلى أن قالوا أن المسلم لا يذهب إلى الكنيسة ولكنه فرض عليه أن يُمتَحن في العهد القديم والعهد الجديد.

وهكذا صارت هذه المدارس هي مِعول هدم وتَفريخ لمجموعة من الذين تصدروا الحياة العلمية في العالم العربي والإسلامي، ونشروا هذه الأفكار التي تُسمى بالأفكار القومية؛ لأنهم لا يستطيعون مقاومة الإسلام بالمعنى العام، ولكنهم اخترعوا هذه الفكرة نظرًا لوجود الاختلافات وظهور ضعف الوازع الديني في العالم الإسلامي من الناحية الإسلامية، والدولة العثمانية صارت دولة مريضة ودولة هزيلة، والجهل كان يعُمّ العالم الإسلامي فاستغل هؤلاء هذا التعليم والاستعمار الموجود في المنطقة أن تولوا مناصب التدريس ومناصب التعليم ومناصب الصحافة والإعلام، وظلوا ينشرون هذه الأفكار بقولهم إن الإسلام هذا دين وافد غريب على المنطقة، هو جاء كأي ديانة أخرى جاءت في المنطقة، فالقومية أو العربية هذه هي وحدة لغة ووحدة أرض ووحدة تاريخ، أما الدين هذا فهذا الدين جاء مرة كان في ثوب الوثنية ومرة جاء في ثوب اليهودية ومرة جاء في ثوب المسيحية ثم جاء في ثوب الإسلام.

إذًا فالقومية قبل هؤلاء جميعًا هي التي تصهرهم جميعًا، كما أن القومية العربية كانت لها حضارة وأن العرب لهم حضارة، وأن الذي صنع الحضارة ليس المسلمون وحدهم بل هناك أيضًا المسيحيون شاركوا أيضًا في صنع هذه الحاضرة، وهنا دخل على الخط أيضًا الضعاف أو العقليات المهزومة من المسلمين الذين أيضًا شاركوا في هذا الشعار المدمر، فظهر لهم راهب القومية العربية الشهير "ساطع الحُصَري" الذي استطاع في كتابه (العروبة أولًا) أن يؤصِّل ويقعِّد وينظِّر ويدافع، بل إنه كان يفتي أحيانًا ويقول ويرد على فقهاء الإسلام هكذا بدون أثارة من علم، وصار معبود القوميين ثم جاء من بعده "مشيل عفلق" وصارت هناك أصنام لهذه القومية أو لهذا الدين الجديد.

هذه خلاصة القومية أنها جاءت مع هؤلاء المسيحين، واقرؤوا إن شئتم كلام الرجل المسيحي لبنان الأصل هو كان كاثوليكيًا الدكتور فيليب حتّي وأخوه حبيب حتّي كان راهبًا أيضًا، كل هؤلاء أصلهم قساوسة، كان كاثوليكيًا تحول من الكثلكة إلى أن

صار بروتستانتيًا بعد أن ذهب إلى أمريكا، ثم حمل مشعل هذه الدعوة التبشيرية وظل القساوسة، قساوسة الغرب وقساوسة الشرق يعملون على قدم وساق في جميع ربوع العالم الإسلامي، حتى إنهم أوجدوا مدرسة تبشيرية في إسطنبول نفسها وفي سوريا وفي القاهرة، وفي مدينة حلوان أيضًا أنشأوا مدرسة تبشيرية، وكل هذا الهدف منه تنصير المسلمين، ولما عجزوا اخترعوا هذه الشعارات التي كانت شائعة في أوروبا.

وأنتم تعلمون أن فكرة القومية في أوروبا أيضًا -لتبسيط المسألة- ظهرت مع وجود الدول القوية، هكذا الدولة القوية تأكل الدولة الضعيفة بحجة القومية أو تضمها إليها، إذًا لو كانت الدولة القوية قوية أيضًا لما استطاعت ولما تكلموا عما يُسمى القومية، هذه القوميات ظهرت نظرًا لوجود دول قوية كانت تبتلع الدول الضعيفة، ولذلك كان هناك بعض الدول تختفي من الخريطة أحيانًا في التاريخ القديم بسبب ما يُسمى بهذه القوميات، إذًا هذه القومية هي الهدف منها ضرب الإسلام العريض العالم الكبير هذا.

وانظر إذا شئت إلى هذه القومية أيضًا في صورتها الأخرى، هناك رجل أيضًا أضرَّ بالمشروع الإسلامي رغم أنهم كانوا يمجِّدونه في كتب الدراسة ويقولون عنه حامل مشعل الثورة الكبرى والثورة العربية هو الشريف الحسين بن علي، هذا الرجل كان طامعًا غادرًا غدر بالعثمانيين وشعر أن العثمانيين سيضعفون وأن الدولة ربما ستنهار فإنه تقرب إلى الإنجليز لأن الأتراك كانوا حلفاء مع الألمان والألمان أعداء للإنجليز، فتقرب الرجل إلى الإنجليز بحجة أن يعينوه حاكمًا أو خليفة في المستقبل لمنطقة الحجاز وسوريا والشام والعراق، كل هذه المنطقة يكون هو حاكمًا لها، وفي الآخر كما تعلمون فُضح المشروع باتفاقية سايكس بيكو وجاءه الصدر الأعظم في تركيا، والبلاشفة في سنة ١٩١٧ نشروا الوثيقة الخطيرة التي تخدع هذا الرجل، ورغم ذلك يأتي بالوثيقة بعد أن نشروا له الوثيقة، قال: يذهب إلى السفير البريطاني هل هذا صحيح ما جاء في هذه الوثيقة؟ أنتم خدعتمونا؟ أنتم قسَّمتم العالم الإسلامي بينكم وبين فرنسا وروسيا (روسيا القيصرية)؟ وإذا بالسفير يستخفّ به ويقول: "ليس على هذه الطريقة، نحن لنا تأويلات هم فهموها خطأ"، وهكذا العرب دائمًا لكي تتصوروا العقلية العربية حتى لما صاروا

يدعون إلى مجد عربي وضحك عليهم الإنجليز وأفهموهم أنهم أمجاد وأنهم صناع حضارة خُدعوا أيضًا وخدعوهم ودمروهم حتى لم يعطوهم ما كانوا يتمنون من قبل.

هذا الرجل أضرَّ أيضًا وسبب في هزيمة الأتراك وسبب في أن الدولة العثمانية عُجِّل بنهايتها، وهذا الرجل بالعكس هو الذي أطلق أول رصاصة ليجرِّئ القبائل؛ القبائل العربية في الحجاز ما كانت تجترأ على القيام بأي عمل ضد هؤلاء العثمانيين المسلمين، ولكنه أطلق هذه الرصاصة وقتل مسلمًا، فالأتراك كانوا مسلمين، وقتل الجنود الأتراك وأمر بقتلهم وهو يعلم أنهم مسلمون وكان في حلف مع الإنجليز.

وقديمًا قال الشاعر:

وأحيانًا على بكر أخينا ⁂ إذا لم نجد إلا أخانا

فأحيانًا هذا العربي القديم كان يُغير على أخيه وكان يقتل أخاه؛ لأن طريقتهم السلب والنهب وهكذا، ولكنهم كانوا أحيانًا لأنهم لا يريدون أن يكون ساكتًا هادئًا فإنه كان يغير على أخيه وكان يقتله، ولكن هذا كان يقوله العربي قديمًا قبل الإسلام: "وأحيانًا"، أما الآن فنقول: "ودائمًا" على بكر أخينا، تجد كل هذه العنجهية وهذه القوة وهذه الغطرسة، تجدها دائمًا على بني جلدتنا، هذه دولة تقاتل أخرى، وهؤلاء المسلمون يقاتلون المسلمين على حدود مصطنعة وعلى أشياء تافهة، وعلى نعرات كاذبة، كل هذا بسبب غياب الوازع الديني والرابطة الدينية السليمة.

لأنهم قالوا الإسلام من القومية العربية، هو دين تراث ورثناه، يعني كأنها تركة في المشروع الإسلامي فهو مشروع ضمن التركات التي يرثونها عن آبائهم إذًا فالإسلام هذا ميراث.

وبسبب هذه ضعف الوازع الديني لدى الشبيبة ولدى الناس، ما أهم شيء اعتمده هؤلاء القوميون؟

اعتمد هؤلاء القوميون المنهج التعليمي، ودخلوا واخترقوا المنهج التعليمي وخربوا في بنية الأمة بل إنهم اغتالوا عقول أجيال كثيرة بسبب هذا التخريب التعليمي، تجد أنهم على سبيل المثال دائمًا يعظّمون الجاهلية ويغضون الطرف عن الإسلام. مثلًا كانوا لما

يدرِّسوننا؛ انظر إلى كتب الأدب وكتب اللغة العربية تجد دائمًا يُقدِّمون ويبرزون شعراء الصعلكة، هؤلاء الشعراء الصعاليك العرب وكانوا يتكلمون عن تأبط شرًا ويتكلمون عن شعراء الناقة وعن شعراء الأطلال ويمجّدونهم لدرجة أنهم أفضل وأحسن وأنهم أصحاب خُلق، وعندما يتكلمون عن الأخلاق كانوا أحيانًا يتكلمون عن المروءة وغير ذلك وأنها أفضل مما جاء به شعراء الإسلام.

عندما يتكلمون عن حسان بن ثابت -رضي الله عنه- يتكلمون عنه قبل الإسلام وبعد الإسلام، قبل الإسلام كان شاعرًا فحلًا كبيرًا، ولكن بعد الإسلام ضعف شعره، لماذا؟ لأن الشعر لا يعرف الأخلاق ولا يعرف الصدق من الكذب، وهكذا الشعر بدون قيمة؛ فكانوا دائمًا يقدمون هؤلاء الشعراء ويقدمون شعراء الجاهلية على شعراء الإسلام.

حتى إنهم عندما كانوا يتكلمون عن شعراء الإسلام في صدر الإسلام وغيره ما هو البارز في الشعراء؟ يأتون بنقائب جرير والفرزدق، والنَّقيبة هي قصيدة يردّ بها الشاعر على خصمه في قصيدة أخرى من نفس المعاني ونفس الوزن ونفس الرَّوْي وغير ذلك، هذه مجموعة من الشعراء يشتمون ويهجون بعضهم فكانوا يقدِّمون هذا الشعر على شعر الفضائل، رغم أننا لو قارنا الشعر الإسلامي في صدره وفي الدولة الأموية والعباسية الأولى نجد أن هذا العشر وهذه اللغة وهذا الأدب تحوَّل من شاعر كان كل حياته أنه بارع في وصف القوس، وهذا بارع في وصف الخيل، وهذا بارع في وصف الأطلال، فأي قيمة هذه؟ لكن بعد ذلك غيره الإسلام فصار الآن هناك مشاريع وموضوعات وأهداف جديدة واسعة، الشاعر الآن لم يعد يمجِّد ذاته ولم يعد يهتم بنفسه ولا بقبيلته على حساب دينه، بل إن هناك من يتكلم عن وصف الحروب العظيمة وعن أهداف الإسلام العظيمة ويصفون المعارك ويتكلمون عن المصطلحات التي دخلت جديدة وعرفها العرب وصارت لها قداسة في الإسلام كمصطلح الجهاد وغير ذلك.

فهذه الأشياء ذات القيمة حوَّلوها لنا، صرنا لا نعرف إلا شعر أبي نواس وشعر بشار بن بُرد وشعراء المجون والخلاعة، هكذا خرَّبوا، وجعلونا عندما نتكلم عن الأدب العربي أو نتكلم عن الأدب -سموه أدبًا عربيًا طبعًا- وتكلموا على هذا الأدب دائمًا يقدمون أدب

الجاهلية، وإذا تكلموا عن الأدب الإسلامي دائمًا يأتون بالساقط ويأتون بهذه الخلاعة، واقرأوا إن شئتم كتبهم في تحقيقات كتب (الأغاني) وغيرها، وكتب هؤلاء الشعراء وبن أبي ربيعة، كل هذا المشروع التدميري هدفه هز صورة النمط أو الأنموذج الإسلامي العظيم في صورة الشبيبة، عندما أقرأ أنا وأنا شاب صغير أو فتى صغير، عندما يقرأ أن شاعر الجاهلية كانت عنده مروءة، يقول عنترة:

وأغضُّ طَرْفي إنْ بَدَت لي جارتي ** حتى يواري جارتي مأواها

إني امرؤ سمح الخليقة ماجد ** لا أُتبعُ النفس اللَّجوج هواها

ثم يتكلمون فنجد شعراء المجون وشعراء الخلاعة كحمَّاد عجرد وابن عبد القدوس، كل هؤلاء شعراء الزندقة وغيرهم يُقدَّمون، إذًا شعراء الجاهلية والجاهلية كانت أخلاقها كانت أفضل مما جاء به الإسلام. هذه هي الخلاصة الجاهلية أفضل من الإسلام، وأن العرب أسبق من الإسلام، والإسلاميون هؤلاء الذين جاءوا حتى كتبوا الشعر العربي فإنهم هؤلاء ما جاءوا إلا بالرذائل وأحيوا النعرات الجاهلية القديمة، هكذا يريد هؤلاء لا يبرزون الخير في أمتنا ولا يبرزون إلا الشر.

هؤلاء لو فطنوا إلى ما يقولون فإننا سنجد شيئًا عجيبًا، إنهم يهاجمون ابن خلدون في مقدمته لأنه تكلم عن حقيقة العرب، ابن خلدون حتى لا ينخدع أحد، لأن هناك بعض المسلمين ينخدعون في نقد ساطع الحصري على ابن خلدون في نقده للمقدمة، وكثير من العلماء العروبيين ينقدون هجوم ابن خلدون ويصفونه بالهجوم على العرب، وابن خلدون يتكلم عن طبيعة العربي البدوي القديم، كانوا بحق هكذا همجًا رعاعًا، وكانوا لا يُغيرون على دولة قوية، وكانوا هكذا يعيشون على السلب والنهب، هكذا {وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا} فالله -سبحانه وتعالى- بيَّن أن هؤلاء كانوا هكذا وهذا حالهم، فابن خلدون يصف حالة العالم العربي وطريقة العربي البدائي في حربه ومأكله ومشربه فإذا بهم يهاجمون ابن خلدون، وفي نفس الوقت يعظِّمون ابن خلدون ويقولون أن الحضارة العربية أنجبت ابن خلدون، وابن خلدون رجل بحَّاثة عربي، أنتم تقولون إن ابن خلدون أصله بربري، فما الذي قدم ابن خلدون في التاريخ؟

الذي قدم ابن خلدون في التاريخ هو الإسلام، وابن خلدون لولا الإسلام لما تقدَّم ولا عرف الناس به ولا بغيره، ابن خلدون لما ذهب إلى مصر ذهب كعالم مسلم رجل صاحب وزارة –أو غير ذلك- وعُيِّن في القضاء فقد كان قاضيًا في أيام ابن حجر العسقلاني، فهذا الرجل ابن خلدون قُدم في القضاء، فلو كان الأمر أنه بربري أو بمثل هذه النظرات والنعرات ما تقدَّم مثل هذا.

هل يتخيل أحد أن رجلًا كان عبدًا حبشيًا وكان يقول عنه إبراهيم الحربي: "كان أنفه كأنه باقلاء"؛ أي كأنه حبة فول، يقول ذلك في عطاء بن أبي رباح، هذا العالم الزاهد الكبير، وكان هذا يجلس في الحلقة بعد ابن عباس، يعني تخيل أن هذا الرجل كان في المدينة يفتي وفي حلقة كبيرة وكانت له الصدارة رغم أنه عبد حبشي، يأتيه سليمان بن عبد الملك ليستمع إليه ويجلس عنده، حتى إنه يدير له ظهره ولا يسأل فيه لأنه مشغول في أشياء أخرى، هذا عبد حبشي مولى، تحوَّل إلى سيد في تاريخ الإسلام بسبب ماذا؟ لو أنه كان حبشي أو أن المسألة كانت مسألة قوميات ونعرات لما تقدَّم هذا وما اجترأ مثل هذا على خليفة قرشي عربي يحكم المسلمين ويحكم العالم الإسلامي ويحكم عالـمًا كبيرًا، هو ويزيد بن أبي حبيب، كل هؤلاء كانوا مواليًا ولكنهم كانوا سادة، وابن سيرين كان هكذا، كل هؤلاء كانوا موالي والحسن البصري أيضًا، والعلماء الذين نفتخر بهم جميعًا.

ويقولون هذه الحضارة العربية أنجبت الخوارزمي، أي حضارة عربية التي أنجبت الخوارزمي؟! إذا كان الخوارزمي أصله ليس عربيًا، بل من خوارزم، كيف تقولون إن الحضارة العربية هي التي أنجبته؟! لو قلتم إنها الحضارة الإسلامية لصدَّقناكم لأن الإسلام هو الذي أنجب هؤلاء، هذا صاحب علم الجبر الشهير العالمي لكن هم يقدِّمونه ويزيِّفون التاريخ على أنه عالم عربي، هو ليس هكذا هو رجل مسلم، الحضارة الإسلامية رفعته ولولا الإسلام ما ارتفع.

هكذا، وعلماء كثيرين حتى البخاري وغيره ومسلم وهؤلاء الأئمة العظام الذين حملوا وحافظوا على الإسلام هؤلاء ليسوا عربًا أصلًا، تجد هؤلاء أيضًا يزيِّفون التاريخ، حتى

التاريخ الظاهر للعيان أمام الناس، هكذا تجد هؤلاء القوميِّين بعد أن انهزموا هزيمتهم الساحقة تاريخيًا يقولون إن صلاح الدين العربي، صلاح الدين صاحب الحروب العربية ضد الحضارة الصليبية حتى في كتبهم يقولون هكذا، أي حضارة عربية! ما كان صلاح الدين عربيًا، صلاح الدين يعلم الجميع أنه كردي وأبوه أصلًا وُلد في قرية في أذربيجان، فأي عربية هذه؟!

وقوّاد صلاح الدين وأسد الدين شيركوه هذا القائد العظيم الذي فتح الفتوحات مع سيّده نور الدين زنكي هؤلاء ما كانوا عربًا، بل إن منهم من لم يُحسن العربية أصلًا، كانوا يتكلمون بلكنة أشبه باللكنات الأعجمية، وكانوا يجتهدون لتعلُّم العربية، ورغم ذلك هم الذين حافظوا على لحُمة الأمة ووحدة الأمة. من الذي تصدى لهذا المجموع الصليبي أو هذه الهجمة البربرية الصليبية على العالم الإسلامي؟ هاتوا لنا قائدًا عربيًا قام بهذا المجموع، الذي قام هو صلاح الدين الأيوبي.

هذه الأسماء التي كانت عالية وقواد صلاح الدين معظمهم، هذه الأسماء معظمها والذين حققوا نصرًا مؤزرًا على الصليبيين في موقعة حطين، هؤلاء كان معظمهم من الأكراد ومعظمهم من أفغانستان، ومعظمهم من الأتراك كانوا هكذا خليط من الأجناس هناك، وبلاد ما وراء النهر، هؤلاء لو كانوا عربًا، هل صلاح الدين كان عربيًا وجاء بهذا المشروع العربي؟! لولا الدين الإسلامي الذي كان يحمله صلاح الدين ما استطاع صلاح الدين أن يحرز نصرًا.

نور الدين وآل زنكي، عماد الدين ووالده آق سنقر، هؤلاء أصلًا هذه الأسرة التي يُعتبر صلاح الدين الأيوبي ثمرة من ثمرات هذه الأسرة المباركة، أسرة آق سنقر وهي أسرة عماد الدين زنكي، هذا الرجل عماد الدين زنكي وابنه نور الدين زنكي هؤلاء الذين جاءوا بمشروع لتحرير العالم الإسلامي بعد هذه الدويلات، الدولة التي خرَّبت الإسلام الدولة العبيدية التي استمرت قرنين من الزمان لا تقاتل إلا أهل الإسلام.

والصليبيون لم يدخلوا أصلًا بلاد الإسلام إلا في عهد وزارة بدر الدين الجمالي العُبيدي، وفي أيام المستعلي، هؤلاء جميعًا تحالفوا مع الصليبيين لوقف المد السُّني

السُّلجوقي، هذا هو التاريخ، لا بد أن يعلم الناس أن هناك تحالفًا عُبيديًا كان في هذه الفترة بين الصليبيين على أن يعطوهم بعض السواحل وبعض الأماكن إلى حدود عكا، أما القدس كانت تظل تحت العبيدين، ولكن الصليبين لما علموا ضعف هذه الدولة دخلوا فعلًا واحتلوا القدس في الحملة الصليبية الأولى.

هذا الذي حمل المشروع كان رجلًا مخلصًا صاحب دين، بعد مائة سنة من الذي حمل أيضًا المشروع ضد بربرية وحشية تترية ضد التتار والمغول من الذي أوقفه؟ تُرى كان سيف الدين قطز والظاهر بيبرس كانوا يتكلمون العربية ويحسنونها؟! إننا نقرأ في كتب التاريخ أنهم كانوا يحبون العرب ويحبون الإسلام، مهما كانت هذه النعرات، ولكنهم لم يكونوا يحسنون الكلام باللغة العربية، كانوا يقرِّبون العلماء ولكنهم قاموا بالدفاع عن هذا الدين ضد هذه الهجمات، بل إن أوروبا وإن الغرب لمدين لهؤلاء المماليك الذين أوقفوا هذا الزحف البربري الهمجي التتري.

من الذي قام يا تُرى؟ اذكروا لنا مثالًا أن عربيًا من بني يعرُب أو من قحطان قام بمثل هذا، الذين يتشدَّقون بما يُمسى بالقوميات والقومية العربية وغير ذلك، من الذي قام بمثل هذه المشروعات العظيمة؟ تُرى من الذي طرد آخر جندي صليبي وآخر جندي تتري في العالم الإسلامي؟ هم هؤلاء الذين يُكتب ضدهم التاريخ بأنهم همج وأنهم جهلة وأنهم استعمروا العالم الإسلامي، هؤلاء المماليك، الأشرف خليل قلاوون هو الذي طرد هؤلاء جميعًا، طُردوا في وقت متقارب، ما كانوا يحسنون العربية وما كانوا يتكلمونها كلامًا كما يظن الناس، ولكنهم كانوا يحبون العربية ويحبون الإسلام، والذي جعلهم ينتصرون هو الإسلام.

نعطي في سبيل المقابل لما حمل مشعل القومية العربية وقالوا إن الإسلام هو الذي سبب كل البلاء، جاءنا صاحب المشروع، القومية العربية كانت هكذا تتأرجح بين الكتابات والأفكار المشؤومة وهؤلاء الرجال الذين أُعِدّوا على أعيُن الاستعمار حتى جاء بطل القومية العربية جمال عبد الناصر، وماذا فعل؟ أقزمت الأمة كلها وتدمرت وتم تدمير الأمة، وبالعكس تعالى واستعلى الكفر على أهل الإسلام بسبب هذا الرجل.

وإننا لنعجب كيف يصفق الناس لجلَّاديهم؟!! هذا الرجل يحملون صوره رغم أنه هو الذي تسبَّب في كل هذه الهزائم. انظر ماذا فعل:

صاحب القومية العربية يحقق نفسه؛ مال إلى المشروع الاشتراكي، دخل في مشروع الاشتراكية لتكون بديلًا.

قسم الناس إلى طبقات؛ فصار هناك طبقات الأغنياء وطبقات الفقراء والبروليتاريا والبرجوازية.

ثم أراد التوحُّد مع سوريا، فدخل مشروع سنة ١٩٥٨ في التوحيد والناس كانوا يظنون به خيرًا، ورغم ذلك لما دخل في مشروع الوحدة مع سوريا حدثت الكوارث والمصائب واستغلال الثروات وتعيين الرجل غير المناسب، هو نفسه كان غير مناسب أصلًا في مكانه، ورغم ذلك تمت القطيعة والثورة عليه وطرده وطرد مُشيره حاكم سوريا في ذلك الوقت؛ لأن التوحد كان على بيت وآصرة هشة، وكما قال الله تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ.{

انقطاع جزئي في الشريط.

أو نصارى الشام، ماذا حدث؟ هناك تشرذموا في مصائب في الأمة وتشرذمت الأمة بسببهم، لما ظهر الدعاء إلى جنس العرب وإلى أن العرب هم أفضل من العثمانيين وأن العرب هم أصحاب المجد وأن هؤلاء دخلاء هم والمماليك، وبصراحة الذي أدخل هذا كان في المشروع الأول لنابليون لما دخل مصر هو الذي بدأ هذا وبيّن للمصرين أنهم هم مركز الكون، وهذه المقولة التي يقول عنها المصريون إن "مصر هي أم الدنيا"، هذه الفكرة زرعها نابليون في منشوره الأول؛ أنكم مركز الحضارة وأنكم أصل الثقافات وأصل المعرفة وأصل العلوم، هكذا زرع فيهم، فتولد عند نفر من المصريين ما يُسمى بالشيفونية المصرية وتمجيد العنصر المصري، حتى ذكرهم بالرِّمم القديمة وهي الفرعونية وغير كذلك.

مـاذا فعـل هـؤلاء القوميـون؟ جاءتنـا وتولَّـد مـن خـلال هـذا سـلخ شـيطاني مـن هنـا وهنـاك، لمـا ظهـرت لنـا القوميـة العربيـة وظهـر أنـاس يدعـون إلـى العـرب، فـإذا بالأتـراك فـي هـذه الفتـرة يقولـون إذا كنتـم أنتـم تمجِّـدون العـرب وتريـدون الوحـدة العربيـة فـإذًا نحـن نمجـد الطُّورانيـة والعـرق التركـي الأصلـي، ورجعـوا إلـى أمجادهـم، وتاريخهـم القديـم وجاهليتهـم القديمـة، فظهـرت القوميـة الطورانيـة. لدرجـة أنهـم كانـوا يتعاملـون مـع الإيرانييـن أيضًـا بهـذه الطريقـة، يقولـون لـه أنـت إيرانـي وأنـت فارسـي، ولذلـك ظهـرت القوميـة الفارسـية ردًا علـى القوميـة العربيـة. ثـم ظهـر فـي شـمال الأقصـى فـي شـمال المغـرب العربـي وإذا بهـذه المنطقـة تظهـر وتطـل برأسـها نعـرة البربريـة؛ إذا كنتـم أنتـم تمجِّـدون كل شـيء للعـرب والعـرب هـم صنـاع كل شـيء، إذًا البربريـة لا حصـة لهـم ولا نصيـب لهـم فـي هـذه القسـمة هـي قسـمة ضيـزى، فـلا بـد نحـن أننـا لنـا مجـد أيضًـا ولنـا تاريـخ جاهلـي كبيـر أيضًـا، فأطلـت البربريـة برأسـها أيضًـا فـي منطقـة شـمال المغـرب العربـي.

وإذا بجنـوب السـودان حتـى هـذه القوميـات التـي لـم يُذكـر لهـا ذِكـر فـي التاريـخ أطلـت القوميـة الزِّنجيـة ردًا علـى القوميـة العربيـة، قالـوا أنتـم فـي الشـمال تمجِّـدون العـرب نحـن أيضًـا زنـوج ولنـا تاريـخ فـي الزِّنـج، وحتـى هـؤلاء الذيـن يرجعـون هـم مسـلمون ولكنهـم يحنّـون وأثـارت القوميـة العربيـة نعـرات فـي العالـم الإسـلامي. وأقـوى هـذه النعـرات كانـت فـي منطقـة الأكـراد، طبعًـا ظلمـوا الأكـراد وتعامـل معهـم علـى أنهـم مجموعـة كرديـة لا حـق لهـم ولا شـيء لهـم، فـإذا بهـا تطـل القوميـة الكرديـة برأسـها أيضًـا إلـى وقتنـا الحاضـر، وتجـد أن أكـرادًا يكرهـون أصـلًا جنـس العـرب، لدرجـة أن منهـم مـن يكـره حتـى الإسـلام، رغـم أن اسـمه محمـد.

ولكـن هكـذا هـذا الشـعار اللعيـن، شـعار القوميـة العربيـة فـرَّق الأمـة ودمَّرهـا وإلا قبـل أن تسـقط الخلافـة الإسـلامية رسـميًا أو العثمانيـة رسـميًا، كل هـذه البـلاد كانـت متوحِّـدة وتحـت رايـة خليفـة واحـد رغـم ضعفـه ورغـم هشاشـته ورغـم أي شـيء، ولكـن كل هـذه القوميـات كانـت منصهـرة وكانـت راضيـة؛ وكانـوا راضيـن لأن الرابطـة التـي كانـت تربطهـم كانـت رابطـة دينيـة. ولذلـك لمـا أرادت إنجلتـرا أن تخلـع يديهـا مـن مشـاكلها بسـبب الحـرب العالميـة الثانيـة

من فلسطين ماذا فعلت؟ مهَّدت لها بطريقتها المعهودة، لأنها تعلم أن العالم الإسلامي سيثور لما تُعلن دولة فلسطين، فإذا بهم في ١٩٤٨ قاموا باختراع فكرة "الجامعة العربية"، وقام النَّحاس باشا بهذه المبادرة، وما أكثر هذه المبادرات الساقطة، تواصوا به!، تاريخ هكذا تأتي لنا هذه الزعامات المهزومة دائمًا التي لم تحقِّق نصرًا في تاريخ الأمة أصلًا، فهؤلاء دائمًا يأتون بمبادرات، جاء النحاس باشا وهو صنيعة الإنجليز إذا به يأتي بمبادرة لوحدة العرب، ولماذا تضيِّق واسعًا يا رجل؟ وحدة العرب أم وحدة المسلمين؟!

وصدق فيهم كان رجل هناك في سنة ١٩٦٤ كان رئيس وزراء شمال نيجيريا كان رجل اسمه أحمد ديلو، هذا الرجل لما جاءوا إلى ترميم قبة الصخرة قال لهم: "لو دعوتم العالم الإسلامي لجاءكم ستمائة مليون مسلم بدلًا من ستين مليونًا"، في وقته كان تعداد العالم ستمائة مليون وما يزيد قليلًا والعالم العربي كله تقريبًا كان ستين مليونًا، قال لهم لو أنكم دعوتم باسم الإسلام لجاءكم ستمائة مليون، هو يقصد في هذا أنهم لما جاءوا ينادون دائمًا يقولون: العرب هم الذين سيحرِّرون فلسطين، فلسطين عربية، فلسطين للعروبة، العروبة هي فلسطين، يأتون إلى المحافل الدولية، ولما أنشأوا هذه الجامعة وأنشُئت رسميًا وأعلنوا ميثاق جامعة الدول العربية سنة ١٩٤٥، لم تفعل شيئًا لقضية فلسطين إلا عبارة عن الحضور في المحالف، وفي سنة ١٩٤٨ والحرب على قدم وساق، والمؤامرات على قدم وساق أيضًا وهذه الجامعة لا تملك إلا صوتًا كما يقول القائل: "نسمع جعجعة ولا نرى طحنًا"!، فهؤلاء لا يتكلمون، حتى هذا الكلام فهم لا يحسنونه.

فانظر لما دخلوا في محفل الجامعة في أحد المؤتمرات العالمية في هيئة الأمم المتحدة، ماذا يقولون؟ فلسطين عربية، العروبة وفلسطين، قالت لهم وفود الدول الأخرى من تركيا وإندونيسيا وماليزيا وباكستان وهذه الدول، قالوا لهم: إذًا أنتم لا تريدون منا مشاركة؟ إذًا أنت ستخسر مددًا عالميًا، مددًا شعبيًا إسلاميًا، وهذا ما نجح فيه هؤلاء فعلًا، ماذا فعلوا لـمّا رفعوا راية القومية العربية؟ ضاع كل شيء، ضاعت فلسطين، وما كان هؤلاء اليهود يحلمون في يوم من الأيام أن يتوسّعوا هكذا، وإذا بهم يأخذون على طبق من فضة كما يُقال أو من ذهب يأخذون في هزيمة نكراء، هزيمة العالم أو هزيمة المشروع

القومي العربي في ١٩٦٧ إذا بهم يحصلون على ما لا يتخيّله أحد، هذه الأراضي المحتلّة حتى الآن، وهم الآن -كما تعلمون- يفاوِضون على أشياء مضحكة، وأصل قضية فلسطين الآن تُختَزل في أراضي محتلة وعِزَب صغيرة وكُنتنات صغيرة، أما أرض فلسطين العظيمة التي بارك الله ما فيها وما حولها، حتى هذا المسجد بأرضه وشجره ونهره ونخيله وبرتقاله وكل هذه الأراضي المباركة فهم تخلوا عنها أصلًا، هؤلاء هم القوميون الذين يريدون أن يحرروا بلاد فلسطين، لم يحرروا أرضًا، ولما دخلوا معركة انهزموا فيها.

انظر لما حاولوا أن يستغلوا شعار الدين انتصروا نصرًا محددًا بخيانة معينة، في ١٩٧٣ في حرب العاشر من رمضان انتصروا لما رفعوا راية (الله أكبر) ودخل الجندي المصري والسوري ودخل بعض الجنود العرب في هذه الفترة تحت شعار الإسلام رغم أن القيادة لا دخل لها بالإسلام، ورغم ذلك حققوا نصرًا لولا الخيانة كما تعلمون، إذًا شعار العربية هذا وشعار تمجيد الجنس العربي هذا ما أفلح أبدًا.

وما هو شعار هؤلاء القوميون؟ شعارهم كما تعلمون: "الدين لله والوطن للجميع"، ما معنى هذا؟

هذه مقولة في منتهى الخطورة هي نفس مقولة: "دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله"، هي نفس مقولة: "فصل الدين عن الدولة"، هذه هي مقولة العلمانية، هذه هي مقولة الوطن للجميع والدين لله، يقول لأن هناك بعض المسيحيين موجودين وبعض غير المسلمين في العالم الإسلامي فنريد أن نترك الدين والناس وشؤونهم، أما الدين فلا يحكم في أي شيء. يعني من أجل ثلاثة في المائة من عدد المسيحيين مثلًا في مصر وفي سوريا وفي لبنان كل هذا العدد رغم أنه قليل ولا تصدقوا هذه الإحصائيات المزورة رغم كل هذا تريد ٩٦٪ من المسلمين لا يطبِّقون تعاليم دينهم ويتنازلون عن دينهم وعن أن يحكموا به من أجل حفنة قليلة؟! حتى بهذا المنطق الذي ينادون به الديمقراطية والغالبية فهو حق المسلمين وهو نظامهم العام أن يحكموا بدينهم، حتى في هذا هم غير صادقين.

قالوا: الدين لله والوطن للجميع، وإذا كانوا صادقين فلماذا تتدخلون -إذا كانت المسألة هي الدين لله، لماذا تتدخلون في تجفيف المنابع؟ لماذا تتدخلون في حذف الآيات القرآنية

عن التدريس في المدارس؟ أكثر من أربعة عشرة برنامجًا مثلًا في مصر في قناة القرآن الكريم تم حذف هذه البرامج لأنها في نظرهم تحضّ على التديُّن، روح التدين هذه لا يريدونها، هذا مشروع العرب هؤلاء العروبيُّون أو القومية العربية هذا مشروع تخريبي تدميري.

انظر ماذا فعل؛ تسببوا في هزيمة فلسطين وسحقها وذل فلسطين، بل إنهم حاصروا فلسطين أيضًا، هؤلاء حماة العروبة وحماة القومية، وأيضًا منعوا المدد والتواصل مع العالم الآخر، انظر لما جاءوا برجل مسؤول من كشمير قديمًا، لماذا أنتم لا تندِّدون دائمًا بفلسطين ولا تتعاملون مع قضية فلسطين؟ ماذا قال الرجل؟ قال: نحن نتعامل ونمدكم دائمًا ولكن انظروا ماذا فعل عبد الناصر، وقف ضدنا، وضد حريتنا مع الهند، وحالف نهرو ضد المسلمين، وكان الهنود والهنادكة والهندوس كانوا يذبحون المسلمين ويقتِّلونهم ويأتي عبد الناصر للصحف الغربية والعالمية ويقول إن الهند دولة عادلة وأحكامها عادلة، ويقف ضد هذا المشروع، ضد مشروع الدولة الإسلامية.

ماذا قدم رجل القومية هذا؟ لا يأتي إلا وراء كل هزيمة أو كل ما لا نفع فيه، تحالف مع الروس ودمروا المسلمين والولايات الإسلامية في بلاد ما وراء النهر ودمروها عن بكرة أبيها وكان يحالفهم، وكان حليفهم دائمًا مع المشروع التخريبي ضد المسلمين.

انظر ماذا فعل لما دخلوا، تحالف مع الحبشة مع هيلا سلاسي لما ضمَّ أريتريا ومعظم سكان أريتريا كانوا مسلمين، ورغم ذلك لم يندِّد ولم يتكلم ولم يأمر حتى مشيخته بالدعاء للمسلمين في أريتريا.

وانظر أيضًا لهذا الرجل بطل القومية العربية في اليمن بعد أن فشل في سوريا، أراد أن يعيد أمجاده الذاتية بإيعاز إما من الأمريكان أو من الروس، دخل بحجة نجدة الثوار قلة من الانقلابيين العملاء، دخل لمساعدتهم واحتل بلدًا عربيًا، هو رجل صاحب القومية العربية إذا به يحتل دولة عربية!، كانوا يقتِّلون الشعب العربي، شعب العرب! يقتلون اليمنيين يضعون الحلوى المسمومة لأطفال اليمن، وكانوا يضعون بعض المتفجرات في الساندويتشات وغير ذلك للأطفال، هذا هو عبد الناصر زعيم القومية العربية! كان أيضًا هذا الرجل تسبب في مقتلة عظيمة للجيش المصري في هذه الفترة.

أنت صاحب مشروع فاشل ومهزوم دائمًا، تذهب إلى اليمن في هذه الفترة، لماذا لم تذهب بجنودك هذه إلى فلسطين وهي بجوارك؟! هؤلاء الآلاف من الجنود المصريين انظر ماذا فعل: استغل الدين أيضًا وجعل شيخ الأزهر يفتي فتوى لما تململ الناس في مصر ودأبوا على أن الذي يحدث مقتلة عظيمة فقال الناس هناك والعلماء أن هذا القتال حرام لا يجوز قتل المسلمين في اليمن وأهل اليمن أهل إسلام ولا يجوز قتالهم ولا قتلهم، فخرج شيخ الأزهر بفتوى أن جهاد الجنود المصريين في اليمن هو جهاد في سبيل الله ويحرم من يقول غير ذلك، وهم شهداء، من يقتل منهم شهيد.!!

انظر هذا التدليس والتزوير التاريخي لبطل القومية العربية! ظلَّ من سنة ١٩٦٢ في مستنقع اليمن، ثم حدثت الهزيمة النكراء له في ٦٧ وضاع كل شيء وضاعت البلاد وضاع العباد وباعوا الأراضي وانتُهك عرض فلسطين بسبب هذا الرجل، ولكنهم يمجّدونه!

بدَّد ثروات الأمة في أفريقيا وفي حروب الكونغو، تمجيدات ذاتية، وهناك تحالفه مع يوغسلافيا وغير ذلك، دائمًا مع كل خاسرة ومع كل مصيبة يتحالف معهم، حتى إن الصين عندما كانوا يدمرون المسلمين في تركستان وغيرها كان يتحالف معهم ضد المسلمين.

إذًا أي قومية وأي عربية لهذا الرجل؟! هذا الرجل وأمثاله جلبوا لنا العار والشنار في الأمة، ورغم هزيمتهم السياسية إلا أنهم ورَّثوا لنا أشياء في القاموس الإعلامي في منتهى الخطورة، هذه الأشياء ترى أن البلد الواحد تجده منقسمًا على نفسه، تجد أهل الجنود يعيِّرون أهل الشمال، وأن أهل الشمال ناس متفتّحون، وأن أهل الجنوب ناس منغلقون، وهذا صعيدي، وهذا بحري، وهذا لبناني جنوبي، وهذا لبناني بيروتي، وهذا شمالي..، هذه التقسيمات الموجودة هؤلاء أهل المشرق وهؤلاء أهل المغرب وكل واحد له فضيلة عن الأخرى، وهذه النعرات التي أحيوها، تجد الاحتفالات والتمجيدات، وليتهم يحتفلون بهذا بل تجد العجب، أنتم تتكلمون عن العربية فلماذا تُحيون نعرات الفراعنة؟! الفراعنة ما كانوا يتكلمون العربية، إذا كنتم تحبون العرب وتنشرون كتب العرب لماذا تنشرون وتمجدون هذه الأعياد وهذه المناسبات كيوم وفاء النيل وهذه الفرعنة المنتشرة في القاموس الإعلامي مثلًا المصري؟ هذه الفينيقية التي يقولون لأهل لبنان أنتم فينيقيّون، يبتترونهم ويخلعونهم

ويسلخونهم عن أصلهم الإسلامي ويقولون لهم أنتم فينيقيّون، لـمّا يجدوا لبنانيًا ناجحًا يقولون أصله فينيقي والفينيقيّون كانوا تجارًا بارعين، فالرجل حتى لو كان مسلمًا فإنه يطيب إليه هذا ويركن إلى هذا القول استحسانًا أن أصله فينيقي.

هذه الدعاوى هي دعاوى خبيثة للطعن في الإسلام وإحلال ولاءات محل ولاء الإسلام العظيم، فيجب أن ننتبه جيدًا لهذه الدعاوى، ولذلك هذا أصله بابلي وهذا أصله آشوري وأصله كلدانيّ وهذه أصلها كذا. حتى المسلم أحيانًا يقول أنا أصلي كنت آشوريًا أو كلدانيًا، ونحن الذين اخترعنا الكتابة المسمارية والفينيقيون هم أصل كذا وكذا، هذه النعرات لهؤلاء أحياها العروبيّون، وأحياها هؤلاء القوميون.

بل إن منهم من انشقّ عن هذه العروبة وصار يمجّد القُطر، كما في حزب القوميين السوريين لأنطون سعادة الذي مجّد القُطرية السورية، وسوريا في نظره هي أم الدنيا، وهي سوريا بلبنان، ثم ظهر حزب الكتائب ضده سنة ١٩٣٦ وصارت حرب بينهما، هذا يمجد اللبنانية وهذا يمجد السورية، وهكذا. هذه النعرات لا دخل للإسلام بها، هي نبت شيطاني أصلًا.

بل العجب العجاب في هؤلاء أنك تجدهم مثلًا يتكلّمون أن اللغة العربية هي العمود الفقري للقومية العربية، هذا حسن، ولكنكم ماذا تفعلون؟ انظر كانوا قديمًا في مقرّرات قبل أن يحكم هؤلاء القوميون العالم الإسلامي كانوا يأتون بكتب الأطفال باللغة العربية الفصحى، كانوا يأتون بنماذج وقصص جميلة شيقة من التاريخ الإسلامي، وتُكتب وتُبسَّط للشبيبة وللأطفال الصغار، انظر لما أمسك هؤلاء أصحاب المشروع القومي الحكم ماذا فعلوا؟ تجد أن كتب الأطفال التي تُؤلف وكتب الشباب يكتبونها بالعامية الركيكة، العامية الـمُبتَذلة سواء العامية في مصر أو العامية في لبنان أو في سوريا أو في الجزائر أو في المغرب، تجد عامية ركيكة هي الخطاب العام للناس.

حتى في بعض الكتب عندهم أنهم أحيوا الكتابة بالعامية، إذًا العمود الفقري هو اللغة العربية، فلماذا تمجدون العامية التي لا توحّدكم؟! بالعكس لو تكلم اللبناني بلهجته، وتكلم المصري بلهجته، وتكلم الجزائري بلهجته لن نتفاهم، بل إن رابط

التفاهم بين هؤلاء جميعًا هو اللسان العربي السليم. حتى لا يفهمنا بعض الناس خطأ أننا نريد الناس أن يتكلموا بطريقة الشَّنْفرة، ويتكلموا بشعر الشَّماخ -رضي الله عنه-، ولكن نريد أن نتكلم اللغة العربية السهلة ولا داعي من هذه اللهجة المبتذلة المبالغ فيها، لدرجة أن بعض اللبنانيين الشوفينيّين وخاصة من نصارى لبنان أو المسيحيين اللبنانيين يقولون إنها ليست لهجة إنها لغة، يصرّون على هذه العامية اللبنانية، ويقولون عنها لغة، ويصرّون على ذلك، هذه اللغة لم نرَ مُكتشفات اكتُشفت بالعامية، لم نرَ ترجمة تُرجمت بالعامية، ولم نرَ قاموسًا كُتب بالعامية. كل هذه المترجمات وأدوات العلم حتى العلم الحديث كلها تُكتب بالعربية الفصحى رغم أنوفهم؛ لأن عاميتهم ناقصة وقاصرة، هذا يجب علينا، نحن نعتزّ بلغتنا، نعتز بعربيتنا، ولكن هذه العربية لا قيمة لها إذا كانت ضد الإسلام وإذا كانت ستحل محل ولاء الدين.

انظر إلى العربية التي يتكلمونها، تجد كتبًا تُكتب يقولون: لا نريد أن نكتب كتبًا لا يفهمها الناس، يا سيدي الإمام الشافعي الذي تُوفي في سنة ٢٠٤ه كتب كتاب (الرسالة)، وكتاب (الرسالة) لو لم تضع اسم الشافعي -عليه رحمة الله- ربما كتبت اسم رجل حديث لظنّ الناس أنه مؤلَّف حديث، هذا الرجل كتب كتابًا سهلًا اسمه (الرسالة) وهو في أصول الفقه، أما من جاء بعده من العلماء لما اتّخذ بعض المسلمين طريقة علم الكلام وأسلوب غليظ الكلام ووحشي الألفاظ، قارن بينه وبين كتاب (الـمُستصفى) للإمام الغزالي المتوفَّى سنة ٥٠٥ه، تجده كتابًا صعبًا في طريقة التراكيب اللغوية رغم أن الشافعي أسبق منه، إذًا مسألة تيسير اللغة وتسهيلها، وهذا قرآن الله تعالى، هذا الكتاب الذي بين يدينا الآن، انظر إلى هذا الأسلوب السهل الجميل الذي يفهمه الناس، وهذه كتب المفسِّرين تفسّر هذه الألفاظ لا تجد وحشي الكلام ولا غريب الكلام.

نحن نحب العربية ورسولنا -صلى الله عليه وسلم- عربي وقرآننا عربي، ولكن يجب أن ننتبه جميعًا أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- بيَّن لنا أنه لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، ونبين لكم أيضًا -حتى لا نطيل إن كان الوقت تجاوزني أو تجاوزته فأرجو أن أُنبَّه.-

أريد أن أقول لكم وخاصة من أهم قضايا القومية العربية التي هي في ضمير الأمة كلها ودائمًا يُرفع هذا الشعار لكل من هبَّ ودبَّ وخاصة القوميون هؤلاء يرفعون لواء الدفاع عن فلسطين، اعلموا جميعًا أن فلسطين ما كان لها هذا الشأن إلا بالإسلام، هؤلاء يضحكون على أنفسهم يقولون بيت المقدس، القدس، الصخرة المقدسة، الذي رفع وبنى هذا عبد الملك بن مروان هو الذي أنشأ ذلك، هذا المتوفى سنة ٥٨٦، هذا الرجل في الدولة الأموية، بالإسلام أصلًا الذي بنى قبة الصخرة العظيمة هذه وهذا المسجد مسجد قبة الصخرة ثم المسجد الأساسي، لولا زيارة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولولا فتح عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في سنة ٥١٥ لهذه المدينة ما أخذت هذه المكانة إلا بالإسلام، فالإسلام وحده هو الذي حرَّر هذه البلاد، الإسلام وحده هو الذي فتحها، باسم الإسلام وحده تم حفظ العُهدة العمريّة على مدار أكثر من اثني عشر قرنًا، فلا بد للناس أن يعلموا.

لما دخل العرب أو ما يُسمون بالعروبيين هؤلاء الذين لا دين لهم ولا خلاق ولا أخلاق لهم، ضيعوا فلسطين، وضيعوا أراضٍ كثيرة، ولم يستردّوا شيئًا، هم ظلوا في الحكم منذ فترة طويلة حتى الآن، من وقت أن غابت شمس الإسلام حتى وقتنا الحاضر لم نرَ عروبيًا ولا عربيًا ولا قوميًا حرَّر دولة حتى الآن من التي اغتُصبت، لن يحرر ولن يقوم بهذا المشروع إلا الإسلام، والإسلام وحده.

وأنبه على إخواننا جميعًا يجب علينا أن نتخلى عن هذه الروابط الجاهلية التي أحيانًا تثير الفتن بيننا، عندما يتخاطب اثنان: لبناني مع صومالي مثلًا أو مصري أو جزائري ترى أحيانًا يدخل الشيطان فينزغ بين الناس فهذا يمدح نفسه أنه يفهم أكثر من غيره، نحن المصريون الذين بنينا الهرم، نحن أصحاب الحضارة، نحن أصحاب كذا، ثم يرد عليه الآخر لا بل نحن أسبق منكم وأفهم منكم أنتم الذين ضيّعتمونا، أنتم كنتم تعيشون في ذلك، هكذا دعاوى جاهلية نحن بربر ونحن فينيقيّون ونحن هكذا، نحن نقول كما قال القائل:

أبي الإسلام لا أب لي سواه ... إذا افتخروا بقيس أو تميم

فلا بد أن ننتبه، ولا بد أن نركّز جميعًا على هؤلاء الذين يقولون إن الوحدة العربية هي التي ستحرر فلسطين، هؤلاء أصلًا هم الذين يبيعون فلسطين، هؤلاء أصلًا هم الذين يتآمرون على فلسطين، قلنا لهم: خلّوا بين الشعوب وبين فلسطين، والله لو خليتم بين الشعوب وبين فلسطين لما اجترأ هؤلاء شُذَّاذ الأفكار أن يسكنوا ولقضضنا مضاجعهم، ولعرفوا أن هذه الأرض التي تدرّ عسلنًا ولبنًا ستدر عليهم حنظلًا ومرًا وعلقمًا، لو خلّيتم بين الشعوب، اتركوا هذه الشعوب وارحلوا ولا تكونوا حواجز ولا موانع أمام تقدم شعوبكم.

وأختم كلامي هذا بمعذرة أقدمها إلى فلسطين كما قال القائل:

فعذرًا فلسطين إن شطَّ شعري ... وغاب القريظ وبُحَّ الوترْ

فأنت القصيد وأنت الحداء ... وأنت النفيسة بين الدُّررْ

وما كان صَمِتي عن غفلة ... ولا عن تراخٍ ولا عن ضجرْ

ولكنّ شعري وزّعته ... بشتى القضايا وشتى الصورْ

فلست الوحيدة بين الأمور ... التي أشغلتنا طوال العمرْ

قضايانا زادت بهذا الزمانِ ... تداعت علينا بغاة البشرْ

قضايانا هذه مطروحة ... على مجلس الأمن قيد النَّظرْ!

نبذنا الشريعة فانتابنا ... ضياعٌ لَعَمري ألا نَعتبرْ؟!

فأين البواسل من أمتي ... وأين الوليد وأين عمر؟

فمهلًا فلسطين مهما بدا ... لعينك هذا الطريق الوعرْ

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، ومعذرة إن كنت قد أطلت عليكم.

جزاكم الله خيرًا، وأحسن الله إليكم، وجعل ما قلتم في موازين حسناتكم.

شيخنا عندنا بعض الأسئلة:

نقدم أولًا الأسئلة المتعلقة بالموضوع:

• أخونا يسأل يقول: جزاكم الله خيرًا على هذه المحاضرة وجعلها في ميزان حسناتكم، من الملاحظ أن القومية العربية كتيار فكري قد تقهقر وربما السبب الرئيسي هو تمام الصحوة الإسلامية المعاصرة التي عمّت جميع البلدان العربية وغيرها، والسؤال هل ترى أن الصحوة الإسلامية بمفكريها قامت بالدور الحقيقي في محاربة التيار القومي؟

إجابة الشيخ: جزاك الله خيرًا على السؤال القيم، أريد أن أنبه على أن هذه القومية، لأن هناك بعض الناس يتكلمون في بعض الفضائيات ويقولون إن القومية انحسرت أو أن الصحوة الإسلامية كانت رد فعل لهزيمة القومية في مشروعها السياسي، الصحوة الإسلامية مجازًا هذا الاصطلاح أو المشروع الإسلامي أو النهضة الإسلامية، هذه ليست ردّ فعل للقومية؛ لأن المشروع قبل حتى أن يعتلي القوميّون الحكم، يعني لما بدأ المشروع بعض الذين حاولوا أن يجدِّدوا رغم تحفظاتنا عليهم مثل الأفغاني والشيخ محمد عبده وغيرهم، هذا المشروع قبل أن تقوم للقومية قائمة أصلًا، لما قام الشيخ حسن البنا أيضًا كان قبل القومية، قبل هذا المشروع أصلًا، يعني مشروع تجديد هذا الدين كان في ظل مقاومة وجهاد الاستعمار في العالم الإسلامي، هناك هجمة صليبية كانت في العالم.

وطبعًا هؤلاء القوميّون لما حكموا كان العدو الأول لهم هم هؤلاء الذين يريدون عودة المسلمين إلى الإسلام وعودتهم إلى دينهم فحاربوهم بقوة، فهنا تمسّك الشباب بدينهم وهنا ظهرت بين حين وآخر وبين فينة وأخرى هامش ما يُسمى بالحريات التي يطلقونها؛ لأن الإسلام مفطور به الشعوب وهو دين فطري لدى الشعوب فهو ليس من كوكب آخر، هو من نفس هذا الشعب، ولذلك لما يقتلون جيلًا ويسجنونهم أو يضيقون عليهم يظهر جيل آخر، وهكذا، هذه الصحوة لأنها مَفرَزة ومَفْرَخة من الإسلام الأم الأساسي.

أما القوميون هؤلاء بعض العلماء المسلمين تصدوا لهذا المشروع من الناحية الفكرية، هناك أولًا بعض العلماء الذين قاموا بالتصدي قديمًا لهذا المشروع وهذه الفكرة الخبيثة، وكانت بصفة خاصة حتى لن نقول من العلماء فقط، يعني بعض علماء الأزهر تصدّوا لهذه الفكرة قديمًا، مثل الشيخ شمس الدين الإمبابي وغيرهم رغم أنهم كانوا أشبه بالصوفية، ولكنهم تصدّوا لهذه الفكرة، ثم نجد بعض الناس الذين أنشأوا أحزابًا مثل مصطفى كامل رغم أنه كان مولعًا بالمصرية والمصريين وعاشقًا لما يُسمى المصرية، ولكن الرجل كان ينطلق من منطلق ديني، من منطلق ولائه لدولة الخلافة الإسلامية، ولذلك تصدّى وكشف عوار هذا المشروع الضيق لأحمد لطفي السيد والذي يُسمى أستاذ الجيل، هم يمجّدون هؤلاء الأصنام دائمًا، أحمد لطفي السيد هو صاحب مقولة: "مصر للمصريين، وما هؤلاء العرب ما استفدنا بهم؟"، حتى هذا انظر للعربية لما أطلّت وهذا المشروع لما أطل ولّد أيضًا الحنين إلى القطرية الضيقة.

فإذًا هناك مشروع ممتد وكتابات رائعة كُتبت، لكن المكينة الإعلامية لسدنة الحكم وهؤلاء المتربعين على عروش العالم الإسلامي، هؤلاء دائمًا يُعتِّمون على هذه الكتب، من الذي يعرف في العالم الإسلامي إلا فئة مثقفة مثلًا كتب الدكتور محمد محمد حسين (الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر) و(حصوننا مهددة من داخلها) إلا فصيل إسلامي معيّن أو بعض المثقفين، هذه الكتب، وكتب مصطفى صادق الرافعي الذي سخر من هؤلاء القوميين والعروبيين في (وحي القلم) وغيره، هذه الكتابات وكتابات كثير من العلماء في هذه الفترة، وبعض المجلات بصراحة مثل (مجلة الاعتصام) و(الدعوة) و(المختار الإسلامي).

في فترة معينة دخل الناس في رد وكانت هناك حرب أدبية كبيرة جدًا في مسألة القومية، وبصراحة الأدباء والشعراء وأهل الأدب بصفة خاصة من أهل الإسلام هم الذين كشفوا لحن القول وبيّنوا عوار هذا الفكر وقوّضوه ودمروه، نحن نريد المزيد طبعًا، ونريد نشر مثل هذه الكتب التي تكلمت عن الانحرافات في هذا الفكر، ولكن لا توجد لهم

فرصة حتى من الناحية الإعلامية، هات لنا قناة مثلًا حتى التي تُسمى باسم إسلامي لا يسمحون إلا لذرّ الرماد في العيون، والله أعلم.

- جزاكم الله خيرًا، شيخنا هذا السؤال يقول فيه أخونا: ما هي الطرق والوسائل لمحاربة القومية في عقول شبابنا الذين يردّدون أن من ينادي بالإسلام ويحارب القومية هو إنسان رجعي متخلف لأنه لا يرى إلا نفسه ولا يريد وضع يده في يد المسيحي لبناء دولة عربية؟

إجابة الشيخ: دائمًا هذه من الشبهات التي يلقيها القوميون، ومن شاء فليقرأ كتاب (العروبة أولًا) لساطع الحصري، وهو يزعم أنه يرد على الشبهات، وهو كلامه هراء طبعًا لو وجدته وتفطّنت إلى كلامه، طبعًا بقراءة الكتب بصفة خاصة التي تتكلم عن هذه الفرقة وخاصة كتب الدكتور محمد محمد حسين، من الكتب العظيمة (الإسلام والحضارة الغربية) وكتاب (حصوننا مهددة من داخلها) وكتاب (تاريخ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر)، وكتب أيضًا الأستاذ أنور الجندي كتب عظيمة في هذا الشأن، أنا أقول كتب الأستاذ أنور الجندي في هذه الناحية الفكرية فقط، فهذه كتبه (الأقلام والصحافة المسمومة) وكتبه عن (اليقظة الإسلامية) ردًا على الكتب التي ظهرت اليقظة العربية، يعني هناك كثير من الكتب، وهناك كتاب عظيم الشأن بصراحة من أحلى الكتب للدكتور عمر فروخ وكتاب دكتور مصطفى خالدي هو (التبشير والاستعمار في البلاد العربية) وهو كتاب قيم جدًا تكلم عن تاريخ التغلغل التّبشيري والتّدميري، وهو مصاحب لما يسمى فكرة إنشاء مثل هذه القوميات؛ القومية العربية. وهناك كتب كثيرة، الدكتور حازم نسيبة وغيره كتبوا عن القومية العربية.

أما قصة هذه التي رمتني بدائها وانسلَّت، التي يقول أن الذي يحارب القومية هو تمسك بالرجعية هذا حديث خرافة كما يقولون، وهذا رمتني بدائها وانسلت؛ فإن الإسلام يهدم أي رابطة تحل محل ولاء هذا الدين، وانظر إلى قول الله تعالى لنبيه: {قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}، بل إن الله -سبحانه وتعالى- يقول له: {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ *

لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}؛ انظر إلى قوله "لا شريك له"، يعني إن المسلم صلاته نسكه عبادته حياته كلها لله، هذا لا يفهمه هذا القومي الذي يمجّد عبادات بالية وأصنام لم تحقق له حتى نصرًا، يعني حتى لو أخذناها بالمكسب والخسارة من الناحية المادية هم دائمًا خاسرون، نحن عندنا تاريخ عظيم عريض على مدار أقل شيء ١٢ قرنًا مملوء بصحائف من ضياء وهناك مصابيح في سماء التاريخ أضاءت هذه الظلمات في تاريخ البشرية. هاتوا لنا نجمًا واحدًا من نجوم سماءكم الملبّدة بغيوم القهر والذل، هاتوا لنا نجمًا واحدًا أضاء، هم عبارة عن مجموعة من المنهزمين ومن الذين فرّقوا دينهم شيعًا هؤلاء.

نلنا في الإسلام منظومة متكاملة، نتعامل مع غير أهل الدين لهم قانونهم من الناحية الإسلامية هم يُسمَّون أهل الذمة، وهؤلاء المولودين حتى في البلاد لهم قانون خاص بأحكامهم، بالعكس هؤلاء لم يطالبوا يومًا ولم يتمرّدوا إلا لما مسك القوميون الحكم وإلا لما تربّع القوميون الحكم، هؤلاء النصارى كانوا يعيشون في أمان مع المسلمين، وكانت لهم ديانتهم ومعابدهم وكنائسهم، واليهود كانوا في عز أيام الإسلام، والذي انتشلهم من ذل النصارى لهم وذبحهم، كانوا يعملون في المسابخ والزبالات وغير ذلك، دخل المسلمون الأندلس فانتشلوهم.

حتى لما حدثت فتنة الأندلس في محاكم التفتيش المسلمون أخذوهم معهم وهرّبوهم معهم، هؤلاء لا ينظرون إلى هذه الأيادي البيضاء التي كانت تنعم عليهم، هارون الرشيد كان طبيبه الخاص كبير الأطباء "بختشيوع" وكان رجلًا نصرانيًا، ابن ميمون كان طبيب صلاح الدين الأيوبي، الإسلام من ناحية العلم الناس تستفيد ويأخذون درجاتهم من الناحية العلمية وخاصة في التخصصات التي يتعلم منها المسلم، كانوا يعيشون في عزة.

لما جعلوا ولاءهم لهذا المستعمِر الذي يريد يخرّب ماذا فعلوا؟ انظر في حرب ٥٦ نعطيها مثالًا، العدوان الثلاثي، ما يُسمى بمهزلة العدوان الثلاثي التي صورها إعلام القومية العربية وبطل الناصريّة سماها انتصارًا على ثلاث دول، يعني شيء يُضحك

حتى من الناحية التاريخية!، انظر ماذا حدث، لما نزل الجنود الفرنسين والبريطانيين لما دخلوا في مدن القناة كان هناك سبعون ضابطًا مسيحيًا موجودين في هذه الفترة، لما ضُيّق الحصار رفعوا الراية البيضاء وسلموا أنفسهم للجنود الفرنسيين وقالوا لهم نحن مسيحيون مثلكم لماذا تقاتلوننا نحن معكم، وفعلًا أمنوهم ودخلوا معهم، أين هذا الوطن الذي يدافعون عنه؟! لو أن المسألة تقولون نحن أبناء وطن واحد فلماذا تخليتم عن أبناء الوطن الآخرين؟ وهنا ظهر ولاء الدين، انظر قالوا لهم نحن مسيحيون مثلكم وتركوا، هذه كانت فضيحة كبرى، ولكن طبعًا الإعلام المصري والقومي والعربي لا يبرز مثل هذه المصائب؛ لأنها طبعًا ستكون ضد المشروع القومي الخاص بهم، ولكن لما احتكّوا وكانوا عند المحك قالوا نحن مسيحيون وهنا ولاء الدين ظهر.

إذًا لماذا تعيبون على الإسلام؟ الدين هو أبو الولاء، أما غير ذلك فهذا التاريخ الإسلامي مملوء، لو أن المسائل عصبيات ما فعل الصحابة هكذا، ولما كان ذلك في الحروب، ولما قتل الصحابي أباه، ولما قتل هذا خاله وما هجر هذا أمه، وأنتم هذا التاريخ تعلمونه جيدًا، ولكن هذه دعوة ناقصة وكاذبة، فاستمسك بدينك أيها الأخ الكريم.

****

جزاكم الله خيرًا، وبارك الله فيكم شيخنا، ونرجو المعذرة إن كنا قد أطلنا عليكم وعلى إخواننا المستمعين والمستمعات سواء في المسجد أو في الإذاعة، والحقيقة المجلس لا يُملّ، لكن ربما شققنا على إخواننا فأطلنا عليهم، وعادة اللقاء يكون ساعة والآن ما شاء الله ساعتين إلا ربع، نسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يجعل ذلك في ميزان حسناتكم، وأن ييسر لنا معكم لقاءً آخر.

****

تنبيه: أصل هذا التفريغ محاضرة صوتية للشيخ الدكتور هاني السباعي كان ألقاها عبر الهاتف للجالية الإسلامية بأستراليا.

نشر بالشبكة العنكبوتية بتاريخ ٢٥ ذي الحجة ١٤٣٦هـ ٩ أكتوبر ٢٠١٥

# العدل والحاكم العادل
# وقيمة ذلك في الإسلام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد:

هذا موجز اخترته حول العدل والحاكم العادل في القرآن، والسنة وسير الخلفاء الراشدين ومن جاء بعدهم.

معنى العدل ضد الجور. وفي الشرع: فصل الحكومة على ما في كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وهو: بذل الحقوق الواجبة وتسوية المستحقين في حقوقهم، وهو: إعطاء كلِّ ذي حقٍّ حقَّه.

**قال الله في محكم التنزيل:**

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا) النساء آية ٥٨

(إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) النحل ٩٠.

وقال تعالى: (فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ) الشورى ١٥.

وقال تعالى: (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ) سورة ص آية ٢٦.

ويقول تعالى: (لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ) الحديد ٢٥.

**وفي السنة النبوية:**

عنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ مِنْ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ» رواه مسلم.

**العدل مع غير المسلمين ومع الأعداء:**

وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب من الأمثلة ما يحير العقول.

فعن أمِّ المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ مِنْ الْيَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: عَلَيْكُمْ السَّامُ، والذام، وَاللَّعْنَةُ، والغضب. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «فَقَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ» متفق عليه.

وقال صلى الله عليه وسلم: «أَلَا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهِدًا، أَوْ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه أبو داود.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاثة لا ترد دعوتهم، الإمام العادل، والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم» رواه الترمذي.

**دعاء النبي صلى الله عليه وسلم للإمام العادل:**

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في بيتي هذا اللهم: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ» ولأحمد: «فشُقَّ».

## الأمر بالهجرة للحبشة لأن بها ملكاً عادلاً:

فإنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم لما رأى الأذى يشتد بأصحابه، أمرهم بالهجرة إلى الحبشة وقال: «فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد» رواه الطبري في التاريخ.

## العدل أمان من عذاب الله:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولا لا يفكه إلا العدل، أو يوبقه الجور» رواه أحمد بإسناد جيد، رجاله رجال الصحيح.

وعن سعد بن عبادة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم القيامة مغلولا لا يفكه من ذلك الغل إلا العدل» رواه أحمد.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من رجل ولي عشرة إلا أتي به يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه حتى يقضى بينه وبينهم» رواه الطبراني في الكبير.

## أحب الناس إلى الله إمام عادل:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ أحب الناس إلى الله يوم القيامة، وأدناهم منه مجلسا: إمام عادل، وأبغض الناس إلى الله، وأبعدهم منه مجلسا: إمام جائر» رواه الترمذي.

## الإمام العادل في ظل الله

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه» رواه البخاري ومسلم.

## منابر النور للمقسطين الحاكمين بالعدل:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن -وكلتا يديه يمين- الذين يعدلون في حكمهم، وأهليهم، وما ولوا» رواه مسلم.

عن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال» رواه مسلم.

## القضاة ثلاثة:

وعن أبي بريدة عن أبيه رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «القضاة ثلاثة قاضيان في النار وقاض في الجنة: رجل قضى بغير حق يعلم بذلك فذلك في النار، وقاض لا يعلم فأهلك حقوق الناس فهو في النار، وقاض قضى بالحق فذلك في الجنة» رواه أبو داود.

## شأن المرأة المخزومية التي سرقت:

عن عائشة رضي الله عنها: أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ومن يجترئ عليه إلا أسامة حب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أتشفع في حدٍّ من حدودِ الله»؟ ثم قام فخطب فقال: «يا أيها الناس، إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد، وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها» رواه البخاري ومسلم.

## من خطبة للخليفة الراشد الصديق رضي الله عنه:

ولما ولي أبو بكر رضي الله عنه الخلافة قال: "الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أرجع عليه حقه إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله" رواه عبد الرزَّاق في مصنفه.

### شكوى النصراني المصري لعمر من ابن حاكم مصر:

وفي كنز العمال عن أنس: أن رجلاً من أهل مصر أتى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين عائذ بك من الظلم، قال: عذت معاذاً، قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته فجعل يضربني بالسوط ويقول: أنا ابن الأكرمين! فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم ويقدم بابنه معه، فقدم، فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب، فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر: اضرب ابن الأكرمين. قال أنس: فضرب فو الله لقد ضربه ونحن نحب ضربه، فما أقلع عنه حتى تمنينا أنه يرفع عنه، ثم قال عمر للمصري: ضع السوط على صلعة عمرو. فقال: يا أمير المؤمنين إنما ابنه الذي ضربني وقد استقدت منه. فقال عمر لعمرو: مذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً؟ قال: يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتني.

### اختصام مسلم ويهودي إلى عمر رضي الله عنه:

وعن سعيد بن المسيب رحمه الله: "أن مسلما ويهوديا اختصما إلى عمر رضي الله عنه، فرأى الحق لليهودي، فقضى له عمر به، فقال له اليهودي: والله لقد قضيت بالحق، فضربه عمر بالدرة وقال: وما يدريك؟ فقال اليهودي: والله إنا نجد في التوراة: ليس قاض يقضي بالحق إلا كان عن يمينه ملك وعن شماله ملك يسددانه ويوفقانه للحق ما دام مع الحق، فإذا ترك الحق عرجا وتركاه" رواه مالك.

### ومن عدل الفاروق أيضاً:

عن عطاء: قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأمر عماله أن يوافوه بالموسم، فإذا اجتمعوا قال:

(أيها الناس، إني لم أبعث عمالي عليكم ليصيبوا من أبشاركم ولا من أموالكم، إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم، وليقسموا فيئكم بينكم. فمن فعل به غير ذلك فليقم. فما قام أحد إلا رجل واحد قام، فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ عاملك فلانا ضربني مائة سوط. قال: فيم ضربته؟ قم فاقتص منه. فقام عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين

إنك إن فعلت هذا يكثر عليك ويكون سنة يأخذ بها من بعدك. فقال: أنا لا أُقيد وقد رأيت رسول الله يقيد من نفسه. قال: فدعنا فلنرضه. قال: دونكم فأرضوه. فافتدى منه بمائتي دينار. كل سوط بدينارين) طبقات ابن سعد ج٣ ص٢٩٣.

**من أقوال عمرو بن العاص رضي الله عنه:**

قال عمرو بن العاص: "لا سلطان إلا برجال، ولا رجال إلا بمال، ولا مال إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بعدل" أهـ

**الخليفة الاموي عمر بن عبد العزيز رحمه الله لأحد عماله:**

**تحصين المدن بالعدل:**

**وفي حلية الأولياء للحافظ أبي نعيم رحمه الله تعالى:** "كتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز إليه: أما بعد، فإن مدينتنا قد خربت، فإن رأى أمير المؤمنين أن يقطع لها مالا يرُمُّها به فعل. فكتب إليه عمر: "أما بعد، فقد فَهِمتُ كتابك وما ذكرت أن مدينتكم قد خُرِّبت، فإذا قرأت كتابي هذا فحصنها بالعدل، ونقِّ طُرُقَها من الظلم، فإنه مرمَّتُها، والسلام" أهـ

**قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى:** "إن الناس لم يتنازعوا في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة، ولهذا يروى: الله ينصر الدولة العادلة، وإن كانت كافرة، ولا ينصر الدولة الظالمة، ولو كانت مؤمنة" كتاب الحسبة: ص ١٦.

وفي الختام هذا غيض من فيض حول العدل في الإسلام في القرآن، الكريم والسنة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من خلفاء وملوك وسلاطين المسلمين حكموا العامل لأكثر من ١٢ قرنا.

مختارات من العدل والحاكم العادل د. هاني السباعي

# الحصاد المر لشيخ الأزهر طنطاوي

د. هاني السباعي

قال الشاعر:

والشيخ لا يترك أخلاقه **حتى يُوارَى في ثرى رَمسه

إذا ارعوى عاد إلى جهله **كذي الضنى عاد إلى نُكثه

لقد مثل قائل هذه البيتين: صالح بن عبد القدوس المتهم بالزندقة أمام الخليفة العباسي المهدي فلما خاطبه أعجب بغزارة أدبه وعلمه وحسن بيانه وكثرة حكمته فأمر بتخليه سبيله، فلما ولى رده.

وقال: (له ألست القائل: والشيخ لا يترك أخلاقه... البيتين؟)، قال: (بلى يا أمير المؤمنين)، قال: (فأنت لا تترك أخلاقك ونحن نحكم فيك بحكمك في نفسك.(

فحاكمه المهدي ثم قتله سنة ١٦٧هـ.

وتصداقاً لما سبق فإن شيخ الأزهر الدكتور سيد طنطاوي لا يترك أخلاقه وأفكاره التي ظهرت إلى العلن منذ أن صار مفتياً رسمياً إلى أن صار على سدة أعرق مؤسسة دينية في العالم الإسلامي... بل إن شيخ الزنادقة قديماً صالح بن عبد القدوس كان يخفي زندقته ويظهر التقشف والزهد ويكثر من المواعظ... أما الشيخ طنطاوي فقد جاهر بفتاوى لو كان المهدي حياً لكان معه شأن عظيم... ونظراً لخلو الساحة من الخليفة المهدي أو الهادي أو الرشيد أو حتى السلطان برقوق! فإن شيخ الأزهر طنطاوي يصول ويجول ويرتع في ساحة لا حامي لها... ولله في خلقه شؤون!

البداية؛ شيخ الهلال:

منذ سنوات كنت أجري حواراً مع فضيلة الدكتور "ع. م" لمجلة كنت رئيس تحريرها، وسألته عن سبب عدم قبوله لمنصب مفتي الديار؟ قال: (كيف أرضى لنفسي

أن أكون شيخ هلال! أطل على الناس في حلول شهر رمضان ومطالع الشهور والأعياد؟ كيف أرضى لنفسي أن أكون موظفاً تابعاً لوزير العدل، وقد استدعاني وزير العدل فعلاً وقلت له لي شروط لكي أقبل هذا المنصب، منها؛ أن يكون منصب الإفتاء مستقلاً عن وزير العدل وأن تكون دار الإفتاء هيئة مستقلة بنفسها تؤخذ فتواها على سبيل الوجوب والإلزام في المحاكم الجنائية وخاصة في عقوبة الإعدام وليس على سبيل الاستئناس والتوصية فقط.(!!

المهم أن وزير العدل استمع ولم يعلق، وكأنه سخر من مطالب فضيلة الدكتور "ع.م"، وظل منصب المفتي شاغراً بعد وفاة الشيخ عبد اللطيف حمزة سنة ١٩٨٥م.

وطفقت الدولة تمسح البلاد طولاً وعرضاً لعلها تجد عالماً أزهرياً واحداً يقبل أن يكون مفتي مصر! فلم يعثروا حتى وجدوا أخيراً ضالتهم في ٢٨ أكتوبر ١٩٨٦ بقبول الشيخ سيد طنطاوي منصب مفتي الديار المصرية...

وكانت بداية صعود نجم الشيخ طنطاوي بفتاواه المثيرة للجدل!

الطنطاوي مفتياً للديار المصرية:

دخل الشيخ طنطاوي دار الإفتاء التي أنشئت في سنة ١٣١٣هـ الموافق ١٨٩٥م، نفس الدار التي كان على سدتها؛ الشيخ حسونة النوواي؛ أول من تولى منصب الإفتاء من سنة ١٨٩٥ - ١٨٩٩... فكان ترتيبه الخامس عشر إذ تولى منصب الإفتاء من ١٩٨٦ - ١٩٩٦... نلاحظ أن كل المفتين السابقين قد تدرجوا في سلك القضاء الشرعي عدا الشيخ طنطاوي الذي كان أستاذاً جامعيا... وسطع نجم الطنطاوي في سماء الأزهر ببركة فتاواه: هذا حلال وهذا حلال!

الطنطاوي شيخاً للأزهر:

لقد أصدر السلطان العثماني سليمان القانوني فرماناً بضرورة تنصيب شيخ لأزهر يختاره العلماء يتفرغ للإشراف على شئونه الدينية والإدارية... وفعلاً تم اختيار الشيخ محمد بن عبد الله الخراشي المالكي الذي ينسب إلى قرية خراش في محافظة

البحيرة كأول شيخ للأزهر [١٦٥٦ - ١٦٩٠]... فبين شيخ الأزهر الخراشي وشيخ الأزهر طنطاوي ثلاثة وأربعون شيخاً على مدار ٣٤٨ عاماً.

المهم بعد وفاة الشيخ جاد الحق في ١٥ مارس ١٩٩٦ تم تعيين الدكتور سيد طنطاوي شيخاً للأزهر في ٢٧ مارس ١٩٩٦ رغم أنه كان في ذيل قائمة تضم أكثر من أربعين عالماً أزهرياً إذ تم تصعيده إلى رأس القائمة بقدرة قادر! طبعاً بقدرة تقارير أمن الدولة التي أثبتت أن الشيخ طنطاوي لا يرد يد لامس وخاصة يد رئاسة الدولة!!

ومن عجائب المقارنات الأزهرية: أن هناك تشابهاً بين شيخ الأزهر عبد الرحمن تاج [١٩٥٤ – ١٩٥٨] والشيخ طنطاوي... فالشيخ عبد الرحمن تاج يضرب به مثل العالم الذي يكون أداة في أيدي النظام؛ مثل العالم الذي باع آخرته بدنياه... فهو الذي أصدر فتواه الشهيرة بأحقية الدولة في التجريد من شرف المواطنة - سحب الجنسية - وكان يقصد اللواء محمد نجيب أول رئيس جمهوري لمصر بعد النظام الملكي!!

لكن شهادة حق: فإن الشيخ عبد الرحمن تاج يعتبر قطرة في محيط فساد شيخ الأزهر الحالي... حيث فاق أقرانه وأتى بفتاوى وأقاويل وأحكام لم يأت بها الأوائل!! فالشيخ طنطاوي يفصل الفتاوى حسب المقياس الرسمي للدولة!!

وهذه عينة من فتاوى وسلوكيات شيخ الأزهر طنطاوي:

أفتى طنطاوي بجواز التحاق الفتيات إلى الكليات العسكرية والإلتحاق بالجيش!!

أفتى بجواز تحويل الرجل إلى أنثى بشرط الضرورة الطبية.

أفتى بأن تطبيق الشريعة الإسلامية يحتاج إلى وقت طويل يصل فيها الجميع إلى القناعة.

بارك توصيات مؤتمر المرأة في بكين وقال إن مطالب مؤتمر بكين الخاصة بالمساواة بين الرجل والمرأة لا تتعارض مع الشريعة الإسلامية!!

أيد طنطاوي الدولة في إغلاق بيوت الله وخاصة الزوايا والمساجد الصغيرة التي كان يتردد عليها بعض أفراد الجماعات الإسلامية.

أيد قرار رئيس الجمهورية بإحالة أعضاء الجماعات الإسلامية إلى المحاكم العسكرية!!

لم يطالب الدولة مرة - ذراً للرماد - أن تلغي قانون الطوارئ... كما لم يطالب الدولة صراحة بتطبيق الشريعة الإسلامية وقت أن كان مفتياً إلى أن صار شيخاً للأزهر!!

في عام ١٩٩٥ عندما كان مفتياً قام بزيارة إلى أمريكا بمصاحبة القس "صموئيل حبيب" رئيس الطائفة الإنجيلية... وتم حصوله على الدكتوراه الفخرية من جامعة "وستمنستر" بولاية بنسلفانيا!!

أما أهم فتاواه، فهي:

إباحته للربا وهي الخاصة بشهادات الاستثمار وصناديق التوفير حيث أفتى بأن المعاملات فيها جائزة شرعاً.

وفي حرب الخليج ١٩٩٠ كان بوق النظام الرسمي... وقد كان في صف الكويت والسعودية حسب الدور المرسوم له من الدولة!! بل إنه ذهب بنفسه إلى السعودية لزيارة القوات المصرية في حفر الباطن!! وأيد الاستعانة بقوات أجنبية وقال بجواز ذلك شرعاً!!

نقل الشيخ صادق العدوي من خطابة مسجد الجامع الأزهر إلى مسجد النور بالعباسية ليتولى الخطابة مكانه نظراً لشعبية الشيخ العدوي المتزايدة وكثرة انتقاده للدولة.

أعلن أنه على استعداد لزيارة فلسطين إذا دعاه ياسر عرفات رغم علمه بأنه لزام عليه أن يحصل على تأشيرة من الكيان - إسرائيل-

وافق على منع كبار علماء الأزهر من الخطابة إلا بتصريح من وزارة الأوقاف.

منع إعادة طبع فتاوى الشيخ جاد الحق لأن بعضها لا يتفق مع فتاواه.

تسبب في قطع أرزاق نحو ألفي داعية أزهري من جبهة علماء الأزهر من إدارة الوعظ والإرشاد بمنعهم من ارتقاء المنابر وقصر ذلك على موظفي وزارة الأوقاف.

كان دائم التردد على أندية "الليونز" بمصر الجديدة وغيرها، وهي أندية مشبوهة تديرها شبكات يهودية بهدف السيطرة على العالم والقضاء على الأديان وإشاعة الفوضى الأخلاقية وتسخير الشباب للتجسس على بلادهم... ذكرت جبهة علماء الأزهر التي أسست في ١٩٤٦م أن هناك فتوى صادرة من الأزهر في مايو ١٩٨٥ تحرم على المسلمين الانتساب تلك الأندية؛ أندية "الليونز" و "الروتاري."

أفتى بأن الفلسطينيين الذين يقومون بتفجير أنفسهم ضد أهداف مدنية إسرائيلية ليسوا شهداء... ردت عليه جبهة علماء الأزهر تحت عنوان "تبرئة وبيان" اعتبرت فيه منفذي العمليات الاستشهادية في فلسطين أنهم أفضل الشهداء، وجواز قيام الفلسطينيين بتفجير أنفسهم، لأن إسرائيل دار حرب وجميع أهلها أهل حرب ولا حرمة ولا عصمة لدمهم.

وافق على قرار وزير التعليم بمنع دخول المحجبات المدارس إلا بعد موافقة ولي الأمر.

أفتى الشيخ نبوي محمد العش رئيس لجنة الفتوى بالأزهر بتحريم التعامل مع مجلس الحكم العراقي لأنه مجلس غير شرعي وأسسه الاحتلال وأن من يتعامل معه يخالف شرع الله.

زار ديفيد ولش السفير الأمريكي بالقاهرة شيخ الأزهر معترضاً على الفتوى. ثم في ٢٩ أغسطس ٢٠٠٣ أصدر طنطاوي قراراً بإيقاف الشيخ العش عن العمل ونقله إلى منطقة نائية في أطراف الدلتا بمصر. ولم يكتف الشيخ بذلك بل أعلن أن الأزهر مؤسسة مصرية وليس مؤهلاً للفتوى.

أصدر قراراً بإقالة الشيخ أبي الحسن رئيس لجنة الفتوى السابق بالأزهر بسبب تصريح له بأنه لا يجوز مد يد العون للعدوان الأمريكي على العراق ودعا إلى الجهاد ضد هذا العدوان.

أحال عالمين ضريرين - هما الدكتور إبراهيم خليفة رئيس قسم التفسير بكلية أصول الدين، والدكتور حسن محرم أستاذ العقيدة بنفس الكلية - إلى التحقيق بتهمة توزيع منشورات تسئ إلى مقام الإمام الأكبر شيخ الأزهر!!

استصدر قراراً من محافظ القاهرة يحمل رقم رقم ٣١٨ لسنة ١٩٩٨م بحل جبهة علماء الأزهر وتعيين إدارة موالية له.

التقى حاخام إسرائيل الأكبر "مائير"، ومن قبله سفير إسرائيل في مصر.

تحت مسمى تطوير الأزهر؛ أيد القانون الذي يقلص سنوات الثانوي الأزهري من أربع إلى ثلاث سنوات.

أحال الدكتور إبراهيم الخولي والدكتور محمود حماية إلى التحقيق وكذلك الدكتور يحيى إسماعيل الذي غادر مصر إلى إحدى الدول العربية الذي لاحقه شيخ الأزهر قضائياً... كل ذلك بسبب معارضتهم لفتاواه الضالة!

قال؛ أن المرأة تصلح أن تكون رئيسة للجمهورية وأنها تتمتع بالولاية العامة التي تؤهلها لشغل المنصب.

فتوى صك غفران لوزير الداخلية الفرنسي "نيكولاس سركوزي" ورئيسه "شيراك"؛ من حقهم سن قانون بحظر الحجاب!! افعلوا ما شئتم بالمسلمين فقد غفر لكم شيخ الأزهر!! أما مسلمات فرنسا فإما أن يخلعن الحجاب ويدخلن في دين الملك... فأهل فرنسا أدرى بشعابها! وإما أن يرحلن عن فرنسا أو يشربن من نهر السين أو البحر المتوسط!

## صفوة القول

خلاصة القول في الشيخ سيد طنطاوي؛ أنه اختير بعناية من قبل النظام... وكان رجل المرحلة التي تمر بها الدولة المصرية المأزومة دائماً!! والدولة لم تقصر معه فالرجل جاء من صعيد مصر شبه معدم مادياً والآن صارت له قصور ولأبنائه.

اللهم لا اعتراض، إلا سؤال برئ على الطريقة العمرية: من أين لك هذا يا شيخ الإسلام!! قد يفسر هذا سر انبطاح الطنطاوي لكل رغبات الدولة... بل إن الرجل نظراً لزلة ما صار يعمل آلياً إذ لديه قرون استشعار عجيبة يعرف بوصلة الدولة أين تتجه! فيفتي بدون طلب على طريقة: اللبيب بالإشارة يفهم! وهو لبيب جداً في هذا المجال!!

إن الشيخ طنطاوي يتصرف مع علماء الأزهر بأخلاق زعيم عصابة... أخلاق جلاوزة التعذيب وليس أخلاق الشيوخ؛ حملة مصابيح الهدى!!

يجب أن يحاكم هذا الرجل تاريخيا وشرعياً؛ لمخالفته لما هو معلوم من الدين بالضرورة ولضربه صريح النصوص القرآنية عرض الحائط، ولولائه لأعداء الأمة الإسلامية، ولاستهزائه بعلماء الإسلام والتنكيل بهم لحساب قوى الشر... مع حسابه عن استغلاله لنفوذه في تكوين ثروة توجب المساءلة...

لزام على علماء الأزهر أن يتصدوا لهذا الرجل لأنه صار منكراً يجب دفعه شرعاً وعقلاً بالطرق المتاحة قدر المستطاع.

للأسف الشديد؛ لقد كان تصدر هذا الرجل لأعرق مؤسسة دينية في العالم الإسلامي السني إهانة بحق لتاريخ هذه المؤسسة، وإهانة مضاعفة لكل مشاعر المسلمين في أنحاء المعمورة... فالطنطاوي لم يكن أهلاً لمنصب الإفتاء، ولم يكن جديراً بمنصب شيخ الأزهر!!

فالأزهر ليس مؤسسة مصرية فحسب بل هو مؤسسة عربية وإسلامية لكل المسلمين في سائر أنحاء العالم الإسلامي.

لكن الأزهر الشريف في عهد شيخ الإسلام الطنطاوي! صار عتبة مقدسة لبني صهيون، وكعبة مشرفة لساسة البيت الأبيض وقصر الإليزيه!! ومرتعاً لكل من هب ودب من جواسيس العالم!!

صار الأزهر ودار إفتائه في عهده الميمون! بورصة فتاوى... صعوداً وهبوطاً حسب مزاج الدولة وتوجهاتها!

في عهد شيخ القصر الجمهوري طنطاوي! تصرخ مآذن الأزهر وأروقته وجدرانه على لسان شاعر النيل حافظ إبراهيم:

مَنْ المداوي إذا ما علةٌ عرضتْ ⁂ من المدافعُ عن عرض وعن نشبِ

ومنْ يميطُ ستارَ الجهل إن طُمستْ ⁂ معالمُ القصد بين الشك والرّيَبِ

لقد اختطف طنطاوي الأزهر وحبسه في أحد أزقة القاهرة الضيقة... الأزهر العملاق الذي كان يثور على قوى الظلم والبطش وكان معقل الثوار ودرب المجاهدين... حبسه الطنطاوي في قمقم؛ مفتاحه في يد نظام فاسد متآمر آيل للسقوط لا يرقب في أمة العرب والإسلام إلا ولا ذمة!!

من عجائب الدهور حقاً أن يكون على رأس مصر ناطور خشبي وعمامة خشبية، وصدق المتنبي إذ قال:

وكم ذا بمصر من المضحكات ⁂ ولكنه ضحك كالبكا

# تسريح الجيوش العربية ضرورة شعبية

د. هاني السباعي

قديماً قال الشاعر:

كيف تنام العين ملء جفونها *** على هبوات أيقظتْ كل نائم

فكيف تنام العين ملء جفونها على نيران وحمم تصب على العجائز والأرامل والنساء والولدان في العراق.. كيف تنام العين ملء جفونها وبغداد التاريخ والحضارة وفردوس العرب والمسلمين يستأصل أهلها وتهدم مساجدها وتحبس مآذنها وتمزق مصاحفها.. وكيف تكتحل العين بنوم وبلد أبي الأنبياء يدنس ترابها.. فلم تنم أعين الشرفاء في بقاع الأرض خرجوا في تظاهرات عارمة مزمجرة منددة بالعدوان الغاشم الظالم على العراق وتاريخه.. لكن الجيوش العربية نائمة في سبات عميق نوم أصحاب القبور!!

الشعوب تسأل متى تتحرك هذه الجيوش الجرارة؟ وما الوقت المناسب الذي يخرج المارد من قمقمه؟ ومتى يتمخض الزلزال وتتحرك الجيوش لتدافع عن أراضي العرب والمسلمين في العراق وفلسطين؟!

ألم تحرك مشاعر هذه الجيوش طائرات البي ٥٢ وصواريخ كروز والقنابل العنقودية ذكية وغبية وهي تصب جام حقدها على أطفالنا ونسائنا وأهلينا في العراق؟!

هذه الجيوش التي تستنزف أموال هذه الأمة المنكوبة دائماً بزعم شراء الأسلحة التي ستحمي أمن الأمة... هذه الجيوش التي لا يعرف الشعب عن حجم ميزانيتها بزعم أن هذا من أسرار الأمن القومي.. والشب ساكت صامت صبور كيف يجرؤ على سؤال أهل الحكم عن هذه الأموال؟!! كيف نتكلم عن جيشنا المغوار؛ حماة الديار والذمار وتحرير الصبايا الأحرار!! معاذا الله أن نسأل ما ليس لنا به علم!! هذه الجيوش

صارت لحماية الأنظمة المنبطحة لحماية حفنة من الحكام: الزعيم المهزوم دائماً والرئيس المسخوط والقائد المخبول والملك طويل العمر قصير النظر.. والملك المفدى: عقلة الصباع (الأصبع)! ولحماية الأربعين حرامي من حاشية هؤلاء الحاكمين!!

هذه الجيوش المتورمة في العالم العربي والإسلامي لم تعد تصلح لحماية أرض أو عرض أو حتى حماية أنفسهم!! فعلى سبيل المثال تعداد الجيش المصري يصل إلى نصف مليون جندي تقريباً بجميع أقسامه: مشاة/مدرعات/بحرية/دافاع جوي/قوات جوية/ استطلاع /مظلات/ قوات صاعقة وما أدراك ما الصاعقة! قوات تأكل الثعابين وتشرب مياه المجاري يعني شغل الحواة!! ومن وراء ذلك حرس جمهوري وأمن قومي ومخابرات عامة ومخابرات حربية ومخبر لكل مواطن هلم جرا!!

فمتى يتحرك هذا الجيش ويوجه مدافعه إلى أعداء الأمة ويتجه إلى العراق ويمر على فلسطين ليدافع بحق عن أمته.. ويسترد في طريقه سيناء كاملة السيادة.. وأم الرشراش وبقيا الوطن السليب.. بدلاً من تصويب أسلحته نحو شعبه!! نسمع جعجعة ولا نرى طحناً!!

أما قوات الأمن الداخلي التي تتبع وزارة الداخلية؛ حوالي مليون موجهة آلاياتهم؛ بنادقهم وعصيهم وجواسيسهم ضد أبناء الشعب الذي يقتطع من قوته لإطعام هذه القطعان من قوات الأمن المركزي وقوات مكافحة الشعب وليس الشغب.. هذه القوات التي يندس أفرادها بين المتظاهرين ليشعلوا النيران في بعض السيارات ويحدثوا فوضى لإفساد التظاهرات بتخطيط طبعاً من دراكولات مباحث أمن الدولة الذين يتلذذون بتعذيب الشعوب وتلفيق القضايا للأبرياء..

والمرء يتساءل: كيف يقوم هذا الجندي بضرب هؤلاء المتظاهرين الذين خرجوا ليرفعوا رأس أمتهم عالياً رافضين الضيم والظلم.. كيف ينهال هؤلاء بهراواتهم وعصيهم بل الضرب في سويداء القلب بالذخيرة الحية كما حدث في اليمن والسودان ومئات الجرحى في مصر وغيرها. هل يظن هؤلاء الضباط وأتباعهم من جنود أنهم معذورون.. لا وألف لا.. (إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين)..

أعتقد أن هذا الورم الخبيث المسمى بطائفة أمن الدولة هم أس المصائب وهم أعين النظام الذي يجب أن تسمل.. وهذه الجيوش التي تستأسد على شعوبها العزل وتستنوق لأعداء الأمة.. جيوش لم تحرك نخوتها أطفال الحجارة في فلسطين.. ولا صراخ العجائز في العراق.. جيوش حارسة لحماية أمن الكيان الغاصب لفلسطين.. باعت البلاد والعباد.. فهذه الجيوش صارت عقبة كأداء لنهضة هذه الأمة. إنها بحق جيوش لتخويف الشعوب وليس لأمنها.

جيوش تتجسس على الشعب في داخل الأوطان وخارجها.. وتعمل لصالح زعيم متآكل مهزوم دائما!! وتحمي أنظمة آيلة للسقوط.. جيوش مستأنسة نظراً لطول عملها في تربية الكتاكيت.. فبدل أن يفتخروا بصناعة الصواريخ صارت التقارير السنوية: تفتخر بأن الجيش نجح في تربية ٢ مليون كتكوت!! وتحسين الصرف الصحي!!

جيوش لحماية أنظمة (روبابكيا) خردة أكل منها الدهر وشرب!! أليس فيهم بقية من كرامة؟! أليس بينهم وبين إخواننا في العراق نسب من دين أو لغة أو أرض أو تاريخ مشترك أو حتى بقايا شفقة؟!! أليس منهم رجل رشيد؟!!

وإزاء هذه الحالة المستعصية لهذه الجيوش المقعدة نقترح أن تسرح هذه الجيوش من خدمتها.. وأن يصدر علماء الإسلام واللجان الشرعية والمؤسسات الدينية فتوى تعلن فيها أن هذه الجيوش خارجة على الشريعة والقانون فينبغي ألا يعامل هؤلاء الجنود معاملة المواطن الشريف وينبغي أن يزجر هؤلاء وأن يفرق بينهم وبين نسائهم ولا يصحح لهم بيعاً ولا نكاحاً وتبطل شهادتهم لأنهم مادة فاسدة و (غنغرينا) في جسد الأمة.. يجب أن يعاملوا معاملة أعداء الشعوب هم وحكامهم.. وهنا فقط تتحرر الشعوب..

مركز المقريزي للدراسات التاريخية مايو ٢٠٠٣م بعد احتلال العراق بشهر

# إذا نزلوا ساحة قتال أفسدوها

بقلم د. هاني السباعي

مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسولنا الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم.

**تقدمة:**

كنت أكفكف حدة قلمي حتى لا يكتب متأثراً بعاطفة قد تحيد عن الحق لا قدر الله تعالى! فآثرت السكوت علم الله أني كنت أتململ وأنا أتابع التعليقات والتعقيبات المتبادلة بين دولة الإسلام العراقية وبين بعض الفصائل الجهادية في الساحة العراقية أيضاً! ولم أشأ أن أستسلم لسلطان العاطفة لأن للعاطفة غير المنضبطة بالشرع دوراً في تشويش الأفكار والميل كل الميل مع الهوى! وكانت بعض الرسائل تردني من أماكن متفرقة تحثني على التعليق على ما يجري من أحداث! وكنت أتردد خشية أن يفهم كلامي أنني أزيد من أوار الفتنة! ثم إن إخوة فضلاء قاموا بالتعليق والرد والذب عن إخوانهم المجاهدين نسأل الله أن يكون دفاعهم وردهم وتعليقاتهم في ميزان حسناتهم يوم القيامة.

ورغم ما يقوم به هؤلاء الاخوة الأكارم من ردود طيبة إلا أني رأيت أن حبل الفتنة ممتد على الجرار! وقد استبان لنا أن هناك تنظيماً جديداً متعدد الروافد مستمر في غيه وعدوانه لطمس معالم الجهاد المبارك في أرض الرافدين! إذن فقد بلغ السيل الزبى! وجاوز الحزام الطبيين! فما عاد السكوت يجدي! وما عاد الصمت حكمة في مثل هذه المواطن! ومن ثم أطلقت لقلمي العنان محتسباً ما أكتبه لوجه الله تعالى ثم نصرة للحق وأهله! وقد جاء في سنن الترمذي وفي صحيح الجامع الصغير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة"

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلمك "انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً. فقال رجلٌ يا رسول الله أنصره إذا كان مظلوماً أفرأيتَ إن كان ظالماً كيف أنصره قال: تحجزه أو تمنعه من الظلم، فإن ذلك نصره". وفي صحيح الجامع: "كيف يقدس الله أمةً لا يأخذُ ضعيفها حقَّهُ من قويّها، وهو غير متعتعٍ".

ومن منطلق هذه الأحاديث الشريفة نسير في هذا المقالة على النحو التالي:

أولاً: حكاية من ماض غير بعيد: القصر الحسن.

ثانياً: الساحة الأفغانية.

ثالثاً: ساحة البوسنة والهرسك.

رابعاً: ساحة الشيشان المنسية.

خامساً: ساحة الصومال.

سادساً: الساحة الفلسطينية.

سابعا: الساحة العراقية.

ثامناً: **صفوة القول.**

أولاً: حكاية من ماض غير بعيد: القصر الحسن!:

هذه الحكاية باختصار عبارة عن حوار تم بين جدران زنزانة مكتظة بالمعتقلين الإسلاميين في سجن أبي زعبل بمصر عقب مقتل السادات عام ١٩٨١م وكانت جدران الزنزانة تضم بين جنباتها أفكاراً مختلفة لجماعات متعددة، وفي إحدى الليالي قام أحد الشباب وكان إخوانياً بإلقاء كلمة عقب صلاة المغرب؛ وذكر أن هناك قصراً حسناً منيفاً جميلاً وظل يصف سعة وحسن وبهاء القصر بأسلوب بلاغي شيق بحق! وظننا أنه يقصد الإسلام بهذا الوصف البديع لأنه المتبادر إلى الذهن! ثم بعد أن انتهى من وصف القصر وأخذ بقلوب الاخوة وهم يستمعون إليه بشغف! ثم استطرد قائلاً من دخل هذا القصر فقد فاز! ومن لم يدخله فلا يلومن إلا نفسه! إن هذا القصر حسن

كل ما فيه حسن لأن الذي شيده البنا حسن! هذا القصر هو الإخوان المسلمون!! فهاج الاخوة وماجوا وعلت الأصوات وتداخلت فلم يعد أحد يفهم شيئاً من اختلاط الأصوات! ثم هدأت العاصفة فقام العبد الفقير إلى ربه بإلقاء كلمة بسيطة وتوجهت بعدة أسئلة للأخ صاحب القصر الحسن! أنت قلت من لم يدخل هذا القصر فلا يلومن إلا نفسه! فما مصير من لم يدخله قبل ميلاد الشيخ حسن البنا رحمه الله؟! هل هم على الإسلام الصحيح أم هم أهل شرك أم هم أهل فترة! فضحك الاخوة لما قلت له: (أهل فترة)! .. ثم قلت له: وما مصير أبي وأمي ومعظم أهالي المسلمين الذين لم يتشرفوا بالدخول في هذا القصر الحسن؟! وما حكم من رفض وأصر على عدم الدخول في هذا القصر الحسن؟! ولماذا يلومون أنفسهم ألأنهم لم يدخلوا هذا القصر الحسن!

فلم ينبس ببنت شفة وظل يتعلل بأشياء غير صحيحة ورغم ذلك فيا للحسرة: لم يعتذر!

هكذا يختزل أنصار هذا التيار الإسلام في قمقم ضيق وزاوية صغيرة فطفق الإسلام العملاق حبيساً في ذلك القمقم! ولم يعد يستوعب الإسلام إلا أصحاب ذلكم القمقم! فصار الإسلام غريباً عن أهله! وأضحت عقيدة الولاء والبراء سلخاً مشوهاً لا يتعرف عليه الإسلام الذي بين دفتي المصحف وصحيح السنة المطهرة!

أضحت العاطفة لهذا الإسلام المهجن المستنسخ! هي الحكم! وصار هذا القمقم يتناسل إسلاماً أنبوبياً! وتم وضع هذا الإسلام الأنبوبي في حضانات خاصة لتقديمه للعالم على أن هذا المستنسخ الجديد هو الإسلام الحقيقي! سبحانك هذا بهتان عظيم! فليس لدى هذا الإسلام الأنبوبي المستنسخ مانع من أن يحكمه شيوعي/ملحد/نصراني/بوذي/شقي مريد/أي منحرف إلا الإسلام الذي بين دفتي المصحف!!

قد يقول قائل ما علاقة هذا بأصل الموضوع؟!

نقول هذا هو أصل الموضوع إن هذا التيار بروافده المختلفة وتحت مسميات متعددة هو الذي اختطف الإسلام الذي بين دفتي المصحف وصحيح السنة الشريفة! وهذا سبب تلك الفتن والإحن المتوالية على المسلمين والحركات الإسلامية المجاهدة

بصفة خاصة حيث يختزل أنصار هذا التيار الإسلام في جماعتهم! فصار الولاء للجماعة والبراء ممن يخالف الجماعة!! ومن ثم فإن من لا يسير على دربهم وفي أطرهم الفكرية والمنهجية فلن يقبل منه! مهما أوتي من العقيدة الصحيحة والبلاء المبين والجهاد المجرد لله رب العالمين! لماذا لا يقبل منه لأنه لا ينضوي تحت رايتهم!!

لكن قد يقول قائل: إن هذا التيار له بلاء وجهاد قديماً وحديثاً في فلسطين وبعض الساحات الأخرى والآن في العراق!!

أقول: نعم كان ولا يزال لهم في هذه الساحات الجهادية من الشباب الطيبين الذي يحبون هذا الدين العظيم! لكن المشكلة في الأدمغة المتنفذة في هذا التيار! هم الذين يحرفون جهاد الشباب عن مواضعه! ويستخدمون جهاد هؤلاء الشباب لمصالح حزبية ضيقة! فيتعطل الهدف من الجهاد فبدل أن يكون لإعلاء كلمة الله صار لإعلاء شأن الحزب أو الجماعة أو للحصول على كرسي في مجلس يشرع بغير ما أنزل الله أو لمنصب في وزارة تحكم بقانون الشيطان وليس بشريعة الرحمن!

وماذا فعل قادة هذا التيار في الساحات التي تواجدوا فيها: ماذا فعلت حماس الجزائر تحت قيادة الشيخ محفوظ نحناح! تحالفت مع العسكر الفرنكفونيين ضد إخوانهم (جبهة الإنقاذ) التي كانت تؤمن بمعظم أفكار جماعة حماس في الجزائر لكن لأنها لم تخرج في مدرستهم ولم تكن تحت رايتهم! تحالفوا مع العسكر وكافأهم جنرالات فرنسا بمناصب وزارية لا تسمن ولا تغني من جوع! ولا يزالون يهرولون! ويستمسكون بهذا الفتات!! أما عن حماس فلسطين فلها فقرة مستقرة في هذا الموضوع.. وحالياً أعلن عبر وسائل الإعلام عن تنظيم حماس العراق!! صار هذا الاسم (حماس) الذي كان مرحباً بها إبان الانتفاضة الأولى وحتى الثانية! صار له دلالة عكسية تماماً! يبشر بانقسام وتشرذم خطير على الساحة العراقية!!

أما عن جهادهم:

لقد شرع الله الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (البقرة:٢٤٤) وقوله تعالى (الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ

كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً) (النساء:٧٦) وكذلك قوله سبحانه(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (لأنفال:٣٩).

وبين لنا رسولنا الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم القول الفصل كما في صحيح البخاري: "عَنْ أَبِى مُوسَى قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِىِّ - صلى الله عليه وسلم - فَقَالَ الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَمِيَّةً وَيُقَاتِلُ شَجَاعَةً وَيُقَاتِلُ رِيَاءً ، فَأَىُّ ذَلِكَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ « مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِىَ الْعُلْيَا ، فَهْوَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ".

بل إن الله تعالى يقول لأوليائه المقربين ورسله الكرام: (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (الزمر:٦٥) ويبين لنا أنه لا ضمان لأحد بامتنانه بعمله الصالح ولو كان ذروة سنام الإسلام.. يقول سبحانه وتعالى: (ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (الأنعام:٨٨) المشكلة في هذا التيار أنه يريد أن يجمع بين متناقضين: فهم مع هولاكو وفي نفس الوقت مع صلاح الدين!! وكما نعلم أن المتناقضين لا يجتمعان! إلا عند هذا التيار طبعاً!! فهم مع المحتل وضد المحتل!! هم مع المحتل؛ حزب طارق الهاشمي وبطانته من الحزب الإسلامي (إخوان مسلمين)! وضد المحتل؛ بعض الفصائل المقاتلة في العراق المحسوبة على تيار الإخوان!!

إن عقدة هذا التيار أنه يعيش على أطلال الماضي والبكاء على ربعه الخالي! لم يعد يستوعب أن الأولاد الصغار قد كبروا وشبوا عن الطوق! وصاروا فقهاء وأئمة ولهم سواعد قوية يستخدمونها في سبيل نصرة هذا الدين! لم يستوعب أنصار هذا التيار أن هؤلاء الشباب صارت لهم تجربة رائدة وفريدة على مستوى العالم وكما كانت لهذا التيار حكايات وتجارب عن سجون الطاغوت ناصر والجلاد عبد الهادي وصلاح نصر وشمس بدران وصفوت الروبي وكبار جلادي العصر الناصري! الذين صار معظم هؤلاء الجلادين أصدقاء لقادة هذا التيار!!

وكذلك هناك حقائق من الهول والتعذيب في عهد الكفور السفاح حسني مبارك! وسجون أئمة الردة الذين يحكمون العالم الإسلامي!! وإذا كان أنصار هذا التيار قد ابتلوا في دولة أو دولتين!! فإن هؤلاء الفتية يعذبون في معظم سجون العالم السري والعلني بلا استثناء (باجرام/باكستان/قندهار/جوانتنامو/أبو غريب/سجون طواغيت العرب والعجم).. حملة بربرية لا نظير لها في التاريخ المعاصر ضد ثلة مؤمنة لا رباط بينها إلا هذا الإسلام العظيم أعني الإسلام الحقيقي الذي بين دفتي المصحف! وليس إسلام بين .. بين أو الإسلام الأنبوبي المستنسخ! فلا يستطيع أحد أن يزايد على صبر وبلاء هؤلاء الشباب الذين أعز الله بهم الإسلام!

نظرة الاستعلاء والكبر:

ينظر أنصار هذا التيار باستعلاء وأستاذية بل وازدراء إلى فكر وعمل هؤلاء الشباب لأنهم بكل بساطة لم يتخرجوا في مدرستهم!! يقولون عنهم إنهم قلة وهم التيار الغالب والسواد الأعظم والفكر الوسطي المعتدل! وفكرهم فكر جمهور الفقهاء (يقصدون فقهاءهم) على طريقة بعض العلماء قديماً! هذا إجماع العلماء في مسألة فقهية ما! والحقيقة أنه يقصد إجماع علماء مذهبه!!

فإذا كان هؤلاء الشباب قلة غير منضبطة على حد زعمهم؟! فلماذا هذه الحرب الضروس ضد قلة منبوذة؟! ولماذا كل هذا التشنيع والتحريض ضد هذه الفئة الضالة حسب مقياس خادم الحرمين!!

هذا يذكرنا بقول فرعون زعيم الفراعين وقدوتهم في كل زمان ومكان:

(إِنَّ هَـؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ) (الشعراء:٥٤) (وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ) (الشعراء:٥٥).. طالما أنهم شرذمة قليلون! فلماذا كل هذا الاستنفار والجيوش الجرارة يا أيها الفرعون؟ تخيلوا الفرعون الذي يقول لأهل مصر (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَـهٍ غَيْرِي) (القصص:٣٨) ويعلنها صراحة (فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) (النازعات:٢٤).. يقود هذا الرب المزور!! الجيوش بنفسه ويستنفر رعيته جمعاء لقتال شرذمة قليلين!! يقصد نبي الله موسى عليه السلام ومن معه!!

هذا هو عين منطق الاستكبار والاستعلاء في الأرض وإن كان ممن ينتسب صاحبه لهذا الدين الحنيف!

فليتق الله قادة هذا التيار في هؤلاء الشباب الذين هم مصابيح هذا الزمان وكواكبه وليتأملوا قول الشاعر:

وَمَنْ هاب الرجالَ تهيبوه *** ومنْ حَقَرَ الرجالَ فلن يُهابا

وأصفح عن سباب الناس حلماً *** وشرُ الناس مَنْ يهوي السبابا

أُحبُّ مكارم الأخلاق جَهدي *** وأكره أنْ أعيبَ وأنْ أُعابا

ثانياً: الساحة الأفغانية:

أفغانستان أم التجارب بحلوها ومرها! ورغم ذلك فقد خرج من رحمها الخير العميم! وهذه التجربة جديرة بالتأريخ المجرد عن الهوى وقد يتطلب ذلك جهداً جماعياً تعاونياً لكن نظراً لانشغال من بقي على قيد الحياة من أبطال هذه التجربة في مقارعة أعداء الأمة فإن هناك ثغرات وفجوات تحتاج إلى شهادة لتكتمل الصورة الحقيقية لهذا التجربة الجهادية الفريدة التي كانت الانطلاقة الكبرى نحو العمل الجهادي الأممي!

لقد دخل هذه الساحة أفراد وجماعات وتيارات مختلفة تحت راية الإسلام.. وهذه الساحة التي جمعت بين كثير من المتناقضات! إذ لم يغب عنها شياطين الإنس من أجهزة الاستخبارات وأوكارها التي كانت مرابطة في مدينة بيشاور على الحدود الأفغانية! وقد تلاقت إرادات كل هذه المتناقضات على قتال الشيوعيين ودحرهم بدون ترتيب سابق! فشباب العالم الإسلامي استجابوا لنداء الجهاد بمحض إرادتهم ولا علاقة لهم بأية أجهزة استخباراتية في العالم؛ فلم يمولهم أو يدربهم أحد وكانوا يعتمدون على خبرات بعض القيادات الجهادية من ضباط سابقين في بعض الجيوش العربية وقاموا بإنشاء معسكرات بسيطة لتدريب الشباب قبل توجههم إلى ساحات القتال في قلب أفغانستان!

وكانت الساحة مفعمة بروح الجهاد الذي يملأ قلوب الشباب الذين قدموا من كل حدب وصوب، وكان لأهل الجزيرة في الحجاز واليمن ودول الخليج السبق

بأنفسهم وأموالهم! وطفق الشباب والشيوخ يأتون إلى هذه الساحة الجهادية من مشارق الأرض ومغاربها!

وفي ظل هذا المناخ المعطر برائحة البارود والأخبار المتوالية عن العمليات البطولية وقصص الشهداء الذين قتلوا في ساحات الجهاد في أفغانستان! كان هناك تيار وفد على الساحة لدعم المجاهدين الأفغان عن طريق تشكيل هيئات إغاثة تعنى بالأدوية والأطعمة والتدريس ولإقامة مخيمات للاجئين الأفغان في بيشاور وغير ذلك من خدمات! وكانت الحكومات العربية لا تمانع في ذلك الوقت لأن أمريكا والغرب كانوا يرغبون في القضاء على الاتحاد السوفييتي المقبور! فكانت نقابة الأطباء المصرية لها الريادة في هذا المجال واستطاع أنصار التيار (الإخوان) أن يقيموا بعض المراكز البحثية في محاولة منهم في دراة واحتواء الساحة ونشر فكر (القصر الحسن)!

باستثناء الشيخ الشهيد نحسبه كذلك كمال السنانيري عام ١٩٨١م ، والشيخ الشهيد نحسبه كذلك الدكتور عبد الله عزام عام ١٩٨٩م، لأنهما يحتاجان لدراسة خاصة ولا نريد أن نتشعب بالموضوع لأننا بصدد الحديث عن المنهج العام لهذا التيار الوسطي! بصفة خاصة! لأنه بكل صراحة فإن ساحة القتال والمعسكرات كانت مكتظة بآلاف الشباب في الوقت الذي كان شباب الإخوان يستمتعون بالمعسكرات الترفيهية الصيفية والمتابعة من بعد والانشغال بالانتخابات الطلابية والنقابية والتشريعية والاستقرار الجامعي والتعليمي والوظيفي!! في الوقت الذي كان الشباب غير المنتسبين لهذا التيار المسمى بالوسطي! يبيتون على الطوى في جبال وكهوف أفغانستان! كانوا يبيتون على أزيز الطائرات والقنابل العملاقة التي كانت تدك معسكراتهم! وفي الوقت الذي كانت قوافل الشهداء تصعد إلى سماء أفغانستان! كانت هناك قوافل أخرى تصعد إلى شواطئ الإسكندرية ومعسكرات النزهة!

لم يكن الإخوان وحدهم:

وإحقاقا للحق فلم يكن الإخوان وحدهم الذين يحاولون احتواء الساحة! فقد كانت المخابرات السعودية في غاية النشاط عن طريق تركي الفيصل مدير المخابرات

في ذلك الوقت واستطاعوا أن يزرعوا بعض الأشخاص في قلب الساحة الجهادية وكونوا علاقات حميمة مع جماعة أحمد شاه مسعود عن طريق الصحفي (ج ق)الذي كان يعمل في جريدة الحياة ثم عينوه مستشاراً إعلامياً في السفارة السعودية في دولة غربية وله الآن مجلة يديرها!! كان هذا الشخص صديقاً حميماً لمسعود!! وكان يرتدي زي المجاهدين ويتقن مصطلحاتهم!! ولله في خلقه شؤون!!

المهم أن أنصار التيار الوسطي جداً! كانوا يتلقون الركبان من أهل الثراء والخير الذين كانوا يقدمون للتبرع بأموالهم للمجاهدين! فكانوا يتلقونهم ويستضيفونهم ويحولون هذه الأموال مع الأسف الشديد! إلى فريق من المجاهدين بعينه (برهان الدين رباني/ مسعود/سياف) رغم أن سياف (اتحاد إسلامي) لم يكن له أتباع بحجم الجمعية الإسلامية غير أن سياف كان يحسن اللغة العربية وتم تلميعه وتقديمه على أنه شيخ المجاهدين ورمز الصمود! لماذا؟! لأن سياف كان قد تربى واقتنع بفكر الإخوان فصار الصورة المقبولة لدى وسائل الإعلام العالمية لدرجة أن الشعراء كانوا يتغنون بسياف:

سياف ألف تحية أهديكها *** من أرضنا من منبع الإسلام

وفي ذلك الوقت كان حكمتيار مغضوباً عليه من قبل هذا التيار لأنه ضد مسعود! مع العلم أن حكمتيار (حزب إسلامي) لم يكن في حاجة إلى أموالهم لأنه كان ممولاً من الحكومة الباكستانية ومن القبائل الأفغانية فكان أكثر تنظيماً وكانت له شعبية جارفة في أفغانستان! أما عن مضايف الوافدين المجاهدين ومعسكراتهم فلم يعبا بها هؤلاء (التيار الوسطي المعتدل جداَ)! لأنه بكل بساطة كانت لهم مضافات خاصة باعتبارهم من علية القوم!!

لكن العجب العجاب! أنهم ضنوا بشبابهم على الذهاب لساحات القتال في أفغانستان واكتفوا بالنشاط الإعلامي وإرسال بعض قادتهم لاستكشاف الساحة كما في زيارة المرشد الأسبق الأستاذ حامد أبو النصر! وكان له شريط مسجل في تلك الحقبة استنكره كثير من الشباب! وكان للصحف التي يملكونها أو تكتب بلسان حالهم مثل (الدعوة) (والاعتصام) و (لواء الإسلام) في مصر، والإصلاح الإماراتية، والمجتمع الكويتية! دور كبير في تغطية ما يجري في أفغانستان!

وهكذا كانت تتلاطم أمواج بشرية من خيرة الشباب وخاصة في الفترة من ١٩٨٦م إلى ١٩٩٠م على ساحل ساحة الجهاد الأفغاني من غير التيار الوسطي جداً! هؤلاء الشباب الذين حملوا مشعل الجهاد في أفغانستان ورووا بدمائهم الطاهرة جلال آباد وخوست وقندهار وكابل وهيرات وغيرها! فمعركة (جاجي) في سنة ١٩٨٧م شاهدة على البطولات الفذة للمجاهدين العرب! ومعركة جلال آباد التي استشهد فيها اكثر من سبعين مجاهداً عربيا من خيرة الشباب! ومعركة مأسدة الأنصار الشهيرة!

هؤلاء الشباب كانوا يقاتلون في جبهتين في وقت واحد في أفغانستان وكشمير! هؤلاء هم أنفسهم الذين وصفوا بقلة الفهم والتهور والجهل وفي النهاية تشويه الإسلام!

لقد تم إفساد الساحة الأفغانية بالريال السعودي عن طريق شق صفوف المجاهدين بتكوين أحلاف جديدة كما حدث للأسف مع (جمعية أهل الحديث) بقيادة الشيخ جميل الرحمن رحمه الله تعالى! حيث لم تكن الساحة في حاجة لأحزاب جدد!! وكان سياف يمول من كل هذه الجهات من السعودية وأنصار التيار الوسطي جدا

لما انهزم السوفييت وخرجوا من أفغانستان في عام ١٩٨٩م، وحوصرت كابل ثم سقطت الحكومة العميلة في كابول في عام ١٩٩٢م ودخل المجاهدون الأفغان مظفرين وشكلوا حكومة المجاهدين برياسة رباني! لم يطبق هؤلاء الأشاوس الشريعة الإسلامية التي كانوا يزعمون أنهم يقاتلون من أجلها وباسمها! فقد قام بخطوات في منتهى الغرابة تحالف مع الشيوعيين وعلى رأسهم عدو الإسلام السفاح المبير دوستم! وأثناء زيارته لمصر أعلن أنه على استعداد للقبض على المجاهدين المصريين وترحيلهم لبلدهم! رغم أنه لم تكن هناك أحداث عسكرية في مصر في تلك الفترة بهذا الحجم! وثالثة الأثافي أنهم تركوا عميل السوفييت نجيب الله في مقر الأمم المتحدة! ولم يطالبوا حتى بمحاكمته على ضوء الشريعة الإسلامية! وانشغل الاخوة الأعداء بالتحارب وجعلوا كابل وأفغانستان قاعاً صفصفاً! وانتشر قطاع الطرق ولوردات الحرب الذين عاثوا في أفغانستان فساداً! حتى قام الطلبان وكنسوا هذه العصابات المجرمة وشعر الشعب الأفغاني لأول مرة في حياته بالأمن والأمان وأن هناك حكومة حاسمة حازمة في تطبيق الشريعة ودليل

ذلك لما فتحوا كابل أخذوا نجيب الله وعلقوه على أعواد المشانق علانية أمام الشعب وأمام وسائل الإعلام المتواجدة في ذلك الوقت!

فماذا بعد؟! لقد هرب رباني ومسعود إلى وادي بنجشير! وفر دوستم إلى تركيا! وحكمتيار! إلى إيران!

وتربص الجميع بدولة طالبان الوليدة فقام أنصار التيار الوسطي جداً! بموالاة الشيوعيين السابقين وكانت لهم حظوة لدى موسكو وريثة الاتحاد السوفييتي المقبور! ووجهت لهم طلبان نداءات ووسطاء للرجوع والعيش في ظل الدولة الإسلامية الجديدة والتحاكم إلى الشريعة الإسلامية! فلم يكن من أنصار رباني وبطانته إلا التعالي والاستكبار والتحالف مع الاستخبارات الغربية وخصوصاً المخابرات الفرنسية التي كانت تتغنى ببطولة أسد بنجشير (أحمد شاه مسعود)! وكانت تغدق عليه بالعطايا وعلاج أنصاره في فرنسا وإرسال الممرضات الفرنسيات إلى المناطق الخاضعة لنفوذه إبان الغزو السوفييتي وحتى بعد هروب مسعود إلى وادي بنجشير!

صنم بوذا:

ثم كانت حادثة صنم بوذا الذي قامت الدنيا ولم تقعد بسببه! حيث قامت الأنظمة المرتدة المغتصبة للسلطة في بلاد المسلمين باستخدام أنصار هذا التيار في تشويه الطالبان واتهمهم بالتخلف والجهل ووصموهم بمفردات قاموس الازدراء لدرجة أن بعض الناس ظن أن الطلبان هم من عجينة يأجوج ومأجوج!! تطوع جماعة من علماء المسلمين بقيادة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي ومفتي مصر الأسبق نصر فريد واصل وآخرين! وسافروا لإقناع الملا عمر زعيم المتخلفين!! وكان في مخيلة هؤلاء العلماء الموهومين أنهم سيفحمون الطالبان وأن الطلبان سينبهرون بالأدلة الدامغة التي ستنهمر من عمائم هؤلاء الأشياخ! وكانت المفاجأة أن كوكبة العلماء رجعوا بغير الوجه الذي سافروا به! فلقد علمهم الطلبان دروساً في حسن الأدب وحسن المناظرة وحسن التمسك بالأدلة الشرعية وحسن الاعتزاز بالإسلام! فكانت النتيجة أن الحكومة المصرية أقالت الشيخ نصر فريد واصل من منصب الإفتاء بعد أن صرح لبعض وسائل الإعلام تفهمه للأدلة التي تعتمد عليها طالبان رغم عدم دفاعه عنهم!!

المؤامرة:

ثم كانت المؤامرة تتم على قدم وساق لإزاحة طالبان من سدة الحكم وكان برهان الدين رباني يعتقد أن الأمريكان سينصبونه حاكماً لأفغانستان! وأن سياف ربما يكون رئيس الوزراء! وأن الأمريكان سيقدمون لهم أفغانستان هدية لولائهم للأمريكان ولحربهم إخوانهم في الدين الذي يزعمون أنهم مستمسكون به! فماذا بعد؟! دمر الأمريكان أفغانستان! وجيء بتاجر دجاج! (كرزاي) لم يطلق رصاصة في حياته لقتال الروس وتم تنصيبه رئيساً لأفغانستان في حضور برهان الدين رباني وفهيم وسياف وتلكم العصابة التي أحلت قومها دار البوار! جلسوا صاغرين أذلاء وهم يستمعون إلى حامد كرزاي الذي صار أمثولة للعملاء الجدد وليحل محل أبي رغال في ضرب الأمثال! هكذا كان عاقبة الاستعلاء والتحالف مع أعداء الإسلام! ما ضرهم لو أنهم تحالفوا وانضووا تحت راية الطالبان! أليس رعي الإبل خير من رعي الخنازير! على حد قول المعتمد بن عباد في الأندلس قديماً!! وصدق الله العظيم في محكم التنزيل : (وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)(آل عمران:١٠١)..

ثالثاً: ساحة البوسنة والهرسك من ١٩٩٢م إلى ١٩٩٥م:

كالعادة قام المجاهدون بتلبية داعي الجهاد لنجدة إخوانهم في البوسنة والهرسك! وكانت ملحمة قتالية لقنت الصرب المعتدين دروساً في فنون القتال والشجاعة لم يعهدوها في خصومهم من قبل ! وكان الشباب يقطعون آلاف الأميال ويتجاوزون الفيافي والقفار ويعبرون قمم الجبال ويخاطرون بأرواحهم عبر البحار والسلاسل الجبلية الوعرة نصرة لدينهم المعتدى على حرماته! ونظراً للانتصارات التي شهدتها قرى وجبال ووديان سراييفو.. كان هناك تياران يتنافسان على احتواء هذه الساحة الجهادية الجديدة!

التيار الأول: الاستخبارات السعودية التي كانت ترسل بعض المشايخ بالأموال لدعم مسلمي البوسنة رغم أن هذه الأموال من تبرعات شعب الحرمين الذين كانوا يتبرعون بكرائم ونفائس أموالهم في كل ساحة جهاد! لكن الحكومة كانت تستغل هذه الأموال بزعم توصيلها بطرق قانونية ومن ثم كانت تتحكم في هذه الأموال وتفرض شروطها على

من يستفيد منها فكانت تهتم بعمل ملفات للشباب المجاهد في تلك المعسكرات تحت مسمى إعطاء رواتب لهم! والطلب منهم بكتابة وصاياهم لأن هذا مطلب شرعي! ليتعرفوا أكثر على طبيعة فكر هؤلاء الشباب وسهولة السيطرة عليهم إذا رجعوا إلى بلادهم! لذلك كانوا يطردون أي مجاهد مهما كانت حيثيته الشرعية من المعسكر إذا تكلم أو تناقش في قضية الحكم الشرعي في الحكومة السعودية؟ أو مجرد الحديث عن خادم الحرمين!! فكان الطرد والحرمان من المعسكر ويقطع عن هذا المسكين حق المبيت ويؤمر بالرحيل! وهم يعلمون أن الساحة البوسنية في غاية الخطورة وأن هذا المجاهد المسكين ربما يقع في الأسر أو يقتل شر قتلة على أيدي العصابات الصربية! وكان هذا من أسباب لجوء بعض هؤلاء الشباب بتشكيل كتيبة خاصة بهم لا تلتزم بمعونات الحكومة السعودية! هكذا تم إفساد الساحة عن طريق الريال السعودي!

أما عن التيار الثاني فهو المسمى بالتيار الوسطي المعتدل (تيار الإخوان) فكانوا يكتفون بالعمل الإغاثي بإرسال البطاطين والأدوية وغير ذلك من خدمات! ويضنون بشبابهم عن الذهاب إلى البوسنة حتى ولو بطريق غير مباشر بعيداً عن مراقبة الأنظمة! لكنهم كانوا يهتمون بالجهاد الأكبر في ساحات النقابات المهنية والمجالس التشريعية! ولسان حالهم لهؤلاء الشباب الذي ترك الأهل والأحباب وأحلام المستقبل تلبية لداعي الجهاد في سبيل الله! (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) (المائدة:٢٤)..

وتوالت المؤامرة على المجاهدين في البوسنة والهرسك حتى توقيع اتفاقية دايتون نسبة إلى بلدة في غرب أمريكا اسمها دايتون أوهايو في قاعدة حربية أمريكية عام ١٩٩٥م!! هذه الاتفاقية الجائرة باركتها وهللت لها وسائل الإعلام العربية الحكومية بتشف وحقد على الإسلام بزعم أن هذا الاتفاق يقضي على المجاهدين العرب من خلال تسليمهم إلى بلادهم ومن ثم القضاء عليهم من خلال الزج بهم في السجون!! وبالفعل تم تجريد كتيبة المجاهدين من أسلحتهم وتم تشريدهم وسحب الجنسية التي منحت لهم من قبل فصاروا بين قتيل وطريد ومسجون في جوانتنامو ومحاكمات ظالمة في البلاد التي يرحلون إليها! وكأنها ملحمة كتبت على هؤلاء المجاهدين أن تتخلى عنهم الأمة ويفر منهم قادة التيار الوسطي المعتدل!!

رابعاً: ساحة الشيشان المنسية:

هـذه الدولـة الصغيـرة التـي تحيـط بهـا قـوى الشـر جغرافيـا وسياسـياً تخـوض حروبـاً منذ أكثر من ستمائة عام ولا تجد ناصراً ولا معيناً من هذه الأمة التي تخلت عنها. سكانها ينقرضون ولم يستجب لنجدة هذا الشعب المظلوم إلا هؤلاء الشباب الذين ينظر إليهم بازدراء من قبل التيار الوسطي المعتدل! ذلكم التيار الذي يضن بإرسال أنصاره إلى مثل هذه الساحات! هؤلاء الشباب الذين كانوا ولا يزالون مفخرة هذه الأمة رووا بدمائهم الزكية أراضي القوقاز وقفقاسيا! رحمة الله على شهدائهم، ونصر الله مجاهديهم!

هناك كوكبة من الذين نعرفهم (خطاب/أبو الوليد الغامدي/أبو عمر السيف/هشام الحناوي) وهناك الكثير من المجاهدين العرب الذين لا يعلمهم إلا خالقهم! رحمة الله عليهم جميعا! هؤلاء الأبطال الذين اصطفى الله بعضهم وأبقى الآخرين منهم شوكة في حلوق أعدائهم! لم ينتسبوا إلى هذا التيار الذي صدع رؤوسنا بالوسطية والاعتدال!! وللأسف هم أبعد الناس عن الوسيطة والاعتدال خاصة مع مخالفيهم! فهذا شهيد الإسلام خطاب وإخوانه الأبطال الذين دوخوا الملاحدة الروس.. أين موقعه من التيار الوسطي المعتدل؟! خطاب الذي نذر نفسه رخيصة لله تعالى في ساحات الجهاد من أفغانستان إلى الشيشان! خطاب الذي أشفق على إخوانه المجاهدين العرب عندما كانوا يلحون عليه أن ينضموا إلى قوافل الأبطال في ملحمة الجهاد العظيم في الشيشان! خشي على هؤلاء المتطوعين من وشاية المنافقين الشيشان العملاء للروس لأنه يسهل التعرف عليهم بسبب لون بشرتهم السمراء! فلم يكن مندفعاً ولا متهوراً يبتغي بطولة زائفة! بل كان رحمه الله شفوقاً رحيماً رمزاً للبذل والعطاء وجعله الله سبباً في هداية والتزام كثير من الشباب الشيشاني!

ويذكرنا حالهم بقوله تعالى عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: (وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَناً أَلّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ) (التوبة:٩٢)..

فأين أنصار هذا التيار الذي يتحدى الحكومات الحالية بأنه يستطيع أن يملأ الشوارع والميادين بعشرات الآلاف من الشباب المؤيدين للوسطية المعاصرة وهم يتغنون بشعارهم الشهير (الجهاد في سبيل الله أسمى أمانينا)؟! فها هو ذا أسمى أمانيكم في الشيشان! الإجابة نعرفها جيداً؛ فطريق الجهاد شائكة! لكننا نؤكد على حقيقة مفادها: نعم الجهاد مر وصعب بحق لكن ثمرته أشهى من العسل المصفى!

خامساً: ساحة الصومال:

من منا لا يذكر غزو الصومال تحت ما كان يسمى بعملية إعادة الأمل التي بدأت في (ديسمبر) ١٩٩٢ تحت غطاء إيصال معونات إنسانية، إلى الشعب الصومال! ومن ما لا يتذكر الهزيمة الساحة للقوات الأمريكية خاصة عندما نقلت وسائل الإعلام خبر إسقاط المقاومة لطائرتي هليكوبتر من طراز "بلاك هوك" قتل فيها ١٨ أميركياً وجرح اكثر من ٧٣ آخرين .. ثم الصورة الشهيرة التي عجلت برحيل القوات الأمريكية وهروبها من الصومال، وهي صورة سحل جثة الطيار الأمريكي الذي كان أحد أفراد طاقمي الطائرتين في شوارع مقديشيو.. وبعد الهزائم المتلاحقة للقوات الأمريكية الغازية فر الجنود الأمريكان بجلودهم ورجعوا إلى ديارهم خائبين خاسرين بعد أن صدر أمر رئاسي بسحب القوات الأمريكية وكان ذلك في مارس ١٩٩٤م.

لكن الحلقة المفقودة في هذا الصراع هم الشباب الذين كانوا وراء انسحاب القوات الأمريكية وعلى رأسهم القائد الشهيد نحسبه كذلك الشيخ أبي عبيدة البنشيري الذي كان يلقب بقائد المجاهدين العرب في أفغانستان وكان رحمه الله شخصية مفعمة بالحب والحيوية والإخلاص بحيث لا يختلف على دماثة خلقه أحد من المجاهدين على تنوع مشاربهم..

أبو عبيدة البنشيري كان وراء كل هذه العمليات في الصومال ومعه مساعده القائد أبو حفص المصري الذي استشهد رحمه الله قندهار إبان الغزو الأمريكي لأفغانستان وكان أمير هؤلاء جميعاً الشيخ أسامة بن لادن الذي أكد عدة مرات في خطبه المسجلة أنهم أي تنظيم القاعدة طردوا الأمريكان وهزموهم في الصومال! والمتابع

للساحة الصومالية من ١٩٩٢إلى ١٩٩٤م يكاد يجزم أن هذه الساحة الجهادية كانت حكراً لشباب تنظيم القاعدة ولم يثبت أن وجد أي تنظيم جهادي آخر في هذه الساحة ولم يثبت أن وجد شخص واحد كان يقاتل في هذه الساحة ممن ينتسبون إلى ما يسمى بالتيار الوسطي المعتدل! رغم وفرة شبابهم وكثرتهم في معظم البلاد العربية والإسلامية!!

أما عن الوضع الحالي في الساحة الصومالية:

فها نحن أولاء نجد احتواء غريباً لشيخ شريف أحمد رئيس المحاكم الإسلامية وهذا الاحتواء يتم في دولة قطر الذي دعي إليه شيخ شريف أحمد ليصدر بياناً مشتركاً ويجلس فيه جنباً إلى جنب مع الخائن قاتل أبيه عدو الإسلام حسين عيديد الصغير! عيديد الذي يحمل الجنسية الأمريكية وسبق له العمل في صفوف قوات مشاة البحرية الأمريكية (المارينز) خلال حرب الخليج الأولى عام ١٩٩١م!! وهو أحد أمراء الحرب وصديق حميم لميليس زيناوي رئيس وزراء أثيوبيا ولكن لما تخلى عنه زيناوي ونصب غيره على رأس الحكومة العميلة! يحاول الآن التقرب إلى المحاكم الإسلامية بزعم الوطنية المفاجئة التي حلت في جسده ليقاتلوا عدوهم المشترك (أثيوبيا)!! وبالطبع كالعادة فإن قادة ما يسمى التيار الوسطي يرحبون بهذه الدعوات الماكرة!! بزعم توحيد المعارضة ضد الحكومة العميلة المؤقتة التي وصلت مقديشيو على متن الدبابة الأثيوبية الذي احتل أرض المسلمين ودنسها بمباركة طواغيت العرب والعجم! فمن وراء هذا البيان المشترك والجبهة الموحدة بين شيخ شريف أحمد وبين عيديد الصغير! للأسف الشديد وراء هذه الدعوة بعض المشايخ الكبار في قطر والخليج ممن ينتمون إلى تيار ما يسمى بالوسطية!! تحت حجة أن في هذا احتواء للمحاكم الإسلامية من أفكار المتشددين كتنظيم القاعدة ومن يتقارب مع أفكارهم! كما أن هذا الاحتواء سيرفع الحرج عن قيادات التيار المسمى الوسطي وشبابهم! وأنه لا ضرورة لخوض أنصارهم وشبابهم القتال بأنفسهم ويكفي القتال بالوكالة على طريقة.. (فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) (المائدة:٢٤)..

سادسا: الساحة الفلسطينية:

لن أخوض في تفاصيل الساحة الفلسطينية كثيراً ولكن أود أن أشير إلى النقاط التالية:

(أ) ليس كل من حمل البندقية وقاتل ينال شرف لقب مجاهد في سبيل الله! وإلا اعتبرنا نمور التاميل في سيريلانكا مجاهدين في سبيل الله خاصة أنهم أسبق من الجماعات الجهادية التي كانت تفجر نفسها في صفوف أعدائها!

ولو أن كل من يحمل بندقية أطلقنا عليه مجاهداً في سبيل الله فسنعتبر ثوار الكونترا في نيكاراجوا مجاهدين بررة وهم الذين اخترقتهم المخابرات الأمريكية حسب رأي أحد الباحثين، ووظفتهم على يد سفيرهم هناك (نيجرو بونتي) في سنة ١٩٨٥م هؤلاء الثوار الذين أثاروا الذعر والهلع والفوضى في بلادهم تماماً كما فعلت أميركا مع عصابات فتح الفلسطينية التي اخترقتها المخابرات الأمريكية وجعلتها تفعل ما تقوم به عصابات الكونترا بزعم أنهم ثوار!!

(ب) لم نعد نفرق بين بندقية حماس ولا بندقية فتح ولا بندقية أبي علي مصطفى وغيرهم!! المشكلة أن قادة حماس (وهم محسوبون على ما يسمى بالتيار الوسطي)! اختطفوا حماس وإخلاص الشباب المنتسبين لجماعتهم ووظفوه لمكاسب حزبية ضيقة فصارت عمليات حماس أشبه بمن يبتز خصومه ويفرض عليهم الإتاوات وإلا قام بعملية قتالية معينة! فصارت البندقية في خدمة كرسي المجلس التشريعي! والعملية القتالية ضد العدو من أجل الحصول على حصة أو حقيبة وزارية! ومن ثم اختلط الحابل بالنابل ولم نعد نعرف ما المقصود بالجهاد في سبيل الله الذي هو ذروة سنام الإسلام! فيا للحسرة! لقد سارت حماس في طريق لم نكن نتمناه لهم! إنه السراب! لأن الذين كفروا وعدوا أنصارهم بالأماني وعيش رغيد وحياة كريمة! رغم أن الله تعالى بين لنا ماذا يملك الذين كفروا وبين لنا ما هي أعمالهم.. قال جل شأنه: (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (النور:٣٩).

(ج) بالنسبة لبعض الفصائل المنتسبة للتيار المسمى الوسطي! فإننا لاحظنا أنهم يجاهدون ويقاتلون فعلاً في أماكن محددة بعينها مثل فلسطين والعراق!! بحكم أنهم من أبناء تلك البلد التي غزاها المحتل! وهذا خير وبركة! لكن المشكلة أنهم لا يرسلون أنصارهم إلى ساحات أخرى مثل أفغانستان/ كشمير/ الشيشان/ الصومال/ البوسنة/ طاجكستان إلخ!! (أشبه بقتال من أجل الأرض)! وهذا يفسر لنا سر عدم تحمل الفصائل الجهادية في العراق أو حتى فلسطين أن يستحوذ غيرهم على الساحة! كما أنه يوضح لنا الرحلات المكوكية لقادة هذا التيار المسمى الوسطي وعرض أنفسهم على القبائل والحكومات بأن دعوتهم أنفع لهم من أنصار (دولة العراق الإسلامية)! أياً كان حجم هذه الدولة العراقية الإسلامية بإمارة الشيخ المجاهد أبي عمر البغدادي! حتى لو كانت مسيطرة على معظم محافظات العراق! طالما أنها لم تنتسب إلى هذا التيار الوسطي فإنه لزام عليها أن تختفي بأية وسيلة وإن كانت على طريقة ميكافيللي!!

(د) فحماس فلسطين لا تسمح لأي فصيل أن يستحوذ على الساحة وإن كان من أهل التوحيد وحملة القرآن الكريم طالما لم يتخرج في مدرستهم وهذا هو سر الفشل المستمر في الساحة الفلسطينية وعدم جلاء الراية الإسلامية ووضوحها!! ونظراً لأن هذا الموضوع يحتاج إلى دراسة مستفيضة فإننا نكتفي بهذا المقدار ونسأل الله أن يهدي قادة حماس وأن يعودوا إلى الاستمساك بكتاب الله المتين! ونسأل الله لهم أن يعودوا إلى عزة الإسلام لأنهم للأسف الشديد على خطر عظيم وليتأملوا قول الله تعالى: (الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً) (النساء:١٣٩).

سابعاً: الساحة العراقية:

بعد غزو العراق عام ٢٠٠٣م كانت بداية دخول المجاهدين العرب على يد رجل واحد! رجل كأنه أمة! إنه بطل الإسلام وضرغامه الشهيد نحسبه كذلك المقدام أبو مصعب الزرقاوي المظلوم في حياته وبعد مقتله!! الشيخ أبو مصعب الزرقاوي وضع اللبنات الأولى للعمل الجهادي التنظيمي في أرض الرافدين! سبحان الله! أبو مصعب

الزرقاوي كان ينظم الصفوف ويبني صرح التنظيم ويخوض المعارك بنفسه ضد القوات الغازية في نفس الوقت الذي كانت فيه بعض القيادات الإسلامية العراقية تائهة حائرة من هول الصدمة التي أحدثتها القوات الغازية في أنفسهم! ثم رأوا بأم أعينهم كيف كان يتحرك هذا الرجل أبو مصعب الزرقاوي رحمه الله تعالى في ربوع البلاد محرضاً أبناء العراق من أهل السنة على القتال وعلى القيام بواجبهم الشرعية وكان له القدح المعلى في معركة الفلوجة الباسلة! وكان في تلك الفترة يقاتل تحت مسمى تنظيم التوحيد والجهاد وكان الشيخ الجنابي يعرف ذلك جيداً وكان يتعاون معهم وقد ذكره الشيخان أبو مصعب وأبو انس الشامي رحمه الله تعالى بخير في بيانين لهما! وهذا ما أثار حفيظة المتابعين لإطلالة الشيخ عبد الله الجنابي وكنا نتوسم فيه أن ينصف إخوانه المجاهدين! والذي أدهشني بحق عدم ذكره للشيخ أبي مصعب الزرقاوي بأية كلمة ترحم! بل إنه ذكره في معرض التهكم عندما تكلم عن (حمراوي زرقاووي ..)!! لماذا نكران الجميل وكفران الأخوة أيها المشايخ الأجلاء!

وإلى من يفتري على دولة العراق الإسلامية نردد معهم قول الشاعر:

وهبكَ تقولُ هذا الصبحُ ليلٌ *** أيعمى العالمون عن الضياءِ

وإذا كان لنا من تعليق على هذه الأحداث الأخيرة فإننا نمسها مساً خفيفاً:

مما لا شك فيه أن هناك تناغما تم في الآونة الأخيرة ضد دولة العراق الإسلامية على النحو التالي:

(أ) جولات الشيخ حارث الضاري المكوكية إلى الدول العربية وحلوله ضيفاً لدى رؤساء هذه الدول! مع غمزه ولمزه في الدولة الإسلامية من طرف خفي وبالتصريح أحيانا! نفس هؤلاء الرؤساء الذين تآمروا على غزو الشعب العراقي وقتل أبنائه! نفس هؤلاء الرؤساء الذين كانوا يحتضنون المعارضة الشيعية التي تحالفت مع الأمريكان في احتلال عاصمة الرشيد! نفس هذه الفصائل الشيعية التي كانت معززة مكرمة في هذه الدول! وها هو ذا الشيخ الضاري يثق في نفس هذه الحكومات العميلة التي دمرت بلاده! وصدقت العرب في قولها: كيف أعاودك وهذا أثر فأسك!

(ب) حوار برنامج بلا حدود مع الدكتور إبراهيم الشمري الناطق الرسمي باسم الجيش الإسلامي! مع هجوم مباشر على دولة العراق الإسلامية! وصوته الذي يقطر منه الاستعلاء على إخوانه والتقليل من حيثية الشيخ أبي عمر البغدادي! وقد تكفل الاخوة الفضلاء بالرد والتعاليق على حوار الدكتور الشمري فلا داعي للتكرار.

(ج) ثالثة الأثافي: كانت المفاجأة الإعلان عن حوار مع الشيخ الجنابي فتنفسنا الصعداء وتوسمنا في الشيخ الجنابي خيراً نظراً لما سمعناه عنه في معركة الفلوجة الاولى والثانية! لكن للأسف الشديد كان حوراً مخيباً لآمال من توسموا في الشيخ خيراً! وكنت أربأ بالشيخ أن يصم هؤلاء الشباب الذين نحسبهم صفوة المسلمين ونخبتهم الذين يدافعون عن شرف الأمة! يصمهم بعقوق الوالدين وضرب الأم ومنهم من لا يصلي!! هؤلاء الشباب الذين باعوا أنفسهم رخيصة لرب العالمين يفعلون هذه الأفاعيل؟! وهب أن شخصاً قريباً لك تعرفه عق أمه أو لم يكن يصلي من قبل مثلاً؟! فلماذا تبرز هذا المثل السيئ! وما علاقة ذلك بدولة الإسلام وتنظيم القاعدة لكي تعمم هذا المثال عبر وسائل الإعلام حيث تختزل الصورة في أن دولة الإسلام عبارة عن جماعة من الأشرار الذين يضربون آباءهم! فإذا لم يكن لهم خير في أهليهم فهل سيرجى منهم الخير لأهل العراق وهل يصح أن يطلق على هؤلاء صفة مجاهدين في سبيل الله!! سامحك الله يا شيخ جنابي! أخشى عليك قول الله تعالى (وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً) (النساء:١١٢)..

(د) بيان تشكيل تحالف جديد باسم جبهة الجهاد والإصلاح يضم الجيش الإسلامي وفصائل متقاربة مع تيار ما يسمى بالوسطية!

ولنا تساؤل برئ: لماذا الآن؟! وفي هذا التوقيت؟! قد يقول قائل من حقهم أن يشكلوا حلفاً لقتال الأعداء! نعم يحق لهم ذلك! لكن لا يحق لهم أن يهاجموا اتحاداً قائماً قبلهم! ولا يحق لهم أن يعلنوا ازدراءهم وافتراءهم على إخوانهم!

هكذا يستطيع المتابع للأحداث الأخيرة أن يصل إلى نتيجة مفادها: هذا الأمر قد تُشور فيه في غير هذا المكان! أمر قضي بليل! وقد استطعنا أن نستخلص نتيجة مفادها

طالما أن الدولة الإسلامية لم تخرج من رحم التيار المسمى الوسطي المعتدل! فإنه لن يرضى عنها هذا التيار وبطانته! وستستمر حملة التشويه والازدراء على دولة العراق الإسلامية! ولكن نسأل الله أن يهدي الفصائل الجهادية المنتسبة أو المحسوبة على ما يسمى بالتيار الوسطي! إلى الحق! وان يفوتوا الفرصة على أعداء الأمة المتربصين بهم وبإخوانهم في دولة العراق الإسلامية الدوائر! نسأل الله أن يوحد صفوفهم على الحق وأن يلم شعثهم ويجمع كلمتهم وأن يسدد رميهم! وأن ينصرهم نصراً عزيزاً مؤزراً!

## صفوة القول

إن التيار المسمى بالوسطي المعتدل! ابتعد تماماً عن عقيدة الولاء والبراء! لذلك أثمر تخليه عن هذه العقيدة سلخاً جديداً لا يعرفه سلفنا الصالح هذا السلخ (الإسلام الأنبوبي المستنسخ)! إنه تيار يلعب بالنار! ويفرق جمع المجاهدين في الساحات التي يقارعون فيها أعداء الأمة ويبذلون مهجهم وأرواحهم دفاعاً عن هذا الدين العظيم!

فليحذر قادة هذا التيار من نقمة الله تعالى التي قد تحل بهم من فتنة في الدنيا وخزي في الآخرة.. قال الجبار جل وعلا: ( فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) (النور:٦٣).

مركز المقريزي للدراسات التاريخية بلندن ١٦ ربيع الثاني ١٤٢٨هـ

# هل يقال لمبتدع علاّمة!

د. هاني السباعي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. وبعد:

تقدمة:

يقول الله تعالى في محكم التنزيل: (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) المائدة آية رقم ٨.

وصل الى مسامعنا من منتسبي مركز المقريزي ما ورد في المنتديات في الأيام القليلة الماضية ورجاءهم مني أن أرد على الموضوع وهذا هو ردنا وبكل بساطة نوجهه إلى رجالات أهل السنة وشبيبتهم ونسائهم الغيورين على دينهم ،وإلى كل من يطلب الحق من ذوي البصائر.

وقبل أن أستعرض الرد على هذا القول أود أن أضيف أنني سأرد أيضاً على ما يثيره أحد المعترضين بغير حق! عن سبب حصولي على درجتي الماجستير والدكتوراة من الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية التي يشرف على إدارتها أساتذة شيعة! وهناك شبهة يرددها البعض ويعيدونها وهي عن ظهوري ومشاركتي العام المنصرم في محطة الكوثر الشيعية! وسيكون ذلك خلال استعراضي لموضوع الدكتور عباس مهاجراني! ورغم علمي أن قساة القلب لا يردعهم ردي ولا ينفعهم نصحي كما قال القائل:

إذا قسا القلبُ لم تنفعه موعظةٌ *** كالأرض إنْ سُبخت لم ينفع المطرُ

أما عن وصفي لرجل شيعي بالعلامة! فليس غريباً ولا بدعاً من القول للأسباب التالية:

أولاً: إن مثل هـذه الألقـاب والسـمات العلميـة كعلامـة وعالـم كبيـر وحبـر وعظيـم وغيرهـا لا علاقـة لهـا بصحـة أو عـدم صحـة اعتقـاد وصـلاح أو عـدم صـلاح الشـخص الموسوم بهـذا اللقـب سـواء كان هـذا الشـخص مسـلماً صالحـاً، أو طالحـاً، أو كافـراً كفـراً أصليـاً، أو مرتـداً!!

ثانيـاً: إذا قلنـا عـن شـخص مـا أنـه علامـة أو عالـم كبيـر! حتـى ولـو كان كافـراً! فإنـه مفهـوم بداهـة أنـه علامـة نابـغ بـارع فـي العلـم الـذي يتقنـه بغـض النظـر عـن قناعتـي بهـذا العلـم مـن الناحيـة العقديـة أو حتـى المعرفيـة وهـذا معلـوم لمـن يقـرأ فـي كتـب السـلف والخلـف! فقـد يكـون الرجـل معظمـاً وكبيـراً وحبـراً لـدى بنـي جلدتـه وقومـه! ومـن ثـم لا حـرج بمخاطبتـه بعظيـم القـوم وكبيرهـم أو حبرهـم.

فقـد روى البخـاري فـي كتـاب الاسـتئذان فـي صحيحـه: "عـن عَبْـدِ اللَّـهِ بْـنِ عُتْبَـةَ أَنَّ ابْـنَ عَبَّـاسٍ أَخْبَـرَهُ أَنَّ أَبَـا سُـفْيَانَ بْـنَ حَـرْبٍ أَخْبَـرَهُ أَنَّ هِرَقْـلَ أَرْسَـلَ إِلَيْـهِ فِـى نَفَـرٍ مِـنْ قُرَيْـشٍ وَكَانُـوا تِجَـارًا بِالشَّـأْمِ ، فَأَتَـوْهُ فَذَكَـرَ الْحَدِيـثَ قَـالَ ثُـمَّ دَعَـا بِكِتَـابِ رَسُـولِ اللَّـهِ - صلـى اللـه عليـه وسـلم - فَقُـرِئَ فَـإِذَا فِيـهِ « بِسْـمِ اللَّـهِ الرَّحْمَـنِ الرَّحِيـمِ ، مِـنْ مُحَمَّـدٍ عَبْـدِ اللَّـهِ وَرَسُـولِهِ إِلَـى هِرَقْـلَ عَظِيـمِ الـرُّومِ ، السَّـلاَمُ عَلَـى مَـنِ اتَّبَـعَ الْهُـدَى ، أَمَّـا بَعْـدُ » . أهـ (البخـاري الحديـث رقـم ٦٢٦٠).

وذكر البخاري أيضاً في كتاب التفسير من صحيحه:

عَـنْ عَبْـدِ اللَّـهِ بـن مسـعود- رضـى اللـه عنـه - قَـالَ جَـاءَ حَبْـرٌ مِـنَ الأَحْبَـارِ إِلَـى رَسُـولِ اللَّـهِ - صلـى اللـه عليـه وسـلم - فَقَـالَ يَـا مُحَمَّـدُ ، إِنَّـا نَجِـدُ أَنَّ اللَّـهَ يَجْعَـلُ السَّـمَوَاتِ عَلَـى إِصْبَـعٍ وَالأَرَضِيـنَ عَلَـى إِصْبَـعٍ ، وَالشَّـجَرَ عَلَـى إِصْبَـعٍ ، وَالْمَـاءَ وَالثَّـرَى عَلَـى إِصْبَـعٍ ، وَسَـائِرَ الْخَلاَئِـقِ عَلَـى إِصْبَـعٍ ، فَيَقُـولُ أَنَـا الْمَلِـكُ . فَضَحِـكَ النَّبِـىُّ صلـى اللـه عليـه وسـلم حَتَّـى بَـدَتْ نَوَاجِـذُهُ تَصْدِيقًـا لِقَـوْلِ الْحَبْـرِ ثُـمَّ قَـرَأَ رَسُـولُ اللَّـهِ - صلـى اللـه عليـه وسـلم (وَمَـا قَـدَرُوا اللَّـهَ حَـقَّ قَـدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًـا قَبْضَتُـهُ يَـوْمَ الْقِيَامَـةِ وَالسَّـمَوَاتُ مَطْوِيَّـاتٌ بِيَمِينِـهِ سُـبْحَانَهُ وَتَعَالَـى عَمَّـا يُشْـرِكُونَ ). أهـ (البخـاري الحديـث رقـم ٤٨١٢).

وجاء في صحيح مسلم في كتاب الحيض من رواية ثوبان مولى الرسول صلى الله عليه وسلم أنه حبر من أحبار اليهود: : " قَالَ كُنْتُ قَائِمًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَجَاءَ حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَقَالَ السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ. فَدَفَعْتُهُ دَفْعَةً كَادَ يُصْرَعُ مِنْهَا فَقَالَ لِمَ تَدْفَعُنِى فَقُلْتُ أَلاَ تَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَقَالَ الْيَهُودِىُّ إِنَّمَا نَدْعُوهُ بِاسْمِهِ الَّذِى سَمَّاهُ بِهِ أَهْلُهُ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- «إِنَّ اسْمِى مُحَمَّدٌ الَّذِى سَمَّانِى بِهِ أَهْلِى». فَقَالَ الْيَهُودِىُّ جِئْتُ أسألك" أهـ (مسلم: الحديث رقم ٧٤٢)

أقول: الشاهد قوله (حبر من أحبار اليهود)! وكلمة حبر معناها العالم بتحبير الكلام والعلم وتحسينه؛ قال القرطبي في تفسير قول الله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) الآية ٣١من سورة التوبة: " الأحبار جمع حبر، وهو الذي يحسن القول وينظمه ويتقنه بحسن البيان عنه. ومنه ثوب محبر أي جمع الزينة.. والحبر بالفتح العالم" أهـ بتصرف يسير (القرطبي: الجامع لأحكام القرآن الكريم: تحقيق الدكتور محمد إبراهيم الحفناوي والدكتور محمود حامد عثمان/ دار الحديث بالقاهرة طبعة ثانية ١٤١٦هـ مج ٧-٨ ج ٨ ص ١١٣).).

ثالثا: يدهش المرء من طرح بعضهم مثل هذا الاعتراض الشكلي! (وصفنا لرجل شيعي بالعلامة)!

أقول: إن الدكتور عباس مهاجراني علامة بمعنى هذه الكلمة وقد قدم لي كتابي (القصاص)، (وإثبات جريمة القتل العمد)، وليس كتاب القصاص فقط!

فهذان الكتابان قد تم إرسالهما إلى العديد من طلبة الدراسات العليا (الماجستير والدكتوراة) في العالم الإسلامي التي بها جامعات عربية وإسلامية عريقة! بناء على طلباتهم التي أرسلوها لنا عبر البريد الإلكتروني فعلى سبيل المثال: من المغرب سبعة من دارسي الماجستير والدكتوراة، والجزائر ثلاثة، وليبيا طالب ماجستير، والسودان أربعة (ماجستير ودكتوراة، وتنزانيا اثنين أحدهما يدرس في جامعة زنجبار، وجنوب أفريقيا طالب واحد ماجستير، ومصر بلد الأزهر! ١٢ نسخة لطلبة ماجستير ودكتوراة، واليمن أكثر من خمسة من دارسي الماجستير والدكتوراة!

وحتى أرض الحرمين التي بها الجامعات الإسلامية والمعاهد المتخصصة تم إرسال إلى (جدة ومكة) أربع نسخ (طالب واحد دكتوراة وثلاثة ماجستير)! ومعظم دول الخليج الكويت وقطر والبحرين والإمارات لكل دولة طالب واحد على الأقل! وأيضاً سلطنة عمان رغم مذهبهم الإباضي (طالبان للماجستير)! ومنذ ستة أشهر تقريباً أرسل لنا أحد الدارسين لدرجة الدكتوراة وهو في نفس الوقت يعمل في جامعة بجمهورية (قيرغيزستان) فأرسلنا له نسخة من كل كتاب وشكرنا على تلبية طلبه! والحمد لله! هذا احصاء فقط لطلبة الماجستير والدكتوراة الذين أرسلنا لهم الكتابين كهدية!

أما عن الطلبة العاديين، والقراء والباحثين فما أكثرهم! والكتابان مطبوعان ومتوافران في المكتبات بالمملكة المتحدة! وأيضاً على موقع المقريزي وبعض المواقع الأخرى! وليعلم المعترض علينا أن كتابنا (القصاص) يدرس لطلبة مسلمين بالصين بناء على طلب جمعية إسلامية هناك. ولله الحمد والمنة!

لماذا تم اختيار الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية؟

أما لماذا التحقتُ بالجامعة العالمية للعلوم الإسلامية بلندن؟! فقد أجبت على هذا التشويش والشغب غير السديد المتكرر في محاضرات في غرفة الأنصار بالبالتوك! ولكن لا بأس من التوضيح لعل الذي في قلبه مرض يرتاح ويشفيه الله من هذا المرض العضال!

أقول: هذا التساؤل قد يكون مستساغاً لو أنه وجه إلى شخص يعيش مرتاحاً في أرض إسلامية وأراد أن يترك أرض الحرمين أو مصر أو المغرب أو أي دولة عربية أخرى مثلاً وسافر إلى لندن أو أي دولة غربية بغية نيل درجة الماجستير والدكتوراة في العلوم الشرعية أو اللغة العربية!

رغم أني قابلت بعض الشباب هنا في لندن ولا سيما من أرض الحرمين وكنت متعجباً لأنهم جاءوا بريطانيا مختارين لنيل درجة الماجستير والدكتوراة في الفقه الإسلامي وبعضهم في التاريخ والأدب العربي! وكنت أسألهم أولاً هل هم من المضطهدين في بلادهم أو من طالبي اللجوء السياسي! يجيبون بالنفي! ويؤكدون على أنهم يترددون

على بلادهم عدة مرات في السنة وجاءوا على نفقتهم الخاصة!! أقول لهم سبحان الله! تتركون أرض الحرمين والأزهر والجامعات العربية والإسلامية لتدرسوا الفقه الإسلامي واللغة العربية والتاريخ هنا في لندن؟! لكنهم يجيبون أجوبة غير مقنعة مثل قولهم إن الدراسة هنا أكثر تنظيماً وجدية!! ثم أنصحهم قائلاً لو كنت مكانكم ولدي حرية الاختيار والأمان في بلادي ما جئت هنا إلى بريطانيا ولم أكن لأدرس الفقه الإسلامي أو مقاصد الشريعة أو اللغة العربية وآدابها أو التاريخ الإسلامي وخلافه من علوم نظرية ممكن تحصيلها بكفاءة في بلاد المسلمين!

حط الرحال في عاصمة الضباب!

المهم أنني منذ قدومي إلى لندن قبل خمس عشرة سنة وأنا في بحث دائب في طلب العلم فلا أرغب في تضييع الوقت فكنت أدرس اللغة الإنجليزية في كلية قريبة من سكني مع القيام بواجبات الاهتمام بالأولاد ذهاباً وإياباً إلى مدارسهم!

وفي نفس الوقت كنت أكتب لبعض المجلات الإسلامية بل كنت أراجع وأحرر كثيراً من المقالات والنصوص وأكتب أحياناً بعض الافتتاحيات والتحليلات السياسية لبعض المجلات مع السلاسل التاريخية التي كنت أكتبها أسبوعيا!

وحاولت البحث عن جامعة أكمل فيها دراستي العليا حتى وجدت في ذلك الوقت جامعة الدراسات الشرقية والإفريقية؛ وهي جامعة عريقة تخرج فيها كثير من المستشرقين وبعض الدارسين في العالم العربي والإسلامي لأنها متخصصة في الدراسات الشرقية الآسيوية والإفريقية والعربية والإسلامية! فأرسلت إدارتها لي كتاباً بكيفية التسجيل والعلوم التي لديهم! علمت أن مصاريف التسجيل كبيرة نسبياً ولا تناسبني كما أنهم لا يقسطون ثمن رسوم التسجيل!

لكنني وجدتها فرصة للتردد على مكتبتها المفعمة بأمهات الكتب العربية والإسلامية المختلفة! فكنت أذهب إليها يومياً؛ أوصل الأولاد إلى المدرسة ثم أظل في المكتبة حتى موعد خروج الأولاد من مدارسهم! وكنت أقضي وقتاً طيباً في تلكم المكتبة؛

أكتب وأدون وأصور بعض المعلومات التي كنت أستخدمها في كتابة المقالات الأسبوعية لأنني لم يكن لدي مكتبة عندما فررت من مصر بصحبة زوجتي وأولادي في رحلةٍ الله يعلم كم كانت مرهقة وشاقة حتى وصلنا إلى لندن والحمد لله!

محاولة التسجيل في جامعة أكسفورد:

وأذكر أنه في ذلك الوقت أن ذهبنا أنا وأخي الشيخ أبو قتادة الفلسطيني فك الله أسره، وبعض الإخوة إلى مدينة أكسفورد للتعرف على جامعة أكسفورد الشهيرة والتسجيل في قسم الدراسات العليا لديهم واجتمعنا مع مسئول قسم الدراسات في جامعة أكسفورد ورحب بنا وكان الدكتور بسام الساعي حسب ما أذكر وهو أستاذ سوري معروف مؤرخ وشاعر كان يدرّس في نفس الجامعة! لكننا فوجئنا بمصاريف باهظة التكاليف في السنة الواحدة لأن أكسفورد وكامبريدج من أغلى الجامعات في بريطانيا وعلى مستوى العالم تقريباً! واصطحبنا شخص يعمل في الجامعة إلى مكتبة جامعة أكسفورد وتحتوي على عدد كبير لا بأس به من كتب إسلامية وعربية في علوم مختلف فصلينا هناك ثم عدنا إلى لندن!

أما لماذا لم أسجل في الجامعة الإسلامية الأمريكية المفتوحة رغم أنها سنية:

للإجابة على هذا الاستفسار بكل بساطة أن الجامعة الإسلامية الأمريكية تم تأسيسها في ديسمبر سنة ١٩٩٩م وظهرت للعلن في عام ٢٠٠٠م! وأنا أتكلم عن الوقت الذي جئت فيه بريطانيا لاجئاً في شهر مايو سنة ١٩٩٤م فلم تكن هذه الجامعة من الأصل موجودة! وحتى الجامعة الأمريكية العالمية التي يشرف عليها أساتذة من أهل السنة من المغرب الإسلامي ومقرها أمريكا أسست سنة ٢٠٠٣م! أما الجامعة الأمريكية المفتوحة فقد ظهرت عام ١٩٩٦م ولم تكن مشهورة في ذلك الوقت! وبعد أن علمت بوجودها اتصلت بالمنتدى الإسلامي في لندن مستفسراً عن وجود فرع للجامعة الأمريكية المفتوحة في لندن أو غيرها من المدن! قالوا للأسف، لا. فسألت وكيف يتم اللقاء مع المشرف لو سجلت قالوا عن طريق المراسلة والهاتف! وكانت الاتصالات الهاتفية في ذلك الوقت غالية حتى بين الدول الأوروبية وأمريكا! ولم يكن الإنترنت

بهذه السرعة ولا بهذه السهولة اليوم! فقلت هذه طريقة صعبة ولا بد من الجلوس مع المشرف ولقائه شهرياً كلما أنجزت جزءاً من الرسالة! بالإضافة إلى أن لقاء المشرف والتعامل معه عن قرب وجهاً لوجه أفضل وأنفع وكما قيل قديما: (العيون مغارف العلم)!

التسجيل في جامعة ويستمنستر بلندن:

وفي ذلك الوقت نصحني أحد الإخوة بالتسجيل في جامعة ويستمنستر لأن رسوم التسجيل أقل كثيراً من رسوم جامعة أكسفورد وغيرها! ويقبلون أيضاً التقسيط! وفعلاً ذهبت إلى جامعة(ويستمنستر) وقابلت الدكتور محمد فريد الشيال وهو ابن المؤرخ المصري الشهير الدكتور جمال الدين الشيال صاحب التحقيقات الشهيرة كالمحاسن اليوسفية للقاضي ابن شداد! وغيرها من كتب تاريخية نافعة! فتقدمت بعمل خطة للبحث باللغة الإنجليزية وكان الموضوع حول واضع اللبنات الأولى للعلمانية في العالم العربي والإسلامي الشيخ الأزهري رفاعة الطهطاوي! وهو أصل كتابي (دور رفاعة الطهطاوي في تخريب الهوية الإسلامية) الذي طبع منه ألف نسخة نفذت معظمها والحمد لله! وموجود في موقع المقريزي ومواقع أخرى وتم تنزيل الكتاب أكثر من عشرين ألف مرة!

وهكذا تم عرض الموضوع على إدارة الجامعة وانتظرت مدة طويلة نسبياً! لدرجة أني كتبت خطة البحث لنيل درجة الماجستير مرة ثانية بعد أن علمت أن سبب التأخير يرجع إلى أن المشرف قد ضيع ملف خطة البحث! فكتبته مرة أخرى وفي النهاية استلمت موافقتهم وطلبهم مني أن أقوم بتسديد الرسوم الأولية ففعلت!

ظهور الجامعة العالمية الإسلامية على الخط:

وفي ذلك الوقت أي خلال تأخير رد جامعة ويستمنستر علي! سمعت في إذاعة (إسبكتروم) العربية وهي إذاعة محلية فقط للعرب المقيمين في لندن تهتم بشئونهم الحياتية فسمعت من أحد المتداخلين أن هناك جامعة تدرس باللغتين العربية والإنجليزية وهي (الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية)! فاتصلت بهم في اليوم التالي مباشرة وأرسلوا لي كتاباً

صغيراً للتعريف بالجامعة ونشاطها! فاتصلت برئيس قسم الدراسات العليا وأعطاني موعداً فاجتمعت به فعلمت أن إدارة الجامعة من الشيعة العرب! وأن لديهم طلبة وباحثين من أهل السنة! كما أنهم لا يفرضون مذهبهم وعقيدتهم وآراءهم على الطلبة والدارسين لأن ذلك غير مقبول أصلاً في المملكة المتحدة وإلا أغلقوها لهم! كما علمت أن الذي يشرف على الجامعة هيئة التعاليم العالي بالمملكة المتحدة وأساتذة من جامعة أكسفورد، وأنهم معترف بهم من جامعة الأزهر والكويت وسوريا ومعظم الدول العربية الأخرى وباكستان وماليزيا وأندونيسيا ولهم فروع في هذه الدول وبعض الدول الإفريقية! وطلبت تقسيط الرسوم فوافقوا! ووجدت مكتبتهم تحتوي على معظم كتب أهل السنة في العقيدة ومعظم كتب شيخ الإسلام ابن تيمية! والتفسير والفقه على جميع المذاهب السنية وكتب التاريخ والتراجم والسير بالإضافة إلى كتبهم التي لم تكن معروفة لدينا في مصر ولم تكن بهذه الشهرة! مع التأكيد أنني أتكلم عن فترة قبل انتشار الأنترنت!

المهم أنهم عرضوا على عدة موضوعات لنيل درجة الماجستير كان من ضمنها (نظرية القصاص في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي)! فاخترت هذا الموضوع وعينوا لي مشرفاً! كان هذا المشرف هو الدكتور عباس مهاجراني الذي أشرف على رسالتي (الماجستير) و(الدكتوراة).

الاعتقال وعملية التحدي:

وفي ذلك الوقت وصلتني رسالة من جامعة ويستمنستر توافق على موضوع بحثي حول الطهطاوي! فقلت هذا خير وبركة نجمع بين الاثنين (الطهطاوي) في ويستمنستر! و(القصاص) في الجامعة العالمية! لكن لم تأت الرياح بما تشتهيه السفن!

فقد اقتحمت شرطة سكوتلاند يارد! بيتي بعدة صلاة الفجر على طريقة زوار الفجر في بلادنا! فقد قرأوا على شيطان واحد! حيث حطموا باب الشقة وروعوا الأطفال واعتقلوني في عملية أطلقوا عليها (التحدي)، وذلك عقب تفجيرات نيروبي ودار السلام سنة ١٩٩٨م! فضاعت أوراق البحث والبطاقات المسجل عليها معلومات البحث! أخذوا كل هذا ولم يردوها إلى رغم أنها معلومات أكاديمية بحتة!

وتم ترحيلي مع بعض الإخوة؛ سبعة مصريين (إبراهيم عيدروس رحمه الله الذي توفي بالسرطان العام الماضي، وسيد عوض الذي تم ترحيله فيما بعد إلى ألمانيا وآخرين)، وأخ من أرض الحرمين الشيخ (خالد فواز) المعتقل حالياً في بريطانيا منذ عام ١٩٩٨م بغية ترحيله إلى أمريكا! فك الله أسره وإخوانه!

وفي السجن قمت بفضل الله بالحصول بعض الشهادات في الحاسوب! وبعد رحلة السجن المريرة ورغم استماتة المجرم توني بلير رئيس وزراء بريطانيا السابق في ترحيلي إلى مصر بأية ضمانات! تم إطلاق سراحي! لأن القضاء البريطاني رفض هذا الأمر! خشية أن أحاكم محاكمة غير عادلة أو أعذب خاصة أنني محكوم علي من محكمة عسكرية زوراً وبهتاناً بالحكم المؤبد في القضية المطلق عليها إعلامياً (العائدون من ألبانيا)!

ثم تابعت ذلك بعد خروجي من السجن فحصلت على دبلوم ترجمة من كلية شمال غرب لندن! وفي أثناء فترة اعتقالي أرسلت جامعة ويستمنستر رسالة مفادها أنني إذا لم أحضر في الموعد المحدد فسأفقد فرصتي في الدراسة لديهم! ونفذوا تهديدهم!

فهنا قلت لنفسي بعد الخروج من السجن الوقت ليس في صالحي وأنا مهدد بالسجن أو الترحيل في أي وقت فمن الأفضل أن أختار الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية رغم أن القائمين عليها شيعة! لأنها ستوفر علي وقت ترجمة (القصاص) لأنها تقبل الدراسة باللغة العربية!

فقابلت رئيس قسم الدراسات العليا وقلت له بكل صراحة أنني كنت معتقلاً وأحضرت بعض الصحف البريطانية التي كتبت عني وذكرتني بالاسم! فتفهم الأمر ولم أر فيه تعصباً ضد أهل السنة منذ لقائي به أول مرة وحتى نهاية الدراسة! وقال لي طالما لا توجد قضية جنائية مخلة بالشرف فهذا لا شئ فيه! ورحب بي!

وبعد أحداث ٢٠٠١م كانت محطة الجزيرة تتصل بي لأقوم ببعض التحليلات والتعليقات والمشاركة في بعض البرامج! وإدارة الجامعة كانوا يشاهدونني! ويعلمون توجهي ودفاعي عن أسود أهل السنة في كل مكان!

وكنت أكرر على مسامعهم أثناء دعوتي للمشاركة في مناقشة بعض الأبحاث العلمية التي يقدمها بعض الدراسين في الجامعة! أقول أمام الجميع بصوت عال: أنا سني للنخاع! وأفتخر بذلك! هكذا ورب البرية! كنت أكررها وأترضى عن سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه علانية رغم علمي بامتعاضهم من تصرفي! لكنني لم أجد أية معارضة منهم! والله على ما أقول شهيد!

المهم أنني كنت في سباق مع الزمن فكنت أبحث وأتعلم وأعلم وأخطب الجمعة وألقي المحاضرات وأخوض معارك للدفاع عن الإسلام في المحطات الفضائية كالجزيرة وغيرها! حتى أنجزت بفضل الله تعالى رسالتي الماجستير والدكتوراة! وكان ذلك كله بتوفيق الله تعالى!

الظهور في قناة الكوثر الشيعية:

أما عن مشاركتي وظهوري في قناة الكوثر الشيعية! فقد رددت على هذا الشغب غير المبرر في محاضراتي في البالتوك وأرسلتها كتابة للأخ المشرف على موقع المقريزي لينشرها في بعض المنتديات! لكن للأسف الشديد لا يزال هناك نفر ممن تربوا على موائد الأنظمة المرتدة في العالم الإسلامي خاصة تلاميذ آل سعود في المنتديات الإسلامية الذين يكررون ويثيرون هذه السخافات التي يزين لهم شيطانهم القابع في أضابير أمن الدولة! ليحجبوا نور الشمس بالغربال!

وإلى هؤلاء العبابيد المناكيد! أردد قول الشاعر:

إن تحسدوني فإني لا ألومكم *** قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا

أنا الذي تجدوني في حلوقكم *** لا أرتقي صُعُداً فيها ولا أردُ

وعلى أية حال سأجيب باختصار للإخوة الذين قد يخيل إليهم أن شبهات المرجفين لها أثارة من حقيقة!

أقول: لقد وصلني عبر البريد الإلكتروني بفضل الله تعالى عشرات الرسائل من إخوة أفاضل ليس بيني وبينهم معرفة سابقة من أهل السنة من بلوشستان ومن أهل

الأحواز يباركون ويثنون على مشاركاتي في قناة الكوثر الشيعية! رغم بغضهم لها! لا سيما عندما رأوني وأنا أدافع عن عقيدة أهل السنة، وأترضى على الصحابة الكرام! وهم يرون تميز المذيع والضيوف غيظاً! وأنا أقول معاوية رضي الله عنه! لأن هؤلاء الروافض أخزاهم الله! قد يترضون على إبليس ولا يذكرون الصحابي الجليل معاوية بن أبي سفيان بأية كلمة مدح أو إنصاف!

ويذكر هؤلاء الإخوة ثناءهم الذي أسأل الله أن أكون عند حسن ظنهم! أن ردي على شبهاتهم في تاريخ الدولة الأموية وأسباب سقوطها وقيام الدولة العباسية! ومحاولة قناة الكوثر إسقاط كل أحداث التاريخ على حادثة السقيفة وردي الحاسم عليهم أثر إيجابياً على كثير من الشباب في بلوشستان والأحواز! ويذكر هؤلاء دمغي للزنديق المدعو حسن فرحان المالكي؛ وهو للأسف من سكان أهل الجزيرة ويزعم هذا الأفاك أنه من أهل السنة! ويذكرون تفنيدي لشبهاته حول طعنه في الإمام البخاري وصحيحه! وقولتي الشهيرة لهم في معرض ردي عليهم في التركيز على بعض الأحاديث التي لا يطعنون فيها كأحاديث تتعلق بالأسماء والصفات وحديث لطم نبي الله موسى عليه السلام ملك الموت وغير ذلك!

وقولي لهم: البخاري سيظل شوكة في حلوقكم! هذا بخارينا نحن أهل السنة! ونحن أفهم الناس لعباراته ولأحاديثه فلم التمحك وكثرة التشنيع عليه! حسبكم الكافي المفعم بالخرافات وثلث كتابكم أحاديث موضوعة وضعيفة على منهجكم!

فالمعترض الذي يعارض مشاركتي في قناة الكوثر وكانت عبارة عن إحدى عشرة حلقة أو ما يزيد قليلاً ثم انتهت لما يئسوا مني وعلموا أن مشاركتي قد تؤثر على أتباعهم الذين تعودوا أن يسمعوا الباطل والدجل!

فما الباطل الذي قلته وأنا أدافع عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم! قد يقول قائل: أنت تشارك في برنامج (حقائق تاريخية) كانت عن الدولة الأموية والعباسية!

أقول: من يقول ذلك لم يتابع الحلقات جيداً! القوم يستعرضون تاريخ الدولة الأموية والعباسية وغيرها! بغية الطعن في الصحابة ومنهج أهل السنة! لأنهم في حواراتهم

كانوا يرجعون دائماً لحادثة السقيفة! ويسلطون الضوء على قضايا منتقاة بعناية لشيطنة الصحابة وأهل السنة!

يعني يريدون أن يقولوا أخزاهم الله وقد قالوا فعلاً بصريح العبارة: الدولتان السنيتان؛ الأموية والعباسية قتلت أهل البيت واغتصبت السلطة منهم! كما اغتصبها أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم! هذا ما يسوقونه! أي لا يوجد تاريخ مشرف لأهل السنة بل إن أحد خبثائهم! وما أكثرهم! وما أجهلهم! شكك في الفتوحات الإسلامية وقال كانت من أجل الدنيا والغنائم! ولم تكن لوجه الله! فانبريت لهم وقضيت على هذه السموم بترياق الحق الذي أعتز به عند أهل السنة!

وإلى المعترض المشاغب! أن يأتي بباطل تكلمت فيه!

إني أُحبُّ أبا حفصٍ وشيعتَهُ *** كما أحب عَتيقاً صاحبَ الغارِ

وقد رضيتُ علياً قدوةً علماً *** وما رضيتُ بقتل الشيخ في الدارِ

كلُّ الصحابة ساداتي ومعتقدي *** فهل عليّ بهذا القول من عارِ

وليأتنا من يعترض على أمور شكلية في كتبنا بقضية شرعية في صلب موضوع الدراسات التي تناولتها! أو الباطل الذي قلته في قناة الكوثر وغيرها!

وعلى المعترضين من خفافيش آل سعود! أن ينشغلوا قليلاً بمحطات آل سعود أعني المحطات التي تقدم وجبة إسلامية! هذه المحطات التي تزعم أنها على مذهب أهل السنة والجماعة! ليعلموا كيف يحارب أهل التوحيد من أهل السنة والجماعة في هذه المحطات التي تسبح بحمد جلالة الملك المفدى خادم الحرمين!! نفس هذه المحطات وأخواتها تضع اسم العبد الضعيف كأحد محظوراتها!

أبو محمد المكي وعرضه المغري:

وأذكر بهذه المناسبة بعد أن طبعت كتابي سنة ٢٠٠٢م (الصراع بين المؤسسات الدينية والأنظمة الحاكمة) الذي يتناول المؤسستين الدينيتين في (مصر والسعودية)

كأنموذجين للصراع بين العلماء والسلطة! واحتواء السلطة لهما عبر محطات تاريخية إلى وقت قريب! ولما نشر الكتاب غضب أذناب آل سعود!

ثم فوجئت فيما بعد بشخص يتصل بي ويعرفني بنفسه أن اسمه أبو محمد المكي! باحث في الدراسات الإسلامية! حسب قوله! وكان قد حصل على هاتفي من أحد الأشخاص في مسجد المنتدى الإسلامي بلندن عندما سأله عني! فعرفني بنفسه وطفق يثني على بطريقة غريبة وعلى كتاباتي الجادة حسب وصفه! فأعطيته موعداً أمام مكتبة الساقي بلندن ثم ذهبنا إلى مبنى (وايت ليز)، وهو مكان به محلات ومطاعم! فجلسنا وكان يرتدي قميصاً طويلاً ويرتدى الغترة الشهيرة في الحرمين والخليج! ومظهره يوحي بالتدين فقد كان ملتحياً! المهم أني سألته عن سبب طلبه لقائي وهل حقاً يريد أن يناقشني في بعض ما أكتب!

قال: ليس كذلك! إنه يبحث عن مكان يستأجره ليفتتحه كمركز للأبحاث والدراسات التي تهم المسلمين خاصة لمن يعيشون في الغرب وهمومهم! فقلت له: تستطيع أن تسأل أصحاب التجارب هنا كالمنتدى الإسلامي أو المسجد المركزي!

قال: أنا أعرف ذلك لكن أريد أشخاصاً مستقلين ولما كنت متابعاً مقالاتك ومداخلاتك في قناة الجزيرة ولبعض المقالات التي كانت تنشر لك في جريدة القدس العربي! أراك ولا أزكيك على الله أنك جاد في طرحك! حسب قوله! ومستقل في رأيك! فلم لا نتعاون نحن وأنت في هذا الأمر! قلت له: نحن! من أنتم! قال لي: هناك بعض المحسنين في المملكة! يقصد مملكة آل سعود! أوفدوني لأبحث عن أشخاص مستقلين مثلك للإشراف على هذه المسئولية! فقلت له وماذا تستفيدون مني! فأنا شخصي لدي مشاكل أمنية قد تكون ضد توجهكم ولا تستطيعون تحملها!

قال لي المسألة بسيطة نحن نعلم ذلك! قلت كيف! قال: أن تغير من لهجتك الشديدة الحادة في انتقاد الأنظمة لأن الهدف هو نشر الإسلام والدعوة إلى الله وتبصير المسلمين! فما الفائدة من انتقاد الحكام! ثم شرع يفصل في محاسن آل سعود! ويقول أنا معك هناك مساوئ وبعض الظلم! لكن لا يصل إلى تكفيرهم وانتقادهم بهذه الطريقة!

ثم قال إنه قرأ كتابي (الصراع بين المؤسسات الدينية والأنظمة الحاكمة)! وقال لقد ظلمت الدولة السعودية الثالثة رغم نشرها للتوحيد في إفريقيا وآسيا وكانت ولا تزال ضد الصوفية والقبوريين! حسب قوله!

وأضاف قائلاً رغم مدحك للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله! إلا أنك وجهت اللوم له في تنازله في آخر حياته عن الحكم!

وهنا انكشف المخبوء وعلمت أن الرجل الذي أحاوره رغم مظهره الخداع! أنه أحد المدربين أمنياً على كيفية شراء الدعاة! واختراق بعض المؤسسات من خلال هذه الاغراءات!

وفي نهاية اللقاء قلت له بحسم! لقد استمعت إليك جيداً! لو كان الأمر كما ترى ما خرجت أصلاً من مصر وما جئت هنا لاجئاً! لأن مثل هذه العروض متوافرة أيضاً في مصر لمن يدخل في دينهم! دين أمن الدولة! ومعاذ الله أن أبيع الحق الذي أعتقده بمركز وحفنة المال! لا بارك الله في هذا المركز وفي المال الذي يأتي منه! أنا راض والحمد لله على ما أنا فيه وأنهيت اللقاء بقولي له ابحث عن غيري! فانصرف ولم أره إلى يومنا هذا! هذه بعض ألاعيب آل سعود! وهذا ديدنهم! من لم يستجب بالسيف يُشترى بالمال! فحسبنا الله ونعم الوكيل!

وإلى الأحباب الذين ساءهم شغب المعترضين من عبابيد آل سعود وأمن الدولة في مصر وغيرها أردد معهم قول الشاعر لحاجب الخليفة العباسي المأمون:

وما عن رضى كان الحمار مطيتي *** ولكنّ من يمشي سيرضى بما ركب

عود إلى موضوع الدكتور عباس مهاجراني:

لقد وصل الدكتور مهاجراني إلى درجة الاجتهاد في المذهب الإمامي الذي يعتقده ويعرف أوجه اختلاف الفقهاء في مذهبهم؛ أصولهم وفروعهم، وعلى دراية كبيرة جداً في مذاهب أهل السنة ومتقن لأصول الفقه في جميع المذاهب وعلم الحديث! (وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين).. بالإضافة إلى أنه أشرف على رسالتي؛ الماجستير والدكتوراة على مدار أكثر من ست سنوات تقريباً إذ لم يفرض رأيه

علي، ولم ينبس ببنت شفة عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وكان يتجنب التحدث في هذا الموضوع كما أنه ليس له كتاب يطعن فيه في خيار الأمة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم! له بالطبع مساهمات في المؤتمرات التي تعقد سنوياً حول التقارب بين أهل السنة والشيعة! رغم قناعتي بعدم جدواها! ورأيي الشخصي فيها بأنها حرث في الماء! وطواحين تصارع الهواء!

وكنت قد سألته: من الذي تقلده من المراجع الشيعية اليوم؟

أجاب أنه لا يقلد أحداً لأن لديه أدوات الاجتهاد في المذهب الإمامي! فقلت له: ولماذا لا يقال عنك المرجع الشيعي!

ابتسم قائلاً: لأنني ليس لي أتباع ولا وسائل إعلام! أنا متفرغ للأبحاث العلمية ولمناقشة الباحثين والدارسين الذين أشرف عليهم من زمن طويل!

والدكتور مهاجراني لمن لا يعرفه شارف على الثمانين عاماً أو تجاوزها قليلاً! ولمن يرغب في مزيد من المعرفة عن هذا العالم الشيعي أقول: إنه ضد ولاية الفقيه! ويعادي الدولة الإيرانية عداء شديداً!

لأنني قلت له: لماذا لا تعيش في إيران وهي بلده الأصلي ولكم الآن دولة؟

قال الدكتور مهاجراني: هذه دولة لا علاقة لها بالإسلام!

واضاف: أتعرف أن معظم جيل الثورة الخمينية لا يصلون! وأنهم مؤخراً فتحوا المساجد لأغراض سياسية بحتة! لقد استولوا على بيتي في طهران! ولا يزالون يطاردونني!

هكذا قال لي الدكتور عباس مهاجراني! هذا الرجل رغم أنه شيعي من كبار علمائهم إلا أن له آراء تخالف أئمة الدجل كالسيستاني وخامئني بل إنه يبدع من يقومون باللطم والتطبير والضرب بالجنازير وهذه المناظر المقززة! واستشهد لي بأن أحد علماء الشيعة؛ ربما يكون جد محسن الأمين! قديما في العراق أو سوريا لما اعترض على هذه البدع وحتى هذه الألقاب (آية الله)! تم ضربه من قبل الدهماء والسوقة وسحله في الشوارع وتحطيم منزله!

لقد سألته ما رأيك في هذه الألقاب آية الله! وآية الله العظمى!

كان يتهكم ويقول لي: النملة آية الله العظمى! العصفور آية الله العظمى! وعرضت عليه صورة في مجلة لشخص يقال له آية الله بعد العدوان الغاشم البربري على العراق!

أجاب ساخراً! هذا الشخص كان أحد تلامذتي وكان بليداً! سبحان الله يصل إلى هذا المنصب وهو جاهل ويلقبونه بآية الله! قال كل هذه الألقاب ظهرت منذ مائة عام تقريباً في إيران وإلا فعلماء الشيعة الأوائل كانوا يلقبون بالشيخ أو بشيخ الطائفة أو العالم وغيرها!

والدكتور عباس مهاجراني يعتبر من الأعضاء المؤسسين والبارزين فيما يسمى بالتقارب بين أهل السنة والشيعة! وقد أهداني عدة مجلات متخصصة في هذا الشأن وناقشته وقلت له بكل صراحة هل تفلحون فيما فشل فيه العلماء الأوائل! وقلت له بكل صراحة لن يحدث تقارب إلا أن تستغرق إحدى الطائفتين الأخرى! فيجيب رأيك وجيه لا بأس به! لكن لا بد من المحاولة! ولا يعلق كثيراً!

الخلاصة: إن الدكتور عباس مهاجراني عالم كبير وعلامة من علماء الشيعة وإن كنت أراه على غير سبيل المؤمنين في معتقده الإمامي!

رابعا: وإلى الشباب الذين يستغربون من كلامي هذا عن أحد علماء الشيعة فليقرأوا كتب التراجم والتاريخ والسير وإليكم بعض النماذج على سبيل المثال لا الحصر نظراً لكثرتها:

اقرأ مشكوراً بعناية ما ذكره الأئمة الأعلام صيارفة الإسلام مثل الحافظ العلامة شمس الدين الذهبي الخريت الخبير بالرجال وغيره في كتبهم عن بعض رؤساء الشيعة الروافض الذين عاشوا في التاريخ الإسلامي تزويراً وفساداً:

(أ) أما عن محمد بن السائب الكلبي ت١٤٦هـ:

يقول الذهبي: "العلامة الأخباري أبو النضر محمد بن السائب بن المفسر وكان أيضا رأسا في الأنساب إلا أنه شيعي متروك الحديث يروي عنه ولده هشام وطائفة" الذهبي: سير أعلام النبلاء/طبعة مكتبة الصفا بالقاهرة ١٤٢٤هـ ج٥/ص١٤٤).

وقال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال: " محمد بن السائب الكلبي:" وقال يزيد بن زريع وكان سبئيا قال أبو معاوية قال الأعمش اتق هذه السبئية فإني أدركت الناس وإنما يسمونهم الكذابين. وقال ابن حبان (عن ابن الكلبي) سبئيا من أولئك الذين يقولون إن عليا لم يمت وإنه راجع إلى الدنيا ويملؤها عدلا كما ملئت جوراً وإن رأوا سحابة قالوا أمير المؤمنين فيها. وقال الجوزجاني وغيره كذاب وقال الدارقطني وجماعة متروك. وقال ابن حبان مذهبه في الدين ووضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه" أهـ (الذهبي ميزان الاعتدال ج٦ ص ١٦١).

وقال عنه الحافظ الجوزجاني: "الكلبي محمد بن السائب: كذاب ساقط. حُدثتُ عن المعتمر بن سليمان عن أبيه قال: كان بالكوفة كذابان، فمات أحدهما، والسُدِّيُّ والكلبيُّ. حُدثتُ عن علي بن الحسين بن واقد حدثني أبي قال: قدمتُ الكوفةَ ومُنْيَتي لقيُّ السدي، فأتيتُه فسألتُه عن تفسير سبعين آيةٍ من كتاب الله تعالى فحدثني بها، فلم أقم من مجلسي حتى سمعته يشتم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فلم أعد إليه. وأما الكلبي فالأمر فيه أطمُّ وأعظمُ. سمعت سليمان بن معبد يقول: حدثنا الأصمعي قال: سمعتُ قُرَّةَ بن خالدٍ يقول: كانوا يرون أنَّ الكلبي يُذَرِّفُ. قلتُ للأصمعي: وما للتذريف؟ قال: الزيادةُ." أهـ (الجوزجاني: أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب المتوفى ٢٥٩هـ: أحوال الرجال تحقيق السيد صبحي السامرائي/مؤسسة الرسالة ط١ لسنة ١٤٠٥هـ ص٥٤).

وذكره الذهبي أيضاً في كتابه تاريخ الإسلام:

قال: "محمد بن السائب الكلبي بن بشر بن عمرو أبو النضر الكلبي الكوفي الإخباري العلامة صاحب التفسير" أهـ الذهبي: تاريخ الإسلام: تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري/ دار الكتاب العربي/ بيروت الطبعة الثانية ١٤١١هـ ج٩ ص٢٦٧).

ورغم طامات ابن الكلبي فإن الأئمة الأعلام شعبة بن الحجاج وابن المبارك ويزيد بن هارون رووا عنه! يقول الذهبي في تاريخه: "وعنه ابنه هشام بن الكلبي صاحب النسب وشعبة وابن المبارك وأبو معاوية وابن فضيل ويزيد بن هارون وسعد بن الصلت وطائفة سواهم" أهـ (الذهبي: تاريخ الإسلام ج٩ ص٢٦٧).

يقول عنه الذهبي أيضاً في نفس الفقرة: "وقد اتهم بالأخوين: الكذب والرفض، وهو آية في التفسير واسع العلم على ضعفه" أهـ (الذهبي: تاريخ الإسلام: ج٩ ص ٢٦٧).

ثم نجد الذهبي يستعرض بعض أقوال العلماء عن محمد بن السائب الكلبي في نفس ترجمته في تاريخ الإسلام: "قال أبو عوانة: سمعت الكلبي يتكلم بشيء من تكلم به كفر. وقال يزيد بن زريع: رأيت الكلبي يضرب يده على صدره ويقول أنا سبائي أنا سبائي. وقال عبد الرحمن بن مهدي: سمعت أبا جزء يقول: قال الكلبي: كان جبريل يوحي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقام لحاجة فجلس علي فأوحى جبريل إلى علي." أهـ (الذهبي: تاريخ الإسلام: ج٩ ص٢٦٧).

(ب) هشام بن محمد بن السائب الكلبي المتوفى ٢٠٤ هـ:

يقول عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني: "هشام بن محمد بن أبو المنذر الأخباري النسابة العلامة روى عن أبيه أبي المفسر وعن مجالد وحدث عنه جماعة قال أحمد بن حنبل إنما كان صاحب سمر ونسب ما ظننت أن أحداً يحدث عنه وقال الدارقطني وغيره متروك وقال بن عساكر رافضي ليس بثقة" أهـ (ابن حجر: لسان الميزان/ تحقيق عبد الفتاح أبو غدة/ دار البشائر الإسلامية/ بيروت/ ط١/ ١٤٢٣هـ/ مج٣ ج٧ ص٥٠٠، ص ٥٠١).

قال العلامة المؤرخ ابن قتيبة الملقب بخطيب السنة المتوفى ٢٧٦هـ ك" وابن الكلبي هشام بن محمد بن السائب كان أعلم الناس بالأنساب" أهـ (ابن قتيبة: المعارف دار الكتب العلمية بيروت/ ط أولى ١٤٠٧هـ ص ٢٩٨).

قال الحافظ الذهبي في السير عن هشام الكلبي (العلامة الإخباري النسابة الأوحد!):

"العلامة الأخباري النسابة الأوحد أبو المنذر هشام بن الأخباري الباهر محمد بن السائب بن بشر الكلبي الكوفي الشيعي أحد المتروكين، كأبيه. روى عن أبيه كثيرا، وعن مجالد، وأبي مخنف لوط، وطائفة. حدث عنه: ابنه العباس، ومحمد بن سعد، وخليفة

بن خياط، وابن أبي السري العسقلاني، وأحمد بن المقدام العجلي. قال أحمد بن حنبل: إنما كان صاحب سمر ونسب، ما ظننت أن أحدا يحدث عنه وقال الدارقطني وغيره: متروك الحديث. وقال ابن عساكر: رافضي ليس بثقة. وقد اتهم في قوله: حفظت القرآن في ثلاثة أيام. وكذا قوله: نسيت ما لم ينس أحد: قبضت على لحيتي، والمرآة بيدي، لأقص ما فضل عن القبضة، فنسيت، وقصيت من فوق القبضة. وله كتاب " الجمهرة " في النسب وكتاب "حلف الفضول "، وكتاب "المنافرات"، وكتاب " الكنى "، وكتاب" ملوك الطوائف"، وكتاب "ملوك كندة". وتصانيفه جمة، يقال: بلغت مائة وخمسين مصنفا. وكان أبوه مفسرا، ولكنه لا يوثق به أيضا، وفيه رفض كابنه. مات ابن الكلبي على الصحيح سنة أربع ومائتين." أهـ (الذهبي: سير أعلام النبلاء: طبعة مكتبة الصفا/ج٧ص٤٤).

ووصفه الذهبي أيضاً في تاريخه بالعلامة الحافظ: " هشام بن محمد بن السائب بن بشر: أبو المنذر الكلبي العلامة الإخباري الحافظ" أهـ (الذهبي: تاريخ الإسلام ج١٤ ص ٤١٨).

(ج) هشام بن الحكم الرافضي المجسم الضال المتوفى ت ١٩٩هـ :

يقول عنه الذهبي (المتكلم البارع)!: "وكان في هذا الحين المتكلم البارع هشام بن الحكم الكوفي الرافضي المشبه المعثر وله نظر وجدل، وتواليف كثيرة. قال ابن حزم : جمهور متكلمي الرافضة كهشام بن الحكم ، وتلميذه أبي علي الصكاك وغيرهما يقولون : بأن علم الله محدث، وأنه لم يعلم شيئا في الأزل، فأحدث لنفسه علما. قال: وقال هشام بن الحكم في مناظرته لأبي الهذيل: إن ربه طوله سبعة أشبار بشبر نفسه. قال: وكان داود الجواربي من كبار متكلميهم يزعم أن ربه لحم ودم على صورة الآدمي. قال: ولا يختلفون في رد الشمس لعلي مرتين. ومن قول كلهم: إن القرآن مبدل، زيد فيه ونقص منه إلا الشريف المرتضى وصاحبيه. قال النديم: هو من أصحاب جعفر الصادق، هذب المذهب، وفتق الكلام في الإمامة، وكان حاذقا حاضر الجواب. ثم سرد أسماء كتبه، منها في الرد على المعتزلة، وفي التوحيد، وغير ذلك" أهـ (الذهبي: السير: ج٧ ص٢٦٩).

(د) الكليني: صاحب الكافي المتوفى ٣٢٩هـ:

يقول عنه الحافظ الذهبي: شيخ الشيعة، وعالم الإمامية، صاحب التصانيف أبو جعفر محمد بن يعقوب الرازي الكليني - بنون. روى عنه: أحمد بن إبراهيم الصيمري، وغيره، وكان ببغداد، وبها توفي، وقبره مشهور. مات سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة وهو بضم الكاف، وإمالة اللام، قيده الأمين (السير ج ص الطبقة الثامنة عشر." أهـ (الذهبي: السير ج٩ ص٤٦١).

(هـ) ابن بأبويه القمي الرافضي المتوفى ٣٨١ هـ:

قال الذهبي عنه إنه ابن العلامة رغم أن أباه أيضاً من علماء الشيعة الروافض المشهور عندهم بالصدوق المتوفى ٣٢٩هـ!!

اقرأ ما قاله في السير: " ابن بأبويه رأس الإمامية أبو جعفر، محمد بن العلامة علي بن الحسين بن موسى بن بأبويه القمي، صاحب التصانيف السائرة بين الرافضة. يضرب بحفظه المثل.

يقال: له ثلاثمائة مصنف، منها : كتاب " دعائم الإسلام "، كتاب " الخواتيم "، كتاب " الملاهي " كتاب" غريب حديث الأئمة "، كتاب "التوحيد"، كتاب "دين الإمامية"، وكان أبوه من كبارهم ومصنفيهم. حدث عن أبي جعفر جماعة منهم: ابن النعمان المفيد، والحسين بن عبد الله بن الفحام، وجعفر بن حسنكيه القمي" أهـ (الذهبي: السير ج١٠ ص١٦٨).

(و) ابن تومرت الدجال المتوفى ٥٢٤ هـ:

قال عنه الحافظ الذهبي (الإمام الفقيه الأصولي) ووصفه (بالزاهد)! في سير أعلام النبلاء بنصه: " الشيخ الإمام، الفقيه الأصولي الزاهد أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن تومرت البربري المصمودي الهرغي، الخارج بالمغرب، المدعي أنه علوي حسني، وأنه الإمام المعصوم المهدي" أهـ (الذهبي: السير ج١١ ص٦١٢).

## صفوة القول

بعد هذا التطواف السريع حول بعض التراجم لأهل البدع ووصف كبار علمائنا نحن أهل السنة كالذهبي وابن حجر وابن قتيبة وغيرهم بقولهم في تراجمهم (العلامة والنسابة والإخباري والحافظ والفقيه والأصولي والبارع والزاهد وصاحب التصانيف والأوحد!) رغم أنهم من أئمة الرفض والاعتزال والتجهم!

ولم أشأ أن أستعرض ما ذكره ابن كثير في البداية والنهاية، وابن حجر في درره الكامنة وتراجمه الكثيرة، والخطيب في تاريخه (بغداد)، وابن عساكر في تاريخ دمشق! والصفدي في الوافي بالوفيات، وابن إياس في بدائع الزهور، وابن خلكان في وفيات الأعيان، وابن الجوزي في منتظمه، والمقريزي في درر عقوده الفريدة، وابن تغري بردي في نجومه الزاهرة والمنهل الصافي، وابن خلدون في تاريخه، وما ذكره العيني في عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان! وابن العماد في شذراته! وغيرهم من أئمة أهل السنة الأعلام سلفاً وخلفاً.

ولا يسعني إلا أن أؤكد على ما ذكرته في صدر هذا الرد؛ إن مثل هذه الألقاب والسمات العلمية كعلامة وعالم كبير وحبر وعظيم وغيرها لا علاقة لها بصحة أو عدم صحة اعتقاد وصلاح أو عدم صلاح الشخص الموسوم بهذا اللقب سواء كان هذا الشخص الموسوم بهذا اللقب مسلماً صالحاً أو طالحاً أو كافراً كفراً أصلياً أو مرتداً!!إنه مجرد توصيف واقعي عن مدى اتقان الشخص الموسوم لتخصصه العلمي سواء رضينا عنه عقدياً أم لم نرض! وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

مركز المقريزي للدراسات التاريخية بلندن

٦ من ربيع الثاني ١٤٣٠هـ ٢ من إبريل ٢٠٠٩م

# تركستان الشرقية

## حوار تلفزيوني مع الدكتور هاني السباعي

مُقدِّم البرنامج (الإعلامي محمد قواص): مساء الخير، بعد ثمانية أشهر على احتجاجات إقليم "التبت" يكتشف العالم على نحو عالمي لافت أزمة "تركستان الشرقية" أو ما يُطلق عليه رسميًا اسم "شينجيانغ". المواجهات تمّت في "أورومتشي" عاصمة هذا الإقليم؛ مواجهات بين "الإيغوريين" المسلمين وقومية "الهان" وهي القومية الأكبر في الصين. عشرات القتلى وبعضهم يتحدث عن مئات القتلى!

الصين تتحدث عن مؤامرة منسّقة تُقاد من الخارج، و"بكين" تستهجن مواقف الغرب، في حين يتحدث خبراء عن أزمة حقيقية تتعرّض لها الصين؛ فالبلاد كما يقولون لم تعد دولة متعددة القوميات بل دولة مركزية صينية العِرق تحاول طمس ثقافات محلية لصالح ثقافة القومية الأم.

على أية حال نشرة هذا المساء قراءة تاريخية لمشكلة الأقلّيات القومية في الصين عامة، ومشكلة "تركستان الشرقية" والمسلمين "الإيغوريين" خاصة.

نقاش هذه المسألة مع الدكتور/ هاني السباعي (مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية).

دكتور هاني السباعي، بالنسبة لنا كانت مفاجئة ما حصل في الصين ولكن يبدو أنك متابع لتاريخ هذا الإقليم، فلنبدأ بسرد تاريخ تركستان الشرقية: تُسمى "شينجيانغ"، تحدث فيها هذه المواجهات، قبائل، نتحدث عن "الإيغوريين" و "الهان"، كل ذلك بتعريف ملموم.

الدكتور هاني السباعي:

بسم الله الرحمن الرحيم.

أنا أعتقد أن أطراف العالم الإسلامي دائمًا تعاني من الظلم ومن التعتيم الإسلامي لدى القلب؛ قلب العالم الإسلامي وخاصة في العالم العربي أو العالم الإسلامي عامة.

هناك فتحان تَمّا في التاريخ الإسلامي متشابهان، وتَمّا في وقت قريب من بعضهما: فتح "تركستان الشرقية"، وفتح "الأندلس". تما في وقت متزامن وفي نفس عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان -رضي الله عنه-؛ تم إرسال الحكم بن عمرو الغفاري الصحابي ووصل إلى قرب "كاشغر" في تركستان الشرقية. وفي نفس الوقت أيضًا تم فتح الأندلس ثم رجعت مرة أخرى، وأُعيد الفتح الحقيقي في أيام الخليفتين: عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك. الخليفة عبد الملك بن مروان أرسل قتيبة بن مسلم، وقتيبة بن مسلم هو الذي وصل إلى "كاشغر" العاصمة والمدينة الكبيرة في "تركستان الشرقية"، وبنى المسجد الكبير وفتحه، وكان ذلك في حوالي سنة ٩٤ه.

وهي تُسمى "تركستان" يعني أرض الترك؛ لأن معظم الجنس الموجود هناك هو الجنس التركي، الذين يتكلّمون اللغة التركية، حتى السِّحنة، وحتى الوجهة والشكل، بالإضافة إلى التتر والمغول وغير ذلك.

مرّت بمراحل تاريخية في قبضة المسلمين. فهذه دولة قديمة في قبضة المسلمين، ولم تكن في يوم من الأيام تبع الصين. هي على حدود الصين، ولكن الصين لها أطماع دائمًا في هذه الدولة (تركستان الشرقية).

في عصر الأموين بعد سقوط الدولة الإسلامية الأموية سنة ١٣٢ه استلم نفس الإرث العباسيون، بل إن العلاقة كانت وطيدة جدًا لدرجة مع إمبراطور الصين في تلك الفترة -وكان اسمه "سو"- في سنة ١٣٩ه أرسل إلى الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور يستنجده لأنه حدث تمرّد على القصر في تلك الفترة، فأرسل إليه مجموعة كبيرة جدًا من الجيش الإسلامي وأنقذ الإمبراطور.

ولذلك الإمبراطور هو الذي ساعد في توطيد المسلمين في تلك الأماكن، وأكرم هؤلاء الجنود لأنهم هم الذين وطّدوه في الحكم وقضوا على المناوئين، وحدثت العلاقات الطيبة، وأسلمت الصينيات والناس، والإمبراطور ترك لهم راحتهم في تلك الفترة حتى عصر جنكيز خان لما أسقط الدولة الخوارزمية سنة ٦٢٨هـ، ثم بعد ذلك أسلم أحمد بن هولاكو، ثم تحوّل بعد ذلك تدريجيًا هؤلاء المغول وحكموا كل هذه المناطق بما فيها "تركستان الشرقية".

المأساة بدأت عند أسرة "مانشو" أو ما يُسمى "الدولة المانشورية"، هذه أسرة "مانشو" هي بداية مأساة المسلمين في تلك الفترة؛ أسرة عنصرية تبع جنس "الهان".

مُقدِّم البرنامج: هذا في أي عام؟

الدكتور هاني: هذه جاءت في ألف وسبعمائة وستين ميلاديًا، في القرن الثامن عشر ميلادي في تلك الفترة تقريبًا.

وهؤلاء بدأوا حملة وسحبوا كل الامتيازات التي كانت موجودة؛ لأن المسلمين ضعفوا في تلك الفترة، وهذه الدولة كانت تريد أن تتوسَّع على حساب المسلمين.

طبعًا لا بد أن نلاحظ أن المسلمين كانوا ضحايا لعدة تحالفات في تلك المنطقة؛ أولًا هم ضحايا للتحالف الروسي قديم التنافس، وهو أحيانًا تنافس وأحيانًا يكون تحالفًا بين الصين وبين روسيا، وبين اليابان أيضًا فلها أطماع على الحدود وهي التي احتلّت "منشوريا"، ثم بعد ذلك دخلت "بكين" واحتلَّتها. فهناك قلاقل في هذه المنطقة. أحيانًا هؤلاء اليابانيون يطمعون في استقطاب المسلمين لأن حوالي ثلاثين في المائة من هؤلاء الجمهوريات معظمها من المسلمين.

فاليابان لأن لها أطماع ضد الصينين والصينيون يكرهون اليابان فهناك شدٌّ وجذبٌ في تلك المنطقة، لكن المأساة بدأت مع أسرة "المانشو".

وطبعًا حدثت ثورات في تلك الفترة، ثم بعد ذلك جاءت أسرة ما يُسمى "الدولة الوطنية" أو "الجمهورية الوطنية"، ثم بعد ذلك جاءت الثورة الشيوعية سنة ١٩٤٩، وهربت

"الدولة الوطنية" إلى "تايوان"، ثم الشيوعيون سيطروا بقيادة ماو تسي تونغ. ويُعتبر عصر الإرهاب الحقيقي فعلًا من سنة ١٩٤٩. لكن قبل ذلك نعم حدث ثورات كبيرة، حتى في عهد أسرة "المانشو" هؤلاء قامت عدة ثورات؛ يكفي أنه في إحدى المعارك في القرن الثامن عشر الميلادي مليون قتيل في هذه الدولة فقط في تلك الفترة!

لكن في تلك الفترة أيضًا قامت ثورات عارمة، منها على سبيل المثال في بداية القرن التاسع عشر قامت ثورة "جنقخ" هذا واستمرّت حوالي سنتين.

مُقدِّم البرنامج: لكن هذه ثورات قومية أم ثورات دينية؟

الدكتور هاني: الإسلام كان في تلك الفترة خليطًا بين الدفاع عن الهوية كإسلام وعن القومية. يعني إحدى الثورات كان سببها مثلًا مثل ثورة "يعقوب بك" بداية المعركة بدأت كالآتي: أن رئيس الشرطة اعتدى على امرأة مسلمة، وقيل اغتصبها وقتلها، ثم بعد ذلك الناس هاجوا حميّةً لدينهم فحاصروا الشرطة وقتلوا رئيس الشرطة وثلاثين من الضباط؛ فقامت الدولة بجيوش جرارة. وهنا حدثت معارك قيل استمرّت مائة سنة من بداية القرن الثامن عشر إلى آخره. معركة يعقوب بك هذا لوحده استمرّت عشرين سنة لدرجة أنه لما انتصر وفرض سيطرته بايع الخليفة العثماني في تلك الفترة وهو عبد العزيز خان.

إذًا الثورات هذه تخلط بين الروح الإسلامي لأنها أصلًا سببها الدين؛ الاعتداء على المسجد، امرأة مسلمة، يريدون أن يمنعونهم من الحجاب، من الحرية الدينية، معظمها هكذا.

ولكن هذا الرجل يعقوب بك وصل وأسَّسوا دولة أعلنوا فيها الاستقلال الذاتي. وأسرة "المانشو" هي طبعًا استولت على "تركستان" ثم بعد ذلك الثورات قامت؛ فأعلن يعقوب بك في ١٨٦٥ ميلادي الدولة "تركستان الشرقية" دولة إسلامية، لكن بعد عشر سنين الصينيون أيضًا هاجموا بعد ذلك ما يُسمى الدولة الوطنية وغيرها، هاجموهم واستولوا على الإقليم.

يعني لما نحصرهم حوالي أربع غزوات كبرى حدثت؛ مرتان في عصر أسرة "مانشو" هؤلاء، ومرة في عصر "الجمهورية الوطنية" رغم إن المسلمين هم الذين

ساعدوا الجمهوريين في تلك الفترة أن يصلوا إلى الحكم ضد خصومهم من أسرة "مانشو"، لكن حصلوا على بعض الامتيازات في تلك الفترة، ولكن طمع هؤلاء أيضًا وخاصة أنهم من قبيلة "الهان" الكبيرة.

ثم بعد ذلك جاء الشيوعيون، وهؤلاء فعلوا ما لم يفعله أحد، وارتكبوا من المجازر ما لم يحلم به أحد في تلك الفترة.

مُقدِّم البرنامج: لماذا في هذه المنطقة؟

الدكتور هاني: أنا قلت إن هناك تداخلات كبيرة جدًا حدثت. بعد الحرب العالمية الثانية وخلال هذه الفترة قامت بعض الثورات أيضًا للاستقلال الذاتي؛ وذلك لأن المسلمين في تركستان الشرقية يعتقدون أنهم لا علاقة لهم بالصين هؤلاء، هم ليسوا صينيين، هم لهم هوية ولغة خاصة.

مُقدِّم البرنامج: يعني الشيوعيون وماو تسي تونغ اعتبروا تحرّك تركستان هو تحرّك إمبريالي غربي يتحرّك من الداخل؟

الدكتور هاني: نعم، يعتبرونهم تعاونوا مع اليابان، وأن هناك أطماعًا بينهم وبين اليابان. وهم يخشون أن هناك خمس قوميات كبرى تقريبًا ممكن تستقلّ في الصين تفتّت الصين، والصين تخاف من هذا.

ولكن لماذا العداء الأكبر مع المسلمين بصفة خاصة؟ لأن "تركستان الشرقية" هذه تحيطها أمواج بشرية من العالم الإسلامي. طبعًا تركستان التوأمة الأخرى "تركستان الغربية" التي في وسط آسيا استقلّت بعد انهيار الاتحاد السوفيتي. أما تركستان الشرقية فتحيط بها: باكستان، وطاجيكستان، وقرغيزستان، وكشمير، ويحيط بها الجمهوريات الإسلامية الأخرى. يعني هي في محيط إسلامي.

ولذلك هذا هو السر، أن الأندلس مثلًا استطاع الأسبان أن يقضوا على المسلمين ويستأصلوهم، ولكن هؤلاء الصينيين ما استطاعوا. لماذا؟ لأن هناك ما يُسمى الامتداد

الاستراتيجي موجود، رغم أن السكان انقرضوا، والمعادلة السكانية تدمّرت نهائيًا بعد وجود هذه الأسر، وبعد وجود ماو تسي تونغ.

وحتى قبل ماو تسي تونغ كلَّما قامت ثورة قوية أسقطوها. هم وصلوا إلى "أورومجي" هذا والبعض وصلوا إلى "كاشغر"؛ لأن تركستان كانت مقسمة على ما يُسمى "البكوات"، ثم بعد ذلك الصين عملوها وحدة واحدة وقسّموها بطريقتهم هم. تخيل أنه في كل فترة ينتصر المسلمون بجيوش جرارة قوية جدًا، وكانوا أشدّاء في القتال. تعرف من الذي كان دائمًا يفشل هذه المعركة؟ تتصل الحكومة الصينية بالروس في تلك الفترة سواء أيام القياصرة أو سواء أيام الاتحاد السوفيتي بعد ذلك يتّصلون بهم، فيكون المسلمون متقدمين فإذا بهم يُحاصرون من الروس، والجيوش الروسية تحاصرهم من الخلف أو يعملوا لهم ما يُسمى "الكماشة" فينهزم الجيش.

ففي إحدى المعارك هذه لما أخمدوا إحدى هذه الثورات بعد أن استولوا على تركستان وكادوا أن يصلوا إلى حدود الصين، يعني يدخلون على الصين بعد الولايات الصينية الأخرى، الذي أنقذ الصين في تلك الفترة هم الروس، في جميع المراحل. لماذا الروس يساعدون؟ لأن البعض سيقول لماذا الروس يساعدونهم رغم أنهم على الأطراف، ولهم أطماع أيضًا في الحدود مع الصين؟ ولكن لأن الروس اكتشفوا أن مساعدة الصين أفضل لهم في طريقتين: أولًا الناحية العقدية، أن هؤلاء مسلمون فهم مطيّة سهلة. والنقطة الثانية: لا يريدون إسلام قوي في وسط آسيا.

ونقطة أخرى: تركستان الشرقية -وهذا قدرنا نحن أهل الإسلام أن بلاد المسلمين فيها الثروات المطموع فيها دائمًا- فيها أكبر حقول نفط موجودة في الشرق، وفيها أكبر مناجم اليورانيوم. أكبر منجم فيها يوجد فيه أكثر من ستمائة مليون طن من الفحم. فيها ثروة هائلة موجودة.

ولذلك معظم التجارب النووية تتم أين؟ تتم في بلاد المسلمين هناك في الصحراء وفي الجبال، ولذلك معظم أمراض السرطان والأمراض الخطيرة جدًا عند المسلمين. لماذا؟ لأنها تتم في أرض مكشوفة وحتى التي لا تتم في غير ذلك فأشعة اليورانيوم هذه تدمّر المسلمين.

الـروس لمـاذا دائمًـا يتحالفـون بطريقـة قويـة مـع الصيـن فـي تلـك المنطقـة بصفـة خاصـة؟ لأن الصيـن منحـت الـروس حقّ تنقيـب البتـرول والمعـادن والأشـياء هـذه فـي نفـس المنطقـة، فشـيلني وأشـيلك! يعنـي تعطينـي هـذه أعطيـك هـذه.

مُقدِّم البرنامج: حق التنقيب موجود إلى الآن؟

الدكتـور هانـي: نعـم، هنـاك شـركات أيضًـا، وهنـاك تعـاون روسـي معهـم فـي حـق التنقيـب رغـم أنهـا مُؤمّمـة.

مُقـدِّم البرنامـج: بعـد عهـد مـاو تسـي تونـغ سـيطروا علـى هـذا الوضـع، فكيـف تعاملـوا مـع هـذا؟ أولًا هـو إقليـم، وبالتالـي هـل لديـه وضـع سياسـي معيّـن؟ حكـم ذاتـي؟ حكـم إداري؟ كيـف تعاملـوا معهـم؟

الدكتـور هانـي: هـم فـي عهـد الجمهورية الوطنيـة الأولـى قبـل مـاو تسـي تونـع أعطوهـم دولـة بالقـوة وليـس مجانًـا، بعدمـا انتصـر عليهـم المسـلمون فـي عـدّة معـارك، وأقامـوا دولـة إسـلامية اسـمها "الجمهوريـة الإسـلامية لتركسـتان الشـرقية".

مُقدِّم البرنامج: ينتصرون بمساعدة من؟

الدكتـور هانـي: مـن الـذي كان يخـذل هـؤلاء للأسـف؟ كانـت تُقـام الجمهورية بالحكـم الذاتـي، يعلنـون الحكـم الذاتـي لوحدهـم هكـذا، ولا يعتـرف بهـم أحـد فـي العالـم للأسـف الشـديد، ويظلّـون هكـذا يقاومـون حتـى يتـم الانهيـار لأنـه لا أحـد يمدّهـم.

كان يمدهـم قديمًـا الأتـراك. للأسـف باكسـتان فـي تلـك الفتـرة كانـت مشـغولة بنفسـها وكانـت تبـع الهنـد والمسـألة كانـت أن العالـم الإسـلامي كان محتـلًا فـي تلـك الفتـرة أصـلًا، ولا يسـتطيع أن ينقـذ هـؤلاء فـي تلـك الفتـرة، والعـرب أيضًـا كانـت معظـم الـدول العربيـة محتلّـة ومشـغولة، وحتـى بعـد أن اسـتقلّت هـذه الـدول كانـت أيضًـا رهينـة للاسـتعمار ومشـغولة ومشـغوفة بــ "مـاو تسـي تونـغ". مـاو تسـي تونـغ كان يُعتبـر محـرّر العبيـد. مـاو تسـي تونـغ بطـل حـرب العصابـات!

ولكنهم لم يعرفوا حقيقة ماو تسي تونغ. هذا ماو تسي تونع من أول ما جاء من سنة ١٩٤٩ فتك بالمسلمين انتقامًا منهم أولًا بالمسائل العقدية، كان شعاره هكذا: ألغوا القرآن في المناطق هذه. ثانيًا هو كان يعتقد أنهم ساعدوا اليابان في تلك الفترة.

ثم إنه بعد ذلك هذا ماو تسي تونع من سنة ١٩٥٠ لسنة ١٩٧٠ تقريبًا قام بعدة مجازر، أعدم ماو تسي تونغ وحده وهذه الحكومة الشيوعية أعدمت لوحدها حوالي نصف مليون مسلم تم إعدامهم، فقط هذا الإحصاء، ومائة ألف مهجّر في أيام الشيوعيين فقط.

مُقدِّم البرنامج: هل كان هناك من يستنكر، من يستهجن؟ كل هذه البلدان الإسلامية كانت تتحدث عن الموضوع؟

الدكتور هاني: لا، المعلومات كانت مغيّبة. الذي كان يعرف طبيعة الصراع هي الأمم الكبرى؛ كانت أمريكا تعرف ذلك، والبريطانيون يعرفون، والروس يعرفون، واليابان.

بعض المسلمين كانوا يلجؤون إلى الدول المجاورة، أين يلجؤون؟ كانوا يلجؤون إما إلى باكستان، إلى أفغانستان، إلى قرغيزستان، إلى طاجيكستان، إلى هذه الدول، وكانت معظم هذه الدول في فترة تحت قبضة الاتحاد السوفيتي ما كانوا يستطيعون فعل شيء. المنفذ الوحيد كان للمسلمين في تلك الفترة كان في اليابان، هؤلاء أنشأوا لهم مجلّات إسلامية، بهدف سياسي طبعًا بهدف الضغط.

فالمنفذ الوحيد القوي لهم مع دولة كانت قوية في تلك الفترة كانت اليابان الوحيدة؛ لأن هناك صراعًا بينهم؛ فقد كان الصينيون أيضًا يحمون بعض المعارضة ضد اليابان. يعني هذا صراع بين الأمم.

لكن العرب لا محلَّ لهم من الإعراب! ولا ما يُسمى الحكومات الإسلامية!

مُقدِّم البرنامج: غير مهتمين، هذا يعتبرونه: اطلبوا العلم ولو في الصين، يعني المكان بعيد.

الدكتور هاني: نعم. أنت حتى لو سألته ما تركستان هذه لا يفهم. الذي غيّب هذه الحقيقة هي هذه الحكومات أصلًا.

أكيد بعض هؤلاء يعلمون الحقيقة، ولكن الذي غيّب ذلك الإعلام، حتى في أيامنا هذه الإعلام متقدم جدًا، ولولا فضل الله ثم هذا الإعلام ما كنا عملنا حصة اليوم ومحاضرة في هذا الموضوع، ولكن لاحظ الإعلام العربي يكاد تكون القناة الفضائية الوحيدة الآن هي قناتكم المخصصة موضوعًا كبيرًا إلى حدّ ما. بعض القنوات الفضائية يأخذونها كخبر، وعندما يتكلّمون عن تركستان الشرقية يقولون هؤلاء معارضة صينية! هؤلاء اسمهم مثل ما تقول فلسطين المحتلّة، هذه تركستان الشرقية المحتلّة.

مُقدِّم البرنامج: في الأرقام في عدد السكان في المساحة طبعًا هم حوالي ثمانية ملايين حاليًا؟

الدكتور هاني: هذا على حسب إحصائية الصينيين.

مُقدِّم البرنامج: حتى يتحدثون أن عدد القتلى مائة وثمانين، والأعداد التي تحدَّثت عنها ربيعة قدير أربعمائة قتيل.

الدكتور هاني: تزوير! وحتى ربيعة قالت ستمائة، وواحد آخر من المعارضة قال لا يقل عن ألف قتيل.

مُقدِّم البرنامج: لكن على الأقل ما هو معروف في الحجم الدولي الاستراتيجي والجو الاستراتيجي؟

الدكتور هاني: الحجم الحقيقي لتركستان الحقيقي حسب إحصائية قديمة قالوا كل الدولة على بعضها هكذا والإقليم كله حوالي خمسة وعشرين مليونًا. لأن هناك أقلّيات أخرى موجودة، لكن الإقليم كله على بعضه عدد السكان خمسة وعشرين مليونًا.

الصين دائمًا منذ ماو تسي تونغ وحتى قبل ماو تسي تونغ منذ ١٩٤٩ وحتى وقتنا الحاضر دائمًا تقلّل من حجم المسلمين. يعني حتى الإحصائية الأخيرة ليست ثمانية ملايين هم قالوا ثلاثة عشر مليونًا.

طبعًا لا نحسب الناس اللاجئين المهجّرين في الخارج، الدول المجاورة هذه موزّع عليها ملايين المهجّرين، فالناس يحذفون هذا من الإحصائيات.

مُقدِّم البرنامج: يعني تركستان -فقط كمعلومات للمشاهد- هي المنطقة الوحيدة التي يسكنها المسلمون في الصين أم أن هناك مسلمين يسكنون في غيرها؟

الدكتور هاني: هذا سؤال جيد، نعم لا بد أن نفصّل حتى لا يختلط الأمر على الناس. عندما نقول مسلمون في الصين المعلومة هذه فهم غير المسلمين الذين يقيمون في تركستان. في الصين يعيش فيها مسلمون، عدد المسلمين في الصين لوحدها حوالي ثمانين مليون، بما فيهم هؤلاء أكثر من مائة وعشرة ومائة وعشرين مليون، يعني لما نأتي نقسّم نعم المسلمون يعيشون في الصين، وهؤلاء صينيون أصلًا. يعني هم من السلالات الصينية التي أسلمت قديمًا لما دخل الإسلام.

مُقدِّم البرنامج: وبالتالي هذا التناقض بين الصين وبين تركستان لا يمكن أن يكون دينيًا طالما أن هناك ثمانين مليون مسلم صيني يعيش في الصين، فممكن نعتبر أن له علاقة بالثقافة التركية؟

الدكتور هاني: لا، هي متشابكة. طبعًا هو له علاقة دينية أساسية وإلا انظر إلى القوانين التي فرضها الحزب الشيوعي. المسلمون أيضًا الذين يعيشون في الصين رغم أن حالهم ربما يُميّز إلى حدّ ما مع الآخرين ولكن نفس الحدود. هي درجات؛ رجل مواطن من الدرجة الثانية أو الثالثة، قبيلة الهان هذه الذين هم البوذيون وكل هؤلاء هم يشتغلون في أفضل الأعمال، المسلمون يتعاملون في بعض الأنواع التجارية التي غير مسموح لهم بها أصلًا، حتى المسلم الذي يعيش في الصين هو المسموح له -وهذا انفتاح متأخر وبحدود معيّنة- أن يذهب إلى الحجّ!

الحكومة الشيوعية عندما جاءت فعلت القوانين كالآتي: كل مدرسة كانت قديمة في تركستان الشرقية أو في الصين عامة أيام حكومة الجمهوريين والوطنيين أعطوهم بعض السماح لبعض الشعائر. وتخيّل كل هذا قُضي عليه! كان المعمول به أن تنشئ

مدرسة وبجانبها مسجد، كما هي طبيعة الحكم الإسلامي: مدرسة ومسجد. هؤلاء ماذا فعلوا؟ هدموا كل المساجد الموجودة بجوار هذه المدارس.

الحكومة بعد ذلك لما حدث في فترات تراخي أحيانًا مع العرب وفترات تصالح؛ سمحوا بوجود بعض المساجد، فهناك مدارس موجودة فالمدرسة التي يُنشأ بجوارها مسجد يتم إغلاقها هي والمسجد. تخيل العقوبة لهم؟! يقولون لأنه سيفسد التعليم والشبيبة!

تم تغيير الحروف. طبعًا كانوا يدرسون رغم كل هذا القمع على "تركستان الشرقية"، كانت اللغة التركية بالحروف العربية وليس بالحروف اللاتينية التي غيّرها كمال أتاتورك، فرضوا على الأولاد من الصغر أن يتعلّموا ذلك: بدل ما يدرس العلوم الدينية والشرعية والإسلام والقرآن: أولًا يدرس تعليم ماركس، ولينين، وماو تسي تونغ. حتى تقارير الإيغوريين -هم يقولون الإيغور كعرقية يعني- هؤلاء أصلًا بتقريراتهم قالوا إن الحكومة تمارس على الفتيات ظلمًا.

ولذلك أنا أتعجّب من هؤلاء الذين صدّعونا من جماعات المرأة وأن المرأة مظلومة وحقوقها مهضومة في العالم العربي أو الإسلامي؛ هذه الفتاة تُجبر وهي صغيرة في سن ستة عشر سنة تؤخذ من عائلتها من أبيها ومن أمها وتؤخذ إلى أقاصي الصين حيث تعمل إما في المعامل أو في المناجم أو في المخيّمات المختلطة وتُجبر هناك على الزواج من واحد بوذي غير مسلم على الإطلاق بحكم أن هذا هو العمل الذي تعمل فيه. وتعمل في ماذا؟ تعمل خادمة، وتعمل في المجاري. حتى الإقليم الذي فيه البترول، تخيل الإقليم الذي فيه البترول بشهادة منظمات الأمم المتحدة وغيرها، هذه بلدي أنا تركستان الذي فيها البترول مصانع البترول الكبرى والغاز والفحم، تخيل في سنة ١٩٩٠ قام ماو تسي تونغ بنقل كتلات بشرية لعمل ما يُسمى بالخلخلة السكانية، بعد أن كان الناس خمسة وتسعين في المائة منهم مسلمين.

مُقدِّم البرنامج: دعنا نتكلّم أكثر عن مسألة ما يُسمى بالتوطين (توطين الهان) وأيضًا ما يحصل حاليًا بعد الفاصل.

--------- [فاصل] ---------

## تركستان الشرقية (جز الثاني)

مُقدِّم البرنامج: أهلًا بكم في القسم الثاني من الحلقة مع الدكتور هاني السباعي "مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية" نحاول أن نبحث معه ما جرى أخيرًا في الصين في "تركستان الشرقية" في منطقة "شينجيانغ" التي حدث فيها مواجهات بين "التركستان" وبين هذه القبيلة التي أدّت إلى سقوط أكثر من ١٠٢ أو ١٩٠ قتيل.

في موضوع التوطين، هناك طبعًا من يعتبر أن المشكلة أن الصين تحاول أن تغيّر من طبيعة هذه المنطقة وأتت بقومية "الهان"، وهي أكبر القوميات الصينيات لتوطِّنها في هذه المنطقة لتلعب في التوازن الجغرافي هناك، لكن لماذا حدث الصدام الأخير؟ وهل هناك صدامات أخرى حدثت لم يتم الحديث عنها؟ اليوم الصحافة البريطانية والصحافة الأمريكية تتحدث عن الموضوع، قبل ذلك كان كل الهمّ الأساسي في الصين هو "التبت"، ما الذي حصل حاليًا لكي يكون الّهم الجديد هو "تركستان الشرقية"؟

الدكتور هاني: المشكلة مسألة التوطين أو تسليط الأضواء على تركستان الشرقية لم يأخذ حقّه مثل ما حدث لـ "التبت"، حصل استنفار في العالم كله ضدّ الصّين بسبب موضوع "التبت". ومفهوم لماذا؛ لأن هؤلاء (في تركستان الشرقية) مسلمون! يعني هذا بصراحة، وإلا فما الفارق بين "التبت" وبين هؤلاء (في تركستان الشرقية)؟ هذه مجازر تحصل الآن.

مُقدِّم البرنامج: "التبت" موضوع مطروح قديمًا، وهناك شخصية كاريزماتية معروفة في العالم..

الدكتور هاني: نعم، ولكن من الذي سوّق هذا؟!

مُقدِّم البرنامج: طيب لماذا هذه المرة "نيويورك تايمز" و "واشنطن بوست" يكتبون على الموضوع؟

الدكتور هاني: لأن هناك مصالح لهم.

مُقدِّم البرنامج: الصين تتهم كل هذه الحركات بأنها تأتي من الخارج وأن زعيمة هذه الحركات هي ربيعة قدير، وربيعة قدير موجودة في الولايات المتحدة هي وزوجها وبعض أولادها وتتحدث من هناك وتتحرك من هناك وبالتالي هذا الغرب بدأ يتحدث عن هذا.

الدكتور هاني: أقول لحضرتك على شيء: في ثورة ١٩٣٣ في عز الإمبراطورية البريطانية وبريطانيا العظمى في ذلك الوقت بريطانيا لم تفعل شيئًا، وكان فيه شبه غض الطرف وتواطؤ، لدرجة أنهم قتلوا لهم حوالي أكثر من خمسة وسبعين ألف في الثورة هذه، وعلّقوا أكثر من عشرين ألف إمام على الشوارع وقتلوهم، وتم تدمير كل ما يُلاحظ فيه الوجاهة، أو أنه شيخ، أو إمام، أو مدرّس، استأصلوا كل هؤلاء حتى لا يكون لهم من يمثّلهم في تلك الفترة في ١٩٣٣.

وهذا بلد بصراحة أنت تتعجّب كلما قضوا عليهم ودمّروهم يقومون مرة أخرى؛ ففي سنة ١٩٤٤ أقاموا دولة فعلًا، واستغلّوا فترة الحرب العالمية الثانية؛ فأقاموا دولةً بحكم ذاتي مستقلّ نهائي، وبعض الدول الغربية اعترفت بهم. في سنة ٤٦ تقريبًا الإعلان الرسمي، وفي أكتوبر ١٩٤٩ دخل ماو تسي تونغ ودمّر كلَّ هذه الدولة والغرب كان يشهد، والتوطين كان موجودًا عندما جاء ماو تسي تونغ وأتى بكتل سكَّانية من "الهان" هؤلاء وقال هؤلاء لديهم ثروات كبيرة جدًا.

هو يعلم أن هذه جمهوريات متاخمة لحزامٍ إسلامي كبير جدًا فماذا يعمل؟ أتى بهؤلاء البوذيين وهؤلاء من قوميتهم من الصينيين -وهم كثرة- فتم طرد هؤلاء السكَّان من أماكنهم ومن قراهم واستوطن هؤلاء؛ فاختلّت المعادلة؛ فهذا يعمل موظف بترول والآخر للمجاري! تخيل كانوا يتسوّلون؛ أهل البلد الحقيقيون كانوا يقفون وينظّفون المجاري ويعملون بالسخرة. وقبضوا على أكثر من ستة وخمسين ألف إمام وشيخ وطالب علم في أيام ماو تسي تونغ، قبضوا عليهم وشغّلوهم في السُّخرة ورعي الخنازير.

مُقدِّم البرنامج: نحن نحتاج وثائق تاريخية حتى نتحدث عن الموضوع، نحاول أن نتحدث عما حصل في ٢٠٠٩ حاليًا؛ هناك هذه المواجهات الحاصلة، وتركيا تطلب أن يتم طرح المسألة في مجلس الأمن، وطبعًا الصين ترفض.

حضرتك تؤكِّد أو تسلِّط الضوء على الناحية الثقافية أنهم أتراك وبالتالي نفهم لماذا تركيا تتحرك في هذا الشأن.

الولايات المتحدة تتحرّك بشكل أو بآخر على الأقل الصحافة البريطانية. مجموعة من البيانات تصدر عن ربيعة قدير. إذا تستطيع أن تقدم لنا ربيعة قدير ماذا تمثّل؟

الدكتور هاني: هي مواطنة من تركستان الشرقية وأشبه بالقوميين هؤلاء والعلمانيين الذين يدافعون عن حقوق مواطنيهم. وهي تم إيذاؤها وسجنها عدة سنوات، ولا يوجد شيء بل هي مسالمة أصلًا.

مُقدِّم البرنامج: تتحدث بعض التقارير أنها كانت سيدة أعمال بسيطة وبعد ذلك لأنها نشيطة تم انتخاباها لتمثّل هذا الإقليم في بكين وبعد ذلك تم سجنها وتم نفيها.

الدكتور هاني: بعد ٢٠٠٥

مُقدِّم البرنامج: تم نفيها، ونُفي زوجها قبل ذلك، وهناك عدد من أولادها موجودون في السجن.

الدكتور هاني: أربعة من أولادها.

مُقدِّم البرنامج: وأولاد آخرين موجودون معها.

الدكتور هاني: في الإقامة الجبرية.

مُقدِّم البرنامج: لكن حاليًا هناك من يعتبر أيضًا عندما حصلت الاحتجاجات الأخيرة في منطقة "التبت" منذ ثمانية عشر شهرًا هناك من اعتبر أن الغرب أو أعداء الصين يستخدمون الدين كما استُخدم سابقًا في مناطق عِدّة من أجل زعزعة الوحدة الصينية. قيل ذلك عن "التبت" وقد يُقال أيضًا ذلك عما يحصل في "تركستان

الشرقية". هل تعتبر أن هناك خوفًا من هذا "البعبع" الصيني، الولايات المتحدة تخاف من هذا "البعبع" وتحاول أن تُحاصِرَه بشكل أو بآخر، ولماذا لا يُعاد الكلام عن الأقلّيات الدينية والقومية الموجودة في الدول الآسيوية؟

الدكتور هاني: نعم هي المسألة واضحة جدًا والكلام صحيح. والدليل على ذلك أنه بعد أحداث ٢٠٠٢ لما احتلَّت أمريكا أفغانستان انظر إلى هذا التوافق والتحالف الآن: نحن كنا في الماضي نقول التحالف الروسي القديم العتيق بينه وبين الصين رغم أن الظاهر أن أمريكا هي عدو ظاهر للصين، هذه مسالة مفهومة عالميًا، ولكن التحالف هنا للمصلحة. بعد ٢٠٠١ الصينيون استغلّوا الأمر وركبوا الموجة، كما ركبها بعض الحكام العرب والأنظمة العربية.

ركبوا موجة الحرب على الإرهاب، وصنّفوا الجماعات على أنها إرهابية. حتى جماعات مساكين وبسطاء جدًا يطالبون ببعض حقوق الدنيا لهم من العمل والأشياء وحرية فتح المسجد وأشياء مثل هذا صنّفوهم أنهم حركات إرهابية.

في الفترة قبل ٢٠٠١ هناك بعض الجماعات والحركات من المسلمين هربوا إلى طالبان في تلك الفترة؛ لأنها في حدود أفغانستان؛ فعاشوا في كنف طالبان في تلك الفترة على أساس وجود استقرار وأن طالبان أمَّنت الناس. في ٢٠٠١ تم القبض على هؤلاء واعتقالهم لإرسالهم إلى غوانتنامو فيما بعد. وليس لهم علاقة بالمعنى، بل هؤلاء لاجئون. حتى بعض المحامين الأمريكان قالوا إن هؤلاء كانوا لاجئين في أفغانستان ولا يجب أن يُصنّفوا كإرهاب أو إرهابيين.

مُقدِّم البرنامج: لكن وقتها كان التناقض الرئيسي مع إسلام طالبان وبالتالي لا تفريط منهم.

الدكتور هاني: نعم، تحالفوا وبعد ذلك قبضوا عليهم. لكن الشاهد هنا في بداية الغزو العراقي، أنا أبيّن لك لعبة استخدام الجماعات أو استخدام الدين فزّاعة أيضًا للصين. يعني هو لا يدافع عن "التبت" ولكن للمصالح.

مُقدِّم البرنامج: وليس الدين فقط يعني تحريك هذه الأقلّيات من هذه الدول..

الدكتور هاني: مصالح أي شيء، أي حركات، حتى لو شيوعيين؛ لأنهم أحيانًا يؤيّدون بعض الفصائل الشيوعية واليسارية.

ولكن هؤلاء في ٢٠٠٣ في غزو العراق الصين اشترطت عليهم هكذا: أن جماعات معيّنة (في تركستان الشرقية) لم تكن أمريكا قد وضعتها في قائمة الإرهاب، فقالت لهم يجب أن تضعوها. هؤلاء الجماعات ما يُسمى الاتحاد الإسلامي، وكل الجماعات الأقرب إلى القومية وهكذا، أو إسلامية تريد بعض الحقوق، هؤلاء وضعتهم أمريكا إرضاءً للصين من أجل ماذا؟ من أجل أن توافق الصين على الموضوع ولا تعترض على قصة غزو العراق. يعني موضوع مصالح.

حتى الآن انظر إلى كل الاعتراضات التي قالها أوباما على الصين في موضوع "تركستان الشرقية"، أشياء كلام يتيم باهت لا يدل على اهتمام.

مُقدِّم البرنامج: وبالتالي حضرتك تبرّئ حاليًا الولايات المتحدة من أي مؤامرة ضد الصين كما تقول الصين؟ لكن الصين تقول بأن الموضوع منسّق وأن المظاهرات أمام السفارات يؤكِّد أن الموضوع منسّق.

الدكتور هاني: بل أنا أتّهم أمريكا أنها متواطئة مع الصين ضد هؤلاء "التركستان الشرقيين" المسلمين. والمفروض يكون العكس من أمريكا التي تقول نحن نحمي الأقلّيات!! وهؤلاء أنا لا أعتبرهم أقلّية، بل هؤلاء دولتهم مُحتلَّة، ويعيشون في دولتهم الحقيقية، والصينيون هم الذين احتلّوا دولتهم. أما أن أقول الأَقلّية الصينية فنعم أقول الأقلّية الصينية لكن فقط على من؟ على المسلمين الذين يعيشون في الصين، فهم أقلّية ٨٠ مليون أو ١٠٠ مليون. هؤلاء نعم هم أقلّية، ولكن التركستان الشرقيين ليسوا أقلّية في أماكنهم وهذه الدولة تنقرض.

مُقدِّم البرنامج: فيما كتبت الصحف حول ما حصل أخيرًا أن الإيغوريين هاجموا الصينيين "الهان" بعد أن حاولت الشرطة تفريق احتجاج ضد الهجمات القاتلة على

عُمّال الإيغور في مصنع جنوب الصين. وشنّ الصينيون "الهان" في "أورومتشي" هجمات انتقامية.

وأُعلن عن سقوط مائة وأربعة وثمانين قتيلًا بينهم مائة وسبعة وثلاثين من "الهان"، وستة وأربعين من الإيغور فكيف تفسّر هذا؟

الدكتور هاني: بداية الموضوع تمَّ في ٦/٢٦ في ٢٠٠٩. البداية كانت لأن هناك تمييزًا عنصريًا ضد هؤلاء، في مصنع للألعاب النارية أو الألعاب العادية أو للأطفال وغيرها، هؤلاء العنصريون "الهان" دائمًا يستفزّون هؤلاء المسلمين، واعتدوا على العمال الإيغوريين المسلمين. وتم قتل ما يقارب حوالي ١٢٠ أو ١٥٠ واحدًا تقريبًا في تلك الفترة من العمال، بحماية الشرطة طبعًا لأنها منهم أصلًا.

فالناس بعدها في ٥ يوليو ٢٠٠٩ راحوا عشرة آلاف في شوارع مدينة أورمتشي هذه. متظاهرون سلميون يندّدون بهذه الجريمة. تنديد ومظاهرة عادية، حوّلتها الشرطة بضرب النار الحي وليس بالقنابل المسيّلة للدموع ولا غيرها من الغازات، ضرب في السويداء بالنار الحي، فقُتل في هذه الحالة ما لا يقل عن ستمائة، دعك من التزوير الذي يقولونه.

بعد ذلك الدولة حتى لا تكون الشرطة هي المتصدرة، أوعزت إلى هؤلاء العنصريين الهان فأتوا بالعصي وبالهروات وبالجنازير وبالأسياخ وقاموا يكسّرون بعض الأماكن الخاصة عند شوارع المسلمين، واشتبكوا مع بعض المسلمين والشرطة هي التي تركتهم، ثم تدخّلت بعد ذلك بعد أن اتضحت الفضيحة. يعني هم الذين جاؤوا إلى شوارع المسلمين وأحياء المسلمين يضربونهم بإيعازٍ من الشرطة!

مُقدِّم البرنامج: هذه المرة هناك وسائل إعلام فتم الحديث عنها في العالم أجمع، وأصبحت الخبر الأول في بعض الأيام في بعض وسائل الإعلام العالمية، هل هذا الحدث الحالي سيغيّر شيئًا؟ هل بدأ يصبح على الأجندة العالمية الكلام عن تركستان الشرقية؟

الدكتور هاني: نعم نحن يجب أن نغيّر كالآتي: أولًا نحن لا نطالب الغرب فقط، نحن نطالب أصلًا العالم الإسلامي. دائمًا نحن ننكوي بنار الصديق! معظم الذين تَسبَّبُوا في مآسي المسلمين كانت روسيا هي التي كانت تمدّ هذا الكيان الغاصب في فلسطين وهي كانت حليفة العرب بالأسلحة وقبل حتى قيام الدولة هذه في فلسطين.

مُقدِّم البرنامج: ممكن لأن العرب يعتبرون القضية الأساسية هي قضية صراع مع إسرائيل فمن يقف معهم بالإمكان الاستغناء أو غض الطرف عما يحصل في الصين.

الدكتور هاني: نعم، هذا صحيح لأنهم يقزّمون المسألة.

نحن كمسلمين أمة واحدة، يسعى بذمتنا أدنانا، ونحن يد على من سوانا، وتتكافأ دماؤنا.

مُقدِّم البرنامج: بغض النظر عمن يدافع عن الإسلام والمسلمين هل هناك مؤسسات رسمية تابعة لدول وإلى آخره تتابع شؤون المسلمين هنا وهناك، على الأقل تصدر بيانًا؟

الدكتور هاني: لا لا للأسف، المؤسسات ضعيفة. مؤسسة رابطة العالم الإسلامي أنزلت بيانًا يتيمًا، واتحاد العالم الإسلامي. بيانات لا تسمن ولا تغني من جوع. جامعة الدول العربية هذه نائمة في سبات عميق!

مُقدِّم البرنامج: تعتبر الموقف التركي موقفًا لافتًا؟

الدكتور هاني: هو أفضل موقف. هذا الموقف التركي باعتبار أن هؤلاء من جنس الأتراك، وليس أتراكًا فقط، بل هؤلاء مسلمون مثلهم، ومن نفس الجذور، ومن مصلحة تركيا الوقوف معهم.

مُقدِّم البرنامج: لكن أساسهم أتراك؟

الدكتور هاني: نعم أساسهم أتراك، لأن تركيا هذه مجموعة فقط صغيرة تعيش في تركيا، لكن كل المحيط هذا معظمه تركي.

مُقدِّم البرنامج: لا أريد أن نغوص في السياسة التركية لكن هل لتركيا سياسية أخرى (جمعتها) مع تركمانستان، أذربيجان، تركستان الشرقية؟

الدكتور هاني: طبعًا لها مصلحة. لماذا؟ لأنها تضغط على الصين، لأن الصين معها مصالح أيضًا مع تركيا. تحسين أوضاع المسلمين هناك. وتركيا طبعًا تمدّ هؤلاء ببعثات دراسية، وهؤلاءِ يأتون إلى تركيا من تركستان يتعلّمون في تركيا بعض المسائل العلمية، والاقتصادية وغيرها. فهناك علاقات قوية اقتصادية مع الصين، فهي تضغط على الصين.

أنا أتمنى أن يحدث كالآتي: أن بعض هذه الدول توجّه لهؤلاء إذاعات باللغة الصينية أو بلغتهم، وهم طبعًا يتقنون الصينية الآن، وبعضهم راحت منه اللغة التركية القديمة؛ فتوجه إليهم بالتعاليم الإسلامية. لأنه ممنوع حتى الآن، تخيل في ٢٠٠٣ تقريبًا قبضوا على واحد يُعلِّم في بيته في منطقة سرية القرآن الكريم، البداية فقط هكذا. تعرف كم غرموه؟ غرَّموه ألف دولار!! وتم تشريد كل هؤلاء الشباب، وبعضهم ممنوع من السفر والذهاب إلى الخارج.

مُقدِّم البرنامج: هذا كله يدل على أن هناك مشكلة في الصين، بعض البحَّاثِين يعتبرون أن الصين توقَّفت على أن تكون دولة متعددة العِرقيات، الصين أصبحت دولة مركزية تهتم بهذا العرق الصيني "الهان" إلى آخره، وبالتالي على المستوى العقائدي المفترض أن تعاليم الشيوعية لا تتفق مع ذلك. وأيضًا الصحيفة الأمريكية "كريستيان ساينس مونيتور" تعتبر أنه الإنذار الثاني للصين بعد ١٨شهر على احتجاجات إقليم "التبت".

وهناك أيضًا "نيكولاس بلكين" وهو باحث من "شينجيانغ" يقول إن الصين لم تعد دولة متعددة الأعراق بل تحوّلت لتصبح دولة قومية مركزية. "إليوت سبيرلينغ" وهو من جامعة "إنديانا" الأمريكية يقول إن الإيغوريين لديهم روابط عرقية -طبعًا هم من هوية تركية ولكن أيضًا لديهم روابط عرقية مع شعوب آسيا الوسطى الأخرى-، تسعى الصين لطمس هذه الثقافة لأنها تنطوي على مكوِّنات تتخطَّى الحدود الوطنية مما قد يهدِّد الأمن الصيني.

أيضًا هناك بعض الخبراء يعتبرون أن سياسة توطين أفراد من "الهان" وهي أكبر قومية في الصين تحكمها هواجس أمنية تدفعها قناعة في بكين بأن إقليمي "شينجيانغ" و "التبت" هما جزء من الصين. هل هذه الصين الكبرى، هذه الصين التي ترعب العالم، أصبحت ترتعب من هذه الأقلّيات؟

الدكتور هاني: طبعًا لأنه أولًا "تركستان الشرقية" ليست المسألة سهلة. هم أعطوا تركستان الشرقية ما يُسمى الحكم الذاتي الصوري هكذا، منظر حتى يضحكوا على العالم، ولكن في الحقيقة هم المسيطرون. أيضًا تخيل أن حاكمًا في تركستان الشرقية اسمه مسلم هكذا بعد ٢٠٠٨ في قصة الأولمبياد والاختراعات لما قالوا إن هناك حركات تمرّد، قال هؤلاء تبع "القاعدة"!

استغلّوا قصة القاعدة في كل من يُقبض عليه؛ ضرب، وقمع، والقضاء على الشباب. حتى الحاكم متواطئ، عميل وبيدق لهم، ويقول إن هؤلاء الذين يطالبون بحقوقهم تبع القاعدة. طبعًا الناس يضحكون، والمراقبون يعلمون أن هذا نوع من السخف واستغلال لفزّاعة الحرب على الإرهاب.

هذه الهوية وهؤلاء السكان كأفراد يكاد يكون هناك شبه انقراض الآن. يعني في الكيلو متر الواحد لو تحسبها كان الأول من كل عشر مواطنين مثلًا تسعة من المسلمين التركستان الشرقيين وواحد فقط من "الهان". الآن انقلبت، بقي تسعة "هان" وواحد من المسلمين من التركستان الشرقية.

مُقدِّم البرنامج: طيب حاليًا الاحتجاجات يعني على الأقل كما كتبت "لوس أنجلوس تايمز" نقلت عن الأمين العام لرابطة الإيغور بأمريكا أن المحتجّين كانوا يلوّحون بالأعلام الصينية مما يؤكّد أنهم لم يكونوا دعاة انفصال، فماذا يريدون؟ يريدون تحسين شروط العيش في الصين؟ أم بعد ذلك يريدون أكثر من ذلك؟

الدكتور هاني: المعارضة الموجودة في الخارج هذه مثل بعض القوميين العرب، وبعض الحركات، هي تحاول تمسك العصى من المنتصف، حتى لا تُحرج الحكومات التي تستضيفهم؛ لأن الصين سيحتجّون: هذه حركة انفصالية وتريد أن تنفصل. نعم أريد أن أنفصل، لماذا لا تنفصل، هذه دولتك الحقيقية وهؤلاء محتلّون ويجب توصيف الوصف الحقيقي.

تخيل هؤلاء لطمس هوية المسلمين وقضوا على الثقافة والمدارس واللغة وكل شيء والآن في يوم واحد قضوا في هذه البلد على أكثر من نصف مليون نسخة من

المخطوطات. كان فيه عندهم مخطوطات نادرة على مستوى العالم؛ مخطوطات باللغة العربية، ومصاحف نادرة كان يتبرّك بها الأمراء قديمًا ويكتبونها. تم حرقها في ميدان عام، أكثر من نصف مليون، وهذه كانت في أيام ماو تسي تونغ أيضًا.

في سنة ١٩٩٠ المصيبة كبرت عندما حصل ما يُسمى الانفتاح، قالوا "تركستان المفتوحة"، يعني أيها "الهان" عليكم بالدخول إلى هذه الأرض المفتوحة والمستعمرة الجديدة! وفعلًا دخلت أمواج بشرية فحدث خلخلة سكّانية في تلك البلاد.

أنا أعتقد أنه يجب توجيه المسلمين والحكومات والأفراد والجماعات إلى أن يتنبهوا لهذه القضية، وأن هذه القضية لا تقل عن قضية كشمير، ولا تقل عن قضية فلسطين، وهي من قضايا المآسي التي للأسف يحتلب المسلمون دمًا عبر التاريخ بسبب هذه القضية.

ولذلك فأنا أقول: هذه القضية للأسف الشديد لا بواكي لها، مثل بقية القضايا المسلّط عليها حتى من باب على استحياء الإعلام.

مُقدِّم البرنامج: أشكرك جزيل الشكر دكتور هاني السباعي "مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية".

طبعًا حاولنا من خلال هذا البرنامج إلقاء الضوء، وهناك أرقام، وهناك حوادث، أتركها على مسؤوليتك. لكن بالإمكان مناقشتها في حال فعلًا كان هناك أيضًا رأي آخر أو رأي مؤيد لما يحصل في هذه المنطقة.

أشكر لكم حسن الانتباه والمتابعة.

وإلى اللقاء.

٢١ أغسطس ٢٠٠٩م

# التجلية في الرد على التعرية

بقلم د. هاني السباعي

مركز المقريزي للدراسات التاريخية

الطبعة الأولى

٢٧ من ذي الحجة ١٤٢٩هـ الموافق ٢٥ ديسمبر ٢٠٠٨م

# التجلية في الرد على التعرية


## بقلم د.هاني السباعي

مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية


الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. وبعد:

لقد صال الدكتور سيد إمام وجال في مذكرة التعرية ولم يجب على الأسئلة التي كان من المفترض أن يجيب عنها خاصة المتعلقة بالحكم الشرعي للنظام المصري وأنصاره (وزراء/جيش/شرطة/قضاة/علماء سلطة/وسائل إعلام إلخ) والأنظمة العربية القائمة لنتأكد هل كانت تراجعاته تراجعات جدية! فهل رئيس النظام المصري مسلم أم كافر؟ نريد إجابة صريحة؟ وهل الوزراء وهم أهم أنصار الحاكم وأعوانه لقد سماهم الدكتور سيد إمام في كتابيه (العمدة والجامع) بأنصار الطواغيت! هل هؤلاء كفار أم مسلمون؟! لم يجب في تراجعاته؟ هل القضاة والصحفيون والعلماء الرسميون مسلمون أم كفار؟ وهل المنتسبون إلى الجيش والشرطة كفار أم مسلمون؟! وعن رأيه في العملية الانتخابية وسلوك الطريق الديمقراطي والدخول في البرلمانات؟! لقد كفرالدكتور سيد إمام في كتابه الجامع وهو أحدث من كتابه العمدة كفر الناخب والمنتخب وكل من يشارك في هذه العملية برمتها! ولم يتكلم في التعرية عن آثار الحكم بالقوانين الوضعية كحكم إسقاط عقد الذمة؟

ولم يحدثنا في التعرية عن حكم التحالف مع أمريكا ولا عن حكم من حزن لأحداث سبتمبر ٢٠٠١م! فقد كفر في رسالته (الإرهاب من الإسلام) من حزن على قتلى الأمريكان أو واساهم؟ رغم أنه كان في تعريته حمامة سلام! من أول الوثيقة

إلى آخرها مع الأمريكان! وصب جام غضبه على الشيخين (أسامة بن لادن وأيمن الظواهري)!! ولم نسمع له حساً عن حكم سن التشريعات الخاصة بالموسيقى والغناء وعن حكم التجارة في آلات العزف واللهو! وعن حكم من ينتسب إلى معاهد الموسيقى والغناء والتمثيل؟ لقد صرح بأن من يشرع إباحة وفتح هذه المعاهد وآلات اللهو والتمثيل والمعازف بأنه كفر أكبر؟ لقد صرح بذلك في كتابه الجامع الذي أقام الدنيا ولم يقعدها من أجله! كنا نود أن يجيب عن الأسئلة التي طرحها عليه الدكتور أيمن الظواهري في كتاب التبرئة؟! لكنه لم يفعل؟!

نريد أن نعرف هل وصل إلى منظومة تراجعية متكاملة تناقض ما كان قد سطره في كتابيه (الجامع في طلب العلم الشريف، والعمدة)، أم أن هذه التراجعات تقية فكرية لتحقيق مكاسب آنية (تحسين وضعه في السجن، ويعقبه تخفيف مدة العقوبة، أو عفو رئاسي)! والذي دفعني لهذا التساؤل هو إصرار الدكتور على استمساكه بما ورد في كتابيه الجامع والعمدة! وهذا ما سأفرد له بعون الله تعالى عينة من آرائه وفتاويه في الشق الموضوعي في ردي على مذكرة التعرية!!

لقد كان يتوقع كثير من المتابعين لهذه التراجعات أن يرد الدكتور سيد إمام على كتاب التبرئة للدكتور أيمن الظواهري رداً علمياً مشفوعاً بالأدلة الشرعية! لكنه خيب ظن هؤلاء المتابعين حيث أبعد النجعة! وطفق يقذف بالباطل ليدمغ الحق الذي ورد في ردود مخالفيه على وثيقته التراجعية! فبدت التعرية عارية تماماً من الأدلة النقلية والعقلية!

ومن منطلق هذا الاستهلال فإنني سأشرع في توضيح وتجلية ما ورد من مغالطات في مذكرة التعرية على النحو التالي:

أولاً: تقدمة:

ثانياً: التعليقات الشكلية على التعرية.

ثالثاً: التعليقات على بعض النقاط المثارة في صلب التعرية.

رابعاً: عينة من آراء وفتاوى صاحب التعرية.

## صفوة القول.

أولاً: تقدمة:

إن الأنظمة القمعية الأمنية الفاشلة الجاثمة على صدور أمتنا الإسلامية تسير على وفق تعليمات مؤسسة راند الأمريكية حذو القذة بالقذة! وهي سياسة قديمة جديدة لكل مستعمر (فرق تسد)! فالاحتلال البريطاني للهند هو الذي أوجد القاديانية وشجعها ومولها ومنحها حمايته للطعن في عقيدة الإسلام بغية اطفاء شعلة ذروة سنام الإسلام (الجهاد) من صدور أبناء المسلمين الذين كانوا يجاهدون الاحتلال البريطاني لبلادهم! وتكرر هذا الأمر في تلكم الفترة في العراق وإيران وتركيا وإيجاد حركات سرية هدامة لأصول الإسلام كالبهائية مع تشجيع حركات التصوف والشعوذة في شبه القارة الهندية وأفريقيا وفي مصر إبان الاحتلال الفرنسي باعتبار أن أنموذج أصحاب الريات الخضر والبيارق الحمر والصفر هو الأنموذج المرضي عنه لدى قوات الاحتلال وقد رأينا بأم أعيننا كيف وصل الهوان بالعالم الإسلامي عندما وصل هؤلاء البيادق (علمانيون بجميع مشاربهم ومتصوفة وحركات إسلامية أقرب إلى التعلمن منها للإسلام كالحزب الإسلامي في العراق وحلف الشمال في أفغانستان يتمسحون بالإسلام ويرفعون رايته التي لا يعرفها رسول الله صلى الله عليه وسلم! رأينا كيف وصل عبد الواحد رئيس جماعة من الدراويش والمشعوذين إلى سدة الحكم فصار رئيساً لأكبردولة في العالم الإسلامي أندونسيا ثم نراه أكبر مطبع مع الكيان الغاصب لفلسطين بل كان يفتخر بهذه الصداقة الحميمة التي كانت مستعصية على سوكارنو المحارب للمسلمين وللشريعة الإسلامية في بلاده! ثم ها هي ذي الجمعيات التي يطلق عليها إسلامية ومحمدية تفتح البلاد للكيان الغاصب لفلسطين بدون خوف أو وجل! فهذا هو الدين الجديد المرضي عنه أمريكيا وغربياً؛ استنساخ صحوات فكرية وعسكرية بغية تفكيك الكتلة الصلبة في الأمة (أفغانستان/ فلسطين/ العراق/ الشيشان/ كشمير/ الصومال وغيرهم) التي تعتبر العقبة الكأداء في مواجهة المشروع الأنجلوأمريكي لاحتلال العالم الإسلامي!

لذلك كان لزاماً على الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي أن تقوم بحماية

عروشها المرتهنة بالمشروع الأنجلو أمريكي من خلال تبني فكرة تفتيت الكتلة الصلبة من خلال مسلسلات (التراجعات) وتضخيمها إعلامياً مع إبراز مجموعة من المحللين الذين اختيروا لترويج هذه المستنسخات (التراجعات= تصحيح مفاهيم/ترشيد/تعرية/صحويات)! وتخصيص منابر إعلامية تابعة مباشرة أو غير مباشرة لمؤسسات هذه الأنظمة التي أخذت على عاتقها تسليط الأضواء على هذه التراجعات وأصحابها!

## أولاً: التعليقات الشكلية على التعرية

الأول: عنوان الوثيقة الجديدة (مذكرة التعرية لكتاب التبرئة)! فالتعرية للدكتور سيد إمام، والتبرئة للدكتور أيمن الظواهري؛ وكان يرد فيه على (وثيقة ترشيد العمل الجهادي لنفس صاحب التعرية).

الثاني: لقد انفرد بنشر (التعرية) جريدتان؛ المصري اليوم، والشرق الأوسط؛ أما (المصري اليوم فقد نشرت التعرية في ١٣ حلقة ابتداء من تاريخ ٢٠ ذي القعدة ١٤٢٩هـ الموافق ١٨/١١/٢٠٠٨م إلى آخر حلقة بتاريخ ٢/١٢/٢٠٠٨م). وأما جريدة الشرق الأوسط فقد نشرت التعرية في ١١ حلقة ابتداء من نفس التاريخ السابق وانتهاء بتاريخ ٣٠ من ذي القعدة ١٤٢٩هـ الموافق ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٨م. معنى ذلك أن الشرق الأوسط كانت تختصر بعض الحلقات وتعدل بعض العبارات خشية المتابعة القضائية في حق بعض الأشخاص الذين يعيشون في الغرب بصفة خاصة.

الثالث: نشرت الجريدتان المذكورتان آنفاً (مذكرة التعرية) رغم ما حوته من عبارات سب وقذف وشتائم وتخوين! لو كتبت هذه العبارات في حق أي شخص آخر غير الشيخين (الشيخ أسامة بن لادن والدكتور أيمن الظواهري) لكان مصير الجريدتين الحبس والغرامة ولربما الإغلاق! طبقاً للقوانين الوضعية المعمول بها على مستوى العالم! لكننا نتفهم أن روح الانتقام الذي جمع بين كاتب التعرية والنظامين اللذين تتبعهما الجريدتان مع تأكدهما أن الشيخين لا يستطيعان رفع مثل هذه القضايا نظراً لوضعهما الأمني الذي لا يخفى على أحد! لذلك كان عرض الشيخين مباحاً لصاحب التعرية ومن وراءه!

الرابع: الأصل أن مذكرة التعرية رد على كتاب التبرئة ، وقد يكون نشر التعرية متفهماً أو مستساغاً لو أن نفس الجريدتين نشرتا كتاب التبرئة للدكتور أيمن الظواهري فيكون من حقه إذن أن ينشر رداً وتعقيباً على كتاب التبرئة! لكن الذي حدث أن الجريدتين نشرتا التعرية دون نشر التبرئة! أو حتى على الأقل أن تقسم الصفحة قسمين أو كل كتاب في صفحة ليقارن القارئ بين الكتابين! وهذا يدل على التحيز لصاحب التعرية! لحاجة في نفس من نشروا وثيقة التعرية! وهذه الحاجة التي في أنفسهم لا تحتاج إلى ذكاء خارق فالهدف واضح وجلي؛ تفتيت الكتلة الصلبة وتدمير رموزها الصامدة ولو معنوياً!!

الخامس: إصرار وسائل الإعلام على إبراز صاحب التعرية بهالة من الألقاب (مفتي الجهاد)! وعبارة (المراجعات الثانية لتنظيم الجهاد)! وكأن هناك مراجعات أولى! وهذا تدليس بل وكذب صراح! فالدكتور سيد إمام ترك جماعة الجهاد باعترافه هو شخصياً منذ خمسة عشر عاماً! ولم تعد تربطه أية علاقات بجماعة الجهاد! ولا بغيرها من الجماعات الإسلامية الجهادية الأخرى! كما أنه صرح بأنه ليس مفتياً! كما أن القاعدة والجماعات الجهادية الأخرى لا تثق بهذه التراجعات! ولا بهؤلاء المشايخ المتراجعين! فلم تستشره أو تستفتيه وهو حر طليق في اليمن! فقد تجاوزته ولديها من المشايخ ومن أهل العلم ما فيه الكفاية!

السادس: نلاحظ أن صاحب التعرية لم يذكر مخالفيه إلا باقتران أسمائهم بالكذب والفسق والغش والخداع وعدم المروءة! وفي أحسن الأحوال بدون أية ألقاب مثل الدكتور أو الشيخ أو الأخ!! وفي نفس الوقت تتعمد معظم وسائل الإعلام وكثير من المحللين الذين جيئ بهم ليعلقوا على هذه التعرية الجديدة! ذكر صاحب كتاب التبرئة بدون ذكر لقبه العلمي! وكان من الانصاف إما أن يذكروا أسماء الطرفين بدون ألقاب أو يسووا بين الطرفين! ولكن هذه المساواة لم تحدث فيصرون على ذكر صاحب التعرية بالدكتور فضل أو الدكتور سيد إمام! ويجردون الدكتور أيمن الظواهري من لقبه! بغية التقليل من شأن الدكتور أيمن الظواهري! رغم أن معظم وسائل الإعلام الغربية لا تفعل ذلك! فالدكتورالظواهري صدرٌحيث كان!

السابع: نلاحظ أن مذكرة التعرية خلت من أي رد شرعي معتبر! وكان صاحب التعرية يكرر عبارات وموضوعات سبق أن كتبها وكررها أيضاً في وثيقة الترشيد التي نشرت العام الماضي ٢٠٠٧م! وسبق أن رد الدكتور أيمن على هذه القضايا والشبهات في كتابه (التبرئة)، وكنت بفضل الله تعالى أول من رد على وثيقة الترشيد في يوم صدور العدد الأول ونشر في كثير من وسائل الإعلام بعنوان (تعليق أولي على وثيقة ترشيد العمل الجهادي) وكان ذلك بتاريخ ٨ من ذي القعدة ١٤٢٨هـ الموافق ١٨ نوفمبر ٢٠٠٧م. ثم قمت بالرد على كتاب وثيقة الترشيد في عشر حلقات كوامل في برنامج البالتوك بالأنترنت وكان كل يوم سبت ومدة الحلقة الواحدة حوالي ساعتين! واستمر برنامج ردي على الدكتور سيد إمام شهرين ونصف! والحلقات موجود في موقع المقريزي! وكان ذلك قبل أن ينشر الدكتور أيمن الظواهري كتابه التبرئة! وسبب تركيزي على هذه الجزئية أن صاحب التعرية اتهم الدكتور أيمن أنه تسرع في الرد على وثيقة الترشيد قبل أن تنشر رغم أن الدكتور أيمن الظواهري لم يذكر هذه الوثيقة في بياناته السمعية والمرئية إلا في جمل قليلة دون ذكر الدكتور سيد إمام بالاسم وكان ينتقد فكرة التراجعات في حد ذاتها دون أن يتطرق إلى التفاصيل! ثم بعد ذلك نشر الدكتور أيمن كتابه التبرئة في مائة وتسعين صفحة رداً على الوثيقة بالتفصيل الشرعي والتاريخي والفكري! وهذا سر إثارة حفيظة صاحب التعرية ففقد توازنه وكتب مذكرة التعرية التي أضرت به كثيراً!

الثامن: نلاحظ أن صاحب التعرية قد كرر موضوع كتابه (الجامع)، وقضية الترس، والعهد والأمان، مع إضافة قضايا شخصية إن صحت فلا علاقة لها بالرد الشرعي الذي كان يعول عليه صاحب التعرية ومن دفعوه لذلك! بالإضافة إلى فواصل من السباب والاتهام بالعمالة والخيانة والتضليل والتكفير المبطن! في بعض العبارات حيث كان يخلط صاحب التعرية بين القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة وبين آرائه! فمن يعترض على آرائه يتهمه بأنه يعارض كلام الله! ومن يعترض على كلام الله أو رسوله فقد كفر! هكذا بكل بساطة يكفر مخالفه بمجرد أن صاحب التعرية استشهد بآية أو حديث في غير موضعه! فيومئ إلى القارئ أن الدكتور أيمن الظواهري أو الشيخ

أسامة يخالفان قول الله تعالى أو يعارضان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم! وفي الحقيقة فإنهما يخالفانه هو لا يخالفان النص (القرآن وصحيح السنة)! وهذا يدل على أن صاحب التعرية فقد بوصلة الرشد وأن السجن جدد له أزمات كان يعاني منها قديماً وخاصة عقدة أنه عندما فارق جماعة الجهاد لم يتبعه أحد! وقد كان يظن أنه إذا ترك الجماعة سيلتف حوله معظم أعضاء الجماعة وقادتها وهذا لم يحدث! وحدث بالعكس حيث التف معظم قادة وأفراد الجماعة بالدكتور أيمن الظواهري وبايعوه عدة مرات أميراً لجماعة الجهاد منذ عام ١٩٩٣م وقد كتبت حول هذه البيعة في قصة الجهاد التي نشرتها جريدة الحياة اللندنية عام ٢٠٠٢م.

التاسع: يعتبر نشر مذكرة التعرية أكبر دعاية لكتاب التبرئة للدكتور أيمن الظواهري! فلم يعرف بكتاب التبرئة إلا ثلة من المتابعين لمواقع الإنترنت من إسلاميين وإعلاميين ومراقبين للحركات الإسلامية خاصة الجهادية! فهاتان الجريدتان ومعهما بالطبع صاحب التعرية ساعدوا في تحفيز القراء على البحث عن كتاب التبرئة وتنزيله من الإنترنت! فكان الدكتور أيمن الظواهري الحاضر الغائب! وأحسب أنه قد صدق فيه قول أبي تمام:

وإذا أراد اللهُ نشرَ فضيلةٍ *** طُويتْ أتاحَ لها لسانَ حسود

لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورتْ *** ما كان يُعرَفُ طيبُ عَرفِ العود

العاشر: نشرت جريدة الشرق الأوسط العدد ١٠٤٠٩بتاريخ ١٣ جمادى الأولى ١٤٢٨هـ الموافق ٢٩ مايو ٢٠٠٧م: " طالب الدكتور فضل منظر «القاعدة»، الذي يعرف باسم سيد إمام عبد العزيز الشريف مؤسس جماعة «الجهاد» المصرية من داخل محبسه في مصر بمليون جنيه استرليني مقابل كتاب المراجعات الذي ألفه تحت عنوان «وثيقة ترشيد الجهاد في مصر والعالم». وقال الدكتور في رسالة بخط يده تلقتها «الشرق الأوسط» عبر مصدر وسيط «إن الكتاب يقع في ٩٠ صفحة من مقاس A٤ تقريبا، وهو مختصر ومركز لسهولة التداول وتعميم الفائدة». وذكرت الجريدة أيضاً في نفس العدد: " وطالب الدكتور فضل «مليون استرليني صافية بدون مصروفات أو أتعاب

محامين، يضاف اليها ١٠ في المائة من قيمة المبيعات». أهـ. أقول: هذه كانت مطالبه في وثيقة الترشيد فما بالك في مذكرة الشتائم والسباب (التعرية)!

الحادي عشر: لقد انكشفت السوأة الفكرية للتعرية! إن كان هناك فكر قد كتب من الأصل! فما التعرية إلا إسقاط لحالة صاحب التعرية النفسية التي كشفها الدكتور أيمن الظواهري في تبرئته وعراها تماماً من أية مقومات فكرية أو شرعية ولم يبق ويا للحسرة! للدكتور سيد إمام إلا بقايا هيكل فكري متآكل مهزوم ينبش في تاريخ قديم لعله يجد في هذه الحفريات التاريخية أثارة من شبهة ليقذف بها قادة الكتلة الصلبة والطليعة المجاهدة في هذه الأمة! فكانت التعرية خبط عشواء ومحاولة يائسة ليخرج من زنزانته بأي ثمن ولو على أشلاء عرض قادة الجهاد!

الثاني عشر: إن تسويق تراجعات الدكتور سيد إمام التي طبخت في أقبية أمن الدولة كأنموذج يحتذى به لم يؤت أكله ولم يحقق غرضه! وكان لتسويق هذه التراجعات مردود عكسي حيث استبان للناس جمعاء تعرية أصحابها فكرياً وعقدياً!

## ثانياً: التعليقات على بعض النقاط المثارة في صلب التعرية

نشرع الآن في التعليق على بعض ما ورد في مذكرة التعرية على النحو التالي:

(١) طلب المباهلة:

بدأ الدكتور سيد إمام في الحلقة الأولى من تعريته سيلاً من التهم والسباب للدكتور أيمن الظواهري متهماً إياه بالكذب والبهتان والافتراء: " قال الظواهرى إن (وثيقة ترشيد الجهاد) كُتبت بإشراف أمريكا واليهود من كتاب (التبرئة)، فقال: (إن الوثيقة كتبت بإشراف وتمويل السفارة الأمريكية والمخابرات الأمريكية السى آى إيه - واف بى آى والحملة الصليبية اليهودية). فما دليله على هذا الكلام وما مستند شهادته هذه؟. هل مستند شهادته السمع أم البصر أم نقل الشهود العدول؟ فإن لم يكن هذا ولا هذا فهو رجل كذاب مفتر، وأنا أدعوه إلى المباهلة فى هذا الأمر" (التعرية/الحلقة الأولى/ المصري اليوم بتاريخ ٢٠٠٨/١١/١٨م).

أقول: العجب العجاب أن يطلب الدكتور سيد إمام طلب المباهلة وهو يعلم يقيناً أن وثيقة الترشيد وأخواتها في التراجعات قد كتبت بمعرفة وإشراف وتسويق أمن الدولة الذين أعلنوا النفير العام بتراجعات صاحب التعرية ووصفه بالعالم الدكتور الشيخ الفقيه شيخ الظواهري ومفتي الجهاد!! رغم أنه كان في نظرهم من قبل نكرة لا يعيرون له اهتماماً ولم تعرفه هذه الأقلام المرتبطة أمنياً وكان في عداد المجاهيل! فسبحان مغير الأحوال! فبعد أن صار في قبضتهم وفي سجنهم وقدم لهم ما يريدون رغبة ورهبة! طفقوا يطبلون ويزمرون لتراجعاته! مستخدمين وسائل الإعلام التابعة لأنظمتهم المستبدة! والغريب إصرار صاحب التعرية على المباهلة! ومذكرته من أول حلقة إلى آخر حلقة دفاع مستميت لصالح أميركا! ومقارانات في غاية الغرابة من أن عدد القتلى على أيدي القاعدة من المسلمين يفوق عدد ما قامت به أمريكا! أمريكا التي قتلت مليوني عراقي وأبادت مدائن وقرى بأكملها في أفغانستان وأزهقت أرواح أكثر من مائتي ألف قتيل أفغاني! فأمريكا حسب ما يريد أن يوصله لنا الدكتور سيد إمام أنها مظلومة وبريئة وأن الدكتور أيمن الظواهري والشيخ أسامة بن لادن وكل هؤلاء القادة سفاكون للدماء!! فأين حمرة الخجل يا صاحب التعرية! تطلب المباهلة وتراجعاتك كلها في صالح المشروع الأمريكي ومؤسسة راند رأس الحربة الفكرية التي تتبنى هذه (الصحويات التراجعية الجديدة)!

إن كنت لا تدري فتلك مصيبة ** وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

وانظر إلى هذه الطلب المضحك! يقول صاحب التعرية: "وأنا أطالبه بمثل هذه المباهلة كتابة وبالصوت والصورة التى لا تتيسر لى"أهـ (التعرية/الحلقة الأولى/المصري اليوم). يقول (بالصوت والصورة التي لا تتيسر لي)! فصاحب التعرية يطالب الدكتور أيمن الظواهري بالمباهلة بالصوت والصورة التي لا تتيسر له!! وكيف تيسر له كتابة هذه التراجعات (وثيقة الترشيد التي نشرتها جريدة المصري اليوم المفضلة أمنياً! ويطلق على هذه الصحف الجديدة في مصر (صحف كونداليزا)! لمثل هذه التراجعات وجريدة الجريدة الكويتية، وحواره مع جريدة الحياة بدون وسيط من داخل السجن في ست

حلقات بالصورة، وتسجيله بالصوت والصورة للتلفاز المصري الذي يخضع كلياً لأمن الدولة!! بالإضافة إلى مذكرة التعرية التي نشرتها جريدتا المصري اليوم والشرق الأوسط)!!

وهذا مقتطف مما ذكره الدكتور أيمن في تبرئته متسائلاً: "أما لصالح من نشرت ووزعت هذه الوثيقة؟ فالمستفيدة الأولى من هذه التراجعات هي أمريكا. (أ) فالمجاهدون يدعون الأمة للقيام والنهوض والتصدي والجهاد والاستشهاد، والمتراجعون يدعونها للتخاذل والاستسلام، فيفتحون الباب واسعاً أمام استشراء المخطط الصهيوني الأمريكي. (ب) والمجاهدون هم الذين أفشلوا المخطط الأمريكي في المنطقة، وهم أيضاً من تنتقدهم تلك التراجعات. (ج) وأمريكا تعرف خطورة التيار الجهادي والقاعدة عليها وعلى مستقبلها ومكانتها في العالم، فالقاعدة لا تطالب فقط بطرد المحتلين الصليبيين واليهود من بلاد المسلمين، بل تطالب أيضاً بأن يباع البترول بسعره الحقيقي، بكل ما تمثل هذه الدعوة من آثار مدمرة على السيطرة الأمريكية على العالم، التي انبنت بدرجة كبيرة على سرقتها لثروات المسلمين"أهـ (التبرئة/ الناشر مؤسسة السحاب/ محرم ١٤٢٩هـ/ يناير٢٠٠٨م/ ص٥).

أما عن كيف كتبت هذه الوثيقة فيتساءل الدكتور أيمن الظواهري ويجيب: "أما كيف كتبت هذه الوثيقة؟ فهذه التراجعات لم تكتب في ظروف القهر والسجن والخوف فقط، ولكنها كتبت بإشراف وتوجيه وتدبير وتمويل وإمكانات الحملة الصليبية اليهودية، ولم يبذلوا فيها هذه الأموال والجهود إلا لأنها تصب في مصلحتهم، ولو كانوا لا يحققون بها مصالحهم لما سمحوا لصاحبها أن ينطق أصلاً"أهـ (التبرئة /ص٩).

(٢) تهمة العمالة:

إن أخطر ما في تراجعات الدكتور سيد إمام (الوثيقة والتعرية وحواراته) اتهامه إخوانه بالعمالة والخيانة وهو يعلم أن هذه تهم خطيرة يترتب عليها أحكام شرعية في منتهى القسوة تصل إلى الحكم بالردة!

قال صاحب مذكرة التعرية: "أما عندما اتهمته أنا بالعمالة للمخابرات السودانية، فأقسم بالله الذى لا إله غيره أننى سمعت هذا الكلام من فم الظواهرى بأذنى مباشرة

بدون واسطة فى السودان آخر ١٩٩٣م إذ قال لى (إنه ملتزم أمام السودانيين بتنفيذ عشر عمليات فى مصر، وإنه تسلم منهم مائة ألف دولار لهذا الغرض) هذا كلامه لي"أهـ (التعرية/ الحلقة الأولى حسب ترتيب جريدة المصري اليوم بتاريخ ١٨/١١/٢٠٠٨م).

أقول: هذا كلام لا يسلم لصاحب التعرية للأسباب التالية:

(أ) لا يوجد ثمة شاهد واحد على اتهامه وشهادته كخصم غير مقبولة في حق الدكتور أيمن الظواهري! دليل ذلك ما ذكره أبو داود في سننه في كتاب القضاء في باب من ترد شهادته حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد شهادة الخائن والخائنة، وذي الغِمر على أخيه" قال أبو داود: الغمر: الحِنَة والشحناء" سنن أبي داود تحقيق الألباني الألباني/مكتبة المعارف للنشر/الرياض/الحديث رقم ٣٦٠٠ ص ٥٤٥ حسّن هذا الحديث الألباني في الكتاب المذكور).

قال العلامة شمس الحق العظيم آبادي: "صرح أبو عبيد بأن الخيانة تكون في حقوق الله كما تكون في حقوق الناس من دون اختصاص (وذي غمر) بكسر الغين المعجمة وسكون الميم أي الحقد والعداوة (على أخيه): أي المسلم فلا تقبل شهادة عدو على عدو سواء كان أخاه في النسب أو أجنبياً" أهـ (شمس الحق العظيم آبادي: عون المعبود في شرح سنن أبي دواد/ دار الفكر بيروت /١٤٢٣هـ/ج١٠ ص٧).

وقال الإمام موفق الدين ابن قدامة: "ولا يقبل الجرح من الخصم بلا خلاف بين العلماء" أهـ (ابن قدامة: المغني مع الشرح الكبير/ج١١ ص٤٢٦).

الشاهد أن الدكتور سيد إمام خصم وعداوته قديمة وسابقة في حق الدكتور أيمن الظواهري منذ خمس عشرة سنة في مقدمة كتابه الجامع! وكرر هذه العداوة في وثيقة الترشيد وحواراته الست في جريدة الحياة وثالثة الأثافي هذه التعرية! ومن ثم فالدكتور سيد إمام مجروح الشهادة ولا تقبل أقواله ولا يعتد بها شرعاً!

وأخشى أن يكون قد أصابه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في البخاري: « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»أهـ.

(ب) يقول صاحب التعرية إن الدكتور أيمن تسلم من السودانيين لتنفيذ عشر عمليات في مصر: (وإنه تسلم منهم مائة ألف دولار لهذا الغرض)! تخيل! وهل المائة ألف دولار تكفي لعملية واحدة! والعملية الواحدة تحتاج إلى شقق إيواء للأشخاص الذين يجمعون المعلومات وهم يختلفون عن المنفذين الذي لا تربطهم في الغالب أية علاقة ولا يعرفون بعضهم، وسيارات للتنقل ومتفجرات وتذاكر سفر وتختلف من هدف لآخر! كل هذا يحتاج إلى بئر نفط مفتوح لتقوم بخمس عمليات وليس عشرة! ومن أين سينفق الدكتور أيمن كأمير للجماعة ومسئول عن عوائل وأرامل وأفراد منتشرين في أماكن متفرقة في مصر وخارجها! من المائة ألف دولار؟!!

(ج) وإذا كان الدكتور أيمن أباح له بهذا السر الخفي!! سنة ١٩٩٣م فلم ظل يقبل العيش بينهم وفي بيت استأجروه له في أفخم منطقة في الخرطوم! ولماذا لم يرفض خدمات الأخ الذي كان يساعده منذ أيام إسلام آباد وبيشاور ثم السودان حيث كان السكرتير الخاص له ويكتب له كتابه (الجامع)على الحاسوب! وكان هذا الأخ (سكرتيره الخاص) مبايعاً للدكتور أيمن ويعمل تحت إمرته! لماذا قبل الدكتور سيد إمام التعامل مع هؤلاء العملاء؟! ولماذا قبل أموالهم وعطاياهم ؟! ولماذا كان يتردد على مضافة الشيخ أسامة بن لادن في الخرطوم رغم علمه بأنه عميل للباكستان والسودانيين أيضاً!! لماذا لم يهجرهم إلا في سنة ١٩٩٤م؟! لماذا وألف ألف لماذا؟!

(د): فهؤلاء العملاء! كانوا ينفقون عليه في باكستان ثم السودان وهم الذين استقبلوه ودفعوا له ثمن تذاكر الطائرة ودفعوا له كراء البيت في أرقى أحياء السودان (الطائف)! فكيف يستسيغ هذه الأموال من عملاء مأجورين مرتزقة!

(هـ): وهل يتذكر د.سيد إمام الخدمات التي قدمها له شباب جماعة الجهاد في اليمن حيث كانت هناك سيارة واحدة تخدم العوائل! وكانوا يؤثرونه وعائلته على أنفسهم وتتعطل مصالحهم بغية تحقيق رغباته وشراء حاجياته! وقد حدثني أحد الثقات أنه شخصياً كان يذهب ليتوسط لبعض الشيوخ في اليمن لإيجاد عمل له! وقال إن د. سيد إمام طلب من الاخوة القائمين في اليمن أن يزوروا له بعض الشهادات التي تفيد أن لديه خبرة في علمه الطبي للحصول على عمل يؤيد خبرته! وكاد هذان الأخوان أن يقبض عليهما بعد أن شك فيهما أحد العاملين بمؤسسة رسمية في اليمن! هل يتذكر ذلك وهل الغاية تبرر الوسيلة !!حتى لو كانت الوسيلة جريمة التزوير!

(و): يتهم صاحب التعرية الشيخ أسامة بن لادن بالعمالة للباكستانيين وأنه كان يمول الحملة الانتخابية لنواز شريف! يقول في الحلقة الثامنة: " واتهم الظواهرى «حماس» بأنها اشتركت فى الانتخابات على أساس دستور علمانى.. ولماذا حماس فقط؟ ولماذا لا ينتقد الظواهرى شيخه المقدس ابن لادن؟، لقد كان ابن لادن ينفق أموالاً طائلة لدعم نواز شريف فى الانتخابات البرلمانية فى باكستان ضد بى نظير بوتو، وذلك من أموال الجهاد التى يدفعها له السعوديون، ولما علمتُ بذلك عام ١٩٩٢م قلت لأبى حفص المصرى وهو الذى سلمَّ الأموال لنواز شريف: (يا أبا حفص، والله إن ابن لادن يقودكم إلى جهنم)."أهـ (التعرية الحلقة الثامنة/ المصري اليوم بتاريخ ٢٠٠٨/١١/٢٧م).

أقول: نلاحظ أن الدكتور سيد إمام يحمل على غائب وعلى موتى! وهذه أسهل طريقة للتهرب من تبعة المساءلة! يقول (قلت لأبي حفص المصري)! وأبو حفص المصري رحمه الله الذي استشهد في قصف صاروخي أمريكي على منزل في قندهار في مستهل غزوهم لأفغانستان ٢٠٠١م! كما أننا لا ننسى أن صاحب التعرية خصم مجروح الشهادة! فشهادته هدر باطلة لا قيمة لها! والعجيب أنه يقول له (إن ابن لادن سيقودكم إلى جهنم)! فلماذا تعاملت مع الشيخ أسامة بعد ذلك وحتى خروجك من السودان! ومن الذي كان ينفق عليه في باكستان والسودان! ولماذا كان يتردد على مضافة

الشيخ أسامة ويجتمع به باشاً مسروراً! فلماذا يجلس مع أهل جهنم!! هذا محض كذب وافتراء! هؤلاء القادة وعلى رأسهم الشيخ أسامة بن لادن كانوا ينفقون من حر مالهم وبذلوا أنفسهم رخيصة لله رب العالمين! يفتري عليهم ويقول قدموا أموالاً سعودية كانت مخصصة للجهاد لدعم حملة نواز شريف! وهو الذي ضن بنفسه وهرب من ساحات الجهاد وكانت أقرب إليه من شراك نعله! كما أنني في دهش من هذه الأنظمة التي سمحت له بنشر هذه التعرية! وهو يعتبر العملية الانتخابية طريقاً إلى جهنم!

(٣) الشماتة في الأصدقاء! يشمت في مقتل الدويدار وأبي الليث الليبي!

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من شماتة الأعداء! كما جاء في صحيح مسلم: "عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِىَّ -صلى الله عليه وسلم- كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ وَمِنْ دَرَكِ الشَّقَاءِ وَمِنْ شَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ وَمِنْ جَهْدِ الْبَلاَءِ" أهـ. وإذا بالدكتور سيد إمام لا يلتزم بأدب هذا الحديث النبوي الشريف ويعلن صراحة في إصرار عجيب! شماتته في إخوانه وأصدقائه السابقين!

يقول صاحب التعرية الدكتور سيد إمام شامتاً في إخوانه الذين قتلوا شهداء نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحداً بأيدي العدو القريب (الأمن اليمني)، والعدو البعيد (القصف الصاروخي الأمريكي في وزيرستان)!! لقد سبق وأن كرر هذه الشماتة في مقتل المجاهد المقدام أحمد بسيوني الدويدار! في يوليو ٢٠٠٧م! وكان ذلك في وثيقة الترشيد! ثم نراه في تعريته يضيف إلى قائمته في الشماتة القائد البطل المغوار الشيخ أبا الليث القاسمي الليبي الذي استشهد وكوكبة من المجاهدين في قصف أمريكي في منطقة وزيرستان بباكستان في يناير ٢٠٠٨م!

قال الدكتور سيد إمام! في مقدمة مذكرة التعرية: "هؤلاء من منسوبى تنظيم القاعدة أخذتهم العزة بالإثم، وعزموا على الرد على الوثيقة الأولى حتى قبل نشرها بعدة أشهر، فسقط أحدهم قتيلاً فى صنعاء باليمن فى شهر يوليو من عام ٢٠٠٧ وهو يكتب الرد، ثم سقط الثانى فى وزيرستان باليمن فى يناير ٢٠٠٨، وهو يكتب الرد أيضًا

فانبعث ثالثهما وأشقاهم الظواهرى فكتب الرد فى شهر مارس عام ٢٠٠٨ سماه كتاب «التبرئة»، تجرأ فيه على التلاعب بالدين، ولم يعتبر بما أصاب صاحبيه"أهـ (التعرية/ الحلقة الأولى/المصري اليوم).

أقول: هل هذه أخلاق أهل العلم! بل هل هذه أخلاق مسلم! يشمت في إخوانه لمجرد الرد عليه! رغم أن الدويدار رحمه الله لم يكتب حرفاً واحداً في الرد عليه! فقط لأن صاحب التعرية بلغه أن الدويدار همَّ وفكر في نيته قبل مقتله بالرد! فقتل على الفور! ماذا عسانا أن نقول في هذا الخلق الرفيع! هل وصل بك الأمر أن تشمت في مقتل دم مسلم برئ كان يرعى أولادك ويدافع عنك في غيابك!

انظروا ماذا يقول في حواره مع الحياة الحلقة الخامسة: " كما أنني دعوت الله على الذين خانوا الأمانة. دعوت الله أن يكفينهم بما شاء فما أمهلهم الله شهراً حتى سقط أحدهم قتيلاً، وشرد الله بقية الخائنين" أهـ. ما شاء الله على البركات والدعاء المستجاب! وفي نفس الحلقة يدعو على جماعة الجهاد " :أنا أدعو الله تعالى على كل من تكلم عني بغير حق أن يقطع الله لسانه ويده، وكنت دعوت الله على جماعة الجهاد لما مزقوا كتابي «الجامع» أن يمزقهم الله فمزقهم الله سبحانه وتعالى وذهبوا شذر مذر وتفرقوا أيدي سبأ" أهـ.

بركاتك يا د.إمام! لكن هل لك أن تخلص نفسك من السجن وتدعو على ضباط أمن الدولة الذين سجنوك ويعذبون إخوانك !هل لك في تخليص الأمة في مشارق الأرض ومغاربها بالدعاء على المحتلين لفلسطين وفك حصار أهل غزة! وتحرير العراق وأفغانستان والصومال وكشمير والشيشان! مجرد دعاء أرض جو عابر للقارات! ولو مرة واحدة لكي تتحرر بلاد المسلمين من المحتلين والمستبدين وكفى الله المؤمنين القتال!!

وإلى صاحب التعرية الشامت! أليس له في ابن باعوراء عبرة! فلم ينفعه علمه وغره هواه وشيطانه فماذا كانت عاقبته! اقرأ إن شئت قول الله تعالى (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) (لأعراف:١٧٥).

(٤) العدو القريب والبعيد أيهما أولى:

ركز صاحب التعرية على قضية (العدو القريب والعدو البعيد) وفصل فيها بطريقة غير منضبطة في الحلقة الثانية والثالثة وشن هجوماً على الشيخين حيث قال في الحلقة الثانية: "أما قولهم «إن أمريكا واليهود هم سبب مصائب المسلمين»: ليحشد بن لادن المسلمين معه ضدهم، وليحول الأمر من قضيته الشخصية «المقدمة عنده على أى شيء آخر» إلى قضية أمة، فهذا قول ظاهر البطلان مناقض للقرآن" أهـ (الحلقة الثانية/ المصري اليوم بتاريخ ١٩/١١/٢٠٠٨م).

ويصرخ صاحب التعرية: " يا معشر المسلمين بن لادن يستخف عقولكم، فإن مصائب المسلمين هى بسبب المسلمين أنفسهم هذا كلام الله ومن أنكره فقد كفر"أهـ (الحلقة الثانية/المصري اليوم).

وانظر إلى العجب العجاب في قول صاحب التعرية: "إن عدد المسلمين الذين تسببت القاعدة فى قتلهم وتشريدهم فى بضع سنين في كينيا وأفغانستان والعراق والسعودية والجزائر وباكستان وغيرها يفوق بكثير عدد من قتلتهم إسرائيل أو شردتهم فى فلسطين وما حولها فى ستين سنة فالقول بأن القاعدة تدافع عن المسلمين هو «حديث خرافة» بل إنها تقتل المسلمين وتشردهم، ولكن الظواهرى وشيخه بن لادن يستخفان بعقول الناس" أهـ (الحلقة الثانية/ المصري اليوم).

قبل أن أعلق على هذه القضية (العدو القريب والبعيد) التي أثارها الدكتور سيد إمام فهناك ملاحظات سريعة حول الفقرات السابقة:

الملاحظة الأولى:

لقد كرر صاحب التعرية هذه العبارة (ليحشد بن لادن المسلمين معه ضدهم، وليحول الأمر من قضيته الشخصية «المقدمة عنده على أى شيء آخر» إلى قضية أمة)!.

لـم يفسـر لنـا الدكتـور سيد إمـام مـا المقصـود بالقضيـة الشـخصية التـي جعلهـا الشـيخ أسـامة بـن لادن مـن أولوياتـه ومقدمـة علـى أي شـئ آخـر! فالقضيـة الشـخصية التـي جعلهـا الشـيخ أسـامة بـن لادن مـن أولوياتـه إخـراج المشـركين مـن جزيـرة العـرب ومـن أراضـي المسـلمين المحتلـة وهـي القضيـة التـي تبناهـا الشـيخ أسـامة منـذ تأسـيس تنظيـم القاعـدة وحتـى تحويلـه إلـى قاعـدة الجهـاد! فـأي عيـب هنـا! فـي أن يصـرخ مسـلم غيـور علـى دينـه فـي قومـه وأمتـه ويحرضهـم علـى الدفـاع عـن بلادهـم المغتصبـة وطـرد المحتـل! مـا الضيـر فـي أن ينـذر مسـلم غيـور ولـو كان فـرداً واحـداً أمتـه فـي أن تقـوم بواجـب الفريضـة الغائبـة؟!

الملاحظة الثانية:

نلاحـظ أن د. سـيد إمـام يدنـدن حـول تكفيرالشـيخين (أسـامة بـن لادن والدكتـور أيمـن الظواهـري) بطريقـة التـلازم بيـن المقدمـة والنتيجـة! دقـق فـي قولـه : "يـا معشـر المسـلمين بـن لادن يسـتخف عقولكـم، فـإن مصائـب المسـلمين هـى بسـبب المسـلمين أنفسـهم هـذا كلام اللـه ومـن أنكـره فقـد كفـر" أهــ. فهـل الشـيخ أسـامة ناقـض القـرآن الكريـم أم ناقـض فهـم ورأي صاحـب التعريـة؟!

الملاحظة الثالثة:

نلاحـظ فـي ثالثـة الأثافـي! يقـول صاحـب التعريـة: "إن عـدد المسـلمين الذيـن تسـببت القاعـدة فـى قتلهـم وتشـريدهم فـى بضـع سـنين فـى كينيـا وأفغانسـتان والعـراق والسـعودية والجزائـر وباكسـتان وغيرهـا يفـوق بكثيـر عـدد مـن قتلتهـم إسـرائيل أو شـردتهم فـى فلسـطين ومـا حولهـا فـى سـتين سـنة "أهــ.

إسـرائيل التـي اغتصبـت فلسـطين ومذابحهـا فـي ديـر ياسـين وكفـر قاسـم وفـي حافـا ويافـا ورام اللـه وجنيـن وعسـقلان وتهويدهـا للقـدس وقتلهـا لآلاف الفلسـطينين والمصرييـن فـي ١٩٤٨/ و١٩٥٦م و١٩٧٣م ومذبحتهـم فـي بجـر البقـر والإغـارات المتكـررة علـى المصانـع والمـدارس فـي القاهـرة وسـائر محافظـات مصـر! والأردنييـن والسـوريين واغتصابهـم الجـولان!

ومجازهم المتكررة بحق الشعب الفلسطيني قبل وبعد وعد بلفورالمشؤوم ومروراً بجرائمهم في الثلاثينيات وقيام دولتهم عام ١٩٤٨م على أشلاء جثث الفلسطينيين الأبرياء، وتولي الحكم عصابات الهاجاناة بقيادة بن جوريون وبيجين ورابين وشامير وبيريز وشارون، وقافلة السفاحين الذين حكموا هذا الكيان الغاصب لفلسطين! وضربهم المفاعل النووي العراقي والمذابح التي راتكبوها في اجتياحهم للبنان عدة مرات! وتشريدها لأكثر من خمسة ملايين فلسطيني في الشتات! ناهيك عن مؤامراتهم في تخريب هوية الأمة عسكرياً واقتصادياً وثقافياً وإعلامياً!! كل هذه الجرائم التي اقترفتها إسرائيل على مدار ستين سنة! لا تساوي الجرائم التي ارتكبها تنظيم القاعدة!! ويبرئ أمريكا بقوله في الحلقة الثانية: "فإن القوات الأمريكية أثناء تواجدها فى السعودية بعد غزو العراق للكويت ١٩٩٠م لم تقتل مسلمًا فى السعودية، ولكن القاعدة قتلت مسلمين فى السعودية"أهـ (الحلقة الثانية/المصري اليوم).

أقولك: أليس هذا استخفافاً بعقول المسلمين وغير المسلمين؟! وأين قول الرسول صلى الله عليه وسلم كما في صحيح البخاري: (المسلم أخو المسلم)، وفي سنن أبي داود وابن ماجه بسند صحيح:(المسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم)! أمريكا لم تقتل مسلماً في السعودية! لكنها قتلت مليوني مسلم في العراق! وأكثر من مائتي ألف في أفغانستان! وتحرض أثيوبيا على احتلال الصومال فتقوم أثيوبيا بقتل المسلمين في الصومال بالإنابة عن الأمريكان! وبعد كل هذا يطلب الدكتور سيد إمام المباهلة! لأنه ألف تراجعاته ابتغاء مرضات الله! وليس ابتغاء مرضات أمريكا وعملائها!

عود إلى العدو القريب والعدو البعيد أيهما أولى بالقتال:

يقول صاحب التعرية في الحلقة الثالثة: " بدعة «البدء بقتال العدو البعيد قبل العدو القريب»: اخترع الظواهرى هذا المبدأ المصادم للقرآن والسنة كجزء من فقه التبرير لمساندة مشروع ابن لادن فى محاربة أمريكا، ودعموا هذا المبدأ بقولهم «إن أمريكا هى سبب مصائب المسلمين»"أهـ (الحلقة الثالثة/المصري اليوم بتاريخ ٢٠٠٨/١١/٢١م). ثم يقول

صاحب التعرية ليصل إلى تكفير الشيخين!: " إلا أن الظواهرى ضرب بالكتاب والسنة عرض الحائط واخترع لهم نظرية «البدء بالعدو البعيد» لمجاراة هوى شيخه ابن لادن، وهذا معارضة وتبديل للشرع بالرأى، وفى مثل هذا قال ابن تيمية «والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه، أو حرّم الحلال المجمع عليه، أو بدّل الشرع المجمع عليه، كان كافرًا مرتدًا باتفاق الفقهاء» من «مجموع الفتاوى» ٣/٢٦٧."أهـ (الحلقة الثالثة/ المصري اليوم).

هكذا قد بدّع وفسّق صاحب التعرية الدكتور أيمن الظواهري والشيخ أسامة لأنهما يقاتلان العدو البعيد (أمريكا)! وخالفا الأمر القرآني حسب فهمه وزعمه بقتال العدو القريب (الأنظمة العربية)!

وللتعليق على هذه القضية أقول وبالله التوفيق:

(أ): يعجب المرء ويدهش من إصرار الدكتور سيد إمام على تبني قتال العدو القريب (الأنظمة العربية) وعلى رأسها النظام المصري! الذي حكم عليه وسجنه وأذله وعذب إخوانه! واستبدل الشريعة الإسلامية بالقوانين الوضعية البشرية التي تحكم بغير ما أنزل الله! وهذا ما يعتقده الدكتور سيد إمام في هذه الأنظمة أنها مرتدة لأنها لا تحكم بما أنزل الله! وكافرة أيضاً لأنها تحكم بالقوانين الوضعية! ولم يلتمس لهم عذراً أو مبرراً في ذلك واعتبر مجرد الحكم بغير ما أنزل الله ولو في قضية واحدة مخرج عن الملة! ولا يشترط الجحود أو الاستحلال القلبي! وخصص باباً كبيراً في كتابه الجامع في طلب العلم الشريف للرد على الشبهات التي تدافع عن الأنظمة الحاكمة بالقوانين الوضعية في العالم الإسلامي! وللعلم فإنه معتقد راسخ في كتب الدكتور سيد إمام!.

لكن مصدر العجب! أن توافق هذه الأنظمة على الترويج لهذه التعرية! التي تصر على قتالهم هم وأنهم أولى بالأمريكان من غيرهم! يعني بكل صراحة أن الدكتور سيد إمام يقول للشيخين أسامة بن لادن والدكتور أيمن الظواهري وقادة القاعدة تعالوا قاتلوا في بلادكم هذه الأنظمة (العدو القريب)! التي تنشر لي تراجعاتي أولى من أن تقاتلوا الأمريكان (العدو البعيد)!! أليس يوجد بين من سهل ونشر هذه التراجعات وخاصة

التعرية الأخيرة رجل رشيد؟! يراجع ما كتبه د. سيد إمام!! أم أن الهدف كان فقط للنيل من الدكتور أيمن الظواهري وصاحبه الشيخ أسامة بن لادن!! فأعماهم الله عن التفطن لهذا الرأي الذي أفرد له الدكتور سيد إمام حشداً من الأدلة لقتال العدو القريب (الأنظمة الحالية في العالم الإسلامي)!!

(ب): لقد كتبت قديماً مقالاً بعنوان (العدو القريب محاولة لتشخيص أحد أمراض الأمة) استعرضت فيه محطات هامة في تاريخ الأمة، وأن تفشي هذا الداء وغفلة الأمة عن عدوها القريب تسبب في تشرذمها وتفرقها وضياع دولة الخلافة وذهاب قوتهم وعزهم! لكنني لم أشأ أن أذهب مذهب الدكتور سيد إمام وغلوه في تبديع وتفسيق بل وفي التكفير المبطن لمخالفيه في هذه القضية.

(ج) وللعلم فإن قضية (العدو القريب والبعيد)! ليست من أركان الإسلام ولا الإيمان! وليست من أصول أهل السنة! فلم يبدع علماء السنة أو يفسقوا أو يكفروا من يبدأ بالعدو البعيد قبل العدو القريب! فهذا كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للحافظ أبي القاسم اللالكائي المتوفى ٤١٨هـ لم يشر إلى هذه القضية (العدو القريب والبعيد)! وهذا العلامة الفقيه الحنفي أبو جعفرالطحاوي المتوفى ٣٢١هـ لم يذكر في متن العقيدة الطحاوية هذه القضية رغم أنه تكلم عن قضايا أخرى كالمسح على الخفين لتبيان مخالفة أهل السنة للشيعة الإمامية في هذا الشأن! ورغم ذلك لم يكتب بنداً واحداً عن العدو القريب والبعيد! ولا حتى عن التفسيق والتبديع لمن يبدأ بقتال العدو البعيد! وقبل ذلك كتب الحافظ أبو بكر بن أبي عاصم المتوفى ٢٨٧هـ رداً على المبتدعة كتابه السنة! ولم يذكر فيه قضية العدو القريب والبعيد! ولا تبديع المخالف في بدء قتال العدو البعيد! ولم يذكر العلامة عبد الله بن أحمد بن حنبل المتوفى ٢٩٠هـ في كتابه السنة هذه القضية! ولا حتى الفقيه الحنبلي أبو بكر الخلال المتوفى ٣١١ هـ في كتابه أيضاً المسمى بالسنة! هذه القضية! ولا حتى العلامة أبو بكر الآجري المتوفى ٣٦٠هـ في كتابه الشريعة! قضية العدو القريب والعدو البعيد ولا حتى تفسيق أو تبديع المخالف! ولا حتى في لمعة الاعتقاد للفقيه الحنبلي الحافظ الموفق بن

قدامة صاحب كتاب المغني المتوفى ٦٢٠ هـ !! وهذه كتب شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى ٧٢٨هـ(العقيدة الحموية/الواسطية/التدميرية/التحفة العراقية وغيرها) لم لم يذكر هذه القضية في كتب العقائد ولم يرد عنه أنه بدع أو فسق من بدء بقتال العدو البعيد! حتى الكتب المعاصرة كمعارج القبول للشيخ حافظ حكمي المتوفى ١٣٧٧هـ لم يذكر هذه القضية في شرح سلم الوصول وهو يتناول عقيدة أهل السنة!

(د): فأين توجد هذه القضية (العدو القريب والبعيد) في كتب الأقدمين! هذه المسألة تكلم عنها العلماء قديما وحديثاً في كتب التفسير وكتب السير عند تفسيرهم لقوله تعالى في محكم التنزيل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)(التوبة:١٢٣).

قال شيخ المفسرين الطبري المتوفى ٣١٠ هـ: " يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله قاتلوا من وليَكم من الكفار دون من بعُد منهم، يقول لهم: ابدءوا بقتال الأقرب فالأقرب إليكم داراً دون الأبعد فالأبعد. وكان الذين يلون المخاطبين بهذه الآية يومئذ الروم، لأنهم كانوا سكان الشأم يومئذ، والشأم كانت أقرب إلى المدينة من العراق. فأما بعد أن فتح الله على المؤمنين البلاد، فإن الفرض على أهل كل ناحية قتال من وليهم من الأعداء دون الأبعد منهم ما لم يضطرّ إليهم أهل ناحية أخرى من نواحي بلاد الإسلام، فإن اضطرّوا إليهم لزم عونهم ونصرهم، لأن المسلمين يد على من سواهم."أهـ (الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ دار الفكربيروت ١٤٢١هـ/ ج٧ ص٨٥، ص٨٦).

وقال الفخر الرازي: "اعلم أنه نقل عن الحسن أنه قال: هذه الآية نزلت قبل الأمر بقتال المشركين كافة، ثم إنها صارت منسوخة بقوله: قَاتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَافَّةً [التوبة: ٣٦] وأما المحققون فإنهم أنكروا هذا النسخ وقالوا: إنه تعالى لما أمر بقتال المشركين كافة أرشدهم في ذلك الباب إلى الطريق الأصوب الأصلح، وهو أن يبتدؤا من الأقرب فالأقرب، منتقلاً إلى الأبعد فالأبعد.أهـ (طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ ج١٦ص٢٣٤).

أقول: الشاهد مما سبق أن علماء المسلمين لم يبدعوا أو يفسقوا الحسن البصري لأنه خالفهم في رأيهم! ولم يتهمه أحد أنه خالف صريح القرآن وناقضه! لأن هذه مسألة اجتهادية فقد كانت متصورة في ظل دولة الخلافة الجامعة التي كانت تحمي بيضة الإسلام ولها حدود معروفة! وقد أشار صاحب كتاب مفاتيح الغيب إلى دار الإسلام بقوله: " أن دار الإسلام واسعة، فإذا اشتغل أهل كل بلد بقتال من يقرب منهم من الكفار كانت المؤنة أسهل، وحصول المقصود أيسر"أهـ (الرازي مفاتيح الغيب ج١٦ ص٢٣٥).

(هـ): أما اليوم فلا توجد هذه الدولة الإسلامية الجامعة التي تذود عن حياض المسلمين! فالعدو البعيد صار قريباً! والعدو القريب هو العين الساهرة لحماية مصالح العدو البعيد في بلاد المسلمين! كما أن العدو البعيد هو الذي يحمي عروش العدو القريب! ويطيل في عمر هذه الأنظمة الآيلة للسقوط! فالعدو البعيد على مرمى حجر من العدو القريب! فقواعده منتشرة في ربوع العالم الإسلامي! وجنوده يصولون ويجولون تحت سمع وبصر وحماية العدو القريب! لقد تماهى العدو القريب في البعيد ولم نعد نفرق بينهما! فهما وجهان لعملة واحدة!

وها نحن أولاء نرى العدوين البعيد والقريب في مكان واحد (فلسطين/أفغانستان/العراق/ الصومال/كشمير/الشيشان والحبل على الجرار)! وقد أشار الرازي إلى اجتماع العدوين في وقت واحد بقوله في تفسيره: "ومصالح الدنيا مبنية على ترجيح ما هو أكثر مصلحة على ما هو الأقل، وهذا الذي قلناه إنما قلناه إذا تعذر الجمع بين مقاتلة الأقرب والأبعد، أما إذا أمكن الجمع بين الكل، فلا كلام في أن الأولى هو الجمع، فثبت أن هذه الآية غير منسوخة البتة" أهـ (الرازي: مفاتيح الغيب ج١٦ ص٢٣٥).

إذن فالجماعات الإسلامية الجهادية تقاتل العدوين؛ البعيد والقريب في مكان واحد! العدو البعيد (أمريكا والناتو) احتلوا أفغانستان ونصبوا عملاء لهم (العدو القريب؛ كرزاي وبطانته)! ونفس السيناريو في العراق العدو البعيد (أمريكا وحلفاؤها) نصبوا أحفاد أبي رغال حكومة الخضران! المالكي وعصابته! (العدو القريب)! وحتى في الصومال

العدو البعيد (نسبياً) أثيوبيا احتل الصومال بمباركة (العدو القريب) عبد الله يوسف وزمرته! وهذه مجرد أمثلة تنطبق على البلاد المحتلة مباشرة أو بالوكالة!

(و): انظر يا صاحب التعرية! إلى هذا الكلام النفيس للحافظ ابن قدامة الحنبلي الذي كان يجاهد الصليبيين وهو يدافع عن الإمام الزاهد المجاهد عبد الله بن المبارك الذي كان يجاهد العدو البعيد في بلاد الشام ويترك القريب في بلاد خراسان! يقول ابن قدامة مدافعاًعن ابن المبارك:"هذا والله أعلم إنما فعله ابن المبارك لكونه متبرعاً بالجهاد والكفاية حاصلة بغيره من أهل الديوان وأجناد المسلمين والمتبرع له ترك الجهاد بالكلية فكان له أن يجاهد حيث شاء ومع من شاء. إذا ثبت هذا فإن كان له عذر في البداية بالأبعد لكونه أخوف أو المصلحة في البداية به لقربه وإمكان الفرصة منه، أو لكون الأقرب مهادناً أو يمنع من قتاله مانع فلا بأس بالبداية بالأبعد لكونه موضع حاجة"أهـ (ابن قدامة: المغني مع الشرح الكبير/ج١٠ ص٣٧٣).

أقول: هكذا كانت أخلاق العلماء واختلافهم وحسن ظنهم ببعضهم! فلم يفسقوا أو يبدعوا الحافظ عبد الله بن المبارك لأنه ترك جهاد العدو القريب في خراسان! وجاء الشام ليرابط ويغزو العدو البعيد في البر والبحر!

(٤): اسم منفذ عملية محاولة اغتيال وزيرالداخلية الألفي ١٩٩٣م:

انظر إلى الكذب الصراح وهو يتهم الدكتور أيمن الظواهري من خلال هذه الفقرة:

يقول صاحب التعرية: "أكذوبة ثانية للظواهرى فى كتابه (التبرئة) قال فى صفحة (١٩٩) إننى تكلمت فى (الوثيقة) عن عمليات جماعة الجهاد فى مصر، وهى محاولتى اغتيال وزير الداخلية حسن الألفى ورئيس الوزراء عاطف صدقى، وأننى ذكرت اسم أحد المنفذين (ضياء الدين) كاملاً، هذا كذبه. وأنا لم أتكلم فى ذلك ولم أذكر اسم هذا الأخ فى أى شىء كتبته قبل هذه المذكرة، ولا أعرف هذا الأخ أصلاً ولم أقرأ اسمه إلا فى كتابه (التبرئة)"أهـ (التعرية/الحلقة الأولى/المصري اليوم).

الرد على فرية صاحب التعرية:

قال الدكتور سيد إمام في وثيقة الترشيد في الحلقة الخامسة التي نشرتها صحيفتا الجريدة الكويتية والمصري اليوم: " عمليات تنظيم الجهاد في مصر: أول عملية انتحارية... والطفلة شيماء الضحية الأشهر: في ١٨ أغسطس من عام ١٩٩٣ أصدر الظواهري تكليفا لعناصر التنظيم بتنفيذ عملية اغتيال تستهدف وزير الداخلية آنذاك حسن الألفي، وهدد من خلال بيانات أرسلها بالفاكس حينئذ لوكالات الأنباء بالمزيد من عمليات العنف الأخرى ضد عدد من كبار المسؤولين المصريين. ووصفت هذه العملية بأنها أول عملية انتحارية تشهدها مصر في تاريخها الحديث في أغسطس، حيث فجّر القيادي نزيه نصحي راشد وزميله ضياء الدين محمود حافظ دراجة بخارية ملغومة في موكبه أثناء مروره بشارع الشيخ ريحان بميدان التحرير، وهو ما نتج عنه مقتلهما، بينما نجا الوزير بعد إصابته في ذراعه اليمنى، في حين قتل كل من منصور عبد الفتاح منصور وإبراهيم يونس الشرفا ومحمد أحمد قطب، وإصابة بعض المواطنين وإتلاف عدد من السيارات. عقب الحادث اكتشفت أجهزة الأمن أن تنظيم الجهاد وراء الحادث، بعد الكشف عن شخصية نزيه نصحي وتم القبض على ١٨ متهماً من أعضاء التنظيم، وتم إحالتهم إلى المحكمة العسكرية التي عاقبت خمسة منهم بالإعدام، بينما عوقب باقي المتهمين بالسجن. ومع الضغط على عناصر التنظيم حدث خلل كبير في بنية الجماعة، أدى إلى اعتقال أعداد كبيرة منهم"أهـ (وثيقة الترشيد/صحيفة الجريدة الكويتية/الحلقة الخامسة).

الشاهد من نقل الفقرة السابقة من وثيقة الترشيد ليستبين للقارئ من الكذاب والمفتري: الدكتور سيد إمام أم الدكتور أيمن الظواهري؟! فقد قال صاحب التعرية الدكتور إمام: "وأننى ذكرت اسم أحد المنفذين (ضياء الدين) كاملاً، هذا كذبه. وأنا لم أتكلم فى ذلك ولم أذكر اسم هذا الأخ فى أى شىء كتبته قبل هذه المذكرة"أهـ.

أقول ماذا عسا الدكتور سيد إمام أن يجيب وقد نقلنا فقرة كاملة أشار إليها في حلقة أخرى لم أشأ أن أطيل في النقل! فقد ذكر بالنص الاسم الكامل لمنفذ عملية محاولة اغتيال وزير الداخلية السابق حسن الألفي عام ١٩٩٣م (ضياء الدين محمود حافظ)! وذكر أسماء القتلى بالتفصيل! وذكر بالوصف أين أصيب وزير الداخلية (في ذراعه اليمنى)! وذكر عدد المقبوض عليهم! (١٨ متهما)! لو طلب من ضابط أمن دولة قام بتحقيق هذه القضية بسرد أسماء المتهمين وأسماء القتلى! لتلعثم وتناقض ولخانته ذاكرته! وهذا ما كنا نشاهده عملياً في ساحات المحاكم ونحن نستجوب (سواء من القاضي أو من المحامين) الضباط الذين قاموا بهذه التحقيقات!! لوكان الأمر في نقل كلمة أو جملة بسيطة! بل فقرة كاملة الأوصاف! فمن الذي كتب للدكتور سيد إمام تراجعاته ووثائقه!! ومعلوم في تصريحاته أنه راجع وثيقة الترشيد وأرسلها إلى الأزهر ليوافق عليها قبل نشرها ثم رجعت إليه مرة أخرى ليعلن نشرها عبر وسائل إعلامية مختارة بعناية!! المهم أنه قد استبان لنا افتراء صاحب التعرية على الدكتور أيمن الظواهري في هذه العبارة! وهل لا يزال يصر الدكتور سيد إمام مباهلة الدكتور الظواهري؟!!

(٥) كتابه الجامع (قميص عثمان الجديد)!:

لقد شغل الدكتور سيد إمام الدنيا وأقام قيامتها في بكائية كربلائية عجيبة! جماعة الجهاد حرفت كتابه وسرقت وانتفعت وترك لهم كتابه ليقتاتوا به مالياً!! وكرر اتهامه للدكتور أيمن الظواهري إذ يقول في الحلقة العاشرة من تعريته: " أما الظواهرى فأخفى كتابى (الجامع) وهددوا (...) إن طبعه." أهـ (التعرية/الحلقة العاشرة/المصري اليوم بتاريخ ٢٠٠٨/١١/٢٩م).

أقول: هذه القضية عاصرناها برمتها وهذا الذي ذكره الدكتور سيد إمام افتراء وكذب محض! فالدكتور أيمن أكبر من أن يهدد الشخص الذي ذكر اسمه صاحب التعرية! فهذا الشخص هو الذي ورط صاحب التعرية في نشر رسالته المشينة في مقدمة

كتاب الجامع! وكان هذا الشخص هو الذي أشرف على طباعة الكتاب الجامع في لندن عن طريق سيدة كبيرة في السن عربية ثرية غرر بها وأوهمها أن هذا الكتاب سيحقق مبيعات كبيرة! لكنها اكتشفت العكس! وكانت تبحث عن أي إسلامي في لندن ليدلها على مؤلف الكتاب (الدكتور سيد إمام) ولم تكن تعرفه! شاكية له هذا الشخص الذي غرر بها! ولم يعد إليها أموالها! وكان الكتاب طبع بطريقة رديئة! ولم يكن أحد يهتم بالكتاب لأن الناس لا تعلم من هذا الشخص الذي اسمه (عبد القادر بن عبد العزيز) وكانوا يستهجنون ما كتبه من سب وشتم في المقدمة! وكانت جماعة الجهاد قد حذفت بعض العبارات التي فيها سب وغلو في الأحكام الشرعية خاصة في قضية تكفير المعين في الانتخابات وغيرها من مسائل!

ولما أصر الدكتور سيد إمام على نشركتابه بدون تدوين هذه الملاحظات التي قدمها له الدكتور أيمن في ذلك الوقت! ورفض حتى مجرد وضعها في الهامش! كتب الدكتور أيمن الظواهري واللجنة الشرعية بجماعة الجهاد مذكرة وزعوها على معظم الجماعات الإسلامية في العالم بينوا فيها بجلاء سبب حذفهم العبارات والمسائل المذكورة في الجامع وأكدوا على أنهم كجماعة لا يتحملون آراء د. سيد إمام في الجامع فنشروا الكتاب بعنوان آخر (الهادي إلى سبيل الرشاد) وبنفس الاسم الذي اختارته له الجماعة والمفضل للدكتور سيد إمام (عبد القادر بن عبد العزيز)!.

وقد رددت على هذه القضية في البالتوك بالتفصيل حيث قلت: الدافع وراء كل قذائف السباب التي رمى بها صاحب الوثيقة الدكتور أيمن الظواهري زعمه أنه قام بتحريف كتابه الجامع! (قميص عثمان الجديد)!! فهب أن جماعة الجهاد أخطأت! لأنها حذفت بعض العبارات التي ارتأت أنها لا توافق عليها كجماعة لها اعتبار! بالإضافة إلى أن هذا الكتاب (الهادي إلى سبيل الرشاد) لم يطبع منه إلا ٥٠ نسخة تقريباً! ولا يوجد له أثر الآن! والمشهور هو كتاب الجامع المطبوع بدون حذف والموجود على شبكات النت! فلم هذه الحرب الضروس! ولم لا تتأسى بشيخ

الإسلام ابن تيمية الذي زور عليه خصومه من بعض العلماء والقضاة فتاوى هو براء منها! وحاكموه عليها وزجوا به في سجون مصر والشام! ورغم ذلك عفا عنهم وقال لهم لست أحمل في صدري ضغينة عليكم ودعا لهم بخير! فأين أنت يا كتور سيد إمام من أخلاق وفضائل هؤلاء العلماء؟!

(٦) بيعة الملا عمر وغمزه له:

حاول الدكتور سيد إمام أن يكون أفغانياً أكثر من الأفغان أنفسهم! فظل يهاجم الشيخين (الشيخ أسامة بن لادن والدكتور أيمن) لمخالفتهما بيعة الملا محمد عمر أمير دولة أفغانستان! وكأنه الشفوق الرحيم العليم بمصالح الأفغان الذين لا يعرفون مصالحهم في استضافة الشيخين! وتكلم عن هذه القضية في الحلقة الثالثة وأفرد لها تفصيلاً في الحلقة العاشرة من مذكرة التعرية! حيث قال:" كان ابن لادن طوال إقامته فى أفغانستان «من ١٩٩٦ وحتى احتلالها فى ٢٠٠١/١٠م» يستخف بحكومة طالبان وبأميرها محمد عُمر، وكان رغم مبايعته لهم بالإمارة يعتبرهم مجرد وسيلة لتحقيق مشروعه الشخصى «مناطحة أمريكا» ولو بالتضحية بأفغانستان وحكومتها" أهـ (التعرية/الحلقة الثالثة/المصري اليوم بتاريخ ٢٠٠٨/١١/٢١م).

ويقول في الحلقة العاشرة: " وقد عاش ابن لادن فى كنفها وبايع أميرها إلا أنه أعلن الحرب على أمريكا من أرضها رغم أنف أميره ورغم رفضه لذلك"أهـ (التعرية/الحلقة العاشرة/المصري اليوم بتاريخ ٢٠٠٨/١١/٢٩م).

وفي نفس الحلقة العاشرة يقول عن أدب الضيافة في الإسلام: " كثير من المسلمين المطاردين فى العالم لم يجدوا بلدًا تقبلهم إلا إمارة أفغانستان الإسلامية (طالبان)، وكانت لا تطلب منك جواز سفر ولا تأشيرة دخول ولا إقامة، ولا تجبرك على مبايعة أميرها الملا محمد عُمر، وهى مع ذلك تحميك"أهـ (التعرية/الحلقة العاشرة/المصري اليوم).

أقول: التعليق على ما ذكره صاحب التعرية يتلخص في الرد التالي:

(أ): الملا محمد عمر لم يصدر بياناً واحداً ينتقد فيه تصرف الشيخ أسامة بن لادن والدكتور أيمن الظواهري قبل وبعد احتلال أفغانستان عام ٢٠٠١ وحتى كتابة هذه التجلية في الرد على التعرية.!

(ب) لم تخرج تظاهرة واحدة في أفغانستان تهاجم الملا محمد عمر بسبب تمسكه باستضافة الشيخ أسامة بن لادن وإخوانه وتندد بسوء تصرفه! أو ترفع شعارات تطالب بمحاكمته لأنه ضيع دولة أفغانستان الإسلامية بسبب رجل واحد أمر بمهاجمة أميركا في عقر ديارها! لم تحدث هذه الاعتراضات من قبل الشعب الأفغاني وقادة طالبان وهم الذين تصب عليهم حمم القوات البربرية الأمريكية صباح مساء وهم صابرون محتسبون ينكأون في عدوهم!

(ج): لقد صرح الملا داد الله الملقب بأسد الهندكوش! رحمه الله الذي استشهد في غارة صاروخية في ساحات الوغى في أفغانستان في ١١ مايو ٢٠٠٧م وهومقبل غيرمدبر! قال في تسجيل بثته قناة الجزيرة قبل مقتله بتاريخ ٢٥ إبريل ٢٠٠٧م حول العملية التي استهدفت نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني! في قاعدة باجرام العسكرية الأمريكية قرب كابل! أن الذي أشرف على هذه العلمية وخطط لها الشيخ أسامة بن لادن شخصياً! وقبل ذلك بتاريخ ٢٦ نوفمبر٢٠٠٦م نشرت مؤسسة سحاب شريط فيديو مع الملا داد الله وهو يخرج دفعة جديدة من الاستشهاديين وهم يترنمون بأهازيج وأناشيد في حضرة الملا داد الله وكبار قادة طالبان باسم الشيخ أسامة بن لادن! وأعلن الملا داد الله في شهر مارس ٢٠٠٧م أن الشيخ أسامة بن لادن على قيد الحياة وأنه يقوم بالاتصالات مع قادة حركة طالبان. فالشيخ أسامة والدكتور أيمن الظواهري وقادة المجاهدين يشاركون في المعارك بأنفسهم بشهادة قادة طالبان!.

(د) شهادة الملا محمد حسن رحماني عضو مجلس الشورى العالي لحركة طالبان والمستشار الخاص للملا محمد عمر في حوار معه في برنامج (لقاء اليوم) بقناة الجزيرة بتاريخ ٢٠٠٨/٧/٢٥م سأله مدير قناة الجزيرة بباكستان الأستاذ أحمد موفق زيدان:

" أحمد زيدان: نعم، بالنسبة لأسامة بن لادن هل أنتم في حركة طالبان الأفغانية نادمون على عدم تسليم أسامة بن لادن أو على عدم إبعاده من أفغانستان؟ وبسبب هذا القرار هل أنتم تعانون ما تعانون طوال سبع سنوات والشعب الأفغاني؟ " أهـ (الجزيرة ٢٠٠٨/٧/٢٥م). ثم يصوغ السؤال بطريقة أخر: مشاهدي الكرام أهلا بكم مجددا إلى لقاء اليوم مع الملا حسن رحماني. الملا محمد حسن رحماني، بالنسبة للسؤال الذي كان قبل الفاصل عن قراركم بعدم إبعاد أسامة بن لادن أو بتسليمه للأميركيين لكنتم جندتم الشعب الأفغاني كل هذه المآسي التي يعاني منها الآن، هل أنتم نادمون على قرار عدم تسليم أسامة بن لادن؟" أهـ.

الملا محمد حسن رحماني: "تعلمون جيدا بأن طالبان مجاهدون يؤمنون بعقيدة قوية وإيمان راسخ ويجاهدون من أجل ذلك لذا كيف يعقل أن يندم المجاهدون على عدم تسليم أسامة بن لادن؟! إن من أساسيات عقيدتنا وإيماننا هو أن نحفظ كل مسلم من الكفر وأن ننقذه من الكفر وأهله، إذ لا يعقل أبدا ولا يمكن أن يساورنا أي تفكير بالندم على عدم تسليمه للعدو فهو محل فخرنا واعتزازنا ونحن نعتز بوقوفه في وجه الكفر وأهله ومواجهة أعداء الإسلام، والشيخ أسامة وهكذا غيره من المسلمين لا نقبل بتسليمهم إلى الكفر وأهله ولا يمكن أن نسلم أي مسلم وبأي حال من الأحوال وهذا ما لن يحدث أبدا"أهـ (الجزيرة ٢٠٠٨/٧/٢٥م).

وعن طبيعة العلاقة مع الشيخ أسامة بن لادن:

أحمد زيدان: "كيف علاقتكم مع أسامة بن لادن الآن؟ أين هو الآن؟ هل لكم علاقة معه؟ كيف علاقتكم مع تنظيم القاعدة؟ هل يشاركون في المعارك التي تخوضونها ضد القوات الغربية في أفغانستان؟

الملا محمد حسن رحماني: الشيخ أسامة من كبار المجاهدين ولا يمكن أن نفشي سر مكانه ولا أين يقيم في أي حال من الأحوال، ومن المعلوم بأن المسلم أخو المسلم وكل المسلمين عونا لبعضهم ويدا واحدة، مصدر قوتنا بوقوف المسلمين

معنا، وكل المسلمين متعاونون معنا ونحن محتاجون إليهم فالمسلمون يشاركوننا جهادنا بأموالهم وأبدانهم ودعائهم ونحن محتاجون إلى وقوف كل مسلم. والشيخ أسامة في صحة وعافية وراجون الله بأن يحفظه وندعو الله أن يكلأه بحفظه ويخيب أعداء الأمة في الوصول إليه وإلى مكانه.أهـ (الجزيرة ٢٠٠٨/٧/٢٥م).

أقول: فماذا عسى الدكتور سيد إمام أن يقول بعد شهادات كبار قادة طالبان!

(هـ) بتاريخ ٤مايو٢٠٠٦م وزع قلب الدين حكمتيار بيانا أعلن فيه بيعته للشيخين أسامة بن لادن والدكتور أيمن الظواهري! وأنه مستعد أن يقاتل تحت قيادتهما! رغم أن حكمتيار لم يكن على وفاق مع طالبان ولا تنظيم القاعدة! من كان يصدق أن حكمتيار يعلن تأييده وبيعته بكل هذه الصراحة؟! فالرجل لم يبايع الملا عمر وقت أن كان الملا عمر حاكماً فعلياً وله دولة اسمها إمارة أفغانستان الإسلامية! وها هو ذا يؤيد ويبايع صراحة الشيخ أسامة بن لادن كقائد عام يقاتل تحت إمرته! إن خطاب الشيخ قلب الدين حكمتيار إقرار بتضحية وبلاء الشيخين (بن لادن والظواهري) والمجاهدين العرب في جهادهم ضد السوفييت واعتراف بمساعداتهم للشعب الأفغاني في جهاده الطويل ضد الغزاة. كما أن هذا الخطاب يؤكد أن هناك صلة وثيقة بين الشيخ حكمتيار والشيخين وأنه قد يكون قد بايعهما سراً في مكان ما قبل أن يعلن بيعته على وسائل الإعلام لإثبات حسن نيته وصدق طويته وجلاء بيعته. وقد يكون هذا تمهيداً لبيعته للملا عمر فيما بعد إن شاء الله!

(و) أما عن غمزه ولمزه في الملا عمر:

يقول صاحب التعرية بتعال ليس في محله: "وهذا كله لا يعفى الملا محمد عُمر من المشاركة فى مسؤولية تدمير أفغانستان، فقد كان بإمكانه تدارك ذلك إذا تصرف بحزم وحكمة عند بوادر الخطر، وبدون أن يقع فى محظورات شرعية، ولكنه تراخى"! أهـ ويتساءل الدكتور سيد إمام: " ومع ذلك فإن طالبان لم تحاسب لا ابن لادن ولا أحدًا من أتباعه رغم أنهم هم المتسبب المباشر في الاحتلال الأمريكي لبلادهم وما

أعقبه من ضياع دولتهم وتشريد حركتهم وقتل آلاف الأبرياء من الشعب الأفغاني، فهل هناك غفلة أعظم من هذا؟؟؟أهـ (التعرية/ الحلقة الثالثة/المصري اليوم).

أقول: يقصد الدكتور سيد إمام لو أن الملا عمر قبض على الشيخين وسلمهما للأمريكان لكان قد جنب بلاده الدمار والاحتلال واحتفظ الملا عمر بدولته! فالملا عمر وقادة طالبان متراخون ومغفلون! لماذا؟ لأنهم لم يسلموا مسلماً لكافر؛ لا يرقب في مؤمن إلا ولا ذمة! لأنهم تمسكوا بأحكام الشريعة الإسلامية ولم يعترفوا بتقسيمات سايكس بيكو وقوانين الجنسية! الملا عمر الذي يتهمه صاحب التعرية بالغفلة! لم يتخرج في مراكز الغش والخداع! وسياسة الكذب والنفاق! لم يتخرج في جامعات اللف والدوران! ولا معاهد الدراسات النظرية الفارغة التي لم تحصد على مدار تسعين سنة كالإخوان المسلمين ومن على شاكلتهم إلا المر والحنظل! قادة الاستكبار العالمي أمريكا والناتو يتزلفون الآن طالبين التفاوض مع الملا محمد عمر! وقد أوعزوا لعميلهم حاكم (كأبول)! حامد كرزاي! بالتصريح عبر وسائل الإعلام عدة مرات أنه على الاستعداد للتصالح والتفاوض مع الملا عمر! والقادة العسكريون من أمريكان وبريطانيين وناتو! يقولون لا حل إلا بالتفاوض مع الملا عمر وقادة طالبان! فأجابهم الملا عمر بعزة المسلم: الحل الوحيد أن تنسحبوا من الأراضي الأفغانية وأن يأمر جنوده بتأمين انسحاب قواتكم فقط لا غير! هذا هو الملا عمر الذي جاءته الدنيا بزخرفها زاحفة صاغرة ورفضها!!

أكاد أجزم أن الملا عمر رجل المسلمين الأول في القرن الهجري الحالي! فالملا عمر جامعة من الزهد والورع والصبر والبلاء والشجاعة والمروءة وعلى رأس ذلك ذروة سنام الإسلام في الجهاد! إن سيرة هذا الحاكم البطل المجاهد الوفي ينبغي أن تدرس للشبيبة في المدارس والجامعات رمزاً للجهاد والصمود والوفاء! قديماً كنا ندرس في كتب الأدب خصلة واحد من الوفاء للسموأل الذي ذُبح ابنه أمام عينيه وهو محاصر في قلعته على أن يسلم الأمانة التي لديه لخصوم امرئ القيس بن حجر الكندي! فرفض وضحى بابنه وأعطى الدروع لورثة امرؤ القيس وأنشد مفتخراً يقول:

وفيتُ بأدرعِ الكندي إني *** إذا ما خان أقوام وفيتُ

أقول: هذا الذي فعله السموأل في الجاهلية! فما بالك بوفاء الإسلام! لا أكون مبالغاً إذا قلتُ لو كنا منصفين لكان وفاء الملا محمد عمر مع الشيخ أسامة بن لادن والدكتور أيمن الظواهري وقادة الجهاد من أعظم دروس الوفاء في تاريخ الإسلام والبشرية جمعاء!

(٧): صاحب التعرية هرب من جميع ساحات الجهاد:

الدكتور سيد إمام دأب في تعريته ومن قبل في وثيقة الترشيد على اتهام الدكتور أيمن الظواهري والشيخ أسامة بالهروب من مواجهة الأمريكان في أفغانستان! وقد رد على هذه الفرية قادة طالبان أنفسهم (الملا داد الله) و(الملا محمد حسن رحماني) وغيرهما! لكن الثابت الذي لا يجادل فيه أحد أن الدكتور سيد إمام صاحب التعرية أنه هرب من جميع ساحات المواجهة منذ تاريخ التزامه بالحركة الإسلامية! والأمر الذي لا يستطيع صاحب التعرية نكرانه! أن الدكتور أيمن كان يشارك الشباب أفراحهم وأتراحهم! يسافر معهم كمرافق ومترجم للجرحى الذين كانوا يعالجون في أوروبا أثناء الجهاد الأفغاني! كان يخاطر بنفسه في الجبهات الأفغانية ويشرف على المعسكرات ويقيم العلاقات مع التيارات الإسلامية المختلفة لمصلحة الجماعة! وخاض بنفسه معارك في تورا بورا! ولا يزال يجاهد بقوله وفعله ونفسه محرضاً الأمة على صيرورة وضرورة الجهاد! أما على الجانب الآخر فقد كان الدكتور سيد إمام يجلس مرتاحاً في بيته الفسيخ في باكستان مع تعيين خدمة خاصة له ولأهله!

لقد قدم الدكتور أيمن نفسه وماله وأولاده لله محتسباً راضياً وهو ابن الأكارم، وربيب بيوتات العز والأصالة! تعيش زوجته الشهيدة نحسبها كذلك على صفيحة جبن! لمدة شهرين وفي شظف عيش لا يطاق! وفي المقابل كان الدكتور سيد إمام تخصص له سيارة خاصة لشراء ما يلزم من حاجيات وخيرات وعيش رغيد!

لقد ابتلي الدكتور أيمن وسجن في أحداث ١٩٨١م وفي المقابل كان الدكتور سيد إمام قد هرب من جميع الساحات التي عاصرها؛ هرب من مصر عام ١٩٨٢م. ولم يذكر له شاهد معتبر إنه شارك في معارك العرب الشهيرة في جلال آباد وخوست وغيرها!

لقد ذكر ابنه في حوار له مؤخراً أنه عرض عليه أن يلحق بهم في أفغانستان وأرسلوا له شريط فيديو مصور ..لكنه آثر القعود! فلم لم يلجأ إلى أمان دولة أمير المؤمنين في أفغانستان! وهو قد قال في تعريته بالنص: " كثير من المسلمين المطاردين فى العالم لم يجدوا بلدًا تقبلهم إلا إمارة أفغانستان الإسلامية (طالبان)، وكانت لا تطلب منك جواز سفر ولا تأشيرة دخول ولا إقامة، ولا تجبرك على مبايعة أميرها الملا محمد عُمر، وهى مع ذلك تحميك."أهـ (التعرية/الحلقة العاشرة/المصري اليوم).

أقول: فإذا كانت إمارة أفغانستان في ذلك الوقت بهذه الصفات ولا تطلب منك تأشير وتحميك! فلماذا لم تذهب إليهم وقد أرسلوا لك شريط فيديو وهو مقيم في اليمن! وكان السفر إلى أفغانستان في تلك الفترة ميسوراً بخلاف معظم دول العالم! فلم استبدل صاحب التعرية الذي هو أدنى (العيش في ذل متابعة الأمن اليمني) بالذي هو خير (أفغانستان)؟! فمن الجبان إذن ومن الذي يهرب من المواجهة!

(٨) حتى شهيد الإسلام سيد قطب لم يسلم من طعنه:

انظر إلى هذا التقويم المعوج! لكي يبرر صاحب التعرية هجومه على الدكتور أيمن الظواهري الذي يستشهد كثيراً بأقوال وأفعال شهيد الإسلام سيد قطب نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً في كتاباته وأحاديثه! فمن يحبه الدكتور الظواهري يطعنه فيه الدكتور إمام! يقول صاحب التعرية غامزاً بل وطاعناً في الأستاذ العلامة سيد قطب رحمه الله: " ولو عاش سيد قطب أظنه كان قد تدارك قصوره الفقهي، فقد قضى جُل عمره فى الدراسات الأدبية" أهـ.

أقول: الحمد لله الذي عصم صاحب الظلال من الفتن! والحمد لله أن عصمه من أن يرى ويسمع أو يجتمع بهؤلاء المتراجعين! فقد ختم الله له بخير ما يتناه مسلم مخلص غيور على دينه! فلم يبدل ولم يغير ولم يستجب لجلاديه وشانقيه! وقال قولته التي صارت مثلاً (إن إصبع السبابة التي تشهد لله بالتوحيد فى كل صلاة تأبى أن تكتب استرحامًا لظالم)! لقد ظلموا علم الإسلام سيد قطب حياً.. وها هم أولاء يظلمونه بعد استشهاده.. لكن حياته ستظل بفضل الله تعالى أطول من شانقيه وشانئيه!

(٩): تحريضه على بعض المشايخ والدعاة:

(١) تحريضه على البطش بالشيخ ناصر الفهد:

لقد فقد الدكتور سيد إمام عقله فطفق يحرض الأنظمة المستبدة الظالمة الخارجة عن الإسلام بتكميم أفواه الدعاة الذين لا يعجبونه! ويحرض على البطش بهم! يقول عن الشيخ ناصر الفهد (فك الله أسره)! وهو من علماء الحجاز! وذلك لأن الدكتور أيمن الظواهري ذكر رد الشيخ ناصر الفهد في رده على الشبهات المتعلقة بعقد الأمان والتأشيرة وذكرها بالتفصيل في الفصل السابع من كتاب التبرئة! فانبرى الدكتور سيد إمام يشنع على الشيخ ناصر الفهد في الحلقة الرابعة والخامسة من تعريته! عبارة عن تخبيصات! ومغالطات! وأدلة في غير سياقها! وعدم اتزان في الرد! وقد وصل به الأمر أنه يحرض حكومة الرياض على منع الشيخ ناصر الفهد من الفتوى! وليس هذا فحسب! بل تشجيع الأمريكان على رفع دعاوى الشيخ ناصر الفهد بضمان ما وقع لهم من أضرار نتيجة فتواه! رغم أنه سئل بعد وقوع أحداث سبتمبر ٢٠٠١م! يقول صاحب التعرية: " ومما سبق تعلم أن كلام الشيخ ناصر الفهد هو كلام باطل يجب ردّه ولا يحل لمسلم أن يقول أو يعمل به لمخالفته للكتاب والسنة" أهـ (التعرية/الحلقة الرابعة/ المصري اليوم). ويسوغ لهذه الحكومات الظالمة فعلتها فيسوق كلاماً للحافظ ابن القيم بوجوب منعه من الفتوى وضمان كل ما أتلف.

(٢) تحريضه الأمريكان والبريطانيين علي شخصياً:

يقول محرضاً في تعريته في الحلقة التاسعة: " وفى وصف تأثير هذا التحالف قال صديقه ووكيله فى أوروبا هانى السباعى" أهـ(التعرية الحلقة التاسعة/المصري اليوم بتاريخ ٢٠٠٨/١١/٢٨م).

أقول: قوله (قال صديقه ووكيله في أوروبا)! علم الله أنني أفتخر بصداقتي وإخوتي للشيخ المجاهد الزاهد الدكتور أيمن الظواهري! وهو فخر لأي مسلم غيور على دينه! ومن يبغض هذا الرجل أكاد أشك في حسن إسلامه!

وإنه ليعلم أنني مستقل لا أنتمي إلى أية جماعة على وجه الأرض ولا أتحدث باسم أي تنظيم إسلامي أو غير إسلامي! فأنا أعلق وأناقش كباحث مسلم يريد الخير لأمته ولا أختزل الإسلام في جماعة أيا كان قدرها! والعجب أن يفتري الدكتور سيد إمام علي وهو يعلم دقة ما يكتب ويلفظ ويسطر! بأنني وكيل الدكتور أيمن الظواهري في أوروباً! يعلم أن هذا بهتان وافتراء! يعني بالفصيح أنه يقول للأمريكان والبريطانيين هذا الرجل وكيل القاعدة في بريطانيا! لم لا تقبضون عليه؟! بريطانيا التي تعتبر غابة إلكترونية تراقب العصافير في أوكارها! ويشارك في المراقبة على العبد الفقير! عدة أجهزة أمينة تراقب الحركات والسكنات والهواتف والإنترنت على مدار ٢٤ ساعة! ثم بعد ذلك كله يفتري صاحب التعرية! ويحرض هذا التحريض السافر الذي لا يليق بمسلم يقرأ كتاب الله ويتابع سير السلف الصالح! لقد أمرنا الله بالقسط و الشهادة بالعدل ولو كنا مبغضين خصومنا! (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى ألا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)(المائدة:٨).

## رابعاً: عينة من آراء وفتاوى صاحب التعرية

هذا هي ذي عينة من آراء وفتاوى الدكتور سيد إمام أهديها للذين يطبلون له ويزمرون لتراجعاته التي لم يذكر فيها شيئاً عن هذه الآراء والفتاوى البينة التي لا لبس ولا غموض فيها لنعلم يقيناً هل تراجع الدكتور سيد إمام تراجعاً حقيقياً أم أن للسجن ترغيباً وترهيباً أحكاماً وتفسيرات أخرى! وقد اعتمدت على نصوص من كتابيه العمدة في إعداد العدة وكتاب الجامع لطلب العلم الشريف وأشرت إلى أرقام الصفحات طبقاً لنسخ الكتابين على الأنترنت ليسهل الوصول إلى المرجع لمن ليس لديه الكتابان! فكتاب العمدة مطبوع في مجلد واحد. وكتاب الجامع مطبوع في مجلدين! وكلاهما متوافر في الأنترنت!

(أ): د. سيد إمام: القوانين الوضعية كفر والحكام كفار:

قال د. سيد إمام في كتابه (الجامع لطلب العلم الشريف): " إن القوانين الوضعية المعمول بها الآن في الدول التي تزعم أنها إسلامية هى في معظمها قوانين أوربية تم فرضها بقوة الاحتلال المسلح. أي أن هذه القوانين هى دين أوربا لأن الدين هو الطريقة المتبعة حقاً كانت أو باطلاً. إن هذه القوانين هى دين اليهود والنصارى أهل أوربا، ومتابعتهم في قوانينهم التي هى شريعتهم ودينهم يدخل في صريح الموالاة، وموالاتهم كفر كما قال تعالى (ومن يتولهم منكم فإنه منهم). فهذا هو الوجه الآخر لكفر الحكام بغير ما أنزل الله، فإن حكمهم بهذه القوانين موالاة لليهود والنصارى وغيرهم من الكفار الذين اقتبسوا من قوانينهم" أهـ (الجامع: نسخة الانترنت ج٢ ص٩٢٦ ).

ويقول في وجوب خلع الحكام: " وبعد فإن الشريعة توجب علينا خلع الحكام الكافرين المفسدين ولو بالقتال، إلا أنه إذا تعذر تنفيذ هذا في الحال فلا أقل من أن يسعى المسلمون في مقاومة مخططاتهم الإفسادية وكشفها والتحذير منها وحضّ المسلمين على مقاطعة وسائل الإفساد. هذا مع السعي في إعداد القوة اللازمة لخلع هؤلاء الحكام الكافرين، فإن هذا الإعداد واجب لقوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم

من قوة) الأنفال ٦٠، نسأل الله تعالى أن يهيئ لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعته ويذل فيه أهل معصيته، ويؤمر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر، إنه عزيز حكيم" أهـ (الجامع ج٢ ص ١٠٨٣).

(ب): د.سيد إمام: رأي في النص الدستوري ((مبادئ الشريعة المصدر الرئيسي للتشريع):

قال صاحب التعرية في الجامع: "وهو أن الدستور نص على أن الشريعة المصدر الرئيسي لا الوحيد بما يعني أن هناك مصادر أخرى للتشريع، أي أن هناك أرباباً أخرى في التشريع مع الله...بيان أن هذا النص الدستوري قد أفصح عن كفرهم غاية الإفصاح، فإنه نص صراحة على اتخاذ أرباب مع الله" أهـ (الجامع ج٢ ص١٠٢٧).

وقال أيضاً: "والحاصل: أن من ظن أن هذا النص الدستوري (مباديء الشريعة المصدر الرئيسي للتشريع) يدرأ الكفر عن هؤلاء الحكام فقد أخطأ، بل إن هذا النص مما يدينهم ويدمغهم بالكفر لأنه نص ضمنياً على اتخاذ مصادر للتشريع غير شريعة الله" أهـ (الجامع ج٢ ص١٠٢٧).

(ج): د. سيد إمام: يجب إشاعة كفر الحكام وخلعهم:

قال في كتابه الجامع: " والحاصل: أنه يجب إشاعة العلم بأمر كفر الحكام ووجوب جهادهم لأجل خلعهم ونصب حاكم مسلم في العامة لأن هذا واجب على كل مسلم. ولأن جهادهم فرض عين على كل مسلم كما سبق بيانه في المسألة التاسعة. وإشاعة العلم بذلك مما يعجل بتغيير هذه الأنظمة الكافرة بإذن الله تعالى إذا علم كل مسلم ما يجب عليه من ذلك. أما عدم تحديث العامة بذلك فهو غاية ما يطمح إليه الحكام الطواغيت ليبقى حملة هذا العلم قلّة معزولة يرميهم الحكام وأنصارهم بكل ضلالة وشناعة وسط جهل العامة بحقيقة الأمر، وروي البخاري عن عمر ابن عبد العزيز قوله (إن العلم لا يهلك حتى يكون سِرّا" أهـ (الجامع ج٢ ص ١٠٤٣)

أقول: وهل أشاع الدكتور سيد إمام كفر الحكام ووجوب خلعهم في تراجعاته الوثقية؟!

(د): د. سيد إمام: أهل الذمة لا عصمة لهم في أنفسهم وأموالهم اليوم:

قال صاحب التعرية في كتابه الجامع: " وسواء كان انتقاض عهد الذمة من جهتهم أو من جهة الحاكم الكافر كما صنع الخديوي سعيد ومن تلاه في حكم مصر، فإن هذا لا يؤثر في النتيجة، فالكافر لا يعصم نفسه وماله من المسلمين إلا أمان معتبر من جهتهم، فإذا عدم الأمان سقطت عصمته. وهذا مثال لما وقع بشتى بلدان المسلمين" أهـ (الجامع ج٢ ص ١٠٥٨).

(هـ): د. سيدإمام: وإذا قيل ما ذنب أهل الكتاب اليوم في عدم انعقاد عقد الذمة؟

يقول صاحب التعرية: " وأتى البعض بشبهة فقالوا: وما ذنبهم أي أهل الكتاب إذ كان انعدام عقد الذمة ليس من جهة امتناعهم عنه بل من جهة غياب الدولة الإسلامية، ولعلها لو وجدت لدخلوا في الذمة؟" أهـ (الجامع ج٢ ص ١٠٥٨).

أجاب الدكتور سيد إمام قائلاً: " والجواب: أن هذه شبهة فاسدة لأنها من الاحتجاج الفاسد بالقدر، فقيام دولة الإسلام أو ذهابها شئ قدّره الله، فإن وجدت وجدت معها أحكام معينة هذا منها، وإن ذهبت زالت هذه الأحكام. وهذا يشبه قول من قال ما ذنب هذا الكافر المقلد لأبويه الكافرين ولعله لو ولد لأبوين مسلمين لكان مسلماً، هذا شئ قدّره الله، ولايحتج بقدر الله لإبطال شرع الله، كالذين ذمهم الله في قوله تعالى (وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله، قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه، إن أنتم إلا في ضلال مبين) يس ٤٧، فاحتج هؤلاء بالقدر (وهو أن الله أراد جوع هذا الجائع ولو شاء لأطعمه) على إبطال الشرع (وهو أمرهم بالإنفاق والصدقة)، فحكم الله تعالى بضلال من يحتج بمثل هذا فقال سبحانه (إن أنتم إلا في ضلال مبين). فكذلك أصحاب هذه الشبهة احتجوا بالقدر (وهو إرادة الله تعالى زوال دولة الإسلام) على إبطال الشرع (وهو أن الكافر غير المعاهد مهدر

الدم والمال) فنجيبهم بقول الله تعالى (إن أنتم إلا في ضلال مبين)أهـ (الجامع ج٢ ص ١٠٥٨).

(و): د. سيد إمام: نصارى مصر ناقضوا أحكام أهل الذمة:

قال الدكتور سيد إمام في الجامع: " وأضيف فأقول إن إسقاط أحكام أهل الذمة في بلد كمصر قد قوبل بارتياح وترحيب كبيرين من النصارى، وتبع ذلك مقاومتهم لأي توجه إسلامي للحكومة العلمانية بمصر بداية من مهاجمتهم لفكرة الجامعة الإسلامية التي نادى بها جمال الدين الأفغاني في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وانتهاء باعتراضهم على تطبيق أحكام الشريعة عليهم إذا كان في نية الحكومة المصرية العمل بها أو ببعضها، ومن هذا الباب تقدم الأزهر ووزارة العدل بمشروع قانون الحدود إلى مجلس الشعب لإقراره عام ١٩٧٧م، وتجمد المشروع في خزانة مجلس الشعب، ولكن هذه الخطوة قوبلت برد فعل عاصف من جهة النصارى فعقدوا مؤتمرهم بالاسكندرية في ١٩٧٧/١/١٧م حضره كبيرهم شنودة وسائر ممثلي الأقباط وأصدر المؤتمر بياناً طالب فيه بالغاء مشروع قانون الردة واستبعاد التفكير في تطبيق الشريعة الإسلامية على غير المسلمين. انظر (المرجع السابق) لسميرة بحر، صـ ١٥٦، وكتاب (المسألة الطائفية في مصر) ط دار الطليعة ١٩٨٠م، صـ ٣٦ ٣٧. وطلبهم الأخير هذا يعتبر نقضاً جماعيا لعقد الذمة لو افترضنا وجوده وسريان مفعوله حينئذٍ." أهـ (الجامع ج٢ ص ١٠٥٩).

(ز): د. سيد إمام: اعتماد مبدأ المواطنة مع أهل الذمة كفر:

يقول صاحب التعرية الدكتور سيد إمام: " القول باسقاط العمل بحكم أهل الذمة في دار الإسلام، والدعوة إلى اعتماد مبدأ المواطنة كبديل، وهو ما قامت عليه الدساتير العلمانية الكافرة، وهذا القول يروج له بعض من يسمون بالمفكرين الإسلاميين في هذا الزمان، ولا شك في كفر من قال بهذا القول لانكاره المعلوم من الدين بالضرورة الثابت بالكتاب والسنة والإجماع. (الجامع ج٢ ص ١٠٦٢).

(ح): د. سيد إمام: الجزية بدل التجنيد الإجباري قول خطأ:

قال في الجامع: " القول بجواز إسقاط الجزية عن أهل الذمة للمصلحة أو إذا طبق عليهم نظام التجنيد الإجباري، وهذا خطأ، فالجزية لا تسقط إلا لعجز من جهة المسلمين عن فرضها على أهل الذمة، أو لعجز من جانب بعض الذميين عن أدائها"أهـ (الجامع ج٢ص ١٠٦٢).

(ط): د. سيد إمام: لا يجوز إطلاق الحرية للذميين للدعوة لدينهم وبناء الكنائس:

قال في الجامع: " القول باطلاق الحرية للذميين للدعوة لدينهم وبناء الكنائس في دار الإسلام حتى لا تُضَيِّق الدول النصرانية على المسلمين المقيمين بها، وهذا قول خطأ مبني على خطأ، لأنه إذا وجدت دار إسلام في الدنيا فإنه يجب على المسلمين الهجرة إليها لنصرة أهلها وحتى لا يفتنوا في دينهم بالإقامة بين الكفار في بلادهم" أهـ (الجامع ج٢ ص١٠٦٢).

(ي): د. سيد إمام: خطأ القول بأن المدنيين أبرياء:

قال صاحب التعرية في آخر رسالة له كتبها قبل اعتقاله في اليمن ١١/١٠/ ٢٠٠١م ونشرها أحد أصدقائه في موقعه بعد ترحيله إلى مصر في ٢٠٠٤/٤/٢٢م قال فيها (الإرهاب من الإسلام ومن أنكر ذلك فقد كفر).. وهذه الرسالة منشورة أيضاً في موقع المقريزي نقلاً عن المرصد. وهي بعنوان (الإرهاب من الإسلام) يقول فيها: " تقسيم الناس إلى مدني وعسكري تقسيم حديث مخترع ليس له أصل في شريعة المسلمين" أهـ (رسالة الإرهاب من الإسلام/موقع المرصدالإسلامي). ويضيف صاحب التعرية قائلاً: " وبهذا تعلم أن النساء في أمريكا وبريطانيا وإسرائيل ونحوها من البلدان يعتبرن مقاتلات لأنهن يجرى تجنيدهن بجيوش هذه البلدان ، ومن لم تكن بالخدمة العسكرية فهي من الاحتياط" أهـ (رسالة الإرهاب من الإسلام/ المرصد الإسلامي).

ويخلص الدكتور سيدإمام إلى القول التالي: " فليس صحيحاً أن المدنيين أبرياء ، بل معظم الرجال والنساء منهم مقاتلة شرعاً، فكيف وقد أظهرت استطلاعات الرأي

العام بعد تلك التفجيرات تأييد أغلبية الشعب الأمريكي لرئيسهم الصليبي جورج بوش الإبن للقيام بعمليات انتقامية ضد أفغانستان؟ ولم يقتصر الأمر على الشعب الأمريكي بل تعداه إلى غيره من الشعوب الصليبية في كندا وبريطانيا وغيرها" أهـ (رسالة الإرهاب من الإسلام).

(ك) د. سيد إمام: لا إثم على قتلة أطفال الكفار:

قال في رسالة الإرهاب من الإسلام: "أما الأبرياء فعلا فهُم الأطفال منهم ومن خالطهم من المسلمين لغرض شرعي مباح من تجارة أو نحوها ، فهؤلاء لا إثم في قتلهم وأمرهم يوم القيامة إلى علام الغيوب ، ودليل ذلك بالنسبة للأطفال فهو حديث الصعب بن جثامة الذي رواه البخاري أن الصحابة سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الذين يُقتلون من ذراري الكفار ( أي أطفالهم ونسائهم) في البيات ( وهو الهجوم على الكفار ليلاً حين يتعذر التمييز بينهم ( فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ( هم منهم )، ومعناه أن حكمهم كحكم أوليائهم في الكفر، وأنه لا إثم في قتلهم إذا تعذر التمييز بينهم ، وتفرع عن ذلك مسألة التترس، وجواز قتل الترس الكافر غير المقاتل إذا احتمى به الكافر المقاتل، وهو ما يسمونه في زماننا بالدروع البشرية." أهـ (الإرهاب من الإسلام).

(ل): د. سيد إمام: ليس صحيحاً أن المدنيين أبرياء:

قال صاحب التعرية في رسالة الإرهاب: " إذن، فليس صحيحاً أن المدنيين أبرياء ، وماذا عن الأبرياء الذين دُفنوا بالآلاف في البوسنة ؟ ، وماذا عن الأبرياء في العراق وفلسطين والشيشان وأفغانستان وغيرها ؟ !والإحصائيات تدل على أن أكثر من نصف اللاجئين في العالم اليوم هم من المسلمين، أم أن الدم المسلم رخيص والدم الكافر غالي ؟! أم أن القتل والحزن قد كتب على المسلمين وحدهم ؟" أهـ (رسالة الإرهاب من الإسلام).

(م): د. سيد إمام: من حزن على ما حدث للأمريكان وواساهم في أحداث ٢٠٠١ فقد كفر:

قال في رسالة الإرهاب من الإسلام: " تحريم الحزن على ما وقع للأمريكيين وتحريم مواساتهم: ما أن أنزل الله عذابه بالأمريكيين في هذه التفجيرات حتى سارع حكام دول العالم وقادة المنظمات الرسمية والشعبية وقادة بعض الجماعات الإسلامية كالإخوان المسلمين والمنظمات الإسلامية بدول أمريكا وكندا وأوربا إلى إعلان استنكارهم لذلك والتعبير عن حزنهم وأسفهم ومواساتهم للشعب الأمريكي ، وهذا لا يجوز في دين المسلمين. ودليله قول الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم ( فلا تأس على القوم الكافرين) [ المائدة ]، وقوله تعالى لموسى عليه السلام ( فلا تأس على القوم الفاسقين ) [ المائدة] ، ولما انزل الله عذابه بأهل مدين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين قال نبيهم شعيب عليه السلام ( فيكف آسى على قوم كافرين ) الأعراف ، فهذا دين الأنبياء تحريم الأسف والحزن على ما ينزل بالكافرين من العذاب والمصائب والكوارث والزلازل ونحوها . وكذلك فقد قال تعالى ( قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم) [ التوبة ]. ، فبين الله أن ما ينزل بالكفار من العذاب والخزي يشف صدور المؤمنين ، فمن كان بعكس ذلك فتأسف على ما يقع بالكفار من العذاب فليس هو بمؤمن ولا كرامة، وهل هذا إلا من ضعف الإيمان والجهل بالدين وانعدام الغيرة والحمية الدينية ؟ ( فلا تأس على القوم الكافرين)." أهـ (رسالة الإرهاب من الإسلام).

(ن): د. سيد إمام: كل من تحالف مع أمريكا فقد كفر:

قال في رسالة الإرهاب من الإسلام: " كل من تحالف مع أمريكا لمحاربة المسلمين فهو كافر: وليس هذا خاصاً بأمريكا بل كل من أعان الكفار كالحكام المرتدين على محاربة المسلمين فهو كافر وما حاربت أمريكا العراق ودمرته إلا بجيوش مصر وسورية الذين يزعمون الإسلام ، وما زالت أمريكا تضرب العراق بطائرتها التي تنطلق من الدول

التي يسمونها إسلامية كالكويت والسعودية وتركيا. واليوم تضرب أمريكا أفغانستان من أرض باكستان التي يسمونها إسلامية ، وستحارب الأفغان ( طالبان) بواسطة الأفغان ( التحالف الشمالي : رباني ودستم). والخلاصة أن كل من تحالف مع الكفار كأمريكا وغيرها لمحاربة المسلمين فهو كافر "أهـ (رسالة الإرهاب من الإسلام).

أقول: ومعلوم بالضرورة أن النظام المصري هو الذي سجن وحكم على الدكتور سيد إمام وتآمر على ترحيله من اليمن! فهذا النظام ورئيسه أهم حليف للأمريكان في حربه على العراق وأفغانستان وعلى الفلسطينيين ولا يرد هذا النظام يد لا مس أيا كان! طالما هذا اللامس يريد قتل المسلمين! ولو كان أثيوبيا!

(س): د. سيد إمام: القوانين الوضعية دين جديد من شرعها أو عمل بها فقد كفر:

قال صاحب التعرية في رسالة الإرهاب من الإسلام: " وخلاصة هذه المسألة أن تعلم أن البلاد التي تزعم أنها إسلامية وتريد أن تجرها أمريكا للتحالف لضرب أفغانستان أنها دول غير إسلامية من قبل لحكمها بغير ما أنزل الله. ويجب الخروج عليها وخلعها ونصب حكام مسلمين فيها ، كما في الحديث المتفق عليه ( وألا ننازع الأمر أهله ، قال صلى الله عليه وسلم : إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان)، فيجب على كل مسلم أن يسعى في ذلك، فمن سعى فله الأجر ، ومن قعد فعليه الوزر إلا أصحاب الأعذار الشريعة، ومن رضي بهم فهو منهم" أهـ (رسالة الإرهاب من الإسلام).

(ع): د. سيد إمام: تشريع إباحة الموسيقى والمعازف كفر أكبر:

قال في الجامع: "ونحن إذا قلنا إن استعمال المعازف والاستماع إليها كبيرة من الكبائر للوعيد الوارد في ذلك، فإن هنا أمراً ينبغي أن يتفطن إليه، وهو أنه كبيرة في حق مستعملها والمستمع إليها ولكنه كفر أكبر في حق من يشرع إباحتها، لأن هذا التشريع هو من باب استحلال المعاصي، ويدخل في هذا الحكومات التي تسمح بذلك في إذاعاتها ووسائل إعلامها المختلفة، فإنه لا شيء يعرض فيها إلا بقانون وترخيص منها، وهذا تشريع مخالف لشريعة الله فيكون كفراً أكبر. وهذا الحكم عام في

جميع المعاصي غير المكفرة كالربا والزنا وشرب الخمر فِعْلُها كبيرة وتقنين فعلها كفر أكبر، لأن هذا التقنين استحلال" أهـ (الجامع ج٢ ص ١٠٨٢).

(ف): د. سيد إمام: وأما التليفزيون: فقد اجتمعت فيه عدة محرمات ومفاسد:

قال في الجامع: " وأما التليفزيون: فقد اجتمعت فيه عدة محرمات ومفاسد: منها الاستماع إلى المحرمات كالموسيقى والغناء المحرم. ومنها النظر إلى الحرام كالنساء المتبرجات والاختلاط المحرم وغير ذلك. ومنها أن القائمين على تنفيذ السياسة الإعلامية في شتى البلدان اليوم وهم من العلمانيين وأكابر المجرمين المحاربين لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، يستخدمون هذا الجهاز لإفساد المسلمين وغرس القيم الدنيوية فيهم وتعليمهم وسائل الفجور. ولو لم يكن فيه إلا أنه يسرق أعمار الناس بتضييع الأوقات في مشاهدته لكفى بهذه مفسدة. وقد تكون فيه برامج مباحة إلا أن الغالب عليه الحرام، ومقتضى انكار المنكر وسد الذرائع ألا يدخله الرجل المسلم بيته إن كان حريصا على دين أبنائه ونسائه، وذلك لصعوبة التحكم في تمييز الحلال من الحرام فيما يُعرض فيه، والشيء إذا غلب حرامه حلاله فالحكم للغالب، كما قال تعالى في تحريم الخمر والميسر (قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما) البقرة، وهكذا التليفزيون مفاسده أعظم من منافعه بكثير" أهـ (الجامع ج٢ ص ١٠٨١).

(ص): د. سيد إمام: يحرم بيع وشراء التلفزيون والراديو والمسجلات:

قال صاحب التعرية الدكتور سيدإمام في الجامع: "ومن ناحية الاتجار في هذه الأجهزة كالتليفزيون والراديو والمسجلات بالبيع والشراء والإصلاح فإن الشبهة فيها قوية، لأن الغالب على الناس الآن استخدامها في المنكرات من السّماع المحرم والنظر المحرم، وتحرم الإعانة على ذلك لقوله تعالى (ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) المائدة ٢، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (دع ما يَريبك إلى مالا يَريبك) حديث حسن، وقال صلى الله عليه وسلم (فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام) الحديث متفق عليه. والوسيلة وإن كانت في أصلها مباحة إلا أنها تصير محرمة إذا قصد بها الحرام، فللوسائل حكم المقاصد، ولهذا يحرم

بيع العنب لمن يعصره خمراً، ويحرم بيع السلاح في الفتنة ويحرم بيعه لأهل الحرب. والغالب أن الناس اليوم يستخدمون هذه الأجهزة في الحرام، فتحرم إعانتهم على ذلك، وإن كان الخَطْب في أجهزة الراديو والتسجيل أهون منه في التليفزيون والفيديو، خاصة إذا بيعت لمن يعلم منه أنه لا يستخدمها في المنكرات. هذا والله تعالى أعلم" أهـ الجامع ج٢ ص ١٠٨١ و ص ١٠٨١).

ويقول عن حكم المعازف ومعاهد الموسيقى: " أما المعازف: وهى آلات اللهو فكلها محرمة، لا يجوز استعمال شئ منها إلا الضرب بالدف للنساء خاصة لاعلان النكاح في الأعراس، وألحق البعض بذلك الأعياد وعند قدوم الغائب. ويترتب على تحريم المعازف: تحريم التجارة فيها بيعاً وشراء، وتحريم اقتنائها، وتحريم الاستماع إليها (أي تحريم الاستماع إلي الموسيقى)، وتحريم الاشتغال بها والتكسب منها، وتحريم دراستها فيما يسمى بمعاهد الموسيقى وغيرها، وتحريم إنشاء هذه المعاهد أو العمل بها"أهـ (الجامع ج٢ ص ١٠٨٠).

(ق): د. سيد إمام: تحريم التمثيل والعمل به:

قال في الجامع: " وأما التمثيل: فهو حرام لما فيه من الكذب والتبرج واختلاط النساء بالرجال، مع استخدام المعازف عادة، وغير ذلك من الأسباب الداعية لتحريمه"أهـ (الجامع ج٢ ص ١٠٨١).

أما عن معاهد التمثيل فيقول صاحب التعرية في الجامع: " وتحريم التمثيل: يترتب عليه تحريم العمل به وتحريم دراسته فيما يعرف بمعاهد التمثيل أو المعاهد المسرحية، كما يترتب عليه تحريم إنشاء هذه المعاهد، وتحريم إنشاء المسارح والسينما ونحوها من وسائل هذه المحرمات. وهذا الفن مستورد من بلاد الكفر، وقد دخل البلاد الإسلامية في آخر القرن التاسع عشر الميلادي وأول القرن العشرين على أيدي بعض الفرق المسرحية من نصارى لبنان ومن اليهود، وظلوا هم أساتذته فترة حتى تخرجت على أيديهم أجيال من أبناء المسلمين"أهـ (الجامع ج٢ ص١٠٨٠ و ص١٠٨١).

(ر): د. سيد إمام: بدعة المشاركة في الانتخابات البرلمانية:

قال في الجامع: "وهذه من المبدع المكفرة. إن البرلمانات هي وسيلة تطبيق الديمقراطية الشركية التي تمنح البشر الحق المطلق في التشريع فتجعلهم أربابا مشرعين من دون الله"أهـ (الجامع ج٢ ص ٨٧٨).

ويقول أيضاً: " إن هذه البرلمانات بجمعها للمشرعين من دون الله هي أشبه ما تكون بمعابد المشركين التي يمارسون فيها الطقوس الشركية لآلهتهم" أهـ ( الجامع ج٢ ص ٨٧٨).

(ش): د. سيد إمام أعضاء البرلمان يكفرون ولو لم يشاركوا في التشريعات:

قال صاحب التعرية في كتابه الجامع: " إن أعضاء هذه البرلمانات الشركية يكفرون وإن لم يشاركوا في وضع التشريعات المخالفة للشريعة، لأن قبولهم بعضويتها هو إقرار بوظيفتها، ومن أقر الكفر كفر، وأيضا لقوله تعالى (إنكم إذا مثلهم) النساء ١٤٠، وقبل هذا وذاك فإن ترشحهم لعضوية البرلمانات هو تحاكم منهم باختيارهم للطواغيت المسماة بالدساتير القاضية بتشكيل هذه البرلمانات والملزمة بوظيفتها الشركية، ومن تحاكم إلى الطاغوت باختياره كفر."أهـ (الجامع ج٢ ص ٨٧٩).

(ت): د. سيدإمام: يكفر من ينتخبهم:

قال في الجامع: "أما الذين ينتخبونهم لعضوية البرلمانات فيكفرون أيضا، لأن انتخابهم هذا هو في حقيقته اتخاذُ أربابٍ من دون الله، كما أنه في مضمونه إقرار بوظيفة البرلمانات التشريعية المطلقة، وهذا كله من الكفر الصريح الذي دلت عليه النصوص السابقة ونحوها، فلا ينظر فيه إلى قصد فاعله كمن يزعم أن نيته الدعوة إلى الله أو الاطلاع على أسرار الحكومة وغير ذلك، ما دام قد قصد الفعل المكفر نفسه وهو الترشيح أو الانتخاب فهو كافر دون النظر إلى قصده القلبي" أهـ (الجامع ج٢ ص ٨٧٩).

(ث):د.سيد إمام: الداعي إلى مشاركة المسلمين في البرلمانات كافر:

قال في الجامع: أما الذين يدعون المسلمين للمشاركة في هذه البرلمانات الشركية بالترشيح لعضويتها أو بانتخاب أعضائها، سواء دعوا إلى ذلك صراحة أو تحت مسميات

أخرى كالعمل السياسي أو الدعوة إلى الله، يكفرون بذلك أيضا وإن لم يشاركوا في الترشيح أو الانتخاب، إذ لم يختلف العلماء في كفر الداعي إلى الكفر"أهـ (الجامع ج٢ ص ٨٨٠).

(خ) د.سيدإمام: كل هؤلاء كفار: الحكام وأعضاء الأحزاب والقضاة والجنود ..إلخ:

قال في الجامع: " أما طريق المسلمين للتغيير فمعروف وليس هو طريق الديمقراطية الشركية وإنما هو طريق النبي صلى الله عليه وسلم والذي يبدأ بالدعوة: الدعوة العامة في المساجد وغيرها من أماكن الاجتماع، والدعوة الفردية في كل مكان ممكن، ليلاً ونهاراً، إعلاناً وإسراراً، والبدء بالأقربين في كل هذا. مع الجهر بالحق وإخبار الواقعين في الكفر بأنهم كفار وأننا برءاؤا منهم ومن كفرهم، لهم دينهم ولنا ديننا، قال تعالى (قل يا أيها الكافرون إلى قوله لكم دينكم ولي دين)، وقال تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) الممتحنة ٤، ومن هؤلاء الكافرين: الحاكمين بالقوانين الوضعية كالقضاة ومن في حكمهم، والمشاركين في تطبيق الديمقراطية كرجال الأحزاب السياسية وأعضائها وأعضاء البرلمانات والذين ينتخبونهم، ومن الكفار أيضا الجنود المدافعون بأنفسهم عن هذه الأنظمة الكافرة، والمدافعون عنها بألسنتهم وأقلامهم كل هؤلاء كفار، يجب أن يقال لهم ذلك لعلهم يفيئون أو بعضهم، وحتى تتميز الصفوف، وتستمر الدعوة بشتى الوسائل المشروعة حتى تتكون جماعة قوية من المسلمين قادرة على تغيير الأنظمة الكافرة الحاكمة، وقادرة على الحكم بالإسلام إذا مَكَّن الله لها. والاستعجال في هذه الأمور مفاسده كثيرة، وقال الفقهاء: من تعجل الشئ قبل أوانه عوقب بحرمانه، وقالوا: التعجل علّة الحرمان. وسوف تأتي إشارة أخرى في هذا، في المسألة التاسعة بموضوع الحكم بغير ما أنزل الله بإذن الله تعالى"أهـ (الجامع ج٢ ص ٨٨٣).

(ذ):د. سيد إمام: دخول الكافر بفيزا من السلطات الحاكمة للمسلمين لا يعصم دمه وماله:

قال صاحب التعرية في كتابه الجامع: " أما إذا دخل أحد الكفار إلى بلاد المسلمين والتي هى ديار كفر وردة اليوم، فإنه لايدخلها إلا بعد حصوله على تأشيرة دخول (فيزا) من السلطة الحاكمة بهذه البلاد، وهذا لايعتبر أماناً له يعصم دمه وماله بهذه البلاد، لصدور هذا الأمان من كافر مرتد وهو السلطة الحاكمة المرتدة التي ليست لها ولاية شرعية على المسلمين وأمان الكافر للكافر غير مُلِزم للمسلم"أهـ (الجامع ج٢ ص ٦٥٣).

(ض): د. سيد إمام: يحرض على عدم دفع الضرائب والجمارك:

قال صاحب التعرية في العمدة: "ويحرم على كل مسلم دفع الأموال لهؤلاء الطواغيت في أي صورة من جمارك وضرائب ونحوها إلا مضطرا أو مكرها. وليكن معلوما أنه لا شرعية لهذه الحكومات الطاغوتية ولا لقوانينها."أهـ (العمدة ص ٢٨٠).

(ظ): د. سيد إمام: جواز الانتفاع بالمال الحرام في الجهاد:

قال في العمدة: "مسألة: هذا، وكان أحد الاخوة قد سألني عن رجل أصاب مالا حراما، أو يغلب على كسبه الحرام، هل يقبل منه تبرعات للجهاد مع العلم بهذا؟..أنه يجوز أن يقبل المال الحرام للنفقة في سبيل الله"أهـ (العمدة ص ٤٤).

(غ): د.سيد إمام: جوازالاستيلاء على أموال الكفار:

قال في العمدة" :كما يجب على المسلمين السعي في الاستيلاء على أمول الكافرين بالقهر (وهي الغنيمة) وبالحيلة ونحوها (وهي الفيء)، وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم للاستيلاء على أموال قريش ليستعين بها المسلمون فكانت وقعة بدر"أهـ (العمدة ص٢٨٠).

أقول: كانت هذه مجرد عينة من أقوال وآراء وفتاوى الدكتور سيد إمام من كتابيه الجامع والعمدة التي تعمد إغفالها في مذكرة التعرية ومن قبلها وثيقة الترشيد وجميع حواراته الإعلامية! واهتم فقط بسب وطعن المعترضين على تراجعاته!

## صفوة القول

لقد استبان لنا بعد هذا التجوال والتطواف في وثيقة التعرية للدكتور سيد إمام؛ هشاشة الأدلة التي اعتمد عليها في الرد على كتاب التبرئة للدكتور أيمن الظواهري! وعلى المنصف أن يقرأ كتاب التبرئة كاملاً ليتأكد أن هناك بوناً شاسعاً بين الكتابين! علماً واستحضاراً للأدلة وتفنيداً للشبهات! فكتاب التبرئة جدير بالقراءة والنشر لمن يبحث عن الحق وليختر بعد ذلك ما يشاء من قناعات بعد القراءة المتأنية المحايدة!

كما أزعم أن هذه التعرية ما أريد به وجه الحق! بل أريد بها وجه الباطل! والباطل نعرفه! أنظمة مستبدة ظالمة خارجة عن الشريعة! ومؤسسات عالمية كمؤسسة راند الأمريكية فرع البنتاجون! وسواء علم الدكتور سيد إمام أم لم يعلم! فوثيقته تصب في مصلحة مشروعات (دعم قيادات صحوية جديدة) بغية تفتيت البنية الصلبة (المجاهدين) في الأمة التي تقف صخرة صلدة في مواجهة المشروع التوسعي الأمريكي المحتل لبلاد المسلمين!

كنا نود أن يعيد الدكتور سيد إمام حساباته جيداً وأن ينظر إلى الشباب الذين قضوا معظم أعمارهم في سجون هؤلاء الجبابرة الطغاة! فلم يستسلموا رغم طول مكثهم في السجون! ولم يركعوا ولم يسجدوا إلا لرب العالمين! وهم السواد الأعظم الذي وقف ضد تراجعاته وتراجعات من قبله! أليس له فيهم عبرة وهو صاحب العلم الغزير!

حقيقة إنه لا يسع الدكتور سيد إمام إلا إعلان التوبة النصوح عن تراجعاته التي تستخدمها الأنظمة في تعذيب وقمع وفتنة المسلمين القابعين في سجون نفس هذه الأنظمة التي ظلمتهم جميعاً!

نتمنى أن يخرج علينا الدكتور سيد إمام بوثيقة جديدة وليكن عنوانها (التوبة المجلية عن وثيقة الترشيد والتعرية)! أو أي عنوان يختاره! وإذا فعلها وليس ذلك على الله بعزيز

في أن يتغمده الله برحمته ويلهمه التوبة عن الباطل الذي اعتقده بعد سجنه! سيجد وقتئذ صدورالمسلمين واسعة للترحاب بعودته وإنابته! تضمه في تحنان بين ضلوعها! وستحتضنه قلوبهم قبل سواعدهم!.

د.هاني السباعي

مركز المقريزي للدراسات التاريخية بلندن

٢٧ من ذي الحجة ١٤٢٩هـ الموافق ٢٥ ديسمبر ٢٠٠٨م

# لماذا التيار السني ؟ تساؤولات وردود

د. هاني السباعي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد.

سأل سائل وما أكثر المتسائلين عن هذا التيار السني الوليد وما الفائدة في ولادة تيار والتيارات الإسلامية ما أكثرها! ولماذا لم يتحالفوا مع أي تيار أو جبهة أو جماعة قائمة على أرض الواقع في مصر ولا سيما التي تشكلت عقب الثورة المصرية في ١٨ صفر ١٤٣٢هـ الموافق ٢٥ يناير ٢٠١١م؟! بل وسخر البعض من وجود تيار يقوده رجلان يقيمان في الغرب أحدهما في أقصى الأرض في بلاد الزمهرير، والآخر يقيم في عاصمة الضباب! وقد تعجب متعجب من اختيارنا لكلمة "تيار"! من الناحية الشكلية! والعجب العجاب أن فريقاً من هؤلاء المتسائلين أو المنتقدين قد اكتفى بقراءة العنوان! ولم يكلف نفسه عناء التدقيق وما أسهله! في المبادئ التي ذكرناها في بياننا الأول للمجلس التأسيسي! ولا نزال ننتظر من يرد علينا رداً علمياً موضوعياً يناقشنا في أس المبادئ التي ذكرناها في البيان الأول! فنحن والحمد لله على الرحب والسعة في قبول النصح والإرشاد وحتى الذي يريد أن يناقشنا أو يناظرنا فأهلاً به وسهلاً وما أيسر الاتصال بنا.

ومن منطلق تلكم التقدمة السابقة نشرع في الإجابة عبر النقاط التالية:

أولاً: متى نشأت فكرة التيار السني لانقاذ مصر.

ثانياً: الاعتراض الشكلي:

(أ) الأعتراض على كلمة "تيار".

(ب) الاعتراض على كلمة "السني".

(ج) الاعتراض على كيف لرجلين خارج مصر يقودان تياراً.

ثالثاً: لماذا لم ننضم إلى الجماعات والحركات القائمة:

شيخ السلفية الديمقراطية أنموذجاً.

التعليق على حوار دهقان السلفية الديمقراطي.

رابعاً: التغيير عن طريق البرلمانات وهم وخداع.

الخطر الأول: تمييع مفهوم الولاء والبراء:

الخطر الثاني: تمييع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

**صفوة القول**

***

## أولاً: متى نشأت فكرة التيار السني لإنقاذ مصر:

**لقد وُضعتْ نطفة فكرة التيار السني في رحم الأيام التالية** بعد الثورة المصرية في ١٩ صفر ١٤٣٢هـ الموافق ٢٥ يناير ٢٠١١م .. لقد قلنا في بيان لنا عقب خلع الطاغية محمد حسني مبارك أننا؛ فرحنا بحق بهذا النصر الذي تحقق على أيدي هذه الجماهير الغفير! وكان لزئيرهم دوي قذف الله به الرعب في قلب الطاغية وأركان نظامه! ثم كانت اللحظة الحاسمة وقد بلغت القلوب الحناجر! والأمة تتميز غيظاً من عناد هذا الفرعون الصغير! وأخيراً أسقط الله بهم الطاغية حسني مبارك وعائلته وبعض أزلام نظامه! فالحمد لله الذي أراح البلاد والعباد من شرور فرعون خبيث لئيم! وكان من المفترض في مثل هذه الأيام الحاسمة في تاريخ التجمعات البشرية أن يكون العلماء والشيوخ والدعاة في طليعة الجماهير وفي مقدمة الصفوف بغية استعادة الحق المغتصب منذ الحقبة العلوية؛ محمد علي باشا وبنيه؛ الذين وضعوا اللبنات الأولى لصرح العلمانية في مصر والعالم الإسلامي إلى وقتنا الحاضر!

**كانت الفرصة سانحة لهؤلاء الشيوخ** بالالتحام مع الجماهير وتحريضهم على النفير إلى الميادين العامة وافتراش الطرقات والجهر بالحق وإعلان حراس الصرح العلماني في مصر.

فهـذه الجماهيـر لـن تبـرح أماكنهـا حتـى يعـود الحـق إلـى نصابـه وتعـود الشـريعة الإسلامية غير منقوصة مكرمة إلى سدة الحكم، نكون أو لا نكون! فهذا يوم من أيام الله سيسألون يوم القيامة عن تلكم المواقف الحاسمة؛ هل نصرنا دين الله أم تواطأنا مع دين العلمانية التي أذاقت الأمة الهزائم والنكبات ومزقتنا شر ممزق!.. نكون في حلف الرحمن أم حلف الشيطان! وهما حلفان لا يجتمعان! الإسلام والعلمانية! الإسلام والديمقراطية! الإسلام وأي دين آخر!

**فهل قام علماء المسلمين بمصر** وقادة الحركات الإسلامية بواجبهم الشرعي قبل أمتهم ونصروا دينهم؟! أم تحالفوا مع حراس العلمانية ورضوا بالقعود على عتبات العسكر لينالوا حصة من حكم البلاد المنكوبة بمعظم علمائها؟!!

**لقد ثبت أن معظم علماء وقادة وشيوخ** الحركات الإسلامية كانوا أصغر من الحدث التاريخي وضيعوا ثورة من أكبر ثورات التاريخ من أيديهم! ورضوا أن يكونوا محللين لبقاء المجلس العسكري الحارس على مصالح الغرب في مصر والعامل الإسلامي!

**لقد سقط الشيوخ وقادة الحركات الإسلامية في شراك خداع الديمقراطية!** وسقطوا في حمأة وهم التغيير عبر صناديق أعدها لهم العسكر تلبيسا وتدليسا على شعب مصر المسلم!..

لقد سقطوا في فخ الفرعونية التي استمرأوها وكأن حالهم صار كحال بني إسرائيل بعد أن أنجاهم الله من عدوهم ومن الغرق وبمجرد أن عبروا البحر وشعروا بالأمان سألوا نبي الله موسى:

(وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ ۚ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ) (الأعراف: آية ١٣٨)

**إن طول أمد الطاغوت في الحكم يقسي قلوب الناس،** ويستمرئون حكمه وعذابه! ولسان حالهم إذا منّ عليهم فرعونهم يوماً بهامش من الحرية العرجاء! يتساءلون

لـم لـم يعذبنـا.. لقـد ألفنـا طغيانـه! .. وقـادة الحـركات الإسـلامية بعـد خلـع الطاغيـة قالـوا لمجلـس العسـكر! اجعلـوا لنـا دسـتورا كمـا كان للطاغيـة دسـتور!

## عود على موضوع النطفة الأولى:

فـي خضـم هـذه المواقـف المخزيـة وسـقوط شـيوخ وعلمـاء كان يشـار إليهـم بالبنـان! بحكـم انتشـارهم الفضائـي إبـان سـماح المخلـوع لهـم بهامـش الفضائيـات التـي كان يشـرف عليهـم جهـاز مباحـث أمـن الدولـة المنحـل! وسـقوط آخريـن كانـوا فـي كمـون وسـبات عميـق عـن الحـق! حيـث قسـموا الإسـلام عضيـن! الَّذِيـنَ جَعَلُـوا الْقُـرْآنَ عِضِيـنَ) (الحجـر آيـة ٩١).. القـرآن فـي المسـجد فقـط! الإسـلام حبيـس المحـراب الزوايـا فقـط! .. وحتـى هـذه الزوايـا الضيقـة تتـآكل الآن بتدخـل العلمانيـة الإقصائيـة!!.. نصـرخ فيهـم: يجـب أن يكـون القـرآن والسـنة الصحيحـة حكمـا فـي كافـة المناحـي الحياتيـة.. يجيبـون بتعـال وعجرفـة! وحكمـة مصطنعـة! هـذا ليـس أوانـه! ولسـان حالهـم! دع لقيصـر مـا لقيصـر.. ودع للـه مـا للـه!! فحظـر الـكلام عـن أهـل الحكـم وبطانتـه وإنـزال أحـكام شـرعية فـي حـق أئمـة كانـوا يحمـون الشـريعة ويحكمـون بهـا! علـى حثالـة مـن سـقط متـاع العلمانيـة البائـدة فـي أردأ أنواعهـا مـن سـلالة حـكام العالـم الإسـلام!!

**فـي خضـم التلبـس والتدليـس بـل والكـذب الصـراح** علـى أمـة الإسـلام! وتعـدد رايـات الباطـل وإن انتسـب إلـى الإسـلام ظاهـراً! فـإن النتيجـة التـي وصلنـا إليهـا أن هـذه الأحـزاب الإسـلامية علـى اختـلاف مسـمياتها شـركاء فـي عبـادة المجالـس البرلمانيـة! تلكـم المجالـس التشـريعية التـي تحـاد اللـه فـي ألوهيتـه بخضـوع البشـر لحاكميـة اللـه كمشـرع وحيـد! وهـم كذلـك شـركاء فـي شـرعنة الباطـل؛ العسـكر العلمانييـن الليبرالييـن النصـارى البهائييـن كل مـن هـب ودب علـى أرض مصـر المسـلمة!!

**وفـي خضـم هـذه الأمـواج المتلاطمـة مـن الفتـن**، وعواصـف الشـبهات التـي لا تهـدأ! كنـا نتشـاور فـي الأمـر مـع بعـض المخلصيـن نحسـبهم كذلـك مـن أبنـاء هـذه الأمـة الإسـلامية! نتسـاءل عـن المخـرج مـن هـذا المـأزق الـذي وضـع الشـيوخ الأمـة فيـه!

وشعرنا بحق أن "حصوننا مهددة من داخلها" على حد تعبير الدكتور محمد محمد حسين رحمه الله ..

كنا نتلقى العديد من الرسائل من الشباب في مصر وغيرها! لماذا لا يتوحد العلماء وشيوخ المسلمين! لماذاذ علماء مصر مرتعشون خائفون؛ وقد أزال الله عنهم الخوف والطاغية وبعض أزلامه في السجن؟! ومن خلال متابعاتنا اليومية لما يحددث في مصر على مدار سنة كاملة ونحن نتململ على حال الأمة التي ضيع حقها معظم شيوخ مصر وقادتها!

**فبعد مرور بضعة أشهر على خلع الطاغية** استبان لنا ولكل متابع للحالة المصرية أن الثورة اختطفها العسكر بمباركة شيوخ صكوك العفو والغفران عن الباطل! وإن كان هذا الباطل متجسداً في مجلس عسكري يعلن بدون مواربة أن مصر دولة مدينة!! بالمفهوم الغربي للمصطلح! وأن المجلس العسكري الحاكم أو الرئيس القادم هو الذي سيشكل الحكومة الجديدة!! وليس نواب الشعب!!

والعجب العجاب أنه الإسلاميين المجلسيين! أقروا بأنهم لن يشكلوا الحكومة وليس من حقهم المشاركة في صياغة الدستور!!

**أين حمرة الخجل يا عباد المجالس!** هل صار دخول البرلمان غاية! وهل صار دخول البرلمان وجاهة وحيثية اجتماعية؟! الحمد لله الذي عافانا مما ابتلاكم الله به!

**ولما كنا قد وضعنا النطفة الأولى لفكرة** تجمع دعوي لم نسمه في حينه! في رحم الأيام التالية على الثورة ولما كانت ماثلة لنا في حضانة الزمن المتسارع بالأحداث! قمنا بإخراج هذه الجنين الفكري من حضانته وشرعنا لتكون الفكرة شاخصة على أرض الواقع!

**وكان فضيلة الشيخ الدكتور طارق عبد الحليم أول تكلم معي** في هذه الفكرة حيث كنا نتبادل أطرف هموم الأمة شبه يومي! وكان معنا أحد الاخوة الشيوخ

وذكر لي أنه كلم الدكتور طارق في تكوين تجمع دعوي تحت أي مسمى فقلت له إن الدكتور طارق قد كلمني قبلك في هذا الشأن.

**والحمد لله أن تلاقت إراداتنا في عمل جماعي** نتبغي به رضا الله تعالى.. المهم أننا اتفقنا أن نضع تصوراً لكيفية هذه الهيئة أو التكتل الدعوي فقمنا بوضع مبادئ أولية وقلنا لا بد مشاركة بعض المشايخ في مصر ليسدوا لنا النصح وليكونوا شركاءنا في هذا العمل! أما أخونا الشيخ الذي شاركنا في بداية الفكرة واطلع على مبادئها طلب منا ألا ننشر إسمه حالياً رغم أنه معنا قلبا وقالباً.

ثم قمنا بالاتصال ببعض المشايخ في مصر وعرضنا عليهم فكرة تكوين هيئة أو تكتل دعوي بغية أن يكون حصناً من تمييع عقيدة الإسلام التي يتلاعب بها الإسلاميون! ولتقديم صورة صحيحة عن الإسلام وفهمه للواقع وقراءة مستقيمة للنوازل التي ألمت بالأمة! وغير ذلك من موضوعات قمنا بصياغتها في البيان الأول للتيار السني لانقاذ مصر بتاريخ ...

**وكان الاتصال الأول بأحد الشيوخ الفضلاء** حيث قمنا بعقد لقاء ثلاثي عبر الهاتف من كندا ولندن ومصر؛ وتكلمنا بالتفصيل في مسائل كثيرة! ولما عرضنا الفكرة على فضيلة الشيخ حيث ذكر لنا أنه أيضاً قام بعض الشباب الإسلامي في مصر وعرضوا عليه أن يشكلوا تجمعاً أو جبهة موحدة لتكون مرجعاً للشباب المسلم الحائر بين الجبهات والأحزاب الإسلامية المتوالدة بعد الثورة!

وقال فضيلة الشيخ إنه سيعلن هذا البيان بعد يوم أو يومين فقمنا بسؤاله حول مضمون هذا البيان ومن هم أعضاء هذه الجبهة الجديدة وما إسم هذا الكيان الجديد؟ وقال إنه كان قد رشح الدكتور طارق عبد الحليم لقيادة هذا الكيان الجديد! لكن بعض الشباب يفضلون أن يكون في مصر وليس في الخارج!

**فقال له الدكتور طارق؟** ولم لا تقوده أنت؟ قال أنه لا يرغب في هذه القيادة وذكر أشياء أخرى! ثم سألنا فضيلته هل توافقون على أن تكونا معنا في هذا الكيان

الجديد؟ أجبناه بعلى الرحب والسعة؛ ولكن لنا شرط ألا يكون في عضوية هذا الكيان من يدينون بالعمل البرلماني أو يرون أن الإسلام يتصور أن يأتي عبر صناديق الانتخابات!

وفي نفس الوقت قام الشيخ الدكتور طارق عبد الحليم **بالإتصال بفضيلة الشيخ الدكتور عبد المجيد الشاذلي** لعرض الفكرة عليه ولتقديم النصح له في رأي غريبٍ صرح به بعد الثورة!! وكتب الدكتور طارق مقالين في هذا الشأن وخالف فيه آراء الشيخ عبد المجيد الشاذلي رغم العلاقة الوثيقة والمحبة التي بينهما.. فالحق أحق أن يتبع!

وبعد ذلك توسعنا في الاتصال بعدد آخر من الشباب ومن أبناء بعض الشيوخ والدعاة فرحبوا بالفكرة ولا يزالون يعرضون على بعض المشايخ والدعاة في مصر؛ بعضهم وعد أن يدرس الموضوع، والآخر كان متردداً! والبعض وافق وطلب عدم ذكر اسمه في هذه المرحلة.

**ثم أخيراً بعد اللتيا والتي!**

قمنا بفضل الله بعقد العزم على تحقيق فكرة التجمع الدعوي على أرض الواقع وكنا في حيرة من الاسم الذي نطلقه على هذا الكائن الجديد! ثم انشرحت صدورنا لاسم التيار السني لانقاذ مصر! وهذا ما سأوضحه في فقرة الرد على الاعتراض الشكلي بإذن الله.

**وها نحن أولاء أخيراً أصدرنا** البيانانين الأول والثاني ثم نشرنا الثالث أثناء كتابة هذا المقال بفضل الله وحده.. وبعد صدور البيانين الأول والثاني اتصلت شخصياً بفضيلة الشيخ الذي عرضنا عليه الفكرة أول الأمر فقام بالترحيب كعادته الكريمة وهو من أفاضل العلماء في مصر، ومن كبار المشايخ المبتلين في الله نحسبه كذلك ولا نزكيه على ربه .. ففضيلته من أقدم مشايخ السلفية في مصر، ومن أهل الحق الصابرين الين جهروا يوم أن قعد غيرهم كما أنه من الذين لم يأخذوا حقهم في الإعلام..

**وكان صوت فضيلته يقطر فرحاً** بهذا التيار السني الجديد! .. ووعدني أنه سيكتب تقويماً جديداً للمرحلة الحالية سيرسله لنا بإذن الله!

ثم تبادلنا أطراف الحديث وتكلمت مع فضيلته حول سقوط معظم الشيوخ في وحل صناديق الانتخابات البرلمانية! وأشرت له بأن شيخ السلفية المجلسية في الكويت نزل مصر وسيعقد مؤتمراً يحضره كبار مشايخ السلفية في مصر الذين هرولوا لاستقباله! يتباهي دهقان السلفية أنه أول من أدخل دين اليمقراطية التعددية في الكويت وفي العامل الإسلامي!

جاء السلفي الديموقراطي الفاشل ليحرض سلفيي مصر أن يدخلوا في دين العسكر، ويقبلوا بلوازم الديمقراطية ونتائجها!!

المهم أن فضيلته قال إنه لن يشارك ولن يحضر في هذا المؤتمر إن شاء الله ثم انتهت المكالمة.

**وخلاصة القول فيما قد سرنا فيه عملياً:**

أننا نؤمن بهشاشة وتهافت بل وسقوط المشروع الوهمي للتغير عبر صناديق الانتخابات! والتغيير الذي نعنيه هو الحكم بالإسلام في كافة المناحي الحياتية .. (ويكون الدين كله لله)الأنفال آية ٧٥.. الدين كله .. وليس بعضه!

**لقد أعلنا عن هذا التكتل** الدعوي تحت مسمى (التيار السني لإنقاذ مصر) .. واشترطنا في العضو أن لا يكون من المجلسيين! الذين يرون شرعية هذه المجالس التشريعية! فلا نشترط في هذا العضو سواء كان من الشيوخ أو من الشباب إلا أن يعتقد أن الشريعة الإسلامية لن تأتي عن طريق البرلمانات! .. فلن نحبس الإسلام في صندوق اقتراعي! ..

**ولن نقول كما صرح أحد السلفيين المجلسيين في قناة الرحمة** مؤخرا الشيخ مسعد أنور بأن "الوقوف في طوابير الإنتخابات أفضل من قيام الليل، (أنت في عبادة! أنت في طاعة)! من يحرمون الإنتخابات خارج حدود الزمن"أهـ

**سبحان الله! طوابير الانتخابات الشركية! العبثية! أفضل من قيام الليل!** وأن من يحرمون الانتخابات خارج حدود الزمن!! الطريف أن سلفية ما بعد الثورة والكرافتة!!

كانت قبل الثورة والكرافتة خارج حدود الزمن!! واضح أن الثورة أدخلتهم في حدود الزمن! أف لكم ولما تصفون!!

وأطلقنا على هذا الكائن الجديد التيار السني لإنقاذ مصر! .. ليس تعصباً لأهل مصر! ولكن من باب التخصص وأهل مكة أدرى بشعابها .. ورحم الله امرءا عرف قدر نفسه!! ..

كما أن أمنياتنا إطلاق مشروع يمثل الأمة بأسرها ولكنها أكبر من حجمنا ويحتاج إلى مجهود كبير من المخلصين من أبناء هذه الأمة! لذلك اكتفينا بإعلان هذا التكتل الدعوي التيار السني لإنقاذ مصر .. لعله يكون نواة ليشمل أبناء الأمة الإسلامية بأسرها وليس ذلك على الله بعزيز.

### ثانياً: الاعتراض الشكلي :

### (أ) كلمة "تيار":

لقد اعترض معترض حول اختيار اسم "تيار": في البداية نؤكد على أنه لا مشاحة في المصلحات ولا سيما أنها وضعت للتعريف والتمييز!.. فمصطلح "أهل السنة والجماعة"؛ مصلح حادث لم يكن شائعاً في عصر الصحابة رضوان الله عليهم، ولا حتى مصطلح "عقيدة" ولا هذه التقسيمات في كتب العقيدة من؛ توحيد الربوبية والألوهية والأسماء والصفات وتوحيد الحاكمية وغيرها ..

فهذه مصطلحات للتعريف والتسهيل وللتمايز عن سائر الفرق والمذاهب الأخرى .. فظهور الخوارج والقدرية والشيعة والمعتزلة والجهمية والكلابية والمرجئة بجميع فروعها وهم ينتسبون للإسلام، ويزعمون أنهم أهل الإسلام، وأنهم يفهمون الإسلام صحيحاً لا يفهمه غيرهم؛ بل يبدعون ويكفرون غيرهم من أهل القبلة!

**فكان لا بد من التمايز وتحرير الانحرافات العالقة بالإسلام** لكي لا يلبس على عوام المسلمين أمر دينهم! فظهر مصطلح أهل السنة والجماعة، وظهر جلياً عبر

التاريخ بين المسلمين من خلال أقوال وكتب العلماء التي ردت على الفرق المنتسبة للإسلام وكشفت زيفها وزيغها عن الحق، وأوضحت بجلاء عقيدة الإسلام الصافية في كتب الإئمة الإعلام أمثال والإمام الأوزاعي المتوفى ١٥٧هـ ،والإمام مالك بن أنس المتوفى ١٧٩هـ، الإمام أبي القاسم عبيد الله بن سلام المتوفى ٢٢٤هـ وهومن كبار شيوخ البخاري، والإمام أحمد بن حنبل المتوفى ٢٤١هـ والحافظ ابن أبي شيبة المتوفى ٢٣٥هـ، والإمام إسحاق بن راهويه المتوفى ٢٣٨هـ، والإمام البخاري المتوفى ٢٥٦ هـ، والإمام مسلم المتوفى ٢٦١هـ، وأصحاب السنن، ووالإمام الطبري المتوفى ٣١٠هـ، والحافظ أبي بكر الخلال المتوفى ٣١١هـ، والإمام الآجوري المتوفى ٣٦٠هـ في كتابه الشريعة، والإمام البربهاري المتوفى ٣٢٩هـ، وابن منده المتوفى ٣٩٥هـ، والإمام عبد الله بن بطة المتوفى ٣٨٧هـ والإمام اللالكائي المتوفى ٤١٨هـ مروراً بالإمام ابن قدامة المقدسي المتوفى ٦٢٠هـ، وشيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى ٧٢٨هـ وتلميذه ابن القيم المتوفى ٧٥١هـ، وابن رجب الحنبلي المتوفى ٧٩٥هـ وغيرهم من خيرة علماء الأئمة..

**كما أن العرب كانت تستعير بعض ألفاظ** كانت تستعمل للحيوان أو النبات وغيرها وتستعملها في مواضيع لها دلالة لدرجة أن الناس تنسى الأصل اللغوي للكلمة مثل كلمة "حكمة" وحكيم وحاكم ويحكم؛ مأخوذة من حكمة الفرس التي توضع على فمه كاللجام.. وكما في كلمة "كظم" كما في قوله تعالى (والكاظمين الغيظ).. فكظمت السقاء: أي ملأته وسددت عليه.. والكظامة ما يسد به مجرى الماء.. وكظم البعير جرته أي ردها في جوفه وهكذا .. وكتب الأصول والتفسير مفعمة بهذه الشواهد اللغوية.

**هكذا نستطيع أن نقول إن لفظ "تيار"** رغم أنه مستعار من تيار الهواء أو الماء أو الكهرباء وغيرها!

فإنه يشير إلى أن التيار فكر حيوي متجدد متحرك يجمع تحت رايته؛ جماعة تؤمن بوحدة فكرية تبغي نشرها، وتطبيقها على أرض الواقع.. فهذا تيار ينادي بالوحدة الفكرية التي ذكرناها في بياننا الأول والبيانات التي تليه بإذن الله تعالى. وهذه هي المرحلة

الأولى وهي نشر البيان العقدي والتأكيد على الوحدة الفكرية لمن يريد أن ينضم إلينا أو حتى الذي يكتفي بنشر نفس المبادئ التي ننادي بها؛ وإن لم ينضم إلينا! فنحن في حاجة إلى المزيد من نشر الوعي العقدي والسلوكي بين أبناء أمتنا!!

ثم عندما تستقر الأوضاع في مصر بمشيئة الله تعالى لعل الله تعالى يهيئ الله لهذه الأمة من ينفذ هذه الوحدة الفكرية إلى وحدة عضوية عملية تراعى مبادي هذا التيار؛ الذي نأمل أن يجرف الانحرافات العقدية والفكرية والسلوكية في حياة المسلمين وليس ذلك على الله بعزيز.

**(ب) أما الرد على من يتساءلون عن اختيارنا للفظ "السني":**

إن اختيارنا لفظ التيار السني هو اختيار متعمد إذ قد يظن البعض أن مجرد الانتساب لأهل السنة صار المسلم سنياً خالصاً! نحن نعلم أن مصر ليس بها طائفة شيعية كبيرة بالمعنى الاصطلاحي! لكن في الآونة الأخيرة نجد أن مصطلح "سني" المقابل للشيعي، والخارجي، والمعتزلي، وغيرهم من الفررق والمذاهب! صار يتآكل! فالصوفية في مصر مثلاً بالملايين ومعظمهم يقدسون القبور كالشيعة! وإن كانوا يختلفون معهم في حب الصحابة! ومعظم الشعب المصري أقرب إلى الأشاعرة لعوامل كثيرة منها الأزهر كمؤسسة رسمية ولسنا بصدد تقويم الأشاعرة في هذا المقال..

**لكننا نجد أن مصطلح أهل السنة في حاجة إلى تحرير** وتطهير والعودة به إلى أصله كما وضعه سلفنا الصالح وعلماؤنا الأخيار!

**فعلى سبيل المثال نجد أن جماعة منحرفة** في الصومال تقاتل باسم جماعة أهل السنة والجماعة وهي جماعة قبورية صوفية متحالفة مع الحكومة العميلة والاتحاد الإفريقي والقوات الأثيوبية!! فليس كل من زعم أنه من أهل السنة صار منهم وسلمنا له! فهذه ألقاب ومصطلحات في غير موضعها!

وما كلُ مخضوب البنان بثينةٌ ** ولا كلُ مسلوب الفؤاد جميلُ

**وحتى الجماعات السلفية العلمية التي غيرت وبدلت**؛ أقصد معظمها؛ اكتفت بالحشو النظري وحفظ المتون والهدي الظاهر؛ ولا نقلل منها ولا من الهدي الظاهر وشعائر الإسلام (ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ) (الحج آية: ٣٢).. لكنهم حبسوا تعالم الإسلام في المسجد! واكتفوا بحفظ متون أهل السنة وشروحهم في العقيدة! لكن هذا العلم لم يظهروه واقعاً تطبيقياً! ليكون مضرب الأمثال في الأسوة الحسنة، وليكونوا بحق أتباع السلف الصالح؛ الذين كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويجاهدون حكام زمانهم بأسلحتهم وألسنتهم وأموالهم! إذن لا بد من العودة إلى مصطلح أهل السنة ونشره وتفهيمه لعوام المسلمين بطريقة صحيحة ونقية.

**(ج) الاعتراض على كيف لرجلين خارج مصر يقودان تياراً:**

يردد البعض هذه المقولة ازدرءا وسخرية بنا.. ويتعجبون! كيف لرجلين يعيشان خارج مصر يقودان تيارا؟! .. فقبل أن نجيب نذكر المعترضين بما أخرجه مسلم في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما عَنِ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ "عُرِضَتْ عَلَىَّ الأُمَمُ فَرَأَيْتُ النَّبِىَّ وَمَعَهُ الرُّهَيْطُ وَالنَّبِىَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلاَنِ وَالنَّبِىَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ"أهـ.. سبحان الله الأنبياء المصطفون الأخيار المبلغون عن رب العالمين المعصومون يبعثون يوم القيامة ويأتي أحدهم ومع الرهيط وأحدهم ومعه الرجلان وأحدهم وليس معه أحد!!.. اللهم لا تعليق!

**يعلم الله تعالى أننا نعيش بأرواحنا وأفئدتنا بين أهلينا** في مصر وغيرها من بلدان العالم الإسلامي نتألم لآلامهم ونهتم بأمورهم كواجب شرعي؛ وليس فضولاً أو ترفاً والعياذ بالله!

**فنحن من أبناء هذه الأمة ونحن كالجسد الواحد**؛ تصداقاً لما رواه البخاري في صحيحه وبسنده عن النعمان بن بشير رضي الله عنه: " يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِى تَرَاحُمِهِمْ وَتَوَادِّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى ». وفي سنن النسائي: بسند صحيح عَنْ

عَلِيٍّ رضى الله عنه أَنَّ النَّبِىَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « الْمُؤْمِنُونَ تَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ لاَ يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ وَلاَ ذُو عَهْدٍ فِى عَهْدِهِ ».

**نعم لقد حرمنا من التواجد بأجسادنا** في بلادنا لنشارك المسلمين في ثورتهم على الظلم، لا بإرادة منا! لكن حسبنا أننا نؤمن بقول ربنا (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) التغابن: آية ١٦)..

**فهذا ما استطعنا وهذه قدرتنا ولا نملك إلا الكلمة** والدعوة إلى الحق وقد وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله كما في سنن أبي داود بسند صحيح: عن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ النَّبِىَّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ : « جَاهِدُوا الْمُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ » .. فنحن لا نملك سلاحاً إلا ألسنتنا وأقلامنا! نسأل الله أن يستخدمنا لنصرة الإسلام والذب عن حياضه.

**ثالثاً: لماذا لم ننضم إلى الجماعات والحركات القائمة:**

تساءل البعض لماذا التشرذم والتفرق؟! فالساحة مكتظة بتيارات، وحركات وجبهات إسلامية كثيرة! فلم لم تنضموا إلى واحد ة أو أكثر في حلف واحد؟!

**نقول وبالله التوفيق**: إن الله سبحانه وتعالى يقول في محكم التنزيل (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا)(آل عمران:١٠٣)

**أقول: فالله يأمرنا بالاعتصام بحبل الله وليس بحبل الناس!** فهذه الجماعات والكيانات القائمة الآن في مصر تعلن استمساكها بحبائل الناس! والناس معروفون لنا! وهم العسكر القائمون على سدة الحكم في مصر! فأي تحالف هذا الذي سنتوحد معاً فيه! فإذا قبلنا ما فيهم من منكر يقترفونه فنحن شركاؤهم في الإثم (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) (المائدة: آية (٧٨).. وإذا لم نأمر بالمعروف ونهى عن المنكر كما ورد في القرآن والسنة الصحيحة.. فلا خير فينا! فقد روى الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح عن عبد الله بن عمرو

بن العاص رضي الله عنهما "سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « إِذَا رَأَيْتُمْ أُمَّتِى تَهَابُ الظَّالِمَ أَنْ تَقُولَ لَهُ إِنَّكَ أَنْتَ ظَالِمٌ فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ ».

فإذا لم نقم بهذا الواجب الشرعي نكون قد خدعنا أنفسنا ودلسنا بل وكذبنا على أمتنا وقبل كل شئ نكون والعياذ بالله قد خنا أمانة التبليغ عن رب العالمين.

**فكيف نتحالف مع جماعة** صارت عندها الدعوة للحكم بما أنزل الله سبحانه وتعالى مطلباً يستحي المسلم الجهر به! والعياذ بالله!! فإذا ذكر مناة واللات! إذا ذكر هبل! إذا ذكر الدستور الورقي! الذي يعبث به كل طاغية! ترى الفصاحة والبلاغة والحماسة تقطر من أفواههم! وإذا ذكر الإسلام وللأسف لم يذكر إلا على استحياء! تجد العي .. والتلعثم! والتبلد! والحيرة والتيه! والاشمئزاز في حديثهم! (وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) الزمر آية ٤٥.

## شيخ السلفية الديمقراطية أنموذجاً:

كيف نتحالف مع جماعات تؤمن بهذه الأفكار والآراء المشينة التي لا تخرج من دماغ موحد بحق! أنظروا إلى شيخ السلفية الديمقراطية! الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في حواره المهترئ مع جريدة الوطن الكويتية بتاريخ ١١ ١ ٢٠١٢م وهو أنموذج للانحراف العقدي والفكري وسقوط مخز ومذل لكبير قادة السلفية الديمقراطية! نعوذ بالله من الحور بعد الكور!

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في مسند أحمد وفي صحيح الجامع من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أكثر منافقي أمتي قراؤها".. نعم قراؤها وهى كلمة جامعة قالها من أوتي جوامع الكلم صلى الله عليه وسلم.. فكلمة "قراء" قديما كانت تطلق عل حفظ كتاب الله وعلى العلماء لذلك نجد في كتب التاريخ حول الثورات والفتن التي حدثت في القرن الأول والذي بعده مثل فتنة ابن الأشعث وكان يقود ثورة من العلماء ضد الحجاج بن يوسف فكان الإخباريون يطلقون عليه فتنة القراء أو ثورة القراء! وبالطبع

فكانوا من خيار علماء الأمة والتابعين في ذلك الوقت فقد ذكر الذهبي في السير: وقام مه علماء وصلحاء لله تعالى"أهـ أما ابن كثير فقد ذكر في البداية والنهاية: "جماعة من القراء والعلماء"أهـ .. وذكر خليفة بن خياط في تاريخه عدداً من أسمائهم: كسعيد بن جبير، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، والشعبي، والمعرور بن سويد، ومحمد بن سعد بن أبي وقاص، وعدد كثير.. فقد كان لهؤلاء الأخيار صولات وجولات حتى هزمهم الحجاج بن يوسف في معركة دير الجماجم سنة ٨٢ هـ. الشاهد من ذكر حادثة ابن الأشعث أن لفظ القراء كان معلوما وكان يقصد به حفظة كتاب الله وأهل العلم! أما في عصرنا فشتان بين الثرى والثريا! فشتان بين القراء الذين خرجوا مجاهدين مع ابن الأشعث وبين القراء الذين خرجوا مجاهدين من أجل صناديق الإنتخابات الشركية!!

وقديماً قال الشاعر:

تكاثرت الظباء على خراش *** فما يدري خراشٌ ما يصيدُ

**أقول: ليتها كانت ظباءً مثل ظباء خراش!** لكنها ويا للحسرة فتن كقطع الليل المظلم! فنحن في هذا الزمان نتقلب من فتنة العلمانية وحربها الضروس على الإسلام إلى فتنة القومية والماركسية والناصرية والاشتراكية والإلحادية وأخيراً فتنة الشيوخ! وهي أخطرها لأنها تلبس على الناس أمر دينهم باسم الإسلام!!

**ولنعد إلى أحد قراء زماننا ؛الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في حواره المذكور آنفاً..**

اقرأ وتعجب من كبير دهاقنة السلفية المجلسية الديمقراطية! إذ يصرح بأن أحكام الإسلام ينبغي أن تكون دعوة وإرشاداً!! حيث سأله الصحفي:

**س: وإرعاب الناس بفرض الحجاب والنقاب كيف تراه؟**

ج: كل أحكام الإسلام ينبغي أن تكون دعوة وإرشاداً وأن يترك للناس اتخاذ قراراتهم بالالتزام، أما أن تفرض النقاب أو الحجاب على جميع بنات ونساء مصر فهذا أمر غير مقبول لأنها قضية اختيارية في الأساس"!

أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم!

الله تعالى يقول في كتابه العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) النورآية ٥١.

الله تعالى يقول في كتابه الكريم: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما) النساء آية ٦٥.

وفي محكم التنزيل أيضاً: (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً)النساء آية ١٠٥

وهذا أمر رباني لنبيكم الكريم! (وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ) المائدة آية ٤٩.

واقرأ هذه الآية الكريمة التي تفضح باطل هذا السلفي المفتري على رب العالمين: يقول سبحانه وتعالى في محكم التنزيل في قاعدة عامة وحكم لكل مسلم: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا) الأحزاب آية ٣٦.

الله جل جلاله يقول "وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم"! وعبد الرحمن عبد الخالق يقول "قضية اختيارية"!! وليس هذا فحسب بل يفتي ويقول "من الأساس"! هل هؤلاء القوم قوم نتحالف معهم؟! أف لكم ولما تصفون!

وانظر إلى قوله: "كل أحكام الإسلام ينبغي أن تكون دعوة وإرشادا"! يعني أحكام الإسلام؛ في رجم الزاني المحصن وجلد غير المحصن، وحد شرب الخمر، وحد الردة، والقصاص في النفس والأطراف، وأحكام التجسس مع أعداء الإسلام، والمستهزئ بالله وبرسوله، وحكم تارك الصلاة عمداً إذا سيق إلى القاضي المسلم!

فينبغي أن يترك وشأنه حسب مزاج رأي دهقان السلفية الديمقراطية!! يعني إسلام منزوع الأحكام، منزوع الولاء والبراء، إسلام منزوع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر!

إسلام بوذي! مجرد دعوة وإرشاد وتأمل! حتى لا نغضب الشرق والغرب والعلمانيين واليهود ونصارى العالم الإسلامي في مصر وغيرها!

إسلام على طريقة المتحنثين قبل الإسلام كقس بن ساعدة وغيره فدعوتهم كانت مرحباً بها في قريش الوثنية لأنها لم تكن تطالبهم بتكاليف! مجرد دعوة وإرشاد وتأمل!!

لقد وصل شيخ السلفية اليدمقراطي إلى حالة الوجد الصوفي! ودرجة التوحد فمنح المسلمين صك البراءة من تبعة الأحكام الشريعة! فطالما الإسلام دعوة وإرشاد وتأمل وأحكامه اختيارية! فلم يتعب المسلم نفسه في الالتزام بهذا الدين! فمن شاء أن يكون يهودياً فليكن! ومن شاء أن يكون نصرانياً فليكن! ومن شاء أن يكون ليبراليا مرتداً فليكن! فلا تكاليف في الإسلام! والله نخشى أن تنزل علينا حجارة من السماء!!

**وانظر أيضاً إلى قول شيخ السلفية البرلمانية في حواره مع جريدة الوطن الكويتية:**

يقول دهقان السلفية البرلمانية عن صفة المترشح لرئاسة مصر أن يكون وطنياً!! أين الإسلام! فص ملح وذاب! ببركة اجتهاد شيخ السلفية الديمقراطية!!

**يسأله الصحفي: س: "وما رأيك في المرشحين المحتملين للرئاسة الآن؟**

ج: كلهم لا يصلحون لحكم مصر. فمصر تحتاج الى شخصية وطنية غير حزبية ولم تقفز على ميدان التحرير"أهـ

ثم يتزلف للعسكر قائلاً: "وثمة أمر اخر اريد ان اقوله ان في اعناق المصريين جميعم دينا عظيما للمجلس العسكري الذي حقن دماءهم وحمى مصر من الانزلاق نحو الفوضى والخراب، واستطاع ان يصل بالمصريين الى بر الامان ان شاء الله تعالى، وان يؤسسوا نظاما يقوم على الشورى والتعددية والاختيار الحر، وسيظل هذا الدين في

اعناق الاجيال القادمة من المصريين، وعليهم ان يذكروه ويحمدوه. وعموما على كل الاحزاب ان تطرح مشروعا لانقاذ مصر"أهـ

**أقول: الذي لا يعلمه شيخ السلفية الديمقراطي** أن الجيش تدخل لينقذ نفسه بعد أن رأى بأم عينه أن المارد خرج من قمقمه..

وأن التذمر بدأ في وحدات الجيش وانضم بعض الضباط من الرتب المتوسطة للثورة والتحموا مع الجماهير ورأينا بعضهم يحمل على الأعناق!

**فماذا عسى عواجيز المجلس العسكري!** أن يفعلوا إلا أن يكبحوا الموجة ويعلنوا خلع الطاغية تحت زئير الجماهية الثائرة في كل محافظات مصر وليس في التحرير وحده!

ولو افترضنا أن العسكر كان قد اتخذ قراراً بضرب الجماهير! فمن الذي سينفذ هذه الأوامر ويقوم بمذبحة جماعية؟! هل عواجيز العسكر؟!

بالطبع لا. فالذي يسنفذ الأوامر بعض الضباط من الرتب العالية ومعظم الرتب المتوسطة والصغيرة! وفي هذه الحالة فإن مصير العسكر سيكون مرهوناً لهؤلاء الضباط الأقل رتباً!

وسيتفقون في النهاية على اعتقال قادة المجلس العسكري وإعلان انقلاب عسكري وستصفق لهم الجماهير! وسيضغط الغرب لتحقيق مصالحه!

وهذا ماحدث فعلاً حيث ضحت أمريكا والغرب بعميلهم الخائن الطاغية المخلوع في مقابل أن يقوم عواجيز المجلس العسكري وهم حلفاء أمريكا والغرب بحماية وتحقيق مصالحهم!

وهذا ماحدث بالفعل! فالعسكر لم ينضموا للثورة حباً فيها ومروءة نزلت عليهم فجأة من السماء!! بل إنهم اضطروا حماية لأراوحهم، وخشية أن يكون مصيرهم كمصير كبيرهم الذي علمهم الظلم والفساد!

**ولا يزال شيخ السلفية الديمقراطية يردد ما يشيعه العسكر**: لولا العسكر لكان مصيرنا مثل سوريا واليمن وليبيا!!

والقاصي والداني ومن لديه أدنى معرفة بأحوال الأمم والدول يعلم أن الحالات المذكورة لا تمت لدولة المؤسسات الحديثة بصلة..

فالولاء في اليمن لقبيلة ولعشيرة على عبد الله صالح وبعض المتحالفين معه بني الأحمر الذين لايزال بعضهم مستمسكاً بتحالفه معه!

أما في ليبيا فأين هذه الدولة؟! جيش من المرتزقة اشتراه القذافي بأموال الأمة! فالولاء كان للقذافي وعائلته! ولم يكن هناك جيش بالمعنى الاصطلاحي الحديث!

وأما سوريا فحكومة نصيرية متحكمة في الجيش والمخابرات والسياسة والاقتصاد والإعلام! فتحالف هذه الطائفة تحالف عقدي حياة أو موت! فلا يوجد جيش احترافي بالمعنى الاصطلاحي بعد أن باعه ودمره حافظ الأسد وطائفته على مدار أكثر من أربعين سنة!

فلو كان عواجيز المجلس العسكري لديهم هذا الولاء كما في سوريا واليمن! لما تورعوا في اقتراف المجازر ضد الشعب المصري المسلم لأنهم يعلمون أن ولاء معظم العسكر لهم بحكم ولائهم الطائفي مثلاً!

**ويستمر شيخ السلفية الديمقراطية: (العفو عن الطاغية)** بطاماته الاستفزازية لمشاعر من اكتووا بنيران حسنى المخلوع وأركان نظامه حيث يطالب الرئيس المصري بأن يكون أول قراراته العفو عن الطاغية حسني وأركان نظامه!! اقرأ ما جاء في حواره:

**"س: ما اول قرار ينبغي ان يصدره رئيس مصر القادم في رأيك؟**

ج: ارجو ان يكون اول قرارات الرئيس القادم العفو عن حسني مبارك واركان نظامه. فالادعاء يطالب باعدام مبارك لكنني ارجوهم ان يعفوا عنه كي نحافظ على وحدة البلد ولحمته. فاذا قتلنا واعدمنا وملأنا السجون والمعتقلات بهؤلاء فسيقع شرخ في الامة لن ينتهي. فالفرصة متاحة الان للملمة الشعب المصري ولن يكون هذا الا بالعفو، ولكن لا عفو عن مبارك واركان نظامه الا بعد ادانة المحاكم لهم على ما ارتكبوه وبعد استرداد اموال الشعب المصري التي نهبوها"أهـ

أقول: الله أكبر! العفو عن الطاغية المخلوع القاتل للمسلمين في مصر وفلسطين والعراق وأفغانستان والسودان!

حسني مبارك الذي دك جزيرة أبا في السودان بحمم القنابل! وضرب الأبرياء في ليبيا إبان النزاع بين السادات والقذافي!!

خيرة شباب وشيوخ ونساء وأطفال مصر الذين قتلهم ليس في الثورة المصرية الأخيرة فقط بل على مدار أكثر من ثلاثين سنة!

بالإضافة إلى آلاف الجرحى والمشوهين وفاقدي الأعين والأطراف!! يطلب شيخ السلفية الانهزامية الديمقراطية أن يعفو الرئيس القادم لمصر عن حسني مبارك! وليس حسني مبارك فقط بل لكبار قادته من السفاحين وكبار القتلة كوزير الداخلية حبيب العادلي ورئيس مباحيث أمن الدولة حسن عبد الرحمن، الذين كانوا يغتصبون الحرائر في مقار أمن الدولة؛ بل كانوا يغتصبون أطفال ونساء المجاهدين كما في مصر والسودان واليمن وباكستان وغيرها!!

فهل يملك الرئيس القادم أو حتى خليفة المسلمين ولو كان أتقى الأتقياء! أن يعفو في قصاص أو أطراف وولي الدم أو المجني عليه على قيد الحياة؟!!

هذا حق أصيل لولي الدم ولأهل القتيل وللمجني عليه في جارحته وأطرافه! هو وحده الذي يملك العفو أو يطالب بالقصاص أو الدية!!

أي دين هذا يا شيخ السلفية الديمقراطية! هنيئاً للبراليين والعلمانيين ولليهود والنصارى وسائر الملل غير المسلمة بك وبآرائك!

فلم يكتف هذا الرجل السلفي الديمقراطي بتمجيد التجربة العلماني الأوردغانية التركية وجلعها مثلاً يحتذى به كما في حواره! بل إنه يفتخر بأنه منذ أربعين سنة وهو يدعو إلى دين الديمقراطية ويفتخر بذلك ويقول في حواره المذكور عندما سأله الصحفي : " **س: ماذا قلت للسلفيين في مصر كي يتغيروا كل هذا التغيير؟**

ج: الححت على الاخوة في مصر بان الباب قد فتح لهم، ولابد ان يدخلوا في هذا المجال الذي اصبح مهيئا لانتخابات نظيفة. والحمد لله بادروا وكانت هذه النتائج الطيبة وقد تواصلت معهم فكريا وسياسيا فقرأوا ماكتبت وقد ناشدتهم بالله ان يشاركوا في الانتخابات وان يبادروا الى تكوين احزاب اسلامية سياسية. وقد فعلوا سواء اكان حزب النور ام بقية الاحزاب السلفية ومازلت اتواصل معهم"أهـ

**أقول: الرجل يفتخر بأنه أول من أسس للباطل** وكتب ونشر وألح للسلفيين على قبوله!

لقد صدق من أطلق عليه "بولس الحركة السلفية"!! فكما خرب بولس النصرانية .. ها نحن أولاء نرى في أيامنا الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق يخرب الحركة السلفية! بولس السلفية نسخة معاصرة! ولله في خلقه شؤون!

أقول: بعد ما ذكرناه حول انسلاخ السلفية من مبادئها وهم أقرب المعاصرين إلى الاستمساك بالهدي الظاهر والزعم بالسير على خطى السلف الصالح!!

## فمن هي الحركة الإسلامية أو الكيان الإسلامي في مصر نستطيع أن تحالف معه!

هل نتحالف مع إسلاميي الفلول! هل نتحالف مع من سقطوا في حمأة التراجعات المشينة إبان حكم المخلوع! ثم بين عشية وضحاها نرى كتبة تقارير أمن الدولة ثواراً يؤسسون حزباً إسلامياً؟

هل هؤلاء يتحالف أو يتحد معهم! وقد صاروا عبابيد العسكر وحلفاء أعداء الإسلام!!

فكيف نتحالف مع جماعة ترى العزة في التغيير عبر البرلمان؟! كيف نتحالف مع قوم يرون العزة في الدعوة لمجلس تشريعي ينازع رب العالمين في حاكميته؟!

كيف نتحالف مع حركة ترى العزة في التزلف للعسكر وتلبس على الأمة بأن العسكر خط أحمر!

كيـف نتحالـف ونتحـد مـع جماعـات اتخـذت مـن الخارجيـن علـى الشـريعة أوليـاء وأنصـاراً بـل وبطانـة مـن دون المؤمنيـن؟!

من أجل ماذا أيبتغون عندهم الرفعة والعزة والمنعة والقوة؟!

فهـل نتحالـف مـع هـذه الجماعـات وإن صرحـت بأنهـا إسـلامية والله تعالـى وضـح حذرنـا وأنذرنـا وفـي نفـس الوقـت ووضـح لنـا طريـق العـزة فـي قولـه سـبحانه وتعالـى: (الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا) النسـاء آيـة ١٣٩.

## رابعاً: التغيير عن طريق البرلمانات وهم وخداع:

نعـم إن السـير فـي دروب المنظومـة الديمقراطيـة وآلياتهـا وألاعيبهـا ولوزامهـا سيترتب علـى ذلـك أخطـار جسـيمة علـى سـبيل المثـال: تمييـع مفهـوم الـولاء والبـراء، والقضـاء علـى مفهـوم الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر وتهوينـه فـي صـدور المسـلمين.

## الخطر الأول: تمييع مفهوم الولاء والبراء:

إن أخطـر مـا فـي دعـوة المجلسـيين مـن إخـوان وسـلفية ومـن يسـلكون طريقهـم.. هـو الدعـوة إلـى إماتـة العمـود الفقـري للشـريعة الإسـلامية؛ عقيـدة الـولاء البـراء! فـلازم دعـوة هـؤلاء المجلسـيين البرلمانييـن؛ إماتـة المصطلحـات الشـرعية مثـل: مؤمـن .. كافـر .. منافـق .. فاسـق .. ولاء وبراء .. جهـاد .. مجاهـد .. ردة .. كفـر .. أهـل ذمـة .. وإحـلال مفهـوم الوطـن والمواطنـة بالمعنـى القومـي الحديـث فـي أوروبـا محـل ولاء العقيـدة والديـن. ومـن ثـم ظهـر مصطلحـات فـي القامـوس الإعلامـي اليومـي: مواطـن .. مصـر للمصرييـن .. الخـلاف مـع الآخـر .. المصريـة أولاً وأخيـراً .. مصـر فـوق الجميـع .. وهكـذا!.. وقـد سـبقهم فـي ذلـك الشـيخ رفاعـة رافـع الطهطـاوي المتوفـى ١٢٩٠هـ ١٨٧٣م حيـث كتـب فـي مفهـوم الوطـن والوطنيـة؛ وقـد سـلطنا الضـوء علـى هـذه اللبنـات العلمانيـة الأولـى فـي كتابنـا منـذ عشـرة أعـوام بعنـوان "دور رفاعـة الطهطـاوي فـي تخريـب الهويـة الإسـلامية" وقـد مـات الطهطـاوي لكـن أفـكاره لـم تمـت!

**وماذا عسى هؤلاء المجلسيون أن يقولوا لربهم** يوم القيامة وهذه الآيات تفضح دعواهم التي يأخذون الأمة إلى طريق التخلي عن أس عقيدة الإسلام: الولاء والبراء .. الحب في الله والبغض في الله:

إن الحنين إلى الديار أمر فطري لاجناح عليه، ولايتناقض وعقيدة الولاء والبراء في الإسلام، لكنه في حالة تعارض الولاءات، قدم ولاء العقيدة والإسلام على ولاء الأرض؛ فالرسول صلى الله عليه وسلم رغم حبه لمكة قدم ولاء العقيدة على ولاء الأرض والدم ومن ثم انتصر ولاء العقيدة على ولاء الوطن، ومن قبل فعل نبي الله إبراهيم عليه السلام عندما تعارض ولاء الأبوة والرحم مع ولاء العقيدة قال الله تعالى: (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) التوبة آية ١١٤.

وقال تعالى: (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده)الممتحنة آية ٤.

**قال الحافظ ابن كثير في تفسير** هذه الآية: " يقول تعالى لعباده المؤمنين الذين أمرهم بمصارمة الكافرين وعداوتهم ومجانبتهم والتبري منهم "قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه" أي وأتباعه الذين آمنوا معه "إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم" أي تبرأنا منكم "ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم" أي بدينكم وطريقكم "وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا" يعني وقد شرعت العداوة والبغضاء من الآن بيننا وبينكم ما دمتم على كفركم فنحن أبدا نتبرأ منكم ونبغضكم "حتى تؤمنوا بالله وحده" أي إلى أن توحدوا الله فتعبدوه وحده لا شريك له وتخلعوا ما تعبدون معه من الأوثان والأنداد"أهـ

**وفي تشخيص الحالة التي يعيشها المسلمون** اليوم يقول الأستاذ الشهيد نحسبه كذلك سيد قطب في ظلال القرآن الكريم حول آية سورة الممتحنة المشار إليها: " وينظر المسلم فإذا له نسب عريق , وماض طويل , وأسوة ممتدة على آماد الزمان . وإذا هو راجع إلى إبراهيم لا في عقيدته فحسب بل في تجاربه التي عاناها

كذلك. فيشعر أن له رصيدا من التجارب أكبر من رصيده الشخصي وأكبر من رصيد جيله الذي يعيش فيه. إن هذه القافلة الممتدة في شعاب الزمان من المؤمنين بدين الله الواقفين تحت راية الله قد مرت بمثل ما يمر به، وقد انتهت في تجربتها إلى قرار اتخذته. فليس الأمر جديدا ولا مبتدعا ولا تكليفا يشق على المؤمنين . . ثم إن له لأمة طويلة عريضة يلتقي معها في العقيدة ويرجع إليها , إذا انبتت الروابط بينه وبين أعداء عقيدته . فهو فرع من شجرة ضخمة باسقة عميقة الجذور كثيرة الفروع وارفة الظلال. . الشجرة التي غرسها أول المسلمين . . إبراهيم (عليه السلام)" أهـ

**ويستمر صاحب الظلال في حديثه حول آية الممتحنة** بقوله: " مر إبراهيم والذين معه بالتجربة التي يعانيها المسلمون المهاجرون. وفيهم أسوة حسنة: (إذ قالوا لقومهم:إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم، وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده). .

فهي البراءة من القوم ومعبوداتهم وعباداتهم. وهو الكفر بهم والإيمان بالله. وهي العداوة والبغضاء لا تنقطع حتى يؤمن القوم بالله وحده. وهي المفاصلة الحاسمة الجازمة التي لا تستبقي شيئا من الوشائج والأواصر بعد انقطاع وشيجة العقيدة وآصرة الإيمان. وفي هذا فصل الخطاب في مثل هذه التجربة التي يمر بها المؤمن في أي جيل. وفي قرار إبراهيم والذين معه أسوة لخلفائهم من المسلمين إلى يوم الدين"أهـ

**أقول: وقد كان هذا منهج الصحابة رضوان الله عليهم**؛ ففي غزوة بدر تباينت الولاءات، وتمايزت البراءات، فالمهاجرون يقاتلون آباءهم وأبناءهم وإخوانهم وعشيرتهم من المشركين، وهم بنو وطن واحد، وعشيرة واحدة، بل وعائلة واحدة، فهذا أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه يقتل أباه، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه يقتل خاله، فانتصر ولاء العقيدة على ولاء القرابة والدم والأرض.

وهذا عبادة بن الصامت رضي الله عنه الذي كان حليفاً لليهود يعلن ولاءه لله ورسوله ويتبرأ من حلفائه من يهود بني قينقاع الذين غدروا ونقضوا عهدهم إذ يعلن على

الملأ براءته من حلفائه من يهود مظاهرة لله ورسوله قائلاً: (يا رسول الله إن لي موالي من يهود كثير عددهم، وإني أبرأ إلى الله ورسوله من ولاية يهود، وأتولى الله ورسوله).

**هكذا عندما تعارضت مصلحة العقيدة** مع المصلحة الشخصية قدم عبادة بن الصامت ولاء العقيدة وأسقط تحت قدميه ولاء المصلحة الشخصية.

يقول الله سبحانه وتعالى: (إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون)المائدة آية ٥٥.

فالآية واضحة في تحديد من يكون له الولاء والمودة؛ وهم الله ورسوله، والمؤمنون.

وفي محكم التنزيل أيضاً: (ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء، واتقوا الله إن كنتم مؤمنين، وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعباً ذلك بأنهم قوم لا يعقلون)المائدة آية ٥٧ ٥٨.

**وانظر إلى الحرب الشعواء في وسائل الإعلام المصرية** التي يشنها نصارى مصر ويتحالف معهم من يطلقون على أنفسهم "ليبراليون وعلمانيون"! من استهزاء وسخرية بالإسلام وأهله بل إعلان عداوتهم لمسلمي مصر والتحريض على حربهم والاستقواء بأمريكا والغرب! فبدل أن يتبرأوا منهم! يتحالف المجلسيون الإسلاميون معهم ويوالونهم ويتزلفون إليهم بغية إرضائهم!

**لقد خاض الصحابة رضوان الله عليهم** بقيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من ستين معركة حربية ما بين غزوة وسرية، وقد أوصلها الحاكم إلى مائة كما ذكر ذلك ابن حجر في الفتح في شرحه لحديث زيد بن أرقم رضي الله عنه عندما سئل (كم غزا النبي صلى الله عليه وسلم من غزوة) ابن حجر: فتح الباري /دار الفكر/ بيروت/١٤١٤هـ /ج٨ ص٣ إلى ص٦. وقاد الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه حوالي ٢٨ غزوة كما جاء في مرويات السيرة النبوية.

**أقول: الشاهد مما سبق** أن الرسول صلى الله عليه وسلم خاض كل هذه المعارك سواء بنفسه أو من خلال تعيين قائد من أصحابه مع قومه وعشيرته باستثناء سرية مؤتة ٨هـ، وغزوة تبوك ٩ هـ، حيث كانتا موجهتين لقتال الروم وكان ذلك في المدينة المنورة. فإذا استعرضنا جانباً من الغزوات والسرايا سنجد معظمها موجهة إلى قريش وحلفائها من أهل الشرك ومن بعض القبائل المشركة التي كانت تحيط بالمدينة ولها تحالف أيضاً مع قريش! وقريش كما نعلم هم قبيلة الرسول صلى الله عليه وسلم وهم أعمامه وبنو عشيرته وهم الذين عاش وتربى معهم في فيافي وجبال مكة وربوعها وكذلك أصحابه رضوان الله عليهم! ولم ترد رواية صحيحة أو حتى ضعيفة أو موضوعة تذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (لا يقتل القرشي القرشي)!! (ولا يقتل المكي المكي) (ولا يقتل المدني المدني)!! ولم يرد في رواية صحية أو حتى موضوعة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (دم المكي مقدس وحرام)!! (ولم يقل دم المدني مقدس وحرام) ولم يرد في رواية صحيحة ولا موضوعة أن الرسول ذكر مصطلح (الوحدة الوطنية)!! التي حلت محل ولاء العقيدة في عصرنا المنكوب بعلمائه المنهزمين عقدياً!!

**بل إننا نلاحظ أن الإسلام حرص على تطهير** الصف الإسلامي المؤمن في غزوة أحد ٣ هـ وقد أكد هذه الحقيقة القرآن الكريم في سورة التوبة (براءة) وهي من أواخر ما نزل من القرآن الكريم كما أنها سورة مدنية تسمى أيضاً في كتب التفسير الفاضحة، والكاشفة، وسورة العذاب، والمقشقشة أي المبرئة من النفاق، وهي المبعثرة التي تفرق المنافقين وتشتت شملهم وتبعثر أسرارهم.. (راجع مقالنا الموسوم بعنوان: العدو القريب محاولة لتشخيص أحد أمراض الأمة).

وفي مسند أحمد بسند صحيح في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه أنه قال: قَالَ كُنَّا جُلُوساً عِنْدَ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ « أَيُّ عُرَى الإِسْلاَمِ أَوْثَقُ ». قَالُوا الصَّلاَةُ. قَالَ « حَسَنَةٌ وَمَا هِىَ بِهَا ». قَالُوا الزَّكَاةُ. قَالَ « حَسَنَةٌ وَمَا هِىَ بِهَا ». قَالُوا صِيَامُ رَمَضَانَ. قَالَ « حَسَنٌ وَمَا هُوَ بِهِ ». قَالُوا الْحَجُّ. قَالَ « حَسَنٌ وَمَا هُوَ

بِهِ ». قَالُوا الْجِهَادُ. قَالَ « حَسَنٌ وَمَا هُوَ بِهِ ». قَالَ « إِنَّ أَوْسَطَ عُرَى الإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِى اللَّهِ وَتُبْغِضَ فِى اللَّهِ ».

**أقول: وهل يظن هؤلاء التعساء أن حكم الجاهلية**؛ أن الدساتير والقوانين الوضعية أنفع لهم في حياتهم؟! وأحكم من حكم رب العالمين!! سبحانك هذا بهتان عظيم! (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) المائة آية ٥٠.

فماذا عسى عباد المجالس التشريعية أن يجيبوا على هذه الآيات والأحاديث؟! لقد أراحهم الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق وقال لهم: كل الأحكام الشرعية ينبغي أن تكون دعوة وإرشاد!!

**الخطر الثاني: تمييع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:**

يقول الله تعالى: لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ) المائدة آية: ٧٨)

وفي سنن أبي داود بسند صحيح عن عبد الله بن مسعود قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « إِنَّ أَوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَى بَنِى إِسْرَائِيلَ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَى الرَّجُلَ فَيَقُولُ يَا هَذَا اتَّقِ اللَّهِ وَدَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ لَكَ ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الْغَدِ فَلاَ يَمْنَعُهُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ أَكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ ضَرَبَ اللَّهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ ». ثُمَّ قَالَ (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ) إِلَى قَوْلِهِ (فَاسِقُونَ) ثُمَّ قَالَ « كَلاَّ وَاللَّهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ الْمُنْكَرِ وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَى يَدَىِ الظَّالِمِ وَلَتَأْطُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ أَطْرًا وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَى الْحَقِّ قَصْرًا ».

ويريد الإسلاميون المجلسيون أين يحرموا الأمة من هذه الخيرية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ۚ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ آل عمران آية: ١١٠)

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يحض أمته على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الذي رواه مسلم في صحيحه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ».

**بل إن الشرع حذر من يأمر بالمعروف ولا يأتيه** ومن ينهى عن المنكر ويأتيه: كما في صحيح البخاري: « يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِى النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِى النَّارِ ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ ، فَيَقُولُونَ أَىْ فُلاَنُ، مَا شَأْنُكَ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ قَالَ كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ ».

**أقول: هكذا فإن القرآن الكريم والسنة النبوية** قد عظم مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. أما من ينهي عن المنكر في عصر الحقبة المعلمنة للإسلام فإن فعله مجرم حسب القانون الوضعي الذي يحلل ويحرم وينظم سلوك الناس الحياتي!! وسن تشريعات تجرم من يفعل أشياء معينة وإن كانت تناقض نصاً قرآنياً أو حديثاً نبوياً صحيحاً!! أو معلوماً من الدين بالضرورة!..

فمن أرد أن ينكر ولو بالكلمة ولو بكتابة مقال أو حديث إذاعي أو مرئي أو في خطبة جمعة! أو بأي وسيلة أخرى!! فما على المنكر عليه! إلا أن يلجأ للنائب العام أو ضابط الشرطة بتحرير محضر أو رفع دعوى سب وقذف أو تحريك دعوى عمومية بالتحريض على القتل أو الكراهية مستنداً ومتسلحاً بمواد قانونية؛ سنها المجلس التشريعي الذي صار صاحب التحليل والتحريم!!

ففي هذه الحالة تستدعي الشرطة أو النيابة العامة هذا المحتسب ولو كان شيخ الإسلام ولو حاججهم بالنصوص القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة!! فإنهم لن يلتفتوا إليه ولن يصغوا إلى دفاعه وسيحاكمونه بمخالفة قوانين الدولة وحكم عليه القاضي عقوبة ثم زجوا به في السجن أو أجبروه بدفع غرامة!!

**رغم أنه البرئ صاحب الحق وصاحب الحجة الشرعية!!** لكن كل هذه الحجج لا قيمة له عندهم! لأن السلطة المخولة بالتحليل والتحريم هي مجلس الشعب! وما على السلطتين التنفيذية والقضائة إلا تطبيق القانون ول كان قانون أبي جهل!! (أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢١)

فالله تعالى يقول في كتابه الكريم: (ألا له الخلق والأمر. تبارك الله رب العالمين) الأعراف ٥٤. فكما أن الله هو الخالق فهو أيضاً صاحب الأمر والسلطان! ..

**لكن هؤلاء المجلسيين يفتئتون على خصوصية الله في التحليل والتحريم** ويشرعون بما لم يأذن به الله! إذن فهم قد ألهوا أنفسهم! وإن زعموا خلاف ذلك!..

إن عقيدة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي الضامن لاستقامة أمر هذه الأمة على الإسلام.. وهي الضامن لحماية الرعية من بطش حكامها! .. وهي الضامن للأمة في مراقبة السلطات وتقويم اعوجاجها إذا انحرفت عن طريق الإسلام!!

**إن التهوين من أمر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر** وتخويف الناس منه هو وسيلة الكسالى الذين يستبدلون صناديق خشبية أو زجاجية أو ورقية أيا كانت المادة المصنوعة منها بغية التغيير السهل وهم على الأسرة! بوسيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الصافية النقية المنضبطة شرعاً..

**إذن فوسيلة صندوق الاقتراع هي وسيلة الكسالى** الراضين بالقعود في كنف حاكم ظالم خارج عن شرع الإسلام! ..

**كما أن وسيلة التغيير** عبر الدخول في البرلمانات والعمل الحزبي ولوازم المنظومة الديمقراطية! ثبت أنها سراب بقيعة! حيث لم يثبت في العالم المعاصر أن الشريعة الإسلامية جاءت عن طريق البرلمانات.. أو العمل الحزبي والرضا بمزايا المنظومة الديمقراطية قد غير حاكماً واحداً في العالم الإسلام!

**ودليـل ذلـك الذيـن ارتضـوا التماهـي فـي لعبـة الديمقراطيـة** والتعددية الحزبية وأخواتهـا! مـاذا كان مصيرهـم! كمـا فـي تجربـة جبهـة الانقـاذ الجزائرية وانقـلاب العسـكر عليهـم!! أمـا التجـارب الأخـرى فـي باكسـتان وتركيـا والأردن ومصـر!! مـا هـي إلا تشـوهات فـي وجـه الإسـلام الحقيقـي! ووصـول جماعـات منسـلخة عـن ثـواب الديـن كمـا فـي تركيـا الأردغانيـة التـي يعتبرهـا الإسـلاميون المجلسـيون الأنمـوذج الـذي يجـب الاقتـداء بـه!! بئـس الطالـب والمطلـوب!!

**أمـا التغييـر عبـر ثـورة الجماهيـر** وتظاهراتـه العارمـة فـي وجـه الطغـاة فقـد تحقـق فـي غضـون أسـابيع معـدودات؛ تغييـر نظـام طاغيـة تونـس وهروبـه! وخلـع طاغيـة مصـر وسـجنه!

فـي حيـن لـم تسـتطع كل أحـزاب الدنيـا ومـن صدعونـا بقبـول المنظومـة الديمقراطيـة! تغييـر حاكـم وإقالتـه عـن سـدة الحكـم! وصـدق مثلنـا العربـي: "لا يفـل الحديـد إلا الحديـد!

**أمـا بيـع الأوهـام للنـاس مـن خـلال الصناديـق!** فهـي وسـيلة مـن ران علـى قلوبهـم حـب الدنيـا وكراهيـة الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر..

**وهكـذا.. فـإن تجربـة مـا حـدث فـي تونـس ومصـر** شـاهدة علـى تهافـت الإسـلاميين المجلسـيين! فالشـارع المصـري خلـع الطاغيـة، ولـم يخلعـه هـو وأركان نظامـه بألاعيـب المنظومـة الديمقراطيـة ولا بآلياتهـا! فحكومـة شـرف تـم تغيرهـا بسـبب مليونـة ١٨ نوفمبـر ٢٠١١ رغـم مقاطعـة الإخـوان والسـلفيين لهـا!! .. بـل إن عواجيـز العسـكر اضطـروا العسـكر أن يحـددوا موعـداً لانتخابـات رئيـس الجمهويـة بعـد أن كانـوا يشـيعون أنهـم سـيؤجلونها إلـى عـام ٢٠١٣م ..

**فهـؤلاء المجلسـيون عبـاد الصناديـق!** وصـل بهـم الانحـراف أنهـم يخجلـون مـن جعـل الإسـلام الشـعارالوحيد لهـم فتراهـم يقولـون .. الحريـة أولاً .. العدالـة أولاً .. الخبـز أولاً .. وكأن الإسـلام العظيـم لا يدعـو إلـى الحريـة والعدالـة وإطعـام النـاس.. الإسـلام ومقاصـده الكبـرى تلكـم المقاصـد التـي تفخـر البشـرية بهـا؛ مـن حفـظ الديـن والنفـس والعقـل والنسـل والمـال. فهـل صـار الإسـلام مرضـاً يفـر المـرء منـه أو يسـتحيا أن يذكـر وحـده!!

(أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير) البقرة ٦١.

وهل يظن ظان أن الله ينصر الكسالى والمتبلدين والقاعدين عن نصرة دينهم؟! فاقرأوا إن شئتم: (إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلاَ مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ) الرعد آية ١١. نعم إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم! فقد هداهم ووفقهم لهذه الإرادة في التغيير وإنكار المنكر! فإذا غيروا وانتصروا على عدوهم! فبفضل الله وحده!

فلولا فضله سبحانه وتعالى ما انخلع طاغية! اقرؤوا إن شئتم كلام ربكم لنبيه الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في محكم التنزيل: (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى) الأنفال آية ١٧.فهذا نبينا صلى الله عليه وسلم أطهر البشر وأصدقهم وأتقاهم وأورعهم؛ يعلمه ربه بأن ينسب الفضل لله وحده (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى)..

إما الاحتجاج بقصة العجز وعدم القدرة على مواجهة العسكر ..والاستشهاد بقوله تعالى لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) (البقرة: آية ٢٨٦) فقد ثبت أن الشعب المصري في وسعه الخروج في الميادين العامة وافتراش الطرقات والعصيان المدني .. وهي كتلة بشرية ضخمة أقوى من أي قنبلة مادية تقليدية! فأي جيش هذا الذي سيدك هذه الجموع الغفيرة بالحمم والقنابل؟! وأي مصفحات هذه التي ستقتحم غابات من سيقان بشرية؟!

## صفوة القول

هكـذا بعـد هـذا التطـواف حـول تسـاؤلات البعـض وانتقـادات الآخريـن فإننـا نؤكـد علـى أننـا نـرى أن التيـار السـني لإنقـاذ مصـر هـو تكتـل دعـوي وليـس جماعـة أوحزبـاً سياسـيا بالمعنـى الإصطلاحـي المعاصـر.. نريـد مـن خـلال هـذه التيـار أن ننقـذ مصـر وبـلاد المسـلمين مـن الانحـراف العقـدي والإخلاقـي والاجتماعـي والإقتصـادي.. وتطهيـر كافـة المناحـي الحياتيـة بقـدر المتسـطاع انطلاقـاً مـن قولـه تعالـى (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) (التغابن:آية ١٦)..

نريـد أن نحمـي وحـدة المسـلمين والدعـوة إلـى إحيـاء مبـادئ الإسـلام الكبـرى كالـولاء والبـراء الـذي تـم تمييعـه عبـر شـيوخ الاستسـلام للباطـل!

نريـد حمايـة الأمـر بالمعـروف والنهـي عـن المنكـر مـن التـآكل والانقـراض علـى أيـدي الإسـلاميين المجلسـيين ومـن علـى شـاكلتهم! ..

نريـد أن نسـتظل بحكـم الشـريعة الإسـلامية وننعـم بهـا كمـا عـاش وارتـاح ونعـم بهـا سـلفنا الصالـح!

لقـد ثبـت شـرعاً وواقعـاً فشـل وتهـاوي تغييـر الحكومـات الجاثمـة علـى صـدر العالـم الإسـلامي بألاعيـب المنظومـة الديمقراطيـة! لقـد ثبـت فشـل هـذه التجربـة المريـرة التـي مزقـت العالـم الإسـلامي!

فالآليـات ووسـائل الوصـول إلـى حكـم الإسـلام عبـر هـذه المنظومـة الديمقراطيـة مـا هـي إلا مكـر وخـداع يتناقـض والإسـلام كمنظومـة متكاملـة فريـدة..

كمـا أنهـا تناقـض اللـه تعالـى فـي سـنته فـي خلقـه فـي الصـراع بيـن الحـق والباطـل وأن الباطـل لـن يستسـلم للحـق إلا بعـد صـراع مريـر ثـم يدمغـه الحـق فيزهقـه تصداقـاً لقـول ربنـا فـي محكـم التنزيـل: (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ)(الأنبياء: آية ١٨).. وهـل نغفـل عـن ديمومـة الصـراع (وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا) البقـرة آيـة: ٢١٧)

وإن أراد عباد المجالس أن يموهوا على طبيعة الصراع وأن يظنوا أنهم السواد الأعظم نظراً لأغلبية حسابات الصناديق! فكل ما يقومون به من تزيين الباطلفلن يغني عنهم من الحق شيئاً!!

فهذا دين الله لن يموت الإسلام بتخاذل عباد المجالس وشيوخ فتنة الديمقراطية!

فلا تزال عصابة مؤمنة من أبناء هذه الأمة قائمة على نصر هذا الدين في كل مكان..

وستظل إلى قيام الساعة كما جاء في صحيح مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم: يَقُولُ « لاَ تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِى يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ». نسأل الله العظيم أن نكون منهم ونسأله سبحانه ألا يجعلنا فتنة للذين كفروا .. ولا يجعلنا فتنة للقوم الظالمين..

وأخيراً! فهذا كتاب ربنا ينطق بيننا بالحق ويهدينا إلى سواء السبيل! فهل نتركه ونبيت أمام السرداب ليأتي المخلص فيطبق لنا الأحكام الشرعية؟!

لو فعل سلفنا الصالح ومن ساروا على دربهم مثلما يفعل المجلسيون اليوم؛ ما خرج الإسلام من المدينة النبوية ولما وصل إلينا.

اللهم استخدمنا لنصرة دينك واجعل كلماتنا خالصة لوجهك الكريم!

لندن في يوم الإثنين ٢٩ صفر ١٤٣٣هـ ٢٣ يناير ٢٠١٢

# الحركات الجهادية في العراق وعلاقتها بتنظيم القاعدة
# أنصار الإسلام جيش أنصار السنة أبو مصعب الزرقاوي كتائب أبي حفص

د. هاني السباعي

هل صارت العراق مناخاً خصباً للحركات الإسلامية الجهادية؟ وهل هناك تنسيق بين هذه الحركات وتنظيم القاعدة؟

ستكون إجابتنا حول هذا الموضوع عبر المحطات التالية:

أولاً: نبذة تاريخية عن الحركة الإسلامية في كردستان العراق.

ثانياً: جماعة أنصار الإسلام من هي ومتى وكيف ظهرت؟

ثالثاً: جيش أنصار السنة: من هي ومتى وكيف ظهر؟

رابعاً: علاقة أبي مصعب الزرقاوي بالقاعدة وأحداث العراق.

خامساً: بيانات كتائب أبي حفص ومدى مصداقيتها.

أولاً: نبذة تاريخية عن الحركة الإسلامية في كردستان العراق.

بعد سقوط الخلافة الإسلامية على يد مصطفى كمال أتاتورك سنة ١٩٢٤م قام بعض العلماء بحض الناس على مقاومة العلمنة الأتاتوركية، ودعوتهم على التمسك بالهوية الإسلامية ومن هنا بدأت البنات الأولى للتنظيمات الحركية الإسلامية لكنها لم تظهر إلى الوجود في مناطق الأكراد بصورة علنية ومنظمة إلا في عام ١٩٥٢م على يد جماعة الإخوان المسلمين لكن السلطة المركزية (حزب البعث) في العراق حلت تنظيم الإخوان المسلمين سنة ١٩٧١م لكن الجماعة ظلت قائمة بصفة غير رسمية.

بداية ظهور التيار السلفي:

في نهاية الستينيات ظهر التيار السلفي بقوة وخاصة مع انتشار وسائل الإعلام والاحتكاك المباشر في مواسم الحج والعمرة وقوافل الدعاة وفي سنة ١٩٧٨ ظهر في كردستان فكر سلفي على غرار (الأنموذج السعودي) يختلف عن الفكر الحركي لجماعة الإخوان المسلمين.

بداية ظهور التيار الجهادي:

في نفس الوقت الذي ظهر فيه التيار السلفي ظهر أيضاً تيار جهادي للمرة الأولى تحديداً عام ١٩٧٨م. ثم يأتي عام ١٩٧٩ بحادثين في غاية الأهمية:

الأول: نجاح الثورة الإيرانية في إيران. والحدث الثاني: الاحتلال الشيوعي (الاتحاد السوفياتي السابق) لأفغانستان.

لقد حفز هذان الحادثان التيار الجهادي لتشكيل أول جماعة إسلامية مسلحة وكان ذلك في عام ١٩٨٠ في جبال كردستان وأطلق على هذا الوليد الجديد (الجيش الإسلامي الكردستاني).

وخلال ذلك كانت وسائل الإعلام تتناقل أخبار المجاهدين الأفغان ومعاركهم ضد الشيوعيين. فلم ينسلخ عام ١٩٨٥م إلا وتم تكوين (الرابطة الإسلامية الجهادية) وبعد عامين تم تشكيل (تنظيم الحركة الإسلامية) الحالية في كردستان العراق على يد الشيخ عثمان بن عبدالعزيز.

وهكذا ظهر تيار إسلامي متعدد الاتجاهات: إخواني سلفي علمي سلفي جهادي. وفي المقابل ظهور تيار علماني من سبعة أحزاب مختلفة أهمها: حزب مجاور للحدود الإيرانية وكان ولاؤه لإيران وهو (حزب الاتحاد الوطني الكردستاني) بزعامة جلال طلباني. والثاني: مجاور لتركيا وكان ولاؤه لأنقرة: وهو الحزب الديمقراطي الكردستاني بزعامة مسعود برزاني.

علاقة إيران بالحركات الإسلامية الكردية:

وفي أثناء الحرب العراقية الإيرانية وبعد أحداث مدينة حلبجة وضربها من قبل القوات العراقية نزح كثير من الأكراد عن أراضيهم إلى الحدود الإيرانية وفي تلك

المخيمات التي أقامتها الحكومة الإيرانية برزت اتجاه جديد يحمل فكر الثورة الإيرانية الشيعي لدى الأكراد،وفي المقابل نشط الفكر السلفي السني في نفس هذه المخيمات للتصدي لهذا الفكر الجديد الذي ساد وسط اللاجئين الأكراد. لكن الحكومة الإيرانية ضاقت ذرعاً بالفكر السلفي السني فطقت تضيق عليهم وخاصة بعد توقف الحرب عام ١٩٨٨م بل إنها كانت تصف هؤلاء بحملة الفكر (الوهابي) لتنفير الأكراد منهم ولاسيما أن الأكراد متمذهبون بالمذهب الشافعي والحنفي.

ثم عاد هؤلاء الشباب أصحاب الفكر السلفي السني الجهادي من مخيمات إيران إلى كردستان بعد حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١م لكن ظهرت بواد انشقاق لدى الحركة الإسلامية الأم بسبب المنهج الفكري ذي الميول الإيرانية مثل الملا (علي بابر) أحد زعماء الحركة الإسلامية، ومنهج فكري آخر سلفي سني علمي وجهادي.

في عام ١٩٨٨ تكونت جماعة جديدة متأثرة بفكر الإخوان المسلمين لكنها ذات طابع جهادي أطلق عليها (الحركة الإسلامية) بزعامة الشيخ عثمان بن عبد العزيز، ثم حدث انشقاق داخل الحركة الإسلامية شكلوا في عام ١٩٩٢م جماعة جديدة أطلق عليها (النهضة).. وبعد ذلك بسنتين تشكلت جماعة جديدة أطلق عليها (الاتحاد الإسلامي) الذي اختار نهج الإخوان المسلمين في العمل الحزبي والسياسي وابتعد عن العمل الجهادي. وبعد مرور الوقت تحديدا في ١٩٩٩م اتفقت (الحركة الإسلامية) بقيادة الملا علي عبد العزيز على الإتحاد مع (حركة النهضة) وأطلق على الجماعة الجديدة (حركة الوحدة الإسلامية).

الانشقاق:

لقد قامت (حركة الوحدة الإسلامية)، بنشاط دعوي واسع في كردستان العراق وأنشأت محطتين إذاعيتين مستقلتبن وافتتحت مسجداً كبيراً.. ومع مرور الوقت، وتدخل بعض الأطراف كإيران وحزب الإتحاد الوطني لاستمالة طرف على حساب طرف بدأ الشقاق والنزاع ينتشر في صفوف الحركة الجديدة، حتى انهار هذا التآلف عام ٢٠٠١م، فانشقت الحركة إلى جماعتين:: الأولى هي الحركة الإسلامية بزعامة الملا علي عبد العزيز والثانية هي الجماعة الإسلامية بزعامة الشيخ علي بابير.

جماعة جند الإسلام:

كانت هناك مجموعات إسلامية صغيرة كجماعة التوحيد وجماعة المركز، حاولتا الإصلاح بين (الحركة الإسلامية) و(الجماعة الإسلامية) غير أنها باءت بالفشل. ومن هنا تشكلت جماعة جديدة أطلق عليها (جند الإسلام) أعلن عنها في سبتمبر ٢٠٠١م وضمت في صفوفها بعض الإسلاميين الذين سبق لهم الجهاد في أفغانستان وتزعم هذه الجماعة أبو عبيد الله الشافعي (اسمه الحقيقي: وريا هوليري) مع العلم أن أبا عبيد الله الشافعي كان ينتمي إلى حركة الوحدة الإسلامية في أربيل عام ١٩٩٤.. ويزعم حزب الاتحاد الوطني الكردستاني (علماني) أن الشافعي تعرف على تنظيم القاعدة في أفغانستان. ثم عادت وغيرت اسمها إلى أنصار الإسلام. وانتشرت جماعة جند الإسلام على شريط القرى الممتد بين حلبجة والقرى المتاخمة للحدود الإيرانية وتعدادها تقريباً تسع قرى أهمها (البيارة) التي كانت مقر قيادة جند الإسلام. وقامت الجماعة بدعوى الحسبة وكانت تأمر بغلق المتاجر أثناء الصلاة،و تمنع بيع الخمور وتدعو إلى الإعداد والتجهز للجهاد ضد أعداء الأمة.

ثانياً: جماعة أنصار الإسلام:

في ١٠ ديسمبر ٢٠٠١م اندمجت ثلاث جماعات إسلامية: (جند الإسلام) ، و(حماس الكردية)، و(حركة التوحيد) وكونوا جماعة واحدة أطلق عليها (أنصار الإسلام) أبرز قادتها الملا فاتح كريكار (اسمه الحقيقي: نجم الدين فرج).

هكذا بعد الإعلان عن تشكيل (أنصار الإسلام) أصبح في كردستان ثلاث جماعات إسلامية مسلحة هي:

- الحركة الإسلامية ومقرها (حلبجة) ثم انتقلت إلى قرى مجاورة بعد ذلك.
- الجماعة الإسلامية ومقرها في (خورمال).
- جماعة أنصار الإسلام ومقرها في (بياره).

فكر الجماعة:

تتبنى جماعة أنصار الإسلام الفكر السلفي السني الجهادي متأثرة بالأنموذج السلفي السعودي من الناحية العلمية، والأنموذج الفكري للأستاذ سيد قطب رحمه الله، والمنهج الحركي لجماعة الجهاد المصرية وغيرها.

الهيكل التنظيمي لجماعة أنصار الإسلام من:

- الأمير ونائبيه.
- اللجنة العسكرية.
- اللجنة الشرعية.
- المحكمة الشرعية.
- اللجنة الإعلامية..
- اللجنة الأمنية.

قدرات الجماعة العسكرية والأمنية:

ليس لجماعة أنصار الإسلام قدرات عسكرية متميزة غير أنها تتبع أسلوب حرب العصابات من كر وفر خاصة أنها متمركزة في مناطق جبلية وعرة تساعدها على اتخاذ هذا الأسلوب. أما من الناحية الأمنية فهذه الجماعة على حذر شديد حيث لا تستخدم الهواتف النقالة ولا الأجهزة الإلكترونية ويحبذون التواصل المباشر عبر الأشخاص حتى لا يمكن الاستدلال على أماكن تواجدهم.

علاقة أنصار الإسلام بالأحزاب العلمانية:

لقد اندلعت حروب طاحنة بين جماعة أنصار الإسلام والاتحاد الوطني الكردستاني، فرغم تفوق الاتحاد الوطني من حيث العدد والعتاد إلا أنه مني بخسائر فادحة على يد جند الإسلام التي اندمجت في أنصار الإسلام فيما بعد نتيجة لاعتماد هذه

الجماعة حرب العصابات لذلك فقد كان عدد قتلى الاتحاد الوطني (طالباني) يناهز ألف قتيل وجريح بينما عدد قتلى جند الإسلام حوالي ٧٤ قتيلاً وجريحاً. لكن بعد أن اندمجت جند الإسلام في أنصار الإسلام كان أمير الحركة الجددة هو الملا فاتح كريكار قد حاول أن يتكيف مع الظروف التي خلفتها أحداث سبتمبر في نيويورك فأعلن رغبته في عقد هدنة مع الاتحاد الوطني الكردستاني وقابل زعيم الحزب جلال الدين طالباني لكن حدث ما عكر هذه الهدنة تحديداً في ٢ إبريل ٢٠٠٢م إذ تعرض منزل الدكتور برهم صالح للهجوم في محالة لاغتياله.. وللعلم فالدكتور برهم صالح يعتبر الرجل الثاني في الاتحاد الوطني الكردستاني، وكان رئيس حكومة الحزب وحاصل على الجنسية الأمريكية ويعده بعض الإسلاميين رجل (سي آي إيه) الأول في كردستان، كما أنه معروف بعلمانيته وعدائه الشديد للحركات الإسلامية، ونفت أنصار الإسلام أي علاقة لها بالحادث غير أن الاتحاد الوطني أصر على اتهامه لأنصار الإسلام بعد أن ادعى الأن منفذي الهجوم كانوا ثلاثة أشخاص، هم: (عبد السلام أبو بكر) عضو مركز السليمانية للجماعة الإسلامية، وشخص آخر اسمه (قيس) نجح في الفرار ثم اعتقل بعدها في السليمانية الجديدة في بيت عضو بالجماعة الإسلامية، والثالث اسمه (كامران مورياسي)، وكان عضواً سابقاً في جماعة التوحيد إحدى الجماعات الثلاث المكونة لأنصار الإسلام. لكن على أية حال لقد نجم عن تلك الواقعة تدهور العلاقة بين أنصار الإسلام و الاتحاد الوطني.

العلاقة مع الحزب الديمقراطي (برزاني):

أما علاقة أنصار الإسلام مع الحزب الديمقراطي بزعامة مسعود برزاني فلم تكن طيبة بل إن الحزب اتهم جماعة أنصار الإسلام باغتيال (فرانسوا الحريري) القيادي البارز في الحزب الديمقراطي في مدينة أربيل. وفي هذه الفترة قام بعض الأشخاص بنبش قبر كان مزاراً لأتباع الطريقة النقشبندية وهو قبر ما يسمى (الشيخ حسام الدين) في قرية (باخة كون) قرب منطقة البيارة التي يسيطر عليها أنصار الإسلام ونقلوا رفاته إلى المقابر العامة لمنع زيارتها. فهنا استغل الحزبان: الحزب الديمقراطي والاتحاد الوطني

الحادث وطفقا ينفخان في إشعال الفتنة.. لكن الملا كاريكار شكل لجنة للتحقيق في الحادث ثم أعلن فيما بعد أن بعض الأفراد التابعين لجماعته فعلوا ذلك بدون إذن الجماعة وسوف يحاكمهم شرعيا.. وهنا تساءل الناس عن قدرة الجماعة على ضبط أفرادها الذين يسببون لها حرجاً ومشاكل مع الأطراف المتنازعة الأخرى على الساحة الكردية.. المهم أن مشيخة الطريقة النقشبندية أصدرت بيانات تستنكر الحادث وتتوعد بالويل والثبور لجماعة أنصار الإسلام..ومن هنا تقارب الخصمان اللدودان؛ الاتحاد الوطني والحزب الديمقراطي على القضاء على العدو المشترك وهو (أنصار الإسلام. (

علاقة جماعة أنصار الإسلام بالقاعدة:

لقد استغل جلال طالباني هستيريا الخوف من الجماعات الإسلامية الجهادية لدى الإدارة الأميركية بعد أحداث ١١ سبتمبر ، وحاول تصفية حساباته السياسية مع هذا الجماعة. وراح يروج لدى واشنطن عن وجود صلة بين هذه الجماعة (أنصار الإسلام) وتنظيم القاعدة، وبوجود معسكرات يدعمها ابن لادن في المناطق التي تسيطر عليها أنصار الإسلام. ووصل بالحملة الدعائية التي شنها الاتحاد الوطني إلى القول بوجود مختبرات كيميائية لدى هذه الجماعة تحاول استخدامها في صنع أسلحة خطيرة.

وقبيل الحرب على العراق:

صرح دونالد رامسفيلد وزير الدفاع الأميركي أن أنصار الإسلام تطور أسلحة كيمياوية!! وأنها مرتبطة مع نظام صدام الذي يخفي كميات كبيرة من الأسلحة الكيماوية في مناطق الجماعة. وأصدر الملا كاريكار بيانا ينفي هذه الاتهامات، بل إن محمد حسن وهو مسؤول العلاقات العامة في جماعة أنصار الإسلام رد على هذه التهم بأنه سيرحب بكل من يرغب في زيارة المنطقة التابعة لجماعته للتحقيق من هذا الإدعاء لكنه لم ينف وجود بعض العراقيين العرب الذين فروا من الحكومة في بغداد.

وقد نفت جماعة الأنصار أية علاقة لها مع تنظيم القاعدة وقد يكون هذا حقيقياً من الناحية العضوية والتنظيمية البحتة لكن توجد علاقات فردية مع بعض الأشخاص

المنتمين لتنظيم القاعدة وبعض الأفراد المنتمين لجماعة الأنصار من خلال تواجدهم في أفغانستان بالإضافة إلى رابطة الإسلام العامة التي تجمع كل الحركات الإسلامية في العالم كما لا ننسى أن هناك تشابهاً في فكر الجماعتين من حيث أنهما حركتان سلفيتان جهاديتان سنيتان تستقيان أفكارهما من نفس المراجع السنية وإن اختلفتا من حيث طبيعة العمل وأولويته؛ فجماعة القاعدة أممية عالمية لا تركز على دولة إسلامية بعينها، فهي قامت في الأساس لطرد أعداء الإسلام في أي منطقة يحتلونها كما حدث في أفغانستان الصومال وكينيا وتنزانيا واليمن، لكنها غيرت أولويتها بعد حرب الخليج الثانية واستقرار القوات الأمريكية في جزيرة العرب، فجلعت الأولية طرد الأمريكيين من جزيرة العرب. أما أنصار الإسلام فهي جماعة محلية تشترك مع بقية الجماعة الكردية سواء العلمانية أو الإسلامية في محاولة نيل الاستقلال لكن تحت حكم إسلامي كما أنها تخالف بعض الحركات الإسلامية التي تتخذ المنهج الديمقراطي مثل الاتحاد الإسلامي المقرب من الإخوان المسلمين الذي يشارك في حكومة الحزب الديمقراطي بزعامة (برزاني) في أربيل بوزير للعدل، ويعتبر التيار الجهادي يعوق مسيرة العمل الإسلامي السلمي.

هل هناك وجود حقيقي للقاعدة في العراق:

يعتقد أن إقليم كردستاني العراقي بعد حرب الخليج الثانية شهد حركة تنقل ومرور في ظل غياب القبضة الأمينة الحديدية التي كانت لدى الحكومة المركزية في بغداد، ونظراً لقرب كردستان وخاصة مناطق الجماعات الإسلامية المتاخمة لإيران فكان من السهل التنقل من تركيا إلى كردستان ومن ثم إلى عبور الحدود الإيرانية بكل سهولة ومنها إلى أفغانستان، ونعتقد أن هذه الحركة لم تكن على نطاق واسع كما يتبادر إلى الذهن لأن الطريق الأسهل كان عن طريق باكستان من السعودية أو دول الخليج التي كانت متساهلة في ذلك الوقت حتى بعد حرب الخليج الثانية بزمن لكن بعد عام ١٩٩٥ فإن الأمور قد تغيرت وصارت كردستان الممر المفضل والأقل خطورة حتى من باكستان نفسها التي ضيقت على حركة المرور من وإلى إراضيها، ويرجح أن الوضع

ظل هكذا حتى قبيل الاحتلال الأمريكي للعراق بعد أن ضيقت إيران وقبضت على بعض المتعاطفين مع حكومة طالبان والقاعدة ومن هنا فر كثير منهم إلى كردستان وخاصة الذين يعرفون كيف يسلكون الطرق الجبلية الوعرة والذين يعتقد أن منهم من قد قتل في القصف الأمريكي على مناطق أنصار الإسلام والجماعة الإسلامية. وبعد أن احتل الأمريكان العراق صارت الحدود بلا رقيب حقيقي وتعتبر العراق الآن مناخاً خصباً للحركات الإسلامية التي ترغب في جهاد الأمريكان وبالمقارنة بأفغانستان فإن العراق أفضل من حيث التقارب اللغوي والتشابه الخلقي بالإضافة إلى التعاطف الشعبي سواء داخل العراق (المناطق السنية) أو الدول المجاورة للعراق حيث تشعر عامة الناس أن من واجبهم الديني والخلقي الإيمان أن تغضوا الطرف عن المجاهدين الذين يقاومون قوات الاحتلال في العراق ولا يبلغون عنهم. لذلك فإن الشيخ أسامة بن لادن يعتمد هو وصاحبه الدكتور أيمن الظواهري على استنهاض هذه الجماهير لقتال الأمريكان وإخراجهم من العراق وجزيرة العرب، فلا توجد احصائية لعدد أفراد القاعدة في العراق حتى ولو على سبيل التخمين فقد يكون العدد كبيراً من حيث المتعاطفين مع تنظيم القاعدة أما من حيث الأعضاء المنتمين فعلياً للقاعدة فقد يكون قليلاً نسبيا وقد يكون لهم تواجد في مناطق الشمال العراقي وفي بغداد والمناطق السنية التي تقاوم الاحتلال.. لكن دور تنظيم القاعدة في العراق والمتعاطفين معهم أشبه بملح الطعام كما كان دور العرب في أفغانستان فكانوا بمثابة الحافز المعنوي لأن الشعب الأفغاني كان يقاتل وهو الذي ضحى بآلاف الشهداء.. وكذلك المقاومة القائمة الآن في العراق فهي عراقية شكلاً ومضموناً وإن التحق بعض المجاهدين العرب وغيرهم الذين يدخلون من الحدود السعودية والسورية والكويتية والتركية والإيرانية فليسوا بالإعداد الغفيرة لكن وجودهم حافز معنوي للمقاومين العراقيين.. والفارق بين الجهاد في أفغانستان والجهاد في العراق أن أفغانستان كانت لها أعوان ودول تمدها من كل مكان.. أما المقاومة العراقية فهي محاصرة من الداخل والخارج ورغم ذلك فإنها تكبد قوات الاحتلال الأمريكي خسائر فادحة فلو استمرت على هذا المنوال واشتد عودها فلن يبقى الحال على ما هو الآن وخاصة إذا وصلت إلى مراحل متقدمة من تحرير مناطق وأسر جنود أمريكان وغيرهم.

وستضطر الدول المجاورة أن تعترف بهذه المقاومة بل وستحاول اختراقها من خلال الدعم المالي ومن ثم احتوائها وإذا وقعت المقاومة في فخ دعم الأنظمة المجاورة فستخسر كثيراً وستفقد مصداقيتها وسيدب الشقاق فيما بينها لصالح عدوهم المتربص بهم..

ثالثاً: من هو جيش أنصار السنة:

هي جماعة إسلامية سلفية سنية أعلنت عن نفسها بعد احتلال العراق بخمسة أشهر، وهي خليط من مجموعات إسلامية مقاومة للاحتلال الأمريكي للعراق واندمجت كل هذه الفصائل والأفراد في جماعة إسلامية واحدة أطلقت على نفسها جيش أنصار السنة تمايزاً لها عن (جيش المهدي) الشيعي الذي شكله مقتدى الصدر وتمايزاً عن عموم الشيعة أن هذه جماعة سنية بحتة لا علاقة لها بالشيعة في العراق. ونستطيع أن نفهم فحوى خطاب هذه الجماعة من خلال بياناتها التي أصدرتها ففي بيانها الأول عرّف أمير جيش أنصار السنة أبو عبد الله الحسن بن محمود جماعته في بيان صادر لوسائل الإعلام بتاريخ ٢٠ سبتمبر ٢٠٠٣ ركز على النقاط التالية:

السبب في تشكيل جيش أنصار السنة:

جاء في بيانها الأول المؤرخ بتاريخ ٢٠ /٢٠٠٣/٩م:

"فمن المعلوم أن الجهاد في العراق أصبح فرض عين على كل مسلم بعد أن صال العدو الكافر على أرض الإسلام، وإن الذين رفعوا لواء الجهاد المبارك هم أهل السنة والجماعة أهل التوحيد وأتباع السلف، وقد تحركوا ابتداءً بجماعات كلٌ من منطقته من تلقاء أنفسهم، يستمدون برنامجهم الجهادي وأوامرهم من توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية"

حتى لا يقطف الثمرة غيرهم:

"إذ ما الفائدة أن تراق دماء المسلمين المجاهدين لرد قوات الاحتلال ثم بعد ذلك يقطف الثمرة ويستلم الأمر عراقي علماني أو مرتد عميل ذيل للأمريكان مطبق لبرامجهم، ثم نعود مرة أخرى إلى عصور الحكومات العميلة التي تحكم بقوانين الكفر باسم الإسلام، وتدار واقعاً من قبل اليهود والنصارى. فهل يلدغ المؤمن من جحر مرتين ؟"!!

هكـذا تريـد الجماعـة أن تسـتفيد مـن خبـرات التحـرر السـابقة فـي العالـم الإسـلامي حيـث يقـوم الإسـلاميون برفـع رايـة الجهـاد ويقطـف ثمـرة النصـر العلمانيـون.

خليـط مـن أهـل الخبـرة العسـكرية والشـرعية: "مـن أجـل هـذا قامـت ثلة مـن المجاهدين وأهـل العلـم وأصحـاب الخبـرة السياسـية والحنكـة العسـكرية، وممـن لهـم بـاع وتاريـخ في إدارة الصـراع الإسـلامي العقائـدي ضـد أهـل الكفـر بجمـع عـددٍ مـن الفصائـل والجماعـات الجهاديـة المتفرقـة العاملـة فـي السـاحة مـن الشـمال إلـى الجنـوب، وتكويـن جيـشٍ جـرارٍ بإمـارة واحـدة تقـوم بمهمـة وضـع برنامـج عملـي غيـر مسـتورد منطلـق مـن رؤيـة واضحـة للسـاحة، ومسـتندة علـى تعاليـم الشـرع الحنيـف المتضمـن فـي الكتـاب والسـنة المطهـرة، وبهـدي أهـل العلـم مـن سـلفنا الصالـح, مراعيـةً السياسـة الشـرعية لا السياسـة العلمانيـة غيـر المنضبطـة. وقـد أسـميناه (جيـش أنصـار السـنة). ندعـو إخواننـا فـي الإيمـان والجهـاد إلـى الانضـواء تحـت رايـة هـذا الجيـش حتـى يتحقـق أمـل المسـلمين فـي دولـة إسـلامية يعـز فيهـا الإسـلام وأهلـه، فـإن يـد اللـه مـع الجماعـة، وإن الشـيطان مـع الواحـد، وهـو مـن الاثنيـن أبعـد، وإنمـا يـأكل الذئـب مـن الغنـم القاصيـة"

هكـذا يتضـح لنـا أن جيـش أنصـار السـنة يختلـف عـن جماعـة أنصـار الإسـلام مـن حيـث تاريـخ التشـكيل والهـدف مـن تكوينهـا لكنهمـا يتشـابهان فـي أنهمـا جماعتـان محليتان بخـلاف جماعـة القاعـدة الأمميـة ويتشـابهان فـي المرجعيـة الشـرعية مـن قـرآن وسـنة واعتمـاد آراء علمـاء السـنة ويتشـابهان أيضـاً فـي طريقـة الخطـاب السـلفي السـني الجهـادي لذلـك لا عجـب أن نـرى بعـض الأفـراد المنتميـن لأنصـار الإسـلام ضمـن هـذه الجماعـة إذ هدفهـم جميعـاً طـرد القـوات الأمريكيـة المحتلـة للعـراق.

نماذج من بعض العلميات التي تبنتها جماعة جيش أنصارالسنة:

ش تفجيـر مركـز شـرطة رحيمـاوة فـي كركـوك بتاريـخ ٢٣ فبرايـر ٢٠٠٣م الـذي أسـفر عـن مقتـل ثلاثيـن شـرطياً وجـرح أكثـر مـن ٥٥ آخريـن توقيـع الهيئـة العسـكرية لجيـش أنصـار السـنة.

ش تفجير مركز شرطة الثقافة في الموصل بتاريخ ٣١ يناير ٢٠٠٤م الذي أسفر عن قتل ١١ شرطياً وجرح ٥٠ آخرين.

ش غزوتا أربيل: طبقاً لبيان الجماعة المؤرخ في ٥ فبراير ٢٠٠٤م : "لقد قام اثنان من إخواننا الاستشهاديين - نسأل الله تعالى أن يتقبلهم - بمداهمة وكرين من أوكار الشياطين في مدينة أربيل في شمال العراق، فاجتمعت بذلك فرحتنا في عيدنا - عيد الأضحى - بفرحتنا بالنيل من أعوان اليهود والنصارى".

ش مقتل أفراد المخابرات الكندية والبريطانية جنوب غرب بغداد: بيان مؤرخ بتاريخ ١٣ يناير ٢٠٠٤ "بتاريخ ١٣ ذو القعدة ١٤٢٤ الموافق لـ ٢٠٠٤/١/٥ : قامت مجموعة من المجاهدين بنصب كمين محكم لسيارتين من نوع شفرليت تابعتين للمخابرات الكندية والبريطانية في منطقة اليوسفية جنوب غرب العاصمة بغداد، وقد تمكن المجاهدون - بفضل الله سبحانه - من تدمير السيارتين، وقتل طاقميها وكانوا ٨ أشخاص وصورت العملية، ولكن - وكما هو دأبهم - فقد أخفوا العملية ولم يعلنوا عنها.وفي الوقت الذي نعلن فيه عن تبنينا لهذه العملية نكرر القول لكل من هانت عليه نفسه وجعلها في خدمة الباطل وأهله:إن أسود الله لكم بالمرصاد، وإن ما تلاقونه من عذاب على أيدي المجاهدين إنما هو من وعد الله - سبحانه - لعباده المؤمنين".

ش دك أحد معاقل الصليبيين في بلدة تلعفر غرب الموصل: مؤرخ في ٩ ديسمبر ٢٠٠٣م: "إننا في الوقت الذي نعلن فيه عن تبنينا للعملية الاستشهادية البطولية التي دكت أحد معاقل الصليبيين في بلدة تلّعفر غرب مدينة الموصل بتاريخ (١٥ شوال ١٤٢٤ الموافق لـ ٢٠٠٣/١٢/٩)، و التي لم ينجُ فيها ومن معسكر كامل للقوات الأمريكية الصليبية سوى أربعة جنود، وهم في حالة جنون مطبق من جراء الصدمة - حيث كان في المعسكر وقت العملية قرابة ٤٠٠ أمريكياً بما فيهم قائد المعسكر"

ش تفجير إحدى القصور الرئاسية السابقة في الرمادي: مؤرخ في ١١ ديسمبر ٢٠٠٣م : "قام اثنان من المجاهدين التابعين لجيش أنصار السنة بالقيام بعملية استشهادية في إحدى

القصور الرئاسية السابقة في مدينة الرمادي غرب العاصمة بغداد، حيث قاما بإدخال سيارة مفخخة واصطحاب أحد الجنود الأمريكيين معهم إلى داخل القصر، و قد أسفرت العملية و بفضل الله - سبحانه - عن وقوع عشرات القتلى من القوات الأمريكية الصليبية المتمركزة في القصر كما أحرقت عشرات الآليات"

ش مقتل أفراد المخابرات الأسبانية غرب بغداد مؤرخ في ٢ ديسمبر ٢٠٠٣م : "قامت مفرزة من سرية حمزة في كتيبة الفرقة المنصورة التابعة لجيش أنصار السنة بمتابعة ومراقبة سيارتين تابعتين للمخابرات الأسبانية، وبعد عودتهم من مدينة الحلة قامت المفرزة بنصب كمين محكم لهم في قرية اللطيفية في قطاع المحمودية غرب بغداد، وذلك في الساعة الرابعة عصراً، وقد تمكن المجاهدون بفضل الله - سبحانه - من ضرب السيارتين، وكان على متنهما ثمانية من عناصر المخابرات، فقتل في الحال سبعة منهم وجرح الآخر بإصابات بالغة، هذا وقد غنم المجاهدون في هذه العملية ٣ أسلحة رشاشة، وكاميرا فيديو للتصوير، وبعد العملية انسحب المجاهدون إلى أماكنهم سالمين ولله الحمد والمنة"

ش تفجير مبنى المركز الثاني للاتحاد الوطني الكردستاني في كركوك مرخ في ٢١ نوفمبر ٢٠٠٣م: "بتاريخ ٢٥ رمضان ١٤٢٤ الموافق لـ ٢٠٠٣/١١/٢٠ : قام الأخ الاستشهادي المجاهد أبو صالح بتنفيذ عملية استشهادية في مبنى المركز الثاني للاتحاد الوطني الكردستاني العميل لأمريكا ،والذي يترأسه العميل جلال الطالبانى رئيس مجلس الحكم الحالي في مدينة كركوك شمالي بغداد،و ذلك بتفجير سيارة مفخخة في مبنى المركز، هذا و قد أسفر الانفجار عن وقوع عشرات القتلى والجرحى في صفوفهم ،فضلا ً عن تدمير وحرق العشرات من السيارات الواقفة داخل ساحة البناية، إذ كانوا مشغولين باستعداداتهم لاستقبال سفير الفاتيكان في ذلك اليوم، هذا وبعد العملية مباشرة قامت القوات الأمريكية مدعومة بعملائها من أتباع الاتحاد الوطني الكردستاني بغلق كافة المنافذ المؤدية إلى البناية ،وذلك من أجل إخفاء الحقائق عن الناس. والجدير بالذكر أن الاتحاد

الوطني الكردستاني من الأحزاب العلمانية والماركسية المعروفة في الساحة الكردية، ولهم باع طويل في محاربة الإسلام وأهله والتنكيل بهم"

ﯩ تفجير مبنى السفارة التركية في بغداد مؤرخ في ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٣م: "تلك العملية التي نفذها الأخ (أبو عبد الله الدوسري) - رحمه الله تعالى -، وذلك بعد أسبوع من قرار الحكومة التركية بإرسال قواتها إلي العراق، نسأل الله - تعالى - أن يرزقه الشهادة، وألا يحرم أجره المجاهدين"

زبدة القول أن جيش أنصار السنة جماعة إسلامية سلفية سنية عراقية محلية مجاهدة قد يعمل تحت راياتها بعض العرب الذي يتسللون عبر الحدود ويدخلون من الدول المجاورة للعراق سواء كانوا مرتبطين عضوياً بالقاعدة أو من المتعاطفين معها كما نلاحظ أن بيانات جيش أنصار السنة متناغمة مع خطها الجهادي ودائماً توقع باسم الهيئة العسكرية لجيش أنصار السنة.

رابعاً: أبو مصعب الزرقاوي وعلاقته بالقاعدة وأحداث العراق:

بطاقة تعريف:

أبو مصعب الزرقاوي نسبة إلى مدينة الزرقاء بالأردن واسمه الحقيقي أحمد نزال فضيل الخلايلة مولود في ٢٠ أكتوبر ١٩٦٦م هو أحد المجاهدين الذي سافروا إلى أفغانستان سنة ١٩٨٩م وهناك تعرف على قادة المجاهدين العرب والأفغان ولم يكن له دور قيادي في تنظيم القاعدة بل كان يعمل مستقلاً وكان مهتماً بالشباب الأردني والفلسطيني وافتتح معسكراً لتجميع هؤلاء الشباب، ولم يكن بينه وبين تنظيم القاعدة سوى الترابط الإسلامي العام، والتعاون الجهادي في الأمور غير التنظيمية..

اتهام الحكومة الأردنية للزرقاوي:

وفي عام ١٩٩٥ عاد إلى الأردن فاعتقلته قوات الأمن ثم أطلق سراحه فعاد مرة ثانية إلى أفغانستان أيام حكم طالبان وكان مهتماً بشؤون عوائل العرب الأفغان الذين قتل ذووهم أو أسروا احتلال الشيوعي لأفغانستان أو الذين قبض عليهم عند عودتهم

لبلادهم من أهل الأردن وفلسطين. وفي أكتوبر ٢٠٠٠ حكم عليه بالسجن ١٥ عاماً غيابياً من محكمة أمن الدولة الأردنية فيما أطلق عليه إعلامياً قضية (بيعة الإمام) أو ما ما يسمى بتنظيم التوحيد والجهاد وكانت السلطات الأردنية تعتقد أنه في العراق فقدمت طلباً رسمياً باستلامه فلم ترد الحكومة العراقية في ذلك الوقت. مع العلم أنه كان مقيماً في أفغانستان في ذلك الوقت ولم يكن في العراق لأن أفغانستان تحت حكم طالبان في ذلك الوقت كانت بلداً أمناً لكل الجماعات الجهادية في العالم. وبعد الاعتداء الأمريكي في ٧ أكتوبر ٢٠٠١ على أفغانستان وزوال حكم طالبان اختفى أبو مصعب الزرقاوي فقيل إنه هرب إلى إيران ومنها دخل عبر الحدود إلى كردستان العراق وعاش في المناطق التي كانت تسيطر عليها جماعة أنصار الإسلام التي قصفتها القوات الأمريكية بقرابة ٣٠ صاروخ كروز بتاريخ ٢٣ مارس ٢٠٠٣م مما أسفر عن مقتل ٥٧ من أبناء الجماعة الإسلامية وأنصار الإسلام وبعض الضيوف العرب.. وبرر تومي فرانكس هذا العدوان بأن أبا مصعب الزرقاوي يدير هذا المعسكر.

وكانت الحكومة الأردنية قد اتهمته بتدبير قتل الدبلوماسي الأمريكي (لورانس فولي) بتاريخ ٢٨ أكتوبر ٢٠٠٢م في عمان.

ظهور اسم الزرقاوي في القاموس الإعلامي اليومي:

ثم برز اسم أبي مصعب الزرقاوي في القاموس الإعلامي اليومي بسبب محاول المخابرات الأمريكية إيجاد علاقة بين الزرقاوي وبين النظام العراقي السابق لتسويق وتبرير حربه على العراق..

ومع كل حادث يتم في العراق تشير أصابع الاتهام لأبي مصعب الزرقاوي فصار الشماعة الجاهزة والدليل الحاضر لدي قوات الاحتلال !! كما حدث في تفجير السفارة الأردنية في بغداد بتاريخ ٧ أغسطس ٢٠٠٣م .. واتهامه بحادث تفجير مبنى الأمم المتحدة ومقتل باقر الحكيم وأخيراً اتهامه بمجزرتي كربلاء وبغداد يوم احتفال الشيعة بذكرى عاشوراء وقبل هذه الحادثة بأيام كانت القوات الأمريكية قد أعلنت أنها

عثرت على وثيقة منسوبة للزرقاوي في مخبأ ببغداد بتاريخ ٢٣ يناير ٢٠٠٤م يحرض على إشعال الفتنة الطائفية، وكلام كثير كتب بعناية لمصلحة الاحتلال الأمريكي وكأن قوات الاحتلال تمهد بهذه الوثيقة لمجزرة كربلاء والكاظمة وبغداد يوم عاشوراء.. فلم ينطل كلام قوات الاحتلال على المراقبين لوضع المقاومة في العراق بل إن كثيراً من المراقبين شككوا في نسبة هذه الوثيقة إلى الزرقاوي..

أسباب تشككنا في نسبة الوثيقة وأحداث كربلاء إلى أبي مصعب:

ونحن بدورنا نشكك في هذه الوثيقة ونسبة أحداث كربلاء وغيرها إلى الزرقاوي للأسباب التالية:

أولاً: إن قوات الاحتلال قالت إنها عثرت قرص كمبيوتر مخزن فيه هذه الوثيقة ولا يوجد عليها اسم الزرقاوي وأن أحد الخبراء العسكريين يرجح أن هذا خط الزرقاوي!! وهذا عجيب في عالم الكمبيوتر!!

ثانياً: الثابت تاريخياً أن آخر رسالة نشرت للزرقاوي كانت العام الماضي أي بعد قصف كردستان مباشرة وكانت موجهة إلى عشيرته وأهله في الأردن وهي أشبه بوصية مودع يوصي فيها أهله بالتمسك بدين الإسلام والمضي في الجهاد في سبيل الله في رسالة مطولة مشفوعة بآيات قرآنية وأحاديث نبوية كثيرة، مما يرجح أنه كتبها أثناء تواجده في كردستان، ويرجح أنه قتل في القصف الأمريكي على مناطق الجماعة الإسلامية وأنصار الإسلام في شمال العراق بتاريخ ٢٣ مارس ٢٠٠٣م ثم لما تأكد إخوانه المجاهدون من مقتله نشروا وصيته التي كتبها لعشيرته في الأردن.

ثالثا: مما يقوي من وجهة نظرنا السابقة أن حوالي ١٢ منظمة إسلامية في الفلوجة وبعض المدن العراقية أكدوا خبر وفاته في القصف الأمريكي المذكور العام الفائت مما يثبت كذب قوات الاحتلال وزيفها وتخبطها بل وتآمرها على الشعب العراقي من خلال نشر الأكاذيب في محاولة لتشويه صورة المقاومة العراقية ومن يتعاطف معها من الإسلاميين الجهاديين.

خامساً: كتائب أبي حفص المصري:

من خلال البيانات الصادرة عن هذا الفصيل يستبين لنا أنها ليست مكتباً إعلامياً رسمياً لتنظيم القاعدة بل هي عبارة عن مجموعة من المقربين فكرياً وروحياً من تنظيم القاعدة والشاهد على ذلك أنها تبنت بعض العلميات في أمريكا وأوروبا كقطع التيار الكهربائي في أمريكا ولندن مما يجلعنا نتردد في مصداقية نسبة هذه العمليات لتنظيم القاعدة وخاصة أنه ظهرت عدة شرائط صوتية للشيخ أسامة بن لادن والدكتور أيمن الظواهري، ولم ترد أية إشارة لمثل هذه العمليات.. لذلك قد يكون وراء هذه بيانات كتائب أبي حفص بعض الشباب في الخليج والجزيرة العربية ممن لهم علاقة سابقة بتنظيم القاعدة ولكن لا أعتقد أن لديهم علاقة مباشرة مع زعيم تنظيم القاعدة أو من ينوب عنه نظراً للظروف الأمينة المحيطة به.. ولا يفهم من كلامنا هذا أنهم يصدرون بياناتهم من فراغ بل قد يكون لهم صلة ببعض الجماعات المجاهدة في العراق أو في أفغانستان تمدهم ببعض المعلومات..

وها نحن أولاء نعرض نماذج من بيانات كتائب أبي حفص المصري:

بيان للامة بخصوص عملية كينيا البطولية: مؤرخ في ٢١ يوليو ٢٠٠٣م وهو البيان رقم ١ جاء فيه:

"لقد قامت كتائب الشهيد أبوحفص المصري رحمة الله برصد لعملاء المخابرات الأمريكية (سي أي أي) في كينيا وبعد التأكد من وجود ثلاثة عملاء من قسم مكافحة الإرهاب على متن طائرة أمريكية في رحلة داخلية استخباراتية"

ترصدهم لخط سير الطائرة حسب منطوق البيان:

"وفي الأسبوع الماضي, وبعد معرفة مسار الطائرة من قبل خلية "الاستطلاع والرصد " تبين أنها تقوم بمهمة إجرامية في الأرضي الكينية بحثا عن مواقع للمجاهدين على الحدود الكينية, فقام المجاهدون من أفراد خلية التنفيذ باعتراض للطيارة بواسطة صاروخ من طراز سام ٧ المحمول على الكتف , وقد نتج عن ذلك إصابة الطيارة إصابة مباشرة مما أسفر

عن تحطمها فوق أحد الجبال الكينية. وقد تأكد لأفراد الخلية مقتل جميع من كان على متن تلك الطائرة ( ١٣ شخص)"

سبب تأخير بيان تبني العملية: "ويرجع السبب في تأخر نشر هذا البيان لتأمين انسحاب الخلية المنفذة والتأكد من سلامتها والخروج من دائرة الخطر"

هدف كتائب أبي حفص من عملية كينيا حسب منطوق البيان:

"وتعد هذه العملية جزءا من سلسلة عمليات سبق أن وعد بها الدكتور المجاهد أيمن الظواهري حفظه الله منذ قرابة شهر ونصف وهي رسالة من عدة رسائل للأمركيين منها ما تقدم ومنها ما سيأتي , خلاصتها أن يخلي الأمريكان بيننا وبينا ديننا , وأن يطلقوا أسرانا الذين هم أسود في أقفاص السجون الأمريكية وخاصة أسرى غوانتنامو والشيخ المجاهد عمر عبدالرحمن حفظه الله، وأن يكفوا عن حربهم على الإسلام والمسلمين في أنحاء العالم باسم مكافحة الإرهاب، وهي في الحقيقة حرب على المسلمين ومكافحة للمد الإسلامي والصحوة الإسلامية التي غطت العالم بما فيه الولايات الأمريكية ونحن ندعوا الشعب الأمريكي من خلال هذا البيان أن يستفيق من ثباته الذي تفرضه عليه عصابة المجرم بوش وعصابة البيت الأبيض التي تجر الأمة الأمريكية والشعب الغربي بأكمله إلى الدمار"

بيان للأمة بخصوص عملية جاكارتا البطولية مؤرخ في ٥ أغسطس ٢٠٠٣م وهو البيان رقم ٢ لكتائب أبي حفص المصري:"وها هي اليوم تفي بما قد وعدت به وبما قطعت علي نفسها من عهد، فقد قامت بتوفيق من الله سبحانه وتعالي بتوجيه صفعة قاتلة علي وجه أمريكا وعملائها في جاكارتا المسلمة التي دنسها الوجود الأمريكي القذر والأسترالي العنصري الوقح... فبعد أن قام المجاهدون برصد عملاء المخابرات الأمريكية الذين قدموا للتحقيق مع المجاهدين الأسري عند حكومة إندونيسيا المرتدة والذين كانوا قد نزلوا في فندق ماريوت جاكارتا حيث من المعروف أن هذا الفندق ملك لشركة أمريكية فقد قام المجاهدون بإرسال سيارة مفخخة وضعت في ساحة الفندق حيث كانت مليئة بكمية من المتفجرات، وقد وقتت وفقا لموعد دخول هؤلاء

العملاء، مما سبب انفجاراً ضخما هز الفندق هزة عنيفة أسفرت عن تدمير جزء كبير من الفندق وقتل وجرح العشرات العملاء"

عملية البرق الخاطف في أرض طاغوت العصر: مؤرخ في ١٥ أغسطس ٢٠٠٣م وهو البيان رقم ٣ جاء فيه: "وتنفيذا لأوامر أمير المجاهدين أسامة بن لادن (حفظه الله) بضرب مفاصل الاقتصاد الأمريكي , قامت كتائب أبى حفص المصري بضرب هدفين مهمين لتغذية الكهرباء في منطقة شرق أمريكا منها أهم المدن الاقتصادية لأمريكا وكندا حليفة أمريكا في الحرب ضد الإسلام (مدينة تورونتو ونيويورك) وما حولهم .وتسببت هذه الضربة في منع الكهرباء عن أكثر من خمسين مليون شخص. ( ولأسبب أمنية لا يمكن توضيح الطريقة التي تم بها تخريب الموقعين لأنه إن شاء سيحتاج المجاهدون إلى استخدام الطريقة الإبداعية نفسها قريبا إن شاء الله)".

تعليقنا: ثم ذكر البيان عدة نقاط يبين فيها فوائد عملية البرق الخاطف نعتقد أنها أشبه بتحليل سياسي، ولم يثبت البيان أية معلومات جديدة تثبت أن كتائب أبي حفص التابعة لتنظيم القاعدة قد قامت فعلاً بهذه العلمية في أمريكا وكندا.. مما يجعلنا نتعاطى مع هذا البيان بعدم الجدية.

عملية سيف العدل: مؤرخ في ١٩ أغسطس ٢٠٠٣م وهو البيان رقم ٤ جاء فيه: " فلقد اقتحم أحد المجاهدين بشاحنة مكدسة بالمتفجرات القسم الخلفي لمركز الأمم المتحدة عند مكتب المجرم الهالك الممثل الشخصي للمجرم عبد أمريكا كوفي أنان الهالك " سيرجيو فييرا دي ميللو" , وما أدرك من دي ميللو : صديق المجرم بوش , وجاء الانفجار بعد نصف ساعة من اجتماع الهالك دي ميللو بممثل الحاكم المدني للاحتلال الأمريكي المجرم بول بريمر وبعض المرتدين, ولقد نفذ المجاهدون الضربة خلف المبنى حتى لا يصاب أحد من المارة الابرياء من الشعب العراقي , ولقد حذر المجاهدون المسلمين بأن لا يقربوا مراكز الكفار والمرتدين وخصوصا في الأيام والأسابيع القادمة. فإن شاء الله سوف يكون هذا الشتاء ملئ بالنقم على أعداء الإسلام"

حصيلة العلمية حسب منطوق البيان: "وقد حصدت هذه العملية المباركة عددا من المجرمين منهم (بنون سيفان) المجرم الذي منع الغذاء وتسلط على الشعب العراقي (مدير برنامج النفط مقابل الغذاء), وهلك معهم عشرات القتلى من جنود الأمريكان والشرطة العراقية المرتدة التي تخدم و تحرس الأمريكان من أجل حفنة من الدولارات وتبيع دينها بعرض من الدنيا قليل, وكذلك بعض موظفي هذه المنظمة الكافرة ذات التاريخ الأسود مع المسلمين"

تعليقنا: نلاحظ أن بيان كتائب أبي حفص لم معلومات تؤكد أن كتائب أبي حفص هي التي قامت بتفجير مبنى الأمم المتحدة في بغداد وأن المعلومات التي ذكرها البيان كانت وسائل الإعلام قد نشرتها.

عملية اليد الخفية: مؤرخ في ٢٨ أغسطس ٢٠٠٣م وهو البيان رقم ٥ جاء فيه: " حيث قامت مجموعة من المجاهدين بتعطيل الكهرباء التي تغذي وسط لندن وحتى شمال لندن، وذلك وقت امتلاء شوارع لندن بالمواطنين، مما تسبب في إرباك حركة السير في تلك المدينة الحيوية، وعاشت تلك العاصمة فترة من الانقطاع عن العالم الخارجي ما يقرب من ثلاث ساعات (والجزاء من جنس العمل) كما فرضوا ذلك على إخواننا في العراق وفلسطين وكشمير"

تعليقنا على بيان قطع الكهرباء عن لندن: لم يثبت البيان أن كتائب أبي حفص قد قامت بهذه العلمية، ولم ترد أية معلومات تدلل على قيامهم بهذه العملية، لذلك فإنها أشبه بعلمية قطع الكهرباء عن أمريكا وكندا وأنها مجرد دعاية نزعم أنها قد تفقد بيانات كتائب أبي حفص مصداقيتها بعكس بيانات أنصار الإسلام الكردستاني وبيانات جيش أنصار السنة وبيانات القاعدة التي كانت تصدر عن طريق الشيخ سليمان أبي غيث قبل اختفائه وبيانات مركز الدراسات والبحوث الذي كان يديره الشيخ العييري الذي قتل في السعودية العام المنصرم.

بيان للأمة بخصوص مجزرتي بغداد وكربلاء: مؤرخ في ٢ مارس ٢٠٠٤م وهو آخر بيان صادر لكتائب أبي حفص جاء فيه:

"لقد توقفت كتائب أبي حفص المصري رحمة الله عن إصدار أي بيان ، وهذا لكثرة العمليات في أفغانستان والعراق ، والاستعداد للعمليات القادمة بأذن الله ، ولكن اليوم حصل خطب عظيم ، وهي جزء من المؤامرة لأمريكية لشعل نار الفتنة بين المسلمين في العراق ، لقد قامت قوات الاحتلال لأمريكية اليوم بمجزرة لقتل الشيعة الأبرياء في مدينتهم الشركية كربلاء وبغداد ويحاول الأمريكان نسب هذه الأعمال إلي مجاهدين القاعدة - الذين أذاقوا أمريكا الويل والعذاب في العراق وغيرها - وتريد أمريكا أن تشوه سمعة المجاهدين ، ونحن اليوم نقول لجميع المسلمين إنا براء من هذا العمل ، وبراء مما يعبد الشيعة من دون لله ، وحتى تكون أهدافنا واضحة للجميع ، فنحن نضرب الصليبيين الأمريكان وحلفائهم ، ونضرب الشرطة العراقية العميلة ذيل أمريكا والعصا التي تضرب بها أمريكا لمجاهدين في العراق ، ونضرب عملاء أمريكا في مجلس الكفر المسمى بمجلس الحكم ومن كان في فلكهم من سنة وشيعة ، فيا شعب العراقي البطل ، إن المجاهدين قوم يحبون الله ورسوله ، ولا يقومون إلا بما يرضي الله ، ولا يقتلون النفس التي حرمها الله إلا بالحق ، دخل في ذلك الفرق البديعية من الشيعة التي لا تسب أصحاب محمد صلى الله وعلية وسلم ولا تقول بنقص القرآن ، ولا تحرف شرع لله. "

تعليقنا على بيان كتائب أبي حفص الأخير:

لقد شكك بعض الإعلاميين في نسبة البيان لكتائب أبي حفص نظراً لسرعة إصداره بعد عملية كربلاءِ بأربع ساعات تقريباً لكننا نرى أن هذا البيان ينسجم مع أدبيات ومفردات تنظيم القاعدة للأسباب التالية:

أولاً: لم يرد في خطب الشيخ أسامة بن لادن وصاحبه الدكتور أيمن الظواهري أية عبارة صريحة بتوجيه اللوم لإيران رغم علمهم أن إيران قد ضربتهم من وراء ظهرهم وأنها قبضت على المتعاطفين والمنتمين لتنظيم القاعدة بل إنهم يعلمون أن إيران سلمت عن طريق سوريا بعض الإسلاميين السعوديين باعتراف وزير خارجية السعودية العام الماضي.

ثانيا: لم يرد في خطابات الشيخ أسامة ولا صاحبه الدكتور أيمن أية أوامر بضرب الشيعة في العراق وغيرها بل إن تنظيم القاعدة نفى من قبل أية علاقة له بمقتل زعيم الثورة الإسلامية باقر الحكيم.

ثالثا: لم يسبق أن قام تنظيم القاعدة بالهجوم على الشيعة في أفغانستان وكان في إمكانهم الانتقام منهم نظراً لدورهم المعروف مع تحالف الشمال.

رابعاً: لم يسبق أن هاجم تنظيم القاعدة شيعة السعودية وهم هدف سهل لهم بل إنهم لم يحرضوا على قتلهم في أي بيان مقروء أو مكتوب أو مسموع أو متلفز رغم أن تنظيم القاعدة تنظيم سلفي سني على النقيض مع المذهب الشيعي.

خامساً: ليس من مصلحة تنظيم القاعدة خوض حروب فرعية تضر باستراتيجيته الواضحة والبسيطة في إخراج الأمريكان وحلفائهم من جزيرة العرب ومن بلاد الإسلام.

سادساً: يعتقد تنظيم القاعدة بعدم تكفير عوام الشيعة فالذي قتل في كربلاء وقبر موسى الكاظم وغيره عوام المسلمين وهو قتل عشوائي تربأ أية جماعة إسلامية بنفسها عن القيام به، كما أن هذه العلميات لن يستفيد منها تنظيم القاعدة ولا أية مقاومة إسلامية اللهم إلا سخط المسلمين في العالم على من قام بقتل عوام الناس.

سابعاً: لم يثبت تاريخياً أن أهل السنة انتقموا من الشيعة لدورهم المعروف في احتلال بغداد على يد هولاكو وقتل الخليفة العباسي وكان في إمكان الحكام وكانوا من السنة ومعهم جمهور أهل السنة استئصال شأفة شيعة العراق بحجة أنهم قد تآمروا على الخلافة العباسية السنية.. لذل فتنظيم القاعدة ليس بدعاً في ذلك إذ أنه يتبع سنة من سبقه من جماعات أهل السنة التي لم تنتقم من الشيعة أو بعض المذاهب الشيعية التي تعاملت مع هولاكو وتيمور لنك .. ونفس هذه البدع التي لا يعتقدها أهل السنة كانت قائمة أيام البويهيين الذين نشروها وحموا من قام بها إبان حكمهم وبعد انتهاء دولتهم لم ينتقم منهم السلاجقة السنيون الذين حلوا محل آل بويه.

## صفوة القول

العراق الآن دار حرب ومناخ خصب ومناسب لأية حركة إسلامية ترى الجهاد من أولوية عملها ومن ثم فإن استمرار مقاومة المحتل في العراق سيفرز جماعات عدة قد تنصهر في جماعة واحدة كبيرة فيما بعد من هذه الجماعات تنظيم القاعدة والمتعاطفين معه فكرياً وروحياً من أبناء الجزيرة العربية والخليج بصفة خاصة وأبناء العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها بصفة عامة بل إننا نرى أن الجهاد في العراق سيكون أسهل لتنظيم القاعدة من أفغانستان نظراً لعامل اللغة فقد كان عائقاً في أفغانستان بالإضافة إلى عامل الشكل، ففي شمال العرق هناك تشابه وتداخل مع الأتراك الذين يتبنون الفكر الجهادي ومن ثم فإن تواجدهم في كردستان والسليمانية وحتى كركوك والموصل مع اشتراكهم في نفس عادات الأكراد سيدفع المقاومة إلى المزيد من عملياتها وتكبيد قوات الاحتلال خسائر فادحة في المستقبل القريب وليس البعيد فحسب. أما في المناطق الأخرى من العراق: فأهل الخليج متشابهون في الخلقة والعادات مع بعض القبائل العربية بل إن هناك قبائل في سوريا متشابهة في العادات والتقاليد مع القبائل العراقية وهذا سر الضغط على سوريا لإغلاق حدودها والتهديد بضرب الحدود وهي معظمها قبائل سنية وهناك بالطبع قبائل موزعة على عدة دول مثل قبيلة شمر.. فهذا التداخل والتقارب والترابط العائلي يجعل أبناء هذه القبائل سواء المنتمين لتنظيم القاعدة أو المرتبطين بها روحياً بنفس الفكر يجعل حركتهم في العراق أكثر سهولة من تواجدهم في أفغانستان.. وهو ما تخشاه فعلاً قوات الاحتلال الأمريكي لأن هذه المنطقة ولادة بالشباب المجاهد.. فحتى لو أسروا كل قادة تنظيم القاعدة أو قضوا عليهم بالقتل فلن تنتهي فكرة طرد المحتل وإخراج المشركين من جزيرة العرب ومن كل بلاد الإسلام.

مركز المقريزي للدراسات التاريخية ٢٠ مايو ٢٠٠٤

# حكم التحاكم إلى محاكم تطبق القوانين الوضعية
# رسالة إلى بعض الشباب في سجن جوانتنامو

د. هاني السباعي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لقد اتصل بنا المترجم الخاص لمجموعة من الشباب المعتقلين بسجن جوانتنامو بدولة كوبا شارحاً لنا أن بعض الشباب في سجن جوانتنامو يرفضون المثول أمام المحاكم الأمريكية حيث يعتبرون أن هذا تحاكم إلى قوانين وضعية لا تحكم بما أنزل الله.. وقد حاول البعض إقناعهم لكنهم لا يزالون مصرين على رأيهم.. وأخيراً طلبوا فتوى شرعية تجيز لهم اللجوء إلى هذه المحاكم. فرشح لهم أحد الشباب الذي أفرج عنه مؤخراً من جوانتنامو الاتصال بنا لكتابة رأينا في هذا الموضوع.

أقول وبالله التوفيق:

بادئ ذي بدء؛ إن ما أقوله وأكتبه وأفتي به لا ألزم به أحداً، فمن أخذ برأيي فبها ونعمت؛ فقد اجتهدت قدر وسعي ابتغاء مرضاة الله وآملاً في رفع الحرج والضيق عن هؤلاء الشباب والشيوخ المسجونين في جوانتنامو وغيره من سجون؛ حيث إن سلطان الإسلام غائب عن سدة الحكم في العالم بأسره منذ أكثر من قرن تقريباً. وأما من رأى غير ما أراه من قولي بالجواز بالشروط والضوابط الشرعية، فالمسألة يسع فيها الاجتهاد وهي من النوازل القاصمة التي حلت بالأمة الإسلامية منذ تنحية الشريعة الإسلامية في واقعنا المعاصر. أسأل الله أن يهدينا وإياهم سواء السبيل. ثم أما بعد:

الأصل أنه لا يجوز لمسلم أن يتحاكم إلى غير ما أنزل الله.. قال تعالى في محكم التنزيل: (ألم ترَ إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أُمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً

بعيداً. وإذا قيل لهم تعالَوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدوداً) النساء آية ٦٠.

قال العلامة الطاهر بن عاشور: "وقوله (يريدون) أي يحبّون محبّة تبعث على فعل المحبوب" أهـ التحرير والتنوير ابن عاشور دار سحنون للنشر تونس ج٣ـ ص١٠٥.

أقول: فقد علقت الآية التحريم بالإرادة (يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت) .. فالمتحاكم يريد ويبتغي ويحب أن يتحاكم إلى الطاغوت لأنه يدين به وله، ولذلك قال الله تعالى (وقد أمروا أن يكفروا به) .. فهل هؤلاء المسلمون المسجونون في جوانتنامو وغيره من سجون العالم يحبون التحاكم إلى الطاغوت أي القانون الوضعي محبة تبعث على فعل المحبوب؟!

إن أي مسلم يريد مجرد الإرادة والحب للطاغوت وحب التحاكم إليه حتى ولو لم يكن مسجوناً أو متهماً في أية قضية؛ إن مجرد هذا الوصف في حبه للطاغوت والدينونة له يخرجه عن الملة بصرف النظر عن مسألة أنه مسجون أو غير مسجون أو أنه مظلوم أو غير مظلوم؛ كما إذا استحل مسلم الخمر أي قال إن الخمر حلال فإنه يكفر وإن لم يشربها.. يقول الله تعالى في محكم التنزيل: (فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ) النساء آية ٦٥.

هكذا لا إيمان لمن لم يسلم تسليماً كاملاً لشريعة الله .. فلا حكم إلا لشرع الله ولا سلطان إلا له .. ومن ثم فأحسب أن الآيات القرآنية الكريمة لا تتناول هؤلاء الشباب والشيوخ في سجن جوانتنامو وغيره؛ فهؤلاء لا يريدون التحاكم إلى الطاغوت وهم يرفضون المثول أمام هذه المحاكم الوضعية؛ إذن فهم لا يحبون هذه القوانين الوضعية ويرفضونها..

لكن المشكلة أن الشريعة الإسلامية التي يريدون ويحبون أن يتحاكموا بموجبها وفي كنفها وتحت ظلها غائبة عن العالم! وهم في نفس الوقت مظلومون مقهورون فماذا عساهم أن يفعلوا؟

فهل خيروا بين التحاكم إلى القوانين الوضعية والتحاكم إلى الشريعة الإسلامية مثلاً؟ رغم أن هذا التخيير لو فرض جدلاً فلا يجوز لمسلم أن يختار التحاكم إلى القوانين الوضعية على الشريعة الإسلامية.. فإذا فعل ذلك فإنه يكون قد خرج عن ربقة الإسلام .. يقول الله تعالى (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا) الأحزاب آية ٣٦.

فهكذا ما ينبغي لمؤمن ولا مؤمنة أن يختار على شريعته وإلا انتفى عنه الإيمان.. ثم أعود فأتساءل وهل هؤلاء المسلمون المعتقلون في سجن جوانتنامو أو في سجون الشرق والغرب؛ هل لهم خيار آخر؟ وهل عرضت عليهم السلطات التحاكم إلى شريعتهم الإسلامية؟

فإذا كان هذا لم لم يحدث بالطبع، وهذا هو الواقع المرير للمسلمين في العالم؛ أن شريعة غير شريعة الإسلام مفروضة عليهم.!!

وإذا كان الوضع كما نعلمه جميعاً هكذا بهذا السوء فهل يظل هؤلاء المسلمون يعانون الظلم والقهر والتعذيب والحرمان عن أسرهم وعوائلهم وقد يحكم عليهم بالإعدام بموجب هذه القوانين الجائرة! فهل يظلون هكذا دون تظلم ودون حل لدفع الظلم عنهم وطلب براءتهم وهم في الحقيقة كافرون بالطاغوت الذي يحكم بغير ما أنزل الله .. وهم مذعنون خاضعون منقادون إلى شريعتهم المغيبة قسراً عن سدة الحكم؟!

وإزاء ذلك لا يسعنا إلا أن نقول إنه يجوز للمسلم أن يلجأ مضطراً إلى هذه المحاكم الوضعية، إن لم يجد محاكم أو هيئات تحكم بالشريعة الإسلامية ليدفع عن نفسه الظلم والأذى والضرر وليسترد حقه..

وذلك للأدلة التالية:

أولاً: قال الله تعالى في سورة يوسف: (وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ) يوسف آية ٤٢.

قال شيخ المفسرين ابن جرير الطبري:

"قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال يوسف للذي علم أنه ناج من صاحبيه اللذين استعبراه الرؤيا: (اذكرني عند ربك) يقول: اذكرني عند سيدك وأخبره بمظلمتي، وأني محبوس بغير جُرْم" أهـ جامع البيان عن تأويل القرآن الطبري دار الفكر بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠١ مج٧ ص ٢٥٧.

قال الحافظ أبو عبد الله القرطبي:

"أي اذكر ما رأيته، وما أنا عليه من عبارة الرؤيا للملك، وأخبره أني مظلوم محبوس بلا ذنب"أهـ الجامع لأحكام القرآن القرطبي تحقيق د. محمد إبراهيم الحفناوي ود. محمود حامد عثمان دار الحديث القاهرة الطبعة الثانية ١٩٩٦م مج ٩-١٠ ج٩ ص. ٢٠٠

قال الحافظ عماد الدين ابن كثير:

"ولما ظن يوسف عليه السلام أن الساقي ناج قال له يوسف خفية عن الآخر والله أعلم لئلا يشعره أنه المصلوب قال له "اذكرني عند ربك" يقول اذكر قصتي عند ربك وهو الملك فنسي ذلك الموصى أن يذكر مولاه الملك بذلك (..) هذا هو الصواب أن الضمير في قوله فأنساه الشيطان ذكر ربه" عائد على الناجي كما قاله مجاهد ومحمد بن إسحاق وغير واحد ويقال إن الضمير عائد على يوسف عليه السلام رواه ابن جرير عن ابن عباس ومجاهد أيضا وعكرمة وغيرهم وأسند ابن جرير ههنا حديث فقال: حدثنا ابن وكيع حدثنا عمرو بن محمد عن إبراهيم بن يزيد عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعا قال: قال النبي صلي الله عليه وسلم لو لم يقل يعني يوسف الكلمة التي قال ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتغي الفرج من عند غير الله وهذا الحديث ضعيف جدا لأن سفيان بن وكيع ضعيف وإبراهيم بن يزيد هو الجوزي أضعف منه أيضا وقد روي عن الحسن وقتادة مرسلا عن كل منهما وهذه المرسلات ههنا لا تقبل لو قبل المرسل من حيث هو في غير هذا الموطن" أهـ. تفسير القرآن العظيم ابن كثير تحقيق د. محمد إبراهيم البنا الطبعة الأولى ١٩٩٨م ج٤ ص.١٨٤٣

قال العلامة السعدي:

" أي:{ وَقَالَ } يوسف عليه السلام:{ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا } وهو: الذي رأى أنه يعصر خمرا: { اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ } أي: اذكر له شأني وقصتي، لعله يرقُّ لي، فيخرجني مما أنا فيه، { فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ } أي: فأنسى الشيطان ذلك الناجي ذكر الله تعالى، وذكر ما يقرب إليه، ومن جملة ذلك نسيانه ذكر يوسف الذي يستحق أن يجازى بأتم الإحسان، وذلك ليتم الله أمره وقضاءه"أهـ. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان السعدي مركز صالح بن صالح الثقفي بعنيزة السعودية ١٩٨٧م ج ٤ ص ٣٠.

قال العلامة جمال الدين القاسمي:

"دلت الآية على جواز الاستعانة بمن هو مظنة كشف الغمة، ولو كان مشركاً"أهـ محاسن التأويل القاسمي دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٧م ج٦ ص ١٧٩.

أقول: لاحظ دقة عبارة العلامة القاسمي "وهو مظنة كشف الغمة، ولو كان مشركاً" .. فهؤلاء المسلمون المسجونون في جوانتنامو وغيره من سجون في غمة لا يعلمها إلا الله تعالى.. فماذا عساهم أن يخففوا عن أنفسهم بغية كشف هذه الغمة إلا أنه يجوزو لهم اللجوء إلى هذه المحاكمة الوضعية لعل الله يفرج عنهم ما حل بهم من كرب.

قال العلامة الشوكاني في فتح القدير:

"وذهب كثير من المفسرين إلى أن الذي أنساه الشيطان ذكر ربه هو الذي نجا من الغلامين: وهو الشرابي، والمعنى: إنساء الشيطان الشرابي ذكر سيده: أي ذكره لسيده فلم يبلغ إليه ما اوصاه به يوسف مع ذكره عند سيده، ويكون المعنى: فأنساه الشيطان ذكر إخباره بما أمره به يوسف مع خلوصه من السجن ورجوعه إلى ما كان عليه من القيام بسقي الملك، وقد رجح هذا بكون الشيطان لا سبيل له على الأنبياء"أهـ. فتح القدير الشوكاني تحقيق سيد إبراهيم مج ٣ دار الحديث القاهرة ٢٠٠٣م مج٣ ص ٣٧.

أقول: ومما يدل على رجحان عود الضمير في (ربه) على ساقي الملك، قوله تعالى وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ) يوسف الآية ٤٥ .. حيث

ذكر الطبري في تفسيره:"قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: وقال الذي نجا من القتل من صاحبي السجن اللذين استعبرا يوسف الرؤيا ، (وادّكر)، يقول: وتذكر ما كان نسي من أمر يوسف ، وذِكْرَ حاجته للملك التي كان سأله عند تعبيره رؤياه أن يذكرها له بقوله: اذكرني عند ربك، (بعد أمة)، يعني بعد حين"أهـ. الطبري مج٧ ص ٢٦٣.

وهذا ما قاله أيضاً العلامة السعدي: (وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا) أي: من الفتيين، وهو: الذي رأى أنه يعصر خمرا، وهو الذي أوصاه يوسف أن يذكره عند ربه (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ) أي: وتذكر يوسف، وما جرى له في تعبيره لرؤياهما، وما وصاه به، وعلم أنه كفيل بتعبير هذه الرؤيا بعد مدة من السنين فقال: { أَنَا أُنَبِّئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ } إلى يوسف لأسأله عنها"أهـ. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان السعدي ج ٤ ص ٣٠.

الشاهد مما سبق

أن نبي الله يوسف عليه السلام طلب من ساقي الملك الذي أفرج عنه أن يذكر قضيته التي حبس فيها ظلماً للملك.. ومعلوم أن ملك مصر في ذلك الوقت لم يكن مسلماً وذلك على رأي من قال إن ملك مصر أسلم فيما بعد وسلم الحكم ليوسف عليه السلام يتصرف فيها حيث يشاء. ومعنى ذلك أنه يجوز للمسلم أن يرفع مظلمته لكافر إن غلب على ظنه أن هذا الحاكم لا يظلم أحد عنده أو أن مظلمته ستزول أو تخفف من قبل هذا الحاكم غير المسلم.

وقد أصر نبي الله يوسف ألا يخرج من السجن إلا بعد أن يسمع الملك قضيته ويحكم فيها ببراءته واستجاب الملك وعقد محكمة واستمع إلى الشهود وإلى زوجة الملك والنسوة ثم أصدر حكمه ببراءة يوسف عليه السلام.. ودليل ذلك قوله تعالى:

)وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ . قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ) يوسف الآيات ٥٠ إلى ٥٢.

قال الحافظ ابن كثير:

"يقول تعالى إخبارا عن الملك لما رجعوا إليه بتعبير رؤياه التي كان رآها بما أعجبه وأيقنه فعرف فضل يوسف عليه السلام وعلمه وحسن اطلاعه على رؤياه وحسن أخلاقه على من ببلده من رعاياه فقال "ائتوني به" أي أخرجوه من السجن وأحضروه فلما جاءه الرسول بذلك امتنع من الخروج حتى يتحقق الملك ورعيته براءة ساحته ونزاهة عرضه مما نسب إليه من جهة امرأة العزيز وأن هذا السجن لم يكن على أمر يقتضيه بل كان ظلما وعدوانا فقال ارجع إلى ربك " الآية"أهـ تفسير القرآن العظيم ابن كثير ج٤ ص ١٨٤٥.

ودليل أن فعل يوسف عليه السلام كان ممدوحاً قال الحافظ ابن كثير:

"وقد وردت السنة بمدحه على ذلك والتنبيه على فضله وشرفه وعلو قدره وصبره صلوات الله وسلامه عليه ففي المسند والصحيحين من حديث الزهري عن سعيد وأبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم نحن أحق بالشك من إبراهيم إذ قال "رب أرني كيف تحي الموتى" الأية ويرحم الله لوطا لقد كان يأوي إلى ركن شديد ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي" أهـ. تفسير القرآن العظيم ابن كثير ج٤ ص ١٨٤٥.

وفي صحيح البخاري في كتاب التعبير: أَبِى هُرَيْرَةَ - رضى الله عنه - قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - « لَوْ لَبِثْتُ فِى السِّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ ، ثُمَّ أَتَانِى الدَّاعِى لأَجَبْتُهُ » .

قال الحافظ ابن عطية: "كان هذا الفعل من يوسف عليه السلام أناة وصبرا وطلبا لبراءة الساحة وذلك أنه - فيما روي - خشي أن يخرج وينال من الملك مرتبة ويسكت عن أمر ذنبه صفحا فيراه الناس بتلك العين أبدا ويقولون: هذا الذي راود امرأة مولاه فأراد يوسف عليه السلام أن يبين براءته ويحقق منزلته من العفة والخير وحينئذ يخرج للإحظاء والمنزلة فلهذا قال للرسول : ارجع إلى ربك وقل له ما بال النسوة. ومقصد يوسف عليه السلام إنما كان: وقل له يستقصي عن ذنبي وينظر في أمري هل سجنت بحق أو بظلم

ونكب عن امرأة العزيز حسن عشرة ورعاية لذمام الملك العزيز له"أهـ المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز ابن عطية دار ابن حزم بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٢م ص ١٠٠٠.

قال العلامة الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير:

"وقد أبى يوسف عليه السّلام الخروج من السجن قبل أن تثبت براءته مما رمي به في بيت العزيز، لأن ذلك قد بلغ الملك لا محالة لئلا يكون تبريزه في التعبير الموجب لإطلاقه من السجن كالشفيع فيه فيبقى حديث قرفه بما قرف به فاشياً في الناس فيتسلق به الحاسدون إلى انتقاص شأنه عند الملك يوماً ما، فإن تبرئة العرض من التهم الباطلة مقصد شرعي، وليكون حضوره لدى الملك مرموقاً بعين لا تنظر إليه بشائبة نقص. وجعل طريق تقرير براءته مفتتحةً بالسؤال عن الخبر لإعادة ذكره من أوله ، فمعنى {فاسألْه} بلَغ إليه سؤالاً من قِبلي. وهذه حكمة عظيمة تحق بأن يؤتسى بها. وهي تطلب المسجون باطلاً أن يَبقى في السجن حتى تتبين براءته من السبب الذي سجن لأجله، وهي راجعة إلى التحلي بالصبر حتى يظهر النصر".أهـ. التحرير والتنوير ج٦ ص٢٨٨.

وأوضح الحفاظ ابن عطية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم فعل يوسف:

"وهنا اعتراض ينبغي أن ينفصل عنه، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما ذكر هذا الكلام على جهة المدح ليوسف، فما باله هو يذهب بنفسه عن حالة قد مدح بها غيره؟ فالوجه في ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم إنما أخذ لنفسه وجها آخر من الرأي له جهة أيضا من الجودة أي : لو كنت أنا لبادرت بالخروج، ثم حاولت بيان عذري بعد ذلك، وذلك أن هذه القصص والنوازل إنما هي معرضة ليقتدي بها الناس إلى يوم القيامة، فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم حمل الناس على الأحزم من الأمور؛ وذلك أن تارك المتعمق في مثل هذه النازلة التارك فرصة الخروج من مثل ذلك السجن، ربما ينتج له من ذلك البقاء في سجنه، وانصرفت نفس مخرجه عنه، وإن كان يوسف عليه السلام أمن من ذلك بعلمه من الله فغيره من الناس لا يأمن ذلك، فالحالة التي ذهب إليها النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه حالة حزم ومدح، وما فعله يوسف عليه السلام

صبر عظيم وجلد"أهـ. المحرر الوجيز في تفسير القرآن العزيز ابن عطية دار ابن حزم بيروت الطبعة الأولى ٢٠٠٢م ص ١٠٠٠.

أقول: هكذا قد أفاد وأجاد الحافظ ابن عطية رحمه الله في قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " لَوْ لَبِثْت فِى السِّجْنِ مَا لَبِثَ يُوسُفُ ، ثُمَّ أَتَانِى الدَّاعِى لأَجَبْتُهُ".. الحديث. فهذا من تمام رحمة الرسول صلى الله عليه وسلم وشفقته على أمته فهو خاتم الأنبياء ولا نبي بعده يوضح للأمة مثل هذا الأمر الذي اتخذه نبي الله يوسف عليه السلام، واشتراطه ألا يخرج من السجن إلا بعد أن تظهر براءته.. فهذه حالة فريدة من الصبر والأناة والجلد قد لا تتوافر في معظم البشر إذا كانوا في مثل حالة يوسف عليه السلام، كما أن الناس يتفاوتون في صبرهم وتحملهم ومقاومتهم للسجن والظلم والقهر، فلذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم تواضعاً منه وشفقة على أمته، بأنه إذا كان في مثل حال يوسف وكان في السجن ودعي للإفراج عنه لأجاب ثم بعد أن يخرج يشرح للناس مظلمته وما حدث له. وعليه فإن هؤلاء الشباب والشيوخ في جوانتنامو مسجونون مظلومون ولهم في نبي الله يوسف عليه السلام قدوة وأسوة.. فقد ذكر نبي الله يوسف من جملة الأنبياء الذين هداهم الله وأمر رسولنا محمدا صلى الله عليه وسلم أن يقتدي بهم في آيات نورانية من الذكر الحكيم : (وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ .وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ. وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ. وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَـٰهُمْ وَهَدَيْنَـٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ . ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ . أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَـٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَـٰفِرِينَ . أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَـٰلَمِينَ) الأنعام الآيات من ٨٣ حتى ٩٠.

ثانياً: إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده:

روى البيهقي بسنده عن الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- أَنَّهَا قَالَتْ : لَمَّا ضَاقَتْ عَلَيْنَا مَكَّةُ وَأُوذِىَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- وَفُتِنُوا وَرَأَوْا مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الْبَلاَءِ وَالْفِتْنَةِ فِى دِينِهِمْ وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- لاَ يَسْتَطِيعُ دَفْعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فِى مَنْعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَعَمِّهِ لاَ يَصِلُ إِلَيْهِ شَىْءٌ مِمَّا يَكْرَهُ مَمَّا يَنَالُ أَصْحَابَهُ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- :« إِنَّ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ مَلِكًا لاَ يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ فَالْحَقُوا بِبِلاَدِهِ حَتَّى يَجْعَلَ اللَّهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ ». فَخَرَجْنَا إِلَيْهَا أَرْسَالاً حَتَّى اجْتَمَعْنَا بِهَا فَنَزَلْنَا ِخَيْرِ دَارٍ إِلَى خَيْرِ جَارٍ أَمِنَّا عَلَى دِينِنَا وَلَمْ نَخْشَ مِنْهُ ظُلْمًا. وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ. سنن البيهقي الحديث رقم ١٨١٩٠.

ثالثاً: مرافعة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه أمام ملك الحبشة:

روى أبو القاسم سليمان بن محمد الطبراني في معجمه الكبير تحت عنوان: "حديث جعفر بن أبي طالب مع عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد عند النجاشي" ثم ساق بسنده عن الشعبي عن عبد الله بن أبي طالب، عن أبيه قال : بعثت قريش عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية من أبي سفيان إلى النجاشي ، فقالوا له ونحن عنده : قد بعثوا إليك أناسا من سفلتهم وسفهائهم فادفعهم إلينا ، قال: لا، حتى أسمع كلامهم، فبعث إلينا فقال: ما تقولون ؟ قلنا: إن قومنا يعبدون الأوثان، وإن الله - عز وجل - بعث إلينا رسولا فآمنا به وصدقناه، فقال لهم النجاشي: عبيد هم لكم؟ قالوا: لا، قال: فلكم عليهم دين؟ قالوا: لا، قال: فخلوا سبيلهم، فخرجنا من عنده، فقال عمرو بن العاص: إن هؤلاء يقولون في عيسى غير ما تقولون، قال : إن لم يقولوا في عيسى مثل ما أقول لم أدعهم في أرضي ساعة من نهار، قال: فأرسل إلينا وكانت الدعوة الثانية أشد علينا من الأولى، فقال: ما يقول صاحبكم في عيسى ابن مريم ؟ فقلنا : يقول: "هو روح الله وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول "، قال: فأرسل فقال: ادعوا فلانا القس وفلانا الراهب، فأتاه ناس منهم،

فقال: ما تقولون في عيسى ابن مريم، قالوا: أنت أعلمنا فما تقول؟ فقال النجاشي وأخذ شيئا من الأرض ثم قال: هكذا عيسى، ما زاد على ما قال هؤلاء مثل هذا، ثم قال لهم: أيؤذيكم أحد؟ قالوا: نعم، فأمر مناديا فنادى: من آذى أحدا منهم فأغرموه أربعة دراهم، ثم قال: يكفيكم؟ فقلنا: لا، فأضعفها ، فلما هاجر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى المدينة وظهر بها قلنا له: إن صاحبنا خرج إلى المدينة وهاجر وقتل الذين كنا حدثناك عنهم، وقد أردنا الرحيل فزودنا، قال: نعم ، فحملنا وزودنا وأعطانا، ثم قال: أخبر صاحبك بما صنعت إليكم، وهذا رسولي معك، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنه رسول الله، وقل له يستغفر لي، قال : فخرجنا حتى أتينا المدينة فتلقاني رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فاعتنقني فقال: "ما أدري أنا بفتح خيبر أفرح أو بقدوم جعفر " فسله ما صنع به صاحبنا، فقلت: نعم، قد فعل بنا قد فعل كذا وكذا، وحملنا، وزودنا، ونصرنا، وشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسوله، وقال: قل له يستغفر لي، فقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فتوضأ ثم دعا ثلاث مرات: " اللهم اغفر للنجاشي" فقال المسلمون: آمين، قال جعفر: فقلت للرسول: انطلق فأخبر صاحبك ما رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم"أهـ. المعجم الكبير للطبراني تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ج٢٥ ص ٢٢١ ، ص ٢٢٢.

أقول: الشاهد من هذه الرواية أن الصحابي جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ترافع أمام ملك الحبشة النجاشي ولم يكن قد أسلم الملك في ذلك الوقت، ولم يقل أنا لا أترافع أمام ملك كافر! فعمرو بن العاص رضي الله عنه كان في ذلك الوقت كافراً وكان مبعوث قريش إلى الحبشة ويريد أن يتسلم هؤلاء الصحابة من ملك الحبشة ليعيدهم إلى مكة حيث الإيذاء والتعذيب وتعريضهم للفتنة في دينهم..

رابعاً: دخول الرسول صلى الله عليه وسلم في جوار مشرك:

فقد كان من أعراف وقوانين قريش قبل صدور الإسلام حق الجوار لمن يطلبه ودليل ذلك ما رواه البخاري في كتاب المغازي بسنده عَنِ الزُّهْرِىِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِىَّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ فِى أُسَارَى بَدْرٍ « لَوْ كَانَ الْمُطْعِمُ

بْنُ عَدِيٍّ حَيًّا ثُمَّ كَلَّمَنِى فِى هَؤُلاَءِ النَّتْنَى لَتَرَكْتُهُمْ لَهُ» . وسبب قول النبي صلى الله عليه وسلم ذلك:

ما رواه الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية بسنده:

"ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة مرجعه من الطائف في جوار المطعم بن عدي، وازداد قومه عليه حنقا، وغيظا ، وجرأة، وتكذيبا، وعنادا. والله المستعان وعليه التكلان. وقد ذكر الأموي في "مغازيه" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث عبد الله بن أريقط إلى الأخنس بن شريق، فطلب منه أن يجيره بمكة، فقال: إن حليف قريش لا يجير على صميمها. ثم بعثه إلى سهيل بن عمرو ليجيره، فقال : إن بني عامر بن لؤي لا تجير على بني كعب بن لؤي. فبعثه إلى المطعم بن عدي ليجيره، فقال : نعم، قل له فليأت. فذهب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبات عنده تلك الليلة، فلما أصبح خرج معه هو وبنوه ستة - أو سبعة - متقلدي السيوف جميعا، فدخلوا المسجد وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : طف. واحتبوا بحمائل سيوفهم في المطاف، فأقبل أبو سفيان إلى مطعم، فقال : أمجير أم تابع؟ قال: لا، بل مجير. قال: إذا لا تخفر. فجلس معه حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم طوافه ، فلما انصرف انصرفوا معه ، وذهب أبو سفيان إلى مجلسه. قال : فمكث أياما ثم أذن له في الهجرة، فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة توفي المطعم بن عدي بعده بيسير"أهـ. البداية والنهاية ابن كثير تحقيق د.عبد الله بن عبد المحسن التركي هجر للطباعة والنشر الطبعة الأولى ١٩٩٧م ج٤ ص ٣٤٣ (بتصرف)، ونفس هذه الرواية ذكرها ابن هشام في السيرة النبوية قريباً من هذه الألفاظ..

وذكرها الحافظ ابن القيم في زاد المعاد بقوله: "ثم انتهى إلى مكة فأرسل رجلا من خزاعة إلى مطعم بن عدي: أدخل في جوارك ؟ فقال: نعم، ودعا بنيه وقومه فقال : البسوا السلاح، وكونوا عند أركان البيت فإني قد أجرت محمدا ، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زيد بن حارثة حتى انتهى إلى المسجد الحرام ، فقام المطعم بن عدي

على راحلته فنادى: يا معشر قريش إني قد أجرت محمدا، فلا يهجه أحد منكم، فانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الركن فاستلمه، وصلى ركعتين، وانصرف إلى بيته، والمطعم بن عدي وولده محدقون به بالسلاح حتى دخل بيته"أهـ زاد المعاد ابن القيم مكتبة الصفا القاهرة الطبعة الأولى ٢٠٠٢م مج١-٢ ج٢ ص ٦٧.

خامساً: دخل أبو بكر الصديق في جوار ابن الدغنة المشرك:

كما ذكرنا آنفاً أن قوانين قريش الجاهلية كانت تجيز الجوار أو ما يسمى في عصرنا اللجوء السياسي.. فقد روى البخاري في صحيحه في كتاب الكفالة: حيث ساق بسنده عن عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ أَنَّ عَائِشَةَ - رضى الله عنها قالت: "فَلَمَّا ابْتُلِىَ الْمُسْلِمُونَ خَرَجَ أبو بَكْرٍ مُهَاجِرًا قِبَلَ الْحَبَشَةِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَرْكَ الْغِمَادِ لَقِيَهُ ابْنُ الدَّغِنَةِ - وَهْوَ سَيِّدُ الْقَارَةِ - فَقَالَ أَيْنَ تُرِيدُ يَا أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ أبو بَكْرٍ أَخْرَجَنِى قَوْمِى فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِى الأَرْضِ فَأَعْبُدَ رَبِّى. قَالَ ابْنُ الدَّغِنَةِ إِنَّ مِثْلَكَ لاَ يَخْرُجُ وَلاَ يُخْرَجُ، فَإِنَّكَ تَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَقْرِى الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ، وَأَنَا لَكَ جَارٌ فَارْجِعْ فَاعْبُدْ رَبَّكَ بِبِلاَدِكَ. فَارْتَحَلَ ابْنُ الدَّغِنَةِ ، فَرَجَعَ مَعَ أَبِى بَكْرٍ ، فَطَافَ فِى أَشْرَافِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، فَقَالَ لَهُمْ إِنَّ أَبَا بَكْرٍ لاَ يَخْرُجُ مِثْلُهُ، وَلاَ يُخْرَجُ، أَتُخْرِجُونَ رَجُلاً يُكْسِبُ الْمَعْدُومَ ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ ، وَيَحْمِلُ الْكَلَّ، وَيَقْرِى الضَّيْفَ، وَيُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. فَأَنْفَذَتْ قُرَيْشٌ جِوَارَ ابْنِ الدَّغِنَةِ وَآمَنُوا أَبَا بَكْرٍ وَقَالُوا لاِبْنِ الدَّغِنَةِ مُرْ أَبَا بَكْرٍ فَلْيَعْبُدْ رَبَّهُ فِى دَارِهِ، فَلْيُصَلِّ وَلْيَقْرَأْ مَا شَاءَ، وَلاَ يُؤْذِينَا بِذَلِكَ، وَلاَ يَسْتَعْلِنْ بِهِ، فَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَفْتِنَ أَبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا ..." الحديث بطوله في البخاري رقم الحديث ٢٢٧٩.

سادساً: حلف المطيبين وحلف الفضول:

كان لقريش في الجاهلية حلف لنصرة المظلوم ونجدته وقد شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحلف وهو غلام مع أعمامه، وحلف المطيبين وحلف الفضول مثل منظمات حقوق الإنسان في عصرنا..

(أ) حلف المطيبين:

لقد ذكر ابن إسحاق وأصحاب السير أن خلافاً حدث بين بني عبد مناف وبين بني عبد الدارالذين أرادوا أن يأخذوا مما كان جدهم الأكبر قصي جعل إلى عبد الدار؛ الحجابة واللواء والسقاية والرفادة، ورأوا أنهم أولى بذلك منهم فتفرقت قريش عند ذلك فكانت طائفة مع بني عبد مناف وطائفة مع بني عبد الدار فعقد كل قوم على أمرهم حلفاً مؤكاً على ألا يتخاذلوا، ولا يسلم بعضهم بعضا. وذكر لنا ابن هشام قصة الحلفين وسبب تسميتهما:

بالنسبة لحلف المطيبين: "قال ابن هشام: فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيباً. فيزعمون أن بعض نساء بني عبد مناف أخرجتها لهم، فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة، ثم غمس القوم أيديهم فيها، فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم، ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على أنفسهم، فسموا المطيبين"أهـ السيرة البنوية ابن هشام تحقيق مصطفى السقا والإبياري وشلبي دار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٥م ج١ ص ١٦٨.

أما عن بني عبد الدارفقد عقدوا أيضاً حلفاً أطلق عليه حلف الأحلاف.. قال ابن هشام: "وتعاقد بنو عبد الدار وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفاً مؤكداً، على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً، فسموا الأحلاف"أهـ السيرة النبوية ابن هشام ج١ ص ١٦٨.

وذكر ابن هشام أن الناس قد أجمعوا للحرب ثم تداعوا للصلح على أن يعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار ففعلوا ورضي كل فريق وثبت كل قوم مع من حالفوا. ثم مرت أعوام وتحالفت قبائل من قريش فيما بينها وأسسوا حلف الفضول وكان من المشاركين فيه نفس جماعة المطيبين وحلف الأحلاف شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الحلف ومعه أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

(ب) حلف الفضول:

"قال ابن هشام : وأما حلف الفضول فحدثني زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق قال: تداعت قبائل من قريش إلى حلف، فاجتمعوا له في دار عبد الله بن جدعان

بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي، لشرفه وسنه، فكان حلفهم عنده: بنو هاشم، وبنو المطلب، وأسد بن عبد العزى. وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرة فتعاقدوا وتعاهدوا على أن لا يجدوا بمكة مظلوما من أهلها وغيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عليه مظلمته، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول. قال ابن إسحاق : فحدثني محمد بن زيد بن المهاجر بن قنفذ التيمي أنه سمع طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ولو أدعى به في الإسلام لأجبت. " السيرة النبوية ابن هشام ج١ص ١٦٩ ، ص١٧٠.

أقول: وقد أثنى الرسول صلى الله عليه وسلم على هذا الحلف.. فقد روى الإمام أحمد في مسنده بسنده عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ عَنِ الزُّهْرِىِّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ عَنِ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « شَهِدْتُ حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ مَعَ عُمُومَتِى وَأَنَا غُلاَمٌ فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِى حُمْرَ النَّعَمِ وَأَنِّى أَنْكُثُهُ ». رقم الحديث في المسند ١٦٧٧. ورواه البخاري في الأدب المفرد بسند صحيح.

أقول: معلوم أن حلفي المطيبين والفضول أسسهما سادة قريش وكبار مشركيها لنصرة المظلوم وأخذ حقه من الظالم، وأن أي إنسان كان في وسعه أن يلجأ إلى هذا الحلف الذي هو أقرب إلى محكمة بالمعنى المتعارف عليه حديثاً.. حيث تسمع دعوى الشاكي ويتم استدعاء المشكو في حق ثم بعد الاستماع إلى حجة الطرفين يحكمون بنصرة هذا المظلوم وأخذ حقه.. وقد مدح رسول الله صنيع هؤلاء المشركين في حلفهم وما أحب أن ينكثه ولو أعطي حمر النعم.. لماذا؟

لأن صنيع هؤلاء المشركين في تحالفهم ونصرتهم للمظلوم لا يتعارض مع مقاصد الشريعة الإسلامية في إنصاف المظلوم ورفع الضرر عنه. وعلى ذلك من لجأ ضرورة إلى المحكمة الوضعية التي تحكم بغير الشريعة لاسترداد حقه ورفع الظلم عنه فليس من باب إرادة التحاكم إلى الطاغوت وإن كان في ظاهره صورة من صور التحاكم إلى الطاغوت.

الاعتراض بالنسخ:

فإن اعترض معترض وقال إن حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم "شَهِدْتُ حِلْفَ الْمُطَيَّبِينَ مَعَ عُمُومَتِى وَأَنَا غُلاَمٌ فَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِى حُمْرَ النَّعَمِ وَأَنِّى أَنْكُثُهُ" نسخه حديث آخر رواه البخاري بسنده: عن عن إِسْمَاعِيلُ بْنُ زَكَرِيَّاءَ حَدَّثَنَا عَاصِمٌ قَالَ قُلْتُ لأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَبَلَغَكَ أَنَّ النَّبِىَّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « لاَ حِلْفَ فِى الإِسْلاَمِ » . فَقَالَ قَدْ حَالَفَ النَّبِىُّ - صلى الله عليه وسلم - بَيْنَ قُرَيْشٍ وَالأَنْصَارِ فِى دَارِى . البخاري في الأدب رقم الحديث ٦٠٨٣.

وفي رواية مسلم في حديث جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « لاَ حِلْفَ فِى الإِسْلاَمِ وَأَيُّمَا حِلْفٍ كَانَ فِى الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَزِدْهُ الإِسْلاَمُ إِلاَّ شِدَّةً ». رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة. رقم الحديث ٦٦٢٨.

أقول: إن دعوى النسخ غير مسلم بها لأنه يمكن الجمع بين الحديثين فمعنى لا حلف في الإسلام أي لاحلف على باطل ونصر الظالم في الإسلام.. أما ما كان من أمر الجاهلية وأحلافها من مكارم الأخلاق ونصر المظلوم فليس بمنسوخ.. وهكذا يكون النسخ على التحالف على الباطل، أما التحالف على نصر المظلوم وإعانته في استرداد حقه فهذا مقصد عظيم من مقاصد الإسلام ومكرمة كريمة باقية إلى قيام الساعة. ومصداقاً لما أقول: ما ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني في شرحه لحديث "لا حلف في الإسلام".

قول الحافظ ابن حجر العسقلاني في حديث لا حلف في الإسلام:

"قوله : (قلت لأنس بن مالك أبلغك أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : لا حلف في الإسلام فقال: قد حالف النبي - صلى الله عليه وسلم - بين قريش والأنصار في داري ) ووقع في رواية أبي داود من رواية سفيان بن عيينة عن عاصم قال "سمعت أنس بن مالك يقول حالف " فذكره بلفظ المهاجرين بدل قريش، فقيل له أليس قال لا حلف في الإسلام؟ قال: قد حالف فذكر مثله وزاد مرتين أو ثلاثا، وأخرجه مسلم بنحوه مختصرا(..) وأما الحديث المسئول عنه فهو حديث صحيح أخرجه مسلم عن جبير بن مطعم عن

النبي - صلى الله عليه وسلم - قال لا حلف في الإسلام ، وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة. وأخرجه الترمذي من عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (..) وأخرج البخاري في " الأدب المفرد " عن عبد الله بن أبي أوفى نحوه باختصار، وأخرج أيضا أحمد وأبو يعلى وصححه ابن حبان والحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف مرفوعا (شهدت مع عمومتي حلف المطيبين، فما أحب أن أنكثه وحلف المطيبين).. كان قبل المبعث بمدة، ذكره ابن إسحاق وغيره، وكان جمع من قريش اجتمعوا فتعاقدوا على أن ينصروا المظلوم وينصفوا بين الناس ونحو ذلك من خلال الخير، واستمر ذلك بعد المبعث، ويستفاد من حديث عبد الرحمن بن عوف أنهم استمروا على ذلك في الإسلام، وإلى ذلك الإشارة في حديث جبير بن مطعم"أهـ فتح الباري شرح صحيح البخاري ابن حجر العسقلاني دار الفكر للبطاعة والنشر بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٢ مج١٢ ص ١٢٨.

ثم يجمع ابن حجر بين الحديثين بقوله:

"وتضمن جواب أنس إنكار صدر الحديث لأن فيه نفي الحلف، وفيما قاله هو إثباته، ويمكن الجمع بأن المنفي ما كانوا يعتبرونه في الجاهلية من نصر الحليف ولو كان ظالما ومن أخذ الثأر من القبيلة بسبب قتل واحد منها ومن التوارث ونحو ذلك ، والمثبت ما عدا ذلك من نصر المظلوم والقيام في أمر الدين ونحو ذلك من المستحبات الشرعية كالمصادقة والمواددة وحفظ العهد، وقد تقدم حديث ابن عباس في نسخ التوارث بين المتعاقدين، وذكر الداودي أنهم كانوا يورثون الحليف السدس دائما فنسخ ذلك. وقال ابن عيينة: حمل العلماء قول أنس " حالف " على المؤاخاة. قلت : لكن سياق عاصم عنه يقتضي أنه أراد المحالفة حقيقة، وإلا كان الجواب مطابقا، وترجمة البخاري ظاهرة في المغايرة بينهما وتقدم في الهجرة إلى المدينة " باب كيف آخى النبي - صلى الله عليه وسلم - بين أصحابه " وذكر الحديثين المذكورين هنا أولا ولم يذكر حديث الحلف، وتقدم ما يتعلق بالمؤاخاة هناك. قال النووي: المنفي حلف التوارث وما يمنع منه الشرع، وأما التحالف على طاعة الله ونصر المظلوم والمؤاخاة في الله - تعالى - فهو أمر مرغب فيه" أهـ فتح الباري مج١٢ ص ١٢٨.

قول العلامة ابن الأثير في الجميع بين الحديثين:

قال ابن الأثير: "وفي حديث آخر (لا حلف في الإسلام) .. أصل الحلف: المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق، فما كان منه في الجاهلية على الفتن والقتال بين القبائل والغارات، فذلك الذي ورد النهي عنه في الإسلام بقوله صلى الله عليه وسلم: (لا حلف في الإسلام)، وما كان منه في الجاهلية على نصر المظلوم وصلة الأرحام؛ كحلف المطيبين، وما جرى مجراه، فذلك قال فيه صلى الله عليه وسلم ( وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا شدة).. يريد من المعاقدة على الخير ونصرة الحق. وبذلك يجتمع الحديثان، وهذا هو الحلف الذي يقتضيه الإسلام، والممنوع منه ما خالف حكم الإسلام" أهـ النهاية في غريب الحديث والأثر مجد الدين أبو السعادات محمد بن الأثير تحقيق علي عبد الحميد دار ابن حزم الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ ص ٢٢٥.

أقول: هكذا نسف علماؤنا دعوى النسخ.. والمعلوم أصولياً أنه طالما يمكن الجمع بين الحديثين إذا كانا متعارضين في الظاهر فلا وجه للنسخ.. وعلى افتراض أن هناك نسخاً فالمقصود أنه نسخ جزئي، وهو نسخ أي تحالف على باطل وعلى نصر القوي على الضعيف، ونسخ التعصب للظلم والطغيان .. أما التحالف على مكارم الأخلاق ونصر المظلومين من الظالمين فهذه محمدة ومنقبة؛ الإسلام أولى بها وأجدر.. والعجب العجاب في من يتمسك بنسخ النص السابق الوارد في حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه رغم أنهم يعتبرون أن التحاكم إلى الشريعة الإسلامية من أصل الدين ومن ثم فلا نسخ على قضية متعلقة بأصل الدين سواء قبل فتح مكة أو بعدها وسواء قبل الهجرة أو بعدها.. والذي جعلهم يقولون بالنسخ لينفوا أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أقر على حلف أسسه مشركون في الجاهلية كانوا ينصرون فيه المظلوم أي أن الناس كانوا يتحاكمون إلى هؤلاء المشركين لينصفوهم.. ورسول الله صلى الله عليه وسلم أثنى على هذا الحلف أي أنه صلى الله عليه وسلم أقر بهذه الصورة الواردة في حديث عبد الرحمن بن عوف وتمنيه صلى الله عليه وسلم

أنه لو دعي إليه لأجاب.. وأنه ود ألا ينقضه لو أعطي حمر النعم.. فماذا عسا هؤلاء المعترضون أن يجيبوا؟! فلو قالوا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاشاه ذلك أثنى على التحاكم بالطاغوت لكفروا وخرجوا من الإسلام! لذلك لما وقعوا في هذا المأزق لجأوا إلى دعوى النسخ رغم أنهم يعلمون حسب قولهم أن قضية التحاكم من أصل الدين؛ وأصل الدين لا نسخ فيه فهو من القضايا المحكمة إلى يوم القيامة.

سابعاً: فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء:

س ١٣: ما حكم تحكيم القضاء الأمريكي في النزاع بين المسلمين، أمور الطلاق والتجارة وغيرها من الأمور؟

ج ١٣: لا يجوز للمسلم التحاكم إلى المحاكم الوضعية إلا عند الضرورة إذا لم توجد محاكم شرعية، وإذا قضي له بغير حق له فلا يحل له أخذه. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء .. بكر بن عبد الله أبو زيد = صالح بن فوزان الفوزان = عبد العزيز بن عبد الله آل الشيخ = عبد العزيز بن عبد الله بن باز" أهـ . جزء رقم : ٢٣، الصفحة رقم: ٥٠٣.

الشاهد في فتوى اللجنة قوله (إلا عند الضرورة)، وهذه الاستثناء يكاد ينطبق على حالة الشباب المعتقلين في جوانتنامو بغية رفع الظلم عنهم وشرح قضيتهم للرأي العام وإظهار ما وقع عليهم من ظلم وتعذيب فهم يستنصرون الرأي العام في الدفاع عن قضيتهم والضغط للافراج عنهم ولكي لا تموت قضيتهم بموتهم في غيابات السجون.

ثامناً: فتوى الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك:

السؤال: لو حصل للمسلم خصومة في ديار الكفر أو ما يشابهها فهل يجوز أن يترافع للمحاكم الوضعية؟

الإجابة: "الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد: إذا اعتدى على الإنسان في بلاد الكفر في نفسه أو ماله أو حرمته فله أن يرفع قضيته لمن

يرفع عنه الظلم أو يدفع عنه الظلم فإن الإنسان المظلوم له أن يستعين بمن ينصره من غير أن يعتدي على الظالم، وإذا كان يعلم أن جهة الترافع لحل الخصومة تعتدي على الظالم بزيادة فتغرمه فوق ما يجب عليه فليس للمظلوم أن يأخذ فوق حقه ولو حكمت له المحكمة بذلك، وليس هذا من التحاكم إلى الطاغوت، فإن الذين يتحاكمون إلى الطاغوت يفضلون حكمه على شرع الله ويرتضونه ويقبلون حكمه ولو علموا أنه مخالف لشرع الله فما يخالف شرع الله من أحكام الذين يحكمون بالقوانين سواء كانوا من الكفار المعرفين كاليهود والنصارى أو من المنتسبين للإسلام.

فمثلاً لا يجوز للمرأة أن تحاكم زوجها إذا كانت تعلم أن القانون يفرض عليه فوق ما يوجبه الشرع ولا يجوز للمرأة أن تطالب بحقها في الميراث وهي تعلم أن القانون يسوي بين الذكر والأنثى، فلا يحل لها أن تأخذ في الميراث إلا ما فرضه الله لها في كتابه على حد قوله تعالى: {للذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ} في ميراث الأولاد وفي ميراث الأخوة الأشقاء أو لأب.

ولا يخفى أن الترافع إلى هذه الإدارات أو المحاكم من قبل الضرورة لأنه لو وجب على المقيم في تلك البلاد ألا يرفع قضيته إذا ظلم إذا للحقه ضرر عظيم بذلك ولتسلط المجرمون على المسلمين إذا علموا أنهم لا ينتصرون.

وبهذا يعلم أن التحاكم إلى هذه الإدارات والمحاكم على هذا الوجه من الضرورة لا ينافي الكفر بالطاغوت وهو كل حكم يناقض شرع الله الذي أنزله في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والله أعلم." أهـ .. تاريخ الفتوى ٦-١٠-١٤٢٦ هـ.

أقول: الشاهد: قول الشيخ البراك (فله أن يرفع قضيته لمن يرفع عنه الظلم أو يدفع عنه الظلم فإن الإنسان المظلوم له أن يستعين بمن ينصره) .. وقوله (وليس هذا من التحاكم إلى الطاغوت) .. واستناد الشيخ البراك إلى حالة (الضرورة) .. التي تنطبق على حالة الشباب في جوانتنامو ومعظم دول العالم الإسلامي التي على سدة حكمها قوانين وضعية لا تحكم بما أنزل الله.

تاسعا: فتوى الشيخ عبد العزيز بن باز:

"حكم المضطر للتحاكم إلى القوانين الوضعية: من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم هـ. ع.م. سلمه الله، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

فأشير إلى استفتائك المقيد بإدارة البحوث العلمية والإفتاء برقم ٢١٥١ وتاريخ ١٤٠٧/٦/٦هـ الذي تسأل فيه عن حكم المتحاكم إلى من يحكم بالقوانين الوضعية إذا كانت المحاكم في بلده كلها تحكم بالقوانين الوضعية ولا يستطيع الوصول إلى حقه إلا إذا تحاكم إليها، هل يكون كافراً؟

وأفيدك: بأنه إذا اضطر إلى ذلك لا يكون كافراً، ولكن ليس له أن يتحاكم إليهم إلا عند الضرورة، إذا لم يتيسر له الحصول على حقه إلا بذلك، وليس له أن يأخذ خلاف ما يحله الشرع المطهر.

وفق الله الجميع لما فيه رضاه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد" أهـ.

أقول: الشاهد قول الشيخ ابن باز (ولكن ليس له أن يتحاكم إليهم إلا عند الضرورة).. وهذا ما نراه يتفق وحالة الشباب والشيوخ المعتقلين في سجن جوانتنامو وغيره.

عاشرا: قاعدة جليلة لشيخ الإسلام ابن تيمية:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن الشريعة الإسلامية جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها، وإنها ترجح خير الخيرين، وتدفع شر الشرين، وتحصل أعظم المصلحتين بتفويت أدناهما وتدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما" أهـ مجموع الفتاوى لابن تيمية ج٢٠ ص ٤٨.

وبناء على ما سبق

أقول الأصل في التحاكم أنه لا يجوز إلا لحكم الله.. ونظراً لعموم البلوى التي حلت بالمسلمين على مستوى العالم بغياب دولة الإسلام التي يلجأون إلى العيش في كنفها

والتحاكم إلى قوانينها المستمدة من الشريعة الإسلامية كمصدر وحيد للتشريع؛ فلا يكاد المسلم يجد دولة في العالم الإسلامي تحكم بالشريعة الإسلامية كما كان سلف هذه الأمة يحكمون. ولذلك فمن كان يعيش في دول لا تحكم إلا بالقوانين الوضعية كما في أمريكا وأوربا وروسيا والصين وغيرها ودول العالم الإسلامي التي لا تحكم بشرع الله أيضاً، وتعرض لجناية قتل أو سرقة أو سجن أو أي صورة من صور العدوان على النفس والأطراف وتعذر عليه أخذ حقه فإنه من منطلق قول الله تعالى: (فاتقوا الله ما استطعتم) التغابن آية ١٦.. وحالة الضرورة؛ وكما هو معلوم لدى أهل الأصول أن الضروريات من المصالح التي عليها مدار التشريع وهذه الضروريات التي هي درء المفاسد إنما هي درؤها عن ستة أشياء؛ الدين، والنفس، والعقل، والنسب، والعرض، والمال. وبعض القواعد الفقهية مثل قاعدة (الضرر يزال)، وغيرها بغية رفع الحرج والضيق عن المسلمين؛ قال العلامة إمام الحرمين أبو المعالي الجويني: "ونحن على اضطرار من عقولنا نعلم أن الشرع لم يرد بما يؤدي إلى بوار أهل الدنيا (..) أن الحرام إذا طبق الزمان وأهله، ولم يجدوا إلى طلب الحلال سبيلاً، فلهم أن يأخذوا منه قدر الحاجة" أهـ : (غياث الأمم في التياث الظلم الجويني تحقيق د. عبد العظيم الديب الطبعة الثانية ١٤٠١هـ ص٤٧٨ ).

وعليه أقول: إنه يجوز للمسلم أن يلجأ إلى التحاكم لهذه المحاكم الوضعية بغية استرداد حقه ودفع الظلم عن نفسه.. كما أنه في نفس الوقت لا يجوز له أن يأخذ شيئاً ليس من حقه أو زائداً عن حقه. ومن يقول بحرمة التحاكم إلى هذه المحاكم الوضعية حسب الشروط والقيود التي ذكرتها سابقاً فإنه يتسبب في شدة الحرج والضيق على المسلمين؛ بل يجعل دماءهم وأعراضهم وأموالهم وكافة حقوقهم مهدرة ومستباحة لمن يعتدي عليهم.. وبالطبع هذا ما تأباه الشريعة الإسلامية الغراء ومقاصدها العظيمة بحفظ دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم ورفع الظلم عنهم.

هذا ما يحضرني في هذا المقام من نصح للإخوة الأكارم في سجون جوانتنامو وغيرها فإن أخذوا بهذا الرأي فأسأل الله أن يسهل لهم أمرهم ليبينوا للرأي العام ما لاقوه من ظلم

وعنت وليشرحوا قضيتهم وسبب القبض عليهم بدل أن تموت حقوقهم معهم في سجنهم لا قدر الله .. وإذا أصروا على رأيهم في عدم المثول أمام هذه المحاكم الوضعية.. فأسأله سبحانه وتعالى أن يعينهم على الصبر فنعم زاد المبتلين.. وآخر دعونا أن الحمد لله رب العالمين.

أسأل الله العظيم أن يجعل للمسلمين مخرجاً وفرجاً قريباً.. وأسأله سبحانه أن يكرم المسلمين بدولة تحكم بالشريعة؛ يؤمر فيها بالمعروف، وينهى فيها عن المنكر، ويعز فيها أولياؤه، ويذل فيها أعداؤه.. وأسأله سبحانه أن يفرج كرب المكروبين ويفك أسر المسجونين.. اللهم آمين.

تاريخ ٧ شعبان ١٤٣٣هـ الموافق ٢٧ ٦ ٢٠١٢

# إبـادة الأرمـن على أيدي العثمانييـن.. الأكذوبة الكبرى

**د. هاني السباعي**

مركز المقريزي للدراسات التاريخية بلندن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد.

هذا مقال للرد على زعم إبادة الأرمن على أيدي العثمانيين على النحو التالي:

**أولاً: تقدمة.**

**ثانياً: محاور أساسية لفهم الصراع.**

**ثالثا: ولاء الأرمن للروس وتمردهم على العثمانيين أمثلة ونماذج.**

**رابعاً: شهادة مدفونة في أضابير قسم الوثائق الأمريكية.**

**خامساً: صفوة القول.**

## أولاً: تقدمة:

لقد تبنى هذه الأكذوبة (إبادة الأرمن على أيدي العثمانيين) من استخدم الأرمن لتحقيق مطامعه السياسية فهم أنفسهم أعني روسيا القيصرية هي التي صنعت الأرمن ومنحتهم بغير حق معظم الأراضي التي طردت المسلمين منها في خلال حروبها المستمرة لعدة قرون مع الدولة العثمانية! فقد كانت روسيا القيصرية تمارس إرهاباً منظماً ضد رعايا الدولة العثمانية حيث كانت تبيد مدائن وقرى كاملة كانت عامرة بالمسلمين، ومن تبقى على قيد الحياة منهم كانت تجبره على النزوح القسري مستولين على كل ممتلكات هؤلاء المسلمين المظلومين الذين تعرضوا لأبشع عملية استئصال جماعي

في تاريخ البشر! وفي نفس الوقت كانت القوات الروسية بزعم الدفاع عن المسيحية! تقوم بعملية إحلال وتجديد من خلال توطين الأرمن الموالين لها في حروبها مع الدولة العثمانية أراضي المسلمين الذي هجروها قسراً أو قتلوا إبادة!

وقد كانت روسيا القيصرية تمد المتمردين الأرمن بالمال والسلاح والعتاد بمجرد حدوث أدنى نزاع بين مسلم من رعايا الدولة العثمانية وأرمني موال لروسيا القيصرية فلم يكن مسموحاً للمسلم أن يرد عدوان عصابات الأرمن التي تغير على القرى وتنتهك الأعراض فإذا حاول المسلم أن يدافع عن عرضه وأرضه تقوم هذه العصابات المدعومة روسيا بإبادة القرية وحرق من فيها!

لقد استخدمت روسيا المتمردين الأرمن لتوسيع مناطق نفوذها واحتلال البلاد الخاضعة للدولة العثمانية وهذا ما ساعد فيما بعد على تكوين الاتحاد السوفيتي منذ الثورة البلشفية عام ١٩١٧م!

وأكد على ذلك لورانت شابري وآني شابري في كتابهما (سياسة وأقليات في الشرق الأدنى ترجمة د.ذوقان قرقوط ص٣١١) رغم أنهما لم يكونا محايدين على الإطلاق في كتابهما المذكور!

لكن على أية حال فقد ذكرا رغم تعصبهما للأرمن: "وقد أبصر الأرمن الباقون في أرمينيا، الخاضعون من جهة للأتراك ومن الجهة الأخرى للفرس، أملاً كبيراً في نهاية القرن الثامن عشر وهم يرون إلى القوة الروسية، القوة المسيحية تظهر على مسرح الشرق الأدنى. وتظهر الرغبة في الامتداد إلى ما وراء القوقاز، نحو الجنوب والجنوب الشرقي. قبل ذلك في القرنين السادس عشر والسابع عشر، حاولا الأرمن -عبثاً بلا جدوى-العثور على عون في الغرب المسيحي، متوقعين تدخلاً عسكرياً من الدول الغربية ينقذهم من النير التركي. ولم تثبط روسيا هذه الآمال الجديدة، واجدة في جيوش المتطوعين الأرمن التي شنت على الفرس، احتلال الأراضي التي تشكل اليوم صورة تقريبية أرمينيا السوفيتية" أهـ.

لعل متسائلاً يقول متى ظهرت المسألة الأرمنية دولياً؟ ولماذا يصر الأرمن على أنهم قد تعرضوا للإبادة على أيدي العثمانيين؟

**للإجابة على هذا نحاول أن نسلط الضوء على المحاور التالية:**

**ثانياً: محاور أساسية لفهم الصراع:**

**المحور الأول:**

لقد تم تدويل المسألة الأرمينية لأول مرة بموجب معاهدة (سان ستيفانو): فعقب انتهاء الحرب الروسية التركية لعام ١٨٧٧م - ١٨٧٨م عقد الطرفان معاهدة سان ستيفانو وبرلين عام ١٨٧٨م حيث مهد البند رقم ١٦ والبند رقم ٦١ بتدويل المسألة الأرمنية التي لا تزال تستخدم فزاعة لابتزاز الأتراك حتى وقتنا الحاضر.

**المحور الثاني:**

لا بد من دراسة الحقبة التاريخية التي يزعم الأرمن أنهم قد تعرضوا فيها للإبادة وهي تقريباً الفترة من (١٨٢١م إلى ١٩٢٢م).. مع دراسة منطقة جغرافية كبرى كانت خاضعة للدولة العثمانية من قفقاسيا إلى الأناضول والبلقان بما في ذلك بلغاريا واليونان حيث كان معظم سكان هذه الأراضي الشاسعة يدينون بالإسلام!

وهناك بالفعل دراسات جادة حول هذا الموضوع رغم ندرتها مثل الدراسة التي أعدها جستن مكارثي في كتابه (نفي وموت) حيث قامت بدعمه وتمويله (هيئة وقف الولايات المتحدة الأمريكية القومي للدراسات الثقافية للبحث في الحرب العالمية الأولى وآثارها، ومؤسسة الدراسات التركية للبحث في وفيات وهجرات الأتراك بالاشتراك مع بعض الجامعات الأمريكية والبريطانية.. ويعتبر هذا البحث من أفضل ما كتب في هذا الشأن رغم تحفظنا على بعض الملاحظات التي لا تقلل من قيمة البحث وجديته والجهد المبذول فيه وقد ترجم إلى اللغة العربية في الكتاب الموسوم (الطرد والإبادة) نشرته قدمس للنشر والتوزيع بدمشق وهو كتاب جيد في مجاله.

وبالطبع فإن دراسة هذه المنطقة جغرافيا وتاريخيا وطبيعة الصراع القائم في تلكم الحقبة يحتاج إلى العديد من الأبحاث والدراسات الوثائقية ليستبين للمنصفين من ذوي العقول عظم الفرية التي يرددها الغرب حول ما يسمى (بإبادة الأرمن)! في الوقت الذي

يتجاهل فيه الكتاب الغربيون مصير ملايين المسلمين الذي شردوا من أوطانهم وقتلوا على أيدي الروس والأرمن والبلغار واليونان والصرب في نفس الحقبة المذكورة حتى عام ١٩٢٢م!

وعلى حد تعبير مكارثي: "كانت هناك مجتمعات مسلمة في منطقة بحجم أوربا الغربية كاملة قُلصت أو أبيدت. تقلصت مجتمعات البلقان التركية العظيمة إلى جزء من أعدادها السابقة. في القفقاس طرد الجركس واللاز والأبخاز والأتراك وآخرون من جماعات مسلمة صغيرة. تغيرت الأناضول، وغربي الأناضول وشرقيها أقرب إلى الخرائب. أنجزت إحدى أكبر مآسي التاريخ" أهـ (مكارثي: ص٣٢٧ بتصرف).

**المحور الثالث:**

دور جماعة الاتحاد والترقي في إسقاط الخلافة العثمانية وذلك عام ١٩٠٨م وإجبار السلطان عبد الحميد الثاني على الاعتزال! وإدخال فقرة في الدستور الجديد تسمح لكل المواطنين العثمانيين بالتسلح مما وفر غطاءً قانونياً للأقليات بالتسلح! واستغل الأرمن هذا التشريع الجديد بجمع وتخزين الأسلحة التي حأبوا بها المسلمين وقتلوهم! حيث بدأ العدوان الأرمني على المسلمين في مدينة أطنة Adana قبل منتصف عام ١٩٠٩م بقيادة أسقف مدينة (أسفين) المدعو موستش!

**المحور الرابع:**

دور السفراء والقناصل الغربيين والمبشرين البروتستانت الأمريكيين في تضليل الرأي العام ونشر تقارير مبالغ فيها عن قتلى الأرمن وغض الطرف عن قتلى المسلمين بل وتعمد الكذب في أحايين كثيرة وقد كان للقنصل الأمريكي المتهم بالتعصب للأرمن دور في نشر هذه الأضاليل! ولم يكن القنصل الفرنسي أقل افتراءً من القنصل الأمريكي والروسي وغيرهم!

وللأسف الشديد فإن السلطان عبد الحميد كان يثق في أن الحكومة البريطانية تريد الحفاظ على وحدة الممالك العثمانية! لكنه كان قد استفاق بعد فوات الأوان!

يقول روبير مانتران في كتابه تاريخ الدولة العثمانية وهو كتاب فيه كثير من الآراء غير السديدة! يقول في الجزء الثاني من الكتاب المذكور: "ومنذ ١٨٧٨ إلى ١٨٧٩م يبدأ عبد الحميد في الاشتباه في أن إنجلترا تريد التخلي عن سياستها التقليدية الخاصة بالحفاظ على وحدة الأراضي العثمانية.

وهذه الشكوك تغذيها الضغوط التي تمارسها الحكومة البريطانية على السلطان عبد الحميد حتى يضطلع بالإصلاحات الموعودة في الولايات الأرمنية؛ ويزيد من احتدادها تولي(جلادستون) زعيم حزب الأحرار لرئاسة الحكومة البريطانية في مايو عام ١٨٨٠م، وهو عدو سافر للأتراك منذ مذابح بلغاريا. وتؤكدها بشكل ما هيمنة لندن على مصر عام ١٨٨٢م.

فمنذ ذلك الحين شهدت الدبلوماسية الإنجليزية، على نحو ما ينظر إليها في إسطنبول، انقلاباً كاملاً"أهـ (روبير مانتران: تاريخ الدولة العثمانية/ترجمة بشير السباعي/ دار الفكر للدراسات والتوزيع/القاهرة/ج٢ ص١٦٥).

**المحور الخامس:**

الدعاية الغربية المضللة التي كانت تنشرها وسائل الإعلام من قلب للحقائق وتصوير المسلمين على أنهم همج وبرابرة متوحشون! وفي المقابل تصوير الأرمن على أنهم أتقياء بررة وعباقرة أذكياء متسامحون!

**المحور السادس:**

لقد ظهرت هذه المشاكل والقلاقل التي أثارتها القوى المعادية للدولة العثمانية في مناطق نفوذها في القفقاس والقرم والبلقان والأناضول وأثرت على مصير المسلمين في هذه المساحات الشاسعة بسبب عدة عوامل أساسية:

(أ) ضعف الدولة العثمانية وشيخوختها حتى وصفت بعد ذلك بالرجل المريض.

(ب) التحريض على الوعي القومي المسيحي بين الطوائف التي تعيش في كنف الدولة العثمانية فقد حرصت الدول الكبرى الطامعة في تقسيم أملاك الدولة العثمانية

على تحريض الطوائف غير المسلمة على التمرد وإحياء النعرات القومية كما حدث مع الأرمن والبلغار واليونان والصرب!.

وهذا ما أشار إليه روبير ما نتران:"والواقع أن الحركة القومية الأرمنية بعد عام ١٨٧٨ يرتبط إلى حد بعيد بالتحليل الذي أجره المثقفون الأرمن للاستقلال البلغاري: فقد تم الحصول على هذا الاستقلال بفضل أوروبا، فعلاً، لكنه تم أساساً بفضل الأساليب العنيفة التي لجأت إليها (اللجان الثورية البلغارية).

وهكذا فإن النموذج البلغاري يهيمن على تفكير المناضلين الأرمن، خاصة أولئك الذين سوف يتجهون إلى إنشاء المنظمات الأولى. والواقع أن الأحزاب الثورية الأولى تبدأ في الظهور في أواسط ثمانينيات القرن التاسع عشر: حزب (أرمينكان) الذي تأسس في (فان) عام ١٨٨٥م على أيدي عدد من المربين، ثم الحزبان الكبيران اللذان، خلافاً للحزب الأول، سوف يجري تأسيسهما على أيدي أرمن من القوقاز ليس لهم مع أرمينيا التركية غير القليل من الروابط:

الهينتشاق(الجرس) الذي تأسس في جنيف عام ١٨٨٧م، والداشناق (الاتحاد الثوري الأرمني) الذي تأسس في عام ١٨٩٠م في تفليس" أهـ (روبير مانتران: ج٢ ص٢١٧).

(ج) التوسع الاستعماري الروسي الذي ظل يبتلع أملاك الدولة العثمانية قطعة قطعة.

هكذا نستطيع من خلال هذه المحاور فهم الملف الأرمني الذي يستخدمه الغرب ضد الدولة التركية الحديثة رغم ابتعادها عن الإسلام ومحاربتها له عن طريق علمنة كافة المناحي الحياتية في تركيا بغية إرضاء الغرب والدخول في جنة الاتحاد الأوروبي الموعودة!

ذلك الاتحاد الذي لا ولن يرضي عن دخول تركيا حتى تلج تركيا (سم الخياط)! فقادة الغرب يعلمون جيداً أن كمال أتاتورك قد فعل ما لم يكن الأوروبيون أنفسهم يحلمون به! وفي نفس الوقت يعلمون أن الشعب التركي رغم ابتعاده كثيراً عن الإسلام الحقيقي غير أن روح الإسلام لا تزال تسري في جسده وأن هناك حنيناً لعودة عظمة

الإسلام التليد أضحت تنتشر في الآونة الأخيرة رغم محاولات العسكر حصار هذه الروح وخنقها في مهدها!

لذلك يتخوف القادة الأوروبيون بدخول تركيا الاتحاد الأوربي لأنهم يعتقدون أن هذا الاتحاد الأوروبي ناد مسيحي! لا يسمح للمسلمين بعضويته! ورغم تحالف تركيا مع أميركا إلا أن قادة الولايات المتحدة غير مطمئنين على مصالح بلادهم في المستقبل البعيد لذلك فإنهم سيتبنون في نهاية المطاف قراراً بإدانة تركيا في إبادة الأرمن على أيدي العثمانيين!

بغية ابتزاز تركيا واتخاذ هذا القرار تكأة لحصار تركيا اقتصادياً والتدخل عسكرياً إن خرجت تركيا عن علمنتها المتطرفة وغيرت بوصلتها إلى الحكم بالإسلام في المستقبل القريب أو البعيد! لأنه في هذه الحالة ستتحالف أوروبا وأمريكا في حرب ضروس أشبه بحرب عالمية ثالثة أو رابعة أو خامسة ضد تركيا لاستعادة القسطنطينية وضمها إلى الغرب!

### ثالثا: ولاء الأرمن للروس وتمردهم على العثمانيين:

لقد كان للولاء الديني الدور الأبرز في الصراع بين روسيا القيصرية والدولة العثمانية حيث لم يكن مفهوم الجنسية قد ظهر في تلك الحقبة وقد أكد على هذا مبدأ الولاء الديني مكارثي في كتابه المذكور آنفاً: "من الواضح أن الأرمن في ظل الحكم الروسي والعثماني كانوا يرون بعضهم إخوة، مهما كانت جنسياتهم والأمر نفسه صحيح عند المسلمين. من غير المؤكد إذا كان مفهوم الجنسية، بالمقارنة بالانتماء الديني، توطد على نحو كبير في أي من القفقاس أو شرقي الأناضول قبل عشرينيات القرن العشرين. في الشرق شعر المسلم القفقاسي بأنه أقرب إلى مسلم أناضولي منه إلى أرمني قفقاسي تماماً كما نسب الأرمني الأناضولي الشرقي نفسه إلى أرمن القفقاس، وليس إلى المسلمين الأناضوليين. إن انتماءهم الرئيس لجماعاتهم الدينية برهنت عليه حروب القفقاس وشرقي الأناضول المرة تلو الأخرى" (جستن مكارثي: الطرد والإبادة ص٤٩ بتصرف).

أقول إن مبدأ الولاء الديني ليس مستغرباً في تاريخ الأمم، لكن المستغرب أن يتم إقصاء هذا المبدأ في تقويم طبيعة الصراع عبر التاريخ.

وللتدليل على أهمية الولاء الديني أن روسيا القيصرية كانت تضطهد الكنيسة الأرمينية ثم غيرت معاملتها لهم في عهد بطرس الأكبر! للاستعانة بهم في حروبهم التوسعية ضد الدولة العثمانية وقد تفهم ذلك الأرمن على أساس أنهم والروس ينتمون في النهاية إلى الديانة النصرانية وأن عدوهم واحد (الدولة الإسلامية العثمانية)! والحقيقة أن الأرمن تعاملوا بنفس المنطق مع الفرنسيين وشكلوا فيلقاً يتبع الجيش الفرنسي في قليقلية عاث في الأرض فساداً على أساس أن الفرنسيين أيضاً إخوانهم في العقيدة وعدوهم مشترك!

وكان للمبشرين البروتستانت الأمريكان دور بارز في تأجيج الصراع وكانت الأخوة الدينية هي التي تربطهم مع الأرمن بل وتحجب حقيقة المجازر التي كانت يرتكبها الأرمن في حق المسلمين! وليس هذا تعصباً مني ومغالاة في فهم طبيعة الصراع فجميع الشواهد التاريخية تؤيد ذلك والواقع المعاصر يعضد هذا الرأي!

راجع مناطق الصراع في العالم: فلسطين/العراق/ كشمير/أفغانستان/بورما/تايلاند/ البوسنة والهرسك/الجبل الأسود/الصومال/دارفور/التضييق على المسلمين في الغرب)!! هل كل ذلك مصادفة وبدون قصد ولا دخل للولاء الديني في هذا الصراع وشن هذه الحروب الظالمة؟!

## أمثلة على ولاء الأرمن للروس وتمردهم على الدولة العثمانية:

لقد ذكر مكارثي في دراسته العديد من الشواهد التاريخية على ولاء الأرمن لروسيا ونحن بدورنا نلخص أهم هذه الشواهد عبر النقاط التالية:

**الأول**: في عهد القيصر بطرس الأكبر بدأ يقوى اتكال الأرمن على روسيا وأملهم في مساعدات من هذا الجانب منذ غارات الروس الأولى على القفقاس منذ حكم بطرس المذكور حين أسسوا قوة عسكرية ليساعدوا غزو القياصرة المنطقة، تعهد الأرمن القفقاس بالولاء والدعم للقياصرة الروس.

**الثاني**: في خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر دعم الأرمن (رؤساء كنائس/ علمانيون/وبقية طوائف الشعب) الغزو الروسي لولايات المسلمين في القفقاس والإطاحة بحكامها المسلمين.

**الثالث**: علم الأرمن جواسيس للروس ضد حكامهم المسلمين سواء العثمانيين أو الأرمن الذين كانوا رعايا الدولة الفارسية.

**الرابع**: حين كانت مدينة دربند Derbend تحت الحصار الروسي عام ١٧٩٦م أرسل سكانها الأرمن إلى الغزاة معلومات عن مصادر الإمداد المائي للمدينة، ما أتاح للروس أن يهزموا أهل (خان دربند).

**الخامس**: صرح رئيس أساقفة أرمني (أرغوتنسكي - دولغوروكوف) علانية في تسعينات القرن الثامن عشر، بأمله وإيمانه أن الروس سيحررون الأرمن من حكم المسلمين

السادس: الرعايا الأرمن للإمبراطوريتين الفارسية والعثمانية، وكذلك الأرمن الذين يعيشون في الإمبراطورية الروسية قاتلوا إلى جانب الروس ضد بلاد فارس والإمبراطورية العثمانية في حروب أعوام (١٨٢٧م إلى ١٨٢٩م) وحرب القرم.

السابع: أبدى الأرمن في الأناضول العثمانية ولاءهم للقضية الروسية بعملهم جواسيس بعملهم للروس.

الثامن: كان الأرمن يعبرون من الأناضول الحدود ويقدمون تقارير عن تحركات القوات العثمانية في جميع حروب شرق الأناضول.

التاسع: لقد ساعد الأرمن الأناضوليون الجيوش الروسية الغازية في عام ١٨٢٧م وعندما غادر الجيش الروسي اتبع آلاف الأرمن هذا الجيش خارج الأناضول.

العاشر: خلال حرب القرم، قدم الأرمن معلومات استخباراتية من مدينة قارص Kars المحاصرة للروس.

الحادي عشر: مهد المرشدون الأرمن من الأناضول العثمانية الطريق للغزاة الروس في عام ١٨٧٧م.

الثاني عشر: رحب أرمن وادي الشكرد Elsekirt بالجيوش الروسية الغازية في عام ١٨٧٧م، وعندما انسحب الروس غادر الجميع معهم.

الثالث عشر: كان الأرمن في الأناضول والقفقاس حلفاء للروس في الحرب العالمية الأولى. لقد بدأ اتكال المتمردين الأرمن في الأناضول على الروس واضحاً بحلول منتصف القرن بالثورة في زيتون Zeytonعندما كانت هناك حاجة إلى موارد مالية لتقوية دفاعات زيتون ضد العثمانيين في عام ١٨٥٤م بينما كان العثمانيون يقاتلون الروس في حرب القرم، حاول الثوار الأرمن الحصول على مساعدات مالية من الروس.

الرابع عشر: في عام ١٨٧٢م كتب سكان أرمن وان Van كونهم جالية إلى نائب الإمبراطور الروسي للقفقاس يطلبون المساعدة ضد حكومتهم؛ فقد طالبوا أن يصبحوا من الرعايا الروس وعلى نحو محدد بدأوا يجمعون أسلحة!.

الخامس عشر: توالت الاتصالات بين الأرمن العثمانيين والإمبراطورية الروسية ضمن نشاطات الجماعات الثورية الأرمنية الرئيس، خصوصاً الطاشناق. وكانت أرمينية الروسية مركزاً لتجميع الأسلحة والتنظيم الثوري الموجهين ضد العثمانيين.

السادس عشر: حول رئيس دير للراهبات (باغرات فاردابيت تافاكليان أو آكي) دير ديرك Derik على الجانب الفارسي للحدود العثمانية الفارسية، إلى مستودع أسلحة ونقطة تسلل المتمردين الأرمن في الإمبراطورية العثمانية.

السابع عشر: استمر أرمن وجورجيون خصوصاً أولئك الذين كان لهم أقارب في إيران أو كانوا متورطين في أعمال هناك، في أن يكونوا مصادر مهمة للمعلومات عند المسؤولين الروس لذلك، كان لهم تأثير في القرارات السياسية والتكتيكية الروسية. أمر القيصر ألكسندر تسيتسيانوف أن يقصد البطريك دانييال وأتباعه الثامن عشر: قدم

دانييال Daniel المرشح المدعوم من الروس لمنصب بطريرك الكنيسة الأرمنية (بعد وفاة أرغوتنسكي-دولغوروكوف) المعلومات للروس.

التاسع عشر: في عام ١٨٠٨م كافأ ألكسندر دانييل برهبنة (سان آن) من الدرجة الأولى، لخدماته في تقديم معلومات للروس. على مدى السنوات التالية، بينما كان الروس يقاتلون لتوسيع جبهتهم إلى الكور Kurوالآراس Aras استمر الأرمن في إرسال رسائل إلى المسؤولين الروس يشجعونهم فيها على الاستيلاء على المناطق التي يحكمها المسلمون وإنقاذ الأرمن من اضطهاد المسلمين.

العشرون: لقد سهلت علاقة المتمردين بالكنيسة الأرمينية نشاطاتهم إلى حد بعيد، كونها هيئة استطاعت أن تجتاز الحدود بسهولة وفي استنبول نفسها كان لرجال الكنيسة من أساقفة وكهنة حرية التنقل ولم يكن يتعرض لهم الأرمن العثماني رغم أنه قد ثبت أن هؤلاء الأساقفة والكهنة كان يتنقلون الرسائل والتقارير والأموال إلى المتمردين وكانت بعض الأديرة والكنائس مستودعاً للأسلحة التي تسرب وتهرب إلى المتمردين الأرمن نظراً لعدم خضوع هذه الكنائس والأديرة للتفتيش الأمني!!

هكذا قد استعرضنا نماذج وأمثلة لولاء الأرمن للروس في زمن الحرب والسلم مما ينسف مرثيتهم الملفقة (إبادة الأرمن على أيدي العثمانيين)! ولمزيد من التأكيد على صحة ما ذكرناه نورد هذه الشهادة.

### رابعاً: شهادة مدفونة في أضابير قسم الوثائق الأمريكية:

هذه الشهادة عبارة عن تقرير لرجلين لم يكونا متعاطفين مع العثمانيين المسلمين بل كانا متعصبين للأرمن وجاءا إلى المنطقة على خلفية جاهزة سلفاً أن الأرمن شعب مستضعف ارتكب المسلمون مجازر جماعية بحقه حسب المعلومات المستقاة من وسائل الإعلام الغربية المضللة!، ومن المبشرين البروتستانت الأمريكيين الذين لم يكونوا جديرين بالثقة كلياً كشهود على معاناة المسلمين حيث كانوا بارعين في تدوين أعمال ضد الأرمن بتفصيل كبير، ولم يكونوا كذلك في تدوين أعمال عنف ضد المسلمين

كما ذكر ذلك بعض المؤرخين! فمن هما هذان الشاهدان اللذان رجع إلى أميركا بغير الوجه الذي ذهبا به إلى شرقي الأناضول؟

إنهما النقيب إموري نيلز Emory Noles، وآرثر سذرلاند Arthur Sutherland حيث أمرتهما حكومة الولايات المتحدة الأمريكية باستقصاء الوضع في شرقي الأناضول. ونزل منطقة الأناضول وتجولا في جميع أنحاء المنطقة وسمعا شهادة الطرفين وفوجئا بحجم التزوير والتلفيق الذي اقترفه الأرمن وصعقا من هول معاناة المسلمين ومن الجرائم الفظيعة التي ارتكبها الأرمن بحق المسلمين! ولما لم يرق التقرير الحكومة الأمريكية تم استبعاده، ولهذا السبب لم يضمن تقريرهما وثائق لجنة التحقيق الأمريكية ومن فضل الله تعالى أنها لم تتلف بل كانت مخبأة ومدفونة في مواضيع لها صلة بملف الحرب العالمية الأولى في شرقي الأناضول! وقد قام كارثي بنشر هذا التقرير عام ١٩٩٤م ثم نشره في كتابه (المسلمون والأقليات)! وأعاد نشره في كتابه (الطرد والإبادة) ولله الحمد والمنة!

أما عن تقرير (نايلز وسذرلاند): جاء في تقريرهما: "المنطقة الممتدة من (بتليس) عبر (وان) إلى (بايزيد) أُخبرنا بأن الضرر والتدمير في كل هذه المنطقة كانا من فعل الأرمن الذين استمروا في احتلال البلد بعد أن انسحب الروس، والذين دمروا كل شئ يخص المسلمين مع تقدم الجيش التركي. علاوة على ذلك، اتُهم الأرمن بارتكاب أعمال قتل واغتصاب وإحراق عمد للممتلكات وأعمال وحشية رهيبة من كل وصف ضد السكان الأصليين. كنا في البداية في ريب كبير بشأن تلك الروايات، لكننا توصلنا في النهاية إلى تصديقها، لأن الشهادات كانت بالإجماع بكل ما في الكلمة من معنى وجرى تأييدها بالأدلة المادية. على سبيل المثال كانت الأحياء الوحيدة التي ظلت سليمة في مدينتي بتليس ووان أحياءً أرمينية، كما كان جلياً من الكنائس والكتابات على البيوت، بينما كانت الأحياء المسلمة مدمرة على نحو كامل. لا تزال القرى التي قيل إنها كانت أرمينية قائمة، بينما كانت القرى المسلمة مدمرة كاملة" أهـ (مكارثي: الطرد والإبادة ص٢٥٠).

وجاء في تقريرهما أيضاً: "إن الوضع العرقي في هذه المنطقة [بايزيد-أرضروم] متفاقم بشدة بسبب قرب جبهة أرمينية التي يأتي اللاجئون منها بروايات عن مجازر ووحشية وفظاعات ترتكبها الحكومة الأرمينية والجيش والشعب ضد السكان المسلمين. ومع أن بضع مئات من الأرمن يعيشون فعلاً في إقليم (وان)، إلا أنه من المستحيل أن يستطيع الأرمن العيش في المناطق الريفية لإقليم أرضروم، حيث يبدي الجميع ذروة الكراهية لهم. وهنا أيضاً خرب الأرمن القرى قبل أن ينسحبوا وارتكبوا المجازر وكل أنواع الأعمال الوحشية ضد المسلمين، وأعمال الأرمن هذه على الجانب الآخر من الجبهة تُبقي الكراهية للأرمن حية ومؤثرة، كراهية تبدو أنها على الأقل تُرغي وتُزبد في منطقة (وان). أكّد على وجود فوضى وجرائم في أرمينية لاجئون من جميع مناطق أرمينية وضباط بريطانيون في أرضروم" أهـ (مكارثي: ص٢٥١).

وقدم نايلز وسذرلاند في تقريرهما إحصائية؛ تعداد القرى والبيوت المسلمة الناجية من جحيم الحرب حول مدينتي (وان) و (بتليس) فقط وعلى سبيل المثال حيث أثبت أن الأرمن دمروا أكثر بيوت المسلمين ولم يبق أي أثر لجميع المباني والمنشآت الدينية الإسلامية! كما هو موضح في الجدول التالي:

الدمار في مدينة وان قبل وبعد حرب ١٩١٩

منازل المسلمين قبل الحرب ٣٤٠٠، وبعد الحرب ٣

منازل الأرمن قبل الحرب ٣١٠٠، وبعد الحرب ١١٧٠

مدينة بتليس قبل وبعد حرب ١٩١٩

منازل المسلمين قبل الحرب ٦٥٠٠، وبعد الحرب لا شئ

منازل الأرمن قبل الحرب ١٥٠٠، وبعد الحرب ١٠٠٠

أما عن القرى في إقليم وان وسنجق وبايزيد قبل الحرب والاحتلال الأرمني وبعدهما فجاء في إحصائية نايلز وسذرلاند: أن تعداد منازل المسلمين قبل الحرب في قرى إقليم وان كان (١٣٧٣) منزلاً وانخفض بعد الحرب في ١٩١٩م إلى ٣٥٠

منزلاً!! بينما كانت منازل الأرمن ١١٢ منزلاً قبل الحرب فزادت بعد الحرب إلى ٢٠٠ منزلاً!

وفي قرى إقليم بايزيد كان عدد منازل المسلمين قبل الحرب ٤٤٨ منزلاً صارت بعد الحرب في عام ١٩١٩م ٢٤٣ منزلاً! بينما منازل الأرمن كانت قبل الحرب ٣٣ منزلاً ظلت كما هي بعد الحرب ٣٣ منزلاً!

وقد لخص نايلز وسذرلاند تاريخ مسلمي شرق الأناضول بدقة في ختام تقريرهما: "ومع أنها لا تقع ضمن مجال تحقيقنا تماماً، إلا أن إحدى أبرز الحقائق التي أثرت فينا في كل بقعة من بتليس إلى طربزون هي أن الأرمن ارتكبوا ضد الأتراك في المنطقة التي اجتزناها كل أنواع الجرائم والانتهاكات التي ارتكبها الأتراك في مناطق أخرى ضد الأرمن. كنا نشك في البداية إلى حد بعيد بالروايات التي أخبرنا بها، لكن إجماع الشهود جميعهم، واللهفة الجلية التي تحدثوا بها عن الأعمال الشريرة التي ارتكبها الأتراك في مناطق أخرى ضد الأرمن. كنا نشك في البداية إلى حد بعيد بالروايات التي أخبرنا بها، لكن إجماع الشهود جميعهم، واللهفة الجلية التي تحدثوا بها عن الأعمال الشريرة التي ارتكبت بحقهم، وكراهيتهم الواضحة للأرمن، والأقوى من ذلك كله الأدلة المادية على الأرض نفسها، جعلنا نقتنع بصحة الحقائق على نحو عام، أولاً إن الأرمن قتلوا مسلمين على نطاق واسع وبتفنن كثير في أسلوب الوحشية، وثانياً إن الأرمن مسؤولون عن أكثر التدمير للمدن والقرى. احتل الروس والأرمن البلاد فترة طويلة في عام ١٩١٥م وعام ١٩١٦م ويبدو أنه خلال تلك الفترة كانت الفوضى محدودة، مع أن الروس من غير ريب تسببوا بأضرار. في عام ١٩١٧م انحل الجيش الروسي تاركاً السلطة في أيدي الأرمن وحدهم. في تلك الفترة طافت على البلاد عصابات من الجيش الأرمني فنهبت وقتلت السكان المدنيين المسلمين. حين زحف الجيش التركي إلى أرزجان وأرضروم ووان، تفكك الجيش الأرمني وارتكب جميع الجنود النظاميين وغير النظاميين على تدمير ممتلكات المسلمين وارتكاب الأعمال الوحشية ضد السكان المسلمين. كانت النتيجة بلداً مدمراً كاملاً يحتوي على ربع عدد سكانه السابقين

وثُمن مبانيه السابقة، وكراهية مريرة إلى حد بعيد من المسلمين للأرمن، ما يجعل عيش هذين العنصرين معاً مستحيلاً في الوقت الحاضر. أعلن المسلمون أنهم إذا أجبروا على العيش في ظل حكومة أرمينية فإنهم سيقاتلون، ويبدو لنا أنهم ربما ينفذون هذا التهديد. يشاركنا في هذا الرأي الضباط الأتراك والبريطانيون والأمريكيون الذين قابلناهم" أهـ (مكارثي: ص٢٥٣، ص٢٥٤).

هذه مجرد شهادة عن المجازر التي ارتكبها الأرمن ضد المسلمين خلال الحرب العالمية الأولى من ١٩١٤م إلى ١٩١٨م في إقليمي (وان) و(بتليس) شرق الأناضول فما بالنا لو تكلمنا عن نقصان عدد السكان المسلمين في الأقاليم العثمانية الشرقية مجتمعة مثل أرضروم وبتليس وديار بكر ومعمورة العزيز وسيواس وحلب وأطنة طرابزون من عام ١٩١٢م إلى عام ١٩٢٢م سنجد أن أكثر ٦٢٪ من مسلمي إقليم (وان) قد فقدوا! وفقد ٤٢٪ من مسلمي بتليس، وفقد ٣١٪ من مسلمي أرضروم!! وأكثر من ٦٠٪ قد فقدوا من مسلمي القفقاس!!

أما في أقاليم غربي الأناضول مثل آيدين، وخداوندكار، وبيغا، وإذميد.. حيث قام الحلفاء بطرد اللاجئين الأتراك من البلقان التي كانوا يقيمون فيها وأعطوا ممتلكاتهم إلى اليونانيين! وتركوهم من دون مأوى! في أكبر سرقة جماعية علانية في التاريخ!! لقد كانت جريمة قتل عمد جماعي مع سبق الإصرار والترصد ضد المسلمين في القفقاس والأناضول والبلقان بمباركة قوى الاستكبار العالمي في تلك الحقبة الكئيبة والنهاية المأساوية للخلافة العثمانية التي ظلت شمسها تشرق في سماء العالم على مدار ستة قرون!!

خامساً: صفوت القول هكذا استبان لنا بجلاء هشاشة هذه الفرية (إبادة الأرمن على أيدي العثمانيين)! التي يرددها الأرمن ومن يؤيدهم ويحرضهم !! لقد قتل ملايين المسلمين على أيدي الأرمن والروس واليونان والبلغار والصرب وغيرهم من القوى المعادية للدولة العثمانية المسلمة التي عاش في كنفها مختلف الطوائف في أمن وأمان!! ولم يطالب أحد بمعاقبة الجناة المجرمين الذين ارتكبوا هذه المجازر الجماعية! المسلمون

الذين كانوا ولا يزالون ضحايا هذه المجازر البشرية البشعة يقدمون على أنهم جناة متوحشون!

المشكلة الحقيقة في هذه الأنظمة المنتسبة إلى العالم الإسلامي في عدم مطالبتها ولو على استحياء بمعاقبة مرتكبي الجرائم المتكررة في حق المسلمين في القفقاس والشيشان التي انقرض سكانها! والشعوب التي أبيدت في البلقان والمقابر الجماعية في البوسنة والهرسك! وأكثر من ملوني مسلم في العراق لوحدها! واختفاء قرى ومدائن كاملة في أفغانستان خلال العدوان البربري من البريطانيين والروس والأمريكان والحبل على الجرار!

هذه الأنظمة الجاثمة على أنفاس أمتنا لم تتخذ قراراً صائباً في حياتها لإنصاف شعوبها والمطالبة الجدية من الفرنسيس والإنجليز والأسبان والطليان والهولنديين والروس والأمريكان بتعويض ملايين الضحايا في الجزائر والمغرب وليبيا وتونس ومصر وإندونيسيا وماليزيا وكشمير وتايلاند والصومال والسودان!!

لقد نكأ الأرمن جراحاً لم تلتئم بعد! وجددوا أحزاناً لم تهدأ بعد! وأثاروا شجوناً لن تهدأ حتى تُعوض أجنة المسلمين في رحم المستقبل! إن العالم الغربي مدين بالاعتذار الصريح للمسلمين والتعويض اللائق جراء الجرائم التي ارتكبها في الحروب الصليبية قديماً وحديثاً ! نعم مطالب بالاعتذار والتعويض عن الإبادات الجماعية للمسلمين خلال عدة قرون!

أما أن نستجديهم ونسترحمهم في كل قضية ملفقة يثيرونها ونظل هكذا ندافع ونقدم قرابين الذل والهوان على عتبات مجلس الأمن والاتحاد الأوربي.. فهذا الهلاك بعينه! وخير لهذه الأمة أن تبتلعها الأرض من أن تعيش في ذل وانكسار!!

العيب في فينا كأمة رضيت بالدنية فصفقت لجلاديها ولم تطالب بمعاقبة قاتليها!

تاريخ ٧ شوال ١٤٢٨هـ ١٩ أكتوبر ٢٠١٩

# حكم ضرب المتهم وخداعه والتحايل عليه

د. هاني السباعي

مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية

سأل سائل عن حكم الشريعة الإسلامية في ضرب المتهم أو خداعه ليقر بالجريمة؟[١٢٦] وهل يعتد بهذا الاعتراف أمام القاضي الشرعي أم لا يعتد بهذا الاعتراف ومن ثم يعفى المتهم من المسئولية الجنائية؟

وقبل أن نشرع في تفصيل الاتجاهات الفقهية لهذه القضية نبدأ بمقدمة موجزة حول الإكراه (تعريفه/أنواعه/حده/مستنده الشرعي) على النحو التالي:

(أ) تعريف الإكراه وأنواعه:

يعرف ابن الشحنة الحنفي الإكراه بقوله: (تهديد القادر على ما هدده على أمر بحيث ينتفي الرضا" وفي درر الحكام: "الإكراه هو إجبار أحد على أن يعمل عملاً بغير حق من دون رضاه بالإخافة، ويقال له المكرَه (بفتح الراء) ويقال لمن أجبره (مجبر) ولذلك العمل مكره عليه وللشئ الموجب للخوف مكره به"[١٢٧]

(ب) أنواع الإكراه:

قال الفقهاء إن: "الإكراه على قسمين؛ الأول: هو الإكراه الملجئ الذي يكون بالضرب الشديد المؤدي إلى إتلاف النفس أو قطع عضو. والثاني: هو الإكراه غير الملجئ الذي يوجب الغم والألم فقط كالضرب والحبس غير المبرح والمديد"[١٢٨]

---

١٢٦ هذا البحث منشور في كتابنا (إثبات جريمة القتل العمد دراسة في الفقه الجنائي المقارن) بتصرف يسير من مطبوعات مركز المقريزي بلندن عام ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦.

١٢٧ علي حيدر: درر الحكام شرح مجلة الأحكام مج٢ ص٦٥٨ مادة: ٩٤٨.

١٢٨ علي حيدر: درر الحكام مج٢ ص٦٦٠ مادة: ٩٤٩.

أقول: يتفق الفقهاء على بطلان الإقرار الذي يكون وليد الإكراه الملجئ. أما القسم الثاني: فقد اختلف الفقهاء بشأنه وخاصة إكراه المجرمين عتاة الإجرام وأرباب السوابق وتزعم هذه المدرسة ابن قيم الجوزية وآخرون.

(ج) حد الإكراه:

اختلف العلماء في حد الإكراه: قال عمر بن الخطاب: "ليس الرجل آمن على نفسه إذا أخفته أو أوثقته أو ضربته. وقال ابن مسعود: ما كلام يدرأ عني سوطين إلا كنت متكلماً به. وقال الحسن: التقية جائزة للمؤمن إلى يوم القيامة؛ إلا أن الله تبارك وتعالى ليس يجعل في القتل تقية. وقال النخعي: القيد إكراه، والسجن إكراه. وهذا قول مالك، إلا أنه قال: والوعيد المخوف إكراه وإن لم يقع إذا تحقق ظلم ذلك المتعدي وإنفاذه لما يتوعد به، وليس عند مالك وأصحابه في الضرب والسجن توقيت، وإنما هو ما كان يؤلم من الضرب، وما كان من سجن يدخل منه الضيق على المكره. وإكراه السلطان وغيره عند مالك إكراه"[١٢٩]

قال القرطبي: " وتناقض الكوفيون فلم يجعلوا السجن والقيد إكراهاً على شرب الخمر وأكل الميتة؛ لأنه يخاف منها التلف، وجعلوها إكراهاً في إقراره لفلان عندي ألف درهم. قال سحنون: وفي إجماعهم على أن الألم والوجع الشديد إكراه، ما يدل على أن الأكراه يكون من غير تلف نفس. وذهب مالك إلى أن من أكره على يمين بوعيد أو سجن أو ضرب أنه يحلف ولا حنث عليه؛ وهو قول الشافعي وأحمد وأبي ثور وأكثر العلماء"[١٣٠]

قال في المحلى:

"الإكراه: هو كل ما سمي في اللغة إكراهاً، وعرف بالحس أنه إكراه كالوعيد بالقتل ممن لا يؤمن منه إنفاذ ما توعد به، والوعيد بالضرب كذلك، أو الوعيد بالسجن

---

١٢٩ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن تحقيق د. محمد إبراهيم الحفناوي ود. محمود حامد عثمان دار الحديث القاهرة ط٢ ١٤١٦هـ مج٩ ١٠ الجزء العاشر ص١٩٧.

١٣٠ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن تحقيق د. محمد إبراهيم الحفناوي ود. محمود حامد عثمان دار الحديث القاهرة ط٢ ١٤١٦هـ مج٩ ١٠ الجزء العاشر ص١٩٧.

كذلك، أو الوعيد بإفساد المال كذلك، أو الوعيد في مسلم غيره بقتل، أو ضرب، أو سجن، أو إفساد مال، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه)"[١٣١]

(د) المستند الشرعي للإقرار تحت الإكراه:

استند الفقهاء إلى الأدلة التالية من الكتاب والسنة:

قوله تعالى: (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان)[١٣٢] قال القرطبي: "لما سمح الله عز وجل بالكفر به وهو أصل الشريعة عند الإكراه ولم يؤاخذ به، حمل العلماء عليه فروع الشريعة كلها، فإذا وقع الإكراه عليها لم يؤاخذ به ولم يترتب عليه حكم"[١٣٣]

ثانياً: حديث: (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)[١٣٤] رمز إليه

---

١٣١ ابن حزم: المحلى/تحقيق د.عبد الغفار سليمان البنداري/دار الكتب العلمية/بيروت/ج٧ص٢٠٣،ص٢٠٤.

١٣٢ النحل: آية ١٠٦.

١٣٣ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن تحقيق د. محمد إبراهيم الحفناوي ود. محمود حامد عثمان دار الحديث القاهرة ط٢ مج٩ ١٠ الجزء العاشر ص١٩٠.

١٣٤ لقد تتبع ابن حجر العسقلاني طرق إسناد هذا الحديث في تلخيص الحبير على النحو التالي: " حديث ( رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه) قال النووي في الطلاق من الروضة في تعليق الطلاق: حديث حسن، وكذا قال في اواخر الأربعين له انتهى. رواه بن ماجة وابن حبان والدارقطني والطبراني والبيهقي، والحاكم في المستدرك من حديث الأوزاعي واختلف عليه: فقيل عنه عن عطاء عن عبيد بن عمير عن بن عباس بلفظ إن الله وضع وللحاكم والدارقطني والطبراني تجاوز وهذه رواية بشر بن بكر ورواه الوليد بن مسلم عن الأوزاعي فلم يذكر عبيد بن عمير قال البيهقي جوده بشر بن بكر وقال الطبراني في الأوسط لم يروه عن الأوزاعي يعني مجودا إلا بشر تفرد به الربيع بن سليمان والوليد فيه إسنادان آخران روى عن محمد بن المصفى عنه عن مالك عن نافع عن ابن عمر وعن ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن عقبة بن عامر قال بن أبي حاتم في العلل سألت أبي عنها فقال هذه أحاديث منكرة كأنها موضوعة وقال في موضع آخر منه لم يسمعه الأوزاعي من عطاء إنما سمعه من رجل لم يسمه أتوهم أنه عبد الله بن عامر الأسلمي أو إسماعيل بن مسلم قال ولا يصح هذا الحديث ولا يثبت إسناده. وقال عبد الله بن أحمد في العلل سألت أبي عنه فأنكره جدا وقال ليس يروى هذا إلا عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم ونقل الخلال عن أحمد قال من زعم أن الخطأ والنسيان مرفوع فقد خالف كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن الله أوجب في قتل النفس الخطأ الكفارة يعني من زعم ارتفاعهما على العموم في خطاب الوضع والتكليف قال محمد بن نصر في كتاب الاختلاف في باب طلاق المكره يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال (رفع الله عن هذه الأمة الخطأ والنسيان وما أكرهوا عليه) إلا أنه ليس له إسناد يحتج بمثله. ورواه العقيلي في تاريخه من حديث الوليد عن مالك به ورواه البيهقي وقال قال الحاكم هو صحيح غريب تفرد به الوليد عن مالك. وقال البيهقي في موضع آخر ليس بمحفوظ عن مالك ورواه الخطيب في كتاب الرواة عن مالك في ترجمة سوادة بن إبراهيم عنه وقال سوادة مجهول والخبر منكر عن مالك. ورواه ابن ماجة من

الألباني بالصحة في صحيح الجامع الصغير.[١٣٥] قال السرخسي: "وليس للمكره اختيار صحيح معتبر شرعاً فيما تكلم به بل هو مكره عليه، والإكراه يضاد الاختيار، فوجب اعتبار هذا الإكراه في انعدام اختياره به لكونه إكراهاً بالباطل، ولكونه معذوراً في ذلك، فإذا لم يبق له قصد معتبر شرعاً التحق بالمجنون"[١٣٦]

أما عن مسألة ضرب المتهم ليقر بالجريمة فسنتناولها على النحو التالي:

اختلف الفقهاء في ذلك إلى اتجاهين:

الاتجاه الأول: يشترط أن يكون الإقرار صادراً عن إرادة حرة، ولذا يجب استبعاد وسائل التأثير المختلفة لحمل المتهم على إقرار كالإكراه بالضرب أو أخذ المال.

الاتجاه الثاني: يرى قبول الإقرار ولو كان نتيجة إكراه بالضرب أو بالسجن أو ما أشبه ذلك شريطة أن يخرج جسم الجريمة.

ونتسعرض هذين الرأيين على النحو التالي:

الاتجاه الأول: صدور الإكراه عن إرادة حرة:

---

حديث أبي ذر وفيه شهر بن حوشب وفي الإسناد انقطاع أيضا ورواه الطبراني من حديث أبي الدرداء ومن حديث ثوبان وفي إسنادهما ضعف وأصل الباب حديث أبي هريرة في الصحيح من طريق زرارة بن أوفى عنه بلفظ إن الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تعمل به أو تكلم به ورواه بن ماجة ولفظه عما توسوس به صدورها بدل ما حدثت به أنفسها وزاد في آخره وما استكرهوا عليه والزيادة هذه أظنها مدرجة كأنها دخلت على هشام بن عمار من حديث في حديث والله أعلم. (تنبيه): تكرر هذا الحديث في كتب الفقهاء والأصوليين بلفظ رفع عن أمتي ولم نره بها في الأحاديث المتقدمة عند جميع من أخرجه نعم رواه بن عدي في الكامل من طريق جعفر بن جسر بن فرقد عن أبيه عن الحسن عن أبي بكرة رفعه (رفع الله عن هذه الأمة ثلاثا الخطأ والنسيان والأمر يكرهون عليه) وجعفر وأبوه ضعيفان، كذا قال المصنف وقد ذكرناه عن محمد بن نصر بلفظه، وقد جدته في فوائد أبي القاسم الفضل بن جعفر التميمي المعروف بأخي عاصم حدثنا الحسين بن محمد ثنا محمد بن مصفى ثنا الوليد بن مسلم ثنا الأوزاعي عن عطاء عن ابن عباس بهذا ولكن رواه ابن ماجة عن محمد بن مصفى بلفظ (إن الله وضع). راجع: ابن حجر: تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير/تحقيق: حسن بن عباس بن قطب/ مؤسسة قرطبة/جدة/ط أولى /١٤١٦هـ ١٩٩٥م /ج١ ص٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢.

١٣٥ الألباني: محمد ناصر الدين: صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير) المكتب الإسلاميبيوت ط٣ ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م ج١ ص٦٥٩ الحديث رقم ٣٥١٥.

١٣٦ السرخسي: المبسوط دار الفكر بيروت ط١ ١٣٢١هـ / ٢٠٠٠م مج١٢ ص٤٠٧٩.

يشترط أن يكون الإقرار صادراً عن إرادة حرة، ولذا يجب استبعاد وسائل التأثير المختلفة لحمل المتهم على إقراره كالإكراه بالضرب أو أخذ المال: قال شريح: "القيد كره، والوعيد كره، والضرب كره، والسجن كره"[١٣٧]

ويقول الماوردي: "وإن ضرب ليقر لم يكن لإقراره تحت الضرب حكم"[١٣٨]

قال الطرابلسي: "وأما لو أكرهته على الإقرار بحد أو قصاص فلا يجوز"[١٣٩]

"وفي الولوالجي: إذا كان الرجل من الأشراف أو من الأجلاء أو من كبراء العلماء أو الرؤساء بحيث يستنكف عن ضرب سوط أو حبس ساعة لم يجز إقراره، لأن مثل هذا الرجل يؤثر ألف درهم على ما يلحق من الهوان بهذا القدر من الحبس والقيد فكان مكرهاً، وكذا الإقرار حجة لترجح جانب الصدق فيه على جانب الكذب، وعند الإكراه يحتمل أنه يكذب لدفع المضرة"[١٤٠]

وفي البدائع: "الإكراه يمنع صحة الإقرار، سواء كان المقر به مما يحتمل الفسخ أو لا يحتمل، وسواء كان مما يسقط بالشبهات كالحدود والقصاص أو لا"[١٤١]

ويرى الكاساني أن إخلاء سبيل المتهم الذي أكره على الإقرار(الأول) ثم قبض عليه مرة أخرى لا يصح إقراره الثاني طالما كان تحت بصر من أكرهه أولاً إذ يقول: "ولو أكرهه على الإقرار بذلك (كالحدود والقصاص) ثم خلى سبيله فهذا على وجهين: إما أن يتوارى عن بصر المكره حينما خلى سبيله، وإما أن لا يتوارى عن بصره حتى بعث من أخذه ورده إليه. فإن كان توارى عن بصره ثم أخذه فأقر إقراراً مستأنفاً جاز إقراره لأنه لما خلى سبيله حتى توارى عن بصره فقد زال الإكراه عنه، فإذا أقرّ به من غير إكراه جديد فقد أقرّ طائعاً

---

١٣٧ السرخسي: المبسوط مج١٢ ص٤٠٧٤.

١٣٨ الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية تحقيق عماد زكي البارودي المكتبة التوفيقة القاهرة ٣٧٥.

١٣٩ الطرابلسي: علاء الدين أبو الحسن علي بن خليل الحنفي: معين الحكام ص١٧.

١٤٠ ابن الشحنة الحنفي: أبو الوليد إبراهيم بن أبي اليمن محمد بن أبي الفضل: لسان الحكام في معرفة الأحكام - مطبعة مصطفى البابي الحلبي/ط٢- ١٣٩٣هـ /١٩٧٣م/مطبوع في مجلد واحد مع كتاب معين الحكام للطرابلسي ص٣١١ ، ص٣١٣.

١٤١ ابن الشحنة: لسان الحكام ص٣١٢.

فصح إقراره لأنه لما خلى سبيله حتى توارى عن بصره بعد حتى رده إليه فأقرّ به من غير إكراه جديد فقد أقرّ طائعاً فصح وإن كان لم يتوار عن بصره بعد حتى رده إليه فأقرّ به من غير تجديد الإكراه لم يصح لأنه لما لم يتوار عن بصره فهو على الإكراه الأول"[١٤٢]

"ولو أكرهه على الإقرار بالقصاص فأقر به فقتله حيثما أقر به من غير بينة، فإن كان المقر معروفاً بالدعار يدرأ عنه القصاص استحسانا، وإن لم يكن معروفاً بها يجب القصاص"[١٤٣]

يقول السرخسي: "ولو أن قاضياً أكره رجلاً بتهديد ضرب أو حبس أو قيد حتى يقر على نفسه بحد أو قصاص كان الإقرار باطلاً، لأن الإقرار متمثل بين الصدق والكذب، وإنما يكون حجة إذا ترجح جانب الصدق على جانب الكذب، والتهديد بالضرب والحبس يمنع رجحان جانب الصدق على ما قال عمر رضي الله عنه: ليس الرجل على نفسه بأمير إذا ضربت أو أوثقت، ولم ينقل عن أحد من المتقدمين من أصحابنا (أي الأحناف) رحمهم الله صحة الإقرار مع التهديد بالضرب والحبس في حق السارق وغيره"[١٤٤]

رأي لجنة الفتوى بالأزهر:

وعرضت لجنة الفتوى بالأزهر قضية ضرب المتهم فذكرت آراء الفقهاء وإن كنا نميل إلى أن الفتوى مالت إلى عدم ضرب المتهم ليقر:

"سئل : هل يجوز ضرب المتهم ليقر بما ارتكبه من مخالفة، وهل يُعْتَد بهذا الإقرار؟

أجاب : جاء في "الأحكام السلطانية" للماوردي ص. ٢٢ أنه يجوز للأمير مع قوة التهمة أن يضرب المتهم ضرب التعزير لا ضرب الحد، ليأخذه بالصدق عن حاله فيما قرف به واتهم ، فإن أقر وهو مضروب اعتبرت حاله فيما ضرب عليه ، فإن ضرب ليقر لم يكن لإقراره تحت الضرب حكم ، وإن ضرب ليصدق عن حاله وأقر تحت الضرب قطع

---

١٤٢ السابق ص٣١٢.

١٤٣ السابق ص٣١٢.

١٤٤ السرخسي: المبسوط ج١٢ ص٤٠٩٠.

ضربه واستعيد إقراره ، فإذا أعاده كان مأخوذا بالإقرار الثانى دون الأول. فإن اقتصر على الإقرار الأول ولم يستعده لم يضيق عليه أن يعمل بالإقرار الأول وإن كرهناه. والرأي المختار عند الأحناف والإمام الغزالى من الشافعية أن المتهم بالسرقة لا يُضرب، لاحتمال كونه بريئًا ، فترك الضرب فى مذنب أهون من ضرب برئ وفى الحديث (لأن يخطئ الإمام في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة) وأجاز أصحاب الإمام مالك ضرب المتهم بالسرقة ، وذلك لإظهار المسروق من جهة، وجعل السارق عبرة لغيره من جهة أخرى"[١٤٥]\

الاتجاه الثاني: قبول الإكراه ولو كان نتيجة ضرب المتهم:

يرى قبول الإقرار ولو كان نتيجة إكراه بالضرب أو بالسجن أو ما أشبه ذلك شريطة أن توجد جثة القتيل: وممن قال بضرب المتهم الإمامية وبعض المالكية والظاهرية وبعض الحنابلة وفي مقدمتهم ابن القيم شريطة أن يخرج المتهم جثة القتيل وحجتهم في ذلك الأدلة التالية:

أدلة القائلين بجواز ضرب المتهم:

روى ابن إسحاق بسنده عن عبد الله بن عمر: "وأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بكنانة بن الربيع، وكان عنده كنز بني النضير، فسأله عنه، فجحد أن يكون يعرف مكانه، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من يهود، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة،؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة: أرأيت إن وجدناه عندك، أأقتلك؟ قال: نعم؛ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت، فأخرج منها كنزهم، ثم سأله عما بقي، فأبى أن يؤديه، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام، فقال: عذبه حتى تستأصل ما عنده، فكان الزبير يقدح بزند في صدره، حتى أشرف على نفسه، ثم دفعه رسول الله إلى محمد بن مسلمة، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة"[١٤٦]

---

١٤٥ الأزهر: فتاوى دار الإفتاء المصرية منذ عام ١٣١٢هـ بجانب لجنة الفتوى بالأزهر- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية/القاهرة/الفتوى رقم (١٢٥) عام ١٩٩٧م أجاب على الفتوى الشيخ عطية.

١٤٦ ابن هشام: السيرة النبوية تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي دار إحياء التراث العربي/بيروت/ط أولى ١٣١٥هـ /١٩٩٥م ج٣ ص٣٦٦.

وفي سنن البيهقي: ساق بسنده عن ابن إسحاق عن عبد الله بن عمر: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل أهل خيبر حتى ألجأهم إلى قصرهم فغلب على الأرض والزرع والنخل فصالحوه على أن يجلوا منها ولهم ما حملت ركابهم ولرسول الله صلى الله عليه وسلم الصفراء والبيضاء ويخرجون منها واشترط عليهم أن لا يكتموا ولا يغيبوا فإن فعلوا فلا ذمة لهم ولا عهد فغيبوا مسكاً فيه مال وحلي لحيي بن أخطب كان احتمله معه إلى خيبر حين أجليت النضير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعم حيي ما فعل مَسْك حيي الذي جاء به من النضير. فقال: أذهبته النفقات والحروب. فقال: العهد قريب والمال أكثر من ذلك فدفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الزبير فمسه بعذاب. وقد كان حيي قبل ذلك قد دخل خربة فقال رأيت حيياً بن أخطب يطوف في خربة هاهنا فذهبوا فطافوا فوجدوا المسك في الخربة فقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابني حقيق"[١٤٧]

قال ابن القيم: "وأما ضرب المتهم إذا عرف أن المال عنده - وقد كتمه وأنكره -فيضرب ليقر به، فهذا لا ريب فيه، فإنه ضرب ليؤدي الواجب الذي يقدر على وفاته، كما في حديث ابن عمر: "أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صالح أهل خيبر على الصفراء والبيضاء، سأل زيد بن سعية عم حيي بن أخطب. فقال: أين كنز حي؟ فقال: يا محمد أذهبته النفقات. فقال للزبير: دونك هذا. فمسه الزبير بشئ من العذاب، فدلهم عليه في خربة، وكان حلياً في مسك ثور"[١٤٨] ثم علق ابن القيم على الحديث بقوله:"فهذا أصل في ضرب المتهم"[١٤٩]

أقول: لكن هذا الفريق اشترط أن يكون المتهم من أرباب السوابق: "أن يكون المتهم معروفاً بالفجور، كالسرقة وقطع الطريق والقتل ونحو ذلك"[١٥٠]

أما في سنن أبي داود: فقد ساق بسنده عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قاتل أهل خيبر فغلب على النخل والأرض، وألجأهم إلى قصرهم، فصالحوه على

١٤٧ البيهقي: سنن البيهقي كتاب السير حديث رقم ١٨٨٥١.
١٤٨ ابن القيم: الطرق الحكمية دار الكتب العلمية بيروت ص٨٣.
١٤٩ ابن القيم: السابق ص٨٣.
١٥٠ ابن القيم: السابق ص79.

أن لرسول الله صلى الله عليه وسلم الصفراء والبيضاء والحلقة، ولهم ما حملت ركابهم، على أن لا يكتموا ولا يغيبوا شيئاً، فإن فعلوا ذمة لهم ولا عهد، فغيبوا مسكاً لحيي بن أخطب، وقد كان قتل قبل خيبر، كان احتمله معه يوم بني النضير حين أجلت النضير، فيه حليهم، قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم لسعية: أين مسك حيي بن أخطب؟ قال: أذهبته الحروب والنفقات، فوجدوا المسك، فقتل ابن أبي الحقيق"[١٥١]

حسنه الألباني في تخريجه لسنن أبي داود.[١٥٢]

الثاني: الاستدلال بفتوى لأحد فقهاء الأحناف (الحسن بن زياد)[١٥٣] بأنه أفتى بجواز ضرب المتهم"أنه يحل ضرب السارق حتى يقر وقال: ما لم يقطع اللحم أو يظهر العظم"[١٥٤]

مناقشة أدلة القائلين بضرب المتهم:

أما بالنسبة لحديث ابن عمر في قصة أرض خيبر وكنز حيي بن أخطب ملاحظاتنا عليه تتلخص في الآتي:

(١): نلاحظ أن مدار الحديث على محمد بن إسحاق المتوفى في ١٥١هـ[١٥٥]

---

١٥١ أبو داود: سنن أبي داود الدار المصري اللبنانية القاهرة ١٤٠٨هـ /١٩٨٨م ج٣ ص١٥٦ ، ص١٥٧.

١٥٢ الألباني: صحيح أبي داود ص٢٥٩٧.

١٥٣ ذكره اللكنوي في تراجم الحنفية بقوله: " الحسن بن زياد الؤلؤي الكوفي صاحب أبي حنيفة كان يقظاً فطناً فقيهاً نبيهاً وعن يحيى بن آدم ما رأيت أفقه من الحسن بن زياد ولي القضاء بالكوفة بعد حفص بن غياث سنة أربع وتسعين ومائة، وعن الطحاوي أن الحسن بن زياد والحسن بن أبي مالك ماتا في سنة أربع ومائتين" اللكنوي الهندي: أبو الحسنات محمد بن عبد الحي: الفوائد البهية في تراجم الحنفية/ تحقيق محمد بدر الدين أبو فراس /دار الكتاب الإسلامي/بيروت/ص٦٠ ، ص٦١.

١٥٤ ابن الشحنة: لسان الحكام ص٣١٢.

١٥٥ هو محمد بن إسحاق بن يسار العلامة الحافظ الإخباري أبو بكر، وقيل: أبو عبد الله القرشي المطلبي (..) صاحب السيرة النبوية. نشأ ابن إسحاق في المدينة المنورة، وجالس العلماء وحفظ الحديث. وتتلمذ على يد القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، وأبان بن عثمان، ونافع مولى ابن عمر، وابن شهاب الزهري، وقيل رأى أنس بن مالك وسعيد بن المسيب، ونظراً لرحلاته وتنقلاته الكثيرة بين أمصار العالم الإسلامي تفرد بأحاديث عن شيوخ تلك الأمصار. يقول عنه شمس الدين الذهبي: "فله ارتفاع بحسبه، ولاسيما في السير، أما في أحاديث الأحكام فينحطُّ حيثه فيها عن رتبة الصحة إلى رتبة الحسن، إلا فيما يعد منكراً. هذا الذي عندي في حاله والله أعلم" الذهبي: سير أعلام النبلاء ج٧/ص٤٠ و٤١. وقال عنه العراقي: "المشهور قبول حديث ابن اسحاق إلا أنه مدلس فإذا صرح بالتحديث

الذي انفرد بفقرة: بتعذيب الزبير لـ (سعية) عم حيي ليدله على الكنز المخبأ في وعاء من الجلد ثم ذكره البيهقي في كتاب السير في سننه. لكن قصة تعذيب الزبير لعم حيي لم ترد في رواية أبي داود. مما يجعلنا لا نطمئن إلى رواية ابن إسحاق وخاصة أنها لم ترد في كتب الصحاح أو السنن إلا سنن البيهقي وخاصة تلك الزيادة التي ذكرها ابن إسحاق عن تعذيب الزبير لعم حيي بن أخطب.

(٢) على افتراض صحة الحديث بزيادته الواردة عن تعذيب ابن الزبير لعم حيي بن أخطب فإن هذا ليس مسوغاً لتعميمه على كل الحالات إذ أن الأمر بضرب المتهم في حالة حرب وبعد نقض العهد، وكان بأمر ولي الأمر وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكن بتصرف فردي للزبير بن العوام كما يحدث الآن من انتهاكات رجال الشرطة وممارساتهم التعذيب بصفة دورية قبل أن يعرض المتهم على القاضي المختص. فالحالات التي ذكرها ابن القيم ومن يرى رأيه في ضرب المتهم أن يكون ذلك في حضرة القاضي وبأمره بعد وجود دلائل كافية يقتنع بها القاضي أن المتهم من أرباب السوابق في اقتراف مثل هذه الجرائم كالقتل العمد، أو ما يطلق عليه في بعض البلاد بالقاتل المأجور أو القاتل المرتزق.

(٣) أما الاستدلال بفتوى الحسن بن زياد صاحب أبي حنيفة فقد أكد السرخسي أنه قد ندم على فتواه بقوله: "روي عن الحسن بن زياد رضي الله عنه أن بعض الأمراء بعث إليه وسأله عن ضرب السارق ليقر فقال: ما لم يقطع اللحم أو يبين العظم، ثم ندم على مقالته وجاء بنفسه إلى مجلس الأمير ليمنعه من ذلك فوجده قد ضربه حتى

---

كان حديثه مقبولا" العراقي: طرح التثريب شرح التقريب /ج٨ ص٧٢. قال يعقوب بن شيبة: سمعت ابن نمير وذكر ابن إسحاق فقال: "إذا حدث عمن سمعه منه من المعروفين فهو حسن الحديث صدوق.. وإنما أتى من أنه يحدث عن المجهولين أحاديث باطلة" (البغدادي: تاريخ بغداد: ج١ / ٢٧٧)

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل قيل لأبي يحتج به يعني ابن إسحاق قال: لم يكن يحتج به في السنن. وقيل لأحمد: إذا انفرد ابن اسحاق بحديث تقبله؟ قال: لا والله إني رأيته يحدث عن جماعة بالحديث الواحد ولا يفصل كلام ذا من كلام ذا" الذهبي: سير أعلام النبلاء ج٧ /٤٦. وقال أحمد (وأما ابن إسحاق فيكتب عنه هذه الأحاديث يعني المغازي ونحوها فإذا جاء الحلال والحرام أردنا قوماً هكذا. قال أحمد (ابن حنبل) بيده وضم يديه وأقام الإبهامين" ابن معين: تاريخ ابن معين: ج٢ /٥٠٤ ، ٥٠٥.وقال الذهبي: "وابن إسحاق حجة في المغازي إذا أسند وله مناكير وعجائب" الذهبي: العلو ص٣٩.

اعترف وجاء بالمال، فلما رأى المال موضوعاً بين يدي الأمير قال: ما رأيت ظلماً أشبه بالحق من هذا"[١٥٦] ويعلق السرخسي وهو من أئمة الحنفية على هذه الحالة بقوله: "فإن خلى سبيله بعد ما أقر مكرهاً، ثم أخذ بعد ذلك فجئ به فأقر بما كان عليه بغير إكراه مستقل أخذ بذلك كله، لأن إقراره الأول كان باطلاً، ولما خلى سبيله فقد انتهى حكم ذلك الأخذ والتهديد، فصار كأن لم يوجد أصلاً حتى أخذ الآن فأقر بغير إكراه وإن كان لم يخل سبيله، ولكنه قال له وهو في يده بعد ما أقر: إني لا أؤاخذك بإقرارك الذي أقررت به ولا أضربك ولا أحبسك ولا أعرض لك، فإن شئت فأقر، وإن شئت فلا تقر، وهو في يد القاضي على حاله، لم يجز هذا الإقرار لأن كينونته في يده حبس منه له، وإنما كان هدده بالحبس فما دام حابساً له كان أثر ذلك الإكراه باقياً"[١٥٧]

(٤): القاضي سحنون أمر بضرب القاضي ابن أبي الجواد بتهمة خيانة الأمانة:

ذكر بعض علماء المالكية مسألة ضرب المتهم حتى لو كان قاضياً واستشهدوا على ذلك بقضية القاضي سحنون وهو من كبار علماء المالكية مع القاضي ابن أبي الجواد حيث ذكر صاحب المعيار المعرب: "يسجن القاضي ويضرب إذا عرف بالشر والسرقة: وعن أصبغ فيمن كان معروفاً بالشر والسرقة يسجن أبداً وهو الصواب. وكان سحنون يضرب ابن أبي الجواد القاضي ويعيده في السجن، وكان عنده أموال اليتامى"[١٥٨]

وأصل القصة كما ذكرها الونشريسي عن ابن أبي الجواد: "أنه كان قاضياً بالقيروان ثم عزل ورجع سحنون في موضعه ونظر في ديوان الودائع فوجد فيه مالاً لورثة رجل يقال له ابن (القلفاط) فأحضر وكشف عن ذلك فأنكر وجحد الخط، فشهد عليه في وجهه سليمان بن عمران وابن قادم الفقيهان بأنه خطه وكانا يكتبان له، فتمادى على الإنكار فتلوم له سحنون وأعذر إليه، وأرسل من يشير عليه بإنصاف القوم فلجّ في

١٥٦ السرخسي: المبسوط /مج١٢ ج٢٤ ص٦٢.

١٥٧ السرخسي: المبسوط مج١٢ ج٢٤ ص62، ص63.

١٥٨ الونشريسي (أبو العباس أحمد بن يحيى): المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف د. محمد حجي نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية ١٣٠١هـ /١٩٨١م ج١٠ ص١٢١.

الإنكار وتمادى عليه، فحبسه أياماً فلم يرجع إلى الحق، فأخرجه وضربه عشرة وردّ إلى السجن، فأتت زوجته بنت أسد بن الفرات والتزمت الدفع عنه، فقال لها سحنون إن قال زوجك: هذا مال الميت أو بدله قبضته فأطلقته لك فأحضر فامتنع من قول ذلك وكان سحنون يخرجه في كل يوم جمعة وإذا امتنع من الأداء ضربه عشرة أسواط حتى ضربه مراراً كثيرة ثم مرض ومات في السجن من مرضه ذلك. وقضيته مشهورة كما حكاها ابن الرقيق بزيادات. وعن أبي عمران إنما ضربه سحنون لأنه اتهمه كما يضرب السارق حتى يخرج أعيان تلك السلع، وروي أن سحنون كان يقول بعد موته: مالي ولابن الجواد: كأنه تحرج من موته خوفاً"[١٥٩]

تعليقنا على القضية المذكورة:

أولاً: من حيث مصدر قصة ضرب سحنون لابن أبي الجواد: لقد شكك بعض العلماء في هذه الرواية حيث ذكر الونشريسي نفسه:"وأجاب بعضهم وأظنه الشيخ ابن عبد السلام، بأن هذا إنما هو من حكاية ابن الرقيق المؤرخ، وهو ليس بثقة لأنه كان شارب خمر متخلفاً فلا يقبل خبره. والحكاية وإن ذكرها بعض مؤرخي الأندلس فلعله نقلها من ابن الرقيق"[١٦٠]

ثانياً: على افتراض صحة هذه الرواية عن سحنون فإنها توافق مذهب من يجيز ضرب المتهمين أرباب السوابق، وكانوا معروفين بالشر أو من المسجلين خطر حسب المصطلح الحديث. وقد يكون القاضي ابن أبي الجواد مشهوراً بالفساد أو أكل أموال اليتامى أو الرشوة لذا أمر سحنون بضربه. بالإضافة إلى أن الذي يقوم أو يأمر بالضرب هو القاضي وليس ضابط الشرطة أو أي جهة أخرى سرية أو علنية.

ثالثا: على افتراض صحة هذه الرواية أيضاً فإنها ليست مبرراً شرعياً لاستعمال كل هذه القسوة حيث تصور لنا الرواية أن القاضي سحنون كان شخصاً متعنتاً قاسي القلب لدرجة أنه لم يقبل المال الذي عرضته زوجة ابن أبي الجواد لتخليص زوجها إلا بأن

١٥٩ الونشريسي: المعيار المعرب ج١٠ ص١٢٢.
١٦٠ الونشريسي: المعيار المعرب ج١٠ ص١٢٣.

يقر بأن هذا مال الميت الذي كان في أمانته أو بدلاً منه!! فرواية القصة بهذه الطريقة توحي أن هناك أسباباً شخصية أو سياسية وراء هذا التعنت من قبل القاضي سحنون قبل القاضي الحبيس ابن أبي الجواد!!

رابعاً: أشار الونشريسي إلى ندم ابن أبي الجواد وأنه كان يقول بعد موته : مالي ولابن الجواد. ويقول الآبي في تعليقه على هذه القضية: "كان سحنون أيام قضائه سجن ابن أبي الجواد في دين ترتب عليه وضربه بالسياط مدة بعد مدة واتفق أن مات ابن أبي الجواد من ضربه فكان سحنون إذا نام رأى في منامه ابن أبي الجواد بما يسوؤه، فإذا استيقظ يقول ما لي ولا أبي الجواد. فظاهر هذا أن سحنون ناله بسبب تعذيبه مع أنه إنما عذبه بحق، ولذا كان يقول له: (الحق قتله).

ونحن بدورنا لا نقبل هذا التبرير على افتراض صحة الرواية فالثابت أن سحنون عذب ابن أبي الجواد وأذله وتعنت معه فلذا فإنه يتحمل وزر ذلك.

خامساً: ما فعله القاضي سحنون يخالف ما جاء في المدونة: (من أقر بعد التهديد أقيل. قال ابن القاسم فالوعيد والقيد والتهديد والسجن والضرب تهديد عندي كله وأرى أن يقال، ثم لا يقام الحد على من ضرب وهدد فأخرج القتيل أو أخرج المتاع الذي سرق إلا أنه يقر بذلك آمناً لا يخاف شيئاً) معنى ذلك أنه على افتراض صحة ضرب سحنون لابن أبي الجواد فإنه لو أقر بعد التهديد والسجن والضرب لكان إقراره باطلاً حتى لو أخرج المال الذي اتهمه فيه القاضي سحنون.

بناء على الأسباب التي ذكرناها سابقاً لا نرى صحة رواية ضرب القاضي سحنون وتعذيبه للقاضي ابن أبي الجواد.

وممن قال بجواز ضرب المتهم من فقهاء القانون المعاصرين يوسف علي محمود:"والذي نراه أنه يجوز ضرب المتهم إذا كان معروفاً بالفساد، فإذا أقر، فإنه يراجع حتى يقر ثانياً دون ضرب، فإذا أقر، فإنه يؤخذ بالحق الذي أقر به"[١٦١]

---

١٦١ يوسف علي محمود (الدكتور): الأركان المادية والشرعية لجريمة القتل العمد وأجزيتها المقررة في الفقه

الرأي المختار:

في مقام الموازنة بين الآراء السابقة نميل إلى تأييد الرأي القائل بعدم ضرب المتهم وإن كان معروفاً بالفساد أو ما يطلق عليه أمنيا المسجل الخطر.. للأسباب التالية:

أولاً: لثبوت حديث: كُرَيْبٍ "حَدَّثَنَا أبو أُسَامَةَ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ مَرَّ هِشَامُ بْنُ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ عَلَى أُنَاسٍ مِنَ الأَنْبَاطِ بِالشَّامِ قَدْ أُقِيمُوا فِى الشَّمْسِ فَقَالَ مَا شَأْنُهُمْ قَالُوا حُبِسُوا فِى الْجِزْيَةِ. فَقَالَ هِشَامٌ أَشْهَدُ لَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِى الدُّنْيَا"[١٦٢]

فهذا الحديث صريح في نهي وزجر الرسول صلى الله عليه وسلم عن تعذيب الناس سواء كانوا برءاء أو متهمين فكلمة (الناس) عامة تشمل كل الناس بدليل أن الصحابي هشام بن حكيم استنكر أن يعاقب الوالي هؤلاء الفلاحين من أهل الكتاب في الشمس لإجبارهم على دفع الجزية.. ولم يسأل هشام بن حكيم هل هم من أرباب السوابق أو من المماطلين في دفع الجزية؟! فبمجرد أن رآهم سأل عن شأنهم واستنكر أن يحبسوا هكذا في الشمس واعتبر أن ذلك تنوعاً من التعذيب غير الجائز شرعا فقال على الفور بصيغة الجزم أشهد أني لسمعت رسول الله يقول إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا.

---

الإسلامي دار الفكر والنشر عمان ج١١ ص٣٨٨.

١٦٢ صحيح مسلم الحديث رقم: ٦٨٢٤. وفي رواية أخرى في صحيح مسلم: " حَدَّثَنِى أبو الطَّاهِرِ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِى يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ وَجَدَ رَجُلاً وَهُوَ عَلَى حِمْصَ يُشَمِّسُ نَاسًا مِنَ النَّبَطِ فِى أَدَاءِ الْجِزْيَةِ فَقَالَ مَا هَذَا إِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِى الدُّنْيَا " الحديث رقم ٦٨٢٦. وفي سنن أبي داود: " عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ أَنَّ هِشَامَ بْنَ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ وَجَدَ رَجُلاً وَهُوَ عَلَى حِمْصَ يُشَمِّسُ نَاسًا مِنَ النَّبَطِ فِى أَدَاءِ الْجِزْيَةِ فَقَالَ مَا هَذَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ « إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِى الدُّنْيَا". الحديث رقم ٣٠٤٧. وفي سنن البيهقي: "أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْحَكَمِ أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ أَخْبَرَنِى يُونُسُ بْنُ يَزِيدَ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ عَنْ عُرْوَةَ : أَنَّ هِشَامَ بْنَ حَكِيمٍ رَضِىَ اللَّهُ عَنْهُ وَجَدَ رَجُلاً وَهُوَ عَلَى حِمْصَ يُشَمِّسُ نَاسًا مِنَ الْقِبْطِ فِى أَدَاءِ الْجِزْيَةِ فَقَالَ مَا هَذَا إِنِّى سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ :« إِنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ فِى الدُّنْيَا " الحديث رقم ١٩٢٠٥ من سنن البيهقي.

ثانياً: الاستشهاد بحديث عبد الله بن عمر الذي ذكر فيه قصة أمر الرسول للزبير بتعذيب عم حيي بن أخطب تبين لنا أن مصدر الرواية محمد بن إسحاق ولم يذكر هذه الرواية إلا البيهقي في سننه، مما يستبين لنا أن هذه الرواية لا تستقيم لصريح نهي الرسول عن تعذيب الناس حتى ولو في تهمة ولم يثبت أنه عذب أو ضرب أحداً ليقر أمامه في تهمة. وعلى افتراض صحة رواية عبد الله بن عمر التي تفرد بها البيهقي عن ابن إسحاق فإن هذا الأمر قيل في زمن حرب وهو استثناء لا يجوز أن يتخذ قاعدة في ضرب أي متهم وإن كان من أرباب السوابق.

ثالثا: أما الاستدلال بفتوى الحسن بن زياد فقد ذكرنا أن السرخسي قال إن الحسن بن زياد قد ندم ومن ثم فلا حجة لمن يتمسك بهذه الفتوى في جواز ضرب المتهم إذا كان معروفاً بالفساد.

ومن ثم فإننا نميل إلى عدم ضرب المتهم حتى وإن كان من أرباب السوابق فرغم أن هناك صنفاً من المتهمين من ذوي السوابق والمسجلين خطر على الأمن إلا أنهم المشجب الأسهل لدى أجهزة الأمن لتعليق أي تهمة ونسبتها إليهم.وكما يقول بيكاريا:"أما التعذيب فيجب عدم الالتجاء إليه إطلاقاً، فالمذنب الذي تعود على الألم قد يحتمله في تجلد وتفترض براءته، في حين يكره الألم بريئاً مرهف الأعصاب على الاعتراف بأي شئ فيحكم بأنه مذنب"[١٦٣] كما أن التعويل على إقرار المتهم المكره قد يسول لبعض ضعاف النفوس من رجال الشرطة والمخابرات أن يلجأوا إلى وسائل لتعذيب المتهم حتى يقر بالمعلومات التي يريدها ضابط الأمن. لذلك فإن إعمال مبدأ سد الذرائع ضروري في إبطال أي إقرار يصدر عن المتهم نتيجة الإكراه لأن الغاية لا تبرر الوسيلة ولا يبنى صحيح على باطل.

- خداع المتهم:

قلنا حسب الرأي الذي رجحناه إنه لا يجوز ضرب المتهم أو تعذيبه حتى يقر، وإن إقراره لا يعتد به ولا يعول عليه. لكن هل ينطبق هذا الحكم على الاحتيال على المتهم وخداعه ليقر بما هو منسوب إليه؟

---

١٦٣ ول ديورانت: قصة الحضارة/ترجمة فؤاد أندراوس مراجعة على أدهم/دار الجيل/بيروت/مج٣٩-٤٠/ج٤٠ص١٧٨.

هناك رأيان في الفقه الجنائي الإسلامي:

الرأي الأول: يجيز التحايل على المتهم:

يرى جواز التحايل على المتهم ليقر بالحق ويعترف به دون ضرب أو تعذيب له بأي نوع من أنواع التعذيب، وإلى هذا ذهب ابن حزم الظاهري واستدل على ذلك:

(١): "بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خلف اليهودي الذي ادعت الجارية التي رض رأسها فسيق إليه فلم يزل به عليه السلام حتى اعترف فأقاد منه"[١٦٤]

(٢): وفي حسن الحيلة" فعل علي بن أبي طالب إذ فرق بين المدعى عليهم بالقتل وأسر إلى أحدهم، ثم رفع صوته بالتكبير فوهم الآخر أنه قد أقر، ثم دعى الآخر فسأله فأقر، حتى أقروا كلهم: فهذا حسن، لأنه لا إكراه فيه، ولا ضرب"[١٦٥]

---

١٦٤ ابن حزم: المحلى ج١٢ ص٤٠. يشير ابن حزم إلى حديث الجارية رقم ٢٤١٣ الذي رواه البخاري في صحيحه: " عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ - رضى الله عنه - أَنَّ يَهُودِيًّا رَضَّ رَأْسَ جَارِيَةٍ بَيْنَ حَجَرَيْنِ ، قِيلَ مَنْ فَعَلَ هَذَا بِكِ أَفُلاَنٌ ، أَفُلاَنٌ حَتَّى سُمِّىَ الْيَهُودِىُّ فَأَوْمَتْ بِرَأْسِهَا ، فَأُخِذَ الْيَهُودِىُّ فَاعْتَرَفَ ، فَأَمَرَ بِهِ النَّبِىُّ - صلى الله عليه وسلم - فَرُضَّ رَأْسُهُ بَيْنَ حَجَرَيْنِ".. ونفس الحديث مذكور أيضاً في صحيح البخاري برقم ٢٧٤٦ : " عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ - رضى الله عنه - أَنَّ يَهُودِيًّا رَضَّ رَأْسَ جَارِيَةٍ بَيْنَ حَجَرَيْنِ ، فَقِيلَ لَهَا مَنْ فَعَلَ بِكِ ، أَفُلاَنٌ أَوْ فُلاَنٌ حَتَّى سُمِّىَ الْيَهُودِىُّ ، فَأَوْمَأَتْ بِرَأْسِهَا ، فَجِىءَ بِهِ ، فَلَمْ يَزَلْ حَتَّى اعْتَرَفَ ، فَأَمَرَ النَّبِىُّ - صلى الله عليه وسلم - فَرُضَّ رَأْسُهُ بِالْحِجَارَةِ" ونفس الحديث أيضاً برقم ٦٨٧٦ في صحيح البخاري: " عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضى الله عنه - أَنَّ يَهُودِيًّا رَضَّ رَأْسَ جَارِيَةٍ بَيْنَ حَجَرَيْنِ ، فَقِيلَ لَهَا مَنْ فَعَلَ بِكِ هَذَا أَفُلاَنٌ أَوْ فُلاَنٌ حَتَّى سُمِّىَ الْيَهُودِىُّ ، فَأُتِىَ بِهِ النَّبِىُّ - صلى الله عليه وسلم - فَلَمْ يَزَلْ بِهِ حَتَّى أَقَرَّ بِهِ ، فَرُضَّ رَأْسُهُ بِالْحِجَارَةِ".

١٦٥ ابن حزم: المحلى ج١٢ ص٤٠ ، ٤١. يشير ابن حزم إلى ما ذكر عن علي بن أبي طالب في الجعفريات: "عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أن علياً (عليهم السلام) رفع إليه قوم خرجوا جماعة، فرجعوا كلهم غير واحد منهم، قال: ففرق علي (عليه السلام) بينهم/ ثم سأل أحدهم: ما صنعتم بالرجل؟ فجحد، وقال: لا علم لي، فقال علي (عليه السلام): الله أكبر، ورفع صوته حتى أسمع الباقين، وظنوا أن صاحبهم قد أقر، ثم عزله ودعا بآخر، فقال له: اصدقني الخبر، فقال: قتلناه وأخذنا ماله، قال: فقال علي (عليه السلام): الله أكبر، ثم دعا بآخر فآخر، فقتلهم كلهم إلا المنكر" الطبرسي: ميرزا حسين النوري: مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ج١٧ ص٣٨٥.

الرأي الثاني: (لا يجيز التحايل على المتهم):

لا يجيز التحايل على المتهم أو غشه أو خداعه ليقر يقول السرخسي في قول القاضي للمتهم: "لا أحبسك.. نوع غرور وخداع منه"[١٦٦] وجاء في الزرقاني من المالكية: "وكره مالك أن يقول السلطان للمتهم أخبرني ولك الأمان لأنه خديعة"[١٦٧]

الرأي المختار:

لقد رجح أحد القانونيين المعاصرين رأي مالك بقوله: "يبدو لنا أن رأي مالك هو الأرجح إذ ليس من الصواب القول أن التجاء المحقق إلى الغش والخديعة عملاً مشروعاً، وذلك لأنه إذا كان الإكراه يبطل الإقرار لأنه يفسد أو يعدم إرادة المقر، فإن هذه العلة قائمة أيضاً في حالة الاحتيال. ولذا ينبغي إبطال الإقرار الذي يتم عن طريق هذه الوسيلة وعدم الاعتداد بها"[١٦٨]

لكننا نرى بعد المقارنة بين الرأيين السابقين صواب من قال بجواز الاحتيال على المتهم ليقر طالما لم يضرب المتهم أو يعذب أو يهدد في نفسه أو أهله أو ماله.. وذلك للأدلة التي ذكرها أصحاب الرأي الأول.. أما عن ما ذكره السرخسي عن قول القاضي للمتهم : (لا أحبسك.. نوع غرور وخداع).. وما قيل عن مالك إنه كره أن يقول السلطان للمتهم أخبرني ولك الأمان لأنه خديعة.. أجاب عنه ابن حزم بقول: "وقد كره هذا مالك، ولا وجه لكراهيته، لأنه ليس فيه عمل محظور، وهو فعل صاحب لا يعرف له من الصحابة مخالف ينكر ذلك"[١٦٩]

أقول: يقصد ابن حزم أن فعل علي بن أبي طالب رضي الله عنه في تفريق المدعى عليهم وخداعهم ليس عملاً محظوراً، كما أنه صحابي لا يعرف له مخالف من الصحابة ينكر عليه فعله هذا مع المتهمين فهو إجماع سكوتي. كما أن ابن حزم

---

١٦٦ السرخسي: المبسوط ج١٢ ص٤٠٩١.

١٦٧ الزرقاني:عبد الباقي الزرقاني: شرح الزرقاني على مختصر خليل دار الفكر بيروت ج٨ ص١٠٦.

١٦٨ هلال عبد اللاه أحمد: النظرية العامة للإثبات الجنائي دار النهضة العربية القاهرة ص٩٩٠.

١٦٩ ابن حزم: المحلى ج١٢ ص٤٠.

يرى أن خداع المتهم ليس إكراها إذ يقول: "كل ما كان ضرراً في جسم، أو مال، أو توعد به في ابنه، أو أبيه، أو أهله، أو أخيه المسلم، فهو كره، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المسلم أخو المسلم لا يظلمه[١٧٠] ولا يسلمه"[١٧١]

إذن ابن حزم لا يرى أن خداع المتهم والتحايل عليه ليقر إكراهاً إذ أنه يرى أن كل ما كان ضرراً في جسم أو مال أو توعد في ابنه، أو أبيه، أو أهله، أو أخيه المسلم فهو إكراه أي أنه يتوسع في كلمة الأخوة فلم يقصرها على أخوة النسب بل يتعداها إلى أخوة الدين.. لذلك استشهد بالحديث النبوي المذكور.. فتحايل القاضي على المتهم ليقر ليس ظلماً ولا خذلاناً كما أنه ليس إكراهاً. وهذا ما نرجحه وخاصة أن عدم استخدام هذا الأسلوب مع المتهم قد يضيع حقوق المجني عليه وولي دمه في القصاص من الجاني.

وهناك رواية تعضد رأينا؛ ذكرها مسلم في صحيحه: " عَنْ أَبِى الزِّنَادِ عَنِ الأَعْرَجِ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِىِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ « بَيْنَمَا امْرَأَتَانِ مَعَهُمَا ابْنَاهُمَا جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا. فَقَالَتْ هَذِهِ لِصَاحِبَتِهَا إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ أَنْتِ. وَقَالَتِ الأُخْرَى إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ. فَتَحَاكَمَتَا إِلَى دَاوُدَ فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى فَخَرَجَتَا عَلَى سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ فَأَخْبَرَتَاهُ فَقَالَ ائْتُونِى بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَكُمَا. فَقَالَتِ الصُّغْرَى لاَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ هُوَ ابْنُهَا. فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى "[١٧٢]

قال النووي تعليقا على هذا الحديث: "وأما سليمان فتوصل بطريق من الحيلة والملاطفة إلى معرفة باطن القضية فأوهمهما أنه يريد قطعه ليعرف من يشق عليها

---

١٧٠ هذا الحديث رواه البخاري في باب المظالم برقم ٢٤٤٢ " ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ سَالِمًا أَخْبَرَهُ أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ - رضى الله عنهما - أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ « الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ ، لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ ، وَمَنْ كَانَ فِى حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِى حَاجَتِهِ ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ".

١٧١ ابن حزم: المحلى ج١٢ ص٤١.

١٧٢ مسلم: صحيح مسلم في كتاب الأقضية رقم الحديث: ٤٥٩٢. ورواه البخاري بنفس اللفظ في كتاب الفرائض رقم الحديث: ٦٧٦٩. وفي سنن النسائي كتاب آداب القضاة رقم الحديث: ٥٤١٩. وفي سنن البيهقي في كتاب الدعوى والبينات رقم الحديث: ٢١٨٢٣.

فتكون هي أمه، فلما أرادت الكبرى قطعه عرف أنها ليست أمه، فلما قالت الصغرى ما قالت عرف أنها أمه، ولم يكن مراده أنه يقطعه حقيقة وإنما أراد اختبار شفقتهما لتتميز له الأم فلما تميزت بما ذكرت عرفها (..) وأن سليمان فعل ذلك حيلة إلى إظهار الحق وظهور الصدق فلما أقرت به الكبرى عمل بإقرارها وإن كان بعد الحكم كما إذا اعترف المحكوم له أن الحق هنا لخصمه"[١٧٣]

هكذا يستبين لنا صواب رأي من قال بجواز خداع المتهم والتحايل عليه ليقر لأننا إذا أغلقنا باب التحايل على المتهم بزعم أن هذا نوع من الإكراه المبطل للإقرار فإن كثيراً من المجرمين ومحترفي الإجرام سيفلتون من العقاب لأننا نكون قد أعملنا صورة مثالية لإقرار المتهم إذ أنه لن يعترف في هذه الحالة إلا النزر القليل من المتهمين أصحاب الضمائر الحية والأنفس الطيبة التي تأتي لتقر طواعية لتكفر عن جرمها.. كما أن استبعاد استعمال هذه الحيل قبل المتهم من قبل سلطات التحقيق وعدم التعويل عليها يتسبب في إهدار دماء أبرياء مع شيوع الجريمة وخاصة في وقتنا المعاصر.

مركز المقريزي للدراسات التاريخية بلندن

١٧٣ النووي: صحيح مسلم بشرح النووي مكتبة العلم القاهرة مج١١ –١٢ الجزء ١٢ ص١٩.

# تفريغ خطبة عن
# التحالف العسكري «الإسلامي»
# (سر تشكيله - وتوقيته - وأهدافه)

## للشيخ د. هاني السباعي

مُؤَسَّسَة التَّحَايَا

قِسْمُ التَّفْرِيغِ وَالنَّشْرِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ١٠٢].

{يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: ١].

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد؛

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم-. وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

الإخوة المكرمون، ها نحن مع اليوم السابع من شهر ربيع أول لسنة ألف وأربعمائة وأربعة وثلاثين من الهجرة النبوية المباركة. وإن شاء الله اليوم مع خطبة خاصة، وسنرجئ المشهد الثالث عشر من تفسير سورة الزمر إلى الجمعة القادمة بإذن الله إلا أن يجدّ جديد.

فإن شاء الله سنعلق اليوم على هذا الإعلان المفاجئ وهو ما يُسمى بـ "التحالف الإسلامي العسكري لمكافحة الإرهاب". هذا هو الموضوع الأساسي الذي سنتكلم عنه. لماذا أعلنوه؟ وما سر توقيته؟ ولمن يُوجه هذا؟ ولماذا صمت الغرب؟ أو لماذا يبارك الغرب مثل هذه التحالفات وهذه الأحلاف؟ فكل هذا إن شاء الله سنحاول أن نلقي الضوء عليه. وأيضًا سنعلق في طيّات هذا الموضوع على هذه الحرب الصليبية أيضًا ولأول مرة في تاريخ الممالك وفي تاريخ الممالك الإسلامية بصفة خاصة أن هناك حربًا صليبية يقودها قادة صليبيون وأيضًا جيوش ناطقة بالإسلام!

وسنتكلم أيضًا عن هذه الديمقراطية التي صدّعوا رؤوسنا بها على مدار أكثر من ستين عامًا، ثم بعد ذلك تتهاوى وتنهار هذه الديمقراطية مع رشاوي الإمارات لديفيد كاميرون الذي أعلن هذا التقرير الخاص بالإخوان المسلمين أمس. فكل ذلك إن شاء الله سنحاول أن نعلق عليه.

يقول الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ} [الأنفال: ٣٦]. الله بيّن لنا الأمر بكل وضوح! هؤلاء سيحشدون حشودهم وينفقون أموالًا طائلة، الله -سبحانه وتعالى- يقول بالفعل المضارع {ينفقون} إذًا هي ديمومة. فعل مضارع حاضر في أي وقت.

والله -سبحانه وتعالى- يتحدّاهم: {فسينفقونها} يعني سينفقونها فعلًا حقيقة لكنها ستكون عليهم حسرة. ولذلك على الموحّد المجاهد هذا المسلم المستسلم لربه أن يوقن أن هذه الأموال وهذه القواعد التي ينشؤونها في بلاد المسلمين، وهذه الترسانات من الأسلحة ستكون في يوم من الأيام غنيمة لأولادنا ولأحفادنا وللأجيال القادمة إن

شاء الله مصداقًا لقول الله تعالى: {فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ} أي أنهم سيُغلبون فعلًا في الدنيا، ثم بعد ذلك يُحشرون إلى جهنم.

هذه هي الحقيقة، هذه هي العقيدة التي يجب أن يُبنى عليها الفرد المسلم، وهي أن الله -سبحانه وتعالى- لم يخلق هذا الكون عبثًا، ولم يخلقه هكذا سدى، وأن كل من هبّ ودبّ يعبث! لا، ثق بالله -سبحانه وتعالى- أن الأمور لما تضيق تتسع فيما بعد.

ضاقت فلما استحكمت حلقاتها ... فُرجت وكنت أظنها لا تفرج

إذًا ستُفرج بإذن الله -سبحانه وتعالى- إنما هو الابتلاء ليميز الله الخبيث من الطيب.

- هل كانت مصادفة أن يأتي الجبير وزير الخارجية السعودي ويعلن هذا الحلف منذ يومين في باريس. تشكيل الحلف الإسلامي العسكري لمكافحة الإرهاب -وسنتحفظ على كلمة الإرهاب هذه- في باريس!

منذ متى كان الغرب شفوقًا ورحيمًا بنا ويتمنى وحدتنا وتجمعنا؟!

إذا رضي الغرب على تجمعهم فاعلم أن تجمعهم شر مستطير بالأمة؛ لأن الغرب هو صاحب سايكس بيكو، الغرب هو صاحب التقسيمات والتمزقات، الغرب هو الذي تآمر على دول الإسلام، الغرب هو الذي حاربنا حروبًا صليبية طويلة. هل هذا الغرب سيكون حريصًا على أكثر من خمس وثلاثين دولة تتحالف عسكريًا؟! هذا التحالف العسكري يهدد الغرب نفسه بهذه الطريقة، لو أن المسألة هكذا.

إذًا بهذه المجموعة من الدول التي تُسمى بالدول الإسلامية وبغطاء إسلامي وبرئاسة السعودية، وأوباما صامت يبارك، وكيري مبسوط وفرح ومسرور، وباريس التي تحارب الإسلام ومجرد الهدي الظاهر ومجرد النوايا يحاربون عليها الناس ويستحضرون محاكم التفتيش ليحاربوهم. هل هم سيباركون أن يتحد هؤلاء جميعًا في خمس وثلاثين دولة والعدد يمكن أن يزيد.

عدد الدول المحسوبة على الإسلام زورًا طبقًا لإحصائية مؤتمر التضامن الإسلامي التي لا نسمع عنها إلا في المناسبات والموالد وللتنديد والشجب! حوالي ست وخمسين دولة. تخيل ست وخمسين دولة لو اتحدوا فعلًا واعتصموا بالله! لكن هم لا يعتصمون بالله هم يعتصمون بالشيطان الرجيم، يعتصمون بأمريكا، يعتصمون بأوروبا، يعتصمون بالشرق والغرب إلا الله لا يعتصمون به.

هذه الست وخمسين دولة لو انسحبوا من الأمم المتحدة لسقطت! فالخمس وثلاثين دولة يمكن أن تزيد لأن الحلف معناه الزيادة وأمريكا سعيدة.

هؤلاء الذين مزّقوا الدولة الواحدة، يعني كل دولة مهددة بالتمزق والتشرذم في بلام المسلمين. يعني عندك مثلًا دولة مثل المغرب ستجدها عبارة عن قنابل موقوتة لتقسيمها، ومشاكل بينهم وبين الصحراويين ومشاكل بينهم وبين الجزائر. دائمًا في كل دولة ستجد إثارة النعرات البربرية والإفريقية والزنجية والفرعونية والقبطية. الغرب دائمًا يزرع لك هذه الأقليات والنتوءات.

ثم بعد ذلك يرحب بهذا التحالف الإسلامي العسكري؟! إذًا ماذا وراء الأكمة؟ لماذا وافقوا وهم يريدون تمزيقنا أصلًا؟! يعني هم أصلاً يدعون إلى تمزيق العالم الإسلامي. أي مشروعات لوحدة حقيقية حتى بدون الإسلام هم لا يرضونها، يدمرونها ويمزقونها. فما بالك بإعلان التحالف الإسلامي العسكري لمكافحة الإرهاب؟!

هذه من بنات أفكار أوباما، هذه من سياسة أمريكا المتأخرة. أمريكا الآن جربت جنودها وتريد أن تحافظ على جنودها في هذه المنطقة المشتعلة التي خرّبتها ودمرتها. فالآن تريد أن تستخدم هؤلاء الجنود الذين لا قيمة لهم بأن تساعدهم في الطيران وهم ممكن يخوضوا معارك بأنفسهم في بعض الأماكن المسموح بها حسب المواصفات الأمريكية!

انتبه! فلا تقل السعودية ما شاء الله، والملك سلمان رضي الله عنه خالد ابن الوليد وركب الحصان ويعيد الأمجاد وهذا الكلام! كل هذا حديث خرافة. كلهم بدون

استثناء أعبد للسيد الموجود في البيت الأبيض. سواء أوباما أو غير أوباما، أي رئيس أمريكي أوامره بل مجرد الأفكار وليست الأوامر، مجرد أفكار أي رئيس أمريكي هي أوامر واجبة النفاذ عند حكام العرب.

لأن هذا هو الذي كانوا يدندنون عليه. يقولون لا تدخل أمريكا بنفسها! لا تريد ضرب تنظيم الدولة ولا الجماعات هذه، لا بد من وجود قوات من الأرض ومن نفس البلاد هذه!

إذًا القضية هنا الظاهر في الأمر أن هذا الحلف العسكري الذي أُعد على عجالة هذا الحلف واضح أن هناك أمور كانت في السر تجري! ثم عجلوا به سريعًا. لماذا عجلوا به؟

لو تلاحظوا أن هناك شريط بُثّ مع الشيخ الجولاني قائد النصرة. هذا الشريط كان في غاية الخطورة؛ لأن كل المؤشرات تقول إن الساحة مدمرة، وأن الجماعات الجهادية الآن تخسر وتضيع، فإذا بالقائد يتكلم بتفاؤل، ويبيّن بأمور كلها أريحية، فدمّر لهم مشروع مؤتمر الرياض الفاشل هذا الذي تكلمنا عنه في الجمعة الماضية، وبيّن أن هؤلاء الذين يرتهنون بهذا الممول هم أصلًا يعملون لإطالة واستبدال كافر بأكفر منه!

ثم هناك أنه لا يعتمد على الدول هذه الممولة، وجُعل رزقي تحت ظل رمحي، وأنه أشاع التفاؤل لدى المسلمين وخاصة أهل الشام في سوريا، والرجل يتكلم بثقة كبيرة؛ إذًا هناك خطورة بأن هذه الجماعة التي تُصنف بأنها إرهابية وأنها فرع للقاعدة ولا بد بالتعجيل لاستئصال هذه الجماعة سريعًا لأنها صارت لها حاضنة شعبية وخطابه سهل أفضل من هؤلاء الذين يوزعون الذبح والقتل والتدمير والتفجير! الجماعة الأخرى التي هي تنظيم الدولة. فلذلك لا بد من الإسراع بسرعة ووأد هذه الجماعة حتى لا تتسع شعبيًا.

مع أمور أخرى: أمريكا لا تريد أن تواجه روسيا ولا تريد أن تواجه هذا الحلف: روسيا، إيران، كوريا الشمالية، فراخ إيران؛ حزب اللات وكل هذه الجماعات الشيعية الرافضة. هذه كتلة وحلف لوحده مع هذا المجرم النصيري.

فظاهر الحلف أنه ضد إيران. يعني هذا الحلف سني. وأن هذا خوفًا من إيران. قد يكون هذا الحلف بحيث أن السعودية خائفة من إيران، لأنه ربما يحدث اشتباك تحت أي ذريعة، فهي الخاسرة وليست لديها القوة الكافية، وأمريكا لا تريد أن تتدخل رغم أنها تحافظ على الخليج والخليج وصية أمريكية. لكنها بسياسة أوباما لا يستطيع أن يتدخل عسكريًا بالجنود.

إذًا شكّلوا أنتم وجربوها في اليمن. رغم أنهم جربوها في اليمن ولا يزال الحوثيون ولا يزال علي عبد الله طالح هذا ينكأ فيهم رغم كل هذه الضربات. لماذا؟ لأن أمريكا كما قلت لكم لا تريد استئصال الحوثيين، ولا تريد استئصال علي عبد الله صالح وجماعته هؤلاء، تريد فقط ضربات محددة.

تقول كل هذا ولم ينتهوا حتى الآن، وتعز هذه حتى الآن لم يسيطروا عليها! ويضربونهم ويقتلونهم ويقتلون من القوات الإماراتية والقوات السعودية! كيف يحدث هذا والجماعة لا يوجد عندها طيران ولا يوجد عندها أي شيء. وعند هؤلاء مقاومة شعبية، وعندهم مقاومة من الخليج وموجودة على الأرض، ورغم ذلك لم يفعلوا شيئًا! لماذا؟

لأن هذه مسألة أمريكية بحتة. هذه عمليات جراحية فقط أما الاستئصال فممنوع.

بالإضافة إلى الخيانة الإماراتية. الإمارات هذه تخون الخليج، هذه تضرب فيهم كلهم؛ فهي التي تحتضنهم وتحتضن آل صالح عندها.

فلذلك هذا الحلف ظاهره أنه حماية للسعودية. ولذلك أسرعوا، يعني لاحظ باكستان كانت مترددة في الأول ثم وافقت، ثم عشرة دول في الأول ثم ازدادوا، لماذا وافقوا بهذه السرعة؟ لأن المسألة قد تكون معناها أن القضية سنعمل هذا الحلف وأمريكا موافقة أن نتدخل لضرب الجماعات التي تُسمى إرهابية. هذه الجماعات حسب كل دولة لها جدول.

كل الجماعات هذه من القاعدة، تنظيم الدولة وهذا أساسي، وكل ما تتخيله حتى الإخوان المسلمين! على قائمة الإرهاب الإخوان المسلمين! لو أحصيتم البيان الصادر

عن دولة المسخ الإمارات هذه التي تتجسس على المسلمين والملك القزم ستجد أن من ضمن الأهداف الإخوان! ومن ضمن الجماعات الإرهابية الإخوان.

والجماعات في كل العالم، جماعة زنكي، وحتى الجيش الحر مصنف في بعض الدول. يعني كل من يرفع السلاح على النظام يُعتبر إرهابيًا ويُحارب. نعم هناك بعض الدول تفرّق، لكن كل دولة لها مطالب. يعني هذا خليط وكوكتيل، كل واحد داخل بمأربه.

لكن الذي جمعهم هو قضية أن السعودية في خطر، أن سدنة البيت الكعبة في خطر، وأن هذا مكان مقدس، وأنه يجب على الدول هذه أن تدخل.

وبالمناسبة هم دخلوا من باب الشكلية أيضًا! السعودية طبعًا منّت دولًا بعينها.

هذا الاتحاد الإرهابي الذي يُسمى باتحاد محاربة الإرهاب وإذا استمعت إلى كلمة إرهاب اعلم أنه يقصد إسلام. لا يقصد نصرانية، ولا يهودية، ولا أي دين، يقصد الإسلام فقط. كلمة مكافحة الإرهاب يعني مكافحة الإسلام. يقول كيف وهم مسلمون؟ يعني مكافحة الإسلام الرافض للهيمنة الغربية والرافض لهذه الحكومات المرتدة الخائنة. الإسلام خاصة الذي يريد تحكيم الشريعة وحدها، هذا هو المقصود بالإرهاب.

أما غير ذلك من إسلام مدجن وغيره وإسلام الأنظمة فهذا مقبول حسب مقاييس كاميرون وحسب مقاييس أوباما وهؤلاء.

إذًا هذه الجماعات لو ظلت هكذا في الشام؛ هناك حاضنة شعبية، الناس تتدرب على السلاح أكثر، هناك قوة، معناها انتصار هذه الثروات، معناها أن المنهج الذي اتبعه هذا الخبيث بشار في الآخر فاشل وساقط إذًا كل هذه الأنظمة وكل الشعوب تُصاب بعدوى التمرد على حكامها.

ولذلك أقوى دول وأقصى الدول تطرفًا وحربًا على ما يُسمى ثروات الربيع العربي حتى سوريا وغيرها هي الدول الخليجية؛ لأنها تخشى من عدوى الحكومات، عدوى دولها، عدوى الشعب، يقولون نريد نتمرّد، هم غيّروا حكامهم لماذا لا نغيّر نحن حكامنا.

تخيل دولة هي أس الإرهاب حتى حسب مقاييسهم، أس الفساد والدمار والخراب مثل مصر عضو في التحالف! بالله عليك السيسي سيكون عضوًا في تحالف إسلامي؟! مصر من ضمن الدول الداخلة في الحلف العسكري الإسلامي! جيش مصر المتخصص في الحرب على الإسلام.

جيش مصر الذي رُبي وأُنشأ على يد الإنجليز والفرنسيس منذ محمد علي باشا للحرب فقط على الإسلام. جيش لم ينتصر في حياته! دعكم من الدعاوى الكاذبة أنه انتصر فيما يُسمى ستة أكتوبر وغيره كان ربع يوم هكذا فقط وانقلبت المعركة هزيمة واستنجد السادات بالأمريكان لينقذوه بوقف إطلاق النيران.

هذا الجيش لم ينتصر في حياته إلا على شعبه! لم ينتصر في حياته إلا على شعبه في كرداسة، وانتصر عليهم في رابعة العدوية، وانتصر عليهم في المطرية، وفي المنوفية، وفي كمشيش وغيرها. هذا فقط انتصر على الشعب وعلى بنات الأزهر وغيره.

هذا الجيش الذي يحارب المسلمين ويقتلهم علانية، بل يحارب القرآن، ويستهزئ بالإسلام، ويستهزئ بنبي الإسلام. بل هناك دعوات فاجرة وماجنة تقول الخمر حلال عادي ومقبولة، السيسي رسول عادي مقبول، يُوحى إليه مقبول، الربا حلال عادي، كل شيء مقبول، القرآن هذا هو منفستو للإرهاب مقبول، هذا في قنوات فضائية مصرية علني!

ثم يأتي هذا المجرم كما يقولون حاميها حراميها! يُرجى هذا أن يحارب الإرهاب؟! هو يحارب نفسه. المفروض هذه الدول هي تشكيل الدول لمحاربة أنفسها! لأنها هي أس الإرهاب، وأس الفساد، وأس كل مصائب جرّت الويلات على الأمة ومزّقتها. هذه الدول بجيوشها المجرمة المتكلّسة التي تمتلك الأسلحة الكبيرة.

ويأتي أحد يقول أنت متشائم، وتفاءل، وأين حسن النية، الجبير وزير الخارجية أعلن في باريس مجرد تشكيل التحالف الإسلامي العسكري انتقضتموه مباشرة!

طبعًا! ما حسن النوايا التي تتكلم عنها! يا رجل كيف أنا أثق فيك وأنت أس الداء؟! أنت الذي تقبر وتحارب وتغلق المساجد وتدمر البيوتات وتحارب الإسلام

ولا تمكن الناس من الشريعة، وأنتم الذين حاصرتم المجاهدين والثوار في سوريا وفي غيرها وتآمرتم على الأمة. كيف هذه الدول هي التي ستحارب الإرهاب؟! أي إرهاب؟!

وإذا كان الأمر هكذا ويقولون حسن النية، ومحاربة الإرهاب أنا معكم أتمنى وهذا شيء طيب، أن يكون هذا تحالف إسلامي عسكري لمكافحة الإرهاب نقف هنا:

إسرائيل هذا الكيان الغاصب لفلسطين، هل هذه دولة إرهابية أم لا؟ ألستم تقولون مكافحة الإرهاب؟ أنتم قلتم أي إرهاب. هذا دليل أنكم كذّأبون أفّاكون ها هي إسرائيل هل ستحاربونها؟!

خمس وثلاثين دولة من ست وخمسين دولة اللاتي تُسمى بالدول الإسلامية خمس وثلاثين دولة لو تحالفوا ليدخلن روما، بل لاحتلوا البيت الأبيض. تعرف عدد سكان هؤلاء جميعًا كم؟ حوالي مليار ونيف. وعدد الجيوش فقط أكثر من خمسة مليون عسكري تقريبًا! هذا غير الأسلحة والعتاد، وفيهم دولة نووية التي هي باكستان. يعني عندك القوة البشرية لا تتخيلها.

أمريكا مثلًا محاصرة في مكان معين خلف الأطلسي. أوربا في مكان معين. لكن المسلمون يختلفون مساحة ضخمة جدًا، من الذي يستطيع أن يحارب من إندونيسيا ومن جاكرتا إلى المغرب؟! لأن من الدول الموافقة المغرب وموريتانيا والنيجر ونيجيريا وتوجو والدول الموجودة في الزفة هكذا والزحمة. وكوت ديفوار! أول مرة أعرف أن كوت ديفوار (ساحل العاج) مسلمة!

وطبعًا غينيا ستأتي بعد ذلك وغانا وبوتسوانا وكل هذه الدول. ودولة بنين موافقة. والمالديف! طبعًا جزر المالديف في المحيط يمكن أن تجمعهم كلهم وتعزمهم عندك في البيت على غدوة أو عشوة! يقولون هذه هي الدول المتحالفة.

هذه فقط مجرد للبركة يعني كما يقولون. ما "بنين" هذه! إذا كانت حياتهم كلها بؤس، "بنين" كلها مصائب وضرب وحرب أهلية.

ومن ضمن الدول الصومال! الصومال يا رجل! الصومال شارعين في شارع وحدها، يعني كل مجموعة ماسكة شارع وحدها، ثم يقولون الصومال ستحارب الإرهاب! حلّ مشاكلك الخاصة أولًا!

ومن ضمن الدول أيضًا فلسطين! فلسطين مشتركة من ضمن التحالف لمحاربة الإرهاب، يعني ستحارب من؟! ومن في فلسطين؟ عباس يعني أم هنية أم من؟ ومن هو الذي يمثل فلسطين؟ وما المقصود بفلسطين؟ هل تقصدون بفلسطين غزة والضفة والقطاع؟!

هذه دول فقط حشو للزيادة، لكن المقصود الدول التي لها عدد وعتاد عسكري وقوة بشرية.

يقولون أنتم نيتكم سيئة وقلوبكم سوداء من ناحية هذا التحالف، أنتم إسلاميون تكرهون الخير دائمًا للأمة.

فهل سيحرر الجزر الثلاث التي احتلتها إيران وهي أسهل من إسرائيل؟! هل سيحررها من الإمارات الخائنة؟ من آل نهيان المجرمون الذين يموّلون هذا المرتشي المجرم ديفيد كاميرون الذي يحرّض على الإسلام والمسلمين ويحارب الإسلام والمسلمين، هذا الذي لا يستحي من هذه الديمقراطية التي يعبدها من دون الله؟ من الذي رشاه؟ ومن الذي دفع لهذه الحكومات بشهادة جرائدهم وصحفهم؟ هؤلاء هم الإمارات.

الإمارات متخصصة فقط لتخريب العالم الإسلامي السني.

هل هذا الحلف الذي يكره إيران الآن، ويعتبر إيران غير مدعوة لهذا التحالف؛ لأنها دولة تمارس الإرهاب، وعندها جماعات تدفعها للقتل وغير ذلك. يعني الميليشيات من حزب اللات أو الشيعية. لأن الذين لم يدخلوا في هذا رفضوا علانية وهم لم يدعوا لكن هناك دول دُعت ورفضوا مثل الجزائر كالعادة. خالف تُعرف في هذا الموضوع.

الجزائر أقصد العسكر وليس الشعب. عسكر الجزائر يقولون لا، نحن ملتزمون بالدستور الذي من القديم...! يا رجل أي دستور هل تضحك على نفسك؟! أنت

في ٦٧ و٧٣ أخرجت الجيش وشارك ورجع. وأنت أقمت مع مالي ونيجريا والنيجر وموريتانيا ما يُسمى حرب في إفريقيا الجماعات الإسلامية في مالي. فها أنت خارج الدستور!

دولة جزائر العسكر هؤلاء طول عمرهم ضد الأمة. والناس تنسى. هؤلاء يوم أن كان المسلمون يُستباحون في بلغاريا في أيام الحقبة الشيوعية وكل العالم حتى الغرب كان يرق لهم، الدولة الوحيدة التي وقفت معهم هؤلاء المجرمون عسكر الجزائر. وقفت مع بلغاريا الشيوعية ضد هؤلاء الأقلية الإسلامية التي كانت مساجدهم تُحرق وتُدمر ويحولون المساجد في بلغاريا لرعي الخنازير ومرابض الكلاب وحرقوا المسلمين أحياء. من الذي وقف معهم في بلغاريا؟ الجزائر وإحقاقًا للحق عبد الناصر المجرم.

عبد الناصر المجرم وقف ضد كشمير المسلمة مع الهند! هم هؤلاء أيضًا خونة طول عمرهم هؤلاء. وأيضًا في أي قضية لها علاقة بالمسلمين دائمًا الجزائر تقف بالعكس تمامًا؛ وقفت مع سوريا هذا المجرم الذباح القتال، وكذلك العراق، وكذلك الدول التي لم توافق حتى الآن.

كل هؤلاء جميعًا من هذا الحلف المكون من خمس وثلاثين دولة بالسعودية نعم نحن نيتنا سيئة من ناحيتكم، ولا نأمنكم؛ لأنكم تحاربون الإسلام، أنتم مصدر الحرب على الإسلام. كيف دولة مثل الإمارات تكون عضوًا أساسيًا رئيسيًا في هذا الحلف؟! بالله عليك يعني هل دولة آل نهيان هؤلاء دولة إسلامية عسكرية التي تصدّر الدعارة وتصدّر الفساد والرشوة والدمار والقنوات الفضائية المحاربة للإسلام والتي تموّل كل عمليات الهجوم على المسلمين في أي مكان والتحريض عليهم. ثم تقول هذه دولة إسلامية والسيسي أيضًا والدول هذه؟!

ثم عُد الدول كلها التي دخلت هذه، ما فيه دولة من هذه الدول إلا وهي محاربة للإسلام، وهي مضيقة على المسلمين، وهي التي لا تحكم بالشريعة. لا يوجد دولة في هذا الحلف إسلامية بدون مبالغة كلها دول علمانية؛ باكستان دولة علمانية تابعة ذليلة للأمريكان، إيش النووي هذا نفعها؟ النووي هذا لم ينفعها في شيء، لولا أن أمريكا

ضاغطة على الهند لابتلعتهم الهند. بسبب أنها هي قالت هدِّؤوا الجبهة هذه كشمير لأننا في حرب في أفغانستان حتى ترضي الأمريكان، فالهند سكتت من أجل هذا.

ولذلك لاحظوا موضوع كشمير دائمًا هادئ، والذي يهدئه دائمًا الأمريكان. لماذا؟ لأن الجنود الباكستان هم حرّاس حدود لمصالح الأمريكان في باكستان وأفغانستان. مع أن كشمير هذه عند باكستان مثل قضية فلسطين عندنا هنا، ولكن رغم ذلك نسوها؛ لأن هذه دول علمانية أصلًا محاربة للمسلمين.

ما هي الدولة التي يُزعم أنها إسلامية تحكم بالشريعة؟ لا يوجد إلا السعودية هذه التي تحكم في الظاهر في بعض الأمور بظاهر الأمر في أحكام الشريعة الإسلامية. ولكن هذه السعودية هي التي جلبت العار للمسلمين، هذه السعودية هي التي جلبت هذه القواعد الأمريكية التي ضربت المسلمين في أفغانستان والعراق واحتُلّ العراق عن طريق السعودية.

هذه السعودية هي التي تآمرت وتتآمر الآن على المسلمين في سوريا. هذه السعودية التي جاءت بهذا المؤتمر الشيطاني مؤتمر الرياض لتتآمر على المسلمين هناك ولإطالة عمر هذا السفاح المجرم!

يريدون استبدال السفاح بشار -حتى لو أرادوا يعني- والدخول في عملية سياسية تنظيمية وبعد ذلك نعمل ربما ضغوط معينة دولية أن الرجل يخرج معززًا مكرمًا والنظام يكون كما هو. لاحظ يعني هناك مصيبة وكارثة تحل على الشعب السوري يدفع الضريبة مرتان؛ ضريبة الدماء -نقول ثلاثمائة ألف منذ فترة طويلة، الآن الموضوع ممكن يكون نصف مليون- هذه ضريبة يدفعها. وضريبة في المستقبل الناس لا تأخذها في الاعتبار؛ إذا ظلّ النظام هكذا يعني ذهب بشار وذهبت بعض القيادات ولكن الدولة كما هي يعني المؤسسات والجيش والمنظر وهيكل النظام هذا تعرف ما معنى هذا؟ خراب على هذه الأجيال من الناحية الدولية؛ لأن هذا النظام استدان وعمل صفقات رهيبة جدًا بمليارات الدولارات. من الذي سيدفع هذا؟ سيُحاسب النظام ادفعوا هذه الدولارات، أنتم مدينون لنا بصفقات بالمليارات.

لكن لو تم إسقاط هذا النظام وتدمير كل هذه البنية: ما لي دخل أنا، أنت ذهبت وقمت بصفقة مع هذا السفاح لا أتحملها أنا ولا تتحملها دولتي ولا يتحملها هذا لشعب. لكن تريدون أن تضحكون علينا وتضحكوا على الشعب والنظام يكون كما هو ونزيل واحد أو اثنين أو ثلاثة وتكون الدولة السورية كما هي، كأنها لا يوجد فيها شيء، والمهم أن نحافظ على الشكل. الحفاظ على الشكل هذا فيه اتفاقيات دولية، وفيه مصائب، وكوارث، وأسلحة، واتفاقيات بترول وغيره. الدول كلها هذه ستطالبك بالديون، وتطالبك بتنفيذ العقود.

هو أيضًا سيفرض عليك وصايا دولية فيما بعد حتى لو وصلت للحكم؛ لأنك رضيت تسير معه بهذه السياسة، وبالمؤتمرات، وغير ذلك، وواحدة واحدة وخطوة خطوة، فأبشر بطول سلامة يا بشار!

في النهاية أنت الذي ستضيع، وستضيع معك أجيالًا كاملة. هؤلاء الخونة الذين في هذا الحلف باستطاعتهم وحدهم وأنتم حلف خمس وثلاثين دولة ماذا ستفعل روسيا يعني؟ هذا الحلف فيه تركيا، وباكستان، وماليزيا، ودول متقدمة أيضًا ليست سهلة. وإندونيسيا وافقت أيضًا. هذه الدول كبيرة. حتى هؤلاء المرتزقة المصريون. فكل هذه قوة كبيرة ماذا ستفعل روسيا؟ روسيا ستجرّ أذيال الخزي والعار وتهرب، لكنهم لا يريدون ذلك.

هي القضية الآن الظاهر أنه تحالف سني ولكن الحقيقة أن أمريكا فرضت عليهم بوجوب الاستعداد بتكوين هذه الجيوش وهذه الجماعة التي تتدرب أصلًا في السعودية وفي تركيا وفي بعض الدول العربية، حتى في مصر يدرّبون بعض السوريين هناك. فهذه النواة ثم يأتي معها جيش مشكل من المصريين والأتراك وكل الدول تأتي بأي فصيل وبأي كتيبة وبأي مساهمة مع الجيش السوري. يعني لا ينفع أن تأتي من غير سوريين. مجموعة من السوريين تتدرب جيدًا وتكون هي بين هذه الكتائب لكي يحاربوا.

إذًا هناك حرب من السماء عن طريق الطيران سواء الغربي أو هم عندهم أيضًا طيران. ثم بعد ذلك يدخلون وأي جماعة موجودة ترفع السلاح يتم تدميرها. سواء تدميرها بطريق الطائرة بدون طيار أو عن طريق القصف الجوي للإبادة أو عن طريق المطاردة. يعني أي

جماعة ترفع راية "لا إله إلا الله محمد رسول الله" أو ترفع أي شيء فيه شريعة إذا لم تستلم يدمرونها. كما قلت لكم عن موضوع دايتون، هذا موضوع دايتون قادم لا محالة إلا أن يشاء الله أن هؤلاء المجاهدين ينزل الله -سبحانه وتعالى- عليهم القوة والرحمة ويتّحدوا لإفشال كل مخططات الشيطان. هذه هي الحالة الوحيدة.

أما غير ذلك فهم سيفعلون هذا الأمر. كل الجماعات الآن تجمعت في الشام أفضل طريقة لتصفيتها الآن. يقولون بدل أن يسرحوا في الدول الأخرى هم محاصرون الآن. يعني معناها أن الشام صارت محرقة جمّعت كل هؤلاء بعد أن كانوا منتشرين في كل الدول. هكذا هم يفكرون.

المنظر اسم تنظيم الدولة هذه مسألة سهلة عندهم، هم لا يريدون تصفية تنظيم الدولة بالمعنى، قصة التصفية يعلمون أنهم في النهاية سيصفّونهم سيصفّونهم لكن هي مسألة وقت. لكن المشكلة والخوف في هذه الجماعات التي لديها خطابًا سهلًا يدخل لقلوب الناس ولديها حاضنة شعبية رغم الشيطنة إلا أنهم لم يستطيعوا شيطنة هؤلاء القادة. لأنهم عندما يتكلمون يقولون لا نكفر المجتمع، ولا نكفر الناس. خطاب سهل. أين تحصل على الأموال؟ يقول من الغنائم، هذه غنائم نغنمها من النظام.

وعندما يقولون الناس اضطروا ليوقعوا على مؤتمر الرياض! فلماذا الآخرون لم يضطروا؟! النصرة لماذا لم تضطر؟ جند الأقصى؟ والمجموعات الأخرى الموجودة هناك لماذا لم يضطروا مثلكم؟ إذًا الاضطرار في متساويين، لأنه لو كان اضطرارًا لكان حصل للكل. لكن أنت الآن تقول على نفسك مضطر فغيرك الموجود ولم يضطر؟ يعني هو يكابد ويواجه هذا القمع لوحده ورغم ذلك فإنه يغنم ويقول الحمد لله لدينا ما يكفي ونغنم من عدونا. إذًا هو حجة عليك.

ولذلك هذا الحلف هو للقضاء على المسلمين عامة وعلى هذه الجماعات التي ترفع شعار الإسلام حتى لو كانت هذه الجماعات جماعات ناعمة. هذه الجماعات الناعمة التي ترى بالديمقراطية مثل الإخوان أيضًا مرصودة. وهذه سأتكلم عنها في الخطبة الثانية. هذه الجماعات الناعمة لا مقام لها. لا تقل ديمقراطية، وإسلام ونص إسلام فهذا لا ينفع. ديمقراطية يعني تكفر بالله العظيم. هذا هو الذي يقصدونه.

الإخوان مارسوا الديمقراطية ولم يحكموا بالشريعة ورغم ذلك يقول هو في نيته هذا، هو يفكر بهذا الأمر، يريد بث الأخلاق في المجتمع. يعني هو يريد الإخوان حتى عندما يصلوا إلى الحكم أن يفجروا وينشروا الرذيلة والأخلاق السيئة، يعني لا يلتزم بأي شيء. هذا هو المرضي عنه. مثلما فعلوا مع الغنوشي لما أسقطوه وخلعوا عنه ورقة التوت ورموه وزبلوه في النهاية. هم يريدون نوعًا مثل الغنوشي ولن يمكنّوه أيضًا. لأنك في يوم من الأيام كنت تفكر في الشريعة أو في الإسلام بأي وسيلة.

هذا هو الذي يريدونه {وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ} [القلم: ٩]. مجرد فقط تلين معه، ولكن هو يريد استئصالك {وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا} [البقرة: ٢١٧]. هذه هي ديمومة الصراع.

إذًا هذا الحلف هو حلف أبي لهب. هذا الحلف هو حلف شيطان وإن تسمّى باسم الإسلام. لأن هذا الحلف وهو التحالف الإسلامي العسكري هذا تحالف لمصلحة الأمريكان، ولمصلحة الغرب، ولمصلحة هؤلاء المجرمين وهذه الحكومات الجاثمة على صدر أمتنا. هذا حلف شيطان فاحذروه. احذروا هذا الحلف، واستعيذوا بالله من هذا الحلف. هذا الحلف المشؤوم الذي أراد آل سعود أن يمكنوا أنفسهم حماية أو خوفًا من إيران وأيضًا حربًا واستئصالًا على المسلمين.

لو كانوا صادقين لأطلقوا سراح الشيوخ، وأطلقوا سراح شيوخ السنة الذين يقفون ضد الروافض، ولأطلقوا آلاف الشباب في أرض الحرمين. آلاف الشباب موجودة في سجون هذه الدول جمعاء، لو كانوا صادقين لأطلقوا سراحهم. لكنها حرب لاستئصال هذا النوع من المسلمين. يريدون إسلامًا حسب الأنموذج، وحسب المواصفات الأمريكية الغربية أي لا إسلام.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

-------- [جِلسة الاستراحة] ---------

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، نثني عليه الخير كله، نشكره ولا نكفره، ونخلع ونترك من يفجره. اللهم إياك نعبد، ولك نصلي ونسجد، وإليك نسعى ونحفد، نرجو رحمتك ونخشى عذابك، إن عذابك الجد بالكفار ملحق. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. وبعد؛

الأمور لا تحتاج إلى خبراء درسوا في أكسفورد أو في هارفارد. الموضوع بسيط جدًا. الآن خمس وثلاثون دولة دعك من الأسماء، دعك من كلمة الإسلامي هذه. كم رأينا من اللحى والنقاب، واحدة منتقبة كانت ترفع صورة السيسي! هذا السفاح المجرم.

ورأينا لحى برهامي وهؤلاء السلفية المنبطحة المجرمة التي تدافع عن هؤلاء، رأيناهم يرفعون صورة السيسي وينتخبون السيسي. يعني رأينا هذه النوعيات فلا نغتر بالأسماء ولا باللحى ولا بالقميص القصير. وإن كنا نعظّم الهدي الظاهر نعم ونقدره، لكن لا نغتر فيه. لا بد من الممارسة. نعلم أن هذه الدول تاريخها عار علينا، تاريخها أنها محاربة للإسلام. لا يوجد في هذه الدول الخمس وثلاثين التي وافقت الآن من يدافع عن الإسلام والمسلمين.

قلنا لهم لو كنتم صادقين في محاربة الإرهاب فأنتم تعتبرون دولة إسرائيل دولة إرهاب، وهم يقولون ذلك وبعض الدول تقول هكذا في وسائل إعلامها. إذًا فابدأ بجارك أولى! الأقربون أولى بالمعروف.

لو كنتم صادقين يا حلف الزور والبهتان، يا حلف الشيطان، لو كنتم صادقين فها هي غزة اذهبوا لتحريرها أو افتحوها، يعني أدخلوا الغذاء والدواء بدل أن يحاصرها جيش الردة والخيانة الجيش المصري المرتزق.

لو كنتم صادقين حرروا بلادكم وأنفسكم من القواعد الأمريكية والقواعد الفرنسية. كل من هبّ ودبّ محتل العالم الإسلامي الآن!

قلنا لكم إسرائيل ونقولها على أساس أنها العدو الغاصب، أنتم كثير منكم يقول هي الإرهاب. بالمنظر طبعًا إرضاءً للشعوب.

الآن في مصر إسرائيل ليست دولة إرهابية وإنما حماس هي الإرهابية! أي مسلم إرهابي عدا إسرائيل! وهذا علني في الفضائيات. ورأينا هذا العكش وهذا المجرم الخبيث يقول هكذا، بل ويقول إنهم شهداء! يعني يقول على الذي يُقتل من العدو الغاصب لفلسطين إنهم شهداء!

أرأيتم العار وصل إلى أي درجة؟! ثم تقول هؤلاء سيحاربون الإرهاب؟ يعني سيحاربون الإسلام.

يعترض معترض أو محلل أو منبطح أو متميع أو أي شيء يقول لك يا شيخ الإرهاب كلمة عامة.

فإسرائيل هذه أليست دولة إرهابية؟ لماذا لم يحاربوها؟!

هم يقولون إيران دولة إرهابية وجماعتها إرهابية وهؤلاء إرهابيون، لماذا لم تزحف هذه الجيوش ويذهبوا إلى تحرير طنب الكبرى والصغرى الجزر الثلاث في الإمارات؟! لماذا لم يفعلوا ذلك مع أي جماعة؟ حزب اللات في لبنان؟ وهذه الجماعات الموجودة؟ وهم يعترفون أنها جماعات إرهابية، هم يعترفون أن جماعات المليشيات الشيعية الرافضية إرهابية. ورغم ذلك لم يفعلوا.

لذلك نحن نقول نحن لا نفتري عليكم! أنتم تقصدون الإرهاب أي الإسلام وهذا الحلف موافق عليه أمريكيًا. وإلا هل استمعتم إلى أي ضجيج وعجيج من الإعلام الغربي الذي يقبب الحباب ويجعل من الحبة قبة! هل رأيتم أي شيء؟ بالعكس بل يحللها وهو مبسوط. ولم يهتموا بالمسألة من معنى الخوف مثلًا من هذا الحلف لأنهم يقولون أنت غرس يدينا.

فحتى الإعلاميون الغربيون والصحفيون الغربيون هؤلاء يعلمون جيدًا أن هذا الحلف مشكل بطريقة معينة ولهدف معين وهو ضرب أي جماعة إسلامية وتتبّعها في العالم الإسلامي أو في أي مكان في العالم. وهذا الذي قاله محمد ولي ولي العهد هذا وزير الدفاع السعودي ابن الملك سلمان قال هكذا. قال ليس تنظيم الدولة فقط ولكن أي جماعة أو أي تنظيم في أي مكان في العالم. هذا الحلف لمحاربة هؤلاء.

وكأنهم لم يفعلوا ذلك؟! هذه الدول عندها ما يُسمى وزراء داخلية العرب، ووزراء الأمن. وكل شيء فاشل عندهم إلا في هذا! لم يفشلوا مرة في موضوع اجتماع وزراء الداخلية هؤلاء ووزراء الأمن. فهذا من قديم ولا يحتاج إلا أحلاف وغيره، هم يحاربون الإسلام أصلًا من البداية وهناك توصيات بينهم.

لكن هذا الحلف فقط للتدخل خاصة إعداد تدخل في الشام، وإعداد تدخل في بعض الأماكن للقضاء عليها. وخاصة هذا الأمر في الشام. بل ويقول حتى أفغانستان وهذه الجماعات الإرهابية في أفغانستان. ما الجماعات الإرهابية؟ يعني طالبان إرهابية! هذا هو الذي يقصدونه. ما أدخلك بأفغانستان؟ ما علاقة أفغانستان رغم أنها لم توقع على الحلف حتى الآن. يعني هو يقصد طالبان.

إذًا أنتم تريدون أي جماعة إسلامية على وجه الأرض ضد المشروع الأمريكي. هذا حلف عبارة عن كتيبة في الجيش الأمريكي. يعني هذه الدول مجتمعة عبارة عن كتيبة في الجيش الأمريكي ولكن هم يقولون فخار يكسر بعضه بعضًا. يعني هذا اسمه محمد وهذا اسمه علي ولكن هذا جندي أو ضابط في الجيش المصري وهذا في الجيش المغربي والموريتاني وغيره والسعودي ولكن هذه الجماعات الإسلامية أيضًا اسمهم محمد وعلي ومحمود. إذًا يضربون بعضهم ونحن نرتاح. نضربهم من الجو فقط بمساعدة هؤلاء. يقول ولماذا نتعب الجندي عندنا وينزل يدافع عن هؤلاء دافعوا أنتم عن أنفسكم.

إذًا هذه الخطة مرسومة لهم هكذا.

ولذلك أنا أحب أن أضيف هنا بأن هذا هو تخطيط الملك سلمان. بعض المصريين المعارضة وما يُسمى بالمعارضة الإسلامية والمشروع الإسلامي الإخواني فرحوا بقدوم الملك سلمان! قلنا لهم لا تفرحوا؛ فشهاب الدين مثل أخيه. الاثنان سيّان يعني. يعني عبد الله مثل سلمان.

ولكنهم لم يصدقوا وشنّعوا علينا. أحد هؤلاء أرسل لي وهو من كبار القادة عندهم أرسل لي رسالة وقال يا شيخ حاول تخفف عن الملك سلمان، نحن نعطي له فرصة وننتظر،

وأنت جالس تنتقد من أول ما جاء، أيام عاصفة الحزم هكذا ومن أول ما أتى. الحية لا تلد إلا حية! وكيف أعاودك وهذا أثر غرسك، هذا الذي كان موجودًا في طوال هذه الحقبة.

أنتم الآن أعطيتموهم فرصة ماذا فعل الآن؟ لاحظوا الملك سلمان رضي الله عنه! بل ومنهم من شبهه قال الملك سلمان هو خالد بن الوليد، وأتى هذا المخبر المسمى بعائض القرني وظلّ يتميع ويعمل فيه التوسّمات والشعر الذي لا يُقال إلا في الخلفاء الراشدين. وبعض المخابيل والمساطيل والمهابيل، مع أنهم أناس خائبون منهزمون لا يستطيعون التمييز، العقيدة متآكلة وناعمة ومتميعة لا تستطيع أن تميز!

كيف هذا وصل لسدة الحكم ووصل بهذه الطريقة وهو رجل مسن وطاعن في السن وما شاء الله سيدافع عن الإخوان وعن المسلمين ويطرد السيسي! هو كان يخدّر فقط للصراع في البيت الواحد، الآن صفّى الصراع في البيت الواحد عندهم في القصر الملكي وانتهى الأمر. فماذا فعل هؤلاء الذين كانوا يعيشون في هذا الوهم؟!

والآن حلف التقارب القطري السعودي التركي فرحوا به! فما رأيكم أن هذا التقارب على مصالحكم، وضار بكم أيها الإخوان، وخاصة الذين في الخارج أو في الداخل حتى. لماذا؟ لأن السعودية ستضغط على تركيا -الأمن القومي، والإخوان مفلسون ومشاكلهم كثيرة ولا نريد نغضب الغرب، وماذا استفدت أنت، والغرب سيغضب عليك، وسنعطيك مشروعات-.

فمع الضغوط يقول ماذا نفعل؟ يقولون إما أن يرضوا ويعملوا تسوية مع السيسي أو مع العسكر الموجودين في مصر والمجلس العسكري، نعمل لهم تسوية وصلح ويرضوا بالواقع الموجود، ويفرجوا لهم عن بعض السجناء والموضوع يكون فيه صلح خفي هكذا ويرضوا بالواقع. ويتم تأجيل إعدام مرسي والمجموعة هذه حتى يساوموهم ويضغطوا عليهم.

فإذا أصروا فأول شيء يتم التضييق عليهم وفي موضوع القنوات الفضائية التي تبث من تركيا: أيها الإخوان غيروا خطابكم. ثانيًا بعد ذلك الخطاب لا يعجبنا.

تلكيك. أنتم مخالفون لبعض القواعد الموجودة في موضوع البث، ويتلككون بأي شيء ثم إغلاق القنوات الفضائية. والمرحلة الأخيرة الطرد كما حدث لهم في قطر. ألم تطردهم قطر؟ وطردت القادة بما فيهم الشيخ وجدي غنيم وحمزة زوبعة، كل هؤلاء ألم تطردهم؟ فما بالك الآن؟! فضغوط التقارب هذا لا يبشر بخير.

لذلك اعلم أن خلافهم والله رحمة للأمة. ولذلك ادع دائمًا أيها المسلم أن يمزقهم الله وأن يضرب قلوبهم ببعض وألا يجتمعوا على شيء؛ لأن اجتماعهم ضار بك أيها المسلم في أي مكان. شياطين تجتمع مع بعضها فعلى ماذا سيتفقون؟! سيتفقون على {أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ} [النمل: ٥٦].

إذًا الذي نقوله أنه يجب على الناس أن تحذر. احذروا عباد الله من هذا التقارب. هذا التقارب لا يبشر بالخير. خذوا حذركم أيها الإخوان. عندكم أكثر من ستين ألف أنتم وغيركم في السجون. هؤلاء سيضحون بكم وبسجنائكم وبمن قُتل، وبمن اغتُصب.

فأي قطرة دم أُريقت وتُراق في العالم الإسلامي الآن وخاصة في مصر والشام يتحملها الملك سلمان، وهي في رقبة الملك سلمان وآل سعود وفي رقبة أخيه الهالك عبد الله، وفي رقبة حكام الخليج جميعًا.

هذه الدول جميعًا شركاء في قتل المسلمين في أي مكان. وخاصة في مصر الذين موّلوا وساعدوا. فإذا بالملك سلمان يعطي هدية إمداد الروح ويعطي خمس سنوات بترول لجيش العار جيش مصر. خمس سنوات يا رجل بترول!

ويأمر الملك سلمان المستثمرين السعوديين بالذهاب والاستثمار في مصر. تخيل! يعني الدولة على إفلاس، والجيش سينهار، والعملية في انهيار يأتي سلمان ينقذ هذا الجيش المجرم. ويوافق هذا العسكر على أن يدخلوا في التحالف بسبب الفلوس (الرز) الذي أخذوه. ولذلك وافقوا على الدخول في حلف سلمان أو ما يُسمى بالتحالف الإسلامي العسكري هذا بسبب الرز! وبسبب الرشوة! فهم جيش مرتزقة.

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يحرر بلاد الإسلام والمسلمين من طواغيت العرب والعجم.

اللهم إنا عبيدك بنو عبيدك بنو إمائك نواصينا بيدك ماض فينا حكمك عدل فينا قضاؤك نسألك بكل اسم هو لك أنزلته في كتابك أو علمته أحدًا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا وجلاء همنا وذهاب غمنا وحزننا. ذكّرنا منه ما نُسّينا، وارزقنا حسن تلاوته آناء الليل وأطراف النهار لعلك ترضى.

اللهم عليك بطواغيت العرب والعجم يا رب العالمين. اللهم أرنا فيهم عجائب قدرتك فإنهم لا يعجزونك.

اللهم انصر عبادك الموحدين المجاهدين في كل مكان، اللهم آمين.

# جمهورية عسكرستان! وجيش ضرار مصر

د. هاني السباعي

لا أتألى على الله إذ قلت إن مصر لن تنعم بالأمن طالما السيسى وطغمة العسكر في سدة الحكم! هذا الجيش حامي حمى صروح العلمنة! عسكر احتلال مصر الحضانة الجاهلية بكل من هب ودب بالطعن في الإسلام وأهله! هذا جيش ضرار! جيش خبث وخبائث! جيش احتلال مصر وكر الأشرار، ومعقل الخيانة وإشاعة االفاحشة والرذائل. فضح جيش احتلال مصر وأزلامه من؛ قضاء، إعلام، شيوخ، قسوس، شعب سيس ضال تابع لأي ناعق وزاعق!؛ ضرورة شرعية.

وإلى الحائرين المترددين في حكم جيش احتلال مصر أقول: هل عسكر مصر يقاتل في سبيل الله أم في سبيل أمريكا وأعداء الإسلام! هل ينصر المؤمنين ويواليهم! أم ينصر الكافرين ويواليهم! هذا الجيش منذ تأسيسه على معاداة الإسلام وهو ضد تمكين الشريعة الإسلامية! تاريخه المخزي في سجن وسحل وقتل المسلمين وإذلالهم لمصلحة أعداء الأمة!

جيش يعادي المسلمين ويحاربهم ويقتلهم ويتآمرعليهم! جيش يوالي الكفار وينتصر لهم ويحرس مصالحهم ويحاصر المسلمين في مصر وليبيا وفلسطين وسوريا وغيرها! فهل جيش بهذه الصفات والأفعال جيش يقاتل في سبيل الله أم في سبيل الطاغوت! استمع لقول الله تعالى الذي وضح لك أيها المسلم مناط الحكم على عسكر مصر لكي لاتقع في حمأة الارجاء المسبح بحمد الطواغيت! (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت. فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا) النساء آية ٧٦.

هكذا استبان لنا أن جيش مصر بالاستقراء والتتبع أنهم يقاتلون في سبيل الطاغوت! ورأس الطاغوت الشيطان وأولياؤه! وحتى أولياء الشيطان يطلق عليهم طاغوت! فإبليس كبيرهم! فهو من الطغيان وتجاوز الحد ومحاداة الله وتحديه في حكمه وتشريعه! فهذا أمر رباني للمؤمنين (فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا).

يا شعب مصر! جيشك خائن قاتل، جيشك طاغوت لزام على كل مسلم أن يكفر بالطاغوت (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى). فعلى كل راع أن يحذر أبناءه من الالتحاق بهذا الجيش الطاغوتي جيش مصر وعلى كل راع أن ألا يزوج بناته ومن له الولاية عليهن من هذه الطائفة العسكرية المجرمة ونفس الحكم على طائفة الشرطة.

لقد تغيرت معالم مصر منذ الحقبة العلمانية التي وضع لبناتها الأولى الجهول الأمي تاجر الدخان محمد علي باشا! وسار على نهجه في العلمنة وتنحية الشريعة بنوه! فمصر تتقلب في حقبة العلمنة من سيء إلى أسوأ حتى وصلنا إلى عهد السفاح الخبيث الخسيس الخؤون الغشوم الكفور الظلوم "المسهوك"! السيسي! فصار المرادف لاسم مصر التي فتحها عمر بن العاص والصحابة الكرام رضي الله عنهم؛ صار مرادفها في الحقبة السيسية!: زندقستان، زندستان، كفرستان، شركستان، فسقستان، نفاقستان، فجرستان، خلاعستان، مجونستان، خرابستان، عسكر ستان.!

أيها المسلم بمصر حرر بلدك من جيش ضرار! حرر بلدك من عسكرستان! مصر ليست أرض العسكر. مصر أرض الإسلام وستظل كذلك بإذن الله وليذهب جيش احتلال مصر إلى الجحيم.

ارفع رأس أنت مسلم. الإسلام يعلو ولا يعلى عليه. اجهر لا تتردد: إما الإسلام وإما العسكر.

د.هاني السباعي ٢٢ ربيع الثاني ١٤٣٧هـ ٢ فبراير ٢٠١٦

# زنادقة الأدب والفكر
# قراءة في تاريخ الزندقة قديماً وحديثاً

**د. هاني السباعي**

مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية

**تقدمة:**

لغتنا الجميلة وأثرها في حماية العقيدة.. تحت ظل هذه العبارة كنت أتحاور مع أخ مكرم عن تلك العروس التي هجرها خطابها رغم حسنها وجلالها، وحلاوة منطقها، وعذوبة حديثها، وفصاحة لسانها، رغم أنها سليلة الحسب والنسب، كريمة القبيلة والعشيرة.. رغم كل هذا البيان لذات السحر الحلال.. هجرها خطابها!!

وبينما كنا نهيم بتلك العروس، ونتجاذب أطراف الحديث، ونتناسل الأفكار عن عروسنا المصون، تلك التي صانت حمى العقيدة عبر العصور، وتصدت لهجمات الزنادقة والملحدين، فكم من قلم جبار كسرته، وكم من لسان حاد أخرصته، وكم.. وكم!!

وفي فوران الشجون ذكرني صديقي أن عروسنا المصون منذ بضع سنين قد فقدت عاشقاً لطالما تغنى بها ونذر حياته للذب عن حسنها وكريم معدنها.. فقدت العروس عالم اللغة والبيان الدكتور مصطفى هدارة.. ذلك العالم الناقد البصير الذي صان عرض اللغة العربية وتصدى لأقلام الزنادقة والملاحدة وأهل الانحراف.. رحل عن عالمنا في صمت ولم يعلم بوفاته إلا قلة من غرباء هذا الزمان!! مر عامان على ذكراه ورحل عن دنيانا بعدما أثرى المكتبة العربية والإسلامية بكتاباته وأبحاثه ومقالاته.. رحل صاحب (اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري).. فاسترجعت وصديقي رغم أننا لم نستفق بعد حسرتنا لفراق فارس البيان وشيخ العربية في هذا العصر علامة الأدب الشيخ

محمود شاكر.. ومرت الذكرى.. والعروس تبكي فوارسها.. هكذا رحل فارسان من فوارس اللغة والبيان.. ومنذ شهرين .. تحديداً في ١٥ شوال ١٤٢٣هـ رحل عالم دمشق المحقق اللغوي الفقيه الشافعي الشيخ العلامة عبد الغني علي الدقر مؤس جمعية الغراء بسوريا وصاحب عدة كتب في اللغة والنحو والفقه منها معجم القواعد العربية في النحو وتحقيق وترتيب شرح شذور الذهب وله مختصر تفسير الخازن ومؤلفات أخرى رحمه الله وقد رحل ولم تهتم بموته وسائل الإعلام.. فإنا لله وإنا إليه راجعون.. فالمحن تترى وتتكاثر؛ محنة ودعت وأخرى أغارت!! فمن للزنادقة.. وفوارس البيان قد غأبوا؟!!

ورغم سريان سموم الزندقة في حياتنا الإعلامية فلن يضر جسد لغتنا العربية المحفوظة بحفظ الله لها تلكم السموم.. ورغم غياب الفوارس الذين كانوا يذبون عن لغتنا العربيةإلا أن رحم الأمة ولود والحمد لله.

فضل علماء اللغة في كشف زيغ الزنادقة:

وقد يعجب القارئ لحديثنا عن فضل علماء اللغة في حماية العقيدة!! وقد يسأل سائل: وأين موقع علماء الأصول والحديث والفقه في حماية العقيدة؟!! نحن لا ننكر فضل هؤلاء جميعاً في حماية العقيدة الإسلامية. فكل هؤلاء يقفون في جبهة الإسلام العريضة التي تسع الجميع.. فالإمام أحمد بن حنبل المتوفى ٢٤١هـ له كتاب ماتع في الرد على الزنادقة وخاصة في مجال الشبهات التي كانوا يثيرونها حول تعارض آي القرآن.. والكتاب مطبوع بالعنوان التالي: (الرد على الزنادقة والجهمية) المطبعة السلفية بالقاهرة محقق في جزء واحد.. لكن السبق لأهل اللغة في كشف الشعوبية والزندقة أمر لا ينكره علماء الأصول والحديث والفقه.. فرواد اللغة الأوائل لهم الفضل في كشف لحن القول ودحض شبه المبطلين.. لم لا؟!! مع التنبيه أن علماء اللغة والأدب قديماً كانوا أهل حديث وفقه وتاريخ لكن شهرتهم جاءت من خلال تخصصهم في كتب الأدب واللغة.. وقد حمل لواء هذه المعركة إمامان من أئمة اللغة والبيان.. أما الأول: الجاحظ المعتزلي (ت ٢٥٥هـ). وأما الثاني: هو خطيب أهل السنة ابن قتيبة (٢٧٦هـ)..

أولاً: الجاحظ المعتزلي (ت٢٥٥هـ):

هو أبوعثمان عمرو بن بحر ولد في البصرة وقضى فيها أكثر عمره ولكنه في ٢٠٤هـ رحل إلى بغداد ثم علا نجمه لما اتصل بوزير الخليفة المعتصم محمد بن عبد الملك الزيات فأصبح من الموسرين وذاع صيته في العالم الإسلامي .. ومن أشهر كتبه: نظم القرآن ،البيان والتبيين، والحيوان، وفضيلة المعتزلة، والرد على اليهود، الرد على النصارى، البخلاء، كتاب اللصوص وغيرها ذلك من كتب ورسائل.. ثم رجع إلى البصرة وهناك أصيب بشلل في جسده ومات في المحرم سنة ٢٥٥هـ وعمره نحو ست وتسعين سنة.

وقد: "تصدى الجاحظ وابن قتيبة لهذه النزعة الآثمة وردّا عليها رداً عنيفاً، أما الجاحظ فعقد في كتابه "البيان والتبيين" باباً طويلاً سماه "كتاب العصا" صوّر فيه طعن الشعوبية على العرب في خطاباتهم، إذ كانوا يشيرون فيها بالعصي والمخاصر، كما كانوا يتكئون على القسي، مما يصرف في رأي الشعوبيين الخاطر ويشغل الذهن أثناء الخطابة.. وزعموا أن الفرس أخطب من العرب .. وكل ذلك نازعهم الجاحظ في عنف شديد، ولكي يبلغ كل ما كان يريد إفحامهم ومقاومتهم جعل كتابه (البيان والتبيين) رداً مفحماً عليهم، إذ خصصه لعرض الثقافة العربية الخالصة في صورها المختلفة من الخطابة والشعر والأمثال، كي يروا رؤية العين ما في هذه الثقافة من قيم بلاغية وجمالية، فينتهوا عن مزاعمهم ويثوبوا إلى رشدهم"[١٧٤]

ثانياً: ابن قتيبة السني (ت ٢٧٦هـ):

هو أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، ولد بالكوفة سنة ٢١٣هـ ونشأ في بغداد وكان عالماً بالفقه والتفسير والحديث واللغة والنحو والأدب والتاريخ؛ ومن شيوخه اسحاق بن راهوية وأبو حاتم السجستاني وغيرهما. وقد تولى القضاء في مدينة دينور لذلك سمي بالدينوري.. وقد كان خطيب أهل السنة شديداً على المعتزلة وهاجم

---

١٧٤ العصر العباسي الثاني: د. شوقي ضيف/ دار المعارف/القاهرة/ص٩٨ وص٩٩.

النظام والعلاف واتهم الجاحظ بأنه يؤلف الكتب للتسلية وليس لرفع شأن الدين، وله كتب عديدة منها: عيون الأخبار، وأدب الكاتب، وكتاب مشكل القرآن، تأويل مختلف الحديث، كتاب المعارف، والشعر والشعراء وغيرها.. وكانت وفاته في بغداد في أول رجب سنة ٢٧٦هـ.

وقد ألف ابن قتيبة في الرد على الشعوبيين مبحثاً سماه "كتاب العرب أو الرد على الشعوبية" وهو في مطالعه يذكر أن من أشد الشعوبيين عداوة للعرب قوماً من كتاب الدواوين امتعضوا لآداب أقوامهم.. ويقول إنهم كانوا يُزرون على الحكم والأمثال العربية بما يروون عن الفرس واليونان من آداب وعلوم. ولم يكتف بعنفه عليهم في هذا المبحث الطريف، فقد عنف بهم في مقدمة كتابه (أدب الكاتب) مصوراً قصورهم عن النهوض بوظيفتهم الأدبية في الدواوين لنقد ثقافتهم العربية. وقد حاول محاولة طريفة في كتابه "عيون الأخيار" أن يجمع بين تلك الثقافة والثقافات الأجنبية ليبين أنها كلها ضرورية ولا تعارض بينها بوجه من الوجوه مما قضى على الشعوبية قضاءً مبرماً"[١٧٥]

أقول: هكذا فطن أهل اللغة لخطورة دعوى الشعوبية التي كانت تحتقر العرب وتفضل الفرس وتمجد لغتها على لغة العرب ولم تقتصر هذه الشعوبية على الفرس فقط بل امتدت إلى سائر الأمم التي أذعنت للعرب كالزنج، والزط من أهل السند، وكالنبط والقبط والبربر وغيرهم.

معنى ذلك أن النتيجة المنطقية لهذه الدعوى الشعوبية هو احتقارهم لنبي العرب صلى الله عليه وسلم الذي أنزل الله عليه قرآناً عربياً.. ومن ثم كانت الشعوبية الوجه الآخر للزندقة فهما بحق وجهان لعملة واحدة..

ومن منطلق هذه التقدمة سأقصر حديثي حول النقاط التالية:

أولاً: معنى الزندقة لغة.

ثانياً: متى وكيف ظهرت الزندقة في التاريخ الإسلامي.

---

١٧٥ العصر العباسي الثاني:ص٩٩.

ثالثا: الزنادقة الأوائل. مع مختارات من كتاباتهم وأشعارهم.

رابعاً: الزنادقة الجدد مع مختارات من كتاباتهم .

خامساً: **صفوة القول.**

أولاً: معنى الزندقة لغة:

اختلف الباحثون في أصل هذه الكلمة "زندقة" لكن أقرب الأقوال إلى هذه الكلمة: "فارسي معرب عن زنديك فإنّ الكلمة كانت تطلق بمعناها الأصلي على المؤمن المخلص من أتباع ماني. ولما كان الزادشتية يعدون المانوية ملحدين خارجين على الزرادشتية، فقد أطلقت عندهم على كل ملحد لا يؤمن بالدين الحق. وفي ذلك يقول "براون" شارحاً له ومدللاً عليه: "كلمة زنديق صفة فارسية معناها متتبع الزند أي الشروح القديمة للأفستا وهو كتاب زرادشت المفضل له على النص المقدس. وقد سمي المانوية زنادقة لميلهم إلى تأويل الكتب المقدسة للديانات الأخرى وشرحها حسب آرائهم وأهوائهم"[١٧٦]

أقول: والذي يرجح أن أصلها فارسي معرب ما جاء في لسان العربي لابن منظور: الزِّنْدِيقُ القائل ببقاء الدهر , فارسي معرب, وهو بالفارسية : زَنْدِ كِرَايْ , يقول بدوام بقاء الدهر. والزَّنْدَقةُ الضِّيقُ , وقيل : الزِّنْدِيقُ منه لأنه ضيّق على نفسه. التهذيب : الزِّنْدِيقُ معروف, و زَنْدَقَتُه أنه لا يؤمن بالآخرة ووَحْدانيّة الخالق . وقال أحمد بن يحيى : ليس زِنْدِيق ولا فَرْزِين من كلام العرب , ثم قال; ولكن البَياذِقةُ هم الرّجّالة , قال : وليس في كلام العرب زِنْدِيق , وإنما تقول العرب رجل زَنْدَق و زَنْدَقِيّ إذا كان شديد البخل, فإذا أرادت العرب معنى ما تقوله العامة قالوا : مُلْحِد ودَهْرِيّ , فإذا أرادوا معنى السِّنِّ قالوا : دُهْرِيّ , قال : وقال سيبويه الهاء في زَنادِقة وفَرازِنة عوض من الياء في زِنْدِيق وفَرْزِين , وأصله الزَّنادِيق الجوهري : الزِّنْدِيقُ من الثَّنَوِيَّة وهو معرب , والجمع الزَّنادِقة وقد تَزَنْدَقَ

١٧٦ الزندقة والشعوبية في العصر العباسي: د. حسين عطوان/دار الجيل/بيروت/ص١٢.

والاسم الزَّنْدَقة"[١٧٧] وفي مختار الصحاح: "الزنديق م الثنوية وهو فارسي معرب وجمعه زنادقة وقد تزندق والاسم الزندقة."[١٧٨]

وجاء أيضاً في محيط المحيط: " زندق - تزندق الرجل صار زنديقًا أو تخلق بأخلاق الزّنديق. وقولهم من تمنطق تزندق أي من تعلَّم علم المنطق تهوَّر في الزّندقة لأنهُ يتورَّط في الأقيسة والنتائج بما يُفسد العقائِد الدينيَّة التي مدارها على التسليم .. رجلٌ زَنْدَقٌ وزَنْدَقيٌّ أي شديد البخل
الزَّندقة الاسم تزندق. يقال عندهُ زندقةٌ .. الزُّنْدُوق لغةٌ في الصندوق
الزِّنْدِيق من الثنويَّة أو القائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبيَّة أو من يُبطِن الكفر ويُظهِر الإيمان. ومنهُ قول الشاعر:

بغداد دارٌ لأهل المال طيّبةٌ ** وللمفاليس دار الضنك والضيقِ
ظللتُ حيران أمشي في أزِقَّتها ** كأنني مُصحفٌ في بيت زنديقِ

معرَّب زَن دِين أي دِين المرأة ج زناديق زنادِقة. والتاءُ عوض الياء المحذوفة. والزّنادقة في بعض ترجمات العهد الجديد هي تحريف الصدوقيّين نسبةً إلى صدوق الذي أنكر الروح والبعث وغير ذلك. والزّنديق عند العامَّة من لا يراعي حرمةً ولا يحفظ مودَةً "[١٧٩]

وقد ورد هذا المعنى في قاموس "لاروس": "الزندقة: ابطان الكفر وإظهار الإيمان: مذهب القائلين بدوام الدهر من أصحاب زرادشت"[١٨٠]

أقول: لكن هذا المعنى تطور ولم يقتصر على أصحاب ماني لذلك يرى بعض المؤرخين أن للزندقة عدة معان تختلف باختلاف العصور. "فقد كان العرب يطلقون لفظ (زنديق) على من ينفي وجود الله سبحانه، أو يقول إن له شريكاً. وقيل: إن الزنديق

---

١٧٧ لسان العرب: ابن منظور: موقع صخر http://lexicons.ajeeb.com
١٧٨ مختار الصحاح/الزاي/دار الكتاب العرب/ص٢٧٦.
١٧٩ محيط المحيط: بطرس البستاني/موقع صخر على الأنترنت http://lexicons.ajeeb.com
١٨٠ لاروس: د. خليل الجر/مطتبة لاروس/ باريس/ص٦٣٢.

مَنْ يبطن الكفر ويظهر الإيمان.. وكان لفظ زنديق يطلق أول الأمر على كل من يتأثر بالفرس في عادتهم ويسرف في العبث والمجون، ثم صار يطلق بعد ذلك على كل من يتخذ عقائد المانوية شعاراً له، ويتمسك بعقيدة الثنوية، وعبادة إلهين اثنين، واتباع تعاليم ماني. ثم توسعوا في العصر العباسي في إطلاق لفظ الزندقة، فأصبح يطلق على من ينكر الألوهية، أو يتظاهر بالظرف"[١٨١]

ويرى د.عبد الرحمن بدوي أن: "زنديق" لفظ غامض مشترك قد أطلق على معان عدة، مختلفة فيما بينها على الرغم مما قد يجمع بينها من تشابه، فكان يطلق على من يؤمن بالمانوية ويثبت أصلين أزليين للعالم: هما النور والظلمة. ثم اتسع المعنى من بعد اتساعاً كبيراً حتى أطلق على من يكون مذهبه مخالفاً لمذهب أهل السنة أو حتى من كان يحيا حياة المجون من الشعراء والكتاب ومن إليهم"[١٨٢]

الزندقة إذن: "حركة دينية سياسية، ابتغى أصحابها بعث الديانات الثنوية الفارسية، وكان أكثرهم يعتنقون المانوية خاصة، وكان أهل الإباحة منهم يتأثرون المزكية أيضاً. وقد دبروا لطمس العقيدة الإسلامية، ونسف ُمثل الأمة العربية، ليقوضوا الدولة الإسلامية، ويعيدوا الدولة الفارسية الثنوية، وكان الزنادقة مخادعين أذكياء، ودُهاة خبثاء، فتستروا بالإسلام، وأسروا الكفر، إخفاء لعقائدهم، وتغطية لأهدافهم، وتيسيراً لعملهم، وكان رؤساؤهم وأتباعهم من الموالي الفرس، وكان شعراؤهم أهم من جد منهم في إحياء تراثهم الديني ونشره، وأكبر من لجّ منهم في تخريب الإسلام وتهديمه وأشهر من نشط منهم في تشويه الخلق العربي وتحطيمه. واشتط في ذلك منهم الشعراء الموالي الكوفيين أكثر من البصريين، لأن الكوفة سبقت البصرة في الزندقة، وفاقتها في الإباحة. وكان مطيع بن إياس وحماد عجرد .. أخطر الزنادقة من أهل الكوفة، وكان بشار بن برد، وصالح بن عبد القدوس أخطر الزنادقة الموالي من أهل البصرة. وكان بجانبهم مجانّ وفسقة وعصاة من الشعراء من أهل الكوفة مثل أبي دلامة وعلي بن الخليل،

---

١٨١ تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي: د. حسن إبراهيم/دار الجيل/ بيروت/ج٢/ص٩٦. بتصرف.

١٨٢ من تاريخ الإلحاد في الإسلام/د.عبد الرحمن بدوي/سينا للنشر/القاهرة/ص٣٦ ، وص٣٧.

ووالبة بن الحباب، ومن أهل البصرة سلم الخاسر وأبان بن عبد الحميد، وأبي نواس .. وقد اتهموا جميعاً بالزندقة الدينية"[١٨٣]

التعريف المختار لمعنى كلمة الزندقة:

بعد هذا العرض السابق لتطور معنى الزندقة نرى أن كلمة زنديق تعني من أبطن الكفر وأظهر الإسلام سواء أكان هذا الكفر المانوية أو الفرعونية أو الفينيقية أو البربرية أو النوبية أو العلمانية وغيرها من المذاهب أو النعرات أو القوميات المناهضة والمناقضة للإسلام. فالجامع لهؤلاء هو إبطانهم واخلاصهم له.. ورغم ذلك فإنهم يتمسكون بكلمة الإسلام إما خشية انتقام الأمة منهم وإما خبثاً ليروجوا مذاهبهم وعقائدهم الباطلة تحت عباءة الإسلام.. وعلى أية حال فالزندقة الحديثة أشد خطراً على الإسلام وتعاليمه من الزندقة القديمة إذ كان للمسلمين دولة وخليفة وقضاة يحمون بيضة الإسلام ويخشى سطوتهم الزنادقة قديماً.. أما اليوم فلا يوجد للمسلمين دولة تذود عن عقيدتهم.. ووسائل الإعلام المسعورة تتسابق على نهش الإسلام ونشر غثاء الزنادقة الجدد.

ثانياً: متى وكيف ظهرت الزندقة:

ذكر بعض المؤرخين والباحثين أن تاريخ محاكمة الزنادقة وتتبعهم منذ عهد الخلفاء العباسيين الأول؛ المهدي والهادي والرشيد وسار على نفس الدرب المأمون والمعتصم. وقد حدد المستشرق "فيدا" بداية محاكمة الزنادقة من سنة ١٦٣هـ إلى سنة ١٧٠هـ أي في السنوات الأخيرة من خلافة المهدي وإبان خلافة الهادي. "ففي سنة ١٦٣هـ بدأت حملة المهدي العنيفة على الزنادقة بأن أمر عبد الجبار المحتسب، والذي يلقبه صاحب الأغاني بلقب (صاحب الزنادقة) بالقبض على الزنادقة الموجودين داخل البلاد. فقبض على من استطاع القبض عليه وأتوا به إلى الخليفة الذي كان حينئذ في دابق، وأمر بقتل بعضهم وتمزيق كتبه. واستمر الخليفة في هذا الاضطهاد في السنوات التالية حتى بلغ الاضطهاد غايته في الفترة ما بين ١٦٦هـ وسنة ١٧٠هـ وكان يقوم على أمر هذا الاضطهاد قضاة مخصوصون، أشهرهم عبد الجبار الذي ذكرناه آنفاً، وعمر الكلوزي

---

١٨٣ الزندقة والشعوبية: ص٢٠١، ص٢٠٢.

الذي عُين في سنة ١٦٧هـ، ثم محمد بن عيسى حمدويه الذي خلف عمر"[١٨٤] هكذا حدد المستشرق "فيْدا" بداية ظهور الزندقة إلى العلن وذلك بإعلان الخليفة المهدي الجهاد على هؤلاء الزنادقة وكان الإعلان الرسمي للدولة في سنة ١٦٣هـ.

أقول: لكن لنا تحفظات على ما ورد من استخدام بعض الألفاظ في عبارة المستشرق فيدا: مثل قوله (بدأت حملة المهدي العنيفة).. وكذا تكرار كلمة (اضطهاد) التي توحي بمعاناة الزنادقة وكأنهم تعرضوا لحملة جور وظلم من قبل دولة الخلافة!! وفيها أيضاً إيحاء بالعطف على هؤلاء الزنادقة.. وكنا نود أن يعترض الدكتور عبد الرحمن بدوي على هذه الألفاظ وخاصة أنه ترجم هذا المقال الذي كتبه فيدا إلى العربية.. فاضطهاد المهدي للزنادقة هو جهاد شرعي، وعنف المهدي مع الزنادقة من باب قوله تعالى (وليجدوا فيكم غلظة)..

ويرى بعض المؤرخين أن ظهور الزندقة كان قبل الخليفة المهدي أي في أواخر الخلافة الأموية.. فابن النديم المتوفى ٣٨٠هـ ذكر أسماء رؤساء المانوية قبل الخلافة العباسية: "كان الجعد بن درهم الذي ينسب إليه مروان بن محمد، فيقال مروان الجعدي، كان مؤدباً له ولولده، فأدخله في الزندقة، وقتل الجعدَ هشامُ بن عبد الملك في خلافته، بعد أن طال حبسه في يد خالد بن عبدالله القسري، فيقال إن آل الجعد، رفعوا قصة إلى هشام يشكون ضعفهم، وطول حبس الجعد، فقال هشام: أهو حي؟ وكتب إلى خالد في قتله، فقتله يوم أضحى وجعله بدلاً من الأضحية بعد أن قال ذلك على المنبر بأمر هشام"[١٨٥]

الشاهد من قول ابن النديم أن الزندقة كانت أيام الأمويين أيضاً وإن كنا لا نتفق معه في رميه الخليفة الأموي مروان بن محمد بالزندقة لعدم وجود وثائق تاريخية تشير إلى زندقة هذا الخليفة.. ومثل هذه التهم يجب الحذر منها لأنها تهم يشنها الخصوم للتشنيع بالآخرين بغية بناء حواجز نفسية لدى الغير بمجرد سماع مثل هذه التهم!!

---

١٨٤ عبد الرحمن بدوي (د): من تاريخ الإلحاد /ص٤١.

١٨٥ ابن النديم: الفهرست: ص٤٧٣.

السبب في عدم ظهور الزندقة إلى العلن في عهد الأمويين:

لم تظهر الزندقة في المجتمع الإسلامي في القرن الأول الهجري، لأن الخلافة الأموية كانت في أوج عزتها وعنفوان قوتها، وكانت واقفة بالمرصاد لكل أصحاب الملل المناقضة للروح الإسلامية، لذلك فإن نشأة الزنادقة كانت في القرن الثاني الهجري، وكان عددهم محدوداً ونشاطهم في غاية السرية.

بالإضافة إلى أن قيام الدولة العباسية كان بسواعد الموالي الفرس الذين قاتلوا مع العباسيين ضد الأمويين وكانوا سبب في القضاء على الدولة الأموية.. ومن ثم اعتمد عليهم الخلفاء العباسيون ووثقوا بهم وكافأوهم واستوزروهم واتخذوا منهم بطانة وقادة لجيوش المسلمين.. إلا أن فئة من مفكريهم لم يلامس الإسلام شغاف قلوبهم وكانوا يحنقون على المسلمين بسبب ضياع ملك الأكاسرة على أيدي المسلمين فأسلموا ظاهراً وأبطنوا الكفر بغية تدمير دولة الخلافة من خلال نشر تعاليم ديانة الفرس القديمة مع نشرالشبهات حول القرآن وفضل العرب ونشرالفساد والعبث والمجون وإشاعة الإنحلال في المجتمع الإسلامي المتماسك بالعقيدة الإسلامية..

هكذا كان الزنادقة في كمون أيام الأمويين ثم ظهروا إلى العلن أيام العباسيين واشتد أوار الزندقة في القرن الثالث الهجري وظهر في منتصف هذا القرن ابن الريوندي وأبو عيسى الوراق والرازي وغيرهم!! وكان صعود نجمهم في القرن الرابع الهجري لذلك لا عجب أن يؤلف المستشرق (آدم متز) كتابه الشهير (الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري) وهو كتاب ترجمه للعربية الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريده وطبعه دار الكتاب العربي ببيروت والكتاب مطبوع في مجلدين.. ولعلنا نتساءل: لماذا اختار آدم متز القرن الرابع الهجري ليكون هو عصر النهضة في الإسلام؟! السبب أن الدولة الإسلامية كانت في هذا القرن والذي قبله قد دب فيها الضعف والتشرذم وظهور دويلات مستقلة وانتشار المذاهب الهدامة كالقرامطة الذين نشر الذعر والقتل في العالم الإسلامي واستباحوا قوافل الحجاج واقتلعوا الحجر الأسود من الكعبة المشرفة الذي ردوه سنة ٣٣٩هـ .. هل هذه قمة الحضارة الإسلامية التي يقصدها آدم متز؟! وفي هذا

القرن ظهرت أفكار الإلحاد على نطاق واسع وظهر الزنادقة الكبار كالحلاج ت ٣٠٩هـ، والشلمغاني المعروف بابن أبي العزاقر ت ٣٢٢هـ الذي كان يقول إن الله يحل في كل شئ.. وأن اللاهوتية اجتمعت في علي رضي الله عنه!! وقد كان الشلمغاني وعصابته الحلولية: "يغتفرون ترك الصلاة والصيام والإغتسال؛ وكانوا لا يتناكحون على السنة، بل يبيحون الفروج، ولا ينكرون أن يطلب أحدهم من صاحبه حرمته، وكانوا يرون أنه لا بد للفاضل منهم أن ينكح المفضول ليولج النور فيه"[١٨٦] وإلى غير ذلك من لواط كما يفعل عبدة الشيطان في زماننا وكما يقول زنادقة الأدب من كفريات في عصرنا الحالي!! وإذا كان القرن الرابع الهجري حسب مقياس متز هو قمة الحضارة الإسلامية فماذا عسانا أن نسمي القرن الثاني الهجري وهو عصر المهدي والرشيد والمأمون والمعتصم وينتهي بالمتوكل!! إذن هذه تقاسيم تاريخية جائرة وغير موضوعية بل نشتم من تقويم هذه الحقب رائحة الخبث والتشويه!! وعلى أية حال فرغم تتبع الخلفاء العباسيين للزنادقة ومحاكمتهم بموجب الشرع ومناظرتهم أمام كبار العلماء والقضاة حتى لا تكون لهم حجة. رغم كل ذلك استمر الزنادقة جيلاً تلو جيل يعيشون في ظلام التاريخ، ويشتد عودهم كلما ضعفت دولة الإسلام!

وأود أن أنبه على قضية هامة ألا وهي قد يظن ظان أن ظهورالزندقة والشعوبية في القرن الثاني الهجري وتتبع الخلفاء العباسيين لهم ومحاكمتهم معنى ذلك أن المجمتمع الإسلامي كان يغلبه الزندقة والشعوبية وأنه كان مجتمعاً ملحداً منحرفاً يغلب عليه العبث والمجون والإنحلال الإخلاقي.. بالطبع هذا تصور بعيد عن الواقع والحقائق التاريخية، فالمجتمع الإسلامي في القرن الثاني الهجري كان قريب من زمن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم ولم تزل روح الإسلامي هي المرفرفة في سمائه وقد كان هناك الفقهاء وأهل الحديث والزهاد والعباد والجيوش المرابطة والجيوس التي تخرج إلى الغزو في رحلتي الشتاء والصيف، وكانت هناك الفتوحات ودخول الناس في دين الله أفواجاً.. لذلك

---

١٨٦ آدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجريتعريب/محمدعبدالهادي أبو ريده/دار الكتاب العربي/ بيروت/ ج٢/ص٦٦ وص٦٧

من الخطأ أن يتبادر إلى الذهن أن المجتمع الإسلامي في القرن الثاني الهجري كانت تشيع فيه روح الفساد والإنحراف .. فالزندقة والشعوبية كانت في فئة خاصة من أبناء العجم الذين كانوا في تآمر دائم على دول الإسلام.. وأما الإنحراف والمجون فقد كان مقصوراً على طبقة مترفة، وكانت هذه الطبقة منبوذة لدى عامة الناس.

ثالثا: الزنادقة الأوائل مع مختارات من كتاباتهم وأشعارهم:

ذكر ابن النديم أسماء رؤساء الزنادقة:

"ومن رؤسائهم المتكلمين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الزندقة: ابن طالوت، أبو شاكر، ابن أخي أبي شاكر، ابن الأعدى الحريزي، ونعمان بن أبي العوجاء، صالح بن عبد القدوس، ولهؤلاء كتب مصنفة في نصرة الاثنين (النور والظلمة) ومن مذاهب أهلها وقد نقضوا كتباً كثيرة صنفها المتكلمون في ذلك. ومن الشعراء: بشار بن يرد، إسحاق بن خلف، ابن نباتة، سلم الخاسر، على بن الخليل، على بن ثابت، ومن تشهر أخيراً أبو عيسى الوراق، وأبو الناشي، والجبهان بن محمد بن أحمد"[١٨٧]

وذكر ابن النديم أيضاً من كان يُرمى بالزندقة من الملوك والرؤساء: "قيل إن البرامكة بأسرها، إلا محمد بن خالد بن برمك، كانت زنادقة، وقيل في الفضل وأخيه الحسن مثل ذلك، وكان محمد بن عبيد الله كاتب المهدي زنديقاً واعترف بذلك فقتله الخليفة المهدي"[١٨٨]

أقول: هكذا استبان لنا خطر الزندقة لدرجة أنهم تغلغلوا في جهاز دولة الخلافة وصارت لهم مناصب كبيرة من رؤساء وشعراء!! ومن ثم لا عجب أن يوصي الخليفة العباسي المهدي (ت١٦٩هـ) ولده موسى الهادي (ت١٧٠هـ) بتتبع الزنادقة وجهادهم وكشفهم والفتك بهم.. حيث يقول الخليفة المهدي في وصيته:

---

١٨٧ ابن النديم: الفهرست/ص٤٧٣.

١٨٨ ابن النديم: الفهرست/ص٤٧٣

وصية الخليفة المهدي:

"يا بني إذا صار الأمر إليك فتجرد لهذه العصابة، يعني أصحاب ماني، فإنها تدعوا الناس إلى ظاهر حسن كاجتناب الفواحش، والزهد في الدنيا، والعمل للآخرة، ثم تخرجها من هذا إلى تحريم اللحوم، ومسّ الماء الطهور، وترك قتل الهوام تحرجاً، ثم تخرجها إلى عبادة: اثنين أحدهما النور والآخر الظلمة، ثم تبيح بعد هذا نكاح الأخوات والبنات، والاغتسال بالبول، وسرقة الأطفال من الطرق، لتنقذهم من ضلال الظلمة إلى هداية النور، فارفع فيها الخشب، وجرّد السيف فيها، وتقرّب بأمرها إلى الله. فإني رأيت جدي العباس رضي الله عنه في المنام قد قلدني سيفين لقتل أصحاب الاثنين"[١٨٩]

بعد هذا التطواف نتكلم عن أهم رموز الزنادقة قديماً نختار منهم: صالح بن عبد القدوس/ وبشار بن برد أما ابن الريوندي فيحتاج إلى بحث خاص.

أولاً صالح بن عبد القدوس:

هو صالح بن عبد القدوس بن عبد الله بن عبد القدوس من أهل البصرة، كان يجلس للوعظ ويقص الأخبار. غير أنه كان يزين الثنوية (دين الفرس القديم)، فلما اشتهر أمره استقدمه الخليفة المهدي، لكنه هرب إلى دمشق واستخفى بها زمناً فلما عرف المهدي مكانه، وجه إليه قريشاً الحنظلي فقبض عليه وجاء له إلى بغداد. فحاكمه المهدي ثم قتله سنة ١٦٧هـ.

ويجمع الإخباريون أن صالح بن عبد القدوس كان من كبار الزنادقة وأنه كان من الثنوية من أتباع ماني.. وقد ذكره ابن النديم في معرض ذكره عن كبار الزنادقة:

" ومن رؤسائهم المتكلمين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الزندقة: ابن طالوت (..) وصالح بن عبد القدوس"[١٩٠]

---

١٨٩ ابن الأثير: الكامل في التاريخ /دار صادر/بيروت/مج٦/ص١٠٤ وص١٠٥.

١٩٠ ابن النديم: الفهرست: ص٤٧٣.

وذكره الخطيب في تاريخه:

" صالح بن عبد القدوس أبو الفضل البصري مولى لاسد أحد الشعراء اتهمه المهدى أمير المؤمنين بالزندقة فأمر بحمله اليه واحضره بين يديه فلما خاطبه اعجب بغزارة ادبه وعلمه وبراعته وحسن بيانه وكثرة حكمته فأمر بتخلية سبيله فلما ولى رده وقال له ألست القائل

والشيخ لا يترك أخلاقه *** حتى يوارى في ثرى رمسه

إذا ارعوى عاد الى جهله *** كذى الضنى عاد الى نكثه

قال: بلى يا أمير المؤمنين. قال: فأنت لا تترك أخلاقك ونحن نحكم فيك بحكمك في نفسك ثم أمر به فقتل وصلب على الجسر.. ويقال إن المهدى أبلغ عنه أبيات يعرض فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم فاحضره المهدى وقال له أنت القائل هذه الأبيات قال لا والله يا أمير المؤمنين والله ما أشركت بالله طرفة عين فاتق الله ولا تسفك دمى على الشبهة وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ادرءوا الحدود بالشبهات وجعل يتلو عليه القرآن حتى رق له وأمر بتخليته فلما ولى قال أنشدنى قصيدتك السينية فأنشده حتى بلغ البيت أوله والشيخ لا يترك أخلاقه فأمر به حينئذ فقتل ويقال إنه كان مشهورا بالزندقة وله مع أبي الهذيل العلاف مناظرات"[١٩١]

قال عنه الذهبي في ميزان الإعتدال: (صاحب الفلسفة والزندقة).. وذكر ابن المعتز سبباً لا عتقاله وهو أنه طعن على الرسول صلى الله عليه وسلم ورجح أن الخليفة هارون الرشيد هو الذي قبض عليه وتولى محاكمته، وأمر بقتله، وإن كان معظم المؤرخين يرون أن المهدي هو الذي قتله .. وعلى أية حال هم متفقون جميعاً على زندقة صالح بن عبد القدوس وأنه ألف كتباً في نصرة المانوية وتصدى للمتكلمين الذين كانوا يدافعون عن الإسلام.. المهم أن ابن المعتز تفرد بهذه الرواية التي تثبت زندقة ابن عبد القدوس حيث يقول: "حدثت من غير هذا الوجه بما هو عندي أثبت

١٩١ الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد: تاريخ بغداد /دار الكتاب العربي/بيروت/الترجمة رقم ٤٨٤٤.

من الأول، وذلك ما رويناه أنه أنهي إلى الرشيد عنه هذه الأبيات، يعرض فيها بالنبي صلى الله عليه وسلم:

غصب المسكينَ زوجتَهُ *** فجرتْ عيناهُ من دُرَرِهْ

ما قضى المسكينُ من وطرٍ *** لا ولا المعشارَ من وطرهْ

عذتُ بالله اللطيف بنا *** أن يكونَ الجوْرُ من قَدَره "[192]

خلاصة القول في صالح بن عبد القدوس:

أنه كان زنديقاً زندقة دينية لا زندقة اجتماعية.. فلم تكن زندقته على سبيل اللهو والعبث والمجون، بل كان يعتقد تعاليم ماني الفارسية القديمة اعتقاداً صادقاً، وكان يومن بالإثنية والإمتزاج بين إله النور وإله الظلمة، وكان يتمسك بنحلته وبمعتقده تمسكاً قوياً، ويدافع عنه دفاعاً مستميتاً.

ثانياً: بشار بن برد (ت١٦٧هـ):

"أصل بشار بن برد من طخارستان في أقصى خراسان وقع جده يرجوخ في سبي المهلب بن أبي صفرة حينما كان والياً على خراسان (٧٨ إلى ٨٢هـ) فأهداه إلى امرأته خيرة بنت ضمرة القشيرية، وكانت تقيم بضيعة لها بالبصرة. ولما وصل يرجوخ إلى البصرة كان معه طفل صغير اسمه بُرد. ولما بلغ برد مبلغ الرجال زوجته مولاته خيرة فتاة من بني عقيل، فولد له بشار سنة ٩١هـ في الأغلب. ولد بشار أكمه (لا يبصر) ونشأ على الفقر وكان شريراً. ثم بدأ قول الشعر وهو لا يزال حدثاً وأخذ يهجو الناس. ويتم بشارٌ عن أبيه وهو بعد صغير. ثم قضى بشار معظم حياته في البصرة وتلقى فيها ضروباً من العلم تسرب إليه معها كثير من الزندقة .. فاتهم بالزندقة وبأن غزله فاحش يدعو إلى الفسق ثم قتل في البصرة نحو ١٦٧هـ. كان بشار شعوبياً زنديقاً"[193]

---

١٩٢ ابن المعتز (عبد الله): طبقات الشعراء /ص٩٠.

١٩٣ فروخ: عمر (د): تاريخ الأدب العربي/دار العلم للملايين/بيروت/ج٢/ص٩٢.

أقول: هذا هو بشار بن برد القائل:

إبليسُ أفضلُ من أبيكم آدم *** فتبينوا يا معشر الفجار

النارُ عنصره وآدم طينة *** والطين لا يسمو سمو النارِ

الأرضُ مظلمةٌ والنارُ مشرقةٌ *** والنارُ معبودةٌ مذ كانت النار

بكل تبجح يقدم بشار إبليس على آدم عليه السلام لأن إبليس مخلوق من نار، ويرجح رأي إبليس في امتناعه من السجود لآدم عليه السلام!! لذلك لما سمع واصل بن عطاء المعتزلي شعر بشار السابق قال: "أما لهذا الملحد الأعمى المشنف المتكنى بأبي معاذ مَنْ يقتله؟ أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية (أي المانوية) لبعثت إليه مَنْ يبعج بطنه على مضجعه، ويقتله في جوف منزله"[١٩٤]

يقول عنه عبد القاهر البغدادي: "وحكى أصحاب المقالات عن بشار أنه ضمّ إلى ضلالته في تكفير الصحابة وتكفير عليّ معهم ضلالتين أخريين إحداهما قوله برجعة الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة كما ذهب إليه أصحاب الرجعة من الرافضة. والثانية قوله بتصويب إبليس في تفضيل النار على الأرض"[١٩٥]

قال عنه الذهبي: "اتهم بالزندقة فضربه المهدي سبعين سوطاً ليقر فمات منها وقيل كان يفضل النار وينتصر لإبليس.. هلك سنة سبع وستين (ومائة) وبلغ التسعين"[١٩٦]

أقول: هذا هو بشار بن برد الذي يهيم به العلمانيون!! لقد كان بشار بن برد مستخفاً بالدين مضيعاً للفروض، إذ كان يدعي الخروج إلى الحج، لينفي تهمة الزندقة عن نفسه، ثم يعود على الحانات، فيقضي وقت الحج بين القيان والخمر، حتى إذا قربت عودة الحجيج حلق رأسه واندس بين القافلين المارين به، لكي لا يشك الناس في أمره. كما كان يبيح لنفسه ترك الصلاة مع الجماعة، مدعياً أنه لا يبصر ولا يتقن

---

١٩٤ الجاحظ: البيان والتبيين / دار صعب/بيروت/ص٢٤

١٩٥ البغدادي (عبد القاهر): الفرق بين الفرق /دار الجيل/ص٣٩.

١٩٦ الذهبي: سير أعلام النبلاء/ج٧/ص٢٥

أداءها، إذ يقول:

وإنني في الصلاة أحضرها *** ضحكة أهل الصلاة إن شهدوا

أقعدُ في الصلاة إذا ركعوا *** وارفع الرأس إن هم سجدوا

ولستُ أدري إذا إمامهم *** سلم كم كان ذلك العددُ

"ويبدو أنه لك يكن صادقاً في دفاعه عن نفسه واقناعه للناس بعدم التعرض له لتخلفه عن صلاة الجماعة، فإنه كان لا يصلى في بيته، إذ يقول بعض أصحابه: (كنا نكون عنده، فإذا حضرت الصلاة قمنا إليها، وجعلنا على ثيابه تراباً حتى ننظر هل يقوم يصلي، فكنا نعود والتراب بحاله وما صلى"[١٩٧]

هذا هو بشار بن برد الذي يسبح بشعره العلمانيون وأهل الحداثة!! لذلك لا غرو أن يدافع عنه الزنادقة الجدد كأدونيس في كتابه الثابت والمتحول.. لا غرو أن يدافع عنه بشار وحماد عجرد وأبي نواس وغيرهم من أهل الزندقة والمجون والخلاعة. لا غرو أن تحصل جيهان صفوت زوجة الرئيس الهالك أنور السادات على درجة العالمية من جامعة القاهرة بتقدير امتياز في رسالتها عن بشار بن برد شيخ الحداثة، ذلك المعذب صاحب الفكر المستنير ضد السلطة الرجعية!!

لاغرو أن يتغنى الزنادقة الجدد بشعر شيخ الحداثة والخلاعة بشار بن برد الذي وضع اللبنات الأولى للزندقة وتسهيلها لدى عوام الناس عن طريق عذوبة شعره وتفننه في توليد المعاني.

بشار بن برد شاعر الخلاعة والتحريض على الفسوق هو القائل:

قد لا مني في خليلتي عُمَرُ *** واللومُ في غير كنهه ضجرُ

قال أفق قلتُ: لا. قال: بلى *** قد شاع في الناس منكما الخبرُ

ثم يتمادى في وصفه للقبلة واللمسة ودغدغة المشاعر:

١٩٧ الزندقة والشعوبية/ص٤٢.

حسبي وحسبُ الذي كلفتُ به *** مني ومنه الحديث والنظرُ

أو قبلة في خلال ذاك وما *** بأسٌ إذا لم تُحَلَّ لي الأزرُ

أو عضةٌ في ذراعها ولها *** فوق ذراعي من عضّها أثرُ

أو لمسةٌ دون مرطها بيدي *** والبابُ قد حال دونه السترُ

والساقُ براقةٌ مخلخلها *** أو مصٌّ ريقٍ وقد علا البَهرُ

واسترخت الكفُّ للعراكِ وقا *** لت إيه عني والدمعُ منحدرُ

انهضْ فما أنت كالذي زعموا *** أنت وربي مغازلٌ أشرُ

يا ربّ خذ لي فقد ترى ضرعي *** من فاسق ما به سَكَرُ

فعلى هذا المنوال نسج بشار قصائده التي تحض على الفحش والرذيلة ورغم تلونه وتفلته كثيراً من عقوبة الزندقة إلا أنه شهد عليه شهود عدول أمام قضاة يحكمون بما أنزل الله وفي حضور خليفة المسلمين المهدي فأمر بضربه سبعين سوطاً حتى هلك.. ولكن بقي شعره المفعم بالزندقة يتوارثه خفافيش الزندقة بغية تحقيق مآربهم الخبيثة..

أقول: أود أن أشير إلى أن هناك أديباً وناقداً كبيراً قد حلل شعر بشار بن برد بطريقة علمية رائعة ألا وهو الدكتور نجيب محمد البهبيتي أستاذ الأدب العربي بالقاهرة في كتابه الماتع (تاريخ الشعر العربي حتى أواخر القرن الثالث الهجري) وهو كتاب عظيم الفائدة طبعته مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الكتاب العربي بلبنان.. ويعتبر الدكتور البهبيتي من أفضل من سبر غور الشعر العربي القديم وخاصة شعر بشار بن برد بل إنه غاص في تحليل الصورة الشعرية لدى بشار وتحليل أوصافه وتراكيب أبياته وقارنها بصور شعراء سابقين بل إنه حطم أسطورة بشار بن برد الشعرية بالدليل.. تلكم الصورة التي يتغنى بها الحدثيون ومن على شاكلتهم، أتمنى أن ينشر هذا الكتاب على نطاق واسع لكي تعم الفائدة ويميز القراء الخبيث من الطيب..

**صفوة القول** في بشار بن برد:

شاعر شعوبي حاقد كاره للعرب كرهاً شديداً، يفتخر بالفرس وبحضارتهم ويعتد بهم اعتداداً شديداً.. كان يقدس النار.. هو من كبار الزنادقة كانت زندقته دينية وإن جمع في نفس الوقت زندقة اجتماعية كما في هو ثابت في شعره من فسقه وفجوره، وإلحاده وكفره .. كان مستخفاً بالدين مضيعاً للفروض.. وقد كان بصيراً بالديانة الفارسية القديمة لدرجة أن صديقه في المجون حماد عجرد قال عنه: (إنه أعلم بالزندقة من ماني) .. وقد زجره الخليفة المهدي عدة مرات لما بلغه عنه من شعر ماجن وما نسب إليه من زندقة.. ولكنه كان ينفي حتى شهد رجال عدول أمام الخليفة أنه زنديق فأمر بمحاكمته ومن ثم أمر بضربه سبعين سوطاً حتى مات ورغم كل هذه الحقائق لم يزل الزناقدة الجدد يسبحون بشعره.. ولله في خلقه شؤون**!!**

رابعاً: الزنادقة الجدد مع مختارات من كتاباتهم:

لقد ابتلي هذا العصر بوجود مجموعة من الزنادقة الذين خرجوا من رحم المنظومات المعادية للإسلام وللأسف الشديد فإنهم منتشرون في كثير من المناحي الحياتية ولهم صوت مسموع في وسائل الإعلام والأخطر من ذلك كله أنهم يعملون في مجال تشكيل العقول وغسيل أمخاخ أجيال كاملة من المسلمين عبر مناصبهم في مجال التربية والتعليم على كافة مستوياته.. من أمثال طه حسين الملقب بعميد الأدب العربي ظلماً وزوراً.. ونجيب محفوظ صاحب رواية أولاد حارتنا التي نال بسبب جائزة نوبل المشبوهة**!!** ومحمد أركون المولود عام ١٩٢٨ في منطقة القبائل بالجزائر.. وعزيز العظمة وهو سوري لا يؤمن بأي دين.. ومحمد بنيس من مدينة فاس ولد عام ١٩٤٨.. وبلند الحيدري ولد في بغداد عام ١٩٢٦م وهو ملحد زنديق.. أدونيس: واسمه الحقيقي على أحمد سعيد أسبر ولد بقرية قصابين بسوريا عام ١٩٣٠م. اختار لنفسه اسم أدونيس وهي رمز لإله الخصب عند اليونان قديماً .. ومعتقده القديم مذهب النصيرية ثم صار شيوعياً ثم تأمرك وصار لا دينيا ومن كبار الزنادقة.. أسس مجلة مواقف عام ١٩٦٨م .. ونختار ثلاثة من الزنادقة الجدد لنسلط الضوء على ما تفوح به أقلامهم من زندقة:

(١) حسن حنفي:

بطاقة تعريف: ولد حسن حنفي في القاهرة عام ١٩٣٥م حصل على ليسانس الفلسفة عام ١٩٥٦ ثم شق تعليمه الجامعي إلى أن حصل على درجة الدكتوراه من جامعة السوربون عام ١٩٦٦.. عين أستاذاً لتدريس الفلسفة في جامعة القاهرة.. شغل منصب السكرتير العام للجمعية الفلسفية المصرية.. يقدم نفسه على أنه صاحب مشروع اليسار الإسلامي.. يؤمن بدبن إسلامي على الطريقة الماركسية يتلاعب بالألفاظ .. وخلاصة أفكار اليسار الإسلامي:

فخلاصة فكر هذه المدرسة (اليسار الإسلامي). أنها امتداد للفكر الإعتزالي ومايسمى بالمدرسة الإصلاحية بزعامة الأفغاني ومحمد عبده ومن رجال هذا التيار اليسار الإسلامي فتحي عثمان ومحمد عابد الجابري وغيرهم ويركز هذا التيار على الثورة وابني الاشتراكية والعدل الاجتماعي وتجديد التراث وغير ذلك.

ويعتبر حسن حنفي أن اليسار الإسلامي هو النقد الذاتي للحركة الإسلامية وهو التيار المعارض والمصحح داخل هذه الحركة الإسلامية، كما أنه يجب إخياء الجوانب الثورية في الدين وتأويل كل حدث على أنه ثورة.

هذه خلاصة أفكار اليسار الإسلامي تلك المدرسة التي يريد أن يفرضها علينا حسن حنفي ومن على شاكلته للأخذ بأيدي المسلمين للفوز بالسعادة الماركسية الحمراء وللمزيد من الإيضاح سنلقي الضوء بعون الله تعالى على أهم ركائز فكر حسن حنفي التدميري وذلك من خلال قراءة في كتابه (التراث والتجديد).. وقد اخترت هذا الكتاب بصفة خاصة عن سائر كتبه لأنه أوضح عبارة وأخطر طرحاً في إفصاحه المباشر عن اطروحته اليسارية ولا تحتاج عباراته إلى تأويل أو غموض قد يحتاج إلى تفسير جلي.. ولكي لا يتهمنا أحد بالتحامل على الدكتور حسن حنفي بزعم أننا نفسر أقواله بما لا تحتمل.. لذلك رشحت هذا الكتاب الذي لم يتب مؤلفه حسن حنفي ولم يعلن ذلك على الملأ بل إنه يعتز به وينادي بكل مافيه.. هذا الكتاب يحتوي على أبرز القضايا التي يدعو لها الدكتور حسن حنفي ويدندن حولها في كتبه ومقالاته

وخاصة مؤلفه الضخم: (من العقيدة إلى الثورة محاولة لإعادة أصول الدين).. وكتابه: (الدين والثورة في مصر).. وكتابه: (مقدمة في علم الإستغراب).. وللكاتب مقالات أخرى في فلسفة اليسار الإسلامي غالبها يدور حول نفس الأفكار التي سنطرحها من خلال كتابه التراث والتجديد في هذه المقالة وأهم هذه الأفكار الهدامة هي:

أولاً: العلمانية أساس الوحي:

وحول هذا العنوان يتساءل حسن حنفي ويفتري على الله الكذب ويقول: "فإن قيل إن التراث والتجديد سيؤدي حتماً إلى حركة علمانية وفي العلمانية قضاء على تراثنا القديم وموروثاتنا الروحية وآثارنا الدينية، قيل قد قد نشأت العلمانية في الغرب إستجابة لدعوة طبيعية تقوم على أساس رفض الصور الخارجية وقسمة الحياة إلى قسمين واستغلال المؤسسات الدينية للجماهير وتوطينها مع السلطة وحفاظها على الأنظمة القائمة نشأت العلمانية استرداداً للإنسان لحريته في السلوك والتعبير وحريته في الفهم والإدراك ورفضه لكل أشكال الوصاية عليه ولأي سلطة فوقه إلا من سلطة العقل والضمير، العلمانية إذن رجوع إلى المضمون دون الشكل وإلى الجوهر دون العرض، وإلى الصدق دون النفاق، وإلى وحدة الإنسان دون ازدواجيته وإلى الإنسان دون غيره العلمانية إذن هي أساس الوحي، فالوحي علماني في جوهره والدونية طارئة عليه من صنع التاريخ، تظهر في لحظات تخلف المجتمعات وتوقفها عن التطور، وما شأننا بالكهنوت والعلمانية ماهي إلا رفض له؟ العلمانية في تراثنا وواقعنا هي الأساس واتهامها باللادونية تبعية لفكر غريب وتراث مغاير وحضارة أخرى"[١٩٨]

ونلاحظ في الفقرة السابقة بياناً صريحاً لدعوة حسن حنفي الإلحادية.. فالصور الخارجية المرفوضة هي: علم الغيب/الجنة/النار/الملائكة.. فالوحي أي القرآن أو الدين بصفة عامة اغتصب حق الإنسان في السلوك والحرية حسب زعم حسن حنفي وأن العلمانية استردت هذا الحق المغصوب وأعادته للإنسان!! فالعلمانية تؤدي إلى الصدق!! أما الدين والوحي والقرآن فيؤدي كل منهما إلى النفاق والكذب!! العلمانية ترفض

١٩٨ حسن حنفي (د):التراث والتجديد/ص٦٣.

أي أشكال الوصاية على الإنسان والوصاية المقصودة هنا هي نصوص القرآن والدين بصفة عامة فالقرآن يضيق على تعبير وحرية الإنسان كما أن هذه العلمانية ترفض أي سلطة- أي النص القرآني- أما العقل فهو وحده رب العلمانية وإلاهها.. ويخلص حنفي إلى أن العلمانية جوهر والدونية طارئة عليه فالدين من صنع التاريخ!! بمعنى أوضح فالقرآن والدين الإسلامي نتاج بشري من صنع التاريخ ووليد ظروف اجتماعية متخلفة لأن الدين لايظهر إلا في مجتمعات متخلفة توقفت عن التطور والعلمانية ترفض هذا الكهنوت – أي الدين- ثم بعد ذلك يقرر هذه الحتمية التاريخية التي لايعرفها إلا حسن حنفي ومن على شاكلته: (العلمانية في تراثنا وواقعنا هي الأساس واتهامها باللادونية تبعية لفكر غريب وتراث مغاير وحضارة أخرى)!! فأي دونية يقصد حسن حنفي؟!! أعتقد أنه يقصد أن العلمانية هي الدين لأنها أساس الوحي حسب زعمه!!

ثانياً: لفظ الجلالة (الله) وألفاظ (الرسول.. الدين الجنة.. النار..إلخ) لم تعد عند حسن حنفي قادرة على التعبير عن مضامينها:

لم تسلم شعائر الدين الإسلامي من طعنه، ولم يسلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حتى ذات الله واسمه الأعظم من افتراءات أستاذ الفلسفة حيث يقول: "إن العلوم الأساسية في تراثنا القديم مازالت تعبر عن نفسها بالألفاظ والمصطلحات التقليدية التي نشأت بها هذه العلوم والتي تقضي في الوقت نفسه على مضمونها ودلالتها والتي تمنع أيضاً إعادة فهمها وتطويرها، يسيطر على هذه اللغة القديمة الألفاظ والمصطلحات الدينية مثل: الله، الرسول، الدين، الجنة، النار، الثواب، العقاب(..) هذه اللغة لم تعد قادرة على التعبير عن مضامينها المتجددة طبقاً لمتطلبات العصر نظراً لطول مصاحبتها للمعاني التقليدية الشائعة التي تريد التخلص منها، ومهما أعطيناها معاني جديدة فإنها لن تؤدي غرضها لسيادة المعنى العرفي الشائع على المعنى الإصطلاحي الجديد، ومن ثم أصبحت لغة عاجزة عن الأداء بمهمتها في التعبير والإيصال"[١٩٩]

---

١٩٩ التراث والتجديد/السابق/ص١١٠.

أقول: انظر إلى هذا الإفتراء وإلى هذه الجرأة الوقحة مع رب العزة سبحانه وتعالى، فلفظ الجلالة ما هو إلا لفظ قاصر ليس له واقع ولا يعبر عن شئ والرسول والجنة والنار ماهي إلا ألفاظ جوفاء قاصرة لا تعبر عن واقع ولا عن شئ بل يدعو حسن حنفي إلى التخلص منها أي رفض الدين جملة وتفصيلاً!! فالأمر إذن دعوة للإلحاد بالمعنى الفصيحح.

ثالثاً: لفظ الجلالة (الله) يحتوي على تناقض حسب افتراءات حسن حنفي:

فحاشا لله أن يحتوي اسمه الأعظم على تناقض.. يشرح حنفي أسباب قصور اللغة القديمة _أي النص القرآني_ فيقول: "إنها لغة إلهية تدور الألفاظ فيها حول "الله" ولو أنه يأخذ دلالات متعددة حسب كل علم، فهو "الشارع" في علم أصول الفقه.. وهو "الحكيم" في علم أصول الدين، وهو "الواحد" في التصوف، لفظ "الله" يستعمله الجميع دون تحديد سابق لمعنى اللفظ إن كان له معنى مستقل أو لما يقصده المتكلم من استعماله، بل إن لفظ "الله" يحتوي على تناقض داخلي في استعماله باعتباره مادة لغوية لتحديد المعاني أو التصورات، مطلقاً يراد التعبير عنه بلفظ محدود"[٢٠٠] ويزيد حسن حنفي شرحه للفظ الجلالة: "يعبر عن اقتضاء أو مطلب، ولا يعبر عن معين أي أنه صرخة وجودية، أكثر منه معنى يمكن التعبير عنه بلفظ من اللغة أو بصور في العقل، وهو رد فعل على حالة نفسية أو عن إحساس أكثر منه تعبيراً عن قصد أو إيصال لمعنى معين، فكل ما نعتقده ثم نعظمه تعويضاً عن فقد، يكون في الحس الشعبي هو الله، وكل ما نصبو إليه ولا نستطيع تحقيقه فهو أيضاً في الشعور الجماهيري هو الله، وكلما حصلنا على تجربة جمالية قلنا: الله! الله! وكلما حفت بنا المصائب دعونا الله، وحلفنا له أيضاً بالله"[٢٠١]

وماذا بعد كل هذه الإفتراءات حول لفظ الجلالة؟! يخلص حنفي إلى الآتي: "فالله لفظ نعبر به عن صرخات الألم وصيحات الفرح أي أنه تعبير أدبي أكثر منه

٢٠٠ /السابق/ص١١٢.
٢٠١ /السابق/ص١١٣.

وصفاً لواقع، وتعبير إنشائي أكثر منه وصفاً خيرياً، وما زالت الإنسانية كلها تحاول البحث عن معنى للفظ الله"[٢٠٢]

انظر إلى قوله (فما زالت الإنسانية كلها).. فلماذا كلها وليس بعضها؟! فهل هذا خطاب علمي موضوعي لرجل يزعم أنه أفنى عمره في البحث والتنقيب، فكأنه يخوفنا بتعميماته – الإنسانية كلها- لكن المسلمين وحتى أصحاب الديانات الأخرى ضد هذه الأطروحة الإلحادية.. أليس المسلمون وأصحاب الديانات الأخرى من الإنسانية؟!.. بالطبع هذا هراء علمي! وهذه طريقة الخطاب الماركسي في التعتيم والحتمية لإرهاب القارئ بأن ما يكتب مسلمة تاريخية!!

وفي تطاوله المستمر على لفظ الجلالة يقول حنفي: (فالله عند الجائع هو الرغيف، وعند المستعبد هو الحرية، وهند المظلوم هو العدل، وعند المحروم عاطفياً هو الحب، وعند المكبوت هو الإشباع، أي أنه في معظم الحالات صرخة المضطهدين، والله في مجتمع يخرج من الخرافة هو العلم، وفي مجتمع آخر هو التقدم، فإذا كان الله هو أعز مالينا فهو الأرض، والتحرر، والتنمية، والعدل، وإذا كان الله هو ما يقيم أودنا وأساس وجودنا ويحفظنا فهو الخبز، والرزق، والقوت، والإدارة، والحرية، وإذا كان الله ما نلجأ إليه حين الضرر، وما نستعيذ به من الشرر فهو القوة والعتاد، والإستعداد، كل إنسان وكل جماعة تسقط من احتياجاتها علي، ويمكن التعرف على تاريخ احتياجات البشر بتتبع معاني لفظ "الله" على مختلف العصور (..) ومن ثم فتوحيدنا هو لاهوت الأرض، ولا هوت الثورة، ولا هوت التنمية، ولا هوت النظام، ولا هوت التقدم، كما هو الحال في العديد من الثقافات المعاصرة في البلاد النامية التي نحن جزء منها"[٢٠٣]

أقول: هكذا يفتري هذا الرجل على الله تخرصاً (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً).. يفتري على اسم الله الأعظم.. تعالى الله عما يقول حنفي علواً كبيراً.. أهذا ما يريد اليسار الإسلامي لديننا!! أهكذا يكتب رجل عن رب العزة سبحانه وتعالى..

---

٢٠٢ السابق/ص١١٤.

٢٠٣ التراث والتجديد/ص١١٣ وص١٣٩.

بكل هذه الوقاحة!! خبرونا إن لم يكن ما كتبه حسن حنفي في الفقرة السابقة إلحاداً وإنكاراً لوجود الله؟!! فماذا يكون إذن؟!! أهكذا يصل الخطاب تحت مظلة البحث العلمي بحق الله تعالى! في منتهى السخف والإستهزاء بجناب رب العزة.. فضلاً عن الإستهزاء بعقيدة أهل التوحيد.. (سبحانك هذا بهتان عظيم).. لو طلب من حسن حنفي أن يكتب بحثاً أو مقالة في فرعون من الفراعين ما اجترأ أن يتحدث بهذه الطريقة الإلحادية التي تدل على زندقة سافرة.. (الله هو الرغيف!! والحب والتنمية والأرض والحرية و الرزق والقوت!!).. والله لقد قال هذا الزنديق الذي يصر على أنه مسلم قولاً (تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا).. ورغم هذا الكفر البواح يتبجح حسن حنفي عبر وسائل الإعلام مدعياً أنه مسلم يقدم مشروعاً حضارياً لينقذ به أمة الإسلام!!

رابعاً: لا تقديس للقرآن والسنة:

قد تناول حنفي في طعنه أعظم ما تعتز به هذه الأمة من شعائر دينها والعاصم لها من الضلال بعد الهدى ومصدر شريعتها إذ يقول: "نشأ التراث من مركز واحد وهو القرآن والسنة ولا يعني هذان المصدران أي تقديس لهما بل هو مجرد وصف لواقع"[٢٠٤]

خامساً: الحجاب كبت جنسي:

لم يترك حسن حنفي أي شعيرة أو فضيلة في الإسلام إلا نقضها وطعن فيها وتطاول وافترى على المشرع الحكيم الذي فرض الحجاب وأمر به!! فيقول حنفي: "سيادة التصور الجنسي للعالم، البداية بالحجاب وعدم الإختلاط، والأمر بغض البصر، وخفض الصوت، وكلما ازداد الحجاب ازدادت الرغبة في معرفة المستور، والدعوة السياسيةالاجتماعية أرحب وأوسع عن هذا التصور الجنسي للعلاقاتالاجتماعية، ولماذا يصنف المواطن إلى رجل وامرأة؟ ولماذا ينظر إلى الإنسان باعتباره ذكراً أم أنثى؟ إن تأكيد النظرة الإنسانية أو الإعلان عن الثورة السياسية من شأنه إحداث ثورة في السلوك

٢٠٤ التراث والتجديد/ص١٥٤.

الفردي دون ماحاجة إلى التصنيف الجنسي للمواطنين، خاصة وإن كان لا يدل على فضيلة بل يدل على رغبة جنسية مكبوتة أو حرمان جنسي في حالة من التسامي والإعلاء"[٢٠٥]

انظر إلى هذا الميزان المقلوب الذي يزن به حسن حنفي أسباب فشل تغيير الواقع بالقديم أي عن طريق القرآن!! فهناك تناسب طردي بين الحجاب والرذيلة!! فكلما ازداد الحجاب زادت الرذيلة!! فالحجاب في نظره رغبة جنسية مكبوتة!! والحجاب سبب تفشي الرذيلة والفوضى الجنسية في العالم!! ويتطاول حسن حنفي على النص القرآني (يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين).. ويتساءل حنفي لماذا ينظر إلى الإنسان باعتباره ذكراً أم أنثى؟!! ولماذا يصنف المواطنون إلى رجل وامرأة؟!!

**صفوة القول** في الدكتور حسن حنفي: رغم تمسحه بالإسلام ورغم مقالاته المتعددة في العديد من المجلات والدوريات التي تصدر على مستوى العالم الإسلامي وخاصة مقالاته الدورية في جريدة الزمان اللندنية التي يبطنها بالدفاع عن الإسلام في مواجهة الغرب إلا أن كل ذلك لا يؤثر في أنه زنديق من كبار الزنادقة الجدد في العصر الحديث وصاحب مشروع تخريبي لهوية الإمة الإسلامية..

(٢): مالك شبل:

علماني جزائري من مواليد مدينة سكيدا عام ١٩٥٣م حاصل ثلاث شهادات دكتوراه من جامعات باريس وهي: دكتوراه في علم النفس العيادي والتحليل النفسي عام ١٩٨٠ ودكتوراه في علم الأنثربولوجيا عام ١٩٨٢ ثم دكتوراه في العلوم السياسية عام ١٩٨٤.. له عدة مؤلفات باللغة الفرنسية.. شارك في ندو مجلة مواقف عن الإسلام والحداثة في مدينة لندن عام ١٩٨٩.. وها نحن أولاء نقدم أنموذجاً من زندقته:

يقول في بحث قدمه عن الذكورة والأنوثة: "ولنأخذ بعض الأمثلة النابعة من الحياة الجنسية: (الحجاب مثلاً): استعمل الحجاب قديماً في مصر إبان عهد المماليك،

---

٢٠٥ التراث والتجديد/ص٤٢.

حيث كان ارتداؤه يشكل دلالة اجتماعية ورمزاً للمكانة العالية التي تحتلها المرأة المحجبة في المجتمع آنذاك. وبعد ذلك العهد استعمل الحجاب لأغراض مختلفة تماماً، لعل أهمها هو حجب المرأة عن عيون الرجال الآخرين، خصوصاً أولئك الذين يحملون في نفوسهم أغراضاً جنسية. لكن الثابت أن الحجاب لا يجهض الرغبة الجنسية لدى الرجل، بل على العكس من ذلك قد يزيدها. وقد تكون رغبة الرجل في المرأة المحجبة أكثر من رغبته في السافرة"[٢٠٦]

أقول: قارن بين كلام هذا الشبل وبين كلام حسن حنفي السابق (الحجاب كبت جنسي)!! تشابهت أقلامهم! (قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر)..

ويقول مالك شبل في ندوة مواقف أيضاً:

"المثل الثاني الذي أضربه لكم من الحياة الجنسية هو الختان:

في رأيي أن أي حذف من جسد المرأة أو الرجل يعني أن الطبيعة قد فشلت أمام الثقافة السائدة. وهو أمر يوحي بأن هناك صراعاً قائماً حسب المفهوم الأنثربولوجي الحديث بين الطبيعة والثقافة. وقد شرحت في كتابي الأخير لماذا كنت ضد ختان الذكور، خصوصاً أن عملية الختان عند العرب تتم في معظم الأحيان والطفل في حدود السنة الخامسة من عمره. وهذا العمل يشكل خطأً كبيراً في مفهوم علم النفس، لأن الطفل في هذه المرحلة من العمر يعاني من عقدة (الصراع مع الأب) (عقدة أوديب).. الحال عند اليهود أرحم بعض الشئ حيث يتم ختان الأطفال في اليوم السابع بعد الولادة"[٢٠٧]

أقول: واضح أن هذا الزنديق يستشهد بنظريات عفا عليها الزمان ونسفها علماء النفس أنفسهم وقضوا عليها قضاء مبرماً!! واضح أن مالك شبل مغرم بفرويد ومؤمن بنظرياته الفاشلة التي دحضها علماء الغرب قديماً وحديثاً ناهيك عن علماء الإسلام..

---

٢٠٦ مجلة مواقف/ندوة حول: الإسلام والحداثة/دار الساقي/لندن/ط أولى ١٩٩٠/ص٢٩٠.

٢٠٧ مجلة مواقف/ص٢٩٠ وص٢٩١.

لكن الغريب أن هذا الزنديق لم يكلف نفسه لقراءة كتاب واحد عن أحكام المولود في الإسلام.. الذي يبين أن الأمة كانت ولا تزال تختن أولادها وخاصة الذكور في اليوم السابع لأنه لا توجد مدة محدد على سبيل الوجوب فقد يتم الختان في اليوم السابع وقد يكون بعد شهر أو سنة أو حتى بعد سنين كما ورد في اختتان نبي الله إبراهيم عليه السلام وقد ناهز الثمانين.. طبعاً لن أرد على كل مفردات الكفر والزندقة التي وردت في كلام هذا الشبل!! ولكن خلاصة القول فيه أنه زنديق محترق، ينطلق من مبدأ خالف تعرف!

(٣): عادل ضاهر:

كاتب علماني ولد في النبطية بجنوب لبنان عام ١٩٣٩م. أكمل تعليمه في الجامعة الأمريكية ببيروت ثم ثم في جامعتي فرانكفورت ونيويورك. حاز على شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة نيويورك عام ١٩٦٧. شارك في تأسيس مجلة مواقف عام ١٩٦٨م. عمل أستاذاً في الجامعة الأردنية ويرأس تحرير المجلة الفلسطينية العربية الصادرة عن الجمعية الفلسفية. أهم مؤلفاته: (الأخلاق والعقل) .. و(الإنسان والمجتمع) .. (الأسس الفلسفية للعلمانية) .. (أولية العقل نقد أطروحات الإسلام السياسي).

وقد ساء عادل ضاهر بعض العلمانيين العرب الذين لا يأخذون العلمانية بالمعنى الغربي ويسيرون على منهج التوفيق والتلفيق فنقدهم قائلاً: "والأخطر من هذا تدليلاً على تراجع الفكر العلماني عندنا ما نشهده من محاولات حثيثة من قبل المفكرين العلمانيين لدعم موقفهم عن طريق اللجوء إلى الإسلام نفسه- القرآن والسنة- غير مدركين أنهم إنما يقدمون بهذا أكبر التنازلات للحركة المناوئة للعلمانية وأنهم –وهذا هو الخطر- يناقضون أنفسهم أيما تناقض إذا يجعلون النص الديني مرجعهم الأخير في مجال دفاعهم عن علمانيتهم، بينما العلمانية تقوم في المقام الأول على مبدأ أسبقية العقل على النص"[٢٠٨]

---

٢٠٨ عادل ضاهر: الأسس الفلسفية للعلمانية /دار الساقي لندن/ مقدمة الكتاب.

أقول: عادل ضاهر زنديق من أم رأسه إلى أخمص قدميه، وحقيقة دعواه معاداة الإسلام، ولقد ركز عادل ضاهر في معظم كتاباته على الهجوم على (النص) أي القرآن الكريم بزعم أن النص؛ القطعي الثبوت، القطعي الدلالة يجب اعادة فهمه فهماً جديداً مخالفاً لكك الأفهام السابقة بما فيها فهم الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة ومن باب أولى فهم علماء المسلمين على مدار ألف وأربعمائة عام، بل إنه ينادى وأصحاب هذه المدرسة مثل محمد شحرور، وحسين أحمد أمين، ونصر حامد أبو زيد، ومحمد سعيد العشماوي وغيرهم ينادي هؤلاء جميعاً بوجوب فهم القرآن الكريم على ضوء معطيات العصر الثقافية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية.. كما نلاحظ أن المجال الخصب لدراسة هؤلاء الزنادقة الجدد هو القرآن الكريم بصفة خاصة.. فمثلاً نصر حامد أبو زيد تناول آيات صفات الله تعالى ليبث سمومه وشبهاته، ومحمد سعيد العشماوي ركز على آيات الحجاب والمرأة، وأحمد أمين ركز على آيات الحدود، بالإضافة إلى تناولهم بالتشكيك والتجريح مجال السيرة النبوية والتاريخ الإسلامي طولاً وعرضاً.. وخلاصة اعتقاد هؤلاء العلمانين اختراع دين جديد، عبارة عن نسخة لدين مزيف، لا علاقة له بدين الإسلام الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من رب العالمين..

## صفوة القول

لقد خرجت الزندقة الجديدة من رحم الزندقة القديمة، فنفس الأهداف والمنطلقات التي انطلق منها الزنادقة الأوائل كابن عبد القدوس وبشار بن برد وابن الريوندي وعيسى الوراق والشمغاني والحلاج والسهروردي.. كذلك سار على نفس الدرب الزنادقة الجدد من طه حسين وحسن حنفي ومحمد أركون وجابر عصفور وشحرو وعادل ضاهر ومالك شبل وغيرهم من زنادقة العصر الحديث.. وإن كان الزنادقة الأوائل كانوا ينشرون كلامهم وأشعارهم بطرق خفية ويحتاج السلطان إلى إعمال أدلة ثبوت جريمة الزندقة كالإقرار من المنسوب إليه الشعر أو الكتاب أو شهادة الشهود وغير ذلك من أدلة وقرائن ولذلك كانوا يفلتون كثيراً نظراً لدقة أدلة الثبوت ضد هؤلاء الزنادقة قديماً.. لكن الآن حدث ولا حرج فالزنادقة يرتعون في أرض المسلمين وينتهكون عرض الإسلام ولا رقيب عليهم لأنهم بكل بساطة هو الحاكمون المتفذون! وهم علية القوم! وسدنة الدساتير والقوانين التي تحمي مصالحهم وأفكارهم الهدامة!! ولا أكون مبالغاً إن قلت: هذا عصرهم الذهبي.. لم لا وشريعة الإسلام قد غابت عن الحكم منذ أكثر من قرنين تقريباً.. خلاصة القول في الزنادقة الأوئل وزنادقة العصرالحديث.. أنهم تواصوا جميعاً على هدم الإسلام وتدمير معتقدات المسلمين والطعن في كل ماهو معلوم من الدين بالضرورة.. لم يتركوا صغيرة ولا كبيرة في عقيدة الإسلام إلا اتخذوها غرضاً للطعن وإثارة الشبهات.. تارة من طرف خفي وتارة كفاحاً.. حرب ضروس على الإسلام وأهله من قبل ثلة من العلمانيين اللادينيين المتآمرين الذين انسلخوا عن دينهم وعن هوية أمتهم ورغم ذلك وبكل تبجح يزعم هؤلاء الزنادقة أنهم مسلمون ويفهمون الإسلام أكثر من الصحابة الكرام بل ومن رسول الإسلام ذاته.. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

مركز المقريزي للدراسات التاريخية بلندن

١٤٢٠هـ الموافق ١٩٩٩

## تقديـم الدكتور هاني السباعي
## لكتـاب نجوم في سـماء الجهاد الأفغاني

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

شرفني الأستاذ المجاهد الأديب الأريب سعد الله البلوشي أن أكتب تقدمة لكتابه الموسوم (من نجوم الإسلام في بلاد الأفغان) ولايسعني إلا الاستجابة لهذا الطلب النبيل. أقول وبالله التوفيق: عندما اطلعت على الكتاب هيّج مشاعري وأراق دمعاً لم يكن بمراق!. لم لا؟! فالكاتب وموضوع كتابه عن أرض الفخر والفخار لكل مسلم! إنها أفغانستان أرض العزة والكرامة بلاد الصمود والثبات والشموخ! أفغانستان مقبرة الغزاة وحاضنة المهاجرين!.

وإن طلبت مثالاً من أرومتنا يكفيك عن مضرب الأمثال أفغان

أشعر بحنين يشدوني لهذه البلاد؛ بجبالها الهندكوش، وتورا بورا، الراسيات الراسخات الناطحات لقوى الاستكبار على مر التاريخ!.

هم الرعود ولكن لا خفوت لهم نسف وخسف وتدمير وبركان

أشعر بحنين إلى وديانها وأنهارها وأهلها الطيبين؛ أنهم طيبيون بسطاء مع أهل الإيمان، وغلاظ أشداء على أعداء الإسلام. الحديث عن أفغانستان ذو شجون!.

شُم الأنوف إذا هزوا لمعركة تسابقت عندها أسد وغربان

أجدادهم شهب، آباؤهم لجب أبناؤهم نجب في الحرب شجعان

عود إلى مؤلف الكتاب: الأستاذ سعد الله البلوشي ولد في رحم الجهاد، ونشأ وترعرع في بيئة جهادية، فعائلته الكريمة عريقة في الجهاد؛ فهم بين مجاهد وأسير وشهيد نحسبهم كذلك.

هكذا الجهاد لازمة في حياة أهل السنة بأفغانستان وبلوشستان كأن ذروة سنام الإسلام لم تفرض إلا عليهم!. فالأستاذ سعد الله البلوشي؛ مجاهد حافظ للقرآن الكريم؛ جاهد رعاه الله بالسنان والقلم، أسر عدة مرات ثم أفرج عنه بفضل الله. يتولى حاليا ثغر الدعوة بأمر إمارة الأسلامية بأفغانستان. أحسبه صامدا يدير الصمود؛ تلكم النافذة المضيق عليها من العرب والعجم هذه النفاذة الدعوية الوحيدة المطلة على المسلمين العرب! بارك الله فيه وسدد خطاه.

وأما عن موضوع كتاب الأستاذ المكرم المجاهد سعد الله البلوشي: (من نجوم الإسلام في بلاد الأفغان) إنه كتاب تراجم وسير المجاهدين الصالحين الذيين استشهدوا أو ماتوا على ثرى أفغانستان! فهو كتاب نجوم زاهرة في سماء تاريخ أفغانستان المعاصر.

لقد استهل الاستاذ كتابه بترجمة نجم النجوم، القمر المنير في سماء الجهاد والمجاهدين، العبد الصالح، الحاكم الزاهد المجاهد المجدد لهذا القرن حتى الآن بلا منازع؛ الملا محمد عمر رحمه الله تعالى رحمة واسعة. أحسب أن لسان حال الملا عمر وهو يخوض المعارك ويقود المسلمين كان يردد الشاعر:

ماضٍ وأعرف ما دربي وما هدفي *** والموتُ يرقص لي في كل منعطف

وما أبالي به حتى أحاذره *** فخشيةُ الموت عندي أبرد من الطرف

ولا أبالي بأشوكٍ ولا محنٍ *** على طريقي وبي عزمي وبي شغفي

أنا الحسامُ بريقُ الشمس في طرفٍ *** مني وشفرةُ سيف الهند في طرف

أهفو إلى الجنة الفردوس محترقاً *** بنار شوقي إلى الأفياءِ والغرف

وقد أمرَّ على الدنيا وسادتها *** من الطغاة مرورَ الليث بالجيف

ثم ثنى بأسد الإسلام أحد أكابر مجددي هذا الزمان الشهيد نحسبه كذلك الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله. صدق فيه الشاعر:

فهل بعدَ تلك الفعالِ فعالٌ *** ومن ذا يطالك قدراً و هامه

أعيدوا كتابة كلُ المعاجم ❊❊ فإن الرجولة تعني أُسامه

ثم تكلم عن فضل المجاهد الكبير السيد محمد حقاني الذي وصفه بعبقري الجهاد رحمه الله. ولم ينس بلاء وصبير وجهاد البلوش الذين أيدوا الإمارة وبايعوا الملا عمر رحمه الله ولا يزالون على العهد مع الملا الجديد أختر حفظه الله؛ فتكلم عن القائد محمود الذي وصفه بمجدد الجهاد في قوم البلوش رحمه الله. وعرج على تعريف عام بشعب البلوش وإقليمهم والدول التي ينحدرون منها. ثم تدفق قلمه ببقية تراجم وسِيَر كوكبة من خيرة المجاهدين بأفغانستان وبلاد العرب وغيرهم رحمهم الله تعالى.

وبعد هذا التقدمة السريعة عن كتاب الأستاذ المجاهد سعد الله البلوشي أترك القارئ الكريم ليعيش مع هذا الكتاب الماتع الذي يفوح مسكاً من رائحة سير هؤلاء الشهداء نحسبهم كذلك ـ هذا كتاب مفيد للشبيبة ولعامة المسلمين؛ كتاب جدير بالتأمل والسياحة الروحية، وترقيق القلوب مع العبرة والعظة في حسن الختام. نسأل الله أن يحسن ختامنا وإياكم.

وفي الختام؛ شكر الله سعي الأستاذ المجاهد الأديب الأريب سعد الله البلوشي على حفظ وتدوين ونشر هذه السير العطرة، ونسأل الله أن يجعلها في ميزان حسناته يوم القيامة. اللهم آمين.

٢٠ جمادى الثانية ١٤٣٧هـ ٢٦ مارس ٢٠١٦

# تعزية ومواساة

إلى حضرة الشيخ الفاضل المجاهد سراج الدين حقاني حفظه الله تعالى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أعلم أن مصابكم جلل، وأن للفراق لوعة وحزناً وحسرة، ولا سيما مع فقد الأمة لجبل من جبال أفغانستان الشامخة الأبية؛ بل أزعم أن الأمة فقدت رمزاً من أعظم رموز ذروة سنام الإسلام في عصرنا. فسلام عليه يوم أن كان يحيا في دنيانا، وسلام عليه وقد فارق أحبابه؛ لكن تسليتنا على فراقه، أننا نحسبه في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

فضيلة الشيخ سراج الدين حقاني:

لقد عاش والدكم الكريم مولانا وشيخنا جميعاً؛ جلال الدين حقاني للجهاد وبالجهاد فصار الجهاد لاينفك عن شخصيته، فأكرم بها من سيرة عطرة، وأكرم بها من خاتمة حسنة نحسبها مسك الختام ولا نزكيه على ربه.

فضيلة الشيخ المجاهد سراج الدين حقاني:

رجاء التكرم بقبول تعازينا في وفاة والدكم رحمه الله؛ نحسبه قد أدى الأمانة، وأعز الله به الجهاد في أفغانستان وسائر بلاد المسلمين، فرجاء أن تبلغ تعازينا أيضاً للعائلة الكريمة، ولقادة الإمارة الإسلامية الأفغانية، والشعب الأفغاني العزيز الكريم؛ في وفاة والدكم علم الجهاد، شيخ الشيوخ، العالم العامل، المجاهد، الزاهد، العابد، المثابر الصابر، المضياف الكريم؛ مولوي جلال الدين حقاني نسأل الله العظيم أن يتغمده بشآبيب رحمته وأن يسكنه الفردوس الأعلى وأن يلهمكم الصبر والسلوان ولا نقول إلا ما يرضي الرب فإنا لله وإنا إليه راجعون.

أخوكم هاني السباعي ٢٤ من ذي الحجة ١٤٣٩هـ ٤ سبتمبر ٢٠١٨

# الرد على افتراء البلطجي الأثيم نبيل نعيم
# أيها الشانئون .. بحري لا تكدره الدلاءُ !

**بقلم د.هاني السباعي**

مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية

(وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئاً فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً) (النساء:١١٢) لقد نشر المدعو نبيل نعيم بياناً مشيناً ترفعت معظم وسائل الإعلام المحترمة مهنياً أن تنشره إلا بعض الصحف التابعة التي تسير في فلك جهاز أمن الدولة المصري وذلك بتاريخ ٢٠٠٧/١١/٢٦م ونظراً لما حواه هذا البيان من أكاذيب وأضاليل وافتراءات وحتى لا يظن ظان أن العبد الفقير عاجز عن الرد على بيان السباب الذي كتبه البلطجي نبيل نعيم! أقول وبالله التوفيق:

أولاً: لم أكن أتوقع أن تعليقي المتواضع على ما يسمى بوثيقة ترشيد العمل الجهادي ستكون صواعق محرقة لعقول وأكباد وأفئدة الأمن وعملائهم المخلصين كالبلطجي المذكور نبيل نعيم! الذي طاش عقله وجن جنون البقر من جراء قراءة تعليق بسيط أولي على منشورهم المسمى (وثيقة ترشيد العمل الجهادي)! فما بالك لو قرأ هذه المعتوه فكرياً والمنسحق عقدياً ردي المطول والمدعوم بالأدلة الشرعية على منشورهم (وثيقة الترشيد) المطبوخ في أقبية أمن الدولة! فما ذا عساه أن يفعل تجاهي؟! هل سيرسل لي سنجة (آلة أكبر من السكين وأقل من السيف) ممكن سؤال نبيل نعيم باعتباره خبير سابق في هذا المجال! في طرد بريدي إلى لندن!! ولأنه مصر على أنه ليس مكرهاً سأتعامل معه على أنه حر مختار كما يحب!!

فأبشر يا نبيل نعيم بما يسوءك في هذا الرد الصاعق:

لساني صارم لا عيب فيه ** وبحري لا تكدره الدلاءُ

ثانياً: العجيب في بيان السباب أنه ينطبق عليه مثل القائل: رمتني بدائها وانسلت.

فإذا كنت حسب وصفك! (لا وزن لي) فلم التشنج والسباب وهذا السعار! الحمد لله أن الذي يزن أعمال العباد هو الله جل جلاله! وليس البلطجي نبيل نعيم! وإلا لطفف الميزان بسنجته الشهيرة!!

ثالثاً: فطالما أنكم واثقون من أنفسكم ومن منشوركم (وثيقة الترشيد)! وتملكون حسب زعمكم أدلة شرعية دامغة! فلم قامت قيامتكم من أجل تعليقي على هذه الوثيقة الجائرة؟! وطالما أنكم واثقون من قوة حجتكم فلم الانحطاط الأخلاقي لمجرد أن العبد الفقير إلى ربه قد علق على منشوركم (وثيقة الترشيد)! هذا وربي منطق الفراعين ! ألم يقل فرعون مثل هذه العبارة لنبي الله موسى عليه السلام ومن معه: (إِنَّ هَؤُلاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُون. وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ) (الشعراء:٥٤، ٥٥). فإذا كانوا شرذمة قليلين! فلم هذا التغيظ! ولم كل هذا الاستنفار أرضاً وبحراً وجواً!!

رابعاً: وهل الثلاثون المسجونون الرافضون لمنشوركم (وثيقة ترشيد العمل الجهادي)! عملاء لاسكوتلانديارد!! رغم أن منهم من هو محكوم عليه بالإعدام والمؤبد وأحكام مختلفة لكنهم رفضوا أن يعطوا الدينة في دينهم! وأن يلطخوا أيديهم بوثيقتكم التي ولدت سفاحاً في دهاليز أمن الدولة! وأخذوا بالعزيمة ولم ينبطحوا لمجرد تحسين زيارة! والوعد بتخفيف عقوبة أو بالإفراج عن التائبين منكم عن الحق!! ونحن نعلم أن عدد الرافضين ثبتهم الله أكثر من ذلك لكن إخوانك في أمن الدولة يحجبون المعلومات عن الإعلام ويرهبون من يحاول أن يثبت عكس هذه الأضاليل التي تبثونها وتنشرونها!!

خامساً: واضح إن إخوانك في أمن الدولة قد حجبوا عنك معلومات هامة حيث قد اعتقلت شخصياً في لندن عاصمة الحريات وبلد الضباب لمدة عشرة أشهر في عام ١٩٩٨م. لقد نجح أولياء أمرك باستصدار قرار من مجلس الأمن بتجميد أموالي غير الموجود والحمد لله ومنعي من السفر الذي لا أحمل أية وثيقة سفر على الإطلاق! ومنعي من العمل! ثم أصدر الاتحاد الأوروبي نفس قرار مجلس الأمن ثم تبنت وزارة الخزانة الأمريكية ذلك القرار!! وصدق على ذلك وطبقه البنك المركزي البريطاني الذي

لم يجد لي أموالاً في البنوك فجمد الإعانة المقررة لمثل حالتنا من طالبي اللجوء حسب قوانين الأمم المتحدة التي لم تسن من أجل أعين المسلمين!! صدرت إبان الحقبة الباردة! وللمزيد فإنني لا أحمل الجنسية البريطانية ولا أية جنسية أخرى إلا المصرية بحكم الولادة! ومقيم بصفة مؤقتة ولم أمنح اللجوء الكامل حتى الآن! كما أن زوجتي وأولادي لا يحملون الجنسية البريطانية وحالهم مثل حالي بالضبط ومكتب المحاماة يصارع مع الحكومة من أجل الأولاد فقط وليس من أجلي! كما أن الإعانة التي تصرف للأولاد وللزوجة تصرف بواسطة مكتب المحاماة ولا بد للأولاد أن يحضروا إيصالات المشتريات بنسب محددة أسبوعياً لإرسالها لهيئة المال في البنك البريطاني للتأكد من أنني لا يصلني مال في يدي!! يعني مثل قانون الحراسة القديم أيام الحكم الناصري!! واضح مجلس الأمن وبريطانيا يستفيدان جيداً من التجربة المصرية الرائدة! وأي شباب من المصريين هؤلاء الذين تم القبض عليهم في بريطانيا ؟!! واضح أن داء العمالة عشعش في أم رأسه بطول مكثه مع إخوانه في ضباط ومخبري أمن الدولة يجعله يظن كل شريف عميلاً! (يحسبون كل صيحة عليهم)! هذا الكذاب الأشر ومن حرضه يعلمون أن المصريين أقل الجاليات طلباً للجوء السياسي في بريطانيا كما أنهم قلة جداً فالعبد الفقير إلى ربه لا يزال تحت المراقبة وهناك أحد الاخوة المصريين أطلقوا سراحه من السجن لإصابته بمرض السرطان شفاه الله! والآخر يتحدى محاموه قرار ترحيله إلى أمريكا! وباقي المصريين يعدون على الأصابع ولهم ظروفهم الخاصة! كما أن بريطانيا لم ترحل مصرياً واحداً إلى مصر من طالبي اللجوء السياسي المعروفين! فمن أين جاء هذا البلطجي الأثيم بهذه الفرية؟! كما أن هاتفي النقال موجود على موقع المقريزي من سنوات!! والقاصي والداني يعرف ذلك ولا يتصل بي من مصر أي شخص إلا أحد المحامين وبعض الصحفيين وهم معروفون! فمن أين جاء بهذه الفرية هذا البلطجي المكذاب!! والجميع يعلم أنني مراقب وأنا لست من أرباب السراديب السرية وأتكلم علانية بما أعتقده ولست عبداً إلا لله فعندما كنت في مصر كنت حراً وعندما جئت لندن كنت ولا زلت حراً لم أركع إلا لله! أسأله سبحانه أن يثبتني على الحق! كما أن يدي طاهرة نظيفة لم تلطخ بقتل الأبرياء أو غير الأبرياء لم أقترف فعلاً

مشيناً يجعلني مطأطئ الرأس ذليلاً أتوارى من الناس من سوء ما اقترفته! لا لم أقترف والحمد لله! فموتوا أيها الشانئون بغيظكم! أسأل الله تعالى أن أكون شوكة في حلوق الظالمين والكافرين والمستبدين والعملاء والمخبرين والبلطجية!!

أنا الذي يجدوني في حلوقهم *** لا أبتغي صعداً منها ولا أردُ

أسأل الله أن يريني فيهم عجائب قدرته وأن ينتقم ممن ظلمني!! وأسأله سبحانه أن يريني آية فيمن سبني واتهمني!

سادساً: ما كنت أتصور في يوم ما أن الدكتور سيد إمام يستعين بمسجل خطر سابق وبلطجي محترف للرد علي وللدفاع عن وثيقته المشؤومة!!

سابعاً: أعتقد أن جهاز أمن الدولة قد فشل في كسب مصداقية لهذه الوثيقة المشبوهة! لذلك طفق يتخبط خفافيش الظلام وهم ضباط أمن الدولة الذي يحبون الظلام ويسهرون الليل في تعذيب الأبرياء وطبخ المكائد وصنائع المنكر! لم يجد هؤلاء الخائبون إلا بلطجياً ليرد على شخصياً!! كعادتهم في الاستعانة بالبلطجية وأصحاب السنج في تفريق التظاهرات وضرب الطلبة في الجامعات!! فهنيئاً لك! نبيل نعيم بمهنتك القديمة الجيدة التي تنتظرك بعد إطلاق سراحك إن حدث إن شاء الله! ستجد عملاً لائقاً بك بحق إما في جمعية تعاونية على غرار جمعيات زمان التي كنت تشهر سنجتك أمام طوابير المساكين الأبرياء في حي بولاق والسكاكيني والمغربلين ومصر عتيقة!! أو مهنة رئيس بلطجية عين شمس ومدارسها المجاورة!!

ثامناً: لعل قائلاً يقول لم تصف نبيل نعيم بالبلطجي؟! تساؤل مشروع ووجيه!

أقول أنا أقصد نبيل نعيم البلطجي ولا أقصد نبيل نعيم الأخ المستمسك بدينه أيام زمان! نبيل نعيم الذي انتشله الإسلام من الحضيض إلى عالم التدين والاحترام! عاد إلى سيرته الأولى وخلع ربقة التدين! وبعض الناس يحنون إلى أخلاقهم السابقة وعلى حد قول الخليفة المهدي للزنديق للشاعر ابن عبد القدوس أثناء محاكمته على الزندقة:

والشيخ لا يترك أخلاقه *** حتى يُوارَى في ثرى رَمسه

إذا ارعوى عاد إلى جهله *** كذي الضنى عاد إلى نُكثه

يعني لا فائدة منه مهما طال عمره وشاخ لا بد أن يحن إلى ماضيه المخزي! وحتى لا يظن أحد أنني أفتري عليه فهذه حقائق عن هذا الكائن (غير النبيل:(

سجل نبيل نعيم قبل تدينه:

(أ) نبيل نعيم عبد الفتاح مسجل خطر سابق! نتحداه أن يظهر صحيفة سوابقه الجنائية قبل تدينه!

(ب) محترف فتح الأقفال بالطفاشة (آلة صغير لفتح الأبواب والأقفال) ممكن سؤال نبيل نعيم باعتباره من أهل الخبرة لشرح مفردات قاموس اللصوصية!

(ج) من محترفي سرقة مخازن السكة الحديد وغيرها خاصة قطع الحديد والنحاس الخردة التي كان يصدرها إلى ليبيا!! الطريف في الأمر أن إخوانه في أمن الدولة يعرفون هذا جيداً!!

(د) نشال طرار خاطف السلاسل الذهبية للفتيات في منطقة بولاق وضواحيها بالقاهرة!!

هذا قليل من كثير ولم نفتر عليه!!

قلنا عفا الله عما سلف والإسلام يجب ما قبله! لكن هل التزم نبيل نعيم بحق وسار على الجادة فهذا سجل تاريخه بعد تدينه.!

أما بعد التزامه وهو حديث عهد بالتدين قام التالي:

(١) تلطخت يداه بقتل أحد الأخوة في مدينة الإسكندرية وهما يتناقشان في بعض القضايا الإسلامية فحدث تشاجر ثم استل مطواة من نوع قرن غزال فطعن بها هذا المسلم المعصوم الدم البريء حتى فاضت روحه إلى ربها! وسجن نبيل نعيم في جريمة القتل وأخذ حكماً مخففاً نظراً لثغرات القانون رغم أنه اعترف بقتل هذا الأخ إلا أنه طبقاً

للشريعة الإسلامية المفروض أن يقتص منه بناء على طلب أهل القتيل بالقود!! لكنه استفاد من القانون الوضعي ولم يكلف نفسه حتى بدفع دية وهي مغلظة مائة من الإبل بأوصاف خاصة ذكرها الفقهاء!! في حالة تكييف ما فعله فقيهاً أنه قتل شبه عمد رغم أنه ليس كذلك لأن مطواة قرن غزال آلة قتل في الغالب!! فهل تاب وعفا عنه أهل المجني عليه؟ الله أعلم! بداية مشرفة فعلاً!!!

(٢) قام بطعن أحد الأشخاص في القاهرة وفر هارباً وسجن على ذلك ثم خرج! يعني أرباب سجون فلم الغضب والثورة وأنت زبون دائم من قبل ومن بعد؟!

(٣) قام برمي قنبلة على كنيسة مسرة بالقاهرة ويفتخر أنه فعل ذلك وفر هارباً!! والطريف في الأمر أن إخوانه في أمن الدولة يعلمون ذلك جيداً! ومسجل ذلك في أرشيفه الميمون!!

(٤) كثرت الشكوى منه عن الطريق الأهالي الذين قالوا إن نبيل نعيم كان يستعدي ضباط أمن الدولة ضد الأخوة الرافضين لمشروع التراجعات الذي كان يسوقه في تلك الفترة قبل حلول الشيخ الدكتور سيد إمام!! فكان ضباط أمن الدولة يصدرون أوامر بتشتيت الأخوة الرافضين في السجون بغية إرهاقهم وذويهم!! بالإضافة إلى حرمانهم من الزيارات الخروج للتهوية من الزنازين وحرمانهم من الراديو أو حتى الجرائد الحكومة لأنها فقط المسموح بها إذا كان السجن في حالة راحة مثلاً!!

(٥) هناك عدة بيانات كانت تندد بممارسات نبيل نعيم وأنه صار عميلاً محترقاً في السجن يضلل الشباب ويحرض ضباط السجن ومخبريه عليهم! ولكن كنا نظن أنها مبالغة أو نتيجة مشاكل أو عدم دقة في الوصف حتى وصل الأمر إلى حد التواتر المعنوي اللفظي!! وانكشف المخبوء وظهر المستور وعاد نبيل نعيم إلى سيرته الأولى (البلطجة) ونكص على عقبيه! (اللهم يا مصرف القلوب ثبت قلوبنا على دينك)!.

تاسعاً: كان نبيل نعيم (الذي كان محترماً في أيام الخوالي)! يعيب على الشيخ عبود الزمر أنه يمسك العصا من المنتصف وذلك عندما قيل وقتئذ إن الشيخ عبود قد

اتحد مع الجماعة الإسلامية! هنا أرغى لا نبيل نعيم وأزبد! وقال قل له أين هو من نلسون مانديلا!! الذي مكث ربع قرن ولم يضعف ولم يتنازل عن مبادئه!! فسبحان مقلب القلوب! لم تمر أعوام طوال حتى انقلب نبيل نعيم وعاد يتذكر (سنجته) التي كان يشهره في وجه الأبرياء من أبناء الشعب المصري المسلم المنكوب به وبأمثاله!!

عاشراً: ألا تتقي الله يا نصير أمن الدولة إن كانت لديك بقايا تقوى! كيف تكتحل عينك بنوم وأنت قد وفرت لك أمن الدولة حجرة واسعة وسريراً معتبراً وثلاجة صغيرة وراديو وتلفاز ومروحة ومكتباً وتجلس في حجرة الضباط لتشاهد الإنترنت وتأتيك الصحف حتى المعارضة! وغيرك من إخوانك المساجين المساكين الرافضين لحلفك المشئوم يبيتون على الطوى وينامون على (البرش)!! ويحرمون من الزيارات ويشتتون في السجون!! (وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) (البروج:٨).

حادي عشر: ألم يسمع نبيل نعيم البلطجي أو حتى الذي كان أخاً في يوم من الأيام!! باعتقال الحرائر العفيفات المسلمات وهن يقمن بتجميع زكاة الفطر من عدس وفول وأرز وبقول وغير ذلك بغية توزيعها على عوائل المعتقلين!! فما كان من إخوانه في أمن الدولة حماة أرض الكنانة إلا اقتحام هذه الشقق الفقيرة والاستيلاء على أقوات وأرزاق الفقراء وأطفالهم وتلفيق قضايا لنسائهم وللشباب الذين يساعدون هذه العوائل!! لولا الحياء! لقلنا قضايا تنظيم العدس والفول!! أين حمرة الخجل يا بقايا رجل!! ألا تتقي الله في افترائك وعدوانك .. أيها الكذاب الأشر!!

## صفوة القول

علم الله أنني ما كنت أود أن أمتطي هذا الكلام ولكن كما قال الشاعر:

وما عن رضا كان الحمار مطيتي *** ولكن من يمشي سيرضى بما ركب

لقد ارتقيت يا نبيل نعيم مرتقى صعباً! ووقعت في بحر لجي! فبحري لا تكدره الدلاءُ! لقد قلت لي منذ زمن بعيد وأنا في مصر أنك لو أخذت حكماً بالإعدام أو المؤبد في كتاب العمدة ليس بكثير نظراً لفوائده العظيمة! فلم لم تف بوعدك أيها

العرقوب!! لقد غررت بالشباب وخدعت نفسك وركبت بهم الأهوال حتى تفرقوا في الأرض شذ مذر!! ثم ها أنت ذا تتنكب الطريق! وتطعن في الأخيار! وتتزلف إلى شرار الخلق وسفلتهم! بغية متاع قليل! وثمن بخس! ودنيا زائلة! فيا أسفي علي نبيل نعيم الذي كان أخاً في يوم من الأيام!

لقد صرتكم فتنة للذين ظلموا وللذين كفروا بل وفتنة للذين آمنوا! أما الذين ظلموا وكفروا فهم يظنون أنهم على حق بسبب تراجعكم وانسحاقكم! ويحسبون أنهم يحسنون صنعا!! وأما الذين آمنوا فقد تسلط الطواغيت عليهم ليصدوهم عن دينهم وليدخلوهم في حلفكم المشئوم! لكن الله ناصر دينه! ومعز جنده! رغم أنف العملاء والمخبرين.!

(وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ) (صّ:٨٨)

مركز المقريزي للدراسات التاريخية بلندن

١٧ ذو القعدة ١٤٢٧هـ الموافق ٢٧/١١/٢٠٠٧م

## الشهيد سيد قطب وقناة الجزيرة
## افتراءات برنامج "ممنوعون" على شهيد الإسلام

**د. هاني السباعي**

يستنكر مركز المقريزي ما بثه برنامج "ممنوعون" بقناة الجزيرة اليوم [غرة ربيع الثاني ١٤٢٥هـ / الموافق ٢٠ مايو ٢٠٠٤م] عن شهيد الإسلام سيد قطب وقد أثار حفيظتنا هذا البرنامج الساذج غير اللائق بعلم من أعلام الإسلام؛ عقيدة وفكراً وسياسة.. وتتلخص ملاحظاتنا في النقاط التالية:

أولاً: من الناحية الشكلية: سطحية المذيع معد البرنامج واسترساله في مواضيع نشتم منها تمجيد عهد بائد، وخلو جعبته من قضايا جدية تلقي الضوء على فكر هذه الشخصية العظيمة.. فواضح أن المذيع لم يعرف الفرق بين صاحب الظلال وصاحب الحرافيش: الفاجومي وشيخه إمام!

ثانياً: البرنامج ينطبق عليه المثل العرب: (نسمع جعجعة ولم نر طحناً).. فقد بثت الجزيرة عنواناً مثيراً فكان جعجعة! ومضموناً ساذجاً مهيناً بحق.. ومن ثم فلم نر طحناً!! اللهم إلا صوت العندليب الذي كان يخدر الأمة بأغانيه!! وصوت الزعيم الملهم الذي أحل بقومه دار البوار.. وصارت مصر والأمة بأسرها بفكره الميمون! مرتعاً لكل غاز وعربيد.. بل لم يفلح خلفاؤه لا في السياسة ولا حتى في الكورة!

ثالثا: لم يكلف معد البرنامج نفسه بأخذ تعليق أحد أقارب الشهيد سيد قطب رغم أنهم غير مجهولي الهوية.

رابعاً: لم يكلف نفسه أن يستضيف أحد الكتاب المقربين الذي كتبوا عن الأستاذ العلم سيد قطب وبعضهم أحياء يرزقون.. وهذا خلل كبير لقناة مثل الجزيرة أن تغفل هذه الأبجديات المهنية.

خامساً: عدم إبراز الوجه الغربي القبيح في الباعث الحقيقي الذي أبرزه سيد قطب وهو في أمريكا ألا هو نبأ استشهاد الأستاذ حسن البنا وحالة الهستيريا التي انتابت المجتمع الأمريكي وخاصة النخبة وهم يرقصون فرحاً بالتخلص من أحد أعداء الغرب!

سادساً: نشر رسالة سيئة مفادها أن سيد قطب كان عصبي المزاج متمرداً في جميع أطوار حياته فكأن الرجل وحاشاه ذلك مريض بعقدة ما!! ويتصرف من منطلق (خالف تعرف)!.. كما أن الربط بينه وبين شيخ الإسلام ابن تيمية من خلال أن كتاباتهما حدية وعنيفة لظروف السجن! وهو مثلما فعلوا مع الدكتور أيمن الظواهري عندما أرادوا أن يربطوا بين أفكاره وبين محنة السجن..

وهذا ديدنهنم مع دعاة الحق وأهل الطهر.. وهذا تحليل خائب يقطر من مرض خبيث وهذا يدل على أن معد البرنامج لم يسبر غور دعوة الأستاذ الشهيد سيد قطب رحمه الله.

سابعاً: تصوير الأستاذ الشهيد سيد قطب وخاصة في مقدمة البرنامج على أنه رجل دموي تسبب في كل الأحداث من خلال صور لأحداث المنصة [اغتيال السادات عام ١٩٨١]، وإن كنا لا ننكر أن معظم الجماعات الإسلامية الجهادية الحديثة قد استقت من معين هذا الشهيد العظيم غير أننا نرفض أن يوصم الأستاذ الشهيد سيد قطب بالصورة الدموية المختزلة في عقلية الباحث الغربي ومن يسيرون على دربهم المشين.

ثامناً: القول بأن الصراع بينه وبين النظام الناصري صراع سياسي بالمفهوم الذميم لهذا المصطلح وهذا تحليل إما ساذج وإما خبيث فصراع الأستاذ الشهيد كان صراعاً عقدياً وقد استبان له ذلك جلياً عندما عمل مع ضباط يوليو في أول الأمر خلال ثلاثة أشهر إذ ظهر أنهم حفنة من المارقين على الإسلام وعصبة من المتخلفين عقلياً ضررهم أكثر من نفعهم.

تاسعاً: تشويه البرنامج لشيخ الإسلام ابن تيمية من خلال أنه أفتى بناء على طلب من حكومة المماليك: بجهاد التتار الإيلخانيين الذين كانوا قد أسلموا!! والعجيب أن

الذي يحلل لنا أحد ضيوف البرنامج من المستشرقين الإنجليز!! وفاتهم أن حكومة المماليك هي التي سجنت شيخ الإسلام وأنه لم يكن يحابي أحداً من هؤلاء السلاطين رغم أننا نتمنى في وقتنا الحاضر أن نحكم بهؤلاء المماليك! وأما أن التتار الإيلخانيين قد أسلموا نعم قد أسلموا ظاهراً ولم يلتزموا بشريعة الإسلام ولم يكفروا بشريعة جانكيز خان "الياسق" الذي جمعه له من كل ملة؛ عبارة عن خليط من التشريعات مثل القوانين الوضعية المعمول بها في العالم الإسلامي بدون استثناء.

عاشراً: نعتقد أن القول بأن شيخ الإسلام ابن تيمية كان يفتي بناء على طلب المماليك افتراء على ابن تيمية وتزوير فاضح للتاريخ.. لذلك فإننا نرى أن إبراز هذه المقولة مداهنة لحكام اليوم الذين هم أسوأ وأرذل من التتار.. والمقام لا يتسع لإثبات ذلك.

حادي عشر: القول بأن سيد قطب من الإخوان وليس منهم.. قولة حق أريد بها باطل! فهذه المقولة تم تمريرها بعناية بحث يكون غنم سيد قطب يعود لجماعة الإخوان وفي نفس الوقت لا يتحملون غرمه وأن ساحتهم بيضاء فالرجل خرج عليهم ولم يتلزم بمبادئهم وخاصة في حالة هجوم كراكيب العلمانية ونفايات الفكر اللاديني على دعوتهم بصفة خاصة وعلى الإسلام بصفة عامة.

**صفوة القول:**

نطالب القائمين على قناة الجزيرة أن يصلحوا الخلل والعوار الذي بثه برنامج "الممنوعون" وأن يعيدوا الإعتبار لشهيد الإسلام سيد قطب إما ببرنامج آخر يكون أكثر جدية وأعمق بعداً في تناول سيرة هذا الجبل الأشم الأستاذ الكبير بحق سيد قطب. وإما اعتذار رسمي عن بثهم لبرنامج أقل ما يقال فيه إنه برنامج تافه ساذج.

كما نطالب الغيورين من أهل الإسلام وخاصة أصحاب الأقلام الطيبة النافعة أن يذودوا عن حياض فكر هذا الصرح العظيم المتمثل في شهيد الإسلام سيد قطب.. وأن يتصدوا لهذه الحملات المشبوهة والمنظمة للنيل من فكر الأستاذ الشهيد سيد قطب

ومن تياره الأصيل المدافع بحق عن الإسلام المقاوم لتيارات الإستكبار والغطرسة ومن وراءهم من طوابير أهل العلمنة وبعض الإسلاميين المنهزمين عقدياً وفكرياً..

وفي الختام نقول: لقد ظلموا علم الإسلام سيد قطب حياً.. وها هم أولاء يظلمونه بعد استشهاده.. لكننا نعلنها مدوية إذا كانت حياته أطول من حياة شانقيه.. فإن حياته أيضاً أطول من حياة شانئيه..

غرة ربيع الثاني ١٤٢٥هـ / الموافق ٢٠ مايو ٢٠٠٤م

# العدناني وغزوة الأحزاب!! شبهة وردنا عليها

**د. هاني السباعي**

مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد.

أرسل إلينا أحد الشباب وفقنا الله وإياه للحق سؤالاً بالخاص بالفيسبوك ننشره كما ورد إلينا بدون تعديل! وقد أرسلنا ردنا عليه في المراسلات الخاصة بالفيسبوك لكننا سننشره على العام لتعم الفائدة بفضل الله.

نص السؤال:

من (ي .س): السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أخي الدكتور هاني حفظك الله، علقت قبل فترة على خطاب العدواني انه مازال يرعد ويهدد في الوقت الذي هو محاصر هنا وهناك، فأحببت أن أسألك أليس هذا جائز وكان من فعل النبي صلى في غزوة الخندق عندما كانوا محاضرين ولا أحد يامن على نفسه واعترضت صخرة الصحابة وهم يحفرون الخندق فنادوا لها رسول الله صلى فضرب اول ضربة فكر فقال فتحت فارس ثم ضرب الثانية فكر فقال فتحت الروم وكبر الصحابة معه ، ولكن مربط الفرس هنا هو عندما رأى المنافقون ذلك ضحكوا على الرسول والصحابة حتى إحدى الروايات تقول انهم وقعوا على أظهرهم من شدة الضحك فمحمد وأصحابه محاصرون ولا أحد يامن على نفسه وهو يعدهم بفارس والروم ، ولكن الله بعد ذلك أنجز وعده ، والعدناني رغم مخالفتي له ولكن أليس من باب يأيها الذين آمنوا كونوا قوانين بالقسط ومن باب ألا تزر وازرة وزر أخرى أن نقول الذي له والذي عليه ، والذي أراه انه من حقه أن يهدد الكافرين بما قال من اقتحام روما وباريس حسب موعود الرسول صلى في ذلك من فتح روما وأنه سوف ينتشر الدين في كل بيت مدر ووبر . أرجو من حضرتك يادكتور هاني أن ترد على تساؤلي وجزاك الله خيرا"أهـ.

جواب الدكتور هاني السباعي

وعليكم السلام هذا قياس فاسد مع احترامنا لك ومقارنة لا تليق بمقام النبي صلى الله عليه وسلم:!

أولا: الرسول صلى الله عليه وسلم يوحى إليه من ربه "وما ينطق عن الهوى" ومتأكدٌ أن الله منجز وعده له وناصر دينه! فأين هذا من الكذاب الأشر العدناني الذي ثبت عليه الكذب في بيانه "ما كان هذا منهجنا" وغيره من بيانات.!

ثانياً: لا تنس! أنه لو قدر وقتل النبي صلى الله عله وسلم واجتاح الكفار المدينة! لمات الإسلام ولم يخرج إلى الجزيرة والعالم بأسره.!

ثالثاً: أما دولة البغدادي وأعظم منها فلو انتهت، وقتل قادتها، وأفرادها؛ فلا يموت الإسلام بموتها! هل مات الإسلام بموت دولة الإسلام في الأندلس التي ظلت ثمانية قرون؟! هل مات الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها بموت الدول التي كانت تتحكم في العالم؛ كالدولة العثمانية التي حكمت ستة قرون! لم يمت الاسلام بموتها.!

رابعاً: أما أحاديث فتح "روما" وعلامات آخر الزمان! نحن لا نجادلهم في صحة بعض الأحاديث لكن المشكلة في أن تنظيم الدولة يعتبر نفسه المعني بهذه الأحاديث! فهم "وعد الله"! كما في بيان إعلان خلافتهم! في ١ رمضان ١٤٣٥هـ-.

خامساً: وقضية التعيين تحتاج إلى نص ووحي من عند الله تعالى أو حديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر تنظيم الدولة بأعينهم بأنفسهم! وهذا محال لم يثبت ولن يحدث لأن الوحي انقطع.!

سادساً: فمن اعتبر نفسه "وعد الله"! وأنه هو وجماعته الذين سيفتحون روما! فليأتنا بالدليل! نعم! روما ستفتح في آخر الزمان على أيدي مسلمين! فمن هم بالتعيين! بالضبط لا نعلمهم الله يعلمهم! فدعك من تهويشات وعنتريات البغدادي وصاحبه العدناني! فدولة البغدادي دولة بدعية ضالة سفكت دماء أنفس معصومة شرخت الجهاد بل وشوهت الإسلام قيادتها ضالة منحرفة لايجوز الالتحاق بها، وهي إلى زوال سريع إن شاء الله فلا يغرنك كلمات هذا الكذاب. نسأل الله أن يهديك للحق. ونسأله سبحانه أن يثبتنا وإياكم على الحق.

٢٣جمادى أولى ١٤٣٦هـ ١٥ مارس ٢٠١٥

# أنقذوا الأسرى قبل فوات الأوان
# ترحيل الأسرى إلى قاعدة أمريكية في كوبا
# جريمة ضد المسلمين وضد الإنسانية

**د. هاني السباعي**
مديرمركز المقريزي للدراسات التاريخية بلندن

إن الذي يحدث في أفغانستان الآن جريمة ضد المسلمين بصفة خاصة وضد الإنسانية بصفة عامة.. وإننا نتساءل ما دور هذه المنظمات الدولية التي تعنى بحقوق الأسير وحالات الحرب مثل منظمة الصليب الأحمر والمنظمات الدولية التي تعنى بحقوق الإنسان؟ لماذا لا تحرك ساكناً؟! ألأن الضحية مسلمون؟! أم لأن المعتدي هي أمريكا؟! أم لكليهما معاً؟!

لماذا تنفرد أمريكا بسجن الأسرى الأفغان العرب وغير العرب؟ لماذا لا تتدخل المنظمات التي تعنى بحقوق الأسير وتطالب بوقف هذه المهزلة الأمريكية؟ كيف يسكت العالم عن هذه الجريمة البشعة التي يتعرض لها الأسرى الأفغان العرب وغير العرب سواء في المجزرة البشعة في قلعة جانجي في مزار شريف التي تمت بكل خسة وخساسة أم في هذا القتل المتعمد لهؤلاء الأبرياء من أطفال ونساء وشيوخ مع تخريب للبيوت وتمدير لكل شئ!! لماذا السكوت عما يحدث لهؤلاء النفر المحاصرين الجرحى في المستشفى الصيني بقندهار!! أين جمعية أطباء بلا حدود!! أم أن أمريكا فرضت حدوداً عليهم أيضاً!!

وثالثة الأثافي: هي قضية ترحيل الأسرى إلى قاعدة أمريكية في كوبا: وسبب قلقنا أن هؤلاء الأسرى في أيدي غير أمينة فجنرالات الحرب الأمريكان هم الجلاد وهم الخصم والحكم..

ولما كان الكونجرس قد أعطى الضوء الأخضر لرجال المخابرات الأمريكية بما يسمى بالعمليات القذرة فإننا نزعم أن ترحيل الأسرى وخاصة الأفغان العرب إلى كوبا هو من هذا القبيل لذلك نحصر تخوفنا في الافتراضات الآتية:

أولاً: نقل الأسرى إلى كوبا يعطي للإدارة الأمريكية فرصة الإنفراد بمهم بعيداً عن عين القانون الذى سملوا أعينه!! حيث يتم استجواب واستنطاق هؤلاء الأسرى تحت وطأة التعذيب وإكراههم على التوقيع على وثائق أو مستندات أو تسجيل شرائط كاسيت أو فيديو أو أي شئ مما يسمى اصطناع الأدلة التي تعرفه وتتقنه دوائر الإستخبارات ومن ثم تقديم هذه الأدلة المختلقة والمزيفة للرأي العام على صحة السيناريو والرواية الأمريكية لأحداث الحادي عشر من سبتمبر!!

ثانياً: ترحيلهم إلى كوبا سهل على الإدارة الأمريكية تصفية الأسرى جسدياً بعيداً عن المساءلة أو الحرج في المستقبل ومن ثم تختفي معالم الجريمة وحتى لا يسمح لأي من هؤلاء الأسرى أن يدلي أمام أية محكمة أو أية هيئة دولية بما لاقاه من تعذيب على أيدي الجنود ورجال الإستخبارات الأمريكية حالة تقديمهم كمجرمي حرب.

ثالثاً: من المحتمل أن يقوم جنرالات الحر ب الأمريكان بإجراء تجارب علمية بعد تخديرهم أو قتلهم بغرض التشويق العلمي!!

رابعاً: يخشى أن يقوم رجالات الحرب الأمريكان بالإتجار في الأعضاء البشرية للأسرى بعد قتلهم أو تقطيعهم تحت وطأة التعذيب وهم أحياء أو محالة تحنيطهم وعرضهم في متاحف أمريكية كما حدث لسليمان الحلبي الذي قتل الجنرال كليبر نائب الحملة الفرنسية على مصر فقد عرضوا جمجمة سليمان الحلبي في متحف اللوفر بباريس!!

خامساً: عدم قيد أسماء الأسرى في سجلات ثابتة يعتبر جريمة إذ يستطيع جنرالات أمريكا التخلص من أي أسير أو قتله في أي وقت دون علم أحد ودون مساءلة قانونية مستقبلاً لأننا على يقين أن دوام الحال من المحال وربما تخرج أصوات كبيرة تندد بممارسات إدارة بوش الوحشية في أفغانستان وربما تطالب بفتح باب التحقيق وخاصة إذا انتهت فترة حكم هذه الإدارة.

## بناء على ما سبق

فإننا نناشد المنظمات الدولية التي تعنى بحقوق الأسير وخاصة الصليب الأحمر أن تتدخل قبل فوات الأوان ولكي تثبت مصداقيتها لدى الرأي العالمي وأنها ليست أداة في يد الأمريكان!! كما نناشد المنظمات الأخرى التي تعنى بحقوق الإنسان وجمعية أطباء بلا حدود وكل أصحاب القلوب الرحيمة أن يتدخلوا لوقف هذه المجازر التي تقوم بها الإدارة الأمريكية في أفغانستان.

كما ننبه هذه الهيئات أنها ستكون شريكة في الجريمة مع أمريكا لأنها تعلم أن ما تقوم به الآلة العسكرية الأمريكية يخالف الإتفاقية الدولية الخاصة بحماية الأسرى وخرق كل الشرائع السماوية والأرضية و كل الأعراف والمبادئ القانونية التي تحترم حق الأسير كإنسان..

مركز المقريزي للدراسات التاريخية

لندن في ٨ يناير ٢٠٠٢

# إيران وأمريكا وصفقة الشيطان

## قرابين على عتبات المذبح الأمريكي إيران وصفقة مع الشيطان

د.هاني السباعي

تقدمة لا بد منها:

عندما قامت الثورة الإسلامية في إيران سنة ١٩٧٩م هلل لها شباب العالم الإسلامي لأنها استطاعت أن تغسل العار الذي لحق بالأمة الإيرانية على يد شاه إيران وزبانيته في جهاز السافاك.. شاه إيران الذي كان يعمل شرطياً لأمريكا ويفتخر بهذه الوظيفة التي صارت مضرب المثل في أنموذج الدولة التي أمركها الشاه وبطانته.. لقد اطمأن الأمريكان إذ صارت لهم دولتان في المنطقة: الكيان القائم في فلسطين.. ودولة إيران.. وبلغ السيل الزبى وخرج المارد من قمقمه وقاد المشايخ ثورة عارمة وعصياناً مدنياً أشفى غليل المقهورين في إيران وفي العالم بأسره.. فرح شباب في العالم الإسلامي وفي جامعات مصر بصفة خاصة بدولة المشايخ التي قالت للأمركيان: لا.. فرح المظلومون لكسر شوكة الإستكبار الأمريكي.. بل إن الشاه الذي كان معززاً مكرماً لدى البيت الأبيت.. ها هو ذا تضيق به أمريكا ذرعاً.. ويبلغونه عبارة الدبلوماسية الشهيرة: (أنت شخص غير مرغوب فيه)!! وعرض الشاه نفسه على قبائل الدنيا لتستقبله.. فرفضته لندن وتنكرت له باريس.. ولم يجترئ أحد على استقباله إلا الرئيس المصري السادات الذي تحدى مشاعر الشعب المسلم في مصر وأعلن عن استعداده لاستقباله.. وهنا قامت الدنيا ولم تقعد في واندلعت تظاهرات صاخبة في جامعات مصر منددة بالشاه وصديقه السادات معاً.. وكانت شعاراتهم: لا مرحباً بالشاه في أرض الكنانة.. لا مرحباً بالعملاء.. بل إن صور آية الله الخوميني كانت تعرض في ساحة جامعة القاهرة متحدية قوات الأمن المركزي.. وكانت اشتباكات وقنابل مسيلة للدموع واعتقالات.. واستقبل الشاه على رغم أنف الشعب المصري!! لكنه سرعان ما أته أجله المحتوم

ودفن في أرض مصر مطروداً مدحوراً مغضوباً عليه.. ولم يمر وقت طويل حتى لحقه صديقه السادات يوم زينته في السادس من أكتوبر ١٩٨١م وكأن صداقة أمريكا لعنة على أصدقائها الذي يضحون بشعوبهم من أجل عمالتهم لأمريكا!! لكن لم تأت الرياح بما تشتهي السفن! بعد استقرار الدولة الإيرانية طرأت تغيرات في خطابها الثوري وشعاراتها الرنانة: نصر المستضعفين في كل مكان.. نصرة ضحايا الشيطان الأكبر! .. تحول الفقهاء إلى رؤساء دول وأعضاء في البعثات الدبلوماسية.. ومات الحميني وماتت معظم شعاراته.. وبدأت مرحلة جديدة لدولة ولاية الفقيه.. ورغم هذا العداء الظاهر بين المنظومة الغربية والمنظومة الإيرانية إلا أن الغرب يخطب ود إيران وإيران تخطب ودهم.. غزل خفي بين الطرفين وفي بعض الأحايين غزل صريح وفج أيضاً وقد مر ذلك عبر محطات نختارمنها:

المحطة الأولى: العدوان على أفغانستان:

وهذه محطة في منتهى الخطورة إذ بعد العدوان على أفغانستان في ٧ أكتوبر ٢٠٠١م انكشف المخبوء وبان المستور وسقط شعار الوقيل والثبور للشيطان الأكبر!! الموت لأمريكا!! لكن كيف حدث ذلك؟ هذا ما سندنه حوله سريعاً: قبل العدوان على إمارة طالبان وعلى ضوء الحرب الوشيكة على أفغانستان التي أطلق عليها الأمريكان (العدالة المطلقة) أرسل التحالف الأنجلوأمريكي (جاك سترو) وزير خارجية بريطانيا إلى إيران لأخذ التعهدات وتبادل وجهات النظر وعرض الضمانات التي تحيّد إيران على الأقل حيال ضرب أفغانستان وكان طلب أمريكا عبر الوسيط الإنجليزي النقاط التالية: أولاً: الطلب من إيران التعاون مع التحالف العالمي التي تقوده أمريكا ضد حكومة طالبان (العدو اللدود) لإيران في مقابل بعض التسهيلات والإغراءات المادية. ثانياً: الطلب من إيران أن تغلق حدودها الكبيرة مع أفغانستان ليس بغرض منع تدفق اللاجئين الأفغان بل لمنع أية امدادات ومؤن تصل إلى طالبان بالإضافة إلى التأكد من عدم تسلل بعض المجاهدين عرب وعجم المتعاطفين مع طالبان عبر الحدود الإيرانية الأفغانية وخاصة أن هناك عدداً كبيراً من أهل السنة الإيرانيين

متواجدون قرب الحدود وخاصة في منطقة بلوشستان. ثالثاً: واشنطن لاتريد أن تخسر كثيراً في هذه المعركة وتريد التأكد أنها لن تفشل في الإطاحة بحكومة طالبان لذلك فإنها ألحت على إيران بالضغط على حكمتيار سواء ترغيباً أو ترهيباً بعدم الانضمام إلى القتال بجانب طالبان في مقابل وعده بدور مرموق بعد انتهاء الحرب والقضاء على حكومة الملا محمد عمر. رابعاً: الطلب من إيران تقديم كافة المعلومات الأمنية والإستخباراتية حول نشاط بعض العرب الأفغان الذين مروا عبر أراضيهم أو تواجدوا عليها، والقبض عليهم إن وجدوا ومنعهم من دخول إيران. خامساً: في حال موافقة إيران على الطلبات تتعهد أمريكا بالتالي: ١ حل مشكلة الأرصدة المجمدة في البنوك الأمريكية والغربية على غرار ما فعلته مع باكستان والهند.. طبعاً مجرد وعود ولم يأخذ برويز مشرف حتى لآن إلا الحماية الأمريكية لبقائه أطول فترة ممكنة طالما يسير على الصراط المستقيم الأمريكي!! ٢ وعد إيران بغض الطرف عن نشاط حزب الله وعدم ضربه مع ترويضه مستقبلاً.. ٣ الوعد بعدم الضغط على لبنان أو سوريا بخصوص الجماعات الفلسطينية؛ حركة حماس والجهاد الإسلامي.. وهذا لم يحدث إذ زادت الضغوط وظهرت معاهدة خارطة الطريق إلى الهاوية!! وبعد أن وضعت الحرب أوزارها وانتهت دولة الإمارة الإسلامية في أفغانستان ودخل تحالف الشمال تحت أزيز الطائرات الأمريكية وبحماية آليات ودبابات روسية!! وبعد أن ارتكب تحالف الشمال المجازر في كابول وقندهار وغيرها من أرض أفغانستان.. انتظر فقهاء إيران المكافأة الأمريكية.. لم يرد عليهم الأمريكان إلا بالوعود كمواعيد عرقوب!! وهنا بدأ ما كنا نحذر منه: الضغط على إيران في القبض على حكمتيار وتم فعلاً اغلاق مكاتبه ثم طرده إلى أفغانستان ارضاء لأمريكا التي لا تشبع أيضاً من دماء المسلمين وتعذيبهم!! وانتظر حكام إيران المكافأة أو حتى كلمة شكر صريحة! ظل الوضع معلقاً لأن أمريكا كان في جعبتها تحقيق نصر أسهل مما حدث في أفغانستان التي هي عبارة عن هيكل عظمي لبقايا دولة بالمعنى الحديث!! ورغم ذلك لم تزل أفغانستان عقبة كأداء أمام استقرار الأمريكان هناك.. تم تأخير الضغط على إيران لحين المحطة الثانية:

المحطة الثانية: العدوان على العراق:

لقد لعب (جاك سترو) نفس الدور قبل العدوان الأنجلو أمريكي على أفغانستان.. حيث زار إيران وأخذ العهود والتطمينات كالعادة بعدم التدخل الإيراني أثناء الحرب وخاصة التوقف عن أي هجوم على (مجاهدي خلق في العراق).. حتى لا يتم تعكير صفو المؤامرة الكبرى.. وفعلاً تم تسليم بغداد في ٩ إبريل ٢٠٠٣ وتم تحطيم الأصنام التي كانت تضايق أمريكا وحليفتها (إسرائيل).. وأخيراً دخل فيلق بدر وزعيمه الحكيم بمباركة القوات الأمريكية.. وتحق لأمريكا ما تريد.. وظن ولاة الفقيه بأمريكا خيراً وانتظروا المكافأة ليسلموهم على الأقل زعماء مجاهدي خلق.. غير أن عرقوب العربي كان له نظير وأي نظير في أمريكا.. عرقوب أمريكاني متغطرس لا يعرف الرحمة!! وهنا كانت المحطة التالية:

المحطة الثالثة: مساومة إيران على تسليم أعضاء في القاعدة:

هذه هي المرة الثالثة التي زار فيها (جاك سترو إيران) .. لكن هذه المرة للتفاوض في قضية المعتقلين من كبار أعضاء تنظيم القاعدة حسب الرواية الإيرانية.. فجاك سترو يريد التأكد من الشخصيات مثل الدكتور أيمن الظواهري والشيخ سليمان أبي غيث وسيف العدل وغيرهم.. لكن إيران بعد أن خلعت برقع الحياء واضح أن لديهات ورقة توت تستر ما لا يجوز لها كشفه!! وإلا لكانت قد سلمتهم جهاراً ولو مجاناً!! كن دهاليز السياسة لا تعرف العمل التطوعي الخيري!! فإيران تريد الحصول من الأمريكان على أي شئ حتى ولو مجرد كف أذى الإعلام الأمريكي!! والسكوت عن حكاية المفاعل النووي!! لكن للأسف الشديد واضح أن مستشاري الرئيس خاتمي لا يستفيدون من عبر التاريخ وخاصة في التعامل مع الأمريكان وتجاربهم المريرة!! فمن فينة لأخرى يسرب ما يطلق عليهم (الإصلاحيين) عبر وسائل الإعلام أن الحكومة الإيرانية لديها أعضاء كبار في تنظيم القاعدة وهناك عدد لا بأس به رهن الإعتقال.. وكأنه إعلان لبيع بالمزاد العلني لمن يدفع أكثر!! وبالفعل قامت المخابرات الإيرانية التي يتزعمها ما يسمى غربياً بـ (المحافظين)؛ قام فريق منهم تحت مطارق الإصلاحيين الذين

يرتبط فريق منهم بالأجندة الأمريكية والغربية؛ قاموا عقب انتهاء العدوان على أفغانستان بالقبض على أكثر من ثلاثمائة من الإسلاميين المقيمين في إيران والذين لجأ عدد منهم بعوائلهم من أفغانستان إلى إيران، وكان معظم هؤلاء يعملون في هيئات إغاثية أو كانوا مقيمين في أفغانستان ولم يخرجوا منها منذ العدوان الشيوعي، ومنهم من كان متعاطفاً مع طالبان.. المهم أن هؤلاء جميعاً قد انقطعت بهم السبل وعبروا الحدود بعد أن رمتهم الدنيا بقوس واحدة.. وبعد أن كان النظام الإيراني يغض الطرف عنهم أحياناً والترحيب بهم أحياناً.. ها هي ذي نفس الأجهزة تقلب ظهر المجن لهؤلاء المستضعفين الذين هللوا من قبل للثورة التي أنزلت أنف أمريكا الرغام!! هي نفسها الأجهزة من أبناء الثورة ذاتها تلقي القبض عليهم وتضعهم وأطفالهم ونساءهم في سجون خاصة!! بل إن الحكومة الإيرانية كانت تتسول بهم إلى الدول الغربية لتتسلمهم ولتحصل في نفس الوقت شهادة حسن سير وسلوك .. وصك براءة من تهمة إيواء الإرهابيين!! وفعلاً عاد كثير من هؤلاء إلى الدول الغربية لأنهم كانوا يحملون الجوزات الأوربية!! أما الذين لا بواكي لهم ممن يحملون جنسيات عربية فقد تم تسليم ١٧ من أبناء الجزيرة إلى سوريا ومنها إلى السعودية باعتراف وزير الخارجية السعودي (سعود الفيصل)! بل إن الحكومة الإيرانية قامت بالفعل بتسليم بعض الإسلاميين المنحدرين من المغرب العربي إلى دولهم.. وهناك بعض الأسر قد تسلمتهم مصر!! ومن قبل قامت إيران بتسليم أحد الشبان الشيعة من أرض الجزيرة من الشتبه بأن لهم علاقة بانفجار الخبر.. سلم إلى سوريا بأمر من الرئيس خاتمي نفسه ثم تم تصفية هذا الشاب في مكان خاص بالشعائر الشيعية يطلق عليه (الزينبيات) في سوريا بزعم أنهم وجدوه منتحراً.... طبعاً ليموت وتموت معه أسراره!! وسلم جثة فقط إلى الحكومة السعودية !! كل هذه القرابين تقدم على عتبات المذبح الأمريكي لكي ينال ولاة الحكم في إيران رضا وبركة البيت الأبيض!! لكن هل رضي القابع في البيت الأبيض بصنيع الإيرانيين؟ وهل حمد لهم فعلتهم التي فعلوها مع حكومة طالبان التي لم تتآمر عليهم ولم تستجب للمخطط الأمريكي يوم أن كان الأمريكان يتمنون أن تستنزف إيران مع حكومة طالبان في حرب طاحنة!! وهل حمد لهم الأمريكان صنيعهم بتسليمهم ١٧ شاباً من أبناء الجزيرة

المشبته في انتمائهم لتنظيم القاعدة؟ لحكومتهم التي لا ترقب فيهم إلا ولاذمة!! وهل حمد لهم موقفهم السلبي أثناء العدوان على العراق؟! بالطبع لا: فإدارة الأشقياء في أمريكا كلما ضغطت على إيران وحقق لها ولاة الفقيه ما تريد قالت : هل من مزيد!! بل لم تكتف أمريكا بذلك بل إنها تبنت تظاهرات الطلبة الإيرانيين وسلطت وسائل إعلامها لإرهاب حكومة المشايخ.. وفتحت لهم بعض الملفات الموجودة في أضابير البنتاجون حيث تخرجها حسب الظروف مثل (ملف حقوق الإنسان) ذلك الشعار اللعين الذي هتكت به أمريكا حرمات العالم الإسلامي بصفة خاصة.. وخاضت حروباً وأراقت دماءً بريئة تحت مسمى (حقوق الإنسان) والحرية المنشودة!! وما قضية وفاة الصحفية الكندية من أصل إيراني عنا ببعيد!! ولن تعدم المخابرات الأمريكية بإيجاد كرزاي جديد يدخل طهران على دبابة أمريكية!! وقد نرى لا قدر الله جنود تكساس والأريزونا ينتشرون في مدينة (قم) وهم يحتسون زجاجات الفودكا في أروقة الحوزة العلمية!! كما رأيناهم عياناً بياناً في شوارع كوفة الإمام علي والنجف وكربلاء وبغداد الرشيد!! وماذا عن مصير العمائم؟!! هناك (جوانتانامو) جاهز لحبس العمائم البيضاء والسوداء في أقفاصه الشهيرة!! وللأسف الشديد رغم هذا المخطط الرهيب.. لم تزل حكومة إيران تراوغ وتتزلف إلى أمريكا وأذنابها بعرض تسليم الإسلاميين المعتقلين لديها لتنال عين الرضا الأمريكي!! وهيهات هيهات! فلم تشفع خدمات الشاه لكي ترضى عنه أمريكا وتبقيه في أراضيها رغم مرضه بالسرطان!! لم تشفع للشيخ الترابي صفقة تسليم كارلوس إلى المخابرات الفرنسية!! بل لم يشفع للفريق البشير تسليمه ملفات كل إسلامي وطئت قدماه أرض السودان ولو بجواز سفر مزور!! لم يشفع له أن حبس لهم الترابي وأنصاره وسلم كل متعلقات وملفات الشيخ أسامة بن لادن في السودان للمخابرات الأمريكية!! لم يشفع للبشير ذلك كله وسلطوا عليه عميلهم الجاهز داائماً (جون قرنق).. لكي يقسموا السودان كما يطيب لهم!! فهؤلاء جميعاً أهانوا دينهم وأمتهم وأهانوا اللاجئين والطالبين حمايتهم.. وأكرموا الأمريكان وحسبوا أنهم سيحمونهم ويكافئونهم على عمالتهم.. لكن الله عاقبهم بخذلان الأمريكان لهم في الدنيا.. ولهم من الله ما يستحقونه في الآخرة: (ومن يهن الله فما له من مكرم).. أقول: ها هي

ذي أمريكا قد قد أحاطت بإيران من كل جانب من الخليج العربي ومن آسيا الوسطى وعلى حدودها مع العراق وأفغانستان وفي تركيا.. ويتحكم الأمريكان بمنطقة خراسان حسب ما يريدون.. وها هي ذي إيران تفجأ بالموقف الأمريكي الناكث للعهود والناكص للوعود!! وها نحن أولاء نرى إيران يتلاعب بها أمريكياً!! وقد رجعت القهقرى إلى ما قبل الثورة وصارت تابعاً ذليلاً للشيطان الأكبر!! ولم تعد إيران قادرة على أن تناور الأمريكان، ولن يكون في وسعها الإعتراض على طلباتهم التي لا تنتهي!! وأول طلب سيكون في المرحلة القادمة هو تهميش دور القيادة الروحية بل وتحجيمها وإلغاؤها على غرار ما حصل لتركيا على يد مصطفى كمال أتاتورك وسرعان ما يتم إلغاء ولاية الفقيه رسمياً وتنهار المنظومة الشرعية على الصعيد الرسمي لدولة إيران وتتسربل بثوب العلمنة حسب المقاسات الأمريكية.. ومن ثم يكون هناك إحلال وتجديد.. تحل المنظومة الغربية الأمريكية محل منظومة ولاية الفقيه!! وفي هذه الحال لن تستطيع إيران أن تقاوم الأوامر والشروط الأمريكية وإلا حل عليها السخط الأمريكي الذي لا يرحم!!

## صفوة القول

بعد هذا التطواف السوداوي السريع الذي سيحل بالمنطقة لا قدر الله إذا ما تحقق لأمريكا ما تريد.. فهل يشاركنا ولاة الأمر في إيران وجهة نظرنا وتخوفنا هذا الذي يبدو كئيباً في الأفق.. أنه لن ينفع إيران لعبها بورقة تسليم أعضاء من تنظيم القاعدة سواء إلى بلدانهم أو إلى أمريكا.. لأن نظام الملالي يعلم جيداً أن حكومات بلدان هؤلاء الإسلاميين ستصليهم ناراً وتعذيباً ثم تقوم بتسليمهم للأمريكان في نهاية الأمر! وهل ستنزع حكومة إيران عنها آخر ما تبقى لها من شعارت كانت تتغنى بها في الماضي القريب: حماية الملهوف والذود عن المظلوم ومن ثم تفقد ما تبقى لها من مصداقية!! وهل ستضحي إيران بمستقبلها وبأمنها القومي وبمنظومتها الفقهية بثمن بخس ومن أجل أماني كالسراب ووعود كاذبة.. وماذا عسى الإيرانيون أن يطلقوا على هذه الصفقة الخاسرة: هل هي صفقة مع الشيطان؟! وهل سيقبل ولاة الأمر أن يكونوا تحت رحمة الشيطان الأكبر الذي لا يرحم؟!!

# تعليق على البديل الثالث لآل الزمر

## د. هاني السباعي

تنبيه:

مركز المقريزي يقدم تعليق فضيلة الشيخ الدكتور هاني السباعي على وثيقة الشيخين عبود الزمر وابن عمه طارق الزمر (البديل الثالث بين الاستبداد والاستسلام) التي نشرتها جريدة الشروق المصرية وطلبت من الدكتور هاني السباعي التعليق لكنهم بعد أن وصل إليهم التعليق منذ ما يزيد على شهر وهم يماطلون في نشرها رغم أن الدكتور هاني كتب التعليق في يوم واحد فقط لأن الصحفي ألح وقال سننشره بعد يومين إلا أنهم خالفوا ولم ينشروه حتى اضطررنا لنشره.

# مع تحيات المشرف على موقع المقريزي.
# على البديل الثالث لآل الزمر

**د. هاني السباعي**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد.

تقدمة:

للشيخين عبود وطارق الزمر منزلة جليلة لدي شخصياً، ولدى أبناء الحركات الإسلامية على اختلاف مشاربها وتنوعها، ورغم غيابهما الطويل وراء أسوار عالية تحيط بها حشود عاتية! إلا أنهما متابعان جيدان لما يدور على الساحتين المحلية والدولية! وعلم الله كم أقدرهما وأحترمهما وأسأل الله تعالى أن يعجل بفك أسريهما! وليسمح لي الشيخان الكريمان أن أعلق على ما ورد في هذه الوثيقة الجديدة (البديل الثالث) مع طلب إفساح الصدر لوجهة نظر مغايرة لبعض ما حوته الوثيقة.

وسيكون تعليقي على النحو التالي:

أولاً: التعليق على الوثيقة من الناحية الشكلية.

ثانياً: التعليق على الوثيقة من الناحية الموضوعية.

ثالثاً: **صفوة القول** في الوثيقة.

أولاً: التعليق على الوثيقة من الناحية الشكلية:

(أ) صحة نسبة الوثيقة للشيخين عبود وطارق الزمر؛ فهي ليست بسهم غرب لا يُعرف مطلقه ولا مصدره! فالوثيقة نشرتها جريدة الشروق المصرية في سبع حلقات من ١٩ أغسطس إلى ٥ سبتمبر ٢٠٠٩م، وللشيخين محامون يستطيعون تكذيب الجهة الناشرة وهذا لم يحدث، كما أن صياغة الوثيقة وما حوته من آراء يتناغم وآراء الشيخ عبود الزمر التي كانت تنشر عبر وسائل الإعلام من حين لآخر.

(ب) لقد أحسن الشيخان اختيار العبارات في صياغة الوثيقة، وابتعدا عن شخصنتها التي أفقدت وثائق التراجعات السابقة مصداقيتها (تراجعات الدكتور سيد إمام أنموذجا)!

(ج) لم تلق الوثيقة رواجاً إعلامياً وقد يرجع ذلك إلى أن أمن الدولة قد تكون غير راضية عن صياغة هذا البديل الثالث الذي هو أقرب إلى طريقة (بين بين)! والأمن يريد وثائق حدية على الطريقة البوشية من لم يكن معنا فهو ضدنا! وربما يكون هذا سبباً في تأخر الإفراج عن الشيخين رغم أنهما قد أيدا تراجعات الجماعة الإسلامية لكنهما لم يذهبا بعيداً ويصفا السادات أنه قتل شهيداً!.

(د) توقيت نشر الوثيقة لم يكن موفقاً من الناحية الإعلامية حيث كان المسلمون يستعدون لشهر رمضان ١٤٣٠هـ، وأنا شخصياً لم أقرأها إلا بعد الانتهاء من الشهر الكريم.

(هـ) عنوان الوثيقة (البديل الثالث بين الاستبداد والاستسلام) فهل يتفق مع محتويات الوثيقة ومضمونها! هذا ما سنصل إليه في ختام هذا التعليق.

(و) الوثيقة كتبت وخرجت من السجن فليست وليدة مناخ طبيعي.

ثانياً: التعليق على الوثيقة من الناحية الموضوعية:

قرار وقف العمل المسلح:

(١) قال الشيخان في مقدمة الحلقة الأولى: " لهذا فقد جاء قرار الدعوة إلى وقف العمليات المسلحة فى مصر بعد دراسة شاملة لنتائجه، وكذلك دراسة التحديات الجديدة التى أحاطت بالمنطقة الإسلامية".أهـ (الشروق).

أقول: لم يوضح لنا الشيخان ما نوع هذه الدراسة الشاملة والمنهج الذي سلكاه للوصول إلى هذه النتيجة (قراروقف العمل المسلح)! فقرار وقف العمل المسلح الذي عاصرناه منذ أعلنته الجماعة الإسلامية عام ١٩٩٧م لم يكن إلا نتيجة الضربات الأمنية العنيفة للجماعة الإسلامية وللتنظيمات الأخرى المسلحة. كما أن هذه التراجعات زرعٌ نبَتَ وترعرعَ في غيابات السجون!

لكن قد يقول قائل إن الدكتور أيمن الظواهري وهو خارج السجن قد أعلن وقف العمل المسلح لتنظيمه عام ١٩٩٥م! نعم هذا صحيح! لكن الفرق بين الموقفين كبير! فالدكتور أيمن أصدر قراراً داخلياً أرسله لأعضاء جماعة الجهاد بوقف العمل المسلح نظراً للظروف المالية التي كان يعاني منها التنظيم في ذلك الوقت أي أن الوقف كان مؤقتاً لظرف خاص بالجماعة! ولم يكن عبر وسائل الإعلام! معنى ذلك أنه إذا حلت المشكلة المالية للتنظيم سيعود إلى العمل المسلح مرة أخرى!

الطريق مسدود!

(٢) قال الشيخان (عبود وطارق) في أسباب العدول عن العمل المسلح: :" وصول عمليات التغيير المسلح داخل المجتمعات الإسلامية إلى طريق مسدود، ونتائج سلبية، تضررت منها الدول والجماعات على السواء" (الشروق).

أقول: إن عمر الحركة الإسلامية الجهادية المعاصرة قصير جداً حسب المنظور التاريخي! فتقويم عمل الحركات الجهادية خلال عشرين أو ثلاثين سنة! والوصول إلى نتيجة أن عمليات التغيير وصلت إلى طريق مسدود ونتائج سلبية تضررت منها الدول والجماعات على السواء! استنتاج غيردقيق! لأنه أغفل دور الآلة الإعلامية المحلية والدولية في تزوير الحقائق وتشويه أي عمل مسلح ذي مرجعية إسلامية! حيث تم شيطنة الإسلام ولا سيما من يتبنى فريضة الجهاد في التغيير! ومن ثم تثبيط عزائم المسلمين وتخويفهم بل وإرهابهم من التحدث ولو مع أنفسهم في التغيير عبر الجهاد المسلح! إذن نحن بصدد عمليات بث فيروسات قنوط وجراثيم يأس! للفت في عضد الأمة والتركيز على نتيجة مفادها! (الطريق مسدود)! فلا فائدة من تغيير الأنظمة الحاكمة الخارجة عن الشريعة الإسلامية فالطريق مسدود! والنتائج سلبية!! فالحاكم المستبد الظالم المغير لحكم الله قدر هذه الأمة وما عليها إلا أن تستسلم! فلينعم الحاكم في استبداده ولا داعي من إزعاجه! والاكتفاء بفتات الاستسلام! لأن الطريق مسدود! وكأن المطلوب من المسلم أن يحقق نتيجة جهاده ويقتطف الثمرة بنفسه! فالأمة مطالبة بالبلاغ واستفراغ وسعها في الجهاد أما النتيجة والثمرة

فالله لا يتعبدنا بها! يخاطب الله نبيه صلى الله عليه وسلم: (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) (المائدة:٦٧)، ويخاطبنا ربنا بقوله تعالى: (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلاغُ الْمُبِينُ) (التغابن:١٢).

التراجع علامة على الشجاعة والرشد!

(٣) قال الشيخان في عنوان مفهوم المراجعة: " كما أن المراجعات ليست دليلا على التراجع والضعف، بل هى علامة على القوة والنضج ودليل على الشجاعة والرشد" (الشروق).

أقول: وأين هذا الدليل على هذه القوة! فكل هذه التراجعات وليدة السجون! ومن أشرف عليها لواء بمباحث أمن الدولة ومن قام بتسويقها إعلامياً ضابط برتبة مقدم! وكما ذكرت آنفاً قد تكون وثيقة البديل استثناء لأنها على طريقة (بين بين)! لذلك لم يتم تسويقها إعلامياً! فهذه الوثائق التراجعية دليل ضعف وانهيار وليست دليل شجاعة ورشد! فلا يزال الشيخان عبود وطارق في السجن! ولم يتغير النظام في بطشه وجبروته وصلفه! ولا يزال الإسلام أسيراً لدى هذه الأنظمة! فما الذي تغير بالضبط؟! وأين هذه القوة؟! وحتى المشايخ الذين تراجعوا وانسلخوا! أسرى في بيوتهم! ولا يثق النظام في منحهم حرية الكلام ولا يستطيع أي واحد منهم أن يتحدث مع وسائل الإعلام أو يتنقل من من قرية لأخرى إلا بموافقة أمن الدولة! فأين هذه القوة وهذه الشجاعة!!

الموقف من تنظيم القاعدة وتأييد قتال العدو البعيد

(٤) قال الشيخان: " "إن الدعوة إلى وقف كل أشكال الصراع المسلح داخل المجتمعات الإسلامية تؤكد أيضا دعم وتأييد المجاهدين فى كل بقاع العالم الإسلامى المعرضة للاحتلال أو العدوان أو الاضطهاد، لأن تأييدهم واجب كوجوب الصوم والصلاة". ا

وقال الشيخان أيضاً: " أما عن موقفنا من تنظيم القاعدة فإننا نعلن تأييدنا للجهاد المشروع الذي يديره في بلدان العالم الاسلامي المعرضة للإحتلال أو العدوان ، بل أن جهاد القاعدة فى هذا المجال هو محل تقدير واحترام من جميع المخلصين فى الأمة ،وأننا علي أتم استعداد لأن ندفع حياتنا ثمنا للدفاع عن هذا الجهاد المشرف والذي نعتقد أنه يلقي كل تقدير واحترام من مخلصي الأمة. كما نتمني علي قادة التنظيم أن يقوموا بمراجعة استراتيجيتهم الساعية لنقل العمليات المسلحة داخل بعض بلدان العالم الإسلامي وذلك لأنها قد وقعت بالفعل في العديد من المحاذير الشرعية التي تعذر تفاديها كما أنها لم تحقق النتائج المرجوة منها فضلا عن أنها تربك وتشتت جهود المقاومة" أهـ (الشروق).

أقول: نلاحظ أن التراجعات السابقة كوثيقة الدكتور إمام تبارك أيضاً مقاومة المحتل الأجنبي كما في العراق وأفغانستان وفلسطين بالطبع!! وهذا نفس ما يراه الشيخان آل الزمر في تأييدهما لجهاد المحتل الأجنبي! أي مباركة العدو البعيد! أما القريب! فالحذر كل الحذر!

ويحتج عليهم مخالفوهم بقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (التوبة:١٢٣). قال الألوسي: " لأنه من المعلوم أنه لا يمكن قتال جميع الكفار وغزو جميع البلاد في زمان واحد فكان من قرب أولى ممن بعد، ولأن ترك الأقرب والاشتغال بقتال الأبعد لا يؤمن معه من الهجوم على الذراري والضعفاء، وأيضاً الأبعد لا حد له بخلاف الأقرب فلا يؤمر به، وقد لا يمكن قتال الأبعد قبل قتال الأقرب" أهـ (الألوسي: روح المعاني/ دار الكتب العلمية/ بيروت/١٤٢٥هـ/مج٤ ج٦ ص٤٧).

وهكذا نلاحظ أن آية سورة التوبة (قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ) تشير إلى صلب موضوعنا أنه لزام على المسلم ألا يغفل عن جبهته الداخلية وعن أعدائه القريبين لأن هذا مكمن الخطورة حيث ينشغل المسلمون في حرب ما مع عدو خارجي ثم يفاجأ المسلمون بخلل في جبهتهم الداخلية وأن هناك طابوراً خامساً يخرب بنية الأمة الداخلية وهذا ما حدث بالفعل!

كما نلاحظ أن الجماعات الجهادية ترى أن المرتد أغلظ جرماً من الكافر الأصلي. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وكفر الردة أغلظ بالإجماع من الكفر الأصلي" (الفتاوى ٤٧٨/٢٨). وقال أيضاً: والصديق رضي الله عنه وسائر الصحابة بدؤوا بجهاد المرتدين قبل جهاد الكفار من أهل الكتاب، فإن جهاد هؤلاء حفظ لما فتح من بلاد المسلمين وأن يدخل فيه من أراد الخروج عنه. وجهاد من لم يقاتلنا من المشركين وأهل الكتاب من زيادة وإظهار الدين. وحفظ رأس المال مقدم على الربح" (الفتاوى ١٥٦/٣٥ ١٥٩).

فإذا استعرضنا جانباً من الغزوات والسرايا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم سنجد معظمها موجه إلى قريش وحلفائها من أهل الشرك ومن بعض القبائل المشركة التي كانت تحيط بالمدينة ولها تحالف أيضاً مع قريش! وقريش كما نعلم هم قبيلة الرسول صلى الله عليه وسلم وهم أعمامه وبنو عشيرته وهم الذين عاش وتربى معهم في فيافي وجبال مكة وربوعها وكذلك أصحابه رضوان الله عليهم! ولم ترد رواية صحيحة أو حتى ضعيفة أو موضوعة تذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال (لا يقتل القرشي القرشي)!! (ولا يقتل المكي المكي) ولم يرد في رواية صحية أو حتى موضوعة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال (دم المكي مقدس وحرام)!! ولم يرد في رواية صحيحة ولا موضوعة أن الرسول ذكر مصطلح (الوحدة الوطنية)!! التي حلت محل ولاء العقيدة في عصرنا المنكوب بعلمائه المنهزمين عقدياً!!

إن التركيز على قتال العدو البعيد (المحتل الأجنبي) وترك من أتي وتحالف وتآمر مع هذا الأجنبي مجانب للحقيقة! وصدق الله القائل: (أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ) (القمر:٤٣)

كيف يمكن إنهاء الصراع

(٥) قال الشيخان: كيف يمكن إنهاء الصراع المسلح؟ " العمل على تحكيم الشريعة الإسلامية فى شتى مجالات الحياة، وعدم الوقوف عند النصوص الدستورية، التى لم توضع إلا ذرًا للرماد فى العيون."أهـ الشروق.

أقول: وإذا لم يستجيبوا؟! والواقع يؤكد ذلك! فما مصير تلكم التراجعات؟ وما مصير البديل الثالث؟ فهذا الطلب أشبه بطحن في الهواء أو بحرث في الماء! فحياة هذه الأنظمة المستبدة قائمة على محاربة الشريعة الإسلامية! فهي أنظمة عمودها الفقري الظلم وتتنفس قوانين استثنائية جائرة، وتتغذى أحكاما عرفية مقيدة لحرية الأبرياء! وهل هذه الأنظمة ينفع معها إصلاح؟! فهي أس الداء وسبب كل بلاء حل بأمتنا! فكيف نعالج المرض العضال بمسكنات لا تصلح إلا لوعكات صحية خفيفة! فالورم الخبيث لا يصلح معه إلا البتر حتى يعافى سائر الجسد!

ضرورة المشاركة السياسية

(٦) قال الشيخان: ضرورات المشاركة السياسية للحركات الإسلامية واشترط بعض الشروط منها: " أن الفصائل الفاعلة على الساحة السياسية مدعوة اليوم إلى إعادة النظر فى اعتزال العمل السياسى والحزبى، وذلك فى إطار التأهل للتعامل مع مرحلة مهمة من مراحل العمل الإسلامى، حيث إننا مقبلون على أوضاع وخريطة سياسية جديدة، أهم ما يميزها الصراع السياسى، كما أن قبول النظم السياسية فى منطقتنا لمشاركة الإسلاميين السياسية سيصبح أمرا حتميا ،وخوض غمار الصراع السياسى قد أصبح ضرورة للآتى: العمل على تحكيم الشريعة وإيقاف العمل بالقوانين التى تخالفها".أهـ الشروق.

أقول: ولكم في الإخوان المسلمين ومن سلك طريقهم عبرة! فهل أفلحوا في ساحة تواجدوا فيها؟!

فهذه الشريعة أقرب وصف لها كما قال الله تعالى في محكم التنزيل (وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ) (الحديد:٢٥)، وهل ترك النظام العلمانيين الذين هم أقرب للنظام من الإسلاميين! هل تركوهم في حالهم أم اخترقوا أحزابهم السياسية وشرذموها! وصاروا أبواقاً للنظام ومعارضة مصطنعة وكتاب تقارير في جنح الظلام ضد رفاقهم في الدرب!. مشروع ثبت فشله في الجزائر والأردن ومصر وباكستان! وحتى تركيا لم يرض عنها العسكر والأمريكان إلا بعد أن تخلى أوردغان وحزبه نهائياً عن البقية الباقية من ثوابت الدين! وصرح بأنه علماني قح!

فهل يظن الشيخان أن الأنظمة القائمة ستسمح لحزب يطالبها بتطبيق الشريعة الإسلامية وإلغاء القوانين الحالية! إن هذه الفكرة تذكرني بمطلب النصرة لدى حزب التحرير الإسلامي! الذي يعرض بين فترة وأخرى على بعض قادة الجيوش في العالم نصرة حزبهم لتطبيق الخلافة!! بدون طلقة رصاصة واحدة! هكذا بكل سهولة! يستلم هؤلاء التحريريون الحكم من جيوش أسست على القمع والظلم وعلى غير هدي الإسلام!!

تحية للنضال السياسي للإخوان المسلمين!!

(٧) قال الشيخان: في عنوان (الاخوان والنضال السياسي): " من هنا فنتوجه بالتحية والتقدير لجماعة الإخوان المسلمين التى استطاعت أن تحفر بأظافرها قنوات للعمل السياسى الإسلامى، برغم عقبات الاستبداد الراسخة، وأرست تقاليد راقية للنضال السياسى، والعمل على تحريك الجماهير، والتضحية فى سبيل ذلك بالكثير". أهـ (الشروق).

أقول: نريد أن نقوّم هذه التحية وهل يستحقها الإخوان أم لا؟ وأي صمود وتضحية هذا الذي صمده الاخوان؟ هل الصمود في السجون؟ أم الصمود في ما يسمى اللعبة الديمقراطية مع الأنظمة؟!

لقد صمد الشيوعيون أيضاً في سجون ناصر؟ وصمود شباب الحركات الإسلامية على اختلاف مشاربها فاق صمود الاخوان المسلمين على مدار تاريخهم؟!

قارن بين أحكام المحاكم العسكرية التي تصدر ضد الاخوان المسلمين والتي تصدر ضد الحركات الإسلامية الأخرى رغم أن كثيراً من هؤلاء الشباب لم يطلق طلقة واحدة ومنهم لم يحاكم حتى الآن وهم بالآلاف؟ ناهيك عن أحكام الإعدام التي تصدر فقط ضد أبناء الحركات الإسلامية غير الإخوانية!!

فعلام التحية إذن أيها الشيخان المكرمان؟! أما عن صمود الإخوان في التواجد السياسي وممارسة لعبة شد الحبال مع الأنظمة؟! نعم إنهم يجيدونها! بالمفهوم السلبي فلا تزال الأنظمة تصفعهم وتعتقلهم ولا يزالون يتنازلون عن ثوابت الدين!

فالأنظمة المستبدة ترخي الحبل للإخوان في حالة قوة الحركات الإسلامية الجهادية! وتشد نفس الحبل حتى يكاد يقترب من عنق الإخوان في حالة ضعف الحركات الجهادية! هذه معادلة لا تخفى على الشيخين آل الزمر!

فالإخوان المسلمون يقدمون أنفسهم للأنظمة على أنهم الإسلام الوسطي المعتدل!! بمعنى الإسلام المنبطح الإسلام الذليل المنهزم! فهم يقدمون المشورة والنصيحة للأنظمة المحلية والدولية ففي الغرب مثلاً هناك مستشارون لدى أجهزة الاستخبارات الغربية يقومون بتقديم النصيحة لهذه الأجهزة باعتبار أنهم الوسطيون وأن الشباب والدعاة المتواجدين في الغرب متطرفون!! انظر إلى بعض المحطات الفضائية المفتوحة لهم في الغرب تحت ستار أقرب إلى الفكر القومي!! وهم إخوان أقحاح تمولهم دولة خليجية معروفة! وهذا طارق رمضان حفيد المرشد المؤسس لجماعة الإخوان المسلمين كان مستشاراً لرئيس الوزراء البريطاني توني بلير وما أدراك من توني بلير! قاتل المسلمين في العراق وأفغانستان وفلسطين!! فعلام التحية إذن؟

عينة من أقوال وأفعال الإخوان المسلمين في نضالهم السيسي!!

أعتقد أن تقويم أي منهج لأي جماعة إسلامية يخضع لمدى قربها وابتعادها من مصادر التشريع الإسلامي (قرآن/سنة/إجماع/قياس..إلخ) فالسؤال الذي يطرحه مخالفو منهج الإخوان: عن مشروعية منهج الإخوان منذ نشأة الجماعة عام ١٩٢٨م وحتى وقتنا الحاضر؟ وما الضابط الذي يجعلنا نحكم على منهج جماعة إسلامية بالفشل أو بالنجاح؟ كما أن قادة الإخوان لم يردوا على الحقائق التاريخية والواقعات التي قاموا بها منذ نشأة حركتهم.

وأسرد لكما أمثلة على سبيل المثال لمن قدمتم لهم التحية:

(أ) قال الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح عضو مكتب الإرشاد لجريدة العربي الناصري بتاريخ ٢٠٠٣/٩/٢٨م العدد ٨٧٨ : لا مانع لديه أن يكون رئيس الدولة مسيحياً ولا مانع من وجود حزب شيوعي.. ورغم ذلك لم تصدر جماعة الإخوان بياناً يستنكر

هذه التصريحات ويقوم بتجميد عضوية عبد المنعم أبو الفتوح على الأقل من مكتب الإرشاد! لكنهم لم يفعلوا!

(ب) وهناك تصريح آخر للمراقب العام للإخوان المسلمين في سوريا الأستاذ علي صدر الدين البيانوني في شهر يونيو ٢٠٠٥م في إحدى القنوات الفضائية العربية التي يمولها الإتحاد الأوربي برضا الأمريكان لنشر الديمقراطية الأمريكية في العالم الإسلامي!! يقول البيانوني إجابة على سؤال المذيع: هل تقبلون أن يكون رئيس الدولة في سوريا امرأة أو مسيحياً؟ قال: ما يقرره الشعب نقبله فإذا اختار الشعب مسيحياً أو شيوعياً أو امرأة فسنقبله لأن من يختار الديمقراطية يقبل نتائجها!

أقول: لو أن هذا الكلام قد صدر من علماني لقلنا إن هذا العلماني متناغم مع نفسه حيث لا يرفع شعاراً دينياً ولا حتى أخلاقياً! أما أن جماعة ما تقوم على أساس ديني وينتسب إليها الناس على أساس هذا الدين الذي يرفض أي شريك له في كافة المناحي الحياتية؛ أعلاها السلطة، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق! وهذا ما تقوم قيادة الإخوان المسلمين حيث تمارس تقية سياسية وسفسطة يونانية بالية يريدون أن يقنعوا الناس بالشئ وضده كأن تقول لشخص أنت مسلم بوذي! أو مسلم شيوعي! أو مسلم نصراني أويهودي!

لذلك استمرأوا هذه التقية السياسية ووقعت تصريحاتهم في مواطن الزلل فعلى سبيل المثال:

(ج) نشرت جريدة الشرق الأوسط بتاريخ ٢٥ مايو ٢٠٠٥ م : قال عبد المنعم أبو الفتوح "إن شعار الجماعة «القرآن دستورنا»، هو شعار عاطفي وأدبي يعبر عن مرجعية الجماعة، ولكنه لا يعبر عن منهجها في العمل السياسي الذي تحترم فيه القانون والدستور الوضعي للدولة، مؤكداً أن الجماعة تؤمن بحقوق المواطنة وأن الامة مصدر السلطات". ولم يكتف أبو الفتوح بتصريحه السابق بل إنه إبان الإنتخابات التشريعية المصرية التي عقدت مؤخراً لعام ٢٠٠٥م صرح في عدة قنوات فضائية أن مرجعية الإخوان هي الإسلام الحضاري "شعار الإسلام هو الحل شعار حضاري وليس شعاراً عقدياً أو دينياً"!

أقول: أي مرجعية هذه التي يشدد عليها أبو الفتوح بل ويعتز بها (الإسلام الحضاري)! لا ندري ما المقصود بالإسلام الحضاري اللهم إن كان المقصود هو إسلام المتاحف! إسلام التكايا! أبو الفتوح يتكلم عن إسلام خال من العقيدة والدين! إسلام (مودرن)! إسلام لا يعرفه رسولنا الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم! وللأسف الشديد لم يستنكر الإخوان ولو على استحياء على طامات أبي الفتوح المتكررة!!

(د) وقيادي آخر في جماعة الإخوان المسلمين يقول: إنه لا يدعو إلى تطبيق الشريعة! فقد نشر موقع شهود بتاريخ ٢٢/٥/٢٠٠٥م: "من جهة أخرى أعلن خالد الزعفراني العضو السابق في الإخوان أنه تقدم بطلب رسمي للجنة شؤون الأحزاب للموافقة على تأسيس "حزب الإصلاح والعدالة والتنمية". وأوضح الزعفراني (٥٣ عاما) أن الحزب الجديد يقتدي بتجربة حزب العدالة والتنمية في تركيا، وقال إنه لا يدعو إلى تطبيق الشريعة مؤكدا أن القوانين الوضعية في مصر كافية لأن المفترض أنها مستمدة من الشريعة. وأضاف أن الحزب يشجع على منح المرأة جميع الحقوق السياسية والمساواة مع الرجل وأنه إذا تولى السلطة لن يفرض ارتداء الحجاب على النساء"أهـ.

أما عن تصرفات جماعة الإخوان المسلمين عالمياً فحدث عنها ولا حرج:

أولاً: دخول جماعة الإخوان المسلمين في تحالف الشمال في أفغانستان مع قوات الإحتلال الأمريكي على دولة أفغانستان المسلمة إبان حكم الطالبان٢٠٠١م.. ومن أبرز رموز هذا التيار ممن دخلوا كأبول تحت حماية الطائرات الأمريكية وعلى متون دباباتها ومصفحاتها الأستاذان: برهان الدين رباني، وعبد رب الرسول سياف؛ وهما عضوان بالتنظيم الدولي للإخوان المسلمين. ورغم ذلك لم تصدر جماعة الإخوان المسلمين بياناً تستنكر هذا التحالف المخزي ولم تتبرأ من فعلة هذين الحزبين (رباني سياف)!

مع العلم أن برهان الدين رباني الذي كان من كبار قادة المجاهدين قديماً أول ما تولى رئاسة أفغانستان بعد خروج الشيوعيين السوفييت قبل تفككه، ذهب إلى مصر وأعلن متنفلاً أنه على استعداد أن يسلم المجاهدين المصريين الذين يعيشون في أفغانستان رغم أن الأحداث لم تكن بهذه السخونة على المستوى المصري ولا على

المستوى العالمي في ذلك الوقت! وطبعاً لم نر بياناً لقيادة جماعة الإخوان يستنكر هذا التصرف الأرعن والتزلف الممجوج من قبل الرئيس برهان الدين رباني (سابقاً) فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان! وماذا حصد الشعب الأفغاني من مشاركة جماعة الإخوان المسلمين (رباني/فهيم/سياف) في التحالف مع قوى الاحتلال إلا الفشل والموت والخراب وعلو الباطل؟!

ثانياً: في الجزائر: تحالف زعيم جماعة الإخوان المسلمين الأستاذ محفوظ نحناح مع طغمة العسكر ضد جبهة الإنقاذ التي قبلت بخيار صناديق الإقتراع على غرار المنظومة الغربية مثل الإخوان المسلمين فبدلاً من أن يتوحد معهم إذ به يتحالف مع سلطة العسكر (العماري/خالد نزار) ضدهم ثم قام بحملة دعاية لتبييض وجه النظام العسكري القمعي في الجزائر ولا يزال حزبه مستمراً على نفس النهج.. ورغم ذلك لم تصدر قيادة الإخوان بياناً تستنكر فيه هذا التحالف النحناحي مع الفرنكوفونيين الذين خربوا ديار برباروسا! ومع ذلك هل حكمت الجزائر بالشريعة الإسلامية أم أن تجفيف منابع التدين وصار التنصيرعلى قدم وساق في ظل بعض وزراء الإخوان! فماذا حصد الشعب الجزائري من مشاركة الإخوان إلا الفشل؟!

ثالثاً: احتلال الأمريكان وحلفائهم (العراق.. وإذ بنا نرى الحزب الإسلامي (إخوان مسلمين) يتحالف مع قوى العدوان الأنجلو أمريكي! ونرى قادتهم الدكتور محسن عبد الحميد والدكتور صلاح الدين بهاء الدين أعضاء في مجلس الحكم المؤقت المعين من قبل قوات الإحتلال بالإضافة إلى مشاركة حاجم الحسني عراب مشاريع بريمر الذي تم تعيينه رئيساً لما يسمى الجمعية الوطنية! ولا يزال طارق الهاشمي مستمراً في هذه اللعبة السخيفة ومتحدياً مشاعر المسلمين بسبب إصراره على المشاركة في الانتخابات التي شرعها الإحتلال لتحسين صورته ولتقزيم المجاهدين ومحاصرتهم وتشويه صورتهم! ورغم هذه الجريمة التاريخية الكبرى التي اقترفها ولا يزال يقترفها الحزب الإسلامي لم تصدر قيادة الإخوان المسلمين في القاهرة بياناً جامعاً مانعاً حاسماً يتبرأون فيه من الحزب الإسلامي وقيادته ويستنكرون دخول هذا الحزب في تحالف مع قوى العدوان على الرافدين. بل كان

من الأجدى والأنجع تطبيقاً لعقيدة الولاء والبراء أن يتم فصل محسن عبد الحميد وصلاح الدين بهاء الدين ومعهم حاجم الحسني وطارق الهاشمي الذي صار نائباً لرئيس الدولة! وكل من شارك في جريمة احتلال العراق أياً كانت حيثيته وأياً كان تبريره وأياً كانت طائفته. لكن للأسف الشديد كل ذلك لم يحدث! فماذا حصد الشعب العراق من جراء مشاركة الإخوان المسلمين للتحالف مع قوى الاحتلال الأمريطاني إلا الفشل والموت والخراب؟!

رابعاً: في ماليزيا: وقفت جماعة الإخوان المسلمين مع وزير المالية أنور إبراهيم المتورط في قضايا فساد ضد محاضر محمد رئيس وزراء ماليزيا السابق الذي ترك منصبه طواعية وأعلى من شأن بلاده اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً. فماذا عسانا أن نفسر هذا التصرف الإخواني قبل محاضر محمد؟! أعتقد أن الأمر بكل بساطة أن محاضر محمد لم يكن إخوانياً وهذا يكفي للوقوف ضده وإن كان مخلصاً وإن كان خبيراً ومتقناً في عمله! والعجيب أن الإخوان يشتكون من الأنظمة الحاكمة أنها تقدم أهل الثقة (وهم المحسوبون والموالون للنظام) على أهل الخبرة (وهم المستقلون الذين لا يريدون من أي طرف جزاءً ولا شكوراً)! وفي نفس الوقت نرى الإخوان المسلمين منغلقين على أنفسهم وعلى الشباب الذين يربونهم في الأسر حيث نرى غراً صغيراً يرتقي بين عشية وضحاها إلى قيادة نقابة مهنية مثلاً أو رئاسة تحرير جريدة أو مسئول في بنك ..إلخ كل مواصفاته أنه عضو من الإخوان وأنه لا يرى .. لا يسمع .. لا يعلم! المهم ألا يجادل ولا يناقش.. فقط ينفذ أوامر أهل الحكمة في مكتب الإرشاد وإلا تعرض للعزل والفصل والحرمان من الخير الكثير والمستقبل الزاهر الذي كان ينتظره!!

خامساً: بيانات التأييد والتعزية لأنظمة وأحزاب دكتاتورية ظالمة متآمرة على الأمة الإسلامية كما في رسالة التعزية إلى مسعود برزاني وجلال طالباني وهما أكبر عميلين للتحالف الصهيو أمريكي في العالم العربي! كما أنه مع كل عملية مسلحة تحدث هنا أو هناك تبادر قيادة الإخوان بالتنديد والإستنكار وتبالغ في تعنيف من قاموا بهذه العلمية ضد قوات الإحتلال أو قوات الظلم والبطش في العالم الإسلامي والأمثلة على هذا لا تحصى وصار هذا دأب الإخوان منذ حادثة النقراشي وحتى وقتنا المعاصر!

(سادسا) تصريح خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحركة حماس (فرع الإخوان المسلمين) عندما سئل في موسكوعن الشيشان قال: إنها مسألة روسية محلية!!

سابعا) فتاوى الإخوان المسلمين في الغرب بإباحة التعامل بالربا لشراء المنازل! وطامات أخرى! عن طريق سيطرتهم على المجلس الأوروبي للافتاء بزعامة الدكتور يوسف القرضاوي!! الغاية تبرر الوسيلة! نعم الصمود ونعمت التضحية!!

(ثامنا) صرح قادة حماس (فرع الإخوان المسلمين) بعد أن مكنهم الله في بقعة صغيرة من الأرض (غزة) أنهم لا يريدون أسلمة غزة! ولا يزالون يتعاملون بقوانين مرجعيتها اتفاقية أوسلو!! وشنوا حملات أمنية مستعرضين قوتهم على الفصائل الإسلامية الأخرى وعلى من يخالفهم في الرأي! فأي نضال هذا الذي تمدحانه؟! بارك الله فيكما!

(تاسعا) في غزة قبيل شهر رمضان١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م اعتدت حماس (فرع الإخوان) على مسجد ابن تيمية في مدينة رفح وضربته بقذائف الآربي جي وقتلت الشيخ الدكتور عبد اللطيف موسى (أبا النور المقدسي) أمير جماعة جند أنصار الله!!

(ط) في مقابلة خاصة مع محطة العربية بتاريخ ٢٠٠٩/٩/٣٠م قال إسماعيل هنية رئيس ما يسمى بالحكومة المقالة في غزة: "إننا لا نفرض الحجاب على النساء في غزة" أهـ وكأن آيات فرض الحجاب في النور والأحزاب محل نزاع وتخضع لحرية الاختيار!!

فأي نضال هذا الذي خاضه الإخوان المسلمون؟! وأي تضحية هذه التي ضحى من أجلها الإخوان إنهم يضحون بثوابت الأمة وبمجاهديها!

أيها الحبيبان الأسيران! آل الزمر! علام التحية؟! وهل يستحقها من يريد علمنة الإسلام؟!

أيها الشيخان المبجلان! آل الزمر! أرى أن تحيتكما كانت في غير محلها! والله سيسألكما عن ثنائكما على جماعة ناضلت وصمدت في الباطل وتخلت عن ثوابت هذا الدين العظيم!

إيران وحزبها في لبنان:

(٨) قال الشيخان: "إن الموقف من إيران يجب أن يتأسس فى ضوء الرؤية الشاملة للتحديات التى تتعرض لها المنطقة الإسلامية، وبالأخص تحديات المشروع الأمريكى الإسرائيلى الذى يسعى لتفتيت المنطقة، وقتل كل أشكال الإرادة السياسية بها.. ومن هنا تصبح إيران إضافة للأمن القومى العربى، ويصبح العدوان عليها عدوانا على المنطقة بأسرها"أهـ (الشروق).

ويقولان أيضاً: "فإيران لا تسعى لنشر مذهبها الشيعى بالمنطقة العربية، لأن ذلك يضر بمشروعها السياسى. فضلا عن أن ذلك سيعرض مذهبها لمحنة علمية شديدة إذا وضع فى مواجهة عقيدة أهل السنة والجماعة"أهـ (الشروق).

أقول: هناك عبارات تحتاج إلى وقفة!

يقول الشيخان: "إيران إضافة للأمن القومي العربي"!!

أين هذا الأمن القومي العربي المنتهي صلاحيته منذ زمن بعيد!

هل هؤلاء الشركاء المتشاكسون أحفاد أبي رغال! يهتمون بالأمن القومي العربي! وهم الذين شرذموا الأمة وقزموها! وسلموها للأمريكان! وللإسرائيليين! ولكل غاصب! إنهم يتنافسون في خدمة المشروع الأمريكي!

فأين الأمن القومي يوم أن اغتصبت فلسطين ولا تزال! وأين الأمن القومي وقد تآمروا جميعاً على احتلال العراق وتدميره؟! أين الأمن القومي العربي وهم قد شاركوا الإيرانيين في تمزيق العراق ونهب ثرواته وقتل أهل السنة وحصارهم؟! أين الأمن القومي العربي وسماء الأمة وأراضيها ومياهها الإقليمية مفتوحة لأعداء الأمة! (ضعف الطالب والمطلوب)!!

أما عن إيران فماذا قدمت للأمة؟! فهي مشروع قومي فارسي يتخذ المذهبية المقيتة في أسوأ صورها! يقول الشيخان: " لا تسعى لنشر مذهبها الشيعى بالمنطقة العربية، لأن ذلك يضر بمشروعها السياسى"! وهذه العبارة من عجائب المقدور مع احترامي للشيخين! وللتدليل على مجافاة هذه العبارة للواقع:

الأول: إيران شريك فعال في حروب المشروع الأمريكي على أمة الإسلام! فقد صرح مفتخراً محمد علي أبطحي نائب الرئيس الإيراني الأسبق للشئون القانونية والبرلمانية في ختام أعمال مؤتمر الخليج وتحديات المستقبل الذي نظمه مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية سنوياً بإمارة أبي ظبي مساء الثلاثاء ٢٠٠٤/١/١٥م: "إن بلاده قدمت الكثير من العون للأمريكيين في حربيهم ضد أفغاسنتان والعراق"أهـ وقال بكل فخر وثقة: "لولا التعاون الإيراني لما سقطت كأبول وبغداد" أهـ.

الثاني: كان أهل السنة الأغلبية الساحقة شافعية المذهب ٩٠٪ في إيران قبل تأسيسها على يد إسماعيل الصفوي ١٥٠١م وأعلن أن دولته شيعية إمامية وأن مذهب الإثني عشرية هو المذهب الرسمي لدولة! وأمر بسب ولعن الصحابة وهدم مساجد أهل السنة وشن حملات اعتقالات جماعية وتم تصفية معظم علماء أهل السنة، ونبش قبور من مات منهم وحرق عظامهم أمام عامة الناس!! وفر الباقون إلى أفغانستان والعراق وتركيا!! وعندما احتل بغداد عام ١٥٠٨م ارتكب جرائم يشيب لها الولدان! قتل عشرات الألوف من أهل السنة وهدم قبري الإمامين أبي حنيفة وعبد القادرالجيلاني!! وظل فيها ست سنوات يقتل ويفتك بأهل السنة ويتتبع العوائل المنتسبة إلى الصحابة فقتل كل من ينتسب إلى الصاحبي الجليل خالد بن الوليد رضي الله عنه وهدم دورهم وحرقهم لمجرد أنهم ينتسبون إلى هذا الصحابي العظيم!

الثالث: فتاريخ إيران القديم والحديث تاريخ مخزي بحق! مؤامرات ومكائد ضد أهل السنة! فها هو ذا الشاه إسماعيل الصفوي الهالك في مدينة تبريز سنة ١٥٢٤م يتحالف مع البرتغاليين الصليبيين على أن يحتل الصفيون (مصر والبحرين والقطيف)، ويحتل البرتغاليون (فلسطين وهرمز)! وعلم العثمانيون بالأمر فأحبطوا المؤامرة! وكان هذا دافعاً للسلطان العثماني سليم الأول في فتح مصر وهزيمة المماليك البرجية في معركة الريدانية عام ١٥١٧م.

الرابع: تحالف الشاه طهماسب ابن إسماعيل الصفوي مع المجر والنمسا ضد الدولة العثمانية السنية إبان حكم السلطان سليمان القانوني ١٥٢٥م. تاريخ مشرف فعلاً!!

الخامس: تحالف وتآمر الشاه عباس الكبير المتوفى ١٠٣٨ هـ حكم الدولة الصفوية أربعين سنة، وهو أسوأ الحكام الصفويين الشيعة حيث تواطأ مع البريطانيين ضد العثمانيين وحاصر المدن السنية في العراق، وحاصر المدن السنية، ونكّل بها وبأهلها، وقتل سبعين ألفاً من الأكراد السنة، ومنع الحج إلى مكة المكرّمة، وأجبر الناس على أن يحجّوا إلى قبر (الإمام موسى بن الرضا) في مدينة (مشهد)!.. بينما قام بتكريم النصارى والأوروبيين، وفتح لهم أبواب إيران على مصاريعها، وبنى لهم الكنائس، وأعفاهم من الضرائب، وشاركهم أعيادهم، واحتسى الخمر معهم!.. وعندما استولى على بغداد أعاد هدم قبري أبي حنيف والجيلاني وحول مدارس أهل السنة السنية إلى اصطبلات للخيل! وظل هذا السفاح يهلك أهل السنة! حتى أهلكه الله وخلفه الشاه صفي الأول ١٧٢٢م الذي هزمه العثمانيون وحرروا العراق من ظلم الصفويين ! لكنهم عادوا مرة أخرى أي بعد قرون تحديداً في عام ٢٠٠٣م مع القوات الأمريكية الصليبية! ولله في خلقه شؤون!

السادس: كان الغرب يشيد بأي انتصار للصفويين على حساب العثمانيين السنة فقد قال في قصة الحضارة: " وأفاد العالم المسيحي من هذه الفرقة حيث انقطع سليمان القانوني عن شن هجماته على الغرب، ووجه حملاته نحو فارس وفي ذلك كتب سفير فرديناند في القسطنطينية يقول: (إن فارس هي التي تقف حائلاً بيننا وبين الدمار)"أهـ (وول ديورانت: قصة الحضارة/ج٢٦ ص٩٤، ص٩٥.).

السابع: لقد غزت إيران العالم الإسلامي السني عن طريق شعار (حب أهل البيت)! ومقاومة الشيطان الأكبر! فلدى إيران أكثر من ثلاثين محطة فضائية ناطقة باللغة العربية موجهة لأهل السنة تبث سمومها بالغمز واللمز والتصريح في سب الصحابة وخاصة الخلفاء الراشدين الثلاثة (أبا بكر وعمر وعثمان)! رضي الله عنهم! مع طبع وتوزيع كتب في الطعن في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها!

الثامن: انتشار اللطميات أو الحسينيات للثأر من أهل السنة أتباع الصحابة الذين لم يعتقدوا بوجوب ولاية علي وتقديمه على أبي بكر وعمر وعثمان! وهذه الأوكار منتشرة

في المدن المصرية الجديدة بل وصل بهم التحدي لمشاعر أهل السنة في مصر أن طبعوا كتيبات بسب الصحابة وقاموا بتوزيعها في قلب القاهرة!

التاسع: قاموا باختراق بعض المؤسسات الإعلامية عن طريق أموال خليجية تمجد في الإيرانيين وحزب الله! وتمريرمقالات في تجريح الصحابة والطعن في أمهات المؤمنين!

العاشر: لقد أصبح جنوب العراق ولاية إيرانية وصارت اللغة العربية اللغة الثانية لسكان البلاد ولم تعد تر إلا اللغة الفارسية وكتب لعن الصحابة!

الحادي عشر: لقد رفض الخوميني بعض الوساطات الإسلامية التي كانت مخدوعة به في تغيير اسم الخليج الفارسي إلى الخليج الإسلامي كحل وسط عن اعتراضه على تسميته بالخليج العربي!

الثاني عشر: اضطهاد الإيرانيين للشعوب التي تتشكل منها دولتهم كالبلوش والأذر والعرب الأكراد ووالأحواز وغيرهم! لا يوجد في طهران مسجد لأهل السنة لكن يوجد معابد للبوذيين وللزرادشت والسيخ وكنائس ومعابد لليهود والنصارى!!

الثالث عشر: انتشار المراكز الشيعية المدعومة إيرانيا في الغرب لدرجة أن أكثر من ٢٠ ألف مغربي تشيعوا بسب العطايا والامتيازات التي تقدمها إيران لهم! مع ضعف التربية العقدية بسبب تمييع العلماء لعقيدة أهل السنة في صدور العامة!

الرابع عشر: ما حل الإيرانيون بمذهبهم الدموي بلداً إلا أفسدوه وفرقوا وحدة أهله! العراق وباكستان وبعض المدن في أفغاستان ولبنان والبحرين والكويت والمنطقة الشرقية في السعودية! واليمن وتأثر الحوثيين الزيدية بالمذهب الإمامي وحزب الله في لبنان! والحبل على الجرار!

الخامس عشر: لقد تقرب الرئيس الإيراني أحمد نجاد بسب الصحابة في رسالته المتلفزة للشعب الإيراني في الإنتخابات الرئاسية الأخيرة، وكان ذلك في القناة الثالثة الإيرانية الساعة العاشرة والنصف من مساء يوم الثلاثاء ٢٠٠٩/٦/١٠م، وسب ولعن بالإسم الصحابيين الجليلين طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضي الله عنهما!!.

السادس عشر: أيها الشيخان الموقران! كيف نجتمع مع قوم يعتقدون فينا كما يقول كبيرهم نعمة الله الجزائري:" (إننا لا نجتمع معهم -أي مع أهل السنّة- على إلهٍ ولا على نبيٍ ولا على إمام، وذلك أنهم يقولون: إنّ ربهم هو الذي كان محمد نبيَّه، وخليفته من بعده أبو بكر.. ونحن نقول: إنّ الربّ الذي خلق خليفةَ نبيّه أبا بكرٍ ليس ربَّنا، ولا ذلك النبيُّ نبيَّنا)! (الأنوار النعمانية، ج٢ ص٢٨٧).

أما عن حزب الله في لبنان!

فلم يكن في يوم من الأيام موالياً لهذه الأمة ولا مهتماً بما يسمى الأمن القومي العربي! فهو حزب شيعي إيراني ناطق باللغة العربية! كما أنني أود أن أسرد على حضرتكما بعض المحطات التاريخية عن إيران وحزبها في لبنان! وهل كانت لهم مواقف مشرفة مع الأمة في صراعها مع أعدائها؟وهل كان لإيران وأنصارها نصيب في جهاد المحتلين؟

قبل أن أستعرض تلكم المحطات أتقدم بهذه الشهادة:

وشهد شاهد من أهلها:

قال الشيخ صبحي الطفيلي الأمين العام السابق لحزب الله في لبنان: "رغم كل ما حصل معي، كنت حريصاً على إبعاد وضعي الشخصي عن الوضع العام، كما لم أتناول ايران وشخصياتها القيادية رغم كل الاحداث الماضية والحالة الشخصية. كنت حريصاً على أن لا أدخل أي قضية عامة في إطار وضعي الشخصي. لكن بعد التحول الذي حصل في الموقف من المقاومة وتحول إيران إلى منسق للشؤون الأميركية في المنطقة رأيت أن أخرج عن صمتي." أهـ (الشرق الأوسط العدد ٩٠٦٧ بتاريخ ٢٠٠٣/٩/٢٥م).

ويقول الطفيلي أيضاً عن مقاومة حزب الله: "وما يؤلمني أن المقاومة التي عاهدني شبابها على الموت في سبيل تحرير الأراضي العربية المحتلة، تقف الآن حارس حدود للمستوطنات الإسرائيلية، ومن يحاول القيام بأي عمل ضد الإسرائيليين يلقون القبض

عليه ويسام أنواع التعذيب في السجون". أهـ (الشرق الأوسط بتاريخ ٢٠٠٣/٩/٢٥م).

أما عن محطات الجهاد الملتهبة في العام الإسلامي فعلى النحو التالي:

الساحة الأول: كشمير:

يواجه المسلمون هناك أقوى دولة وثنية على وجه الأرض (الهند) وهي دولة نووية فمنذ أكثر من نصف قرن والحرب طاحنة والمؤامرات على قدم وساق بتحالف صهيو صليبي وثني ولا يزال المسلمون يجاهدون لنيل استقلالهم! ولم نسمع لحزب نصر الله صوتاً ولو خافتاً يؤيد هؤلاء المسلمين الكشميريين ولو ببيان كاذب!!

الساحة الثانية: أفغانستان:

تلكم البلد المظلوم الذي شارك شباب الإسلام في العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه(شباب أهل السنة فقط) في الذود عنه وبللوا ثرى أرضه بدمائهم الذكية، ولا يزالون يقاومون الهجمة الصليبية الجديدة المستمرة هناك! فلم نر شماريخ حزب الله عندما كانوا أعضاء في منظمة أمل التابعة لنبيه بري الذي قتل الفلسطينيين من منظمة فتح وغيرها (لأنهم كانوا محسوبين على أهل السنة) وشارك في حصارهم في مجازر صابرا وشاتيلا الرهيبة التي أشرف عليها عدو الله شارون شخصياً!! فترى ما الذي منع هؤلاء الشماريخ من نصر المستضعفين من مسلمي أفغانستان وهم يجاهدون الملاحدة الروس! فلم نقرأ ولم نسمع ولم نعلم أن شيعياً ساقه قدره لنيل شرف نصرة المجاهدين في أفغانستان ولو برصاصة ! معاذ الله! ولو بكلمة! يوم أن كانت أفغانستان مفتّحة من كل باب!!

الساحة الثالثة: الشيشان:

فهل يستطيع أبناء هذا الحزب وطائفتهم أن يبرزوا لنا دليلاً واحدا على نصرتهم للمسلمين في الشيشان ولو بكلمة أي كلمة حتى ولو على سبيل التقية!! نحن معهم منتظرون!! لكننا نستطيع أن نقدم لهم عشرات الأدلة على تفاعل أهل السنة مع إخوانهم في الشيشان بكل ما استطاعوا من نصر بالنفس والمال والدعوة وها هم أولاء أبطالنا الذين

كانوا في القيادة: أسد الجزيرة في الشيشان خطاب، وصنوه الهزبر أبو الوليد ومعهم كوكبة من المجاهدين الأبطال كالحناوي وعقيدة وغيرهم من جند الإسلام الذين استشهدوا جميعاً على أرض الشيشان وبللوا ثراه بدمائهم الزكية وقتلوا جميعاً غرباء عن أوطانهم وذويهم!

الساحة الرابعة: العراق:

أين جنود حزب الله البواسل يوم أن داست على أرض الرافدين أقدام الشيطان الأكبر حسب وصف مرجعهم الذي يقلدونه!

أين هم من المقابر الجماعية في الأنبار والفلوجة والإسحاقي وبعقوبة وحديثة ؟!

لم نسمع كربلائية واحدة للتنديد بما يحدث من مجازر لأهل الإسلام في العراق على يد الشيطان الأكبر جداً!! أم أننا نسمع جعجعة ولا نرى طحناً!

والعجب العجاب أنه لم يقبض على كادر من أتباع حسن نصر الله متلبساً بالمقاومة في البصرة مثلاً ضد قوات الاحتلال هناك!!

الساحة الخامسة: فلسطين:

فلسطين التي يتاجر بها (الحزب الخامئني النميري)! على مرمى حجر منهم! فما الذي يمنع المقاومة الفلسطينية الكائنة في لبنان من ضرب (المغتصبات) في شمال فلسطين المحتلة! ومن الذي يقبض على أي مقاوم يحاول أن يتسلل للقيام بواجبه الشرعي لضرب هذه المغتصبات في شمال فلسطين المحتلة بغية التخفيف عن إخوانه في غزة والضفة!! أليس كوادر حزب الله؟!

ولمصلحة من يحتكر حسن نصر الله وحزبه المقاومة وتحريمها على أبنائها؟! ومن الذي أحدث خللاً في التركيبة السكانية في الجنوب اللبناني ولمصلحة من؟! ومن الذي أضعف أهل السنة في لبنان حتى صاروا فريسة على موائد اللئام لا حامي ولا بواكي لهم!

وفي حصار غزة الأخير من ديسمبر ٢٠٠٨م إلى يناير ٢٠٠٩م لماذا لم يطلق حزب الله صواريخه لفك الحصار أهل غزة!

الساحة السادسة: في البوسنة والهرسك:

كان المسلمون يذبحون على أيدي الصرب والكروات، والبضاع الإيرانية تغرق الأسواق الصربية، ولم يقبض على شيعي واحد كان يقاتل في البوسنة!!

أيها الشيخان المحترمان! عبود وطارق! إن في الجعبة الكثير عن مخازي إيران وحزبها اللبناني! وبعد ما استعرضته من أمثلة على تاريخ إيران الدموي في المنطقة هل لازلتما تصران على أن إيران لا تسعى لنشر مذهبها الشيعى بالمنطقة العربية، لأن ذلك يضر بمشروعها السياسى"؟!!

أقول: إن من أولويات المشروع السياسي الإيراني هو نشر مذهبها الشيعي ولا سيما في العالم السني!!

التعددية السياسية

(٩) قال الشيخان: إنه برغم مركزية دور العقيدة فى بناء الدولة وهياكلها ومؤسساتها، إلا أن ذلك لم يمنع من القبول بالتعددية الدينية والقومية والمذهبية."أهـ ( الشروق).

أقول: التعددية السياسية التي يطرحها الشيخان عبود وطارق تختلف عن تلكم التي في أدمغة الأحزاب السياسية العلمانية بجميع روافدها! فالتعددية السياسية تعني تداول السلطة والقبول بما تفرزه الانتخابات على غرار المنظومة الغربية والتسليم الكامل بأحقية أي حزب يحصد أصوات الشعب في الوصول للسلطة وتشكيل الحكومة!!

فهل هذه التعددية تتفق مع ما يطرحه الشيخان وهل سيقبله هؤلاء العلمانيون! هل سيقبل القوميون العرب ومن على شاكلتهم أن يعين خليفة المسلمين محتسباً لتتبع الزنادقة والمهرطقين والمستهزئين بعقيدة الإسلام وشعائره؟! وقد ذكر المؤرخون أن الخليفة المهدي العباسي عين محتسباً سنة ١٦٣هـ بغية تتبع الزنادقة ومحاكتهم! وسار على نفس الطريق أبناؤه وأحفاده الخلفاء؛ الهادي والرشيد والأمين والمأمون والمعتصم في تتبع الآراء المنحرفة ومحاكتها! فأين التعددية السياسية والحرية الفكرية حسب المنظور الغربي الحديث؟! فأين حرية الفكر والرأي والإبداع ؟!

نعم كانت هناك مدارس فقهية مختلفة مرجعها الوحيد هو الإسلام! ولم يعرف المسلمون القوانين الغربية حتى حقبة محمد علي باشا الذي غير وبدل وزرع اللبنات الأولى للعلمانية المعاصرة في العالم العربي!

فخطاب الشيخين آل الزمر يمكن تفهمه! في ظل دولة إسلامية تحكم بالشريعة! ولديها بعض المخالفات والمظالم ويمكن التصحيح والنقد الذاتي في هذه الحالة! أما مع أنظمة مناقضة في مصادر تلقيها مع الإسلام كمنظومة كاملة فلا يجتمعان أبداً حتى يستغرق أحدهما في الآخر.!

## صفوة القول

لقد بذل الشيخان عبود وطارق جهداً مشكوراً في صياغة هذا البديل الثالث لتقديمه كورقة عمل للحركات الإسلامية الجهادية بصفة خاصة! وكمشروع إسلامي بصفة عامة! ولقد استفادا من سلبيات التراجعات السابقة في عدم شخصنة طرحيهما!

والحقيقة فإن هذا البديل الثالث يصلح أن يقدم لدولة تحكم بالشريعة الإسلامية بغية إصلاح بعض المفاسد الحياتية لابتعاد الناس عن الأنموذج الأمثل المتمثل في صدر الخلافة! نعم تصلح هذه الوثيقة مع بعض التعديل البسيط إلى تقديمها لدولة المماليك البرجية التي حكمت مصروالشام من ١٣٨٢م ١٥١٧م وكانوا من أصل جركسي حيث يصفها المؤرخون بأنهم أسوأ من حكم مصروالشام! رغم أنهم كانوا لا يتحاكمون إلا للشريعة الإسلامية ولا يعرفون غيرها كمصدر تلقي! أما أن تقدم مثل هذه الوثيقة لأنظمة مصدر تلقيها قوانين محاربة للشريعة! فهذا حرث في غير محله!

ولقد قمنا بالتطواف حول هذه الوثيقة عدة أشواط! فلم نعثر على هذا (المخلص)! البديل الثالث! ووصلنا إلى نتيجة مفادها أن الشيخين عبود وطارق الزمر! يطرحان صورة مستنسخة من البديل الثاني (الاستسلام) وأطلقا عليها (البديل الثالث)! وفي الحقيقة إنها نسخة معدلة من البديل الثاني.

مركز المقريزي للدراسات التاريخية بلندن

تاريخ ١٢ شوال ١٤٣٠ هـ ١ أكتوبر ٢٠٠٩

# تعليـق علـى كتاب «أيمن الظواهـري كما عرفته»

## د. هاني السباعي

لقد أثار كتاب «أيمن الظواهري كما عرفته» للأستاذ منتصر الزيات المحامي منذ أول حلقة منذ الحلقة الأولى ضجة كبرى في الشارع الثقافي وهذا مؤشر حسن على تفاعل العالم الثقافي مع أطروحة الكتاب سلباً وإيجاباً.

ولما كنت قرأت الكتاب وتابعت حلقاته بل قدمت للكتاب تقدمة شرفت بكتابتها.. ولما انتهت حلقات نشر الكتاب لم أشا إلا أن أقدم تعليقاً حتى تستقيم الفكرة ويستفيد القارئ من تبادل وجهات النظر.. وألخص تعليقي على الكتاب في النقاط التالية:

أولاً: الكتاب خليط من السيرة الذاتية والتأريخ للحركة الإسلامية بطريقة غير مقصودة وقراءة منهجية في فكر الدكتور أيمن الظواهري مع نقد ذاتي للتغيرات الجزئية التي طرأت علي أولويات الدكتور في مرحلة تحالفه مع الجبهة العالمية وما بعدها.. فالكتاب أنموذج لطريقة أدب الخلاف في الحركة الإسلامية المعاصرة وإن تخلل فصول الكتاب قسوة لفظية غير متعمدة وإن كنا لا نحبذها.

ثانياً: لقد استهل أخي الأستاذ منتصر الزيات كتابه بما يناسب طبيعة عمله كمحام إذ بدأ بالجلسة الأولى لمحكمة أمن الدولة العليا التي عقدت في أرض المعارض بمدينة نصر يوم ١٩٨٢/١٢/٤ حيث تحدث الدكتور أيمن أمام هيئة المحكمة عن محنة الشاب القابع في الزنزانة رقم ٣ في سجن القلعة الشهير وكان ذلك الشاب منتصر الزيات الحبيس زنزانة انفرادية في ذلك الباستيل المصري في تلكم الفترة.

اختار الزيات هذه الحادثة ليلتقط خيط التعارف بينه وبين الدكتور أيمن ليعلم القارئ أن المعرفة قديمة وأن الدفاع كان مجرداً خالصاً لله وحده.. وأن المناسبة كانت المحنة.. يذكرنا الزيات بأنه لم ينس هذا الدفاع النبيل من ذلك الرجل الكريم الظواهري ومن ثم

توطدت العلاقة الأخوية. وكأن الزيات يمهد لحديثه على طريقة أهل المحاماة فيما يسمى بتهيئة الدليل.. فالزيات يعلم أنه سيقسو أحياناً في زوايا الكتاب بل سيخصص فصلاً قاسياً عن موضوع المبادرة.. لذلك أزعم أن أخي الزيات كان موفقاً في هذا الإستهلال وفي حديثه عن نشأة الدكتور وبيئته ووسطه الاجتماعي وأكاد أزعم أن الفصل الأول وأصل التربية وإبراز بعض المواقف الطيبة والهامة في حياة الظواهري وخاصة من أرشيف التحقيقات هو من قبيل تقديم الشفاعة وخاصة لأبناء الحركة الإسلامية حتى لا يظن ظان أن الزيات يصفي حساباً مع الدكتور أيمن برده على ما ذكره الدكتور أيمن في كتابه (فرسان تحت راية النبي) من غمزه ولمزه في حقه أو أنه يستغل الأحداث الجارية في العالم.. قدم الزيات هذه التقدمة وتكلم عن نشأة الدكتور أيمن وحسن دماثة خلقه ومرجعيته الشرعية والعلمية ونبوغه الدراسي والمهني.. ليكون شفيعاً له عندما يصل القارئ إلى بعض عبارات القسوة والنقد اللاذع أحياناً وليعلم القارئ أي قارئ أنه وإن نقد الزيات الدكتور أيمن في جوانب من فكره أو أغلظ له القول في بعض الأحايين.. فإنه لا يقصد الحط من قدر الظواهري ولا التقليل من دوره التاريخي كعلامة بارزة في تاريخ الحركة الإسلامية.. وفي نفس السياق يوضح الزيات للقارئ أنه لا قداسة لأحد من البشر بعد الرسل.. وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا الأنبياء عليهم السلام.

ثالثاً: تكلم أخي الأستاذ منتصر ودندن حول قضية اعتراف الدكتور على مكان الأخ الشهيد عصام القمري كثيراً عقب اغتيال السادات واستدل بما قال بنتف من تحقيقات قضية تنظيم الجهاد بما يوحي أن الدكتور أيمن أصيب بعقدة الذنب وتأنيب الضمير فقرر السفر مع أول فرصة أتيحت له بعد خروجه من السجن مباشرة!!

وهذا استدلال لا أوافق للأسباب الآتية:

أ) أنه لا يجوز الإستشهاد بأقوال المتهم في تحقيقات مباحث أمن الدولة ولا حتى نيابة أمن الدولة لا شرعاً ولا قانوناً فهي اعترافات مهدرة لأنها وليدة إكراه وكانت نتيجة مرحلة معينة والأستاذ منتصر ذاته أحاط هذا الموضوع بسياج وتحفظ أشبه بالدفاع عن

الدكتور أيمن بقوله أنه قد عذب وأنه معذور شرعاً لكنه خلص بنتيجة لا تتفق مع تحفظه وعذره للظواهري أي أن الظواهري أصيب بعقدة نفسية فقرر السفر إلى الخارج!!

ب) هناك عشرات ومئات الإعترفات ـ الأستاذ منتصر مطلع عليها ـ انتزعت من قادة الحركات الإسلامية على اختلاف مشاربهم نتيجة الإكراه والتعذيب الرهيب لدرجة أننا كنا نتندر أحياناً بضرب أمثلة عن الإخوة الذين يشهد لهم التاريخ المعاصر أنهم لم يعترفوا رغم ما لا قوه من أهوال التعذيب وهم معدودون على الأصابع مثل: نبيل نعيم ومحمد عبد الرحيم الشرقاوي وقلة أخرى.. فلو أنزلنا ما ذكره أخي الأستاذ منتصر على كل من اعترف نتيجة التعذيب لكانت النتيجة سلبية جداً إذ سنتهم معظم هؤلاء الأخوة الأفاضل وكل من هاجر منهم إلى أفغانستان ولبى نداء الجهاد في سبيل الله بأنهم مصأبون بعقد نفسية!! وهذا محال طبعاً نظراً لشرف القضية وشرف الباعث!!

ج) هناك أخوة كانوا شهوداً وعاصروا هذه القضية بل كانوا طرفاً فيها كالأخ الفاضل الضابط عبد العزيز الجمل كان طرفاً فيها وفي موضوع الشنطة وطريقة القبض عليهم، وكان مع إخوانه الضباط في السجن الحربي وصديقاً حميماً أيضاً للشهيد عصام القمري ورغم ذلك لم تؤثر فيه هذه الحادثة وتعامل مع الظواهري وكان الدكتور مسئولاً عنه وتحت إمرته أيام أفغانستان ولم يثر هذه القضية بل كان يجل الدكتور أيمن رغم أنه من المفروض أنه أضير أيضاً في كشف تنظيم الضباط لو أخذ هذه الإعترافات مأخذ الجد لكان في استطاعته أن يهاجم الدكتور ولا يرضى أن يمثله خاصة في تشكيل الجماعة من جديد في أفغانستان في ١٩٨٧. كما أن هناك بعض الإخوة كانوا مقربين للشهيد عصام القمري كنبيل نعيم وأحمد سلامة مبروك وغيرهم رضوا بإمارة الدكتور أيمن رغم علمهم بهذه الإعترافات.. إذن دعوى أن الدكتور أصيب بعقدة نتيجة الإعتراف بمكان الشهيد عصام القمري وآخرين دعوى لا يصح الإستدلال بها على موضوع العقدة المزعومة!!

رابعاً: اختار أخي الأستاذ منتصر الزيات محطة هامة في تاريخ الحركةالإسلامية الجهادية المعاصر وهي هزيمة حزيران ١٩٦٧ اختارها ليجعلها منطلقاً للحركات الإسلامية

الجهادية بصفة خاصة ولتكون دافعاً ومنطلقاً أيضاً لمنطلق الظواهري الفكري، ليختار طريقه الذي رسمه لنفسه في الشروع في تكوين أول خلية تنظيمة لجماعة الجهاد عام ١٩٦٦ وعقب الحكم بقتل الشهيد سيد قطب مباشرة.. ورغم وضوح هذه الفكرة التي يتفق عليها العقلاء.. إلا أنه من المضحكات المبكيات في مصر أن كاتباً مشبوهاً طفح بقلمه المسموم عبر صحيفة عريقة تحت الوصاية الحكومية.. تعلق هذا الكاتب بقميص عبد الناصر!! وراح يكيل السباب والشتائم للأستاذ الزيات لأنه تكلم عن معبوده من دون الله الزعيم الملهم جمال عبد الناصر!! والذي أثار حفيظة هذا الكاتب الملاكي أن الزيات وصف الزعيم بالصنم!! قرأت مقالته المسمومة طولاً وعرضاً حتى أجد رداً موضوعياً لم أجد إلا الجهل بالأمور والتعلق بسفاسف الأمور والدفاع عن الزعيم الخالد الذي دمر أمة من المحيط إلى الخليج!! وأفرز نبتاً شيطانياً لا يمت لأمته بصلة؛ يتعلقون بشعارات عفا عليها الزمن كالناصرية وأخواتها!! وهذا الكاتب الملاكي الذي صار على حين غفلة من الزمن من علية القوم ساهم ومن على شاكلته في مسخ هوية الأمة!! والعجب العجاب أنهم يرفعون ذكر المنهزمين دائماً وويسبحون بحمدهم!! ويصفقون لجلاديهم على طول الخط!! ولله في خلقه شؤؤون!!

لقد تأثر الظواهري في مقتبل الشباب ورغم حداثة سنه بهذه الهزيمة النكراء التي حلت بالأمة على يد الزعيم الملهم عبد الناصر!! أثرت فيه هذه الهزيمة وعلم أن العار الذي لحق بهذه الأمة هو من تفريطها في حق دينها، ومن جراء تسلط هذه الأصنام التي تعبد من دون الله!! انطلق من باب الفطرة الطاهرة ينهل من معين هذا الدين القويم.. انطلق وقد علم معالم الطريق من سيد قطب رحمه الله..

لم يكن الظواهري منطلقاً من الإحباط واليأس.. ليس هذا صحيحاً كما يظن بعض البكائين على قميص عبد الناصر!! وهذا ما لم يتسطع فهمه الكاتب الملاكي! كيف فتى في مثل هذا السن أن تؤثر فيه هذه الحوادث الجسام؟! لم يعرف هذا الكاتب أن الكبار يولدون كباراً.. ولو تابع كتاب أخي الزيات لنهاية الحلقات؛ لخرج على الأقل بنتيجة قد

تنفعه في حياته المهنية!! لكنه اكتفى بالحلقة الأولى التي نشرتها الحياة.. وطفق يحلل ما لم يقله الزيات وأثبت الرجل جهلاً مركباً!! فالزيات ذكر عن تنشئة الظواهري منذ نعومة أظفاره وحاله يختلف عن بقية الأطفال والأقران طفل محب للقراءة، متابع لأعمال الكبار، يعيش بين الكتب ولا يبرح مكتبة أجداده العظام.. لا غرو إذن أن يتأثر هذا الشاب بهزيمة حزيران ١٩٦٧ ويحمل هم هذه الأمة لأن هذا ناموس الكبار وإلا لما وصل الظواهري إلى هذه المنزلة الرفيعة.. أما هذا المتاجر بقميص ناصر فقد قبب الحباب وعمل من الحبة قبة وابتسر جملة من سياقها السليم وشرع يبني عليها تحليلات من باب ( فويل للمصلين)!!

رابعاً: موضوع المبادرة:

أعتقد أن هذا الموضوع هو أس الخلاف بين الدكتور أيمن والأستاذ منتصر.. وليست هذه المرة الأولى التي انتقد فيها الدكتور أيمن الأستاذ الزيات ففي نشرة كلمة حق التي كان يصدرها المكتب الإعلامي لجماعة الجهاد انتقدوه واعتبروه وراء هذه المبادرة بل وعرابها.. لكن الدكتور أيمن لم يتجاوز أكثر من النقد والتلميح.. وكان لا يرى القسوة على الأستاذ منتصر نظراً لظروفه وكان يقدرها.. رغم إلحاح بعض الإخوة من جنسيات أخرى أن يهاجم الدكتور أيمن الزيات ويخرج بيان ليزجره.. لكن الرجل رفض حسب شهادة المقربين..

وأعتقد أن هذا ما يتفق مع طبيعة وتكوين الدكتور أيمن النفسية والخلقية وأنه لا يتصادم مع أحد بل إنه من أشد الناس حياء رغم علو كعبه في اللغة والبيان والشعر والأدب إلا أنه لا يرفع عينيه لمتحدثه ولا يتكلم إلا بأحسن الألفاظ ويحترم الصغير والكبير وهذا متواترعنه ولا حاجة للإستدلال عليه.. من أجل ذلك أصابتني دهشة وأنا أقرأ كلامه في كتابه (فرسان تحت راسة النبي صلى اله عليه وسلم) وعبارات الغمز واللمز للأخ منتصر الزيات.. دهشت لهذا الأمرالغريب على سلوك الدكتور حتى مع خصومه.. لا يحب تجريحهم ولا التشهير بهم.. وهناك حوادث بل وطامات كادت أن تعصف بالجماعة ورغم ذلك لم يصدر بياناً بفصل هؤلاء الذين انشقوا عن الجماعة كالأخ الصيدلاني أحمد

حسين عجيزة عندما أعلن انشقاقه عن الجماعة وحدثت فتنة كبيرة من جراء ذلك سنة ١٩٩٣ وطلب المجلس التأسيسي للجماعة من الدكنور أن يكتب بياناً يعلن فيه فصل الأخ أحمد حسين قبل أن يعلن أحمد حسن انشقاقه علانية ويكون سيئاً في حق الجماعة لكن الظواهري رفض وقال لا نعين عليه الشيطان ولا نكون البادئين.. وهناك عدد من الإخوة أضروا بمركز الجماعة جداً وأعلنوا تمردهم ورغم ذلك لم يخرج بياناً بانفصالهم!! أما ما ذكره في حق الأخ منتصر الزيات في كتابه فرسان تحت راية النبي .. فهذا الأمر دخيل على سلوك الدكتور وأعتقد أن الطبيعة الجبلية في أفغانستان والصحراء القاحلة والغربة الموحشة والأرض المقفرة، وحياة الحرب الضروس.. وغياب أهل المشورة من حوله.. كان له أثر كبير في هذا التغيير.. لقد كان يحيط بالدكتور خمسة وعشرون مستشاراً.. وتمرالأيام ويتقلص هذا العدد بعد تفرق أفراد الجماعة في الأرض إما بالسجن أو القتل أو المطاردة أو الإنشقاق.. إلى خمس إخوة تقريباً يقلون ولا يزيدون.. لقد فقد الدكتور أحب الناس وأقربهم إليه شقيقه المهندس الصوام القوم محمد الظواهري الذي خطف من إحدي الدول العربية وسلم إلى مصر.. و فقد أحمد سلامة مبروك الذي خطف من أذربيجان.. وفقد أخوة أفاضل كانوا عوناً له وكانوا نعم أهل الرأي وأهل المشورة.. وهذا ما يفسر لنا تغير خطاب الدكتور في كتابه الأخير وهو يناقش قضية مبادرة وقف العمل المسلح..

وهذا أيضاً سر قسوة بعض عبارات أخي منتصر الزيات على الدكتور أيمن في بعض فصول الكتاب.. من حق الزيات أن يدافع عن نفسه لأن غمز ولمز الدكتور ووصفه للزيات بحصوله على تسهيلات لا يحصل عليها الوزراء في زيارة السجون.. ليس اتهاماً هيناً.. فلا أحد يلومه في دفاعه عن نفسه وعن موقفه.. فهو في نهاية الأمر ابن الحركةالإسلامية وواضع لبنة أساسية فيها وليس متطفلاً عليها.. وروح الإسلام لا تمنع النقد الذاتي البناء..

أما عن تحريض الدكتور للأخ الفاضل رفاعي طه أمير الجماعة الإسلامية السابق.. فليس في محله لأن الأخ رفاعي رجل كبير ومن قادة الحركة الإسلامية وليس قاصراً أن يحرضه الدكتور الظواهري لإفشال مشروع المبادرة.. فالأخ رفاعي طه كان على خلاف

مع جماعته بعد حادثة الأقصر وتم إقصائه من قيادة الجماعة وأعلن رأيه صراحة عبر وسائل الإعلام وألف كتاب إماطة اللثام للرد على بعض آراء جماعته بخصوص السياحة والأمان وأحكام خاصة بالكفر والإيمان بل إنه اختلف مع الجماعة الإسلامية في حكم الدار (مصر) وتبنى آراء مغايرة للجماعةالإسلامية لا دخل للدكتور أيمن فيها.. فالأخ رفاعي طه باحث وفاهم ما يكتبه وعلى دراية تامة بما يصدر عنه من قول أو فعل..

خامساً: أما عن الحلقة قبل الأخيرة المتعلقة بقضية قتل الصبي الذي جندته المخابرات المصرية: أعتقد أن الإستنتاج لم يكن سليماً إذ أن هذا الصبي كان بالغاً وتم الكشف عليه قضائياً طبقاً للشريعة الإسلامية وتم تعيين قاضي مختص للنظر في قضية هذا الفتى، وتبين أن الجماعة حققت معه على عدة مستويات وأعطته الفرصة لكي يتوب وتركته رغم أنه قبض عليه متلبساً لكنه أصر على المضي في مخططه وحاول تجنيد بعض الفتية وتم القبض عليه متلبساً مرة أخرى قبيل تنفيذ جريمته بيوم واحد تقريباً، وهذه القضية يعلمها معظم المتابعين للحركات الإسلامية حيث أصدرت جماعة الجهاد مذكرة تفصيلية بما حدث ونشرت حيثيات الحكم فيها، واطلعت شخصياً على هذه الحيثيات مع شريط فيديو يحتوي علاعترافات المتهم وفتى آخر معه هو الذي جنده في أول الأمر.. ويعلم تفاصيل هذه القضية عدد غفير من أبناء الحركات الإسلامية من جميع الجنسيات العربية والإسلامية.. نخلص من هذا أن الدكتور أيمن لم يكن له دخل في هذه القضية ـ حسب المستندات وشهادة الشهود التي أعلنوها في حينها ـ ولم يأمر بقتل الصبي بل هو شخصياً فوض أمر هذا الفتى البالغ إلى الهيئة القضائية.. مع العلم أن هذه القضية استمرت عدة أشهر.. وهذا يعني أن القضية كانت كبيرة وليس هذا مقام الحديث عنها تفصيلياً.

سادساً: تحالف الظواهري مع ابن لادن:

هذه أهم مرحلة تاريخية وهي من المراحل التي يجب أن نتوقف عندها لأنها تفصل بين مرحلتين في فكر الدكتور أيمن؛ مرحلة ما قبل التوقيع على بيان الجبهة العالمية والدخول في حلف مع الشيخ أسامة بن لادن وما بعد هذا التوقيع.. وأوافق الأستاذ منتصر

على أن هذا التحالف قد أضر بمركز جماعة الجهاد كتنظيم وتسبب في خسائر جسيمة لم يكن لجماعة الجهاد ناقة ولا جمل ولا مشورة في هذا التحالف.. فإذا كانت الخسائر ناجمة عن رضا الجماعة وافراغ وسع أفرادها قدر الإستطاعة الشرعية وبمشورة أهل الحل والعقد فيها لا ختلف الأمر كثيراً.. لكن الموضوع تم بغير إرادتهم أوكما قال الشاعر:

ويقضى الأمر حين تغيب تيم **ولا يستأمرون وهم شهود

أخيراً:

مما لا شك فيه أن الكتاب ثري بموضوعه وسيثير ضجة في أوساط المثقفين على اختلاف ألوان الطيف السياسي بين مؤيد ومعارض ومنصف، بين متحامل على المؤلف وصاحب السيرة وبين مدافع عن أحدهما أو كليهما.. وبين هذا وذاك يلتقط المنصف ما ينفعه من الكتاب ليعينه على تصحيح المسير..

## صفوة القول

يعتبر هذا الكتاب باكورة هامة لمشروع كتابة تاريخ الحركة الإسلامية.. كما أنني من المؤيدين لفكرة أخي الأستاذ منتصر الزيات التي بثها بين ثنايا سطور الكتاب حول الدعوة إلى مراجعة الحركات الإسلامية لأدبياتها وتقويم مسيرتها تقويماً حقيقياً ووقفة مع النفس لحصاد السنين في عمر الحركة.. بعيداً عن إعمال المشاعر والعواطف التي قد تكون عائقاً أمام تقبل نقد الذات والإعتراف بالأخطاء ومحاولة تصحيحها وتجنبها مع معالجة الآفات التي تعترض انطلاقة الحركة الإسلامية لتكون في طليعة الأمة الإسلامية ونهضتها..

# تقديم لكتاب
# الأجوبة الشرعية على الأسئلة الشامية

للشيخ المجاهد رضوان محمود نموس

الشهير بأبي فراس السوري

جمع وترتيب الشيخ أبي حمزة الدرعاوي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد:

من فضل الله تعالى على بعض أهل العلم أن يرزقهم بأصحاب وتلاميذ يحفظون علومهم، وما كانوا يقولونه، ويسطرونه في حياتهم. وكما جاء في الحديث الصحيح (إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له). فأكرم به من علم ينفع الله به الناس قبل وبعد الممات.

فأحسب أن الشيخ الشهيد ـ نحسبه كذلك ولا نزكيه على ربه ـ المجاهد بحق؛ أبا فراس السوري؛ قد ترك علماً ينتفع الناس به خاصة الشبيبة في الساحات الجهادية وغيرها.

فالشيخ أبو فراس تقبله الله في الفردوس الأعلى، نجم في سماء الجهاد في الشام وسائر بلاد المسلمين.

لم يكن الشيخ أبو فراس السوري مجاهداً وقائداً مبرزاً في ساحات الجهاد على مدار أكثر من أربعين سنة فقط؛ بل كان على علم وبصيرة بفقه النوازل، وما يحتاجه الشبيبة وأنصار ذروة الإسلام وغيرهم من أبناء الأمة من ضبط بوصلتهم الشرعية؛ فأفاد وأجاد رحمه الله تعالى في أجوبته وتشخيصه لأمراض الأمة والساحة الجهادية الشامية وغيرها.

أذكر عندما أطلت فتنة الغلاة برأسها في الشام منذ عدة سنوات؛ اتصل بي عبر «سكايب» الشيخ الشهيد ـ نحسبه كذلك ولا نزكيه على ربه ـ المجاهد بحق أحمد سلامة الشهير بأبي الفرج المصري؛ فأخبرني بالتفصيل عن شهادته في الخلاف الدائر بين تنظيم الدولة والنصرة، وتحدث عن مقابلته للأنباري وبعض قادة تنظيم الدولة في الشام. ثم قال لي معي حبيب قديم؛ يريد أن يسلم عليك ويخبرك عن شهادته أيضاً فاستطارني الفرح؛ لما علمت أنه الشيخ أبو فراس السوري رحمه الله وكان معهم أيضاً في تلك المكالمة قائدان قديمان من الجيل القديم (لا يزالان على قيد الحياة حفظهما الله بحفظه الجميل)، فأخبروني جميعاً بانحراف تنظيم الدولة، وكان لهذه الشهادة أثر كبير في اتخاذي موقفاً صارماً ضد تنظيم الدولة، ثم بعد شهور أصدر تنظيم الدولة بيانهم «ما كان هذا منهجنا وما ينبغي أن يكون» وغيره من بيانات تؤكد صدق شهادة الشيخين أبي فراس وأبي الفرج تقبلهما الله وتعالى.

عود على بدء:

الحديث ذو شجون! لا سيما عن خير الأصحاب الذين فقدناهم:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ** وبقيت في جلد كجلد الأجرب

فبرى عظامي بعد لحمي فقدهم ** والدهر إن عاتبت ليس بمعتب

ماذا عساي أن أقول في رجل من علية أهل الجهاد؛ شارك في شبابه وهو ضابط عام ١٩٧٩ مع النقيب المجاهد «إبراهيم اليوسف» وإخوانه تقبلهم الله ـ في عملية ضباط مدرسة المدفعية ضد الطلبة النصيرية بحي الراموسة بحلب.

ثم نفر إلى الجهاد عام ١٩٨١ حيث كان من أوائل المجاهدين العرب في أفغانستان. وهناك في بلاد الهندوكوش، وتورا بورا، ونهر كونر، وجلال أباد، وخوست، وبكتيكا وقندهار وكابل وغيرها؛ حيث مقبرة الغزاة أفغانستان؛ تعرف على الشيخ الشهيد ـ نسحيه كذلك ـ القائد المجاهد الدكتور عبد الله عزام. والشهيد الآخر ـ نحسبه

كذلك ولا نزكيه على خالقه ـ الشيخ القائد المجاهد أسامة بن لادن، والشيخ القائد المجاهد الدكتور أيمن الظواهري، وكوكبة من خيار قادة المجاهدين العرب والأفغان. فقام الشيخ أبو فراس حينئذ يتدريب الشباب الوافدين؛ زرافات ووحداناً إلى أفغانستان لجهاد الشيوعيين السوفييت وقتئذ.

فكان الشيخ أبو فراس ـ رحمه الله ـ من خيار المدربين؛ خبرة وأدباً وحسماً وعزماً؛ حيث قد ترك بصمة طيبة لدى المجاهدين الذين قام بتدريبهم.

وبعد الغزو الأمريكي لأفغانستان عام ٢٠٠١ غادرها وذهب إلى اليمن وظل هناك إلى أن نفر إلى الشام عام ٢٠١٣، وكان من أكبر القادة المجاهدين سناً وخبرة، ورضي أن يعمل تحت إمرة من هم في عمر أولاده. فأسدى النصيحة لإخوانه وأبنائه المجاهدين على اختلاف مشاربهم، وكان رحمه الله من أوائل من سبر غور فتنة الغلاة والتحذير من شرورهم، وفي نفس الوقت وقف بحزم ضد أنصار التميع العقدي والمنهجي! لذلك قامت قيامة الفريقين ضده!!. واتهمه فريق التآكل العقدي بالتشدد! وكان رحمه الله من أشد المحذرين من خطورة فك ارتباط النصرة بتنظيم القاعدة، ثم استبان بعد ذلك أنه كان على صواب في تصديه لفريق التميع العقدي وأنصار نظرية: بين .. بين!!.

وكأن لسان حساله يردد قول الشاعر:

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى ** فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

على أية حال لا نريد أن ننكأ الجراح في مثل هذا المقام.

وما كان قيس هلكه هلك واحد ** ولكنه بينان قوم تهدما

للأسف الشديد! لم ينل الشيخ المجاهد أبو فراس السوري؛ مكانته اللائقة بتاريخه وجهاده الطويل، لكن أحسب أن الله تعالى قد اصطفاه بالشهادة في الأرض المباركة وفي رباط وجهاد: (ويتخذ منكم شهداء) آل عمران ١٤٠. فأراحه من نصب وكد ونكد الدنيا، وأذاها، رحمه الله رحمة واسعة وأسكنه الفردوس الأعلى.

ولا يسعني في الختام إلا أن أشكر الشيخ حمزة الدرعاوي؛ جامع الأسئلة والأجوبة الشامية، فشكر الله سعيه في نشر العلم النافع، وجزاه رب العالمين الخير العميم في الدنيا والآخرة على جهده المشكور في إخراج هذا الكتاب.

أسأل الله العظيم أن ينفع به، وأن يكون في ميزان حسناته يوم القيامة. لقد الشيخ أبو فراس السوري ـ تقبله الله ـ نجماً في سماء الجهاد في الشام وسائر بلاد المسلمين.

تقبل الله تعالى الشيخ أبا فراس شهيداً، ونصر الله الإسلام وأهله في الشام وفي كل مكان.

١٤ جمادى الأولى ١٤٤١هـ ـ الموافق ٩ يناير ٢٠٢٠

# ثمن المواطن المصري لا يساوي ناقة!!

تنبيه: هذا مقال قديم بعنوان (ثمن المواطن المصري لا يساوي ناقة!!) للدكتور هاني السباعي كتبه عقب حريق قطار الصعيد عام ٢٠٠٢ حيث احترق فيها أكثر من ٣٥٠ مسافرا. المقال نشرته حينئذ جريدة الشعب والقدس العربي وبعض المنتديات الإسلامية وموقع المقريزي.. نعيد نشره بسبب تكرار حوادث قطارات السكة الحديدة بمصر.

## نص المقال

## ثمن المواطن المصري لا يساوي ناقة!!

## د. هاني السباعي

إن هذه الرزايا والحادثات السود المتكررة لقطارات الموت في مصر.. هذا الحريق الذي شب في عربات القطار!. وهذه الجثث المتفحمة وأشلاء القتلى المتعلقة بالأسياخ الحديدية!.. هذا النكد والحزن الأسود الذي شمل حياة أهل مصر خاصة أسر الضحايا.

هذه الغطرسة السلطوية واللامبالاة بمشاعر وأحزان المنكوبين من قبل المسؤولين ووسائل إعلامهم؛ تذكرني بنهر الجنون تلكم القصة الرمزية التي كتبها توفيق الحكيم قديماً؛ إذ كان الملك والوزير يظنان أن الشعب مجنون!؛ لأنهم شربوا من نهر الجنون المحظور!، وفي الوقت نفسه كان الشعب في واد معاكس؛ يعتقدون أن الملك ووزيره مجنونان!!.

فحال الشعوب اليوم؛ كأصحاب نهر الجنون؛ الحاكم وحاشيته في واد!، والشعب في واد آخر!.

الحاكم يحمي نفسه بغابة من القوانين الاستثنائية تنزله في في مقام من لا يسأل عما يفعل!! والعياذ بالله!!.

الحاكم لا يعيش مع الشعب أفراحه وأحزانه، وما أكثر هذه الأحزان!.

الحاكم لا يعيش إلا لمصلحته وما تبقى منه من فتات فلحاشيته وزبانيته.. أما الشعب فلا يصل له من هذا الفتات إلا الدمار وكوارث القطارات، وتهدم الجسور، وانهيار العمارات والمرافق الخربة، والأمراض الفتاكة، ومن ينجو من هذا وذاك فمصيره في غياهب السجون أو حياة العبيد!!

هذه المرافق المتهالكة والمتآكلة التي من المفروض أن تكون في مصانع الخردة منذ عشرين سنة على الأقل!، الوسيلة الوحيدة لملايين الفقراء الذين سلبت منهم حقوقهم، ولم يبق لهم إلا رحلة العذاب اليومي مع قطار يحمل المنايا بين جنباته وعجلاته!!.

لم يبق لهؤلاء الفقراء المساكين إلا الصراع الحياتي للحصول على قوت عيشهم!. والحكومة السنية! في مصر المحروسة لا تستحي وتصنع ما تشاء.. ولا حياة لمن تنادي!.

وبعد هذه التقدمة السريعة:

أود أن أضرب مثالاً على قضية بسيطة لكن دلالتها عظيمة وهي القوانين التي من المفروض أنها سنت لحماية المجتمع من العابثين والمجرمين والمستهترين بأرواح الأبرياء.

هذه القوانين التي من المفترض أن تكون زاجرة رداعة، وفي نفس الوقت منصفة جابرة لخاطر الضعيف والمضرور!.

لكن هذه القوانين نفسها؛ ساعدت في حماية المسؤولين ومنحتهم حصانة تعفيهم من المساءلة الجنائية!! ومن ثم الإفلات من العقاب!! هذه القوانين تميز بين طبقات الشعب الواحد!؛ فالقوي يزداد طغيانا، والضعيف تدوسه رحى هذه القوانين!!. فمثلاً أجازالقانون المصري في قضايا التعويض لمن أصابه ضرر سواء المجني عليه، أو أهل القتيل الذي يصطلح عليه قانوناً (المدعي بالحق المدني)؛ أن يلجأ للقضاء ويطالب بتعويض لجبر هذا الضرر. لكن هل أنصف القانون المضرور؟! وهل طبق القانون مبدأ المساواة وجبر الضرر بين أفراد الشعب؟! بالطبع لا.

فالمحاكم حين تقررهذا التعويض تراعي مركز الشخص الاجتماعي وماله وما أصابه من ضرر وما فاته من نفع؛ فلو أن موظفاً كبيراً وعاملاً في شركة ما أصيبا في حادث واحد

وبإصابات متماثلة؛ فطالبا بتعويض لكان التعويض الذي يحكم للموظف الكبير كبيراً، ولكان التعويض الذي يحكم به للعامل ضئيلاً!؛ فالقانون يحمي الأغنياء وذوي المراكز الكبيرة حتى وهم أموات أما الفقير فمكانه دائماً في القاع!!

فأي قانون هذا الذي يميز بين أصحاب الوجاهة، والمناصب الرفيعة وبين غيرهم من أبناء الشعب؟!!

أين هذا القانون المتحيز من القانون الجنائي الإسلامي الذي لا ينظر إلى هذه الحيثيات، ولا إلى هذه المراكزالاجتماعية فالناس تتكافأ دماؤهم، والكل سواء أمام القانون؛ لا فرق بين تابع ومتبوع، ولا بين غني وفقير، ولا بين وزير وغفير، ولا بين رئيس الدولة وأي فرد في المجتمع، الكل يسأل جنائياً والكل يجبر في حالة الضرر بنفس المقياس الشرعي.

فالتعويض في الفقه الجنائي الإسلامي: هو المال الذي يحكم به على من أوقع ضرراً على غيره؛ في نفس، أو مال، أو شرف. فتعويض النفس هو الدية تعطى لورثة المقتول عوضاً عن دمه أو عن حقهم فيه؛ وهي جبر لخاطر هؤلاء الذين فقدوا عزيزاً لهم..

والأصل في هذه المسؤولية ومستند مشروعيتها قوله تعالى:(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِناً خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلا أَنْ يَصَّدَّقُوا ) النساء/٩٢ . تأمل قيمة الإنسان لجبر الضرر في قتل الخطأ، وهو تحرير الإنسان من رق العبودية تقرباً إلى الله مع دية تعطى لأهل القتيل.

فالقانون الجنائي الإسلامي يحمي حرمة الإنسان حياً وميتاً؛ ففي القتل الخطأ يحكم بالدية كاملة مائة من الإبل تعطى لأهل القتيل حسب التفاصيل الواردة في كتب الفقه الإسلامي..فالدية تعطى لأي قتيل لا فارق بين قتيل غني وقتيل فقير فمدير الشركة والعامل معه سواء لا تمييز!!

فلو أنزلنا هذا الحكم المقرر والثابت في الفقه الجنائي الإسلامي على أرض الواقع لوجدنا أن أكثر من ٣٥٠ قتيلا نتيجة احتراق القطار الذي هو ملك للدولة التي هي بمثابة

العاقلة، إذن فالجاني (السائق) موظف حكومي؛ فالدولة يجب أن تدفع دية القتلى ١٠٠ من الإبل بالوصف المذكور في كتب الفقه أو ٢٠٠٠ شاة أو ٢٠٠ بقرة بالشروط والأوصاف المنصوص عليها في كتب فقه الجنايات الإسلامي..

ولما كانت هذه الحوادث متكررة نتيجة الإهمال والرعونة وعدم اتخاذ الحيطة، والحذر، فمن ثم تضاف إليها عقوبة تعزيرية حسب التكييف الجنائي لجريمة قطار الصعيد طبقاً للمعطيات المذكورة والسوابق الجنائية لمرفق السكك الحديدية، ومن ثم يستحق كل أهل قتيل ثلث دية تضاف إلى الدية الكاملة مع التنبيه أنها ليست جريمة عمد ولا شبه عمد؛ وإنما قتل خطأ؛ فمسألة تغليظ العقوبة هنا من باب التعزير فقط نظراً لتكرارها..

ثم إنه بحسبة بسيطة يحصل أهل كل قتيل على ١٠٠ ناقة؛ تدفع حسب الضوابط المنصوص عليها في الفقه الإسلامي.

أما القانون الوضعي فأهل القتيل يظلون سنوات بين أروقة المحاكم من محكمة ابتدائية، إلى استئناف عال، إلى محكمة النقض؛ بغية الحصول على بعض التعويض!؛ عبارة عن مبلغ من المال حوالي خمسة آلاف إلى سبعة آلاف جنيه مصري في المتوسط!!

لأن هذا المبلغ الذي تحكم به المحكمة يكون عادة لصغار الموظفين وفقراء الناس؛ وهم غالبية قتلى القطارات والكوارث العامة الأخرى!! يقسم على المحامي الذي يحصل على ثلث المبلغ!، والباقي لأهل القتيل!!

وخلال هذه المدة يمل أهل القتيل من طول الانتظار؛ فمنهم من يضيع بين الزحام، ومنهم من يموت جوعاً ومنهم من يضيق ذرعاً بهذه القوانين الظالمة؛ فيسير في طريق الغواية، ويبيع نفسه للشيطان!؛ ومن هنا تختل المعادلة في المجتمع ومن هنا تنتشر الجريمة، ويكون الأمر فوضى، والدماء البريئة مهدرة لا قيمة لها!!.

أما آن لهذه الأنظمة الحاكمة أن ترجع إلى قانون الجنايات الإسلامي وتحكّم الشريعة الإسلامية في كافة المناحي الحياتية؛ بدلاً من هذا التشرذم والضياع والاستهتار بحياة

الشعوب في ظل قوانين «خردة» عفا عليها الزمن كقطارات الموت!! هذه القوانين لم تكن يوماً صالحة لردع الأشقياء أو لجبر الأبرياء.

أما آن لهذه الأنظمة أن ترجع إلى هذا القانون العظيم الذي رفع من قيمة؟!، وقدر الإنسان حياً وميتاً، حتى وهو جنين فهو محاط بالعناية والحماية وحرمته مصونة شرعاً، فلو أن شخصاً قتل جنيناً نزل من بطن أمه حياً ولو لساعة واحدة؛ وقتله عمداً فعليه القصاص نفساً بنفس، ولو قتله خطأ؛ فلأوليائه دية كاملة مثل دية الكبيرلا تزيد ولا تنقص.

## صفوة القول

إن قيمة الإنسان في الشريعة الإسلامية؛ تفوق أي تقدير لقيمة الإنسان في أي قانون أرضي. فانظر إلى قيمة الإنسان في هذه الآية القرآنية الكريمة: (مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) المائدة آية ٣٢. لكن للأسف الشديد! رضيت هذه الأنظمة الحاكمة الغاشمة الجاثمة على صدور أمتنا؛ أن تستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير!! فصار دم الإنسان المعصوم بالإسلام؛ رخيصاً لا يساوي ثمن ناقة!! بل غالباً لا يساوي شيئاً!! فبئس للظالمين بدلاً.

٢٤ ذو الحجة ١٤٢٢هـ - ٥ مارس ٢٠٠٢

# حكم الاحتفال بذكرى بمقتل الشيخ أسامة

## د هاني السباعي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد: لقد سألني أحد الفضلاء عن حكم الاحتفال بذكرى استشهاد قادة الجهاد؛ فتذكرت أني قد أجبت على سؤال مماثل كان بعد مرور عام على استشهاد الشيخ أسامة - تقبله الله في الفردوس الأعلى ولا نزكيه على خالقه - ما حكم الاحتفال بذكرى استشهاد الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله! وكان قد قتل في ٢٨ جمادى أولى ١٤٣٢هـ الموافق ٢ مايو ٢٠١١ إبان ثورات الربيع العربي في أبوت آباد بباكستان. وعلى أية حال سأعيد الجواب كما كتبته قديما ونشرته بموقع مركز المقريزي بالشبكة العنكبوتية كما هو ولا يزال منشوراً في أرشيف الموقع والحمد لله. د. هاني السباعي

نص السؤال والجواب

السؤال:

"شيخنا الكريم نسألكم عن حكم احياء ذكرى استشهاد شيخ المجاهدين أسامة رحمه الله من قبل بعض الاخوة فى المنتديات والمواقع والفيس بوك وتويتر وذلك بتغيير صور بروفايلاتهم ونشر كلمات الشيخ واصداراته فى هذا اليوم ؟ وجزاكم الله خيرا وبارك فيكم وثبتكم على الحق"أهـ.

الجواب:

حكم الاحتفال بذكرى استشهاد الشيخ أسامة بن لادن

الجواب: الأخ الفاضل أبو خطاب منصور (..).. حياك الله وبياك .. اعلم بارك الله فيك .. أن خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم.. فلم يثبت أن رسولنا صلى الله عليه وسلم قد احتفل بذكرى أحد من أصحابه؛ فقد استشهد عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه عام ٣ هجري في غزوة أحد، ثم مرت سنوات على است شهاده رضي الله عنه؛ ولم يحتفل بذكرى است شهاده، ولا وفاة أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها، ولا أصحاب بئر معونة والرجيع وغيرهم رضي الله عنهم.. ثم لما وقع الحدث الجلل بوفاة خير الناس وانقطع الوحي بوفاته صلى الله عليه وسلم؛ لم يحتفل بذكرى وفاته أو مولده الصحابة الكرام.

ولو كان أحد في العالم يستحق الاحتفاء بذكرى وفاته أو مولده؛ لكان رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم. كما أنه لم يثبت بسند صحيح أو ضعيف أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا التابعين وتابعيهم؛ وهم خير القرون؛ أنهم قد احتفلوا بذكرى وفاة أو مولد الرسول صلى الله عليه وسلم أو الخلفاء الراشدين المهديين من بعدهم.

لذلك أقول إن الاحتفال بذكرى است شهاد الشيخ أبي عبد الله أسامة بن لادن رحمه الله تعالى، بدعة لا يقرها الشرع الحنيف. أما من يريد من أهل الإسلام أن يذكّر المسلمين بمآثره وبطولاته وجها ده ونشر آرائه وخطبه وكتبه؛ فلم لا يكون ذلك طوال العام؟! سواء ناسب احتفال الأمريكان سنوياً بنصرهم المزعوم! واستفزازهم مشاعر المسلمين أو لم يناسب! فالشيخ أسامة بن لا دن رحمه الله كان رجلاً يدافع عن أمة؛ بل الشيخ أسامة كان أمة في عصرنا؛ بل هو من مجددي هذا الزمان! حتى صار لازمة من لوازم ذكر الجها د في سبيل الله في هذا الزمان. رحمه الله وإخوانه المجا هدين وأسكنهم الفردوس الأعلى. اللهم آمين.

١٠ جمادى الثانية ١٤٣٣هـ-١مايو ٢٠١٢

# حكم أمان المسلم للكافر
# سؤال حول

## الرهينة البريطاني «آلان هيننج» لدى

## الدولة الإسلامية بالعراق والشام

سألني سائلون عن رجل كافر اسمه «آلان هيننج» Alan Henning يعمل في هيئة إغاثة؛ دخل مع مسلمين إلى سوريا ثم استوقفتهم مجموعة مسلحة تابعة للدولة الإسلامية منذ ١٠ أشهر تقريبا فقبضوا على الرجل وقالوا لهم هذا الرجل نعرفه ويساعدنا في العمل الإغاثي وهو في أماننا ونعرفه في بريطانيا ولا يؤذي المسلمين وهذا البريطاني يعمل في الإغاثة منذ ١٥ سنة تقريبا ويساعد المنكوبين في أي مكان فأجابوهم سنحقق معه قليلاً ثم نسلمه لكم! فلم يطلقوه! وتوسلنا إليهم مرارا وتكرارا إطلاق سراح الرجل ثم علمنا أنهم ينوون قتله انتقاماً من الحكومة البريطانية! فسؤالنا هل يجوز قتل هذا الرجل الذي سافر معنا وأدخلناه إلى سوريا ليساعد اللاجئين السوريين وهل أماننا صحيح شرعاً.

الجواب

بقلم د. هاني السباعي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد.

أقول وبالله التوفيق بناء على ما ورد في سؤالكم: لقد أخبرني فضلاء مسلمون بهذه الواقعة منذ شهور وعلمت منهم أنهم يسعون إلى إيجاد وسطاء من أهل الشام بغية إطلاق سراح هذا الرجل غير المسلم. وكنت أظن أن الموضوع انتهى بإطلاق سراحه.

وعلى أية حال من منطلق قول الله تعالى «لتبيننه للناس ولا تكتمونه» آل عمران آية ١٨٧. قال الله تعالى في محكم التنزيل: «وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى

يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه» التوبة ٦. استدل الفقهاء بهذه الآية على جواز عقد الأمان لجميع الكفار ولآحادهم. وجاء في كتاب فضائل المدينة من صحيح البخاري عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ذمة المسلمين واحدة، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه صرف ولا عدل»أهـ البخاري الحديث رقم١٨٧٠ بترقيم الموسوعة.

وفي صحيح البخاري أن أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها أجارت عام فتح مكة كافراً يدعى ابن هبيرة وأراد أخوها علي رضي الله عنه أن يقتله فاشتكت أخاها علياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها: «قد أجرنا من أجرتِ يا أم هانئ»أهـ رقم الحديث ٣٥٧ ترقيم الموسوعة.

وعند أبي داود في سننه بسند صحيح زيادة لفظ الأمان «قد أجرْنا من أجرْتِ وأمَّنا من أمَّنت»أهـ سنن أبي داود رقم الحديث ٢٧٥٦ ترقيم الموسوعة.

أقول بل إنها قد أجارت رجلين وليس مشركاً واحداً ففي مسند الإمام أحمد بسند صحيح أنها قالت: «قد أجرتُ حموين لي فزعم ابن أمي أنه قاتله. تعني علياً قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ»أهـ المسند الحديث رقم ٢٧٦٥٥ ترقيم الموسوعة.

أما الاستدلال بحيث عمران بن حصين رضي الله عنه في قصة أسير بني عقيل فقد أبعد النجعة! فالحديث كما في صحيح مسلم أن الصحابة أسروا رجلاً من بني عقيل وكانت قبيلته حليفا لثقيف، فلما مر عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وهو موثق بالحبال: فسأله الرجل: «بِمَ أَخَذْتَنِى» فأجابه الرسول صلى الله عليه وسلم «أَخَذْتُكَ بِجَرِيرَةِ حُلَفَائِكَ ثَقِيفَ»أهـ الحديث بتمامه في صحيح مسلم بترقيم الموسوعة ٤٣٣٣.

أقول: هذا الرجل الذي أسره الصحابة لم يكن أحد من المسلمين قد أمنه أو أجاره وهناك تأويلات كثيرة في شرح هذا الحديث فلتراجع في مظانها. المهم أن قضية البريطاني

غير المسلم لـم يدخل الشام تسللا بل دخل بصحة وأمان مجموعة من المسلمين! فلا صحة للاستدلال بحديث عمران بن حصين بشأن أسير بني عقيل هنا.

وعليه فإنه يجوز عقد الأمان من كل مسلم عاقل بالغ سواء كان رجلاً أم امرأة أم عبداً. وكتب السير والجهاد مفعمة بالعديد من الأمثلة على جواز عقد الأمان من المسلم للكافر بل يجوز للأسير المسلم أن يعقد أمانا للكافر إذا لم يكن تحت إكراه كما ذكر بعض الفقهاء.

وجاء في المغني: «يصح أمان المسلم المكلف ذكراً أو أنثى حراً أو عبداً مطلقاً أو أسيراً، وفي أمان الصبي المميز روايتان. وجملة ذلك أن الأمان إذا أعطي أهل الحرب حرم قتلهم ومالهم والتعرض لهم، ويصح من كل مسلم بالغ عاقل مختار ذكراً أو أنثى حراً أو عبداً، وبهذا قال الثوري والشافعي والأوزاعي وإسحاق وابن القاسم وأكثر أهل العلم، وروي ذلك عن عمر رضي الله عنه»أهـ ابن قدامة المغني مع لاشرح الكبير ـ دار الكتاب العربي ـ ج١٠ ص٥٥٥.

بناء على ما سبق ذكره

فإنه كان لزاما على من اعتقل رجل الإغاثة البريطاني أن يعرضه على محكمة شرعية لتتحقق من صحة الأمان حيث قبض عليه وهو بصحبة مسلمين! وكل هذه المدة كافية للتثبت والتبين! كما أن وصف الرجل أنه يعمل بالإغاثة الإنسانية! وصف زائد لا يؤثر في الحكم؛ فالوصف المنضبط هنا أنه كافر بعقد أمان مسلم! فلا يهم أنه طبيب أو مهندس أو أي عمل آخر! المهم أن من أجاره وأمنه وأدخله سوريا جماعة من المسلمين! ولو كان الذي أدخله وأمنه رجل مسلم واحد فأمانه صحيح! وإذا كان لدى من اعتقله أدلة على أنه جاسوس فليقدموه لمحكمة شرعية ولينشروا أدلة إدانته علانية إن ثبتت. أما أن يظل هكذا بدون محاكمة شرعية نزيهة فهذا افتئات على جناب الشريعة.

**صفوة القول** بناء على الوصف المذكور في السؤال وعلى ما علمناه من مسلمين ثقات بشأن هذا الأسير البريطاني؛ فإن أمان جماعة من المسلمين له أمان صحيح شرعاً، ولا يجوز

إخفار ذمتهم ونقض أمانهم له. ومن ثم لا يجوز قتله نكاية في حكومته وإن كانت تحارب المسلمين! وينبغي إطلاق سراح هذا الرجل غير المسلم؛ وقد ثمنا من قبل ما قامت به جبهة النصرة بالشام بإطلاق سراح جنود الأمم المتحدة وكانوا ٤٥ جندياً بسبب أمان مسلم تابع للنصرة لهم.

وفي الختام

إن خير الحديث كلام الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون). المائدة آية ٨.

ألا هل بلغت اللهم فاشهد

٢٣ ذو القعدة ١٤٣٥هـ - ١٨ سبتمبر ٢٠١٤

# تحريم مس حارسات السجن للرجال السجناء حسب الشريعة الإسلامية

بقلم د. هاني السباعي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد.

بناء على رسالة موجهة إلينا من فريق المحامين عن موطلهم السيد/ وليد بن عطاش؛ والمؤرخة بتاريخ ٧ نوفمبر ٢٠١٤ التي أرسلها إلينا الأستاذ المترجم علي العرشي عبر بريدنا الخاص؛ يستفسر عن حكم الشريعة الإسلامية في تفتيش (المرأة) الحارسة للسجين (الرجل) المسلم. هل ذلك جائز أم حرام حسب الشريعة الإسلامية.

**أقول وبالله التوفيق**: الأصل أن المسلم مأمور أن يتبع الشريعة الإسلامية في حياته كلها سواء في السجن أو غير السجن قال الله تعالى: (قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ) سورة الأنعام آية رقم ١٦٢. وأما بالنسبة لحكم مس المرأة وملاسمتها ومصافحتها لغير محارمها من الرجال فقد وردت أدلة ثابتة عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم تؤكد تحريم مس المرأة لغير محارمها من الرجال وكذلك تحريم مس الرجل لغير محارمه من النساء وهي على النحو التالي:

**الدليل الأول**: عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: « لاَ وَاللَّهِ مَا مَسَّتْ يَدُ رَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَدَ امْرَأَةٍ قَطُّ «. رواه الإمام البخاري في صحيحه رقم الحديث ٥٢٨٨. ورواه الإمام مسلم في صحيحه رقم الحديث ٤٩٤١.

**الدليل الثاني**: عن عروة أن عائشة أخبرته عن بيعة النساء قالت : « وَمَا مَسَّتْ كَفُّ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- كَفَّ امْرَأَةٍ قَطُّ « رواه الإمام مسلم في صحيحه رقم الحديث ٤٩٤١.

**الدليل الثالث**: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- كَانَ لاَ يُصَافِحُ النِّسَاءَ» رواه الإمام أحمد في مسنده رقم الحديث ٧١٨٦.

**الدليل الرابع**: عَنْ أُمَيْمَةَ بِنْتِ رُقَيْقَةَ أَنَّهَا قَالَتْ أَتَيْتُ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « إِنِّى لاَ أُصَافِحُ النِّسَاءَ». رواه الإمام النسائي في سننه رقم الحديث ٤١٨١. ورواه الإمام ابن ماجه في سننه رقم الحديث ٢٨٧٤ وصححه الشيخ الألباني في كتاب صحيح الجامع رقم الحديث ٢٥١٣.

**الدليل الخامس**: قوله صلى الله عليه وسلم: «لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له»أهـ رواه الطبراني والبيهقي ورجال الطبراني ثقات.

**أما المذاهب الإسلامية** كالمالكية والحنفية والشافعية والحنابلة وغيرهم فيحرم على المرأة أن تمس أو تلامس أو تصافح غير محارمها من الرجال. وقال في كشف القناع ( ٢/ ١٥٥): «والتحريم مطلقاً اختيار الشيخ تقي الدين ابن تيمية»أهـ.

**وقال الشيخ عبد العزيز بن باز** مفتي السعودية الأسبق في مجلة الجامعة الإسلامية عدد (٢) شوال ١٣٩٠ بواسطة أحمد الصويان : المرأة المسلمة ص ١٥٨ : «قد عُلمَ بالأدلة الشرعية من الكتاب والسُنّة أنّ المرأة ليس لها أن تصافح غير محارمها من الرجال سواء أكان ذلك في الأعياد أم عند القدوم من السفر أو لغير ذلك من الأسباب، فليس لها أن تمس الرجل الذي ليس محرماً لها سواء أكان ابن عمها أم بعيداً منها لا نعلم بين أهل العلم رحمهم الله خلافاً في تحريم هذا الأمر»أهـ.

**وقالت اللجنة الدائمة للإفتاء** في السعودية في الفتوى ( ١٧٤٢): «لا يجوز أن يضع رجلٌ يده في السلام في يد امرأة ليس لها بمحرم «أهـ.

**وقال الشيخ بكر أبو زيد** في كتابه الحراسة ص ٨٥ : « تحريم مسّ الرجل بدن الأجنبية حتى المصافحة للسلام»أهـ.

**وقال الشيخ ابن عثيمين** - رحمه الله في فتاوى نور على الدر – موقع الشيخ على الشبكة: «لا يجوز للمرأة أن تمد يدها إلى رجالٍ ليسوا من محارمها لتصافحهم ولا يجوز للرجل أيضاً أن يمده يده إلى امرأة ليست من محارمه ليصافحها «أهـ

**وقال الشيخ ابن جبرين** – رحمه الله – فتوى رقم ٣٥٧ موقع الشيخ على الشبكة: «المرأة الأجنبية لا يحل لها مصافحة الأجانب ، ولو كانوا أبناء عمها أو أبناء خالتها كما أنه لا يحل لها كشف الوجه وإبداء الزينة ولو كانوا من أقاربها غير المحارم»أهـ

**وقال الشيخ صالح الفوزان** في الفتوى رقم ١٦٧٦٠ موقع الشيخ على الشبكة : «لا يجوز للرجل أن يصافح امرأة أجنبية «أهـ

**قال الشيخ الألباني** – رحمه الله – في سلسلة الأحاديث الصحيحة ( ٢/ ٥٥) : «وجملة القول أنّه لم يصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه صافح امرأة قط»أهـ.

**وقال الدكتور سعيد رمضان البوطي** في فقه السيرة ص ٤٣١ : «ولا أعلم خلافاً بين العلماء في عدم جواز ملامسة الرجل بشرة امرأة أجنبية»أهـ

**وقال العلامة محمد الأمين الشنقيطي** في كتابه أضواء البيان ( ٦٠٢/٦ ): «اعلم أنه لا يجوز للرجل الأجنبي أن يصافح امرأة أجنبية منه، ولا يجوز له أنْ يمس شيءٌ من بدنه شيئاً من بدنها»أهـ

بناء على ما سبق

فأرى أنه لا يجوز بل يحرم حسب الشريعة الإسلامية للمرأة أن تمس أو تصافح أو تسلم أو تفتش رجلا من غير محارمها. وإزاء ذلك فإن إدارة سجن جوانتنامو عليها أن تحترم معتقد السجين المسلم، وألا تتعنت وتتعسف مع السجناء المسلمين وعليها أن تأتي بحراس من الرجال يقومون بتفتيش السجناء الرجال المسلمين. وبالله التوفيق.

كتبه د. هاني السباعي لندن في ٨ نوفمبر ٢٠١٤

## حكم الشرع في بلطجي كفر البطيخ ومن على شاكلته

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أخي الدكتور هاني السباعي

وردني سؤال من الإعلامي الفاضل الأستاذ أحمد حسن الشرقاوي: «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته هل هذا البلطجي (سفاح كفر البطيخ) ينطبق عليه شروط حد الحرابة كما وردت في الشريعة ؟»أهـ

جواب د. هاني السباعي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد.

للإعلامي الفاضل الأستاذ أحمد الشرقاوي أجيب: وعيكم السلام ورحمة الله وبركاته.

**أما بالنسبة للسؤال عن الجريمة المروعة الشنعاء** التي ارتكبها سفاح كفر البطيخ بمحافظة دمياط بتاريخ ٢٨ سبتمبر ٢٠٢٢ ، حيث قام بلطجي سفاح يدعى (إبراهيم الخياط) بقطع يدي شاب يدعى محمد شبانة ووالدته بسكين أدت إلى قطع يد الأم وفصل يد نجلها أمام الناس بلا رحمة ثم تم القبض عليه فيما بعد.

**أقول وبالله التوفيق:**

إن جرائم «البلطجة» و»التشبيح» وترويع الناس صارت ظاهرة مكرورة في الشارع المصري؛ فأغلب عالم البلطجة تحت رعاية وحماية وزارة الداخلية حيث يقومون بأفعالهم الخسيسة وهم مطمئنون أنهم آمنون من العقوبة!.

إن جرائم البلطجة؛ جرائم شنعاء يرتكبها سفلة القوم الذين لا خلاق لهم ولا دين ولا مروءة؛ فهي جرائم إفساد في الأرض. لقد جعل الشرع الحكيم عقوبتها مغلظة حيث يقول

الله في محكم التنزيل: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) المائدة آية ٣٣.

فالآية الكريمة تتحدث عن عقوبة حد الحرابة والإفساد في الأرض، وإذا أنزلنا هذه الآية على ما اقترفه البلجي المذكور، ومن على شاكلته؛ نجدها ضرباً من جرائم الإفساد في الأرض.

**قد يقول قائل**: لكن الحرابة لا تكون إلا في المال وتكون في الصحراء؟.

أقول: قد أجاب على هذا الاعتراض العلامة القاضي أبو بكر بن العربي المتوفى سنة ٥٤٣هـ رحمه الله تعالى عندما كان قاضياً حيث قال: « ولقد كنت أيام تولية القضاء، رفع إلي قوم خرجوا محاربين إلى رفقة، فأخذوا منهم امرأة مغالبة على نفسها من زوجها ومن جملة المسلمين معه، فاحتملوها، ثم جد فيهم الطلب فأُخذوا وجيء بهم، فسألت من كان ابتلاني الله به من المفتين فقالوا: ليسوا محاربين؛ لأن الحرابة إنما تكون في الأموال لا في الفروج. فقلت لهم: إنا لله وإنا إليه راجعون! ألم تعلموا أن الحرابة في الفروج أفحش منها في الأموال ؟! وأن الناس كلهم ليرضون أن تذهب أموالهم وتحرب من بين أيديهم، ولا يحرب المرء من زوجته وبنته، ولو كان فوق ما قال الله عقوبة لكانت لمن يسلب الفروج. وحسبكم من بلاء صحبة الجهال، وخصوصاً في الفتيا والقضاء»أهـ (ابن العربي: أحكام القرآن ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت طبعة ١٤١٦هـ ج٢ ص٩٥.

أقول: ما ذكره القاضي أبو بكر العربي هو فقه القضاء بعينه؛ فالعرض أعز عند الناس من المال، وكذلك البطجي والشبيح وكل من يروع الآمنين ويشهر سلاحه، ويقتلهم أو يقطع أوصالهم هو ضرب من الحرابة أيضاً.

## صفوة القول

إن البلطجة داء عضال ينبغي علاجه بالاستئصال، فالبلطجة «غنغرينا» في جسد المجتمع ـ أي مجتمع ـ لا صلاح لها إلا بالبتر. فإشهار السلاح بغية ترويع الناس، بالعدوان عليهم في أموالهم أو بتقطيع أوصالهم أو تشويه وجوههم وأجسادهم ضرب من الإفساد في الأرض؛ يعاقبون عليه بحد الحرابة المنصوص عليها في سورة المائدة. كما أنني أميل إلى الرأي القائل بأن حد الحرابة تنفذ على من اقترف عدوانا على النفس أو المال أو العرض سواء اقترفت في صحراء أو مدينة أو قرية أوجبل أوسجن أوغيره.

هذا ما حضرني من جواب على سؤال السائل الكريم. والله أعلم.

٧ ربيع الأول ١٤٤٤هـ ـ ٣ أكتوبر ٢٠٢٢

# رسالة إلى عبد المأمور

د. هاني السباعي

يحار المرء عندما يشاهد أشاوس الأمن وهم يضربون المتظاهرين بوحشية!! هل هم بحق من أبناء جلدتنا؟! هل لهم أحاسيس ومشاعر مثلنا؟! هل يحملون هموم هذه الأمة!! وعن أية قضية يدافعون!! فإذا كان المتظاهرون من طلاب ورجال فكر وثقافة وكافة طوائف الشعب يتظاهرون من أجل قضية نبيلة وهي قضية فلسطين!! فأية قضية تلك التي تحرك هؤلاء الجنود الذين يقمعون هذه التظاهرات!! هل دفاعاً عن قضية مقدسة!! لا وألف لا!! هل دفاعاً عن حاكم ظلوم غشوم؟! نعم وألف نعم!!.

وإذا سألت جندياً من هؤلاء المدججين بالأسلحة والهراوات المستوردة: لم تضرب إخوانك وأهلك من المتظاهرين العزل الذين يدافعون عن شرف أمتنا وينادون بإعادة الروح في نظام كسيح!! قال: أنا عبد المأمور!! وإذا سألت ذلك الضابط الذي يستعرض بمدفعه الذي كاد أن يصدأ لم تقذف هذه الجماهير بهذه الحمم والقنابل المسيلة للدموع ؟! أليسوا إخوانك وأهلك وعشيرتك؟!! قال: أنا عبد المأمور؟!

قلنا إذن المشكلة عند ذلك المأمور لا بد أن نرتقي إليه ونترك هؤلاء العبيد.. حسناً..

إذن الحل عند وزير الداخلية: بعد أن اخترقنا غابة من الجنود.. وأحراشاً من الجواسيس والعيون التي لا يخفى عليها دبيب النمل!! قلنا له: لم تأمر: جلاوزتك من شماريخ الأمن بقمع التظاهرات ألست من هذا البلد؟! ألست من هذه الأمة؟! أما لك إحساس أما لك اعتقاد؟! هل تتألم مثلما يتألمون؟!! لم يشأ إلا أن ينطق بكلمة واحدة: أنا عبد المأمور!!

قلنا حسنا!! نذهب إلى حامي الديار والذمار وزير الدفاع عن كرامة الأمة!! فبعد جهد جهيد.. وبعد تربص وترصد وكمائن هنا وهناك.. وصلنا إلى أول بوسطة على خط

القتال: مكتب سيادة المشير جداً!! ألست صاحب الجيوش ووزير أمن البلد القوي: لم لا تأمر كتيبة من كتائبك تحرس هذه التظاهرات من بطش الذي هو أدنى؟! هل تشعر مثلما نشعر هل تتألم مثلما نتألم!! هل رأيت الزهور في فلسطين كيف تنفجر في قلب العدو الظلوم؟!.. هلا انتهت جيوشكم من تربية الكتاكيت!! ورعي المواشي وتصدير الفراولة!! أما آن لكم أن ترسلوا كتيبة أو سرية أو حتى فصيلة لكسر الحدود!! لم يشأ صاحبنا إلا أن قال: أنا عبد المأمور!!

قلنا: حسناً!! لم يبق أمامنا إلا الرأس الكبير!! بعد كل المحاولات الفاشلة استطعنا أخيراً أن نتسلق الرياح سوراً إثر سور لنعلم المخبوء والمستور: قلنا له: ألست كبير العائلة؟! أليس هؤلاء المساكين من رعاياك!! ألست مسؤولاً عنهم؟!! لم تأمر رجال أمنك وصناديد دولتك بضرب المتظاهرين بالهراوات ورش الماء والقنابل المسيلة للدموع على المتظاهرين؟!! لصالح من تأمر زبانيتك بقمع التظاهرات والضرب في سويداء القلب أحيانا؟!! لصالح من يا كبير العائلة؟!!

أما سمعت ببراعم الزيتون في أرض فلسطين وهي تحي موات القلوب؟!! أما سمعت برائحة البارود تفوح من زهر الياسمين وشجر البرتقال!! هل تتألم مثلهم!! هل تكحل عينك بالنوم وأنت ترى قوافل الشهداءِ تخرج من فم التنين!! كنا نظن أنك ستكون وحاشيتك في طليعة التظاهرات؟!! لم تفعل .. وليتك سكت بل أمرت زبانيتك بالقمع والتعذيب!!

وبعد محاورة طويلة اكتشفنا أن الرجل لديه مناعة ضد ما نقول!! لكنه أجاب بكل برود: أنا عبد المأمور!! أصابنا ذهول!! كبير القوم يقول أنا عبد المأمور!! لكن سرعان ما استفقنا.. واضطررنا إلى تجاوزالمفاوز والفيافي حتى عبرنا الأطلسي: حيث يقبع الشر في صورة بشر يداعب كلابه غير عابئ بنا.. فسالناه عن بعد لأننا على يقين أنه مؤذ بحق: يا كبير البيت! ويا تمثال الغطرسة! لم تأمر عمالك في بلادنا بضرب المتظاهرين وقمع الأحرار؟!! لم تأمر موظفيك في بلادنا بقمع التظاهرات بوسائل التعذيب التي تصدرونها إلى بلادنا.. ألست بشراً مثلنا.. ألست كذا.. ألست كذا.. فزمجر وأرغى وأزبد فهدد

وتوعد.. فاختفينا من طيف خياله:" فعلمنا أخيراً من الآمر ومن المأمور!!

لكن الذي يجب أن يعلمه هذا المأمور قبل الآمر: أن أمرهم سواء وحكمهم سواء: فلا عذر لهم يوم أن يتمخض الزلزال (إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين)..

أما العقوبة في الدنيا فهي كما كانت لكبيرهم وزعيمهم قديماً: (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم).

أما هؤلاء العبيد!! وعبيد العبيد من رجال الأمن وجلاوزته ومن جيوش الخزي والعار أصحاب المدافع المتصدئة والنياشين والأنواط المزيفة: حذار حذار! لقد تمخض الزلزال: فلن ترحمكم الجماهير المزمجرة لأنكم لم ترحموها!! وفي الحديث الشريف: من لم يرحم لا يرحم.

تاريخ ٦ ربيع أول ١٤٢٧هـ - ٥ إبريل ٢٠٠٦

تنبيه: هذا المقال نشر في موقع المقريزي عام ٢٠٠٤

# فتوى توحيد الآذان
# من كتشنر الإنجليزي إلى وولش الأمريكي

د.هاني السباعي

لقد كان المتنبي على قدر كبير من الصدق في وصفه للحالة المصرية:

وكم ذا بمصر من المضحكات ** ولكنه ضحك كالبكا

لقد استيقظ ضمير وزارة الأوقاف المصرية فجأة وشرعت في تجهيز حملة كبرى لاجتياح المآذن النشاز التي تعلو سماء المحروسة وضم أصوات المؤذنين في صوت واحد وعلى نغمة واحدة ومن ثم العودة إلى شعيرة التوحيد (توحيد الآذان) التي أقسدها هؤلاء الشركاء (كل مساجد القاهرة) ما عدا المسجد الذي ستتوحد فيها المآذن لكي يكون أسوة تقتدي به سائر مساجد مصر ومنائرها الآبقة!

ذكرنا هذا الصنيع ما زُعم أن الخليفة هارون الرشيد أمر المغنين أن يختاروا له مائة صوت فاختاروها، ثم أمرهم باختيار عشرة منها فاختاروها، ثم أمرهم أن يختاروا منها ثلاثة ففعلوا.. وفي رواية أن المغنين أجمعوا على صوت واحد من هذه الثلاثة كما حكى الأصفهاني في كتابه الأغاني وإن كان لنا تحفظات عليه.. هكذا قد يكون دار في أدمغة القائمين على وزارة الأوقاف أن يوحدوا أصوات المؤذنين في صوت واحد على غرار مزاعم صاحب الأغاني!.. ومن ثم يرتاح الساهرون والساهرات وهم ينامون على صوت عندليب يؤذن بالنهاوند أو البياتي!! رغم علم وزارة الأوقاف أن هؤلاء المتضايقين من أصوات المؤذنين لا يدخلون بيوتهم غالباً إلا بعد انتهاء صلاة الفجر ومن بقي منهم في بيته فإن رأسه أثقل من أن تسمع أصوات المآذن نتيجة للأدخنة الزرقاء والحمراء التي عشعشت في أمخاخهم!

قد يقول قائل ما علاقة ذلك بعنوان المقالة؟! العلاقة ستتضح عبر النقاط التالية:

صاحب الفتوى وزير الأوقاف:

لقد تولى كبر هذه الفتوى التي سأطلق عليها (الحملة) غير المسبوقة في تاريخ مصر؛ الدكتور محمود حمدي زقزوق.. وقد كان منذ تعيينه وزيراً للأوقاف في عام ١٩٩٦م حتى وقتنا الحاضر في حلف شيخ الأزهر الدكتور سيد طنطاوي الذي تحول الأزهر في عهده إلى زاوية صغيرة يطؤها كل من هب ودب! والدكتور حمدي زقزوق من مواليد محافظة الدقهلية سنة ١٩٣٣م وحاصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة ميونخ بألمانيا ومتزوج من سيدة ألمانية. وله عدة كتب وأبحاث وفعاليات لتسويق الإسلام كي يرضى عنا الغرب الذي لا ولن يرضى حتى يذوب الإسلام في الغرب ويكون نسياً منسياً!

لكن التساؤل المتبادر إلى الذهن لماذا أثار وزير الأوقاف هذه الحملة (توحيد الأذان) في هذه الأيام الحوالك والأمة بهذا الضعف؟! هل هذه دعوى مبرأة؟ أليست لها علاقة بالأجندة الأمريكية من تجفيف منابع التدين وتغيير مناهج التعليم.. والحملة المسعورة على ما يسمى بمحاربة الإرهاب أعني مكافحة الإسلام؟! أم أنها بحق فتوى باطلة يراد بها باطل؟! كل ذلك يقودنا إلى أن نرجع القهقرى لنلتقط الخيط من بداية القرن الميلادي المنصرم على النحو التالي:

أولا: كتشنر وطلب إنشاء وزارة للأوقاف:

بعد أن احتل الإنجليز مصر عام ١٨٨٢م أعملوا عقولهم للتفكير في كيفية التحكم في العمود الفقري الذي يمد المجاهدين والثوار في الخروج عليهم ومقاومتهم فوجدوا أن محمد علي باشا حاكم مصر (١٨٠٥ – ١٨٤٨م) لم يقض على الأوقاف تماماً ولا زالت هناك بقية من الإستقلال المادي لدى الفقهاء الذين يشرفون على أوقاف المسلمين التي حبسها أجدادهم وآباؤهم للإنفاق على كافة وجوه البر ومنها طلبة العلم والمعوزين والمجاهدين.

ولما كانت مصر في ذلك الوقت تابعة رسمياً للدولة العثمانية لم يشأ الإنجليز في أول الأمر أن يعلنوا أنهم محتلون مصر بصفة رسمية لكنهم قرروا أن الفرصة مواتية خاصة بعد عزل السلطان عبد الحميد وسيطرة حزب الإتحاد والترقي العلماني على مقادير الأمور.. فتم تعيين السير (هربرت كتشنر المتوفى غرقاً في ١٩١٦م) كان يشغل منصب وزير الحربية البريطانية وكان سردار الجيش المصري وهو الذي حارب جيش المهدي في السودان إذ أنه لما استولى على أم درمان سنة ١٨٩٩م رأى ألا يبقي لذكرى المهدي تعلقاً في قلوب قبائل السودان، فأمر بهدم قبته ونبش قبره وبعثرت عظامه في النيل وبعث بجمجمته إلى دار التحف البريطانية تماماً مثلما بعث الفرنسيون جمجمة البطل سليمان الحلبي إلى متحف باريس.. ونظراً لدمويته هذا الكتشنر السفاح وإجرامه في حق المسلمين أعجبت به إنجلترا بفوزه على دراويش السودان فمنحته لقب (لورد الخرطوم).. واختير فيما بعد كمندوب سام بعد السير (دون جورست) الذي كان خلفا للسير(أفرين بيرنج) الشهير باللورد كرومر.. المهم أن اللورد كتشنر تقرب إلى شيخ الإسلام والصدر الأعظم في الآستانة واستطاع أن يحصل منهما على الموافقة على أن تكون بمصر وزارة للأوقاف.

وقد لجأ كتشنر إلى الباب العالي لأنه يعلم أن الخديوي عباس لن يوافق على هذا الطلب وقد يحرض العلماء والساسة ضد الإنجليز لذلك فقد استصدر الأمر من الباب العالي حتى لا يكون في مقدور العلماء أن يعترضوا وللأسف الشديد تحقق لكتشنر ما أراد إذ نشرت الوقائع المصري في ٢١ ذي الحجة ١٣٣١هـ الموافق ١٩١٣م نص مرسوم الباب العالي بإنشاء نظارة للأوقاف (وزارة) بدلاً من الديوان الذي كان يشرف على أوقاف المسلمين في ذلك الوقت.

وهكذا تحول الديوان إلى وزارة بطلب من المندوب البريطاني لمصر كتشنر بزعم الإصلاح والتنظيم الإداري والمؤسسي للبلاد.. لكن الحقيقة أن إنجلترا كان في نيتها أن تستقل بمصر وتوضع مصر تحت الانتداب وهذا ما حدث إذ صارت مصر تحت الإنتداب الإنجليزي رسمياً في ١٩١٤م ومن ثم تكون وزارة الأوقاف قد خضعت تحت

سيطرة الإحتلال ويسهل السيطرة عليها والقضاء على استقلالية الأوقاف وبالتالي إحكام السيطرة على كافة المؤسسات والمرافق التي كانت تتبع الأوقاف ومنها التعليم الأزهري والكتاتيب والمساجد.

ثانياً: ديفيد وولش وقرار توحيد الآذان:

يعتبر السفير الأمريكي (ديفيد وولش) من أكثر السفراء الأمريكان تدخلاً في شئون الدولة بطريقة سافرة.. طبعاً كلهم من قبل كانوا يتدخلون لكن ليس بهذه الطريقة الفجة؛ فنراه يراقب كل المؤسسات في مصر ويضع أنفه في كل صغيرة وكبيرة! حتى المقالات الصحفية يعترض عليها ورغم أنه شخص غير مرغوب فيها من الشعب المصري فقط إلا أنه يتصرف بكل عنجهية كمندوب احتلال وليس سفيراً كما يفترض! وإلا كيف نفسر تعيينه خمس مستشارين في الهيئة العليا التي تشرف على المناهج في وزارة التعليم؟! تحت مسمى الإصلاح حيث صار لهذا الـ (وولش) مستشار أو أكثر في عدة وزارات كبرى وصغرى..

وبعد كل ذلك يزعم مشايخنا الأفاضل أن دعوتهم بتوحيد الآذان في القاهرة انطلاقاً من دعوة التوحيد! ولا علاقة لها بضغوط أمريكية وأنهم استندوا إلى آراء لمذاهب الأئمة الأربعة (أبو حنيفة + مالك +الشافعي + أحمد بن حنبل).. ونحن نربأ بالأئمة الأربعة و كل أئمة الإسلام أن يكون مرادهم هو مراد الأئمة الأربعة الجدد؛ أصحاب فتوى توحيد الآذان: (شيخ زقزوق + شيخ على جمعة مفتي الديار + شيخ نصر فريد واصل المفتي الأسبق + ورابعهم شيخهم شيخ الأزهر طنطاوي).. فعلاً إنها فتوى باطلة يراد بها باطل!

عودة إلى ديفيد وكتشنر:

ومن الموافقات العجيبة أن مصر في ذلك الوقت كانت تحت الإنتداب الإنجليزي وأن الذي قام بتأميم هذا الشريان الحيوي بزعم الإصلاح هو المندوب السامي كتشنر!.. ثم يسير الزمان في عجلته والشخوص قد تغيرت لكن المكان هو ذاته حتى وصلنا إلى المندوب الأمريكي السامي ديفيد وولش! الذي لم يتقدم بطلب طبعاً مثل سلفه البريطاني

كتشنر بل مجرد إشارة وهو يعلم أن سدنة النظام المصري لديهم قرون استشعار يعرفون بها أين تتجه البوصلة الأمريكية فيسبقونها!!

لكن الفارق أن أحمد حشمت باشا الذي كان أول وزير للأوقاف منذ عام ١٩١٣م كان مغلوباً على أمره ولم يكن يدور في خلده عندما عينته محكمة مصر الشرعية بدلاً من إبرهيم نجيب باشا آخر مدير لديوان الأوقاف.. لم يكن يدور في خلده أن وزارة الأوقاف ستصل إلى هذا الهوان على يد الدكتور زقزوق وأصحاب الفضيلة!

كان أولى بوزير الأوقاف:

كنا نود أن يتوجه وزير الأوقاف بحملته الميمونة إلى مجلس الدولة يطالبهم بإلغاء كل القوانين المخالفة للشريعة الإسلامية.. كنا نود أن يطالب الدولة ببطلان قانون ١٨٠ لسنة ١٩٥٢م الذي ألغى الوقف الأهلي.

كنا نود أن يطالب الدولة بأن تساوى أوقاف المسلمين مع أوقاف نصارى مصر أليس هذا تمييزاً عنصرياً أعني قانون ٥٤٧ لسنة ١٩٥٣م الذي سلب حق الواقف في إدارة وقفه هذا القانون الذي استولى على أموال الناس بالباطل.. في حين استثنى القانون ٢٦٤ لسنة ١٩٦٠م أوقاف النصارى.

هلا امتطيتم خيولكم واستجمعتم كل العمائم الموقرة وتوجهتم نحو قصر العروبة لتستردوا أراضي المسلمين التي نهبت بالقانون ١٥٢ لسنة ١٩٥٧م وتم تسليمها إلى ما يسمى بالإصلاح الزراعي الذي أفسده وزير زراعتكم الهمام فتسبب بتفشى الأمراض الخبيثة وإصابة حوالي ٤٠٪ من الشعب المصري بالوباء الكبدي وما خفي من أمراض أدهى وأمر.

لقد صدق الشيخ صلاح أبو إسماعيل عندما قال كلمته الشهيرة وهي ثابتة في مضبطة مجلس الشعب بتاريخ ١٩ فبراير١٩٨٠م أثناء استجواب وزير الأوقاف الأسبق عبد المنعم النمر عندما وصف ما حصل للأوقاف (بأنه تدويخ وبلطجة)، وقال: (كأن أوقاف

المساجد أوقاف لعدو وقع تحت أيدينا).. نعم هكذا يتصرف أصحاب الفضيلة المعينون من قبل أنظمة لا ترقب فينا إلا ولا ذمة.

## صفوة القول

هناك سياسة منظمة انتهجها الاحتلال القديم (كتشنرالإنجليزي) وأورثها للإحتلال الجديد (ديفيد ولش الأمريكي) بغية القضاء على هوية الأمة وتقطيع أوصالها الحيوية.

لقد صار تأميم المساجد الأهلية وحتى التابعة إلى الجمعية الشرعية وغيرها من جمعيات دعوية خيرية سياسة تهدف وزارة الأوقاف من ورائها تكميم أفواه الدعاة الحقيقيين وتعيين دعاة مبرمجين أمنيا ولديهم صك حسن سير وسلوك من شيخ الإسلام رئيس مباحث أمن الدولة! وإلا كيف نفسر استمرار وزراة الأوقاف في الإستيلاء على المساد الأهلية وافتخار وزير الأوقاف أنه قد ضم أعداداً جديدة إلى من المساجد إلى أرض المحروسة! ليته شن هذه الحملة لاسترداد مدينة أم الرشراش وسيناء المنزوعة السلاح إلى أرض مصر من العود الحقيقي لأمة الإسلام!! لكنهم بالطبع لا يفعلون! ففي يوليو ٢٠٠٤م أصدر الدكتور زقزوق قراراً بضم ٢٥٠٠ مسجد أهلي وزاوية في مختلف أنحاء مصر.. علماً أنه عندما تولى الوزارة ١٩٩٦م كان وزارة الأوقاف يتبعها ٢٤ ألف مسجد وتشرف على ٣٠ ألف مسجد غير حكومي طوعاً أو كرها وازداد تأميم المساجد والإستيلاء عليها بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م تلبية لرغبة المندوب الأمريكي في القاهرة ديفيد ولش!

هناك بعض المصطلحات تعرضت لعوامل التعرية السياسة فتغير مدلولها إلى القبح والنفور مثل كلمة (سلام) تعني على البديهة طبقاً للقاموس الإعلامي والسياسي المهيمن على مقاليد العالم (سلام = انبطاح = هوان = الرضا بالدنية) (معتدل = انهزامي = منحرف).. أما (أوقاف = وقف حال = خراب المساجد = أكل أموال الناس بالباطل)..

هل استيقظت ضمائر علمائنا الأجلاء لتغيير المنكر والقضاء على الفساد الضارب بجذوره في كافة مؤسسات الدولة.

الشعب المصري في أمس الحاجة إلى أن تكونوا في طليعة حملة تحطم الحواجز التي وضعت على الحدود المصرية الفلسطينية لنجدة شعب فلسطين الذي يذبح ببركة زعمائكم وزياراتهم المشؤومة لشارون وعصابته.

كنا نود أن توحدوا كلمتكم يا أصحاب الفضيلة وتدينوا الاحتلال الأمريكي لعاصمة الرشيد!، وتستنهضوا الأمة للقيام بواجب الجهاد الذي هو ثابت بالقرآن والسنة والإجماع، وثابت بفتاوى أصحاب المذاهب الأربعة! للدفاع عن حياض المسلمين المنتهبة بدلاً من هذه الحملة الخائبة التي ما أريد بها إلا وجه ديفيد وولش وأسياده في البيت الأبيض!

كنا نود أن تطالبوا حكومتكم السنية بترشيد القنوات العشر المحلية إلى واحدة أواثنتين؛ تلكم القنوات التي لا تبث إلا الفساد والخلاعة! وكان من ثمرتها عبادة الشيطان، وظهور الشواذ علانية في أرض الأزهر الذي ضيعتم مهابته من قلوب الناس.

حسبناكم قد توجهتم بحملة تتوحدون فيها لتقتحموا السجون العمومية، ومقار أمن الدولة التي تخرج من أقبيتها أرواح قوافل الشهداء الذي يموتون من جراء التعذيب المنظم! أكثر من ستين ألف مظلوم قابعين بغيابات ٢٥ سجناً في أرجاء أرض الكنانة!.. هلا وجهتم حملتكم لإطلاق سراحهم وإدخال البسمة على شفاه أطفالهم وذويهم.!. أليس هؤلاء موحدين مثلكم؟!

يا أصحاب الفضيلة يا ملح البلد!

هلا أفتيتم لنا بكيف القضاء على البطالة وكيف يخرج الناس من هذا الضنك؟ ألم ترق قلوبكم لهذا الموظف الذي قتل أولاده لأنه لا يستطيع أن يوفر لأولاده مصارف المدارس؟! هلا توجهتم بحملة لحل مشكلة الشباب العاطل عن العمل الذي وصل إلى إلى أكثر من ٤٠٪.

هلا وحدتم جهودكم يا دعاة التوحيد بحملة للقضاء على المواخير وأندية القمار والعوامات التي ترتكب فيها المنكرات وهي تمخر عباب نيل مصر.

هلا قمتم بحملة لاستنهاض الأمة للقضاء على أس الفساد المتمثل في نظام متآمر على شعبه، وعلى الأمة بأسرها في فلسطين والعراق وأفغانستان. وها هي ذي السودان على وشك التقسيم ببركة سكوت مشايخنا الأجلاء جداً الذين تركوا الحكام يعيثون في الأرض فساداً.. وانتبهوا فقط للاستيلاء على مسجد يخطب فيه داعية لا يرضى عنه مخبر حقير! أو حكاية توحيد الأذان التي شغلتم بها الناس مؤخراً..

نخشى أن تطالبوا المصلين في حملتكم القادمة أن يحضر كل مصل «سماعة» يضعها على أذنيه!؛ لأن البث سيكون مباشراً والإمام المعين الذي سيؤم المصلين الشيخ المتوفى عبر الأثير!! كما نخشى أن تصدروا فتوى بمشروعية أن تصطف أي جماعة من المصلين لأداء الصلاة خلف (الراديو)!، ولا مانع من الذهاب إلى المساجد!! ومن أصر على أداء الصلاة في المسجد فيجب وضع كواتيم صوت زجاجية! على أبواب المساجد وشرفاته ونوافذه حتى لا نزعج الخواجة ديفيد وبطانته! ولله في مصر وخلقه شؤون!

تاريخ ١٧شعبان ١٤٢٥هـ - ١ أكتوبر ٢٠٠٤

# علاقة القاعدة بإيران
# تعليق على وثيقة للمخابرات الأمريكية

**د.هاني السباعي**

أفرجت أمس ١ نوفمبر ٢٠١٧ وكالة الاستخبارات الأمريكية عن وثائق متعلقة بتنظيم القاعدة، وكان ضمن هذه الوثائق؛ الوثيقة التي سأقوم بالتعليق عليها على النحو التالي:

**أولاً:** الوثيقة عبارة عن رسالة من ١٩ صفحة تاريخ كتابتها في شهرالمحرم ١٤٢٨هـ الموافق ٢٠٠٧ أي قبل ١١عاما حسب التقويم الهجري. أي أن الملا عمر والشيخ أسامة (تتقبلهما الله) وعدداً كبيراً من قادة القاعدة كانوا لايزالون أحياء. بالإضافة إلى أن الوثيقة كانت قبل ثورات الربيع العربي، فما حدث من تغيرات في سوريا واليمن وليبيا ومصر وتونس، كل هذه الأحداث بعد عام ٢٠١١.

**ثانياً**: الوثيقة منشورة بدون اسم أو لقب أو كنية؛ لكن من خلال سرد بعض الوقائع في موضوع الوثيقة قد يكون صاحب الرسالة قياديا جزائرياً أو ليبيا كان يقيم في الجزائر.

**ثالثاً**: لمن كتبت هذه الرسالة؟: كتبت لأحد المشايخ بالجزيرة بأرض الحرمين لتوضيح علاقة القاعدة مع إيران.

**رابعا**: الغرض من الوثيقة تبيين موقف تنظيم القاعدة والمجاهدين العرب من النظام الإيراني، وأنها كتبت للدفاع عن سمعة من لجأ إلى إيران. كاتب الرسالة يدافع عن بعض القيادات والأعضاء من تنظيم القاعدة والمجاهدين العرب الذين انسحبوا لإيران بعد الغزو الأمريكي لأفغانستان. فالعلاقة بين القاعدة وإيران كانت علاقة اضطرار.

### خامساً: الصدمة والترويع والتشتيت الذهني:

أوضح كاتب الرسالة أن القاعدة تلقت صدمة كبيرة ووقعت في ارتباك وتشتيت! حيث لم تكن القاعدة تتوقع ردة فعل أمريكا عقب الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ وأن القاعدة كانت تتصور أن أمريكا قد تضرب أفغانستان بعدة صواريخ كما فعلت من قبل عام ١٩٩٨ (يشير إلى عمليتي نيروبي ودار السلام، ورد فعل أمريكا حيث أمر كلينتون بتدمير مصنع الشفا للأدوية بالسودان، وبعض المعسكرات في أفغانستان بصواريخ كروز)، أو ستدعم أمريكا جبهة الشمال بقيادة أحمد شاه مسعود! ولن تجرؤ أمريكا على غزو أفغانستان!! وستخاف وستؤثر السلامة وتطلب المهادنة مع المجاهدين وينتهي الأمر!!. ويستدرك كاتب الرسالة من أنه لم يعرف ما كان يدور في ذهن الشيخ أسامة وتصوره لردة فعل أمريكا بالضبط لأنه لم يلتق به منذ ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وحتى الذين التقوا بالشيخ أسامة سألهم فقالوا له لم يكن الشيخ يتحدث في هذا الأمر.

**سادساً**: ذكر كاتب الرسالة أنه كان موجوداً في قندهار ليلة أصدر الملا محمد عمر (رحمه الله) قرار الانسحاب وتسليم قندهار لمجلس القبائل فانسحبوا لخوست وجرديز، ثم تناقش المجاهدون العرب والقاعدة حول الاختيارات المفضلة؛ إما إلى باكستان أو البقاء حتى الموت في أفغانستان فمعظمهم وعوائلهم انسحبوا لباكستان وظلت قلة منهم في أفغانستان.

**سابعاً:** مقترح التواصل مع حزب الله أو النظام العراق التي تم رفضه:

ذكر كاتب الرسالة أنه نتيجة الضربات الأمريكية المروعة جواً والقوات الأفغانية الموالية للغزو الأمريكي براً؛ تناقشوا في خوست حول إمكانية اللجوء لإيران؛ فاقترح أحدهم اللجوء لإيران عن طريق التواصل مع مندوب لحزب الله بإيران. واقترح آخر وهو الشيخ أبو مصعب السوري (فك الله أسره) اللجوء للنظام العراقي إبان حكم صدام لأنه يعرف بعض القيادات القديمة في النظام العراقي عندما كان لاجئاً في العراق بعد مذبحة خماة عام ١٩٨٢ فتم رفض الخيارين سواء الاتصال بحزب الله أو الاتصال بالنظام العراقي وكان

القرار هو الانسحاب لباكستان.

**ثامناً**: اللجوء لإيران: شرح كاتب الرسالة أن المجاهدين العرب اضطر عدد كبير منهم للانسحاب لإيران بسبب الحملات الأمنية للجيش الباكستاني والقبض على عشرات المجاهدين في باكستان.

**تاسعاً:** معاملة إيران للقاعدة والمجاهدين العرب: ذكر كاتب الرسالة أن الأمن الإيراني عاملهم معاملة حسنة، وكانوا يعتبرونهم أبطالاً ضربوا أمريكا، واشترطت المخابرات الإيرانية على من يمثلهم في تلك المرحلة للفوج الأول الذي انسحب لإيران وهو الشيخ «أبو حفص الموريتاني» ألا يستخدموا الهواتف لأن أمريكا تراقب الاتصالات، وألا يتحركوا جماعات في الشوارع والأماكن التي يسكنون فيها؛ لكن لم يلتزم الشباب خاصة صغار السن بهذه الشروط مما اضطر الأمن الإيراني إلى شن حملات اعتقال لهم، وأمرهم الإيرانيون بالرحيل إلى أي بلد يرونها والذي عجز أو رفض ظل في الحبس أو الإقامة الجبرية.

**عاشراً: طبيعة العلاقة بين إيران وأمريكا:**

ذكر صاحب الرسالة طبيعة العلاقة بين أمريكا وإيران وأنها علاقة عدائية حقيقية وليست صورية لكنها نفعية براجماتية.

**أقول:** هذا التصور مفهوم حتى مرحلة غزو العراق؛ لكن العلاقة بين إيران وأمريكا تغيرت إلى حد كبير رغم العداوة الظاهرة بينهما؛ فأمريكا هي التي مكنت إيران من السيطرة على العراق، ومكنتها من اليمن، وغضت الطرف عنها في البحرين، وأطلقت لها العنان في سوريا ولبنان! فأمريكا راجعت حساباتها مع إيران؛ فوجدت أن إيران أنفع لها من دول الخليج التي هي عالة على أمريكا والغرب! أمريكا تعي جيداً أن معظم الشعوب الإسلامية سنية، علاقتها مع إيران علاقة تضاد! لذلك تستخدم إيران فزاعة بغية تخويف المحميات الخليجية وابتزازها مادياً واحتلابها نفطياً. أمريكا تستخدم إيران لتمزيق العالم الإسلامي، والسيطرة على مقدراته وثرواته، والتحكم في معتقداته، بغية تقليل الخسائر المالية والبشرية الأمريكية ومن ثم لا تلجأ للتدخل العسكري المباشر إلا للضرورة القصوى

كما حث في أفغانستان والعراق، لا يتم تنفيذ المخططات الأمريكية إلا عن طريق إيران والمحميات النفطية الخليجية، وحكام بلاد المسلمين الذين هم الممر الآمن لأمريكا، والحارس الأمين للمصالح الأمريكية والغربية.

**حادي عشر**: أما كيف ينظر قادة القاعدة إلى إيران وأمريكا؛ فقد ذكر كاتب الرسالة أن القاعدة والمجاهدين يعتبرون إيران الرافضية عدواً مستقبلياً، ويعتبرون أمريكا عدوا حالياً، فأمريكا وإيران لايريدان بأهل السنة خيراً. أمريكا وإيران يتعاملان ببراجماتية نفعية مصلحية رغم وجود عداوة ظاهرة سواء كانت حقيقية أو صورية. لكن المتفق عليه بين أمريكا وإيران أنهما يبغضان أهل السنة.

**ثاني عشر: هل عرضت إيران على القاعدة ضرب أمريكا؟**

وذكر صاحب الرسالة أن المخابرات الإيرانية عرضت على شباب صغار عاديين خاصة من السعودية ذهبوا للجهاد ولم يرتبطوا بالقاعدة فكرة التدريب في معسكرات لحزب الله، ودعمهم بالمال والسلاح على شن عمليات ضد مصالح أمريكا في السعودية والخليج؛ لكن هؤلاء الشباب رفضوا. كما عرضوا على جماعة من الأوزبك بالدعم المالي والسلاح والإقامة في إيران مقابل ضرب المصالح الأمريكية في أوزبكستان حسب ماذكر كاتب الرسالة. فإيران مستعدة للتعاون مع أي شخص يريد ضرب المصالح الأمريكية فلايهم إيران اختلاف الدين أو المذهب. كما أن أمريكا مستعدة كذلك للتعاون مع أي شخص أو أي جماعة تضرب المصالح الإيرانية كما حدث مع جماعة من البلوش بشرط ألا يكون لأمريكا أو إيران أية علاقة مباشرة في مثل هذه العمليات حسب ما ذكر كاتب الرسالة.

**ثالث عشر: تغير موقف إيران بعد غزو العراق:**

لقد تغير موقف الحكومة الإيرانية من تسفير المجاهدين العرب، ومن اعتقلتهم من القاعدة بعد احتلال العراق عام ٢٠٠٣ وزوال نظام صدام، وعمليات المقاومة وظهور الزرقاوي (تقبله الله)، والقاعدة على الساحة العراقية، فأوقفت إيران إطلاق سراح من بقي من القاعدة واحتفظت بهم في السجن كورقة مساومة!.

### رابع عشر: لماذا لم تقم القاعدة بعمليات مسلحة ضد إيران؟:

برر كاتب الرسالة بأن السبب في عدم قيام القاعدة بعمليات مسلحة في إيران لما تمثله إيران من ممر ومعبر للمجاهدين في أفغانستان، وساحة دعم وحركة «لوجستيك»، وبسبب وجود أسرى لهم في السجون الإيرانية وهذا ما لاحظه كاتب الرسالة أن الشيخ أسامة كان لا يتكلم عن إيران والرافضة حفاظاً على الأسرى بالسجون الإيرانية. فالقاعدة كانت تتعامل مع إيران بالطرق الدبلوماسية في صفقات تبادل الأسرى بين القاعدة وإيران سواء في اليمن أو أفغانستان، لكن موقف القاعدة من الرافضة في العراق يختلف عنه في إيران؛ لذلك كان قادة القاعدة حسب ما ورد في الوثيقة؛ يرون أن كل ساحة لها ظروفها ومعطياتها التي تستوجب أحكاماً وسياسات مناسبة مما يندرج في السياسة الشرعية.

**خامس عشر:** ختم كاتب الرسالة بمعتقد القاعدة في إيران وهو معتقد أهل السنة في الشيعة؛ فالقاعدة ترى أن أئمة الرافضة زنادقة كفار، وأن كفرهم كفر ردة، والبعض من القاعدة له اختيار أن كفرهم كفر أصلي، وأما عوامهم فهم مسلمون من أهل القبلة على ما فيهم من ضلال لأنهم نشأوا على هذا الضلال الذي لايعرفون غيره، وبسبب الجهل والتلبيس؛ لايحكمون على عوامهم بالكفر إلا من تبين كفره بعينه حسب ما ذكر كاتب الرسالة. بالطبع هذه مسألة تحتاج لتفصيل مستفيض وليس مقامها في هذا التعليق.

ينبغي على من يعلق بالتحليل على هذه الرسالة، ويريد أن يسقطها على الواقع الحالي في إيران والعراق وأفغانستان وأرض الحرمين واليمن والشام ومصر ليبيا وغيرها، والمتغيرات التي حديث بعد كتابة هذه الرسالة؛ أن يأخذ بعين الاعتبار ما ذكرته في صدر هذا التعليق أن هذه الرسالة قديمة مر عليها ١١ عاماً.

### صفوة القول

كاتب الوثيقة برّأ القاعدة والمجاهين العرب من الموافقة على اقتراح التواصل مع منوب حزب الله في إيران، ورفضهم القاطع التواصل مع النظام العراقي إبان حكم صدام حسين.

كما برّأ كاتب الرسالة قادة القاعدة من الاتفاق مع إيران في ضرب المصالح الأمريكية لصالح إيران، وأن القاعدة والمجاهدين العرب والشباب الذين تصادف وجودهم في أفغانستان وانسحابهم لإيران التي تختلف عنهم عقدياً ومذهبياً كان من باب الاضطرار.

كما برّأ كاتب الرسالة موافقة بعض الشباب العاديين خاصة من السعودية من الموافقة على ضرب المصالح الأمريكية بالسعودية، والخليج لصالح إيران. وأوضح كاتب الرسالة سبب عدم استهداف القاعدة المصالح الإيرانية بعمليات عسكرية وبرر ذلك بوجود الأسرى في السجون الإيرانية والاستفادة من الأراضي الإيرانية كممر ومعبر للدخول والخروح من وإلى أفغانستان.

ينبغي على من يعلق بالتحليل على هذه الرسالة، ويريد أن يسقطها على الواقع الحالي في إيران والعراق وأفغانستان وأرض الحرمين واليمن والشام ومصر ليبيا وغيرها، والمتغيرات التي حدثت بعد كتابة هذه الرسالة؛ أن يأخذ بعين الاعتبار ما ذكرته في صدر هذا التعليق أن هذه الرسالة قديمة مر عليها ١١ عاماً.

هذا ما حضرني من تعليق على الوثيقة وبالله التوفيق

تاريخ صفر ١٤٣٩هـ الموافق ٢ نوفمبر ٢٠١٧

# فرسـان بالنهار... دعّار بالليل

د. هاني السباعي

يطل علينا من وقت لآخر بعض كراكيب الشيوعية وبقايا خردة الفكر اليساري وحثالة من شعارات بائدة لهيكل عظمي يسمى القومية العربية، يطلون عبر الفضائيات يحدثون ضجيجاً وعجيجاً يدافعون عن استسلامهم وانبطاحهم باسم «الواقعية» و «الرضا بالأمر الواقع الذي فرضه الإستكبار العالمي وفرضوه هم على أنفسهم، ويريدون أن تسلّم الأمة بالمكتوب الذي كتبه تتار العصر- الأمريكان -

لم يكتفوا بهذه المصيبة التي حلت على الأمة بسبب قيادتهم لأزمتها على طول الليالي... بل إنهم يعيبون على شباب المجاهدين الذين يدافعون عن عقيدتهم، وعن عرض أمتهم ؛ بالتهور، والتخلف واللاواقعية والإرهاب!

وإذا قيل لهم إن هذا هو الطريق الذي سيحررالأمة، يقولون ؛ لقد جربناه من قبل في الستينات والسبعينات ولم نفلح ولم نحقق شيئاً... فهم مناضلون بالمعاش!

إنها قسمة ضيزى أن نقارن بين الثرى والثريا... قسمة ضيزى أن نقارن بين من خرج مقاتلاً لاعلاء كلمة الله... وبين من خرج مقاتلاً لاعلاء قيمة أرض أو حزب أو زعيم؟!

كيف نقارن بين من ارتهن مصيره بأعداء الأمة سواء تحت راية شرقية أو غربية... وبين من كانت حياته ومماته ونسكه وصلاته وجهاده وصيامه وقيامه لله رب العالمين؟!

كيف نقارن هؤلاء بأولئك الشباب الذين خرجوا تحت راية الإسلام فقط... لم تدنس أفكارهم بطحالب الشيوعية السامة ولا بأحقاد المادية الغربية النكدة... رايتهم واضحة لا لون فيها إلا لون الإسلام؟!

كيف نقارن بين داعر... وبين عابد؟! هذا فارس وذاك فارس... لكن هذا داعر وذاك عابد!

ولن نذهب بعيدا ولنعقد مقارنة بسيطة بين رجلين، أو بين فريقين:

فهذا علي حسن سلامة... الفتى الأحمر... الفتى المدلل لياسر عرفات... الذي دوخ الموساد حسب الحكايات... كان مناضلاً بالنهار... عربيداً سكيراً بالليل! ناضل ليقال شجاع أو جرئ - وقد قيل! - قاتل لتكون كلمة فتح هي العليا! لم يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا... هذا الفتى الأحمر... لم تفارقه السيجار ولا ليالي بيروت الحمراء... وتزوج من ملكة جمال العالم جورجينا رزق في وقتها... ثم من بعدها سهل اصطياده وتم قتله بجواسيس الموساد...

أما على الجانب الآخر... فها هو ذا الفتى عياش... المهندس يحيى عياش... مثال للتواضع والأدب... مجاهد بالنهار... عابد بالليل... تربى في المساجد وفي بيوت الله... قاتل لتكون كلمة الله هي العليا... لم يعرف دخان الحانات الأزرق... ولا الخمر المعتق... ولا حتى سيجارة بلمونت! قتل أيضاً بالخيانة ولكن شتان بينهما...

هذا نحسبه قتل شهيداً، والآخر نحسبه قتل عربيدا!

وهذا شاعر القوم محمود درويش الذي ثار للأرض وبكى وأبكى وتغنى بالوطن السليب... محمود درويش الذي مقت الإحتلال اليهودي! انظر إلى تاريخه كانت رايته البكاء على الأرض لمجرد الأرض كقيمة لا يهمه من يعيش في الأرض ولا من يحكم تلك الأرض... لما وافق العدو اليهودي في فلسطين على انشاء حزب «راكاح» وهو الوجه الصهيوني الأحمر لعرب ١٩٤٨ بغية أن يكون هذا الحزب الناطق الوحيد باسم عرب ١٩٤٨.

بالطبع تم تأسيس هذا الحزب لخدمة الكيان المحتل لفلسطين ولبث الفرقة بين عرب ١٩٤٨ وعرب ١٩٦٧ المحتلة أيضاً، فانضم في هذا الحزب تحت راية الشيوعية عدد كبير من هؤلاء الثوريين اليساريين من أمثال ؛ أميل توما ورفيقه في الدرب الأحمر أميل حبيبي

وهم شيوعيان للنخاع... ومن هؤلاء الرفقاء أيضاً الشاعر سميح القاسم... وكان من أبرز المنضمين في عضوية هذا الحزب الشاعر الفلسطيني توفيق زياد الذي دبج القصائد لثورة الأرض والوطن! صار بعد ذلك عضواً في الكنيست وتم تعيينه رئيساً لبلدية الناصرة... هذا المناضل اليساري كان يستعدي سلطة العدو على الحركة الإسلامية في فلسطين، وكان يرى أنه واجب عليه أن يدافع عن أمن الدولة - دولة إسرائيل - طبعاً! وكان هو ورفاقه في حزب «راكاح» يحرضون سلطة العدو على ضرب الرجعيين - يعني الإسلاميين - وشنوا حملة لمقاومة المسلمين في الخليل والمثلث وأم الفحم... وطالب هؤلاء الرفاق وحزبهم الأحمر من سلطة الإحتلال ضرب أي مظهر من مظاهر التدين الإسلامي تحت مسمى شعار محاربة التطرف والرجعية!!

انظر نتيجة انضمام هؤلاء اليساريين إلى هذه الراية المشبوهة: لما سافر الشاعر الكبير جداً! لدى القوم محمود درويش إلى بلغاريا ممثلاً للشبيبة في حزب « راكاح « رفع علم ما يسمى بـ « دولة إسرائيل «... رغم أنه الشاعر الثائر الذي يثور للأرض ويبكى لأيام الصبا والطفولة البائسة تحت بندقية الإحتلال...

هذا قليل من كثير من تاريخ هؤلاء المناضلين الحمر! هؤلاء الذين ساروا على تثبيت فكرة التقدمية وتوطيد الأفكار اليسارية لتثبت فكرة الإستعمار والإحتلال في نفوس الأمة وخاصة في أهل فلسطين...

وهناك العشرات من هؤلاء المناضلين من أجل إعلاء كلمة منظمتهم أو لإعلاء شأن زعيمهم... إذا أردت أن تبحث عنهم تجدهم في مراقص شارع الهرم، حيث الدخان الأزرق والنوم تحت سيقان العاهرات... حتى قيل «وراء كل مناضل يساري راقصة!»، هذا معبدهم وتلك عبادتهم، بل إن منهم من كان يعمل مناضلاً مزدوجاً للحبيب وللعدو! فبندقيته جاهزة لمن يدفع أكثر!

هؤلاء المناضلون بالمعاش! لا يستحون، فرقوا دينهم شيعاً، وأحلوا قومهم دار البوار ورغم ذلك يتبجحون!

عارٌ على الأرض كيف الرجسُ ضاجعها ※※ كيف استوى عندها العنينُ والرجلُ

إذن الإسلام وحده كفيل بلم الشمل وتوحيد الكلمة ودحر الأعداء...

وإلا فبماذا نفسر هذا التجمع العجيب:

من الذي جمع المصري والماليزي والليبي والأندونيسي والتونسي والصيني والمغربي والطاجيكي والجزائري والباكستاني وأهل الحجاز واليمن وأهل الشام وفلسطين وسنغافورة والصومال وتريندات وأهل ماوراء النهر... من الذي جمع كل هذه الخلائق في هذا الجهاد العظيم ضد أعداء الأمة... رغم تشرذم حكوماتهم وتناحر وتآمر رؤسائهم! اجتمعوا جميعاً تحت راية القرآن...

وهذا ما لم تفهمه أو تريد ألا تفهمه قوى الشر في العالم، وخصوصاً أصحاب الرايات الحمر! أتباع كل ناعق وزاعق... هؤلاء الذين تخبطوا وتشرذموا تحت كل راية عوجاء، مرة راية القومية العربية التي تسببت في ضياع فلسطين واحتلال أراضي الدول التي كانت ترفع عقيرتها بهذا الشعار المخذول... القومية العربية التي أفرزت سلخاً من قوميات مخذولة أيضاً كان الإسلام قد صهرها، وقضى عليها يوم أن كان في سدة الحكم... ثم ها هو ذا العالم الإسلامي يعيش تحت نعرات جاهلية ؛ هذه قومية طورانية وتلك قومية فارسية وبنجولية وأخرى بربرية وصاحبتها أمازيغية وفي السودان قومية زنجية... وهلم جرا... قوميات ظهرت وفتن أطلت برأسها كرد فعل لظهور راية القومية العربية التي لم تفلح أبداً حتى في توحيد عزبة صغيرة!

أما على الجانب الآخر:

هناك مجاهدون تعرفهم بسيماهم من أثر السجود، لن تجد مشقة في البحث عنهم، هم أهل المساجد وحملة القرآن... ركبوا الجبال وامتطوا الفيافي والقفار... هم أهل الثغوروحماة الإسلام... تركوا عيش القصور ونعيمها إلى وحشة الكهوف وشظف العيش حيث لذة الجهاد ونيل الشهادة في سبيل دينهم... الصوم زادهم... والعفة غذاؤهم...

رهبانٌ بالليل... فرسانٌ بالنهار... هم الذين خرجوا للذود عن دينهم يوم أن قعد الناس... بذلوا أرواحهم رخيصة في سبيل الله وحده لا غيره... هم الذين رفعوا رأس أمتنا وقت ضعفها وانكسارها... هم مادة الإسلام وعموده المتين... هم الطائفة المباركة التي شرفها رسولنا صلى الله عليه وسلم بقوله: (لاَ يَزَالُ مِنْ أُمَّتِى أُمَّةٌ قَائِمَةٌ بِأَمْرِ اللَّهِ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلاَ مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ)...

هم الفرسانُ بحق... ولا فرسان غيرهم.

لم لا وهم؛ فرسانٌ بالنهار... رهبانٌ بالليل.

# قرابين على عتبات الناتو
# المصير المخيف المجاهدون الليبيون

**د. هاني السباعي**

الحمد لله الذي أحيانا لنرى نهاية الطغاة وتهاوي عروشهم؛ تلكم العروش التي شيدت على أشلاء وجماجم الأبرياء! لقد عاصرنا وشاهدنا بفضل الله تعالى بداية ونهاية أنظمة طاغوتية فاسدة مفسدة مستكبرة في الأرض! (نظام مبارك - نظام زين العابدين - نظام القذافي)، هذه الأنظمة التي التي جثمت على صدور أمتنا، ونهبت خيراتنا وبددت ثرواتنا، وكممت الأفواه وسجنت الأحرار، وقتلت خيار أبنائنا ومشايخنا، وانتهكت أعراض العفيفات، وباعت البلاد والعباد لأعداء الأمة بثمن بخس! إنها حثالة من سلالة الخبث والخيانة قد استولوا على سدة الحكم وولغوا في دم شعوبهم، واغتصبوا حق الأمة بشعارات زائفة وبحماية قوى الاستكبار في الشرق والغرب!

لقد وصل هؤلاء الحكام إلى حكم بلاد المسلمين على حين غفلة من أمر أمتنا!

فالحمد لله ثم الحمد لله أن أذهب الله الخوف عن هذه الشعوب التي كانت ترزح تحت نير قوى البطش والظلم من قطعان الأمن وجلاوزة التعذيب!

الحمد الله الذي أذاق هؤلاء الحكام كؤوس الذل والهوان! و لكي تعلم شعوبنا المسلمة أن الله رب هذا الكون وأنه المالك المتصرف في ملكوته! وأن هؤلاء الحكام الظالمين بشر؛ وأن عروشهم أهون من خيط العنكبوت! وأن الله من ورائهم محيط!

بعد هذه التقدمة فسأستعرض مقالي هذا على النحو التالي:

أولاً: لماذا ليبيا وليس تونس أو مصر ولهما الأسبقية في الثورة الشعبية؟

ثانياً: ماذا عن مصير المجاهدين الليبيين بعد أن تضع الحرب أوزراها؟

ثالثاً: **صفوة القول.**

أولاً: لماذا ليبيا وليس تونس أومصر ولهما الأسبقية في الثورة الشعبية؟

وهو عبارة عن عدة محاور:

المحور الأول: تونس ومصر:

لقد تم إزاحة النظامين في تونس ومصر بحركة احتجاج شعبي سلمي وليس نتيجة حركة عسكرية مسلحة! نعم! لقد قتل مئات وجرح آلاف من المتظاهرين في تونس ومصر لكن ليس بعفل الجماهير بل جراء عدوان قوات أمن النظامين! لم تكن هناك راية واضحة إلا راية المطالبة برفع الظلم وتحسين أوضاع الناس الحياتية ثم تطور الشعار عقب بطش قوة الأمن إلى المطالبة برحيل رأس النظام! ففر زين العابدين إلى الرياض! وخلع حسني مبارك في مصر! واضطر الجيش في البلدين أن ينضموا لمطالب الثوار أو بالأحرى اختطاف الثورة الشعبية وتحويل مسارها والاستجابة لمطالب الجماهير الثائرة مع كل حشد مليوني!

فصار العسكر يمنحون الشعوب بعض حقوقهم بالقطارة! نقطة نقطة! أو قطعة قطعة!! ولذلك لا نجد تغييراً حقيقياً في تونس ومصر فلا يزال العسكر والبكاؤون العلمانيون يمسكون بزمام الأمور! وهكذا قد اختطفت الثورة وصارت عبارة عن حركة احتجاجية كبيرة طالبت بتغيير رأس النظام فتغير وزال! ولكن بقيت له رؤوس وأذرع في معظم مؤسسات الدولة الحيوية!

ولما كانت الدول الغربية مطمئنة على مصالحها فمن ثم أعلنت ترحيبها بخيار الشعبين التونسي والمصري نظراً لتأكد الدول الغربية من وجود العسكر باعتبارهم الحارس الأمين على المصالح الغربية وحماية الكيان الغاصب لفلسطين! فلا عجب أن يشيد أوباما والاتحاد الأوروبي بالأنموذجين التونسي والمصري!

المحور الثاني: اليمن:

أما في الدول الأخرى الملتهبة شعبياً مثل اليمن وسوريا وليبيا! فهذه أنظمة قمعية بوليسية شمولية تشترك في أنها عبارة عن حكومات قبلية عائلية طائفية! فمؤسسات الدولة ليست مستقلة كما في مصر وتونس!

ففي الأنموذج اليمني؛ الشعب مسلح تقليدياً، وأنه يتظاهر منذ أكثر من ستة أشهر! ولكن ثورته لم تنجح في تغيير نظام علي عبد الله صالح! رغم أنه أضعف الثلاثة وأهونهم!

بالإضافة إلى أن السلطات مجتمعة؛ جيش، وشرطة، ومجالس تشريعية ومحلية، ومراكز اقتصادية واجتماعية في أيدي علي عبد الله صالح وأبنائه وأعمامه وخؤلته وعشيرته! فلم يتمرد عليه الجيش ولم يؤثر انشقاق أحد الضباط الكبار وبعض الفصائل في الجيش!

لماذا؟ لأن الجيش اليمني خليط من العشائر والقبائل والطوائف التي تتحكم فيهم القبلية والمصلحة ومدى ارتباطهم بنظام الحكم!

فولاء الجندي في الغالب لشيخ القبيلة وليس بالضرورة للضابط الذي يترأسه في كتيبته! ومن ثم لا نجد أثراً لهذه التظاهرات المليونية في صنعاء وعدن وتعز وغيرها! كما كان الأثر واضحاً في تونس ومصر رغم أن الشعبين التونسي والمصري ليسوا مسلحين! لكن قيادة الجيش ليست عشائرية ولا طائفية وتعمل فقط مع مصلحتها! لما رأت قيادة الجيش في تونس ومصر أن مصلحتها مع الجماهير الثائرة؛ أجبرت الرئيسين بالتخلي عن السلطة؛ أحدهما بالهروب! والآخر بالخلع!

كما أننا نجد أن الدول الغربية وأمريكا لا تزال تدلل علي عبد الله صالح ونظامه! ولم تشهر له العصا الغليظة المساة بالعقوبات الدولية ومطاردات المستر أوكامبوا المدعي العام للمحكمة الجنائية الدولية؛ مستر أوكامبو المتخصص في ترويع الحكام العرب ودول العالم الثالث!!

بالطبع سكوت أمريكا والغرب ليس حباً في علي عبد الله صالح!

ولكن نظراً لموقع اليمن الجغرافي؛ وتشابه الطبيعة الجبلية الصالحة لشن حرب عصابات كما في أفغانستان، وموقع اليمن المتاخم للخليج وآبار النفط، والقواعد الأمريكية في العراق والخليج العربي، واشتراك السكان مع الدول المجاورة في الخليج والجزيرة؛ ديانة ولغة ولونا وعادات وتقاليد! بالإضافة إلى قرب اليمن بالقرن الأفريقي، ووجود العمود الفقري لتنظيم قاعدة الجهاد في الجزيرة العربية ومقرهم الرئيس في اليمن ويخشون من إعلان إمارة إسلامية في اليمن ولو كانت صغيرة!، وتواصل الحركات الإسلامية الجهادية مع شباب المجاهدين في الصومال والخوف من تهديد البوارج الحربية والمصالح الغربية عبر السفن العابرة لمضيق باب المندب! كل هذه العوامل وغيرها تحجم الإدارة الأمريكية في الضغط على عبد الله صالح وإدانته والاستجابة للجماهير الثائرة!

لكن أمريكا تعلم أن الشعوب تصمت كثيراً ولكنها إذا ثارت فإنها لا تبقي ولا تذر! ولن تهتم هذه الجماهير بهذه الحسابات الأمريكية والتقارير الاستخباراتية! فإذا ما تمخض الزلزال فإنه يدمر ويبتلع كل شئ في محيطه!.. لذلك نجد أن أمريكا أوكلت حكومة الرياض بتجهيز البديل المرضي عنه ليؤدي نفس الدور الخسيس الذي كان يقوم به حفيد أبي رغال علي عبد الله صالح!!

المحور الثالث: سوريا:

أما الحالة السورية فهو نظام طائفي نصيري تدثر بعباءة البعث القومي وبشعار جبهة الصمود والمقاومة! فنفس هذا النظام الطائفي الدموي هو الذي أباد أكثر من ثلاثين ألف مسلم في حماة عام ١٩٨٢م! على مرأى ومسمع العالم! لكن الذي تغير أن نفس هذا الشعب السوري المقموع أصابته عدوى الثورات في تونس ومصر فتشوفت نفسه لنسيم التغيير! فتظاهر سلمياً في درعا وغيرها من المدن ثم تكررت ملحمة حماة مرة أخرى!

ونظراً لأن الشعب السوري في أيامنا لديهم هواتف نقالة وصور متحركة ووسائل اتصال حديثة استطاع أن يوصل هذه الصور عبر وسائل العالم!

فما كان من الأمريكان والقادة الغربيين إرضاء للرأي العام الغربي إلا التنديد بالنظام السوري والمطالبة بتنحي بشار الأسد!

ولكن ليس بالجدية التي فعلوها مع القذافي! فالحالة السورية التي خدمت مصالح الغرب والكيان الغاصب لفلسطين طويلاً تحتاج إلى العمل بتؤدة ومهل! على طريقة خطوة خطوة!!

فالغرب الآن يعد البديل الذي يطلب منه حفظ حدود الكيان الغاصب لفلسطين وبقاء الجولان كما هي! والبقاء على ترويض المنظمات الفلسطينية بجميع طوائفها في بلد جبهة الصمود الكرتوني! والتشديد على مصطلح خيرا السلام الاستراتيجي!

وسيكون دور تركيا في هذه المرحلة هاماً بل سيكون أقوى من دور آل سعود المعهود تاريخيا! وستطبخ في استنبول البدائل الجاهزة كحكام جدد لسوريا الجديدة!

لذلك فبعد إعداد البديل المناسب وإرضا قادة (إسرائيل)! عن النظام الجديد الذي سيتم تسويقه عالمياً! سيستخدم الغرب نفس عصا مجلس الأمن والمستر أوكامبو! وحلف النيتو الذي كان عاطلاً عن العمل قرابة أربعين سنة! ومع أول تجربة له في أفغانستان فشل فشلاً ذريعاً راجع خسائره اليومية!! لكنه في ليبيا نجح لأنه يقاتل من الجو فقط!

المحور الرابع: ليبيا:

أما في الحالة الليبية وهو موضوع هذا المقال؛ فالأمر متشابه في بدايته أي قيام حركة احتجاجية سلمية في ١٥ فبراية ٢٠١١م ثم تطور الأمر حتى استخدم نظام القذافي وكتائبه العنف والقتل ضد المتظاهرين فكانت الانطلاقة بتاريخ ١٧ فبراير ٢٠١١م.

وتدخلت فرنسا وبريطانيا وأمريكا لدى الأمم المتحدة وفرضت حظراً للسفر وتجميداً للأموال على القذافي وأبنائه وكبار قادته، ثم أعقبه حظر طيران نظام القذافي في الأجواء الليبية! وقامت أمريكا بالمهمة في بدايتها ثم أسندت العلميات لحلف النيتو!

ثـم حدثـت انشـقاقات لـدى كتائـب القذافـي وكبـار قادتـه العسـكريين مثـل اللـواء عبـد الفتـاح وانضـم إلـى المجلس الوطنـي الانتقالـي فـي شـهر فبرايـر ٢٠١١م ويعتبـر أكبـر شـخصية عسـكرية انضمـت للثـوار.. وكذلـك انشـق عـدد كبيـر مـن الضبـاط والجنـود وانضمـوا إلـى الثـوار فـي بنـي غـازي. ثـم توالـت الانشـقاقات مثـل موسـى كوسـا وزيـر خارجيـة نظـام القذافـي ورئيـس المخابـرات السـابق، ثـم عبـد السـلام جلـول قبيـل سـقوط طرابلـس والحبـل علـى الجـرار!!

وقبيـل ذلـك تـم تشـكيل المجلـس الوطنـي الانتقالـي والاعتـراف بـه دوليـاً بقيـادة المستشـار مصطفـى عبـد الجليـل وزيـر العـدل السـابق فـي نظـام القذافـي.

وفـي نفـس الوقـت تـم تسـليح الشـباب الليبـي الثائـر وفـي مقدمتهـم شـباب الحـركات الإسـلامية التـي كـان القذافـي قـد قمعهـا إبـان حكمـه، وكـان علـى رأس هـذه الحـركات الإسـلامية الجماعـة الإسـلامية المقاتلـة التـي كـان معظـم قادتهـا فـي السـجون الليبيـة، وقـد خـرج كثيـر منهـم قبيـل الثـورة وانضـم إليهـم عـدد كبيـر مـن الليبييـن الذيـن عـادوا مـن خـارج ليبيـا مـن أوروبـا وأمريـكا والـدول العربيـة وغيرهـا! وقسـموا أنفسـهم عـدة ألويـة وكتائـب مثـل كتيبـة الشـهداء بطرابلـس بقيـادة أنيـس الشـريف، وآمـر لـواء طرابلـس ورئيـس المجلـس العسـكري فـي طرابلـس عبـد الحكيـم بلحـاج الـذي كـان أميـر الجماعـة الإسـلامية المقاتلـة فـي باكسـتان وأفغانسـتان وبعـد احتـلال القـوات الصليبيـة الغازيـة لأفغانسـنان عـام ٢٠٠١م خـرج مـن أفغاسـتان عبـر عـدة دول حتـى خطـف مـن بانكـوك وسـلم إلـى ليبيـا عـام ٢٠٠٤م علـى متـن طائـرة خاصـة! وهـا هـو ذا بعـد أن أطلـق سـراحه قبيـل الثـورة يقـود ألويـة المجاهديـن!..

بواعث الخوف:

قبـل الخـوض فـي السـيناريو المخيـف والمصيـر المجهـول للمجاهديـن المشـاركين فـي تحريـر ليبيـا مـن نظـام القذافـي؛ نسـلط الضـوء علـى بعـض التصريحـات التـي تعتبـر بمثابـة التمهيـد لمقصلـة جديـدة لهـؤلاء المجاهديـن:

(أ) بتاريخ ٢٨ يوليو ٢٠١١م:

أعلن المستشار مصطفى عبد الجليل رئيس المجلس الانتقالي الليبي المعارض عن مقتل رئيس أركان قوات المعارضة اللواء عبد الفتاح يونس مع اثنين من رفاقه. وحسب وكالات الأنباء فقد قال عبد الجليل ان يونس كان متوجها إلى اجتماع مع لجنة تحقيق بعد استدعائه حول بعض الأمور المتعلقة بالشؤون العسكرية عندما تعرض إلى اطلاق نار من قبل أحد افراد مجموعة.

وذكرت الأنباء ان يونس كان قد اعتقل من قبل معارضين مسلحين لاستجوابه حول علاقات مشبوهة مزعومة لبعض افراد اسرته مع نظام الزعيم الليبي معمر القذافي.

ويعرف عن اللواء يونس أنه كان أحد الضباط الذين شاركوا في انقلاب سبتمبر/ ايلول الذي قادة القذافي واطاح بالحكم الملكي السنوسي في عام ١٩٦٩. وأصبح من أقرب مستشاري القذافي لمدة أربعة عقود، ورقي إلى رتبة لواء وتولى لفترى تدريب القوات الخاصة التابعة للقذافي، وعين وزيرا للداخلية وهو المنصب الذي شغله حتى انشقاقه عن النظام في ٢٢ فبراير/شباط ٢٠١١ إثر اندلاع الثورة في ليبيا. ثم عين قائدا لقوات المعارضة الليبية في أبريل/نيسن ٢٠١١ لكنه تعرض لتشكيك من بعض الأوساط في ولائه للمعارضة بسبب صلاته بالقذافي.

وقد اتهمه الثوار بأنه عميل مزدوج في المجلس الانتقال وكانوا يرفضون تلقي أوامره واتهموه بوجود اتصلات بينه وبين عملاء القذافي في أوروبا.. ثم قاموا بتصفيته! فلما علم مصطفى عبد الجليل بأن وراء علية قتل اللواء عبد الفتاح يونس بعض الثوار الإسلاميين! صرح في وسائل الإعلام بأنه لا يشرفه أن يكون رئيساً لمجس يرأس هذه الجماعات الإسلامية المتطرفة! ووصمها بالهمجية! وبلغة تحريضية واضحة!

(ب) بتاريخ ٢٠ رمضان ١٤٣٢هـ الموافق ٢٠ أغسطس ٢٠١١م:

في خبر عادل على محطة الجزيرة أعلن عن بدء ساعة الصفر من داخل طرابلس حيث شرع الثوار داخل طرابلس عن ثورتهم! مع تكبيرات المأذن قبيل صلاة المغرب! ثم

استضافت محطة الجزيرة شخصاً ملتحياً يرتدي لباساً عسكرياً قدمته الجزيرة بصفته آمر لواء طرابلس وكان هذا الشخص هو المهندس أو الشيخ عبد الحكيم بلحاج! الذي كان يكنى بأبي عبد الله الصادق وكان أميراً للجماعة الإسلامية المقاتلة! وكان في حواره مع قناة الجزيرة يتكلم بثقة وبلغة عربية سليمة مشفوعة بآيات قرآنية وأحاديث نبوية سلسة، وذكر أنهم اتفقوا مع الثوار في داخل ليبيا عل ساعة الصفر وأنهم قد أعدوا خطة محكمة لتحرير طرابلس وأطلقوا على عملية التحرير (فجر عروس البحر المتوسط) وكانت ساعة الصفر في ٢٠ رمضان ١٤٣٢هـ استبشاراً بفتح مكة في ٢٠ رمضان سنة ٨ هـ!!

(ب) ظهور عبد الحكيم بلحاج أثار حفيظة العلمانيين:

بالطبع قبل ظهور الشيخ عبد الحكيم بلحاج في قناة الجزيرة كقائد مشارك أصيل في تحرير ليبيا كان المتربصون بالإسلام قد أصابهم غم وهم بسبب رؤية الثوار وهم يصلون ويهللون ويكبرون وهم يغنمون أسلحة وعتاداً من كتائب القذافي! فأطلت أبواق البوم! تحذر من قوة الإسلاميين المجاهدين! وكان القذافي يخوف الغرب من الإسلاميين ويصمهم بعبارات نابية! ظل القذافي وابنه يصرخان: القاعدة في ليبيا! يريدون أفغنة ليبيا!! ورغم أن الدوائر الغربية لم تحمل تحذيرات القذافي محمل الجد! إلا أن هذا لا يعني أن الاستخبارات الغربية نائمة! بل مكر الليل والنهار!

(ج) بتاريخ ٢١ أغسطس ٢٠١١م:

عبد الرحمن شلقم الذي شغل عدة مناصب في نظام القذافي من سفير لوزير لمندوب دائم في الأمم المتحدة ثم انشق على القذافي! والشاهد هنا ما صرح به في لقاء في قناة الجزيرة عندما سئل عن آمر لواء طرابلس عبد الحكيم بلحاج؟ تكلم عنه بازدراء! وقلل من شأن عبد الحكيم ونفى أن يكون قائداً للواء طرابلس وذكر أنه مجرد جندي فقط ! وانه بعد التحرير سيرجع إلى عمله كمزارع!! وفي نفس اللقاء استنكر أنيس الشريف مسئول كتيبة الشهداء بطرابلس قول عبد الرحمن شلقم وقال هذه نظرة استقصائية! ثم أكد أنيس أن عبد الحيكم قائد فعلي وآمر للواء طرابلس للثوار والمجلس الانتقالي في بني غازي يعلم ذلك!!.

(د) بتاريخ ٢٢ أغسطس ٢٠١١م:

في حوالي الساعة الثانية وعشرين دقيقة صباحا وفي اتصال قناة الجزيرة بالمستشار مصطفى عبد الجليل رئيس المجلس الانتقالي أثناء تعليقه على مكالمة هاتفية لمحمد معمر القذافي لقناة الجزيرة وأنه يطالب الأمان أثناء حصار بعض الثوار لمنزله! كان من بين تعليقات عبد الجليل وتشنجه: أنه لا يشرفه أن يكون رئيساً لهذه الجماعت الإسلامية المتطرفة!! وأنه سيستقيل إذا استمرت هذه الجماعات المتطرفة! وكرر نفس عباراته التي صرح بها عقب مقتل اللواء عبد الفتاح يونس!

(هـ) بتاريخ ٢٢ أغسطس ٢٠١١م:

دخل الثوار الساحة الخضراء التي غيروا اسمها إلى ساحة الشهداء وهو الاسم القديم لنفس هذا الميدان! وكان على رأس هؤلاء الثوار الشيخ عبد الحكيم بلحاج وصرح من نفس الميدان ببشائر النصر والتمكين وأنهم لا يزالون يطهرون بعض الجيوب التي يختبئ فيها فلول نظام القذافي وكتائبه والطأبور الخامس من اللجان الثورية الموالية للقذافي!!

(و) بتاريخ ٢٣ أغسطس ٢٠١١م:

اقتحم الثوار حصن الباستيل!! باب العزيزية وهي القلعة الحصينة التي نسج إعلام القذافي حولها الأساطير بغة تخويف الشعب الليبي المسلم!! فها هم أولاء الثوار يقتحمون ويفتحون منطقة العزيزية قلعة السفاح؛ تلكم المنطقة التي التي احتمى بها القذافي على مدار ٤٢ سنة! فدخلها الثوار مكبرين ومهللين! وإذا مراسل قناة الجزيرة عبد العظيم محمد يجري لقاء مع الشيخ عبد الحكيم بلحاج من وسط قلعة العزيزية!! وفي نفس الليلة يستضف مراسل قناة الجزيرة قائداً إسلامياً آخر من الثوار اسمه أحمد الساعدي آمر كتيبة ١٧ فبراير وهو أول من دخل قلعة العزيزية!! وصرح الساعدي أنهم وجدوا بعض عوائل كتائب القذافي من نساء وأطفال وأشاروا إليهم فلم يقتلوهم ولم يصيبوهم بأذى!!

الشاهد من ذكر ما سبق:

من تصريحات وظهور بعض الإسلاميين كقادة داحرين لكتائب القذافي، ومشاركين في تحرير ليبيا من نظام القذافي ومرتزقته!

فلم يتحمل العلمانيون وأزلام النيتو هذا الظهور وهذه القوة الميدانية لهؤلاء الإسلاميين! فقد وصل التحريض المبطن من بعض وسائل الإعلام وخصوصاً محطة العربية! التي كانت تكرر أسئلة على الضيوف حول مصير هذه الأسلحة في أيدي هؤلاء الثواروالحركات الإسلامية المتطرفة!! وحاولت التقليل من شأن دخول الثوار طرابلس وفتحها! وتسليط الضوء على هروب محمد معمر القذافي، وخبر ظهور سيف الإسلام القذافي الذي لم يعتقل بعد أن كان مصطفى عبد الجليل قد صرح باعتقاله!

وبتاريخ ٢٢ أغسطس ٢٠١١م صرح أيضاً مذيع قناة الجزيرة محمد كريشان وهو احد العلمانيين القوميين! أثناء تغطيته لدخول الثوار طرابلس ومداخلة محمد القذافي عبر الهاتف حيث وصف كريشان المجاهدين بالمتطرفين الإسلاميين!

وهكذا فإننا نجد استنفاراً علمانياً لهؤلاء اللادينيين المنتسبين لهذه الأمة حيث يتميزون غيظاً من ظهور هؤلاء الإسلاميين كقادة ميدانيين محررين ولديهم أسلحة وعتاداً ومعنوياتهم مرتفعة جداً! ولأن هؤلاء اللادينيين ومن على شاكلتهم! يعتبرون أنفسهم أوصياء على أمة الإسلام التي لم تبلغ الرشد بعد حسب زعمهم! فإنهم يستخدمون أسلحتهم الإعلامية وعلاقاتهم بحلف النيتو والأمريكان في التحريض ضد المجاهدين أينما كانوا!

ولأن جماعات الضغط اللادينية المنتشرة في العالم الإسلامي قاصرة مفلسة! لم تقدم للأمة على مدار قرن مشروعاً يصلح شأن هذه الأمة ويخرجها من تبعية قوى الاستكبار الغربي! فعلى سبيل المثال المشاريع المدمرة والمشرذمة للأمة: مشروع القومية العربية وخيارات الناصرية التي هزمتها عصابات الهاجاناة واستولت منها على فلسطين في ١٩٤٨م ١٩٦٧م وضمت والجولان وسلمت سيناء منزوعة السلاح بعد صلح هزيل مهين! ومشاريع حزب البعث وتعاليم الرفيق مشيل عفلق وقتل الرفقاء في العراق وسوريا! وتقسيم اليمن

والمجازر التي شنتها العصابات الشيوعية والأحزاب الحمراء! وهزائمهم المتكررة في كل حرب خاضوها حتى حرب العاشر من رمضان الموافق السادس من أكتوبر ١٩٧٣م التي انتصروا فيها أول النهار بصيحات الله أكبر خسروها آخره! لقد ضاعت فلسطين والعراق بأيديهم! ناهيك عن أفغانستان وغيرها!!

ولأنها تخشى أن تتعاطف معهم جماهير الأمة في ليبيا وغيرها! فإن هذه الجماعات اللادينية لا تحسن إلا التحريض علانية في وسائل الإعلام المختلفة وكتابة التقارير السرية لبعض الحكام وأجهزة الاستخبارات الغربية، وحض هذه الأجهزة على الحرب الاستباقية، والاجهاز المبكر على أي مشروع إسلامي يظهر على الساحة ولو على استحياء!!

ثانياً: ماذا عن مصير المجاهدين الليبيين بعد أن تضع الحرب أوزارها؟

كنا نتمنى ولكن:

قبل أن تكلم عن هذا المصير المخيف أو السيناريو المشؤوم فإنني أقول: نحن أشد الناس فرحاً بزوال الطواغيت وهوانهم! نحن أشد الناس فرحاً بزوال نظام الزنديق القذافي وكتائبه التي عاثت في الأرض فساداً!

لكننا كنا نتمنى أن يتم ذلك التحرير والتخلص من نظام القذافي وكتائبه بسواعد الشعب الليبي المسلم، وعلى رأسهم الجماعات الإسلامية المجاهدة وليس بمساعدة حلف شمال الأطلسي ومجلس الأمن والاتحاد الأوروبي!

كنا نتمنى أن يكون تحرير ليبيا من نظام القذافي بعد توفيق الله بأيدي المجاهدين وحدهم! ولكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه!

لذلك فإنني أزعم أن هذا النصر على نظام القذافي سيعكره مساعدة خلف النيتو والدول الغربية التي شاركت في الضربات الجوية والعسكرية! بالإضافة إلى القوانين التي فرضها النظام الدولي على نظام القذافي ومتابعة المحكمة الجنائية الدولية له ولأبنائه ولكبار قادته!

جدل افتراضي بين الثوار والناتو:

فهذا النصر الذي حدث شارك فيها طرفان:

الطرف الأول: فعلى أرض المعركة والميدان قام بهذا التحرير أبناء الشعب الليبي ورأس حربتهم الحركات الإسلامية بسبب خبرة قادتها في الجهاد في أفغانستان والشيشان والبوسنة وساحات جهادية أخرى.

الطرف الثاني: حلف شمال الأطلسي والاتحاد الأوروبي على رأسهم أمريكا وفرنسا وبريطانيا ثم إيطاليا وألمانيا بالإضافة إلى بعض الدول العربية التي كان له دور بارز إعلاميا وماديا مثل قطر ودولة الإمارات العربية المتحدة.

فهذان الطرفان مشاركان في هذا النصر!

فلو ادعى الطرف الأول: أنه من حقه حكم البلاد بالشريعة الإسلامية ونبذ القوانين المخالفة للإسلام لأنه لولاه ما تحقق النصر فهم الذين خاضوا المعارك بأنفسهم وهم الذين ضحوا وقتل خيارهم فدماؤهم روت تراب ليبيا! ومن ثم فهم أحق بالملك وأولى بالغنيمة من غيرهم؛ فالأرض أرضهم والبلاد بلادهم! ولم يقاتل معهم مرتزقة ولا أي جندي من حلف النيتو وغيره!

أما الطرف الآخر وعلى رأسه حلف النيتو: سيرد عليهم لولا أننا وفرنا لكم الغطاء القانوني والعسكري ما استطعتم أن تخرجوا من بني غازي! وكان في إمكان كتائب القذافي وعتادهم أن يجعلوا بني غازي قاعاً صفصفاً! فلولا ضرباتنا الجوية وقنابلنا العملاقة الدقيقة التي كانت تضرب تحركات كتائب القذافي حيثما كانوا!! ما استطعتم التحرك على الأرض! لولا ضرباتنا الجوية المتكررة على قلعة السفاح في معقله في باب العزيزية ما اا‌ستطعتم دخولها!!

وهل تظنون أن حلف النيتو والدول الغربية شركات خيرية! ينفقون كل هذه الأموال الطائلة خلال ستة أشهر ثم تطالبون بحكم ليبيا بالشريعة الإسلامية! وتريدون رفع راية

التوحيد! فأنتم واهمون! فحصة الأسد من الغنيمة للنيتو وحلفائه! وما يبقى من فتات وعظم يوزع على المجلس الانتقالي الذي يدين بديمقراطيتنا وطرائقنا في الحكم! وإذا دخلتم في حلفنا ورضيتم بطريقتنا فلكم حصة في الغنيمة!!

وبعد هذا التطواف حول الجدل الافتراضي بين الطرفين فإن مصير المجاهدين المشاركين في تحرير ليبيا من طغيان القذافي وكتائبه يتوقع أن يكون على النحو التالي:

التوقع الأول: تكرار سيناريو مأساة المجاهدين في البوسنة:

من منا لا يتذكر اتفاقية دايتون عام ١٩٩٥م وتعرف باسم اتفاقية دايتون للسلام، التي انتهى بموجبها الصراع المسلح في البوسنة والهرسك من ١٩٩٢م حتى عام ١٩٩٥م. وكان قد وقع فيها الأطراف المشاركة في الاتفاقية بالأحرف الأولى في ٢١ نوفمبر ١٩٩٥م في قاعدة رايت بيترسن الجوية قرب مدينة دايتون الأمريكية. وقد ترأس الوفود المشاركة كل من سلوبودان ميلوسيفيتش رئيس صربيا، وقد اعتقل فيما بعد ومات في سجنه التابع لمحكمة لاهاي عام ٢٠٠٦م ، وفرانيو توجمان رئيس كرواتيا (مات عام ١٩٩٩م)، وعلي عزت بيجوفيتش رئيس البوسنة والهرسك (توفي عام ٢٠٠٣م). أدت هذه الاتفاقية إلى تقسيم البوسنة والهرسك إلى جزأين متساويين نسبيا هما: فدرالية البوسنة والهرسك وجمهورية صرب البوسنة كما أدت إلى انتشار قوات حفظ السلام الدولية الإيفور. وشارك في هذه الاتفاقية المجحفة الظالمة بحق مسلمي البوسنة: الولايات المتحدة الأميركية، وروسيا وفرنسا وبريطانيا وألمانيا.

وكان من أهم بنودها تفكيك كتيبة المجاهدين في البوسنة وتسريحهم!

ونظراً لتعاطف رئيس البوسنة الأسبق عل عزت بيجوفيتش مع المجاهدين وتضحياتهم في الدفاع عن مسلمي البوسنة فإنه طلب من الدول الغربية السماح لهم بمنح المتزوجين منهم بالحصول على الجنسية البوسنية!

لكن ماذا حدث هل أوفوا؟

لقد تم سحب الجنسية لمن أعطيت له! وتم سن قوانين تحرمهم من هذه الجنسية وشنوا حملة ترويع لهؤلاء المجاهدين بعد أن سلموا أسلحتهم!

فلم يرض الغرب أن يعيشوا بين إخوانهم المسلمين مسالمين منزوعي السلاح! حيث أصروا على طردهم نهائياً من البوسنة، ومن بقي منهم كان رهن الاعتقال وترحيل بعضهم إلى جوانتنامو! وكان قادة الغرب يرددون (أوروبا نادي نصراني) فلن يسمحوا بأية كيانات إسلامية ولو كانت على سبيل الهوية القومية!

فلم يرقبوا في هؤلاء المجاهدين وعوائلهم وأطفالهم إلاً ولاذمة! ولم تأخذهم فيهم شفقة ولا رحمة! فكانت مأساة كتيبة المجاهدين في البوسنة مرثية حزينة! وكان قد سبق هذه المأساة أيضاً مأساة المجاهدين غير الأفغان في أفغاستان، وتكالب الأمم على مطارداتهم واعتقالهم وقتلهم ولا يزالون يفعلون!!

أما الوضع في ليبيا فالمجاهدون فيها ليبيون وليسوا من دول إسلامية وعربية أخرى! ولكن نظراً لحملات التغييب المتعمد لهوية الأمة واستئصال شأفة العقيدة الإسلامية من سدة الحكم! فإن المسلم؛ مجرد المسلم الملتزم! بالهدي الظاهر حتى وإن كانت له أفكار يداهن بها الأنظمة! فهو شخص غير مرغوب فيه! في مجتمعه وبين بني جلدته وفي موطن رأسه!

فكيف بالمسلم المجاهد الآمر بالمعروف، الناهي عن المنكر الذي يعتقد أن الهلاك في نصرة الدين والاستمساك بالقرآن الكريم وصحيح السنة والنبوية هو النجاة! فسيكون مثل هذا المسلم المتسم بهذه الأوصاف أشد غربة من غيره! فطالما أعداء الشريعة الإسلامية يحكمون ويتسلطون وإن كانوا يسمون بأسماء إسلامية فهم أعداء هذا المسلم المجاهد وسيظل غريباً وإن كان يعيش في وطنه الذي ولد وترعرع فيه وصدق القائل:

أي اغتراب فوق غربتنا التي ** لها أضحت الأعداء فينا تحكم

التوقع الثاني: حرب إعلانية ضروس:

شن حملة إعلامية على بعض قيادات المجاهدين والمطالبة بمحاكمتهم بقتل اللواء عبد الفتاح يونس مع إضافة تهم أخرى خلال فترة الحرب بغية تصفية هذه القيادات وإشغالها بهذه المحاكمات أو تغييبها وراء السجون والارتياح من تواجدها على الساحة وكأن الأصل في المسلم المجاهد السجن أو القبر!!.

التوقع الثالث: سياسة الاحتواء والاختراق:

محاولة احتواء واختراق قيادات المجاهدين بسياسة العصا والجزرة! وإعادة الاسطوانة الإعلامية التي يتقنها الإعلام المعادي للإسلام من تصنيف الإسلاميين إلى معتدل ومتطرف وإرهابي وإلخ!!

فمن يقبل من قيادات هؤلاء المجاهدين الاندماج في الحياة السياسية الجديدة، ونبذ العمل المسلح، والرضا بالعمل مع المنظومة الديمقراطية التي يتزعمها العلمانيون من قيادات المجلس الوطني الانتقالي المعترف به دوليا! فستفتح له أبواب الوظائف العامة ويشار إليه بالوطني المحرر!

كما حدث بعد انقلاب ضباط يوليو سنة ١٩٥٢م واستقرار جمال عبد الناصر في الحكم وعرضه لجماعة الاخوان بعض الحقائب الوزارية وتمكينهم من الدعوة وكان قد حل كل الأحزاب إبان الملك فاروق بموافقة الاخوان! فرفضوا وأصروا على الحصول على بعض ما يسمى بالوزارات السيادية فنكل بهم عبد الناصرولم يحصلوا إلا على التعذيب في السجن والمعتقلات ومحاكم الثورة!!

وهكذا فإن سياسة ترويض الحركات الإسلامية واستئناسها مجرب في العلم الإسلامي!! كما في الجماعة الإسلامية الباكستانية بقيادة الشيخ أبي الأعلى المودودي الذي شاركت جماعته في تحرير باكستان واستقلالها ثم كافأها العلمانيون الجدد بالحكم على المودودي بالاعدام ثم خفف إلى ١٧ سنة!! حتى صارت الجماعة الإسلامية الباكستانية تتآكل مع مرور الزمن ومن ثم تحتاج إلى التحالف مع بعض الفصائل العلمانية بغية الحصول على

بعض الفتات في حكومات الأقاليم!! وإخوان الأردن الذين يقدسون الملك وينزهونه!! فقد سبر الهالك الملك حسين أغوارهم ومن ثم أسند لهم بعض الوزارات فلم يفعلوا شيئاً مهماً لأن الأمر كله له! لذلك كان يتلاعب بهم حيث كان يسقطهم ويستبدلهم كما يستبدل أحدنا ملابسه! وترك لهم فرصة خوض انتخابات المجالس التشريعة ونجحوا بالفعل، كما فعل معهم المخلوع مبارك ثم يحل هذا المجلس حيث شاء!! فكانوا أقرب لشهود الزور منهم إلى شهود حق وتغيير!.. فكانوا أشبه بحلبة المصارعين في روما القديمة عندما كان يتسلى الامبراطور بصراع هؤلاء السجناء!! لكن الفارق أن السجناء كانوا يتصارعون جبراً .. أما الإسلاميون أنصار المجالس التشريعية فقد دخلوه اختياراً وطواعية!

التوقع الرابع: التلويح باتهامات مستر أوكامبو!

في حالة رفض بعض هذه القيادات الاندماج في الحياة السياسية الجديدة بشروط المجلس الوطني الانتقالي الذي سيوصف قيادته في المستقبل بأبطال التحرير وأوصياء الثورة! فسيتم متابعة هذه القيادات الجهادية وتشويه سمعتها شعبيا وإعلامياً والايعاز للمحكمة الجنائية الدولية بتوجيه الاتهام لبعض هذه القيادات الإسلامية التي شاركت في تحرير ليبيا بزعم ارتكابها جرائم حرب! والادعاء بمخالفتها لاتفاقية جنيف بشأن معاملة الأسرى! فتضاف هذه الأسماء مع قائمة المطلوبين من نظام القذافي البائد!! كما حدث في إضافة بعض الأسماء الإسلامية من قيادات البوسنة واعتقالهم وتقديمهم إلى محكمة لاهاي مع مجرمي الصرب وصرب البوسنة! وهو نفس ما حدث في كردفان بالمطالبة باعتقال أسماء من الحكومة السودانية على رأسهم عمر البشير وأيضاً بعض القيادات المعارضة!! فالذي يرفض الاندماج ووضع السلاح فالمحكمة الجنائية الدولية جاهزة!!

التوقع الخامس: إذا تميز بعض المجاهدين بأسلحتهم:

إذا رفضت قيادات المجاهدين أو بعض القادة وتميزوا بأسلحتهم في الأراضي الليبية واضطروا لخوض حرب عصابات! فإنه من المتوقع أن تدخل أمريكا طائراتها بدون طيار القاتلة الحاصدة لأنفس المسلمين الأبرياء في أفغانستان وباكستان ولا سيما منطقة القبائل

في وزير ستان وبلوشستان! وبالطبع ستترصد هذه الطائرات بعض القيادات لتصفيتها وتمدمر التجمعات التي يتمركزن فيها! مع عدم إغفال أن طائرات حلف النيتو لا تزال تسبح في سماء ليبيا! نسأل الله السلامة!! (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال).

## صفوة القول

في نهاية هذا التطواف الحزين! حول المصير المخيف للمجاهدين الذين شاركوا في تحرير واستقلال ليبيا عن نظام القذافي ومرتزقته! لا يزال الصراع بين الحق والباطل مستمراً! وما ذكرته من توقعات حول مصير مخيف؛ فإنها مجرد قراءة سريعة لواقع مرير تعيشه الأمة الإسلامية وأبناؤها الذين يتوقون لعودة الشريعة الإسلامية حاكمة في كافة المناحي الحياتية!

فهل سيترك حلف النيتو وقادته ليبيا لأي مشروع إسلامي يكون له الكلمة العليا! فالغرب وعلى رأسهم أمريكا تعتبر بلادنا غنيمة باردة!

فهل تشارك أمريكا والاتحاد الأوروبي وجناحهم العسكري النيتو من أجل عيون الليبيين ومن حماية الثكالى والأرامل والعجائز!!

ليبيا دولة مترامية الأطراف وعدد سكانها قليل لا يتناسب مع مواردها الهائلة من بترول وطاقة! وأمريكا لها مشروع عقدي لتنصير المسلمين والتعجيل بظهور المخلص! بالإضافة إلى المشروع الاقتصادي! وهذا دأبهم وديدنهم! في احتلال العالم!

كما أن أمريكا رغم كسادها الاقتصادي الحالي وإفلاس العديد من شركاتها! إلا أنها لا تزال تريد محاصرة العالم الإسلامي وتقطيع أوصاله في أفريقيا ومحاصرة الحركات الإسلامية الرافضة لأية هيمنة أجنبية أو محلية! كما أن بلادنا بدائل سهلة في حالة تفكك الولايات الأمريكية كدولة قوية موحدة! فالأنجلوسكسون يخططون لمستقبل أجيالهم القادمة! ويعتقدون أن احتلالنا وبناء قواعد الصحراء والتحكم في البحار والمحيطات فرصة سانحة قبل أن يستفيق المارد ويخرج من قمقمه! وهكذا لا بد من الضربات الاستباقية وعدم التهاون مع أي مشروع إسلامية ولو حتى بالدعوة لإحياء الخلافة الإسلامية والحكم بالشريعة الإسلامية لذلك كان جورج بوش الصغير!

وتابعه توني بلير يكرران دائماً أن الحركات الإسلامية تريد إحياء الخلافة الإسلامية من أندونسيا إلى أسبانيا وإعادتها إلى الإسلام! فهؤلاء القادة لا يريدون أن نفكر مجرد التفير في عودة الإسلام يحكم بلاد المسلمين!

فأمريكا تريد بالطبع حصار قاعدة الجهاد في المغرب الإسلامي، وحصار شباب المجاهدين في الصومال، والجماعات الجهادية التي تتحرك في مالي والجزائر وموريتانيا والصحراء الكبرى! وإنشاء قواعد عسكرية مع دفن نفايات نووية في هذه الصحراء المترامية الأطراف وإجراء تجارب نووية وعسكرية وعلمية بدون رقيب ولا حسيب!

ولا بأس أن يتم ذلك بموافقة بيادق موالية لأعداء الأمة وإن كانوا يصلون ويصومون ويحجون!

فالخطر إذن جلل! والأمر يحتاج إلى الاستفادة من الدروس والعبر ولا سيما من التجربة الأفغانية واستقلال حركة طالبان في جهادها واستغنائها عن الأحلاف الغربية والشرقية! مع استمساكها وإصرارها على عدم التنازل عن الشريعة الإسلامية كقانون وحيد لا بديل له يسير شؤون الأمة الأفغانية بل والأمة الإسلامية بأسرها!

كما ينبغي ألا نغفل دور دولة العراق الإسلامية ككيان مجاهد ينحت في الصخر! ويحارب من داخل العراق وخارجه! ورغم ذلك لا تزال باقية مجاهدة تنكأ في المحتلين وأعوانهم رغم التعتيم الإعلامي! فهذه الدولة تحتاج إلى دراسة عوامل بقائها رغم أن الدنيا رمتهم بقوس واحدة!

وقد يقول قائل كل دولة لها ظروفها الخاصة وطبائع الشعوب قد تتوافق وتتشابه وقد تختلف! نعم! هذا صحيح! لكن الذي يحرك أمتنا الإسلامية على اختلاف طبائعها هو الإسلام وحده الذي صهرهم في بوتقة واحدة!

وعلى أية حالة إنها مجرد صيحة نذير! ومحاولة لفهم الواقع والدعوة للمساهمة بإيجاد حلول للخروج من هذه الأزمات المتكررة! فالمسلمون محاصرون من عدو خارجي لا يرحم! ومن عدو داخلي أخطر وأجرم! وشعوب مستضعفة تائهة حائرة رغم حبها للإسلام!

وأخيراً: هل مقدر للمجاهدين أن يصنعوا التاريخ ثم يأتي غيرهم لينسبوه لأنفسهم! وهل حقاً الثورات يصنعها الشرفاء ويقتطف ثمرتها الأوغاد! بتسآل مشفق مكلوم ماذا عسى المجاهدون أن يفعلوا بعد أن تضع الحرب أوزارها؟! أخشى أن يقدم الأخيار قرابين على عتبات حلف النيتو واللادينين الليبيين!

مركز المقريزي للدرسات التاريخية

تاريخ ٢٤ رمضان ١٤٣٢هـ - ٢٣ أغسطس ٢٠١١



# حكم قتل المسلم بالكافر
# بحث شرعي مختصر

دكتور هاني السباعي

## حكم قتل المسلم بالكافر[٢٠٩]

لقد اختلف الفقهاء في هذه القضية حسب فهمهم للنصوص الشرعية وهذا ما سنوضحه خلال تعرضنا لآراء أصحاب المذاهب حول هذه المسألة: قتل المسلم بالكافر. لكن قبل أن نشرع في توضيح ذلك نود أن نوضح ما المقصود بالكافر؟ فالكافر طبقاً لمنظومة فقهاء الإسلام هو غير المسلم؛ والكافر إما أن يكون حربياً أو غير حربي، فإن كان حربياً فالإجماع منعقد على أنه لا يقتل به مسلم، وإن لم يكن حربياً فلا يخلو إما أن يكون ذمياً أو معاهداً. إذن الخلاف بين الفقهاء في حكم الكافر الذمي والمعاهد لا في الكافر الحربي. وبناء على ذلك نستطيع أن نخلص إلى عدة آراء لأصحاب المذاهب الإسلامية حول قضية قتل المسلم بالكافر وهي كالتالي:

الرأي الأول: لا يقتل مسلم بكافر ذمياً كان أو مستأمناً.

الرأي الثاني: يقتل المسلم بالكافر الذمي.

الرأي الثالث: يقتل المسلم بالكافر إن كان القتل غيلة.

الرأي الرابع: يقتل المسلم بالذمي إذا اعتاد قتل أهل الذمة

---

٢٠٩ أصل هذا البحث من كتاب القصاص للدكتور هاني السباعي من إصدارات مركز المقريزي لعام ٢٠٠٤

## الرأي الأول

لا يقتل مسلم بكافر ذمياً كان أو مستأمناً

قال بهذا الرأي الشافعية والحنابلة وبعض المالكية والظاهرية والإمامية سواء كان هذا الرأي على وجه الغيلة أو على غير هذا الوجه. وحجة القائلين بعدم قتل المسلم بالكافر بعض النصوص لتالية:

(١) ساق البخاري بسنده: عن مطرف سمعت الشعبي يحدث قال: سمعت أبا جُحيفة قال: سألت علياً رضي الله عنه هل عندكم شئ مما ليس في القرآن؟ وقال ابن عيينة: مرة ما ليس عند الناس. فقال: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، ما عندنا إلا ما في القرآن، إلا فهماً يعطى رجلٌ في كتابه، وما في الصحيفة. قلت: وما في الصحيفة قال: العقلُ، وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر''[٢]

(٢) وفي سنن أبي داود: ''عن علي رضي الله عنه أن النبي قال: المؤمنون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، لا يُقتل مؤمنٌ بكافر، ولا ذو عهد في عهده''[٣]

**وجه الدلالة من هذين النصين**: لقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن المسلم لا يقتل بالكافر؛ والكافر يشمل الذمي والمستأمن **قال في المغني**: ''أكثر أهل العلم لا يوجبون على مسلم قصاصاً بقتل كافر أي كافر كان. روى ذلك عن عمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت ومعاوية رضي الله عنهم، وبه قال عمر بن عبد العزيز وعطاء والحسن وعكرمة والزهري وابن شبرمة ومالك والثوري والأوزاعي والشافعي واسحاق وأبوعبيد وأبو ثور وابن المنذر. وقال النخعي والشعبي وأصحاب الرأي يقتل المسلم بالذمي خاصة. قال أحمد: النخعي والشعبي قالا: دية المجوسي واليهودي والنصراني مثل دية المسلم وإن قتله يقتل به. هذا عجب! يصير المجوسي مثل المسلم سبحان الله ما هذا القول؟ واستبشعه أي (أي الإمام أحمد) وقال: النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يقتل مسلم بكافر» وهو يقول (أي الشعبي والنخعي): يقتل بكافر فأي شئ أشد من هذا؟ واحتجوا بما روى

ابن البيلماني أن النبي صلى الله عليه وسلم أقاد مسلماً بذمي وقال: «أنا أحق من وفى بذمته» ولأنه معصوم عصمة مؤبدة فيقتل به كالمسلم. ولنا (أي الحنابلة) قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ولا يقتل مؤمن بكافر**" رواه الإمام أحمد وأبو داود، وفي لفظ (لا يقتل مسلم بكافر) رواه البخاري وأبو داود، وعلي رضي الله عنه قال: «من السنة أن لا يقتل مسلم بكافر» رواه الإمام أحمد. ولأنه منقوص بالكفر فلا يقتل به المسلم كالمستأمن والعمومات مخصوصة بحديثنا، وحديثهم ليس له اسناد قاله أحمد وقال الدارقطني: يرويه ابن البيلماني وهو ضعيف إذا أسند فكيف إذا أرسل؟ والمعنى أنه مكافئ للمسلم بخلاف الذمي، فأما المستأمن فوافق أبو حنيفة الجماعة في أن المسلم لا يقاد به وهو المشهور عن أبي يوسف، وعنه يقتل به لما سبق في الذمي ولنا أنه ليس بمحقون الدم على التأبيد فأشبه الحربي»[٤]

**ويرد ابن المنذر على استدلال الأحناف بقوله**: "لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم خبر يعارضه (أي حديث: المسلمون تتكافأ دماؤهم..) ولأنه لا يقاد المسلم بالكافر فيما دون النفس بالإجماع، كما قال ابن عبد البر، فالنفس بذلك أولى والحديث المذكور يقتضي عموم الكافر، فلا يجوز تخصيصه باضمار الحرب ولأنه لو كان المعنى كما قال الأحناف لخلا عن فائدة، لأنه يصير التقدير لا يقتل المسلم إذا قتل كافراً حربياً، ومعلوم أن قتله عبادة، فكيف يعقل أنه يقتل به؟!"[٥]

**أما وجه استدلال الشافعي أنه**: "احتج في عدم قتل المسلم بالذمي بما روي عنه عليه الصلاة والسلام أنه لا يقتل مؤمن بكافر وهذا نص في الباب ولأن عصمته شبهة العدم لثبوتها مع القيام المنافي وهو الكفر لأنه مبيح في الأصل لكونه جناية متناهية فيوجب عقوبة متناهية وهو القتل لكونه من أعظم العقوبات الدنيوية إلا أنه من قتله لغيره وهو مقتضى العهد الثابت بالذمة فقيامه يورث شبهة ولهذا لا يقتل المسلم بالمستأمن فكذا الذمي ولأن المساواة شرط وجوب القصاص ولا مساواة بين المسلم والكافر ألا ترى أن المسلم مشهود له بالسعادة والكافر مشهود له بالشقاء فكيف يتساويان؟"[٦]

مناظرة شيقة في مسألة قتل المسلم بالكافر

**ذكر ابن العربي هذه المناظرة في كتابه أحكام القرآن قائلاً:**

"ورد علينا بالمسجد الأقصى سنة سبع وثمانية وأربعمائة فقيه من عظماء أصحاب أبي حنيفة يعرف بالزوزني زائراً للخليل صلوات الله عليه فحضرنا في حرم الصخرة المقدسة طهرها الله معه، وشهد علماء البلد، فسئل على العادة عن قتل المسلم بالكافر، فقال: يقتل به قصاصاً؛ فطولب بالدليل فقال: الدليل قوله تعالى (ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى..) وهذا عام في كل قتيل.

فانتدب معه للكلام فقيه الشافعية بها وإمامهم **عطاء المقدسي** وقال: ما استدل به الشيخ الإمام لا حجة فيه من ثلاثة أوجه: أحدها: أن الله سبحانه قال: (كتب عليكم القصاص) فشرط المساواة في المجازاة، ولا مساواة بين المسلم والكافر فإن الكفر حطّ منزلته ووضع مرتبته.

**الثاني**: أن الله سبحانه ربط آخر الآية بأولها، وجعل بيانها عند تمامها فقال: (كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى..) فإذا نقص العبد عن الحر بالرق وهو من آثار الكفر، فأحرى وأولى أن ينتقص عنه الكافر. **الثالث**: أن الله سبحانه وتعالى قال: (فمن عفي له من أخيه شئ فاتباع بالمعروف) ولا مؤاخاة بين المسلم والكافر، فدلّ على عدم دخوله في هذا القول.

**فقال الزوزني**: بل ذلك دليل صحيح، وما اعترضت به ولا يلزمني منه شئ. أما قولك: إن الله تعالى شرط المساواة في المجازاة وكذلك أقول. وأما دعواك أن المساواة بين الكافر والمسلم في القصاص غير معروفة فغير صحيح؛ فإنهما متساويان في الحرمة التي تكفي في القصاص، وهي حرمة الدم الثابتة على التأبيد، فإن الذمي محقون الدم على التأبيد، والمسلم محقون الدم على التأبيد ، وكلاهما قد صارا من أهل دار الإسلام، والذي تحقق ذلك أن المسلم يقطع بسرقة مال الذمي، وهذا يدل على أن مال الذمي قد ساوى في مال المسلم؛ فدل على مساواته لدمه؛ إذ المال إنما يحرم بحرمة مالكه.

وأما قولك: إن الله تعالى ربط آخر الآية بأولها فغير مسلم به؛ فإن أول الآية عام وآخرها خاص وخصوص آخرها لا يمنع من عموم أولها؛ بل يجري كل على حكمه من عموم أو خصوص. وأما قولك: إن الحر لا يقتل بالعبد فلا أسلم به، بل يقتل به عندي قصاصاً، فتعلقت بدعوى لا تصح.

**وأما قولك**: (فمن عفي له من أخيه شئ) يعني المسلم، فكذلك أقول، ولكن هذا خصوص في العفو؛ فلا يمنع من عموم ورود القصاص، فإنهما قضيتان متباينتان؛ فعموم إحداهما لا يمنع من خصوص الأخرى، ولا خصوص هذه يناقض عمومَ تلك. وجرت في ذلك مناظرة عظيمة حصلنا منها فوائد جمة؛ أثبتناها في نزهة الناظر، وهذا المقدار يكفي هنا منها"[٧]

## الرأي الثاني

## يقتل المسلم بالكافر الذمي

وبه قال أبو حنيفة وأصحابه، والشعبي والنخعي، وابن أبي ليلى.. قال في بداية المجتهد: «أما أصحاب أبي حنيفة فاعتمدوا في ذلك آثاراً منها: حديث يرويه ربيعة بن عبد الرحمن، عن عبد الرحمن البيلماني قال: «قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً من أهل القبلة برجل من أهل الذمة، وقال: (أنا أحق من وفى بعهده)[٨] وروى ذلك عن عمر، قالوا: وهذا مخصص لعموم قوله عليه الصلاة والسلام: (لا يقتل مؤمن بكافر) أي أنه أريد به الكافر الحربي دون الكافر المعاهد. وضعف أهل الحديث حديث عبد الرحمن البيلماني، وما روي عن عمر. وأما طريق القياس: فإنهم اعتمدوا على إجماع المسلمين في أن يد المسلم تقطع إذا سرق من مال الذمي، قالوا: فإذا كانت حرمة ماله كحرمة مال المسلم فحرمة دمه كحرمة دمه، فسبب الخلاف: تعارض الآثار والقياس»[٩] **أما الكاساني فقد رد على أدلة الشافعي بقوله:** "ولنا عمومات القصاص من نحو قوله تبارك وتعالى (كتب عليكم القصاص في القتلى) وقوله سبحانه وتعالى (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس) وقوله جلت عظمته (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً) من غير

فصل بين قتيل وقتيل ونفس ونفس ومظلوم ومظلوم فمن ادعى التخصيص والتقييد فعليه الدليل وقوله سبحانه وتعالى عز من قائل (ولكم في القصاص حياة) وتحقيق معنى الحياة في قتل المسلم بالذمي أبلغ منه في قتل المسلم بالمسلم لأن العداوة الدينية تحمله على القتل خصوصاً عند الغضب ويجب عليه قتله لغرمائه فكانت الحاجة إلى الزاجر أمس فكان في شرع القصاص فيه في تحقيق معنى الحياة أبلغ"[١٠]

**أما الطحاوي فقد دافع عن رأي الأحناف في شرح معاني الآثار بقوله:**

"حدثنا بن مرزوق قال ثنا أبو عامر قال ثنا سليمان بن بلال عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن عبد الرحمن بن البيلماني ثم أن النبي صلى الله عليه وسلم أتى برجل من المسلمين قد قتل معاهدا من أهل الذمة فأمر به فضرب عنقه وقال أنا أولى من وفي بذمته.. حدثنا سليمان بن شعيب قال ثنا يحيى بن سلام عن محمد بن أبي حميد المدني عن محمد بن المنكدر عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم مثله والنظر عندنا شاهد لذلك أيضا وذلك أنا رأينا الحربي دمه حلال وماله حلال فإذا صار ذميا حرم دمه وماله كحرمة دم المسلم ومال المسلم ثم رأينا من سرق من مال الذمي ما يجب فيه القطع قطع كما يقطع في مال المسلم فلما كانت العقوبات في انتهاك المال الذي قد حرم بالذمة كالعقوبات في انتهاك المال الذي حرم بالإسلام كان يجئ في النظر أيضا أن في الدم الذي قد حرم بالذمة كالعقوبة في الذي قد حرم بالإسلام فإن قال قائل فإنا قد رأينا العقوبات الواجبات في انتهاك حرمة الأموال قد فرق بينهما وبين العقوبات الواجبات في انتهاك حرمة الدم وذلك أنا رأينا العبد يسرق من مال مولاه فلا يقطع ويقتل مولاه فيقتل ففرق بين ذلك فما تنكرون أيضا أن يكون قد فرق بين ما يجب في انتهاك مال الذمي ودمه قيل له هذا الذي ذكرت قد زاد ما ذهبنا إليه توكيدا لأنك ذكرت أنهم أجمعوا أن العبد لا يقطع في مال مولاه وأنه يقتل بمولاه وبعبيد مولاه فما وصفت من ذلك كما ذكرت فقد خففوا أمر المال ووكدوا أمر الدم في الدم حيث لم يوجبوها بالمال فلما ثبت توكيد أمر الدم وتخفيف أمر المال ثم رأينا مال الذمي يجب في انتهاكه على المسلم

كما يجب عليه في انتهاك مال المسلم كان دمه أحرى أن يكون عليه في انتهاك حرمته ما يكون عليه في انتهاك حرمة دم المسلم وقد أجمعوا أن ذميا لو قتل ذميا ثم أسلم القاتل أنه يقتل بالذمي الذي قتله في حال كفره ولا يبطل ذلك إسلامه فلما رأينا الإسلام الطارئ على القتل لا يبطل القتل الذي كان في حال الكفر وكانت الحدود تمامها أحدها ولا يوجد على حال لا يجب في البدء مع تلك الحال ألا ترى أن رجلا لو قتل رجلا والمقتول مرتد أنه لا يجب عليه شيء وأنه لو جرحه وهو مسلم ثم أرتد عياذا بالله فمات لم يقتل فصارت ردته التي تقدمت الجناية ملكا طرأت عليها في درء القتل سواء فكان كذلك في النظر أن يكون القاتل قبل جنايته وبعد جنايته سواء ولما كان إسلامه بعد جنايته قبل أن يقتل بها لا يدفع عنه القود كان كذلك إسلامه المتقدم لجنايته لا يدفع عنه القود وهذا قول أبي حنيفة وأبي يوسف ومحمد رحمة الله عليهم أجمعين «[١١]

## حكم القاضي أبي يوسف في قتل المسلم بالكافر

**أقول:** ورغم أن الأحناف يقولون بقتل المسلم بالكافر الذمي إلا أنهم لم يستطيعوا تطبيق ذلك من الناحية الواقعية والعملية. فقد ذكر الماوردي أن نفوس الناس لا تتحمل قتل المسلم بالكافر وهذا قد منع القائلين به من العمل عليه.. ويستشهد على ذلك بالقضية التي رفعت إلى أبي يوسف أيام الرشيد قائلاً:

”وقال أبو حنيفة لا اعتبار لهذا التكافؤ فيقتل الحر بالعبد والمسلم بالكافر كما يقتل العبد بالحر والكافر بالمسلم، وما تتحاماه النفوس من هذا وتأباه قد منع القائلين به من العمل عليه. وحكي أنه رفع إلى أبي يوسف القاضي: مسلم قتل كافراً فحكم عليه بالقود فأتاه رجل برقعة فألقاها إليه فإذا فيها مكتوب (من السريع):

يا قاتل المسلم بالكافر *** جرتَ وما العادلُ كالجائرِ

يا منْ ببغدادَ وأطرافه *** من علماء الناس أو شاعرِ

استرجعوا وابكوا على دينكم *** واصطبروا فالأجرُ للصابرِ

جار على الدين أبو يُوسُف *** بقتله المؤمنَ بالكـــافر

فدخل أبو يوسف على الرشيد وأخبره الخبر وأقرأه الرقعة؛ فقال له الرشيد تدارك هذا الأمر بحيلة لئلا تكون فتنة فخرج أبو يوسف وطالب أصحاب الدم ببينة على صحة الذمة وثبوتها فلم يأتوا بها فأسقط القود؛ والتوصل إلى مثل هذا سائغ عند ظهور المصلحة فيه»[١٢]

## رجوع زفر عن رأي أبي حنيفة

**وذكر ابن حجر** في الفتح أن زفر صاحب أبي حنيفة قد رجع عن رأي أبي حنيفة حيث ساق الحافظ ابن حجر بسنده : «وذكر أبو عبيد بسند صحيح عن زفر أنه رجع عن قول أصحابه فأسند عبد الواحد بن زياد قال: قلت لزفر: إنكم تقولون تدرأ الحدود بالشبهات فجئتم إلى أعظم الشبهات فأقدمتم عليها. المسلم يقتل بالكافر**!** قال: فأشهد على أني رجعت عن هذا»[١٣]

أقول: هذا لا يؤثر في الرأي الغالب والمشهور لدى الأحناف الذي يشبه الإجماع في فقه الحنفية القائل بقتل المسلم بالكافر.

## الرأي الثالث

## يقتل المسلم بالكافر إن كان القتل غيلة

يرى مالك والليث أن المسلم يقتل بالكافر إن كان القتل غيلة قال مالك «لا يقاد المسلم بالذمي إلا أن يقتله غيلة أو حرابة، فيقاد به»[١٤]

**هذا يقودنا إلى تفسير معنى الغيلة:**

"الغيل بالكسر الأجمة، وموضع الأسد وجمعه غيول. قال الأصمعي: الغيل: الشجر الملتف. والغيلة بالكسر: الإغتيال. يقال: قتله غيلة: وهو أن يخدعه فيذهب به إلى موضع فيقتله فيه"[١٥] **وقال ابن رشد**: "فقتل الغيلة أن يضجعه، فيذبحه، وبخاصة على ماله"[١٦]

**وحجـة المالكيـة** حديـث عبـد اللـه بـن عامـر إلـى عثمـان رضـي اللـه عنـه وسـياقه كالتالـي: «عـن عبـد الملـك بـن حبيـب الأندلسـي عـن مطـرف عـن ابـن أبـي ذئـب عن مسـلم بـن جنـدب الهذلـي قـال: كتـب عبـد الله بـن عامـر إلـى عثمـان: أن رجـلاً مـن المسـلمين عدا علـى دهقـان فقتلـه علـى مالـه؟ فكتـب إليـه عثمـان: أن اقتلـه بـه ـ فـإن هـذا قتـل غيلـة علـى الحرابـة»[١٧]

**قـال ابـن حـزم:** "ورويناه أيضـاً عـن أبـان بـن عثمـان، وأبـي بكـر بـن محمـد بـن عمـرو بـن حـزم، ورجالـه كثيـر مـن أبنـاء الصحابـة أصحـاب رسـول اللـه صلـى اللـه عليـه وسـلم إلا أن كل ذلـك مـن روايـة عبـد الملـك بـن حبيـب الأندلسـي ـ وفـي بعضهـا ابـن أبـي الزنـاد ـ وهـو ضعيـف ـ وبعضهـا مرسـل، ولا يصـح منهـا شـئ"[١٨] وفـي مراسـيل أبـي داود حديـث آخـر مرسـل: «أن النبـي صلـى اللـه عليـه وسـلم قتـل يـوم خيبـر مسـلماً بكافـر قتلـه غيلـة، وقـال: أنـا أولـى وأحـق مـن وفـى بذمتـه» وهـذا مذهـب مالـك وأهـل المدينـة أن القتـل غيلـة لا تشـترط لـه المكافـأة فيقتـل فيـه المسـلم بالكافـر»[١٩]

**ويرد ابن حزم على رأي المالكية بقوله:**

"وأمـا قـول مالـك ـ فـي الفـرق بيـن الغيلـة وغيرهـا ـ وكذلـك أيضـاً سـواء سـواء، إلا أنهـم قالـوا: إنمـا قتلنـاه للحرابـة! فقلنـا:: أنتـم لا تقولـون بالترتيـب فـي حـد الحرابـة، ولـو قلتمـوه لكنتـم متناقضيـن أيضـاً، لأنـه لا خـلاف بيـن أحـد ممـن قـال بالترتيـب فـي أنـه لا يقتـل المحـارب إن قتـل فـي حرابـة، ومـن لا يقتـل بـه إن قتلـه فـي غيـر الحرابـة، وأنتـم لا تقتلـون المسـلم بالذمـي فـي غيـر الحرابـة ـ فظهـر فسـاد هـذا التقسـيم بيقيـن. وأمـا المشـهور مـن قـول المالكييـن أنهـم يقولـون بتخييـر الإمـام فـي قتـل المحـارب، أو صلبـه، أو قطعـه، أو نفيـه ـ فمـن أيـن أوجبـوا قتـل المسـلم بالذمـي ـ ولا بـد فـي الحرابـة وتركـوا قولهـم فـي تخييـر الإمـام فيـه ـ فوضـح فسـاد قولهـم بيقيـن لا إشـكال فيـه، وأنـه لا حجـة لهـم أصـلاً وباللـه تعالـى التوفيـق"[٢٠]

## الرأي الرابع

يقتل المسلم بالذمي إن اعتاد قتل أهل الذمة

هذا ما قالت به الإمامية؛ قال في شرائع الإسلام في باب شروط القصاص: «التساوي في الدين فلا يقتل مسلم بكافر، ذمياً كان أو مستأمناً أو حربياً ولكن يعزّر ويغرّم دية القاتل، وقيل: إن اعتاد قتل أهل الذمة، جاز الاقتصاص بعد رد فاضل ديته»[٢١]

وفي تفصيل **وسائل الشيعة**: "باب أنه لا يقتل المسلم إذا قتل الكافر إلا أن يعتاد قتلهم فيقتل بالذمي بعد رد فاضل الدية"[٢٢] وساق بسنده عن محمد بن يعقوب عن محمد بن يحيى، عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم وغيره، عن أبان بن عثمان عن إسماعيل بن الفضل، قال سألت أبا عبدالله عليه السلام، عن دماء المجوس واليهود والنصارى، هل عليهم وعلى من قتل، إذا غشوا المسلمين وأظهروا العداوة لهم؟ قال: لا، إلا أن يكون معقوداً لقتلهم، قال: وسألته عن المسلم هل يقتل بأهل الذمة وأهل الكتاب إذا قتلهم؟ قال: لا إلا أن يكون معتاداً لذلك لا يدع قتلهم، فيقتل وهو صاغر»[٢٣]

"وبالإسناد عن يونس عن ابن مسكان عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إذا قتل المسلم يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً فأرادوا أن يقيدوا ردّوا فضل دية المسلم وأقادوه. وعن عدة من أصحابنا عن أحمد بن محمد، عن الحسين بن سعيد عن فضالة عن أبي المفرا عن أبي بصير عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إذا قتل المسلم النصراني فأراد أهل النصراني أن يقتلوه قتلوه، وأدّوا فضل ما بين الديتين. وعن أحمد بن الحسن اليثمي عن أبان عن إسماعيل بن الفضل، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن المسلم هل يقتل بأهل الذمة؟ قال: لا إلا أن يكون متعوداً لقتلهم وهو صاغر. ومحمد بن الحسن بإسناده عن جعفر بن بشير عن إسماعيل بن الفضل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: رجل قتل رجلاً من أهل الذمة، قال: لا يقتل به إلا أن يكون متعوداً للقتل"[٢٤]

**وفي جامع المدارك**: "لا يقتل مسلم بكافر مع عدم الاعتياد ذمياً كان أو مستأمناً أو حربياً، ويدل عليه النصوص منها: قول أبي جعفر عليه السلام على المحكي في صحيحة

محمد بن قيس: "لا يقتل مسلم بذمي في القتل ولا في الجراحات، ولكن يؤخذ من المسلم جنايته للذمي على قدر دية الذمي ثمانمائة درهم. ومنها معتبرة إسماعيل بن الفضل قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن المسلم هل يقتل بأهل الذمة؟ قال: لا إلا أن يكون متعوداً لقتلهم فيقتل وهو صاغر. ومنها صحيحة إسماعيل بن الفضل الثانية عن أبي عبد الله عليه السلام: قال: قلت له: رجل قتل رجلاً من أهل الذمة، قال: لا يقتل إلا أن يكون متعوداً للقتل"[٢٥]

**لكنهم اختلفوا هل يقتل المسلم بالذمي قصاصاً أم حداً قال في جامع المدارك**: "واختلف في أن القتل مع التعود قصاص أم حد، وقد يستظهر كونه قصاصاً لما دلّ من الروايات على أن المسلم يقتل بقتل الكافر حيث إنه مطلق يحمل على صورة كون المسلم معتاداً في قتله كما دلت عليه الروايات المتقدمة"[٢٦]

**أقول**: هذا ما أفتى به المتأخرون من فقهاء الشيعة منهم أبوالقاسم الخوئي.. ويتفق أيضاً رأي الإمامية مع قانون العقوبات المصري في مسألة العود حيث يجوز للقاضي أن يحكم على المتهم بأكثر من الحد الأقصى المقرر قانوناً للجريمة وقد بينت **المادة ٤٩** من هو المتهم العائد وذكرت ثلاث حالات نختار منها: «يعتبر عائداً: من حكم عليه بعقوبة جناية وثبت ارتكابه بعد ذلك جناية أو جنحة»[٢٧] وقد أعطى القانون سلطة للقاضي لتشديد العقوبة على المتهم العائد جاء في نص **مادة ٥٠**: "يجوز للقاضي في حال العود المنصوص عنه في المادة السابقة أن يحكم بأكثر من الحد الأقصى المقرر قانوناً للجريمة بشرط عدم تجاوز ضعف هذا الحد. ومع هذا لا يجوز في حال من الأحوال أن تزيد مدة الأشغال الشاقة المؤقتة أو السجن على عشرين سنة"[٢٨]

إذن هناك سبق للشريعة الإسلامية على القوانين الوضعية في نظرية العود أو المجرم الذي اعتاد الإجرام لأن هذا المتهم ألف الإجرام وليس له رادع ولا زاجر إلا أن تشدد عليه العقوبة.

## قول ابن حزم الظاهري ومناقشته للأقوال السابقة:

يرد ابن حزم على استشهاد الأحناف بقتل المسلم بالكافر الذمي: «أما قول الله عز وجل (وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس)[٢٩] فإن هذا مما كتب الله عز وجل في التوراة، ولا تلزمنا شرائع من قبل نبينا عليه الصلاة والسلام. وأيضاً ففي آخر هذه الآية بيان أنها في المؤمنين بالمؤمنين خاصة، لأنه قال عز وجل في آخرها: (فمن تصدق به فهو كفارة له)[٣٠] ولا خلاف بيننا وبينهم في أن صدقة الكافر على ولي الكافر الذمي المقتول عمداً ولا تكون كفارة له، فبطل تعلقهم بهذه الآية. وأما قوله عز وجل: (والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم)[٣١] فإن الخطاب في هذه الآيات للمؤمنين لا للكافرين، فالمؤمنون هم المخاطبون في أول الآية، وآخرها بأن يعتدوا على من اعتدى عليهم، بمثل ما اعتدى به عليهم، وليس فيها: بأن يعتدي غير المؤمنين على المؤمنين باعتداء يكون من المؤمنين عليهم أصلاً. وإنما وجب القصاص من الذمي للذمي بقوله تعالى: (وأن احكم بينهم بما أنزل الله)[٣٢] لا بالآية المذكورة.وأما قوله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها)[٣٣] فهو أيضاً في المؤمن يساء إليه خاصة لأن نصها: (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى وأصلح فأجره على الله)[٣٤] ولا خلاف في أن هذا ليس للكفرة ولا أجر لهم البتة. وأما قوله عز وجل (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثلما عوقبتم به)[٣٥] فكذلك أيضاً إنما هو خطاب للمؤمنين خاصة، يبين ذلك ضرورة قوله تعالى فيها (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين)[٣٦] ولا خير لكافر أصلاً صبر أو لم يصبر. قال الله عز وجل: (وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثوراً)[٣٧] وأما قوله تعالى (ولمن انتصر بعد ظلم فأولئك ما عليهم من سبيل إنما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الأرض بغير الحق)[٣٨] وقوله تعالى: (ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً)[٣٩] وقوله تعالى: (ثم بغي عليه لينصرنه الله)[٤٠] وقوله عز وجل: (كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى)[٤١] والأخبار الثابتة التي فيها (النفس بالنفس) و (من قتل له قتيل فإما أن يودى وإما أن يقاد)، فإن كل ذلك يخص بقول الله عز وجل (أفنجعل المسلمين

كالمجرمين مالكم كيف تحكمون)[٤٢] وقوله تعالى: (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون)[٤٣] وبقوله تعالى: (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً)[٤٤] فوجب يقيناً أن المسلم ليس كالكافر في شئ أصلاً ولا يساويه في شئ فإذا هو كذلك فباطل أن يكافأ دمه بدمه أو عضوه بعضوه أو بشرته ببشرته فبطل أن يستفيد الكافر من المؤمن أو يقتص له منه فيما دون النفس إذ لا مساواة بينهم أصلاً، ولما منع الله عز وجل أن يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً وجب ضرورة أن لا يكون له عليه سبيلاً في قوده ولا في قصاص أصلاً ووجب ضرورة استعمال النصوص كلها إذ لا يحل ترك شئ منها»[٤٥]

**ورد ابن حزم على استشهاد الأحناف بحديث عمرو بن شعيب** عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا يقتل مؤمن بكافر فمن قتل متعمداً دفع إلى أولياء المقتول فإن شاءوا قتلوه وإن شاءوا أخذوا الدية).. قال أبو محمد بن حزم: «حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده صحيفة لا يجوز الاحتجاج بها وهي مملوءة مناكير. ثم لو صحت لما كانت لهم فيها حجة، بل كانت تكون حجة لنا عليهم، لأن فيها أن لا يقتل مؤمن بكافر، فهذه قضية صحيحة قائمة بنفسها وهي قولنا. ثم فيها حكم من قتل عمداً فلو دخل في هذه القضية المؤمن يقتل الذمي عمداً لكانت مخالفة للحكم الذي قبلها ـ وهذا باطل ـ فلو صحت لكانت بلا شك في المؤمن يقتل المؤمن عمداً، لا فيما قد أبطله قبل أن يقتل مؤمن بكافر. وقالوا (أي الأحناف): معناه لا يقتل مؤمن بكافر حربي، أو إذا قتله خطأً، فكان هذا من أسخف ما أتوا به، وكيف يجوز أن يظن هذا ذو مسكة عقل، ونحن مندوبون إلى قتل الحربيين، موعودون على قتلهم بأعظم الأجر، أيمكن أن يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم مع هذا الحال وأمره عليه الصلاة والسلام بالجهاد يتكلف أن يخبرنا أننا لا نقتل بالحربيين إذا قتلناهم، ما شاء الله كان؟ وكذلك في تأويلهم أنه عليه الصلاة والسلام أراد أن لا يقتل مؤمن بكافر إذا قتله خطأً ـ هذا والله يقين الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم الموجب للنار، وكيف يمكن أن يسع هذا في دماغ من به مسكة عقل أن يكون مذ بعث الله نبيه عليه الصلاة والسلام إلى يوم القيامة قد أمنا أن يقتل منا أحد بألف كافر قتلهم خطأً ثم يتكلف عليه الصلاة والسلام إخبارنا بأن

لا يقتل المؤمن بكافر قتله خطأ ثم لا يبين لنا ذلك إلا بكلام مجمل لا يفهم منه هذا المعنى، إنما يأتي به المتكلفون لنصر الباطل، وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أعطى جوامع الكلم، وأمره ربه تعالى بالبيان لنا: فلا، ولا كرامة، لقد نزهه الله عز وجل عن هذا وباعده عن أن يظن به ذلك مسلم»[٤٦]

**ويقول ابن حزم أيضاً**: "وقالوا في قوله عليه الصلاة والسلام (**لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده**) تقديم وتأخير، إنما أراد أن يقول: لا يقتل مؤمن، ولا ذو عهد في عهده بكافر ـ وقد صح ـ بلا خلاف ـ وجوب قتل المعاهد بالذمي. فصح أنه إنما أراد بالكافر: الحربي. قال أبو محمد: إذ وجد نص منسوخ لم يحل لأحد أن يقول في نص آخر لم يأت دليل بأنه منسوخ: هذا منسوخ. وقالوا (الأحناف): إن الشعبي هو أحد رواة ذلك الخبر وهو يرى قتل المؤمن بالذمي؟ فقلنا (ابن حزم): هذا لم يصح قط عن الشعبي، لأنه لم يروه إلا ابن أبي ليلى ـ وهو سئ الحفظ، وداود بن يزيد الزغافري ـ وهو ساقط. ثم لو صح ذلك لكان الواجب رفض رأيه واطراحه. والأخذ بروايته. لأنه وغيره من الأئمة موثوق بهم في أنهم لا يكذبون لفضلهم غير موثوق بهم بأنهم لا يخطئون، بل كل أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم غير معصوم من الخطأ ولا بد، وليس يخطئ أحد في الدين إلا لمخالفة نص قرآن، أو نص سنة بتأويل منه قصد به الحق فأخطأه. فهذا ما اعترضوا به فقد أوضحنا سقوط أقوالهم. وأما احتجاجهم بخبر ابن المنكدر وربيعة عن ابن البيلماني فمرسلان ولا حجة في مرسل. فإن لجوا: قلنا لهم: دونكم مرسلاً مثلهما ـ نا حمام بن أحمد نا ابن مفرج نا ابن الأعرابي نا الديري نا عبد الرزاق عن ابن جريج قال: أخبرني عمرو بن شعيب: (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فرض على كل مسلم قتل رجلاً من أهل الكتاب أربعة آلاف درهم، وأنه ينفى من أرضه إلى غيرها). وأما قصة عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وقتله الهرمزان، وجفينة وبنت أبي لؤلؤة ـ فليس في الخبر نص، ولا دليل على أن أحداً قال بقتل جفينة ـ فبطل بذلك دعواهم. وصح أنه إنما طولب بدم الهرمزان فقط، وكان مسلماً ـ ولا خلاف في القود للمسلم من المسلم، فلا يجوز أن يقحم في الخبر ما ليس فيه بغير نص ولا إجماع. ومن غرائب القول: احتجاج الحنفيين

في الفرق بين قاتل المستأمن فلا يقيدونه به، وبين قاتل الذمي فيقيدونه به. فإن قالوا: الذمي محقون الدم بغير وقت، والمستأمن محقون الدم بوقت ثم يعود دمه حلالاً إذا رجع إلى دار الحرب؟ ولا ندري من أين وجب إسقاط القود بهذا الفرق، وكلاهما محرم الدم إذا قتل: تحريماً مساوياً لتحريم الآخر. وإنما يراعى الحكم وقت الجناية الموجبة للحكم - لا بعد ذلك - ولعل المستأمن لا يرجع إلى دار الحرب، ولعل الذمي ينقض الذمة ويلحق بدار الحرب فيعود دمه حلالاً ولا فرق «[٤٧]

## الرأي المختار

رجح جماعة من المعاصرين رأي الأحناف منهم أبو زهرة وفاروق النبهان ويوسف علي محمود ومحمد سليم العوا وآخرون.

**ذكر أبو زهرة بعد تحقيقه لهذه المسألة:** "وإننا مع إجلالنا لآراء تلك الكثرة من الفقهاء لا نجد تلك الأدلة مسوغة لإسقاط القصاص بالنسبة لقتل غير المسلم، فالدليل الأول غير سليم في المقدمة؛ لأن الخطاب للمؤمنين لا يقتضي أن يكون القصاص خاصاً بقتلى المسلمين، إذ الخطاب للمؤمنين باعتبارهم أهل التكليف، فهم المخاطبون بتنفيذ الأحكام الشرعية، سواء أكانت تطبق على المسلمين وحدهم أم تطبق على المسلمين وغيرهم، والتعبير بقوله تعالى (فمن عفي له من أخيه شئ فاتباع بالمعروف وأداء إليه باحسان)[٤٨] لا يقتضي الاقتصار على قتلى المؤمنين وحدهم؛ لأن هذا النص خاص بالعفو وليس خاصاً بالقصاص، وما يكون في مقام العفو قد يكون خاصاً بالمؤمنين فيما بينهم، وأما فيما بينهم وبين غيرهم لا يكون مجالاً للعفو، هذا على فرض أن الأخوة لا تكون إلا أخوة الدين، فلماذا لا تكون أخوة الآدمية والإنسانية، ولا يكون ثمة تخصيص، بل الحكم يكون عاماً، وإن قريشاً وهم على الشرك لما سألهم النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً: ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا خيراً أخ كريم، وابن أخ كريم، قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء، ولم يرد النبي ذلك، بل عاملهم كما عامل يوسف إخوته، وهو عليه الصلاة والسلام قرر في هذه الأخوة الإنسانية العامة في قوله عليه الصلاة والسلام: (كلكم لآدم وآدم من تراب)

والآيات في ذلك كثيرة. وأما الدليل الثاني، وهو الحديث (لا يقتل مسلم بكافر) وهو الذي جر الكثرة من الفقهاء إلى ذلك الرأي ـ فنقول فيه إن الحديث كان وارداً في الحربي لا في الذمي، فإن الذمي وإن كان كافراً كان تعبير النبي صلى الله عليه وسلم عنه بالذمي. وأما الذمي غير محقون الدم بإطلاق، بل بقيد الوفاء بالذمة، فالمسلم كذلك محقون الدم بقيد البقاء في الإسلام، فإن زايله قتل»[٤٩]

**أما يوسف علي** محمود فيقول: «من مناقشة الأدلة السابقة يترجح لنا صحة قول الحنفية ومن معهم في قتل المسلم بالذمي للأسباب الآتية:

(١) للأدلة التي احتج بها الحنفية. (٢) إن قتل المسلم بالذمي يحقق الحكمة التي من أجلها شرع القصاص كما قال تعالى: ((ولكم في القصاص حياة) ففي القصاص حياة للمسلم والذمي على حد سواء. (٣) لو لم يقتل المسلم بالذمي لأدى ذلك إلى مخالفة القاعدة المقرة (لهم مالنا وعليهم ما علينا)"»[٥٠]

**أما فاروق النبهان** فقد اكتفى بترجيح أبي زهرة ومال إليه.[٥١]

**أما العوا** فقد قال: «وعلى أساس هذه الحجج وغيرها يؤيد معظم المعاصرين رأي الأحناف في وجوب قتل المسلم إذا اعتدى هو بالقتل على الذمي: أي أنهم لا يفرقون بسبب اختلافهم في الدين بين المواطنين في الدولة في النتائج المترتبة على أفعالهم، ولا شك أن هذا الرأي يتفق مع المبادئ المسلم بها اليوم عالمياً في المساواة بين المواطنين في تطبيق القانون الجنائي عليهم»[٥٢]

**ويرى عبد القادر عودة أن** «رأي أبي حنيفة يتفق مع القوانين الوضعية الحديثة، فهي لا تفرق بين ذمي ومسلم فكلاهما يقتل بالآخر»[٥٣]

**أقول**: السبب في ذلك أن القوانين الوضعية المعمول بها في العالم العربي والإسلامي مصدرها قوانين فرنسية وإنجليزية كما أن نظرة القانون الوضعي إلى شخص الجاني أو المجني عليه تختلف عن نظرة الشريعة الإسلامية فالقانون الوضعي ينطلق من مفهوم المواطنة فينظر إلى الشخص الذي توافرت فيه شروط المواطنة سواء بالميلاد أو الإكتساب

وينظـم ذلـك قانـون التجنس للذيـن يكتسبون الجنسية بالشروط والضوابط المنصوص عليها ومن ثـم كل من يطلق عليـه مواطن ويقترف جريمة القتل العمد يعاقب بحكم القانـون لا فـرق بيـن مسـلم أو نصرانـي أو يهـودي أو أي صاحـب معتقـد آخـر.

فالبـون شاسـع بيـن النظرتيـن الوضعيـة والشرعية.. رغـم أن نظرة الأحناف تتفـق مع نظرة القوانيـن الحديثـة إلا أن منطلق الأحناف واجتهادهـم مصدره الشريعة الإسلامية ودليل ذلك أن الأحنـاف لا يرون قـود المسلم بالكافر الحربي بمعنى أن هـذا الكافر الحربي لو قتله مسلم فإن القانـون الوضعي لا يبيح قتله لآحاد النـاس بـل إن مـن يقتلـه يخضـع للعقـاب لأن نظرية الدولـة الحديثـة تـرى أنهـا هـي صاحبـة العقـاب.

**كمـا أن الأحنـاف** لا يـرون أيضـاً قتـل المسـلم بالمسـتأمن علـى المشـهور فـي مذهـب الأحنـاف عـن أبـي يوسـف. بمعنـى لـو أن كافـراً حربيـاً جـاء مسـتأمناً لبلـد مـا وقتلـه رجـل مسـلم فإنـه قـد يقتـل بـه طبقـاً للقانـون العقوبـات الوضعـي أمـا الأحنـاف فـلا يـرون القصـاص مـن المسـلم الـذي قتـل هـذا المسـتأمن.

فعلـى سـبيل المثـال نجـد أن **قانـون العقوبـات المصـري** ينـص فـي الكتـاب الأول تحت عنـوان (أحـكام عامـة) البـاب الأول (قواعـد عموميـة) تنـص المـادة الأولـى: «تسـري أحـكام هـذا القانـون علـى كل مـن يرتكـب فـي القطـر المصـري جريمـة مـن الجرائـم المنصـوص عليهـا فيـه. **مـادة ٢** تسـري أحـكام هـذا القانـون أيضـاً علـى الأشـخاص الآتـي ذكرهـم: أولاَ: كل مـن ارتكـب فـي خـارج القطـر فعـلاً يجعلـه فاعـلاً أو شـريكاً فـي جريمـة وقعـت كلهـا أو بعضهـا فـي القطـر المصـري. م٣: «كل مصـري ارتكـب وهـو خـارج القطـر المصـري فعـلاً يعتبـر جنايـة أو جنحـة فـي هـذا القانـون يعاقـب بمقتضـى أحكامـه إذا عـاد إلـى القطـر وكان الفعـل معاقبـاً عليـه بمقتضـى قانـون البلـد الـذي ارتكبـه»[٥٤]

هكـذا **نلاحـظ أن قانـون العقوبـات المصـري لـم يفـرق بيـن المسـلم والذمـي أو الحربـي فيكفـي أن يكـون مواطنـاً مصريـاً ومـن ثـم لـو أن مسـلماً قتـل نصرانيـاً أو يهوديـاً أو أي شـخص مـن ديانـة أخـرى سـواء كان هـذا الشـخص مصريـاً أو أجنبيـاً**

**فقانون العقوبات تسري أحكامه على المسلم القاتل ويحكم عليه بالإعدام في حالة توافر أركان جريمة القتل العمد مع سبق الإصرار والترصد المنصوص عليها في المنظومة القانونية.**

## صفوة القول

بعد هذا التطواف حول آراء فقهاء المذاهب الإسلامية أرى أن الرأي القائل بعدم قتل المسلم بالكافر الذمي أولى بالاعتبار وذلك للأسباب التي ذكرها جمهور الفقهاء وأهل الحديث بالإضافة إلى الأسباب التالية:

**أولاً**: فعلى الرغم من وجاهة قول الأحناف وبعض العلماء المعاصرين كأبي زهرة فإن في النفس شيئاً من قبول رأي الأحناف وذلك لصحة حديث (لا يقتل مسلم بكافر)[٥٥] الذي رواه البخاري.

**ثانياً: ضعف أدلة الأحناف مثل استشهادهم بحديث ابن البيلماني** (أنا أحق من وفى بعهده). ولتناقض الأحناف؛ ففي الوقت الذي يقولون بقتل المسلم بالكافر الذمي.. لا يرون قتل المسلم بالمستأمن أو المعاهد وهو المشهور عند أبي يوسف. رغم أنهم يحتجون بآية القصاص (كتب عليكم القصاص في القتلى) وأفاضوا في شرح هذه الآية وبينوا وجه العدل والإنصاف في قتل المسلم بالكافر الذمي لكنهم خالفوا قاعدتهم المذكورة في قتل المسلم بالكافر المستأمن.. فقالوا بعدم قتل المسلم بالمعاهد أو المستأمن!! فأين عموم النص هنا ولماذا لم يشمل المعاهد أو المستأمن الذي دخل دار الإسلام بأمان؟! وكما ذكرت آنفاً أن **الفقيه الحنفي الشهير زفر** وهو من سادة وأحد أعمدة الأحناف قد رجع عن رأي أبي حنيفة كما ذكر ابن حجر في الفتح (فاشهد علي أني رجعت عن هذا).

**ثالثاً: لقد رد ابن السمعاني على الأحناف رداً وجيهاً:**

"وأما حملهم الحديث على المستأمن فلا يصح لأن العبرة بعموم اللفظ حتى يقوم دليل على التخصيص ومن حيث المعنى أن الحكم الذي يبنى في الشرع على الإسلام

والكفر إنما هو لشرف الإسلام أو لنقص الكفر أو لهما جميعاً. فإن الإسلام ينبوع الكرامة، والكفر ينبوع الهوان، وأيضاً إباحة دم الذمي شبهة قائمة لوجود الكفر المبيح للدم، والذمة شبهة قائمة لوجود الكفر المبيح للدم، والذمة إنما هي عهد عارض منع القتل مع بقاء العلة فمن الوفاء بالعهد أن لا يقتل المسلم ذمياً، فإن اتفق القتل لم يتجه القول بالقود لأن الشبهة المبيحة لقتله موجودة ومع قيام الشبهة لا يتجه القود"[٥٦]

**رابعاً: مما يعضد وجهة نظرنا في عدم الارتياح للأخذ برأي الأحناف** ما ذكره البخاري في صحيحه: باب إذا لطم المسلم يهودياً عند الغضب. ثم ساق بسنده: «عن أبي سعيد الخدري قال: جاء رجل من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم قد لُطِم وجهه فقال: يا محمد إن رجلاً من أصحابك من الأنصار قد لطم وجهي. فقال: ادعوه. فدعوه. فقال: ألطمت وجهه. قال: يارسول الله إني مررت باليهود فسمعته يقول: والذي اصطفى موسى على البشر، ثم قال: فقلت: أعلى محمد صلى الله عليه وسلم. قال: فأخذتني غضبة فلطمته. قال: لا تخيروني من بين الأنبياء فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جزي بصعقة الطور»[٥٧]

**أقول**: الشاهد هنا أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأمر بالقصاص واكتفى بقوله (لا تخيروني من بيين الأنبياء) وهذا ما ذهب إليه البخاري وذكره ابن حجر في الفتح حيث قال: "قوله (**باب إذا لطم المسلم يهودياً عند الغضب**) أي لم يجب عليه قصاص كما لو كان من أهل الذمة، وكأنه رمز بذلك إلى المخالف يرى القصاص في اللطمة فلما لم يقتص النبي صلى الله عليه وسلم للذمي من المسلم دل على أنه لا يجري القصاص"[٥٨]

هوامش البحث

[٢] ابن حجر: فتح الباري / ج١٤ / ص٢٥٨.

[٣] أبـو داود: سـنن أبـي داود / ج٤ / الحديـث رقـم ٤٥٣٠. أقـول: تتبـع الزيلعـي عـدة روايات لهـذا الحديث وللـذي سبقه قائـلاً: « قلـت: أخرجه البخـاري «في كتـاب العلـم»، وفـي موضعيـن فـي «الديـات» عـن أبـي جحيفـة، قـال: سـألت عليـاً هـل عندكـم شـيء ممـا ليـس فـي القـرآن؟ فقـال: العقـل، وفـكاك الأسـير، وأن لا يقتـل مسـلم بكافـر، انتهـى. وأخـرج = أبـو داود، والنسـائي عـن قيـس بـن عبـاد، قـال: انطلقـت أنـا، والأشـتر إلـى علـي رضـي اللّـه تعالـى عنـه، فقلـت لـه: هـل عهـد إليـك رسـول الله صلـى اللّـه عليـه وسـلم شـيئاً لـم يعهـده إلـى النـاس عامـة؟ قـال: لا، إلا مـا فـي كتابـي هـذا، فأخـرج كتابـاً مـن قـراب سـيفه، فـإذا فيـه: المؤمنـون تكافـأ دماؤهـم، وهـم يـد علـى مـن سـواهم، ويسـعى بذمتهـم أدناهـم، ألا لا يقتـل مؤمـن بكافـر، ولا ذو عهـد فـي عهـده، مـن أحـدث حدثـاً فعلـى نفسـه، ومـن أحـدث حدثـاً، أو آوى محدثـاً، فعليـه لعنـة اللّـه والملائكـة والنـاس أجمعيـن، انتهـى. قـال فـي «التنقيـح»: سـنده صحيـح، وأخـرج أبـو داود أيضـاً، وابـن ماجـه عـن عمـرو بـن شـعيب عـن أبيـه عـن جـده عـن النبـي صلـى اللّـه عليـه وسـلم، قـال: «لا يقتـل مؤمـن بكافـر»، انتهـى. قـال في»التنقيـح»: إسـناده حسـن، انتهـى. وأخـرج البخـاري فـي «تاريخـه الكبيـر» حدثنـا الدارمـي ثنـا عبيـد اللّـه بـن عبـد المجيـد ثنـا عبيـد اللّـه بـن عبـد الرحمـن بـن موهـب عـن عمـرة بنـت عبـد الرحمن عن عائشـة، قالـت: وجـد فـي قائمـة سـيف رسـول الله صلـى اللّـه عليـه وسـلم : المؤمنـون تكافـأ دماؤهـم، ويسـعى بذمتهـم أدناهـم، لا يقتـل مسـلم بكافـر، ولا ذو عهـد فـي عهـده، مختصـر» الزيلعـي: نصـب الرايـة ـ ج٦ ص٣٣٩ ، ص٣٤٠.

[٤] المغني / ج٩ / دار الكتاب العربي/بيروت/ص ٣٤١ وص٣٤٢.

[٥] الفقه على المذاهب الأربعة / ج٥ / ص٢٨٣.

[٦] الكاساني: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع/ ج٧ / ص٢٣٧.

[٧] ابن العربي: أحكام القرآن / ج١ / ص٦١ وص٦٢.

[٨] قال ابن حجر في تخريج هذا الحديث: حديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قتل مسلما بذمي الدارقطني من طريق ربيعة عن عبد الرحمن البيلماني عن ابن = عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل مسلما بمعاهد وقال أنا أكرم من وفي بذمته قال الدارقطني تفرد بوصله إبراهيم بن أبي يحيى عن ربيعة وقد رواه ابن جريج عن ربيعة فلم يذكر فيه ابن عمر وقال= = البيهقي في الإسناد إلى إبراهيم عمار بن مطر وهو كثير الخطأ والمحفوظ عن إبراهيم ابن محمد بن المنكدر عن ابن البيلماني لا عن ربيعة ثم أخرجه في رواية يحيى بن آدم عن إبراهيم كذلك وكذا أخرجه الشافعي عن إبراهيم وأخرجه أبو داود في المراسيل من رواية سليمان بن بلال عن ربيعة عن ابن البيلماني مرسلا ... وأخرجه عبد الرزاق عن الثوري عن ربيعة به وأخرج الدارقطني في الغرائب من رواية حبيب عن مالك عن ربيعة كذلك وله طريق أخرى ثم أبي داود في المراسيل من رواية ابن وهب عن عبد الله بن يعقوب عن عبدالله بن عبد العزيز بن صالح قال قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين مسلما بكافر قتله غيلة وقال أنا أحق وأولى من أوفى بذمته وحكى البيهقي عن الشافعي قال بلغني أن عبد الرحمن البيلماني روى أن عمرو بن أمية الضمري قتل كافرا كان له عهد وكان رسولا فقتله النبي صلى الله عليه وسلم به قال وهذا خطأ فإن عمرو بن أمية عاش بعد النبي صلى الله عليه وسلم دهرا والمعروف أن عمرو ابن أمية قتل رجلين كان لهما عهد فوداهما النبي صلى الله عليه وسلم وروى الواقدي من طريق عمران بن حصين قال قتل خراش بن أمية بعد ما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن القتل يوم الفتح فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت قاتلا مؤمنا بكافر لقتلت خراشا بالهذلي وهذا إسناد ضعيف لكنه أمثل من حديث البيلماني قاله الشافعي واحتج به على أن قتل المؤمن بالكافر منسوخ» انظر: ابن حجر العسقلاني: الدراية في تخريج أحاديث الهداية/ تحقيق: عبد الله هاشم اليماني المدني/ دار المعارف بيروت/ج٢/ص٢٦٢ , ص٢٦٣.

[٩] ابن رشد: بداية المجتهد / ج٢ / ص٤٧٥ .

[١٠] الكاساني: بدائع الصنائع / ج٧ / ص٢٣٧.

[١١] الطحاوي: شرح معاني الآثار/ تحقيق محمد زهدي النجار/ دار الكتب العلمية / بيروت/ ج٣ / ص١٩٥.

[١٢] الماوردي: الأحكام السلطانية / المكتبة التوفيقية/القاهرة/ص٣٩٥. وذكر هذه الحكاية مع اختلاف طفيف في بعض الكلمات أبو جعفر الطوسي حيث قال: «حكى

الساجي حكاية في قتل المؤمن بالكافر. فقال حدثنا موسى بن إسحاق الأنصاري قال حدثنا علي عن عمروس الأنصاري قال تقدم إلى أبي يوسف في مسلم قتل كافراً فأراد أن يقيده به، وكان على رأس أبي يوسف رجل في يده رقاع فناوله الرقاع وحبس منها رقعة، فقال: ما تلك الرقعة؟ فقال فيها شعر، فقال هاتها فأعطاه فإذا فيها شعر لشاعر بغدادي كان يكنى أبا المصرخيِّ يقول».. ثم ذكر الأبيات المذكور لكنه = ذكر (من فقهاء الناس) بدلاً (من علماء الناس) وذكر (المسلم) بدلاً من (المؤمن) وقدم البيت الأخير على الذي قبله.. راجع الطوسي: المبسوط في فقه الإمامية ج٧ ص٦.

[١٣] ابن حجر: فتح الباري / ج١٤ / ص٢٦٠.

[١٤] ابن حزم: المحلى / ج١٠ / ص٢٢١.

[١٥] الرازي: مختار الصحاح/ ص٤٨٧.

[١٦] ابن رشد: بداية المجتهد / ج٢ / ص٤٧٤.

[١٧] ابن حزم: المحلى/ ج١٠ / ص٢٢٢.

[١٨] ابن حزم: السابق/ج١٠ / ٢٢٣.

[١٩] ابن رجب: جامع العلوم والحكم / ص١٠٨.

[٢٠] ابن حزم: المحلى /ج١٠ / ص٢٢٤.

[٢١] الحلي: شرائع الإسلام /ج٨ / ص١٨١.

[٢٢] العاملي: وسائل الشيعة/ ج٢٩ / ص١٠٧.

[٢٣] العاملي: السابق/ ج٢٩ / ص١٠٧.

[٢٤] العاملي: السابق / ج٢٩ / ص١٠٨.

[٢٥] الخوانساري: جامع المدارك / ج٧ / ص٢٢٨.

[٢٦] الخوانساري: السابق / ج٧ / ص٢٢٨.

[٢٧] المكتبة القانونية: قانون العقوبات المصري/ القاهرة / ص١٨.

[٢٨] المكتبة القانونوية: قانون العقوبات المصري / م٥٠ / ص١٩.

[٢٩] المائدة / ٤٥.

[٣٠] المائدة / ٤٥.

[٣١] البقرة / ١٩٤.

[٣٢] المائدة / ١٤٩.

[٣٣] الشورى : ٤٠.

[٣٤] الشورى : ٤٠.

[٣٥] النحل : ١٢٦.

[٣٦] النحل : ١٢٦.

[٣٧] الفرقان : ٢٣.

[٣٨] الشورى : ٤١ ، ٤٢.

[٣٩] الإسراء : ٣٣.

[٤٠] الحج : ٦٠.

[٤١] البقرة : ١٧٨.

[٤٢] القلم : ٣٥ ، ٣٦.

[٤٣] السجدة : ١٨.

[٤٤] النساء : ١٤١.

[٤٥] ابن حزم: المحلى/ ج١٠/ / ص٢٢٧.

[٤٦] ابن حزم: المحلى/ ج١٠/ص ٢٣١ ، ٢٣٢.

[٤٧] ابن حزم: المحلى / ج١٠ / ص٢٣٢ : ٢٣٥ بتصرف.

[٤٨] البقرة : ١٧٨.

[٤٩] أبو زهرة: العقوبة / ص٢٦٨.

[٥٠] يوسف علي محمود: الأركان المادية والشرعية لجريمة القتل العمد / ج٢ / ص٩١ ، ٩٢.

[٥١] عبد القادر عودة: التشريع الجنائي الإسلامي/ج٢ ص١٠٣.

[٥٢] العوا: محمد سليم العوا : في أصول النظام الجنائي الإسلامي ـ ص٢٤٨.

[٥٣] عبد القادر عودة: السابق/ ج٢ / ص١٢٤.

[٥٤] المكتبة القانونية: قانون العقوبات/ القاهرة/ ص٣ وص٤.

[٥٥] قال ابن حجر: «حديث (لا يقتل مؤمن بكافر) البخاري من طريقة ابن أبي جحيفة عن علي في حديث وأبو داود والنسائي من طريق قيس بن عباد انطلقت أنا والأشتر إلى علي فذكر قصة فيها هذا وإسناده صحيح ولأبي داود وابن ماجة من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رفعه لا يقتل مؤمن بكافر وأخرج البخاري في = تاريخه من حديث عائشة قالت وجد في قائمة سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفيه ولا يقتل مسلم بكافر ولا ذو عهد في عهده وأخرج أبو داود والنسائي من وجه آخر عن عائشة رفعته لا يحل قتل مسلم إلا في إحدى ثلاث = خصال زان محصن فيرجم ورجل يقتل مسلما متعمدا ورجل يخرج من الإسلام وإسناده صحيح « انظر: ابن حجر: الدراية في تخريج أحاديث الهداية / ج٢/٢٦٢

[٥٦] ابن حجر: فتح الباري / ج١٤ / ص٢٥٩.

[٥٧] ابن حجر: السابق / ج١٤ / ص٢٦١. الحديث رقم ٦٩١٧.

[٥٨] ابن حجر: السابق / ج١٤ / ص٢٦١.

# لا عجب للأسد إن ظفرت بها كلاب الأعادي

د. هاني السباعي

لعل شاعرنا الكبير البحتري كان يقصد هؤلاء الشامتين بأسر أو قتل أبطال الإسلام.. عندما قال:

ولا عجبٌ للأسد إن ظفرتْ بها ⁂ كلابُ الأعادي من فصيح وأعجم

فحربة وحشي سقتْ حمزة الردى ⁂ وموتُ علي من حسام ابن ملجم

وهذا ديدن الجبابرة والطواغيت عبر التاريخ يهللون وينشدون الأهازيج فرحاً بأسر أو قتل قائد أو زعيم من المجاهدين.. يستخدم هؤلاء الجبابرة الماكينة الإعلامية ليسحروا أعين الناس بنصر عظيم!! وأي نصر!! خبر قتل مجاهد!! خبر أسرمجاهد!!

تماماً مثلما تناقلت وسائل بقايا امبراطورية البطش والإلحاد روسيا خبر مقتل القائد الشهيد المجاهد خطاب رحمه الله تعالى.. لتواري سوءتها العسكرية وهزائمها المتكررة في دولة الشيشان المحتلة.

تفعل روسيا ذلك أسوة بإمبراطورية الشر الأخرى أمريكا التي احترفت الكذب والدجل الإعلامي حيث صارت على قمة الإعلام المضلل بلا منازع، إذ بين فينة وأخرى تعلن إدارة الغطرسة الأمريكية أنها أسرت أو قتلت قائداً من طالبان أو القاعدة وتهلل وسائل إعلامها المسعورة لهذه الأخبار وتكتم أخبار هزائمها في أفغانستان.

يحسب هؤلاء المستكبرون أن أسر أو قتل قائد أو زعيم إسلامي نصراً لهم وهزيمة لنا.. يحسب هؤلاء الفراعين أن أسر أو قتل مجاهد سبة وعاراً ومذمة لهذا المجاهد أو مجرد تخويف لغيره ممن يسيرون على نفس الطريق!

وإنا لقومٌ ما نرى القتلَ سبة ⁂ إذا ما رأته عامرٌ وسلولُ

يقرّب حبُ الموت آجالنا ⁂ وتكرهه آجالُهم فتطولُ

لكن كلاب الأعادي لا يقرأون تاريخ أمتنا جدياً وإذا قرأ لم يفهموا وإذا فهموا لم يعتبروا.. لو قرأوا تاريخ الأمم جيداً وخاصة في قضية صراع أهل الحق مع الطواغيت

سيعلمون أن فرحهم قليل.. وأن الحق دائماً يدمغ الباطل ويزهقه ولو بعد حين.

وإن كثيراً من الناس يعجبون من ظفر هؤلاء الجبابرة بهؤلاء المجاهدين الأخيار!! نعم نحن نتألم لظفر هؤلاء الطغاة بأصحاب الحق وإنا لفراقهم لمحزونون.. لكن هؤلاء المجاهدين لهم رسالة ربانية، قد خرجوا وهم يعلمون أنهم ليسوا في نزهة فأرواحهم على أكفهم وغاية ما يتمنون الشهادة في سبيل الله أو النصر على الأعداء فهم أناس مطمئنون أن مصيرهم إلى إحدى الحسنيين إما النصر وإما الشهادة.. أما كلاب الأعادي فلن تستطيع تذوق هذه اللذة التي يحياها المجاهد سواء في أسره أو في استشهاده.. لن يفهموا قول الخنساء: الحمد لله الذي شرفني بموتهم.

لا عجب أن يظفر الروس أو الأمريكان بهؤلاء الأطهار فقد فعلها من قبل بنو إسرائيل مع أعظم البشر منزلة وهم الأنبياء عليهم السلام تآمروا على أنبيائهم وقتلوهم (ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الأنبياء بغير حق).. ألم يُذبح نبي الله يحيى وتقدم رأسه على طبق إلى بغي من بغايا بني إسرائيل؟! ألم ينشر نبي الله زكريا في جذع شجرة؟!

ألم يتعرض الأنبياء والمرسلين لكافة أنواع البلاء من استهزاء وضرب وقتل من سفلة الناس وأراذلهم!!

وهل كان أحد يظن أن الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقتل في دار العدل والأمان في المدينة المنورة بطعنة غدر من أبي لؤلؤة المجوسي!!

وهل كان أحد يجرؤ أن ينازل أبا الحسنين علي بن أبي طالب في ميدان المبارزة والفروسية ألم يقتل غدراً من ابن ملجم الخبيث.

ورغم ذلك لم يمت الإسلام ولم يمت بنوه.. لو كان مقدراً للإسلام أن يموت لمات بموت الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم.. ألم يظفر غلمان الباطنية بالخليفة المسترشد وقتله غدراً ثم في نفس السنة يغتالون ابنه الخليفة الراشد!! ألم يقتل السلطان السلجوقي مسعود بن مودود وهو متجهز لحرب الصليبيين على يد غلام باطني حقير وهو

في المسجد وفي يوم الجمعة وبين جيشه وحراسه!!

ومن منا لا يذكر عماد الدين زنكي الذي دق أول مسمار في نعش الصليبيين في الشام يوم أن استرد بالقوة أول مملكة صليبية في الشرق مدينة الرها سنة ٥٣٩هـ وكانت المناحة الكبرى في أوروبا الصليبية مما دفعهم للقيام بحرب صليبية ثانية بقيادة كونراد الثالث ملك ألمانيا ولويس السابع ملك فرنسا لكنهم هزموا على يد ابنه وعلى يد المتطوعين من بسطاء المسلمين!! ورغم ذلك اغتيل هذا الأمير العظيم عماد الدين زنكي على يد أغيلمة مأجورين لحساب الأعداء وهو يحاصر قلعة جعبر على نهر الفرات سنة ٥٤١هـ!! وفرحت كلاب الأعادي وطفق الصليبيون يجوبون شوارع أوربا يهنئون أنفسهم بمقتل عماد الدين زنكي!! وحسب الصليبيون وأذنابهم وجبابرة ذلك الزمان أن العرين خلا تماما من الأسد.. فإذا بفرحة كلاب الأعادي لم تكتمل:

إذا سيدٌ منا خلا قام سيدٌ ⁂ قؤولٌ لما قال الكرامُ فعولُ

لقد دخل أسد آخر العرين؛ إنه نورالدين محمود الذي أمسك الراية وكان جديراً بها، وحقق حلم وأمنية آل زنكي في تطهير العالم الإسلامي من الصليبيين.. نور الدين زنكي الذي اعتبره المستشرق ستيفن العدو الأكبر للصليبيين.. لما مات فرحت كلاب الأعادي لكن سرعان ما أخذ الراية أسد آخر إنه صلاح الدين الأيوبي الذي كانت الثمرة على يديه في حطين سنة ٥٨٣هـ!! هكذا تاريخ الجبابرة مع أهل الحق يفرحون لأسر قائد أو قتله أو حتى مجرد موته!!

ولمن أراد المزيد فليقرأ سيرة السطان العظيم بايزيد الملقب بالصاعقة الذي دوخ ملوك الغرب والشرق وأسر أمراء وملوك أوربا في معركة نيقوبلي سنة ٧٩٩هـ هذا السلطان نفسه هاجمه الطاغية الشهير تيمورلنك وهو مشغول بحرب الأوربيين وكاد أن يفتح القسطنطينية وينال شرف فتحها لكن قائد المغول تيمور هاجمه وأسره في معركة أنقرة سنة ٨٠٥هـ. بل إن تيمور لنك حبسه في قفص وعرضه على الناس في الشوارع ليتفرجوا عليه وظل محبوساً لمدة ثمانية أشهر حتى مات كمداً رحمه الله.. وفرح

الأوربيون والمغول بأسر السلطان بايزيد وظنوا أن دولة العثمانيين قد انتهت ولكن خاب مسعاهم ولم تكتمل فرحتهمم إذ خرج المارد من قمقمه وظفر عليهم جميعاً وظلت الدولة العثمانية سيدة العالم وشوكة في حلوقهم قرابة خمسة قرون رغم كل المؤامرات والدسائس التي قام بها كلاب الأعادي.

وهل نسي الروس أو تناسوا الإمام المجاهد شامل بطل قفقاسيا الذي هزم جيوش القياصرة وظل ردحاً من الزمن ينكأ في الروس ويتعلم العالم منه فنون ما يسمى بحرب العصابات قبل ماوتسي تونج وكاسترو وجيفاراً.. ظل يجاهد ويقاوم حتى ظفرت به كلاب الأعادي وأخذ أسيراً لكنه مات رحمه الله عزيزاً كريما بعد أن بذل أقصى ما يمكن لمجاهد مثله وفي ظرفه التاريخي أن يفعل.

فرح القياصرة قليلاً لكن لم يعلموا ما في رحم الأيام فإذا بأحفاد الإمام شامل يأخذون راية الجهاد من جديد ونسمع عن الملاحم والبطولات التي سطرها بصحائف من ضياء شامل باسييف وخطاب.. ذلك الخطاب الذي فرحت بمقتله كلاب الأعادي!! ولكن إلى حين!!

هل نسي الروس والأمريكان أمجاد عمر المختار الذي دوخ الإيطاليين وكبدهم خسائر على مدار عشرين سنة.. وظفرت كلاب الأعادي بأسر عمر المختار وحسبوا أن فرحتهم قد تمت لكن حياته كانت ولا تزال أطول وأطهر من حياة شانقيه.

ألم تقتل كلاب الأعادي المجاهد فتحي الشقاقي غدراً؟! ومن الذي اغتال يحيى عياش وهاني العابد وعوض الله وكل هؤلاء الأبطال.. أليست كلاب الأعادي؟! لقد حسبوا أن راية الجهاد قد انكسرت وأن شمس فلسطين قد كسفت.. وأن أقمارها قد خسفت.. لكن هيهات هيهات! هل كان يدور في خلد قتلة الأنبياء يوماً أن زهرة القرنفل وحبة البرتقال وتلكم النسائم الناعمة من أعواد الياسمين تتحول إلى نيران تحرق قلوب أعداء الأمة!!

وأخيراً: لتعلم روسيا وأمريكا وجبابرة الأرض جميعاً أن الأمل الأخضر لن يموت بموت

قائد أو زعيم أياً كانت منزلته في قلوب الناس فرحم أمتنا ولود ..

وأيامنا مشهورةٌ في عدونا ** لها غررٌ معلومةٌ وحجولُ

## التجلية في الرد على التعرية

تنبيه: نعيد نشر كتيب «التجلية» للدكتور هاني السباعي الذي كتبه منذ ٥ سنوات للرد على كتاب «التعرية» للدكتور المتراجع سيد إمام الذي رد فيه على كتاب «التبرئة» للدكتور أيمن الظواهري.

# التجلية في الرد على التعرية

د.هاني السباعي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. وبعد:

لقد صال الدكتور سيد إمام وجال في مذكرة التعرية ولم يجب على الأسئلة التي كان من المفترض أن يجيب عنها خاصة المتعلقة بالحكم الشرعي للنظام المصري وأنصاره (وزراء/جيش/شرطة/قضاة/علماء سلطة/وسائل إعلام إلخ) والأنظمة العربية القائمة لنتأكد هل كانت تراجعاته تراجعات جدية! فهل رئيس النظام المصري مسلم أم كافر؟ نريد إجابة صريحة؟ وهل الوزراء وهم أهم أنصار الحاكم وأعوانه لقد سماهم الدكتور سيد إمام في كتابيه (العمدة والجامع) بأنصار الطواغيت! هل هؤلاء كفار أم مسلمون؟! لم يجب في تراجعاته؟ هل القضاة والصحفيون والعلماء الرسميون مسلمون أم كفار؟ وهل المنتسبون إلى الجيش والشرطة كفار أم مسلمون؟! وعن رأيه في العملية الانتخابية وسلوك الطريق الديمقراطي والدخول في البرلمانات؟! لقد كفرالدكتور سيد إمام في كتابه الجامع وهو أحدث من كتابه العمدة كفر الناخب والمنتخب وكل من يشارك في هذه العملية برمتها! ولم يتكلم في التعرية عن آثار الحكم بالقوانين الوضعية كحكم إسقاط عقد الذمة؟

ولم يحدثنا في التعرية عن حكم التحالف مع أمريكا ولا عن حكم من حزن لأحداث سبتمبر ٢٠٠١م! فقد كفر في رسالته (الإرهاب من الإسلام) من حزن على قتلى الأمريكان أو واساهم؟ رغم أنه كان في تعريته حمامة سلام! من أول الوثيقة إلى آخرها مع الأمريكان! وصب جام غضبه على الشيخين (أسامة بن لادن وأيمن الظواهري)!! ولم نسمع له حساً عن حكم سن التشريعات الخاصة بالموسيقى والغناء وعن حكم التجارة في آلات العزف

واللهو! وعن حكم من ينتسب إلى معاهد الموسيقى والغناء والتمثيل؟ لقد صرح بأن من يشرع إباحة وفتح هذه المعاهد وآلات اللهو والتمثيل والمعازف بأنه كفر أكبر؟ لقد صرح بذلك في كتابه الجامع الذي أقام الدنيا ولم يقعدها من أجله! كنا نود أن يجيب عن الأسئلة التي طرحها عليه الدكتور أيمن الظواهري في كتاب التبرئة؟! لكنه لم يفعل؟!

نريد أن نعرف هل وصل إلى منظومة تراجعية متكاملة تناقض ما كان قد سطره في كتابيه (الجامع في طلب العلم الشريف، والعمدة)، أم أن هذه التراجعات تقية فكرية لتحقيق مكاسب آنية (تحسين وضعه في السجن، ويعقبه تخفيف مدة العقوبة، أو عفو رئاسي)! والذي دفعني لهذا التساءل هو إصرار الدكتور على استمساكه بما ورد في كتابيه الجامع والعمدة! وهذا ما سأفرد له بعون الله تعالى عينة من آرائه وفتاويه في الشق الموضوعي في ردي على مذكرة التعرية!!

لقد كان يتوقع كثير من المتابعين لهذه التراجعات أن يرد الدكتور سيد إمام على كتاب التبرئة للدكتور أيمن الظواهري رداً علمياً مشفوعاً بالأدلة الشرعية! لكنه خيب ظن هؤلاء المتابعين حيث أبعد النجعة! وطفق يقذف بالباطل ليدمغ الحق الذي ورد في ردود مخالفيه على وثيقته التراجعية! فبدت التعرية عارية تماماً من الأدلة النقلية والعقلية!

ومن منطلق هذا الاستهلال فإنني سأشرع في توضيح وتجلية ما ورد من مغالطات في مذكرة التعرية على النحو التالي:

أولاً: تقدمة:

ثانياً: التعليقات الشكلية على التعرية.

ثالثاً: التعليقات على بعض النقاط المثارة في صلب التعرية.

رابعاً: عينة من آراء وفتاوى صاحب التعرية.

**صفوة القول.**

تقدمة:

إن الأنظمة القمعية الأمنية الفاشلة الجاثمة على صدور أمتنا الإسلامية تسير على وفق تعليمات مؤسسة راند الأمريكية حذو القذة بالقذة! وهي سياسة قديمة جديدة لكل مستعمر (فرق تسد)! فالاحتلال البريطاني للهند هو الذي أوجد القاديانية وشجعها ومولها ومنحها حمايته للطعن في عقيدة الإسلام بغية اطفاء شعلة ذروة سنام الإسلام (الجهاد) من صدور أبناء المسلمين الذين كانوا يجاهدون الاحتلال البريطاني لبلادهم! وتكرر هذا الأمر في تلكم الفترة في العراق وإيران وتركيا وإيجاد حركات سرية هدامة لأصول الإسلام كالبهائية مع تشجيع حركات التصوف والشعوذة في شبه القارة الهندية وأفريقيا وفي مصر إبان الاحتلال الفرنسي باعتبار أن أنموذج أصحاب الريات الخضر والبيارق الحمر والصفر هو الأنموذج المرضي عنه لدى قوات الاحتلال وقد رأينا بأم أعيننا كيف وصل الهوان بالعالم الإسلامي عندما وصل هؤلاء البيادق (علمانيون بجميع مشاربهم ومتصوفة وحركات إسلامية أقرب إلى التعلمن منها للإسلام كالحزب الإسلامي في العراق وحلف الشمال في أفغانستان يتمسحون بالإسلام ويرفعون رايته التي لا يعرفها رسول الله صلى الله عليه وسلم! رأينا كيف وصل عبد الواحد رئيس جماعة من الدراويش والمشعوذين إلى سدة الحكم فصار رئيساً لأكبردولة في العالم الإسلامي أندونسيا ثم نراه أكبر مطبع مع الكيان الغاصب لفلسطين بل كان يفتخر بهذه الصداقة الحميمة التي كانت مستعصية على سوكارنو المحارب للمسلمين وللشريعة الإسلامية في بلاده! ثم ها هي ذي الجمعيات التي يطلق عليها إسلامية ومحمدية تفتح البلاد للكيان الغاصب لفلسطين بدون خوف أو وجل! فهذا هو الدين الجديد المرضي عنه أمريكيا وغربياً؛ استنساخ صحوات فكرية وعسكرية بغية تفكيك الكتلة الصلبة في الأمة (أفغانستان/ فلسطين/ العراق/ الشيشان/ كشمير/ الصومال وغيرهم) التي تعتبر العقبة الكأداء في مواجهة المشروع الأنجلوأمريكي لاحتلال العالم الإسلامي!

لذلك كان لزاماً على الأنظمة الحاكمة في العالم الإسلامي أن تقوم بحماية عروشها المرتهنة بالمشروع الأنجلو أمريكي من خلال تبني فكرة تفتيت الكتلة الصلبة من خلال مسلسلات (التراجعات) وتضخيمها إعلامياً مع إبراز مجموعة من المحللين الذين اختيروا

لترويج هذه المستنسخات (التراجعات= تصحيح مفاهيم/ترشيد/تعرية/صحويات)! وتخصيص منابر إعلامية تابعة مباشرة أو غير مباشرة لمؤسسات هذه الأنظمة التي أخذت على عاتقها تسليط الأضواء على هذه التراجعات وأصحابها!

أولاً: التعليقات الشكلية على التعرية:

الأول: عنوان الوثيقة الجديدة (مذكرة التعرية لكتاب التبرئة)! فالتعرية للدكتور سيد إمام، والتبرئة للدكتور أيمن الظواهري؛ وكان يرد فيه على (وثيقة ترشيد العمل الجهادي لنفس صاحب التعرية).

الثاني: لقد انفرد بنشر (التعرية) جريدتان؛ المصري اليوم، والشرق الأوسط؛ أما (المصري اليوم فقد نشرت التعرية في ١٣ حلقة ابتداء من تاريخ ٢٠ ذي القعدة ١٤٢٩هـ الموافق ٢٠٠٨/١١/١٨م إلى آخر حلقة بتاريخ ٢٠٠٨/١٢/٢م). وأما جريدة الشرق الأوسط فقد نشرت التعرية في ١١ حلقة ابتداء من نفس التاريخ السابق وانتهاء بتاريخ ٣٠ من ذي القعدة ١٤٢٩هـ الموافق ٢٨ نوفمبر ٢٠٠٨م. معنى ذلك أن الشرق الأوسط كانت تختصر بعض الحلقات وتعدل بعض العبارات خشية المتابعة القضائية في حق بعض الأشخاص الذين يعيشون في الغرب بصفة خاصة.

الثالث: نشرت الجريدتان المذكورتان آنفاً (مذكرة التعرية) رغم ما حوته من عبارات سب وقذف وشتائم وتخوين! لو كتبت هذه العبارات في حق أي شخص آخر غير الشيخين (الشيخ أسامة بن لادن والدكتور أيمن الظواهري) لكان مصير الجريدتين الحبس والغرامة ولربما الإغلاق! طبقاً للقوانين الوضعية المعمول بها على مستوى العالم! لكننا نتفهم أن روح الانتقام الذي جمع بين كاتب التعرية والنظامين اللذين تتبعهما الجريدتان مع تأكدهما أن الشيخين لا يستطيعان رفع مثل هذه القضايا نظراً لوضعهما الأمني الذي لا يخفى على أحد! لذلك كان عرض الشيخين مباحاً لصاحب التعرية ومن وراءه!

الرابع: الأصل أن مذكرة التعرية رد على كتاب التبرئة ، وقد يكون نشر التعرية متفهماً أو مستساغاً لو أن نفس الجريدتين نشرتا كتاب التبرئة للدكتور أيمن الظواهري فيكون من

حقه إذن أن ينشر رداً وتعقيباً على كتاب التبرئة! لكن الذي حدث أن الجريدتين نشرتا التعرية دون نشر التبرئة! أو حتى على الأقل أن تقسم الصفحة قسمين أو كل كتاب في صفحة ليقارن القارئ بين الكتابين! وهذا يدل على التحيز لصاحب التعرية! لحاجة في نفس من نشروا وثيقة التعرية! وهذه الحاجة التي في أنفسهم لا تحتاج إلى ذكاء خارق فالهدف واضح وجلي؛ تفتيت الكتلة الصلبة وتدمير رموزها الصامدة ولو معنوياً!!

الخامس: إصرار وسائل الإعلام على إبراز صاحب التعرية بهالة من الألقاب (مفتي الجهاد)! وعبارة (المراجعات الثانية لتنظيم الجهاد)! وكأن هناك مراجعات أولى! وهذا تدليس بل وكذب صراح! فالدكتور سيد إمام ترك جماعة الجهاد باعترافه هو شخصياً منذ خمسة عشر عاماً! ولم تعد تربطه أية علاقات بجماعة الجهاد! ولا بغيرها من الجماعات الإسلامية الجهادية الأخرى! كما أنه صرح بأنه ليس مفتياً! كما أن القاعدة والجماعات الجهادية الأخرى لا تثق بهذه التراجعات! ولا بهؤلاء المشايخ المتراجعين! فلم تستشره أو تستفتيه وهو حر طليق في اليمن! فقد تجاوزته ولديها من المشايخ ومن أهل العلم ما فيه الكفاية!

السادس: نلاحظ أن صاحب التعرية لم يذكر مخالفيه إلا باقتران أسمائهم بالكذب والفسق والغش والخداع وعدم المروءة! وفي أحسن الأحوال بدون أية ألقاب مثل الدكتور أو الشيخ أو الأخ!! وفي نفس الوقت تتعمد معظم وسائل الإعلام وكثير من المحللين الذين جيئ بهم ليعلقوا على هذه التعرية الجديدة! ذكر صاحب كتاب التبرئة بدون ذكر لقبه العلمي! وكان من الانصاف إما أن يذكروا أسماء الطرفين بدون ألقاب أو يسووا بين الطرفين! ولكن هذه المساواة لم تحدث فيصرون على ذكر صاحب التعرية بالدكتور فضل أو الدكتور سيد إمام! ويجردون الدكتور أيمن الظواهري من لقبه! بغية التقليل من شأن الدكتور أيمن الظواهري! رغم أن معظم وسائل الإعلام الغربية لا تفعل ذلك! فالدكتورالظواهري صدرٌحيث كان!

السابع: نلاحظ أن مذكرة التعرية خلت من أي رد شرعي معتبر! وكان صاحب

التعرية يكرر عبارات وموضوعات سبق أن كتبها وكررها أيضاً في وثيقة الترشيد التي نشرت العام الماضي ٢٠٠٧م! وسبق أن رد الدكتور أيمن على هذه القضايا والشبهات في كتابه (التبرئة)، وكنت بفضل الله تعالى أول من رد على وثيقة الترشيد في يوم صدور العدد الأول ونشر في كثير من وسائل الإعلام بعنوان (تعليق أولي على وثيقة ترشيد العمل الجهادي) وكان ذلك بتاريخ ٨ من ذي القعدة ١٤٢٨هـ الموافق ١٨ نوفمبر ٢٠٠٧م. ثم قمت بالرد على كتاب وثيقة الترشيد في عشر حلقات كوامل في برنامج البالتوك بالأنترنت وكان كل يوم سبت ومدة الحلقة الواحدة حوالي ساعتين! واستمر برنامج ردي على الدكتور سيد إمام شهرين ونصف! والحلقات موجود في موقع المقريزي! وكان ذلك قبل أن ينشر الدكتور أيمن الظواهري كتابه التبرئة! وسبب تركيزي على هذه الجزئية أن صاحب التعرية اتهم الدكتور أيمن أنه تسرع في الرد على وثيقة الترشيد قبل أن تنشر رغم أن الدكتور أيمن الظواهري لم يذكر هذه الوثيقة في بياناته السمعية والمرئية إلا في جمل قليلة دون ذكر الدكتور سيد إمام بالاسم وكان ينتقد فكرة التراجعات في حد ذاتها دون أن يتطرق إلى التفاصيل! ثم بعد ذلك نشر الدكتور أيمن كتابه التبرئة في مائة وتسعين صفحة رداً على الوثيقة بالتفصيل الشرعي والتاريخي والفكري! وهذا سر إثارة حفيظة صاحب التعرية ففقد توازنه وكتب مذكرة التعرية التي أضرت به كثيراً!

الثامن: نلاحظ أن صاحب التعرية قد كرر موضوع كتابه (الجامع)، وقضية الترس، والعهد والأمان، مع إضافة قضايا شخصية إن صحت فلا علاقة لها بالرد الشرعي الذي كان يعول عليه صاحب التعرية ومن دفعوه لذلك! بالإضافة إلى فواصل من السباب والاتهام بالعمالة والخيانة والتضليل والتكفير المبطن! في بعض العبارات حيث كان يخلط صاحب التعرية بين القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة وبين آرائه! فمن يعترض على آرائه يتهمه بأنه يعارض كلام الله! ومن يعترض على كلام الله أو رسوله فقد كفر! هكذا بكل بساطة يكفر مخالفه بمجرد أن صاحب التعرية استشهد بآية أو حديث في غير موضعه! فيومئ إلى القارئ أن الدكتور أيمن الظواهري أو الشيخ أسامة يخالفان قول الله تعالى أو يعارضان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم! وفي الحقيقة فإنهما يخالفانه هو لا يخالفان النص

(القرآن وصحيح السنة)! وهذا يدل على أن صاحب التعرية فقد بوصلة الرشد وأن السجن جدد له أزمات كان يعاني منها قديماً وخاصة عقدة أنه عندما فارق جماعة الجهاد لم يتبعه أحد! وقد كان يظن أنه إذا ترك الجماعة سيلتف حوله معظم أعضاء الجماعة وقادتها وهذا لم يحدث! وحدث بالعكس حيث التف معظم قادة وأفراد الجماعة بالدكتور أيمن الظواهري وبايعوه عدة مرات أميراً لجماعة الجهاد منذ عام ١٩٩٣م وقد كتبت حول هذه البيعة في قصة الجهاد التي نشرتها جريدة الحياة اللندنية عام ٢٠٠٢م.

التاسع: يعتبر نشر مذكرة التعرية أكبر دعاية لكتاب التبرئة للدكتور أيمن الظواهري! فلم يعرف بكتاب التبرئة إلا ثلة من المتابعين لمواقع الإنترنت من إسلاميين وإعلاميين ومراقبين للحركات الإسلامية خاصة الجهادية! فهاتان الجريدتان ومعهما بالطبع صاحب التعرية ساعدوا في تحفيز القراء على البحث عن كتاب التبرئة وتنزيله من الإنترنت! فكان الدكتور أيمن الظواهري الحاضر الغائب! وأحسب أنه قد صدق فيه قول أبي تمام:

وإذا أراد اللهُ نشرَ فضيلةٍ *** طُويتْ أتاحَ لها لسانَ حسود

لولا اشتعالُ النارِ فيما جاورتْ *** ما كان يُعرَفُ طيبُ عَرفِ العود

العاشر: نشرت جريدة الشرق الأوسط العدد ١٠٤٠٩بتاريخ ١٣ جمادى الأولى ١٤٢٨هـ الموافق ٢٩ مايو ٢٠٠٧م: « طالب الدكتور فضل منظر «القاعدة»، الذي يعرف باسم سيد إمام عبد العزيز الشريف مؤسس جماعة «الجهاد» المصرية من داخل محبسه في مصر بمليون جنيه استرليني مقابل كتاب المراجعات الذي ألفه تحت عنوان «وثيقة ترشيد الجهاد في مصر والعالم». وقال الدكتور في رسالة بخط يده تلقتها «الشرق الأوسط» عبر مصدر وسيط «إن الكتاب يقع في ٩٠ صفحة من مقاس A٤ تقريبا، وهو مختصر ومركز لسهولة التداول وتعميم الفائدة». وذكرت الجريدة أيضاً في نفس العدد: « وطالب الدكتور فضل «مليون استرليني صافية بدون مصروفات أو أتعاب محامين، يضاف اليها ١٠ في المائة من قيمة المبيعات». أهـ. أقول: هذه كانت مطالبه في وثيقة الترشيد فما بالك في مذكرة الشتائم والسباب (التعرية)!

الحادي عشر: لقد انكشفت السوأة الفكرية للتعرية! إن كان هناك فكر قد كتب من الأصل! فما التعرية إلا إسقاط لحالة صاحب التعرية النفسية التي كشفها الدكتور أيمن الظواهري في تبرئته وعراها تماماً من أية مقومات فكرية أو شرعية ولم يبق ويا للحسرة! للدكتور سيد إمام إلا بقايا هيكل فكري متآكل مهزوم ينبش في تاريخ قديم لعله يجد في هذه الحفريات التاريخية أثارة من شبهة ليقذف بها قادة الكتلة الصلبة والطلبعة المجاهدة في هذه الأمة! فكانت التعرية خبط عشواء ومحاولة يائسة ليخرج من زنزانته بأي ثمن ولو على أشلاءِ عرض قادة الجهاد!

الثاني عشر: إن تسويق تراجعات الدكتور سيد إمام التي طبخت في أقبية أمن الدولة كأنموذج يحتذى به لم يؤت أكله ولم يحقق غرضه! وكان لتسويق هذه التراجعات مردود عكسي حيث استبان للناس جمعاء تعرية أصحابها فكرياً وعقدياً!

ثانياً: التعليقات على بعض النقاط المثارة في صلب التعرية:

نشرع الآن في التعليق على بعض ما ورد في مذكرة التعرية على النحو التالي:

(١) طلب المباهلة:

بدأ الدكتور سيد إمام في الحلقة الأولى من تعريته سيلاً من التهم والسباب للدكتور أيمن الظواهري متهماً إياه بالكذب والبهتان والافتراء: « قال الظواهرى إن (وثيقة ترشيد الجهاد) كُتبت بإشراف أمريكا واليهود من كتاب (التبرئة)، فقال: (إن الوثيقة كتبت بإشراف وتمويل السفارة الأمريكية والمخابرات الأمريكية ـ السى آى إيه - وإف بى آى والحملة الصليبية اليهودية). فما دليله على هذا الكلام وما مستند شهادته هذه؟. هل مستند شهادته السمع أم البصر أم نقل الشهود العدول؟ فإن لم يكن هذا ولا هذا فهو رجل كذاب مفتر، وأنا أدعوه إلى المباهلة فى هذا الأمر» (التعرية/الحلقة الأولى/المصري اليوم بتاريخ ٢٠٠٨/١١/١٨م).

أقول: العجب العجاب أن يطلب الدكتور سيد إمام طلب المباهلة وهو يعلم يقيناً أن وثيقة الترشيد وأخواتها في التراجعات قد كتبت بمعرفة وإشراف وتسويق أمن الدولة الذين

أعلنوا النفير العام بتراجعات صاحب التعرية ووصفه بالعالم الدكتور الشيخ الفقيه شيخ الظواهري ومفتي الجهاد!! رغم أنه كان في نظرهم من قبل نكرة لا يعيرون له اهتماماً ولم تعرفه هذه الأقلام المرتبطة أمنياً وكان في عداد المجاهيل! فسبحان مغير الأحوال! فبعد أن صار في قبضتهم وفي سجنهم وقدم لهم ما يريدون رغبة ورهبة! طفقوا يطبلون ويزمرون لتراجعاته! مستخدمين وسائل الإعلام التابعة لأنظمتهم المستبدة! والغريب إصرار صاحب التعرية على المباهلة! ومذكرته من أول حلقة إلى آخر حلقة دفاع مستميت لصالح أميركا! ومقارانات في غاية الغرابة من أن عدد القتلى على أيدي القاعدة من المسلمين يفوق عدد ما قامت به أمريكا! أمريكا التي قتلت مليوني عراقي وأبادت مدائن وقرى بأكلمها في أفغانستان وأزهقت أرواح أكثر من مائتي ألف قتيل أفغاني! فأمريكا حسب ما يريد أن يوصله لنا الدكتور سيد إمام أنها مظلومة وبريئة وأن الدكتور أيمن الظواهري والشيخ أسامة بن لادن وكل هؤلاء القادة سفاكون للدماء!! فأين حمرة الخجل يا صاحب التعرية! تطلب المباهلة وتراجعاتك كلها في صالح المشروع الأمريكي ومؤسسة راند رأس الحربة الفكرية التي تتبنى هذه (الصحويات التراجعية الجديدة)!

إن كنت لا تدري فتلك مصيبة ❊❊ وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

وانظر إلى هذه الطلب المضحك! يقول صاحب التعرية: «وأنا أطالبه بمثل هذه المباهلة كتابة وبالصوت والصورة التى لا تتيسر لى»أهـ (التعرية/الحلقة الأولى/المصري اليوم). يقول (بالصوت والصورة التي لا تتيسر لي)! فصاحب التعرية يطالب الدكتور أيمن الظواهري بالمباهلة بالصوت والصورة التي لا تتيسر له!! وكيف تيسر له كتابة هذه التراجعات (وثيقة الترشيد التي نشرتها جريدة المصري اليوم المفضلة أمنياً! ويطلق على هذه الصحف الجديدة في مصر (صحف كونديليزا)! لمثل هذه التراجعات وجريدة الجريدة الكويتية، وحواره مع جريدة الحياة بدون وسيط من داخل السجن في ست حلقات بالصورة، وتسجيله بالصوت والصورة للتلفاز المصري الذي يخضع كلياً لأمن الدولة!! بالإضافة إلى مذكرة التعرية التي نشرتها جريدتا المصري اليوم والشرق الأوسط)!!

وهذا مقتطف مما ذكره الدكتور أيمن في تبرئته متسائلاً: «أما لصالح من نشرت ووزعت هذه الوثيقة؟ فالمستفيدة الأولى من هذه التراجعات هي أمريكا. (أ) فالمجاهدون يدعون الأمة للقيام والنهوض والتصدي والجهاد والاستشهاد، والمتراجعون يدعونها للتخاذل والاستسلام، فيفتحون الباب واسعاً أمام استشراء المخطط الصهيوني الأمريكي. (ب) والمجاهدون هم الذين أفشلوا المخطط الأمريكي في المنطقة، وهم أيضاً من تنتقدهم تلك التراجعات. (ج) وأمريكا تعرف خطورة التيار الجهادي والقاعدة عليها وعلى مستقبلها ومكانتها في العالم، فالقاعدة لا تطالب فقط بطرد المحتلين الصليبيين واليهود من بلاد المسلمين، بل تطالب أيضاً بأن يباع البترول بسعره الحقيقي، بكل ما تمثل هذه الدعوة من آثار مدمرة على السيطرة الأمريكية على العالم، التي انبنت بدرجة كبيرة على سرقتها لثروات المسلمين»أهـ (التبرئة/ الناشرمؤسسةالسحاب/ محرم ١٤٢٩هـ/ يناير٢٠٠٨م/ ص٥).

أما عن كيف كتبت هذه الوثيقة فيتساءل الدكتور أيمن الظواهري ويجيب: «أما كيف كتبت هذه الوثيقة؟ فهذه التراجعات لم تكتب في ظروف القهر والسجن والخوف فقط، ولكنها كتبت بإشراف وتوجيه وتدبير وتمويل وإمكانات الحملة الصليبية اليهودية، ولم يبذلوا فيها هذه الأموال والجهود إلا لأنها تصب في مصلحتهم، ولو كانوا لا يحققون بها مصالحهم لما سمحوا لصاحبها أن ينطق أصلاً»أهـ (التبرئة /ص٩).

(٢) تهمة العمالة:

إن أخطر ما في تراجعات الدكتور سيد إمام (الوثيقة والتعرية وحواراته) اتهامه إخوانه بالعمالة والخيانة وهو يعلم أن هذه تهم خطيرة يترتب عليها أحكام شرعية في منتهى القسوة تصل إلى الحكم بالردة!

قال صاحب مذكرة التعرية: «أما عندما اتهمته أنا بالعمالة للمخابرات السودانية، فأقسم بالله الذى لا إله غيره أننى سمعت هذا الكلام من فم الظواهرى بأذنى مباشرة بدون واسطة فى السودان آخر ١٩٩٣م إذ قال لى (إنه ملتزم أمام السودانيين بتنفيذ عشر

عمليات فى مصر، وإنه تسلم منهم مائة ألف دولار لهذا الغرض) هذا كلامه لي»أهـ (التعرية/ الحلقة الأولى حسب ترتيب جريدة المصري اليوم بتاريخ ١٨/١١/٢٠٠٨م).

أقول: هذا كلام لا يسلم لصاحب التعرية للأسباب التالية:

(أ) لا يوجد ثمة شاهد واحد على اتهامه وشهادته كخصم غير مقبولة في حق الدكتور أيمن الظواهري! دليل ذلك ما ذكره أبو داود في سننه في كتاب القضاء في باب من ترد شهادته حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رد شهادة الخائن والخائنة، وذي الغِمر على أخيه» قال أبو داود: الغمر: الحِنَة والشحناء» سنن أبي داود تحقيق الألباني الألباني/مكتبة المعارف للنشر/الرياض/الحديث رقم ٣٦٠٠ ص ٥٤٥ حسّن هذا الحديث الألباني في الكتاب المذكور).

قال العلامة شمس الحق العظيم آبادي: «صرح أبو عبيد بأن الخيانة تكون في حقوق الله كما تكون في حقوق الناس من دون اختصاص (وذي غمر) بكسر الغين المعجمة وسكون الميم أي الحقد والعداوة (على أخيه): أي المسلم فلا تقبل شهادة عدو على عدو سواء كان أخاه في النسب أو أجنبياً» أهـ (شمس الحق العظيم آبادي: عون المعبود في شرح سنن أبي دواد/ دار الفكر بيروت /١٤٢٣هـ/ج١٠ ص٧).

وقال الإمام موفق الدين ابن قدامة: «ولا يقبل الجرح من الخصم بلا خلاف بين العلماء» أهـ (ابن قدامة: المغني مع الشرح الكبير/ج١١ ص٤٢٦).

الشاهد أن الدكتور سيد إمام خصم وعداوته قديمة وسابقة في حق الدكتور أيمن الظواهري منذ خمس عشرة سنة في مقدمة كتابه الجامع! وكرر هذه العدواة في وثيقة الترشيد وحواراته الست في جريدة الحياة وثالثة الأثافي هذه التعرية! ومن ثم فالدكتور سيد إمام مجروح الشهادة ولا تقبل أقواله ولا يعتد بها شرعاً!

وأخشى أن يكون قد أصابه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في البخاري: « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا ، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ

فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»أهـ.

(ب) يقول صاحب التعرية إن الدكتور أيمن تسلم من السودانيين لتنفيذ عشر عمليات في مصر: (وإنه تسلم منهم مائة ألف دولار لهذا الغرض)! تخيل! وهل المائة ألف دولار تكفي لعملية واحدة! والعملية الواحدة تحتاج إلى شقق إيواء للأشخاص الذين يجمعون المعلومات وهم يختلفون عن المنفذين الذي لا تربطهم في الغالب أية علاقة ولا يعرفون بعضهم، وسيارات للتنقل ومتفجرات وتذاكر سفر وتختلف من هدف لآخر! كل هذا يحتاج إلى بئر نفط مفتوح لتقوم بخمس عمليات وليس عشرة! ومن أين سينفق الدكتور أيمن كأمير للجماعة ومسئول عن عوائل وأرامل وأفراد منتشرين في أماكن متفرقة في مصر وخارجها! من المائة ألف دولار؟!!

(ج) وإذا كان الدكتور أيمن أباح له بهذا السر الخفي!! سنة ١٩٩٣م فلم ظل يقبل العيش بينهم وفي بيت استأجروه له في أفخم منطقة في الخرطوم! ولماذا لم يرفض خدمات الأخ الذي كان يساعده منذ أيام إسلام آباد وبيشاور ثم السودان حيث كان السكرتير الخاص له ويكتب له كتابه (الجامع)على الحاسوب! وكان هذا الأخ (سكرتيره الخاص) مبايعاً للدكتور أيمن ويعمل تحت إمرته! لماذا قبل الدكتور سيد إمام التعامل مع هؤلاء العملاء؟! ولماذا قبل أموالهم وعطاياهم ؟! ولماذا كان يتردد على مضافة الشيخ أسامة بن لادن في الخرطوم رغم علمه بأنه عميل للباكستان والسودانيين أيضاً!! لماذا لم يهجرهم إلا في سنة ١٩٩٤م ؟! لماذا وألف ألف لماذا؟!

(د): فهؤلاء العملاء! كانوا ينفقون عليه في باكستان ثم السودان وهم الذين استقبلوه ودفعوا له ثمن تذاكر الطائرة ودفعوا له كراء البيت في أرقى أحياء السودان (الطائف)! فكيف يستسيغ هذه الأموال من عملاء مأجورين مرتزقة!

(هـ): وهل يتذكر د.سيد إمام الخدمات التي قدمها له شباب جماعة الجهاد في اليمن حيث كانت هناك سيارة واحدة تخدم العوائل! وكانوا يؤثرونه وعائلته على أنفسهم

وتتعطل مصالحهم بغية تحقيق رغباته وشراء حاجياته! وقد حدثني أحد الثقات أنه شخصياً كان يذهب ليتوسط لبعض الشيوخ في اليمن لإيجاد عمل له! وقال إن د. سيد إمام طلب من الاخوة القائمين في اليمن أن يزوروا له بعض الشهادات التي تفيد أن لديه خبرة في علمه الطبي للحصول على عمل يؤيد خبرته! وكاد هذان الأخوان أن يقبض عليهما بعد أن شك فيهما أحد العاملين بمؤسسة رسمية في اليمن! هل يتذكر ذلك وهل الغاية تبرر الوسيلة!! حتى لو كانت الوسيلة جريمة التزوير!

(و): يتهم صاحب التعرية الشيخ أسامة بن لادن بالعمالة للباكستانيين وأنه كان يمول الحملة الانتخابية لنواز شريف! يقول في الحلقة الثامنة: « واتهم الظواهرى «حماس» بأنها اشتركت فى الانتخابات على أساس دستور علمانى.. ولماذا حماس فقط؟ ولماذا لا ينتقد الظواهرى شيخه المقدس ابن لادن؟، لقد كان ابن لادن ينفق أموالاً طائلة لدعم نواز شريف فى الانتخابات البرلمانية فى باكستان ضد بى نظير بوتو، وذلك من أموال الجهاد التى يدفعها له السعوديون، ولما علمتُ بذلك عام ١٩٩٢م قلت لأبى حفص المصرى وهو الذى سلمَّ الأموال لنواز شريف: (يا أبا حفص، والله إن ابن لادن يقودكم إلى جهنم).»أهـ (التعرية الحلقة الثامنة/ المصري اليوم بتاريخ ٢٧/١١/٢٠٠٨م).

أقول: نلاحظ أن الدكتور سيد إمام يحمل على غائب وعلى موتى! وهذه أسهل طريقة للتهرب من تبعة المساءلة! يقول (قلت لأبي حفص المصري)! وأبو حفص المصري رحمه الله الذي استشهد في قصف صاروخي أمريكي على منزل في قندهار في مستهل غزوهم لأفغانستان ٢٠٠١م! كما أننا لا ننسى أن صاحب التعرية خصم مجروح الشهادة! فشهادته هدر باطلة لا قيمة لها! والعجيب أنه يقول له (إن ابن لادن سيقودكم إلى جهنم)! فلماذا تعاملت مع الشيخ أسامة بعد ذلك وحتى خروجك من السودان! ومن الذي كان ينفق عليه في باكستان والسودان! ولماذا كان يتردد على مضافة الشيخ أسامة ويجتمع به باشاً مسروراً! فلماذا يجلس مع أهل جهنم!! هذا محض كذب وافتراء! هؤلاء القادة وعلى رأسهم الشيخ أسامة بن لادن كانوا ينفقون من حر مالهم وبذلوا أنفسهم رخيصة لله رب العالمين! يفتري عليهم ويقول قدموا أموالاً سعودية كانت مخصصة للجهاد لدعم حملة

نواز شريف! وهو الذي ضن بنفسه وهرب من ساحات الجهاد وكانت أقرب إليه من شراك نعله! كما أنني في دهش من هذه الأنظمة التي سمحت له بنشر هذه التعرية! وهو يعتبر العملية الانتخابية طريقاً إلى جهنم!

(٣) الشماتة في الأصدقاء! يشمت في مقتل الدويدار وأبي الليث الليبي!

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعوذ من شماتة الأعداء! كما جاء في صحيح مسلم : «عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّبِىَّ -صلى الله عليه وسلم- كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ وَمِنْ دَرَكِ الشَّقَاءِ وَمِنْ شَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ وَمِنْ جَهْدِ الْبَلاَءِ» أهـ. وإذا بالدكتور سيد إمام لا يلتزم بأدب هذا الحديث النبوي الشريف ويعلن صراحة في إصرار عجيب! شماتته في إخوانه وأصدقائه السابقين!

يقول صاحب التعرية الدكتور سيد إمام شامتاً في إخوانه الذين قتلوا شهداء نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحداً بأيدي العدو القريب (الأمن اليمني)، والعدو البعيد (القصف الصاروخي الأمريكي في وزيرستان)!! لقد سبق وأن كرر هذه الشماتة في مقتل المجاهد المقدام أحمد بسيوني الدويدار! في يوليو ٢٠٠٧م! وكان ذلك في وثيقة الترشيد! ثم نراه في تعريته يضيف إلى قائمته في الشماتة القائد البطل المغوار الشيخ أبا الليث القاسمي الليبي الذي استشهد وكوكبة من المجاهدين في قصف أمريكي في منطقة وزيرستان بباكستان في يناير ٢٠٠٨م!

قال الدكتور سيد إمام! في مقدمة مذكرة التعرية: «هؤلاء من منسوبى تنظيم القاعدة أخذتهم العزة بالإثم، وعزموا على الرد على الوثيقة الأولى حتى قبل نشرها بعدة أشهر، فسقط أحدهم قتيلاً فى صنعاء باليمن فى شهر يوليو من عام ٢٠٠٧ وهو يكتب الرد، ثم سقط الثانى فى وزيرستان باليمن فى يناير ٢٠٠٨، وهو يكتب الرد أيضًا فانبعث ثالثهما وأشقاهم الظواهرى فكتب الرد فى شهر مارس عام ٢٠٠٨ سماه كتاب «التبرئة»، تجرأ فيه على التلاعب بالدين، ولم يعتبر بما أصاب صاحبيه»أهـ (التعرية/ الحلقة الأولى/المصري اليوم).

أقول: هل هذه أخلاق أهل العلم! بل هل هذه أخلاق مسلم! يشمت في إخوانه لمجرد الرد عليه! رغم أن الدويدار رحمه الله لم يكتب حرفاً واحداً في الرد عليه! فقط لأن صاحب التعرية بلغه أن الدويدار همَّ وفكر في نيته قبل مقتله بالرد! فقتل على الفور! ماذا عسانا أن نقول في هذا الخلق الرفيع! هل وصل بك الأمر أن تشمت في مقتل دم مسلم برئ كان يرعى أولادك ويدافع عنك في غيابك!

انظروا ماذا يقول في حواره مع الحياة الحلقة الخامسة: « كما أنني دعوت الله على الذين خانوا الأمانة. دعوت الله أن يكفينهم بما شاء فما أمهلهم الله شهراً حتى سقط أحدهم قتيلاً، وشرد الله بقية الخائنين» أهـ. ما شاء الله على البركات والدعاء المستجاب! وفي نفس الحلقة يدعو على جماعة الجهاد: « أنا أدعو الله تعالى على كل من تكلم عني بغير حق أن يقطع الله لسانه ويده، وكنت دعوت الله على جماعة الجهاد لما مزقوا كتابي «الجامع» أن يمزقهم الله فمزقهم الله سبحانه وتعالى وذهبوا شذر مذر وتفرقوا أيدي سبأ» أهـ.

بركاتك يا د.إمام! لكن هل لك أن تخلص نفسك من السجن وتدعو على ضباط أمن الدولة الذين سجنوك ويعذبون إخوانك! هل لك في تخليص الأمة في مشارق الأرض ومغاربها بالدعاء على المحتلين لفلسطين وفك حصار أهل غزة! وتحريرالعراق وأفغانستان والصومال وكشمير والشيشان! مجرد دعاء أرض جو عابر للقارات! ولو مرة واحدة لكي تتحرر بلاد المسلمين من المحتلين والمستبدين وكفى الله المؤمنين القتال!!

وإلى صاحب التعرية الشامت! أليس له في ابن باعوراء عبرة! فلم ينفعه علمه وغره هواه وشيطانه فماذا كانت عاقبته! اقرأ إن شئت قول الله تعالى (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ) (لأعراف:١٧٥).

(٤) العدو القريب والبعيد أيهما أولى:

ركز صاحب التعرية على قضية (العدوالقريب والعدو البعيد) وفصل فيها بطريقة غير

منضبطة في الحلقة الثانية والثالثة وشن هجوماً على الشيخين حيث قال في الحلقة الثانية: «أما قولهم «إن أمريكا واليهود هم سبب مصائب المسلمين»: ليحشد بن لادن المسلمين معه ضدهم، وليحول الأمر من قضيته الشخصية «المقدمة عنده على أى شىء آخر» إلى قضية أمة، فهذا قول ظاهر البطلان مناقض للقرآن» أهـ (الحلقة الثانية/المصري اليوم بتاريخ ١٩/١١/٢٠٠٨م).

ويصرخ صاحب التعرية: « يا معشر المسلمين بن لادن يستخف عقولكم، فإن مصائب المسلمين هى بسبب المسلمين أنفسهم هذا كلام الله ومن أنكره فقد كفر»أهـ (الحلقة الثانية/المصري اليوم).

وانظر إلى العجب العجاب في قول صاحب التعرية: «إن عدد المسلمين الذين تسببت القاعدة فى قتلهم وتشريدهم فى بضع سنين فى كينيا وأفغانستان والعراق والسعودية والجزائر وباكستان وغيرها يفوق بكثير عدد من قتلتهم إسرائيل أو شردتهم فى فلسطين وما حولها فى ستين سنة فالقول بأن القاعدة تدافع عن المسلمين هو «حديث خرافة» بل إنها تقتل المسلمين وتشردهم، ولكن الظواهرى وشيخه بن لادن يستخفان بعقول الناس» أهـ (الحلقة الثانية/ المصري اليوم).

قبل أن أعلق على هذه القضية (العدوالقريب والبعيد) التي أثارها الدكتور سيد إمام فهناك ملاحظات سريعة حول الفقرات السابقة:

الملاحظة الأولى:

لقد كرر صاحب التعرية هذه العبارة (ليحشد بن لادن المسلمين معه ضدهم، وليحول الأمر من قضيته الشخصية «المقدمة عنده على أى شىء آخر» إلى قضية أمة)!.

لم يفسر لنا الدكتور سيد إمام ما المقصود بالقضية الشخصية التي جعلها الشيخ

أسامة بن لادن من أولوياته ومقدمة على أي شئ آخر! فالقضية الشخصية التي جعلها الشيخ أسامة بن لادن من أولوياته إخراج المشركين من جزيرة العرب ومن أراضي المسلمين المحتلة وهي القضية التي تبناها الشيخ أسامة منذ تأسيس تنظيم القاعدة وحتى تحويله إلى قاعدة الجهاد! فأي عيب هنا! في أن يصرخ مسلم غيور على دينه في قومه وأمته ويحرضهم على الدفاع عن بلادهم المغتصبة وطرد المحتل! ما الضير في أن ينذر مسلم غيور ولو كان فرداً واحداً أمته في أن تقوم بواجب الفريضة الغائبة؟!

الملاحظة الثانية:

نلاحظ أن د. سيد إمام يدندن حول تكفيرالشيخين (أسامة بن لادن والدكتور أيمن الظواهري) بطريقة التلازم بين المقدمة والنتيجة! دقق في قوله : «يا معشر المسلمين بن لادن يستخف عقولكم، فإن مصائب المسلمين هى بسبب المسلمين أنفسهم هذا كلام الله ومن أنكره فقد كفر» أهـ. فهل الشيخ أسامة ناقض القرآن الكريم أم ناقض فهم ورأي صاحب التعرية؟!

الملاحظة الثالثة:

نلاحظ في ثالثة الأثافي! يقول صاحب التعرية: «إن عدد المسلمين الذين تسببت القاعدة فى قتلهم وتشريدهم فى بضع سنين فى كينيا وأفغانستان والعراق والسعودية والجزائر وباكستان وغيرها يفوق بكثير عدد من قتلتهم إسرائيل أو شردتهم فى فلسطين وما حولها فى ستين سنة «أهـ.

إسرائيل التي اغتصبت فلسطين ومذابحها في دير ياسين وكفر قاسم وفي حافا ويافا ورام الله وجنين وعسقلان وتهويدها للقدس وقتلها لآلاف الفلسطينين والمصريين في ١٩٤٨/ و١٩٥٦م و١٩٧٣م ومذبحتهم في بجر البقر والإغارات المتكررة على المصانع والمدارس في القاهرة وسائر محافظات مصر! والأردنيين والسوريين واغتصابهم الجولان! ومجازهم المتكررة بحق الشعب الفلسطيني قبل وبعد وعد بلفورالمشؤوم ومروراً بجرائمهم في الثلاثينيات وقيام دولتهم عام ١٩٤٨م على أشلاء جثث الفلسطينيين الأبرياء، وتولي الحكم عصابات

الهاجاناة بقيادة بن جوريون وبيجين ورابين وشامير وبيريز وشارون، وقافلة السفاحين الذين حكموا هذا الكيان الغاصب لفلسطين! وضربهم المفاعل النووي العراقي والمذابح التي راتكبوها في اجتياحهم للبنان عدة مرات! وتشريدها لأكثر من خمسة ملايين فلسطيني في الشتات! ناهيك عن مؤامراتهم في تخريب هوية الأمة عسكرياً واقتصادياً وثقافياً وإعلامياً!! كل هذه الجرائم التي اقترفتها إسرائيل على مدار ستين سنة! لا تساوي الجرائم التي ارتكبها تنظيم القاعدة!! ويبرئ أمريكا بقوله في الحلقة الثانية: «فإن القوات الأمريكية أثناء تواجدها فى السعودية بعد غزو العراق للكويت ١٩٩٠م لم تقتل مسلمًا فى السعودية، ولكن القاعدة قتلت مسلمين فى السعودية»أهـ (الحلقة الثانية/المصري اليوم).

أقولك: أليس هذا استخفافاً بعقول المسلمين وغير المسلمين؟! وأين قول الرسول صلى الله عليه وسلم كما في صحيح البخاري: (المسلم أخو المسلم)، وفي سنن أبي داود وابن ماجه بسند صحيح:(المسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم)! أمريكا لم تقتل مسلماً في السعودية! لكنها قتلت مليوني مسلم في العراق! وأكثر من مائتي ألف في أفغانستان! وتحرض أثيوبيا على احتلال الصومال فتقوم أثيوبيا بقتل المسلمين في الصومال بالإنابة عن الأمريكان! وبعد كل هذا يطلب الدكتور سيد إمام المباهلة! لأنه ألف تراجعاته ابتغاء مرضات الله! وليس ابتغاء مرضات أمريكا وعملائها!

عود إلى العدو القريب والعدو البعيد أيهما أولى بالقتال:

يقول صاحب التعرية في الحلقة الثالثة: « بدعة «البدء بقتال العدو البعيد قبل العدو القريب»: اخترع الظواهرى هذا المبدأ المصادم للقرآن والسنة كجزء من فقه التبرير لمساندة مشروع ابن لادن فى محاربة أمريكا، ودعموا هذا المبدأ بقولهم «إن أمريكا هى سبب مصائب المسلمين»»أهـ (الحلقة الثالثة/المصري اليوم بتاريخ ٢١/١١/٢٠٠٨م). ثم يقول صاحب التعرية ليصل إلى تكفير الشيخين!: « إلا أن الظواهرى ضرب بالكتاب والسنة عرض الحائط واخترع لهم نظرية «البدء بالعدو البعيد» لمجاراة هوى شيخه ابن لادن، وهذا معارضة وتبديل للشرع بالرأى، وفى مثل هذا قال ابن تيمية «والإنسان متى حلل الحرام المجمع عليه، أو حرّم الحلال المجمع عليه، أو بدّل الشرع المجمع عليه،

كان كافرًا مرتدًا باتفاق الفقهاء» من «مجموع الفتاوى» ٣/٢٦٧.»أهـ (الحلقة الثالثة/ المصري اليوم).

هكذا قد بدّع وفسّق صاحب التعرية الدكتور أيمن الظواهري والشيخ أسامة لأنهما يقاتلان العدو البعيد (أمريكا)! وخالفا الأمر القرآني حسب فهمه وزعمه بقتال العدو القريب (الأنظمة العربية)!

وللتعليق على هذه القضية أقول وبالله التوفيق:

(أ): يعجب المرء ويدهش من إصرار الدكتور سيد إمام على تبني قتال العدو القريب (الأنظمة العربية) وعلى رأسها النظام المصري! الذي حكم عليه وسجنه وأذله وعذب إخوانه! واستبدل الشريعة الإسلامية بالقوانين الوضعية البشرية التي تحكم بغير ما أنزل الله! وهذا ما يعتقده الدكتور سيد إمام في هذه الأنظمة أنها مرتدة لأنها لا تحكم بما أنزل الله! وكافرة أيضاً لأنها تحكم بالقوانين الوضعية! ولم يلتمس لهم عذراً أو مبرراً في ذلك واعتبر مجرد الحكم بغير ما أنزل الله ولو في قضية واحدة مخرج عن الملة! ولا يشترط الجحود أو الاستحلال القلبي! وخصص باباً كبيراً في كتابه الجامع في طلب العلم الشريف للرد على الشبهات التي تدافع عن الأنظمة الحاكمة بالقوانين الوضعية في العالم الإسلامي! وللعلم فإنه معتقد راسخ في كتب الدكتور سيد إمام!.

لكن مصدر العجب! أن توافق هذه الأنظمة على الترويج لهذه التعرية! التي تصر على قتالهم هم وأنهم أولى بالأمريكان من غيرهم! يعني بكل صراحة أن الدكتور سيد إمام يقول للشيخين أسامة بن لادن والدكتور أيمن الظواهري وقادة القاعدة تعالوا قاتلوا في بلادكم هذه الأنظمة (العدو القريب)! التي تنشر لي تراجعاتي أولى من أن تقاتلوا الأمريكان (العدو البعيد)!! أليس يوجد بين من سهل ونشر هذه التراجعات وخاصة التعرية الأخيرة رجل رشيد؟! يراجع ما كتبه د. سيد إمام!! أم أن الهدف كان فقط للنيل من الدكتور أيمن الظواهري وصاحبه الشيخ أسامة بن لادن!! فأعماهم الله عن التفطن لهذا الرأي الذي أفرد له الدكتور سيد إمام حشداً من الأدلة لقتال العدو القريب (الأنظمة الحالية في

العالم الإسلامي)!!

(ب): لقد كتبت قديماً مقالاً بعنوان (العدو القريب محاولة لتشخيص أحد أمراض الأمة) استعرضت فيه محطات هامة في تاريخ الأمة، وأن تفشي هذا الداء وغفلة الأمة عن عدوها القريب تسبب في تشرذمها وتفرقها وضياع دولة الخلافة وذهاب قوتهم وعزهم! لكنني لم أشأ أن أذهب مذهب الدكتور سيد إمام وغلوه في تبديع وتفسيق بل وفي التكفير المبطن لمخالفيه في هذه القضية.

(ج) وللعلم فإن قضية (العدو القريب والبعيد)! ليست من أركان الإسلام ولا الإيمان! وليست من أصول أهل السنة! فلم يبدع علماء السنة أو يفسقوا أو يكفروا من يبدأ بالعدو البعيد قبل العدو القريب! فهذا كتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للحافظ أبي القاسم اللالكائي المتوفى ٤١٨هـ لم يشر إلى هذه القضية (العدو القريب والبعيد)! وهذا العلامة الفقيه الحنفي أبو جعفرالطحاوي المتوفى ٣٢١هـ لم يذكر في متن العقيدة الطحاوية هذه القضية رغم أنه تكلم عن قضايا أخرى كالمسح على الخفين لتبيان مخالفة أهل السنة للشيعة الإمامية في هذا الشأن! ورغم ذلك لم يكتب بنداً واحداً عن العدو القريب والبعيد! ولا حتى عن التفسيق والتبديع لمن يبدأ بقتال العدو البعيد! وقبل ذلك كتب الحافظ أبو بكر بن أبي عاصم المتوفى ٢٨٧هـ رداً على المبتدعة كتابه السنة! ولم يذكر فيه قضية العدو القريب والبعيد! ولا تبديع المخالف في بدء قتال العدو البعيد! ولم يذكر العلامة عبد الله بن أحمد بن حنبل المتوفى ٢٩٠هـ في كتابه السنة هذه القضية! ولا حتى الفقيه الحنبلي أبو بكر الخلال المتوفى ٣١١ هـ في كتابه أيضاً المسمى بالسنة! هذه القضية! ولا حتى العلامة أبو بكر الآجري المتوفى ٣٦٠هـ في كتابه الشريعة! قضية العدو القريب والعدو البعيد ولا حتى تفسيق أو تبديع المخالف! ولا حتى في لمعة الاعتقاد للفقيه الحنبلي الحافظ الموفق بن قدامة صاحب كتاب المغني المتوفى ٦٢٠ هـ !! وهذه كتب شيخ الإسلام ابن تيمية المتوفى ٧٢٨هـ(العقيدة الحموية/الواسطية/التدمرية/ التحفة العراقية وغيرها) لم لم يذكر هذه القضية في كتب العقائد ولم يرد عنه أنه بدع أو فسق من بدء بقتال العدو البعيد! حتى الكتب المعاصرة كمعارج القبول للشيخ حافظ

حكمي المتوفى ١٣٧٧هـ لم يذكر هذه القضية في شرح سلم الوصول وهو يتناول عقيدة أهل السنة!

(د): فأين توجد هذه القضية (العدو القريب والبعيد) في كتب الأقدمين! هذه المسألة تكلم عنها العلماء قديما وحديثاً في كتب التفسير وكتب السير عند تفسيرهم لقوله تعالى في محكم التنزيل: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)(التوبة:١٢٣).

قال شيخ المفسرين الطبري المتوفى ٣١٠ هـ: « يقول تعالى ذكره للمؤمنين به وبرسوله: يا أيها الذين صدّقوا الله ورسوله قاتلوا من وليَكم من الكفار دون من بعُد منهم، يقول لهم: ابدءوا بقتال الأقرب فالأقرب إليكم داراً دون الأبعد فالأبعد. وكان الذين يلون المخاطبين بهذه الآية يومئذ الروم، لأنهم كانوا سكان الشأم يومئذ، والشأم كانت أقرب إلى المدينة من العراق. فأما بعد أن فتح الله على المؤمنين البلاد، فإن الفرض على أهل كل ناحية قتال من وليهم من الأعداء دون الأبعد منهم ما لم يضطرّ إليهم أهل ناحية أخرى من نواحي بلاد الإسلام، فإن اضطرّوا إليهم لزم عونهم ونصرهم، لأن المسلمين يد على من سواهم.»أهـ (الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن/ دار الفكربيروت ١٤٢١هـ/ ج٧ ص٨٥، ص٨٦).

وقال الفخر الرازي: «اعلم أنه نقل عن الحسن أنه قال: هذه الآية نزلت قبل الأمر بقتال المشركين كافة، ثم إنها صارت منسوخة بقوله: قَاتَلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَافَّةً [التوبة: ٣٦] وأما المحققون فإنهم أنكروا هذا النسخ وقالوا: إنه تعالى لما أمر بقتال المشركين كافة أرشدهم في ذلك الباب إلى الطريق الأصوب الأصلح، وهو أن يبتدؤا من الأقرب فالأقرب، منتقلاً إلى الأبعد فالأبعد.أهـ (طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠١هـ ج١٦ص٢٣٤).

أقول: الشاهد مما سبق أن علماء المسلمين لم يبدعوا أو يفسقوا الحسن البصري لأنه خالفهم في رأيهم! ولم يتهمه أحد أنه خالف صريح القرآن وناقضه! لأن هذه مسألة اجتهادية فقد كانت متصورة في ظل دولة الخلافة الجامعة التي كانت تحمي

بيضة الإسلام ولها حدود معروفة! وقد أشار صاحب كتاب مفاتيح الغيب إلى دار الإسلام بقوله: « أن دار الإسلام واسعة، فإذا اشتغل أهل كل بلد بقتال من يقرب منهم من الكفار كانت المؤنة أسهل، وحصول المقصود أيسر»أهـ (الرازي مفاتيح الغيب ج١٦ ص٢٣٥).

(هـ): أما اليوم فلا توجد هذه الدولة الإسلامية الجامعة التي تذود عن حياض المسلمين! فالعدو البعيد صار قريباً! والعدو القريب هو العين الساهرة لحماية مصالح العدو البعيد في بلاد المسلمين! كما أن العدو البعيد هو الذي يحمي عروش العدو القريب! ويطيل في عمر هذه الأنظمة الآيلة للسقوط! فالعدو البعيد على مرمى حجر من العدو القريب! فقواعده منتشرة في ربوع العالم الإسلامي! وجنوده يصولون ويجولون تحت سمع وبصر وحماية العدو القريب! لقد تماهى العدو القريب في البعيد ولم نعد نفرق بينهما! فهما وجهان لعملة واحدة!

وها نحن أولاء نرى العدوين البعيد والقريب في مكان واحد (فلسطين/أفغانستان/العراق/الصومال/كشمير/الشيشان والحبل على الجرار)! وقد أشار الرازي إلى اجتماع العدوين في وقت واحد بقوله في تفسيره: «ومصالح الدنيا مبنية على ترجيح ما هو أكثر مصلحة على ما هو الأقل، وهذا الذي قلناه إنما قلناه إذا تعذر الجمع بين مقاتلة الأقرب والأبعد، أما إذا أمكن الجمع بين الكل، فلا كلام في أن الأولى هو الجمع، فثبت أن هذه الآية غير منسوخة البتة» أهـ (الرازي: مفاتيح الغيب ج١٦ ص٢٣٥).

إذن فالجماعات الإسلامية الجهادية تقاتل العدوين؛ البعيد والقريب في مكان واحد! العدو البعيد (أمريكا والناتو) احتلوا أفغانستان ونصبوا عملاء لهم (العدو القريب؛ كرزاي وبطانته)! ونفس السيناريو في العراق العدو البعيد (أمريكا وحلفاؤها) نصبوا أحفاد أبي رغال حكومة الخضران! المالكي وعصابته! (العدو القريب)! وحتى في الصومال العدو البعيد (نسبياً) أثيوبيا احتل الصومال بمباركة (العدو القريب) عبد الله يوسف وزمرته! وهذه مجرد أمثلة تنطبق على البلاد المحتلة مباشرة أو بالوكالة!

(و): انظر يا صاحب التعرية! إلى هذا الكلام النفيس للحافظ ابن قدامة الحنبلي الذي كان يجاهد الصليبيين وهو يدافع عن الإمام الزاهد المجاهد عبد الله بن المبارك الذي كان يجاهد العدو البعيد في بلاد الشام ويترك القريب في بلاد خراسان! يقول ابن قدامة مدافعاًعن ابن المبارك:»هذا والله أعلم إنما فعله ابن المبارك لكونه متبرعاً بالجهاد والكفاية حاصلة بغيره من أهل الديوان وأجناد المسلمين والمتبرع له ترك الجهاد بالكلية فكان له أن يجاهد حيث شاء ومع من شاء. إذا ثبت هذا فإن كان له عذر في البداية بالأبعد لكونه أخوف أو المصلحة في البداية به لقربه وإمكان الفرصة منه، أو لكون الأقرب مهادناً أو يمنع من قتاله مانع فلا بأس بالبداية بالأبعد لكونه موضع حاجة»أهـ (ابن قدامة: المغني مع الشرح الكبير/ج١٠ ص٣٧٣).

أقول: هكذا كانت أخلاق العلماء واختلافهم وحسن ظنهم ببعضهم! فلم يفسقوا أو يبدعوا الحافظ عبد الله بن المبارك لأنه ترك جهاد العدو القريب في خراسان! وجاء الشام ليرابط ويغزو العدو البعيد في البر والبحر!

(٤): اسم منفذ عملية محاولة اغتيال وزيرالداخلية الألفي ١٩٩٣م:

انظر إلى الكذب الصراح وهو يتهم الدكتور أيمن الظواهري من خلال هذه الفقرة:

يقول صاحب التعرية: «أكذوبة ثانية للظواهرى فى كتابه (التبرئة) قال فى صفحة (١٩٩) إننى تكلمت فى (الوثيقة) عن عمليات جماعة الجهاد فى مصر، وهى محاولتى اغتيال وزير الداخلية حسن الألفى ورئيس الوزراء عاطف صدقى، وأننى ذكرت اسم أحد المنفذين (ضياء الدين) كاملاً، هذا كذبه. وأنا لم أتكلم فى ذلك ولم أذكر اسم هذا الأخ فى أى شىء كتبته قبل هذه المذكرة، ولا أعرف هذا الأخ أصلاً ولم أقرأ اسمه إلا فى كتابه (التبرئة)»أهـ (التعرية/الحلقة الأولى/المصري اليوم).

الرد على فرية صاحب التعرية:

قال الدكتور سيد إمام في وثيقة الترشيد في الحلقة الخامسة التي نشرتها صحيفتا

الجريدة الكويتية والمصري اليوم: « عمليات تنظيم الجهاد في مصر: أول عملية انتحارية... والطفلة شيماء الضحية الأشهر: في ١٨ أغسطس من عام ١٩٩٣ أصدر الظواهري تكليفا لعناصر التنظيم بتنفيذ عملية اغتيال تستهدف وزير الداخلية آنذاك حسن الألفي، وهدد من خلال بيانات أرسلها بالفاكس حينئذ لوكالات الأنباء بالمزيد من عمليات العنف الأخرى ضد عدد من كبار المسؤولين المصريين. ووصفت هذه العملية بأنها أول عملية انتحارية تشهدها مصر في تاريخها الحديث في أغسطس، حيث فجّر القيادي نزيه نصحي راشد وزميله ضياء الدين محمود حافظ دراجة بخارية ملغومة في موكبه أثناء مروره بشارع الشيخ ريحان بميدان التحرير، وهو ما نتج عنه مقتلهما، بينما نجا الوزير بعد إصابته في ذراعه اليمنى، في حين قتل كل من منصور عبد الفتاح منصور وإبراهيم يونس الشرفا ومحمد أحمد قطب، وإصابة بعض المواطنين وإتلاف عدد من السيارات. عقب الحادث اكتشفت أجهزة الأمن أن تنظيم الجهاد وراء الحادث، بعد الكشف عن شخصية نزيه نصحي وتم القبض على ١٨ متهماً من أعضاء التنظيم، وتم إحالتهم إلى المحكمة العسكرية التي عاقبت خمسة منهم بالإعدام، بينما عوقب باقي المتهمين بالسجن. ومع الضغط على عناصر التنظيم حدث خلل كبير في بنية الجماعة، أدى إلى اعتقال أعداد كبيرة منهم»أهـ (وثيقة الترشيد/صحيفة الجريدة الكويتية/الحلقة الخامسة).

الشاهد من نقل الفقرة السابقة من وثيقة الترشيد ليستبين للقارئ من الكذاب والمفتري: الدكتور سيد إمام أم الدكتور أيمن الظواهري؟! فقد قال صاحب التعرية الدكتور إمام: «وأننى ذكرت اسم أحد المنفذين (ضياء الدين) كاملاً، هذا كذبه. وأنا لم أتكلم فى ذلك ولم أذكر اسم هذا الأخ فى أى شيء كتبته قبل هذه المذكرة»أهـ.

أقول ماذا عسا الدكتور سيد إمام أن يجيب وقد نقلنا فقرة كاملة أشار إليها في حلقة أخرى لم أشأ أن أطيل في النقل! فقد ذكر بالنص الاسم الكامل لمنفذ عملية محاولة اغتيال وزير الداخلية السابق حسن الألفي عام ١٩٩٣م (ضياء الدين محمود حافظ)! وذكر أسماء القتلى بالتفصيل! وذكر بالوصف أين أصيب وزير الداخلية (في ذراعه اليمنى)! وذكر عدد المقبوض عليهم! (١٨ متهما)! لو طلب من ضابط أمن دولة قام بتحقيق هذه

القضية بسرد أسماء المتهمين وأسماء القتلى! لتلعثم وتناقض ولخانته ذاكرته! وهذا ما كنا نشاهده عملياً في ساحات المحاكم ونحن نستجوب (سواء من القاضي أو من المحامين) الضباط الذين قاموا بهذه التحقيقات!! لوكان الأمر في نقل كلمة أو جملة بسيطة! بل فقرة كاملة الأوصاف! فمن الذي كتب للدكتور سيد إمام تراجعاته ووثائقه!! ومعلوم في تصريحاته أنه راجع وثيقة الترشيد وأرسلها إلى الأزهر ليوافق عليها قبل نشرها ثم رجعت إليه مرة أخرى ليعلن نشرها عبر وسائل إعلامية مختارة بعناية!! المهم أنه قد استبان لنا افتراء صاحب التعرية على الدكتور أيمن الظواهري في هذه العبارة! وهل لا يزال يصر الدكتور سيد إمام مباهلة الدكتور الظواهري؟!!

(٥) كتابه الجامع (قميص عثمان الجديد)!:

لقد شغل الدكتور سيد إمام الدنيا وأقام قيامتها في بكائية كربلائية عجيبة! جماعة الجهاد حرفت كتابه وسرقت وانتفعت وترك لهم كتابه ليقتاتوا به مالياً!! وكرر اتهامه للدكتور أيمن الظواهري إذ يقول في الحلقة العاشرة من تعريته: « أما الظواهرى فأخفى كتابى (الجامع) وهددوا (...) إن طبعه.» أهـ (التعرية/الحلقة العاشرة/المصري اليوم بتاريخ ٢٠٠٨/١١/٢٩م).

أقول: هذه القضية عاصرناها برمتها وهذا الذي ذكره الدكتور سيد إمام افتراء وكذب محض! فالدكتور أيمن أكبر من أن يهدد الشخص الذي ذكر اسمه صاحب التعرية! فهذا الشخص هو الذي ورط صاحب التعرية في نشر رسالته المشينة في مقدمة كتاب الجامع! وكان هذا الشخص هو الذي أشرف على طباعة الكتاب الجامع في لندن عن طريق سيدة كبيرة في السن عربية ثرية غرر بها وأوهمها أن هذا الكتاب سيحقق مبيعات كبيرة! لكنها اكتشفت العكس! وكانت تبحث عن أي إسلامي في لندن ليدلها على مؤلف الكتاب (الدكتور سيد إمام) ولم تكن تعرفه! شاكية له هذا الشخص الذي غرر بها! ولم يعد إليها أموالها! وكان الكتاب طبع بطريقة رديئة! ولم يكن أحد يهتم بالكتاب لأن الناس لا تعلم من هذا الشخص الذي اسمه (عبد القادر بن عبد العزيز) وكانوا يستهجنون ما كتبه

من سب وشتم في المقدمة! وكانت جماعة الجهاد قد حذفت بعض العبارات التي فيها سب وغلو في الأحكام الشرعية خاصة في قضية تكفير المعين في الانتخابات وغيرها من مسائل!

ولما أصر الدكتور سيد إمام على نشركتابه بدون تدوين هذه الملاحظات التي قدمها له الدكتور أيمن في ذلك الوقت! ورفض حتى مجرد وضعها في الهامش! كتب الدكتور أيمن الظواهري واللجنة الشرعية بجماعة الجهاد مذكرة وزعوها على معظم الجماعات الإسلامية في العالم بينوا فيها بجلاء سبب حذفهم العبارات والمسائل المذكورة في الجامع وأكدوا على أنهم كجماعة لا يتحملون آراء د. سيد إمام في الجامع فنشروا الكتاب بعنوان آخر (الهادي إلى سبيل الرشاد) وبنفس الاسم الذي اختارته له الجماعة والمفضل للدكتور سيد إمام (عبد القادر بن عبد العزيز)!.

وقد رددت على هذه القضية في البالتوك بالتفصيل حيث قلت: الدافع وراء كل قذائف السباب التي رمى بها صاحب الوثيقة الدكتور أيمن الظواهري زعمه أنه قام بتحريف كتابه الجامع! (قميص عثمان الجديد)!! فهب أن جماعة الجهاد أخطأت! لأنها حذفت بعض العبارات التي ارتأت أنها لا توافق عليها كجماعة لها اعتبار! بالإضافة إلى أن هذا الكتاب (الهادي إلى سبيل الرشاد) لم يطبع منه إلا ٥٠ نسخة تقريباً! ولا يوجد له أثر الآن! والمشهور هو كتاب الجامع المطبوع بدون حذف والموجود على شبكات النت! فلم هذه الحرب الضروس! ولم لا تتأسى بشيخ الإسلام ابن تيمية الذي زور عليه خصومه من بعض العلماء والقضاة فتاوى هو براء منها! وحاكموه عليها وزجوا به في سجون مصر والشام! ورغم ذلك عفا عنهم وقال لهم لست أحمل في صدري ضغينة عليكم ودعا لهم بخير! فأين أنت يا كتور سيد إمام من أخلاق وفضائل هؤلاء العلماء؟!

(٦) بيعة الملا عمر وغمزه له:

حاول الدكتور سيد إمام أن يكون أفغانياً أكثر من الأفغان أنفسهم! فظل يهاجم الشيخين (الشيخ أسامة بن لادن والدكتور أيمن) لمخالفتهما بيعة الملا محمد عمر أمير

دولة أفغانستان! وكأنه الشفوق الرحيم العليم بمصالح الأفغان الذين لا يعرفون مصالحهم في استضافة الشيخين! وتكلم عن هذه القضية في الحلقة الثالثة وأفرد لها تفصيلاً في الحلقة العاشرة من مذكرة التعرية! حيث قال:» كان ابن لادن طوال إقامته فى أفغانستان «من ١٩٩٦ وحتى احتلالها فى ٢٠٠١/١٠م» يستخف بحكومة طالبان وبأميرها محمد عُمر، وكان رغم مبايعته لهم بالإمارة يعتبرهم مجرد وسيلة لتحقيق مشروعه الشخصى «مناطحة أمريكا» ولو بالتضحية بأفغانستان وحكومتها» أهـ (التعرية/الحلقة الثالثة/المصري اليوم بتاريخ ٢٠٠٨/١١/٢١م).

ويقول في الحلقة العاشرة: « وقد عاش ابن لادن فى كنفها وبايع أميرها إلا أنه أعلن الحرب على أمريكا من أرضها رغم أنف أميره ورغم رفضه لذلك»أهـ (التعرية/الحلقة العاشرة/المصري اليوم بتاريخ ٢٠٠٨/١١/٢٩م)

وفي نفس الحلقة العاشرة يقول عن أدب الضيافة في الإسلام: « كثير من المسلمين المطاردين فى العالم لم يجدوا بلدًا تقبلهم إلا إمارة أفغانستان الإسلامية (طالبان)، وكانت لا تطلب منك جواز سفر ولا تأشيرة دخول ولا إقامة، ولا تجبرك على مبايعة أميرها الملا محمد عُمر، وهى مع ذلك تحميك»أهـ (التعرية/الحلقة العاشرة/المصري اليوم).

أقول: التعليق على ما ذكره صاحب التعرية يتلخص في الرد التالي:

(أ): الملا محمد عمر لم يصدر بياناً واحداً ينتقد فيه تصرف الشيخ أسامة بن لادن والدكتور أيمن الظواهري قبل وبعد احتلال أفغانستان عام ٢٠٠١ وحتى كتابة هذه التجلية في الرد على التعرية.!

(ب) لم تخرج تظاهرة واحدة في أفغانستان تهاجم الملا محمد عمر بسبب تمسكه باستضافة الشيخ أسامة بن لادن وإخوانه وتندد يسوء تصرفه! أو ترفع شعارات تطالب بمحاكمته لأنه ضيع دولة أفغانستان الإسلامية بسبب رجل واحد أمر بمهاجمة أميركا في عقر ديارها! لم تحدث هذه الاعتراضات من قبل الشعب الأفغاني وقادة طالبان وهم الذين تصب عليهم حمم القوات البربرية الأمريكية صباح مساء وهم صابرون محتسبون

ينكأون في عدوهم!

(ج): لقد صرح الملا داد الله الملقب بأسد الهندكوش! رحمه الله الذي استشهد في غارة صاروخية في ساحات الوغى في أفغانستان في ١١ مايو ٢٠٠٧م وهومقبل غيرمدبر! قال في تسجيل بثته قناة الجزيرة قبل مقتله بتاريخ ٢٥ إبريل ٢٠٠٧م حول العملية التي استهدفت نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني! في قاعدة باجرام العسكرية الأمريكية قرب كابل! أن الذي أشرف على هذه العلمية وخطط لها الشيخ أسامة بن لادن شخصياً! وقبل ذلك بتاريخ ٢٦ نوفمبر٢٠٠٦م نشرت مؤسسة سحاب شريط فيديو مع الملا داد الله وهو يخرج دفعة جديدة من الاستشهاديين وهم يترنمون بأهازيج وأناشيد في حضرة الملا داد الله وكبار قادة طالبان باسم الشيخ أسامة بن لادن! وأعلن الملا دادالله في شهر مارس ٢٠٠٧م أن الشيخ أسامة بن لادن على قيد الحياة وأنه يقوم بالاتصالات مع قادة حركة طالبان. فالشيخ أسامة والدكتور أيمن الظواهري وقادة المجاهدين يشاركون في المعارك بأنفسهم بشهادة قادة طالبان!.

(د) شهادة الملا محمد حسن رحماني عضومجلس الشورى العالي لحركة طالبان والمستشار الخاص للملا محمد عمر في حوار معه في برنامج (لقاء اليوم) بقناة الجزيرة بتاريخ ٢٠٠٨/٧/٢٥م سأله مدير قناة الجزيرة بباكستان الأستاذ أحمد موفق زيدان:

” أحمد زيدان: نعم، بالنسبة لأسامة بن لادن هل أنتم في حركة طالبان الأفغانية نادمون على عدم تسليم أسامة بن لادن أو على عدم إبعاده من أفغانستان؟ وبسبب هذا القرار هل أنتم تعانون ما تعانون طوال سبع سنوات والشعب الأفغاني؟ « أهـ (الجزيرة ٢٠٠٨/٧/٢٥م). ثم يصوغ السؤال بطريقة أخر: مشاهدي الكرام أهلا بكم مجددا إلى لقاء اليوم مع الملا حسن رحماني. الملا محمد حسن رحماني، بالنسبة للسؤال الذي كان قبل الفاصل عن قراركم بعدم إبعاد أسامة بن لادن أو بتسليمه للأميركيين لكنتم جندتم الشعب الأفغاني كل هذه المآسي التي يعاني منها الآن، هل أنتم نادمون على قرار عدم تسليم أسامة بن لادن؟» أهـ.

الملا محمد حسن رحماني: «تعلمون جيدا بأن طالبان مجاهدون يؤمنون بعقيدة قوية وإيمان راسخ ويجاهدون من أجل ذلك لذا كيف يعقل أن يندم المجاهدون على عدم تسليم أسامة بن لادن؟! إن من أساسيات عقيدتنا وإيماننا هو أن نحفظ كل مسلم من الكفر وأن ننقذه من الكفر وأهله، إذ لا يعقل أبدا ولا يمكن أن يساورنا أي تفكير بالندم على عدم تسليمه للعدو فهو محل فخرنا واعتزازنا ونحن نعتز بوقوفه في وجه الكفر وأهله ومواجهة أعداء الإسلام، والشيخ أسامة وهكذا غيره من المسلمين لا نقبل بتسليمهم إلى الكفر وأهله ولا يمكن أن نسلم أي مسلم وبأي حال من الأحوال وهذا ما لن يحدث أبدا»أهـ (الجزيرة ٢٥/٧/٢٠٠٨م).

وعن طبيعة العلاقة مع الشيخ أسامة بن لادن:

أحمد زيدان: «كيف علاقتكم مع أسامة بن لادن الآن؟ أين هو الآن؟ هل لكم علاقة معه؟ كيف علاقتكم مع تنظيم القاعدة؟ هل يشاركون في المعارك التي تخوضونها ضد القوات الغربية في أفغانستان؟

الملا محمد حسن رحماني: الشيخ أسامة من كبار المجاهدين ولا يمكن أن نفشي سر مكانه ولا أين يقيم في أي حال من الأحوال، ومن المعلوم بأن المسلم أخو المسلم وكل المسلمين عونا لبعضهم ويدا واحدة، مصدر قوتنا بوقوف المسلمين معنا، وكل المسلمين متعاونون معنا ونحن محتاجون إليهم فالمسلمون يشاركوننا جهادنا بأموالهم وأبدانهم ودعائهم ونحن محتاجون إلى وقوف كل مسلم. والشيخ أسامة في صحة وعافية وراجون الله بأن يحفظه وندعو الله أن يكلأه بحفظه ويخيب أعداء الأمة في الوصول إليه وإلى مكانه.أهـ (الجزيرة ٢٥/٧/٢٠٠٨م).

أقول: فماذا عسى الدكتور سيد إمام أن يقول بعد شهادات كبار قادة طالبان!

(هـ) بتاريخ ٤مايو٢٠٠٦م وزع قلب الدين حكمتيار بياناً أعلن فيه بيعته للشيخين أسامة بن لادن والدكتور أيمن الظواهري! وأنه مستعد أن يقاتل تحت قيادتهما! رغم أن حكمتيار لم يكن على وفاق مع طالبان ولا تنظيم القاعدة! من كان يصدق أن حكمتيار يعلن تأييده

وبيعته بكل هذه الصراحة؟! فالرجل لم يبايع الملا عمر وقت أن كان الملا عمر حاكماً فعلياً وله دولة اسمها إمارة أفغانستان الإسلامية! وها هو ذا يؤيد ويبايع صراحة الشيخ أسامة بن لادن كقائد عام يقاتل تحت إمرته! إن خطاب الشيخ قلب الدين حكمتيار إقرار بتضحية وبلاء الشيخين (بن لادن والظواهري) والمجاهدين العرب في جهادهم ضد السوفييت واعتراف بمساعداتهم للشعب الأفغاني في جهاده الطويل ضد الغزاة. كما أن هذا الخطاب يؤكد أن هناك صلة وثيقة بين الشيخ حكمتيار والشيخين وأنه قد يكون قد بايعهما سراً في مكان ما قبل أن يعلن بيعته على وسائل الإعلام لاثبات حسن نيته وصدق طويته وجلاء بيعته. وقد يكون هذا تمهيداً لبيعته للملا عمر فيما بعد إن شاء الله!

(و) أما عن غمزه ولمزه في الملا عمر:

يقول صاحب التعرية بتعال ليس في محله: «وهذا كله لا يعفى الملا محمد عُمر من المشاركة فى مسؤولية تدمير أفغانستان، فقد كان بإمكانه تدارك ذلك إذا تصرف بحزم وحكمة عند بوادر الخطر، وبدون أن يقع فى محظورات شرعية، ولكنه تراخى»! أهـ ويتساءل الدكتور سيد إمام: « ومع ذلك فإن طالبان لم تحاسب لا ابن لادن ولا أحدًا من أتباعه رغم أنهم هم المتسبب المباشر فى الاحتلال الأمريكى لبلادهم وما أعقبه من ضياع دولتهم وتشريد حركتهم وقتل آلاف الأبرياء من الشعب الأفغانى، فهل هناك غفلة أعظم من هذا؟؟أهـ (التعرية/ الحلقة الثالثة/المصري اليوم).

أقول: يقصد الدكتور سيد إمام لو أن الملا عمر قبض على الشيخين وسلمهما للأمريكان لكان قد جنب بلاده الدمار والاحتلال ولاحتفظ الملا عمر بدولته! فالملا عمر وقادة طالبان متراخون ومغفلون! لماذا؟ لأنهم لم يسلموا مسلماً لكافر؛ لا يرقب في مؤمن إلا ولاذمة! لأنهم تمسكوا بأحكام الشريعة الإسلامية ولم يعترفوا بتقسيمات سايكس بيكو وقوانين الجنسية! الملا عمر الذي يتهمه صاحب التعرية بالغفلة! لم يتخرج في مراكز الغش والخداع! وسياسة الكذب والنفاق! لم يتخرج في جامعات اللف والدوران! ولا معاهد الدراسات النظرية الفارغة التي لم تحصد على مدار تسعين سنة كالإخوان المسلمين

ومن على شاكلتهم إلا المر والحنظل! قادة الاستكبار العالمي أمريكا والناتو يتزلفون الآن طالبين التفاوض مع الملا محمد عمر! وقد أوعزوا لعميلهم حاكم (كأبول)! حامد كرزاي! بالتصريح عبر وسائل الإعلام عدة مرات أنه على الاستعداد للتصالح والتفاوض مع الملا عمر! والقادة العسكريون من أمريكان وبريطانيين وناتو! يقولون لا حل إلا بالتفاوضل مع الملا عمر وقادة طالبان! فأجابهم الملاعمر بعزة المسلم: الحل الوحيد أن تنسحبوا من الأراضي الأفغانية وأن يأمر جنوده بتأمين انسحاب قواتكم فقط لا غير! هذا هو الملا عمر الذي جاءته الدنيا بزخرفها زاحفة صاغرة ورفضها!!

أكاد أجزم أن الملا عمر رجل المسلمين الأول في القرن الهجري الحالي! فالملاعمر جامعة من الزهد والورع والصبر والبلاء والشجاعة والمروءة وعلى رأس ذلك ذروة سنام الإسلام في الجهاد! إن سيرة هذا الحاكم البطل المجاهد الوفي ينبغى أن تدرس للشبيبة في المدارس والجامعات رمزاً للجهاد والصمود والوفاء! قديماً كنا ندرس في كتب الأدب خصلة واحد من الوفاء للسموأل الذي ذُبح ابنه أمام عينيه وهو محاصر في قلعته على أن يسلم الأمانة التي لديه لخصوم امرئ القيس بن حجرالكندي! فرفض وضحى بابنه وأعطى الدروع لورثة امرء القيس وأنشد مفتخراً يقول:

وفيتُ بأدرع الكندي إني *** إذا ما خان أقوام وفيتُ

أقول: هذا الذي فعله السموأل في الجاهلية! فما بالك بوفاء الإسلام! لا أكون مبالغاً إذا قلتُ لو كنا منصفين لكان وفاء الملا محمد عمر مع الشيخ أسامة بن لادن والدكتور أيمن الظواهري وقادة الجهاد من أعظم دروس الوفاء في تاريخ الإسلام والبشرية جمعاء!

(٧): صاحب التعرية هرب من جميع ساحات الجهاد:

الدكتور سيد إمام دأب في تعريته ومن قبل في وثيقة الترشيد على اتهام الدكتور أيمن الظواهري والشيخ أسامة بالهروب من مواجهة الأمريكان في أفغانستان! وقد رد على هذه الفرية قادة طالبان أنفسهم (الملاداد الله) و(الملا محمد حسن رحماني)

وغيرهما! لكن الثابت الذي لا يجادل فيه أحد أن الدكتور سيد إمام صاحب التعرية أنه هرب من جميع ساحات المواجهة منذ تاريخ التزامه بالحركة الإسلامية! والأمر الذي لا يستطيع صاحب التعرية نكرانه! أن الدكتور أيمن كان يشارك الشباب أفراحهم وأتراحهم! يسافر معهم كمرافق ومترجم للجرحى الذين كانوا يعالجون في أوروبا أثناء الجهاد الأفغاني! كان يخاطر بنفسه في الجبهات الأفغانية ويشرف على المعسكرات ويقيم العلاقات مع التيارات الإسلامية المختلفة لمصلحة الجماعة! وخاض بنفسه معارك في تورا بورا! ولا يزال يجاهد بقوله وفعله ونفسه محرضاً الأمة على صيرورة وضرورة الجهاد! أما على الجانب الآخر فقد كان الدكتور سيد إمام يجلس مرتاحاً في بيته الفسيخ في باكستان مع تعيين خدمة خاصة له ولأهله!

لقد قدم الدكتور أيمن نفسه وماله وأولاده لله محتسباً راضياً وهو ابن الأكارم، وربيب بيوتات العز والأصالة! تعيش زوجته الشهيدة نحسبها كذلك على صفيحة جبن! لمدة شهرين وفي شظف عيش لا يطاق! وفي المقابل كان الدكتور سيد إمام تخصص له سيارة خاصة لشراء ما يلزم من حاجيات وخيرات وعيش رغيد!

لقد ابتلي الدكتور أيمن وسجن في أحداث ١٩٨١م وفي المقابل كان الدكتور سيد إمام قد هرب من جميع الساحات التي عاصرها؛ هرب من مصر عام ١٩٨٢م. ولم يذكر له شاهد معتبر إنه شارك في معارك العرب الشهيرة في جلال آباد وخوست وغيرها!

لقد ذكر ابنه في حوار له مؤخراً أنه عرض عليه أن يلحق بهم في أفغانستان وأرسلوا له شريط فيديو مصور.. لكنه آثر القعود! فلم لم يلجأ إلى أمان دولة أمير المؤمنين في أفغانستان! وهو قد قال في تعريته بالنص: « كثير من المسلمين المطاردين فى العالم لم يجدوا بلدًا تقبلهم إلا إمارة أفغانستان الإسلامية (طالبان)، وكانت لا تطلب منك جواز سفر ولا تأشيرة دخول ولا إقامة، ولا تجبرك على مبايعة أميرها الملا محمد عُمر، وهى مع ذلك تحميك.»أهـ (التعرية/الحلقة العاشرة/المصري اليوم).

أقول: فإذا كانت إمارة أفغانستان في ذلك الوقت بهذه الصفات ولا تطلب منك تأشير وتحميك! فلماذا لم تذهب إليهم وقد أرسلوا لك شريط فيديو وهو مقيم في اليمن! وكان السفر إلى أفغانستان في تلك الفترة ميسوراً بخلاف معظم دول العالم! فلم استبدل صاحب التعرية الذي هو أدنى (العيش في ذل متابعة الأمن اليمني) بالذي هو خير (أفغانستان)؟! فمن الجبان إذن ومن الذي يهرب من المواجهة!

(٨) حتى شهيد الإسلام سيد قطب لم يسلم من طعنه:

انظرإلى هذا التقويم المعوج! لكي يبرر صاحب التعرية هجومه على الدكتور أيمن الظواهري الذي يستشهد كثيراً بأقوال وأفعال شهيد الإسلام سيد قطب نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً في كتاباته وأحاديثه! فمن يحبه الدكتور الظواهري يطعنه فيه الدكتور إمام! يقول صاحب التعرية غامزاً بل وطاعناً في الأستاذ العلامة سيد قطب رحمه الله: « ولو عاش سيد قطب أظنه كان قد تدارك قصوره الفقهى، فقد قضى جُل عمره فى الدراسات الأدبية» أهـ.

أقول: الحمد لله الذي عصم صاحب الظلال من الفتن! والحمد لله أن عصمه من أن يرى ويسمع أو يجتمع بهؤلاء المتراجعين! فقد ختم الله له بخير ما يتناه مسلم مخلص غيور على دينه! فلم يبدل ولم يغير ولم يستجب لجلاديه وشانقيه! وقال قولته التي صارت مثلاً (إن إصبع السبابة التى تشهد لله بالتوحيد فى كل صلاة تأبى أن تكتب استرحامًا لظالم)! لقد ظلموا علم الإسلام سيد قطب حياً.. وها هم أولاء يظلمونه بعد استشهاده.. لكن حياته ستظل بفضل الله تعالى أطول من شانقيه وشانئيه!

(٩): تحريضه على بعض المشايخ والدعاة:

(١) تحريضه على البطش بالشيخ ناصر الفهد:

لقد فقد الدكتور سيد إمام عقله فطفق يحرض الأنظمة المستبدة الظالمة الخارجة عن

الإسلام بتكميم أفواه الدعاة الذين لا يعجبونه! ويحرض على البطش بهم! يقول عن الشيخ ناصر الفهد (فك الله أسره)! وهو من علماء الحجاز! وذلك لأن الدكتور أيمن الظواهري ذكر رد الشيخ ناصر الفهد في رده على الشبهات المتعلقة بعقد الأمان والتأشيرة وذكرها بالتفصيل في الفصل السابع من كتاب التبرئة! فانبرى الدكتور سيد إمام يشنع على الشيخ ناصر الفهد في الحلقة الرابعة والخامسة من تعريته! عبارةعن تخبيصات! ومغالطات! وأدلة في غير سياقها! وعدم اتزان في الرد! وقد وصل به الأمر أنه يحرض حكومة الرياض على منع الشيخ ناصر الفهد من الفتوى ! وليس هذا فحسب! بل تشجيع الأمريكان على رفع دعاوى الشيخ ناصر الفهد بضمان ما وقع لهم من أضرار نتيجة فتواه! رغم أنه سئل بعد وقوع أحداث سبتمبر ٢٠٠١م! يقول صاحب التعرية: « ومما سبق تعلم أن كلام الشيخ ناصر الفهد هو كلام باطل يجب ردّه ولا يحل لمسلم أن يقول أو يعمل به لمخالفته للكتاب والسنة» أهـ (التعرية/الحلقة الرابعة/المصري اليوم). ويسوغ لهذه الحكومات الظالمة فعلتها فيسوق كلاماً للحافظ ابن القيم بوجوب منعه من الفتوى وضمان كل ما أتلف.

(٢) تحريضه الأمريكان والبريطانيين علي شخصياً:

يقول محرضاً في تعريته في الحلقة التاسعة: « وفى وصف تأثير هذا التحالف قال صديقه ووكيله فى أوروبا هانى السباعى» أهـ(التعرية الحلقة التاسعة/المصري اليوم بتاريخ ٢٠٠٨/١١/٢٨م).

أقول: قوله (قال صديقه ووكيله في أوروبا)! علم الله أنني أفتخر بصداقتي وإخوتي للشيخ المجاهد الزاهد الدكتور أيمن الظواهري! وهو فخر لأي مسلم غيور على دينه! ومن يبغض هذا الرجل أكاد أشك في حسن إسلامه!

وإنه ليعلم أنني مستقل لا أنتمي إلى أية جماعة على وجه الأرض ولا أتحدث باسم أي تنظيم إسلامي أو غير إسلامي! فأنا أعلق وأناقش كباحث مسلم يريد الخير لأمته ولا أختزل الإسلام في جماعة أيا كان قدرها! والعجب أن يفتري الدكتور سيد إمام علي وهو يعلم دقة ما يكتب ويلفظ ويسطر! بأنني وكيل الدكتور أيمن الظواهري في أوروباً! يعلم أن

هذا بهتان وافتراء! يعني بالفصيح أنه يقول للأمريكان والبريطانيين هذا الرجل وكيل القاعدة في بريطانيا! لم لا تقبضون عليه؟! بريطانيا التي تعتبر غابة إلكترونية تراقب العصافير في أوكارها! ويشارك في المراقبة على العبد الفقير! عدة أجهزة أمينة تراقب الحركات والسكنات والهواتف والإنترنت على مدار ٢٤ ساعة! ثم بعد ذلك كله يفتري صاحب التعرية! ويحرض هذا التحريض السافر الذي لا يليق بمسلم يقرأ كتاب الله ويتابع سير السلف الصالح! لقد أمرنا الله بالقسط و الشهادة بالعدل ولو كنا مبغضين خصومنا! (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)(المائدة:٨).

رابعاً: عينة من آراء وفتاوى صاحب التعرية:

هذا هي ذي عينة من آراء وفتاوى الدكتور سيد إمام أهديها للذين يطبلون له ويزمرون لتراجعاته التي لم يذكر فيها شيئاً عن هذه الآراء والفتاوى البينة التي لا لبس ولا غموض فيها لنعلم يقيناً هل تراجع الدكتور سيد إمام تراجعاً حقيقياً أم أن للسجن ترغيباً وترهيباً أحكاماً وتفسيرات أخرى! وقد اعتمدت على نصوص من كتابيه العمدة في إعداد العدة وكتاب الجامع لطلب العلم الشريف وأشرت إلى أرقام الصفحات طبقاً لنسخ الكتابين على الأنترنت ليسهل الوصول إلى المرجع لمن ليس لديه الكتابان! فكتاب العمدة مطبوع في مجلد واحد. وكتاب الجامع مطبوع في مجلدين! وكلاهما متوافر في الأنترنت!

(أ): د. سيد إمام: القوانين الوضعية كفر والحكام كفار:

قال د. سيدإمام في كتابه (الجامع لطلبالعلم الشريف): « إن القوانين الوضعية المعمول بها الآن في الدول التي تزعم أنها إسلامية هى في معظمها قوانين أوربية تم فرضها بقوة الاحتلال المسلح. أي أن هذه القوانين هى دين أوربا لأن الدين هو الطريقة المتبعة حقاً كانت أو باطلاً. إن هذه القوانين هى دين اليهود والنصارى أهل أوربا، ومتابعتهم في قوانينهم التي هى شريعتهم ودينهم يدخل في صريح الموالاة، وموالاتهم كفر كما قال تعالى (ومن يتولهم منكم فإنه منهم). فهذا هو الوجه الآخر لكفر الحكام بغير ماأنزل الله،

فإن حكمهم بهذه القوانين موالاة لليهود والنصارى وغيرهم من الكفار الذين اقتبسوا من قوانينهم» أهـ (الجامع: نسخة الانترنت ج٢ ص٩٢٦ ).

ويقول في وجوب خلع الحكام: « وبعد فإن الشريعة توجب علينا خلع الحكام الكافرين المفسدين ولو بالقتال، إلا أنه إذا تعذر تنفيذ هذا في الحال فلا أقل من أن يسعى المسلمون في مقاومة مخططاتهم الإفسادية وكشفها والتحذير منها وحضّ المسلمين على مقاطعة وسائل الإفساد. هذا مع السعي في إعداد القوة اللازمة لخلع هؤلاء الحكام الكافرين، فإن هذا الإعداد واجب لقوله تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) الأنفال ٦٠، نسأل الله تعالى أن يهيىء لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعته ويذل فيه أهل معصيته، ويؤمر فيه بالمعروف ويُنهى فيه عن المنكر، إنه عزيز حكيم» أهـ (الجامع ج٢ ص ١٠٨٣).

(ب): د.سيد إمام: رأي في النص الدستوري ((مباديء الشريعة المصدر الرئيسي للتشريع):

قال صاحب التعرية في الجامع: «وهو أن الدستور نص على أن الشريعة المصدر الرئيسي لا الوحيد بما يعني أن هناك مصادر أخرى للتشريع، أي أن هناك أرباباً أخرى في التشريع مع الله...بيان أن هذا النص الدستوري قد أفصح عن كفرهم غاية الإفصاح، فإنه نص صراحة على اتخاذ أرباب مع الله» أهـ (الجامع ج٢ ص١٠٢٧).

وقال أيضاً: «والحاصل: أن من ظن أن هذا النص الدستوري ـ (مباديء الشريعة المصدر الرئيسي للتشريع) ـ يدرأ الكفر عن هؤلاء الحكام فقد أخطأ، بل إن هذا النص مما يدينهم ويدمغهم بالكفر لأنه نص ضمنياً على اتخاذ مصادر للتشريع غير شريعة الله» أهـ (الجامع ج٢ ص١٠٢٧).

(ج): د. سيد إمام: يجب إشاعة كفر الحكام وخلعهم:

قال في كتابه الجامع: « والحاصل: أنه يجب إشاعة العلم بأمر كفر الحكام ووجوب جهادهم لأجل خلعهم ونصب حاكم مسلم في العامة لأن هذا واجب على كل

مسلم. ولأن جهادهم فرض عين على كل مسلم كما سبق بيانه في المسألة التاسعة. وإشاعة العلم بذلك مما يعجل بتغيير هذه الأنظمة الكافرة بإذن الله تعالى إذا علم كل مسلم ما يجب عليه من ذلك. أما عدم تحديث العامة بذلك فهو غاية ما يطمح إليه الحكام الطواغيت ليبقى حملة هذا العلم قلّة معزولة يرميهم الحكام وأنصارهم بكل ضلالة وشناعة وسط جهل العامة بحقيقة الأمر، وروي البخاري عن عمر ابن عبدالعزيز قوله (إن العلم لا يهلك حتى يكون سِرّا» أهـ (الجامع ج٢ ص ١٠٤٣).

أقول: وهل أشاع الدكتور سيد إمام كفر الحكام ووجوب خلعهم في تراجعاته الوثقية؟!

(د): د. سيد إمام: أهل الذمة لا عصمة لهم في أنفسهم وأموالهم اليوم:

قال صاحب التعرية في كتابه الجامع: « وسواء كان انتقاض عهد الذمة من جهتهم أو من جهة الحاكم الكافر كما صنع الخديوي سعيد ومن تلاه في حكم مصر، فإن هذا لا يؤثر في النتيجة، فالكافر لا يعصم نفسه وماله من المسلمين إلا أمان معتبر من جهتهم، فإذا عدم الأمان سقطت عصمته. وهذا مثال لما وقع بشتى بلدان المسلمين» أهـ (الجامع ج٢ ص ١٠٥٨).

(هـ): د. سيدإمام: وإذا قيل ما ذنب أهل الكتاب اليوم في عدم انعقاد عقد الذمة؟

يقول صاحب التعرية: « وأتى البعض بشبهة فقالوا: وما ذنبهم ـ أي أهل الكتاب ـ إذ كان انعدام عقد الذمة ليس من جهة امتناعهم عنه بل من جهة غياب الدولة الإسلامية، ولعلها لو وجدت لدخلوا في الذمة؟» أهـ (الجامع ج٢ ص ١٠٥٨).

أجاب الدكتور سيد إمام قائلاً: « والجواب: أن هذه شبهة فاسدة لأنها من الاحتجاج الفاسد بالقدر، فقيام دولة الإسلام أو ذهابها شئ قدّره الله، فإن وجدت وجدت معها أحكام معينة هذا منها، وإن ذهبت زالت هذه الأحكام. وهذا يشبه قول من قال ما ذنب هذا الكافر المقلد لأبويه الكافرين ولعله لو ولد لأبوين مسلمين لكان مسلماً، هذا شئ قدّره الله، ولايحتج بقدر الله لإبطال شرع الله، كالذين ذمهم الله في قوله تعالى (وإذا

قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله، قال الذين كفروا للذين آمنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه، إن أنتم إلا في ضلال مبين) يس ٤٧، فاحتج هؤلاء بالقدر (وهو أن الله أراد جوع هذا الجائع ولو شاء لأطعمه) على إبطال الشرع (وهو أمرهم بالإنفاق والصدقة)، فحكم الله تعالى بضلال من يحتج بمثل هذا فقال سبحانه (إن أنتم إلا في ضلال مبين). فكذلك أصحاب هذه الشبهة احتجوا بالقدر (وهو إرادة الله تعالى زوال دولة الإسلام) على إبطال الشرع (وهو أن الكافر غير المعاهد مهدر الدم والمال) فنجيبهم بقول الله تعالى (إن أنتم إلا في ضلال مبين)أهـ (الجامع ج٢ ص ١٠٥٨).

(و): د. سيد إمام: نصارى مصر ناقضوا أحكام أهل الذمة:

قال الدكتور سيد إمام في الجامع: « وأضيف فأقول إن إسقاط أحكام أهل الذمة في بلد كمصر قد قوبل بارتياح وترحيب كبيرين من النصارى، وتبع ذلك مقاومتهم لأي توجه إسلامي للحكومة العلمانية بمصر بداية من مهاجمتهم لفكرة الجامعة الإسلامية التي نادى بها جمال الدين الأفغاني في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وانتهاء باعتراضهم على تطبيق أحكام الشريعة عليهم إذا كان في نية الحكومة المصرية العمل بها أو ببعضها، ومن هذا الباب تقدم الأزهر ووزارة العدل بمشروع قانون الحدود إلى مجلس الشعب لإقراره عام ١٩٧٧م، وتجمد المشروع في خزانة مجلس الشعب، ولكن هذه الخطوة قوبلت برد فعل عاصف من جهة النصارى فعقدوا مؤتمرهم بالاسكندرية في ١٩٧٧/١/١٧م حضره كبيرهم شنودة وسائر ممثلي الأقباط وأصدر المؤتمر بياناً طالب فيه بالغاء مشروع قانون الردة واستبعاد التفكير في تطبيق الشريعة الإسلامية على غير المسلمين. انظر (المرجع السابق) لسميرة بحر، صـ ١٥٦، وكتاب (المسألة الطائفية في مصر) ط دار الطليعة ١٩٨٠م، صـ ٣٦ ــ ٣٧. وطلبهم الأخير هذا يعتبر نقضاً جماعيا لعقد الذمة لو افترضنا وجوده وسريان مفعوله حينئذٍ.» أهـ (الجامع ج٢ ص ١٠٥٩).

(ز): د. سيد إمام: اعتماد مبدأ المواطنة مع أهل الذمة كفر:

يقول صاحب التعرية الدكتور سيد إمام: « القول باسقاط العمل بحكم أهل الذمة

في دار الإسلام، والدعوة إلى اعتماد مبدأ المواطنة كبديل، وهو ما قامت عليه الدساتير العلمانية الكافرة، وهذا القول يروج له بعض من يسمون بالمفكرين الإسلاميين في هذا الزمان، ولا شك في كفر من قال بهذا القول لانكاره المعلوم من الدين بالضرورة الثابت بالكتاب والسنة والإجماع. (الجامع ج٢ ص ١٠٦٢).

(ح): د. سيد إمام: الجزية بدل التجنيد الإجباري قول خطأ:

قال في الجامع: « القول بجواز إسقاط الجزية عن أهل الذمة للمصلحة أو إذا طبق عليهم نظام التجنيد الإجباري، وهذا خطأ، فالجزية لا تسقط إلا لعجز من جهة المسلمين عن فرضها على أهل الذمة، أو لعجز من جانب بعض الذميين عن أدائها»أهـ (الجامع ج٢ص ١٠٦٢).

(ط): د. سيد إمام: لا يجوز إطلاق الحرية للذميين للدعوة لدينهم وبناء الكنائس:

قال في الجامع: « القول باطلاق الحرية للذميين للدعوة لدينهم وبناء الكنائس في دار الإسلام حتى لا تُضَيِّق الدول النصرانية على المسلمين المقيمين بها، وهذا قول خطأ مبني على خطأ، لأنه إذا وجدت دار إسلام في الدنيا فإنه يجب على المسلمين الهجرة إليها لنصرة أهلها وحتى لا يفتنوا في دينهم بالإقامة بين الكفار في بلادهم» أهـ (الجامع ج٢ ص١٠٦٢).

(ي): د. سيد إمام: خطأ القول بأن المدنيين أبرياء:

قال صاحب التعرية في آخر رسالة له كتبها قبل اعتقاله في اليمن ١١/١٠/ ٢٠٠١م ونشرها أحد أصدقائه في موقعه بعد ترحيله إلى مصر في ٢٠٠٤/٤/٢٢م قال فيها (الإرهاب من الإسلام ومن أنكر ذلك فقد كفر).. وهذه الرسالة منشورة أيضاً في موقع المقريزي نقلاً عن المرصد. وهي بعنوان (الإرهاب من الإسلام) يقول فيها: « تقسيم الناس إلى مدني وعسكري تقسيم حديث مخترع ليس له أصل في شريعة المسلمين» أهـ (رسالة الإرهاب من الإسلام/موقع المرصدالإسلامي). ويضيف صاحب التعرية قائلاً: « وبهذا تعلم

أن النساء في أمريكا وبريطانيا وإسرائيل ونحوها من البلدان يعتبرن مقاتلات لأنهن يجرى تجنيدهن بجيوش هذه البلدان ، ومن لم تكن بالخدمة العسكرية فهي من الاحتياط» أهـ (رسالة الإرهاب من الإسلام/ المرصد الإسلامي).

ويخلص الدكتور سيدإمام إلى القول التالي: « فليس صحيحاً أن المدنيين أبرياء ، بل معظم الرجال والنساء منهم مقاتلة شرعاً، فكيف وقد أظهرت استطلاعات الرأي العام بعد تلك التفجيرات تأييد أغلبية الشعب الأمريكي لرئيسهم الصليبي جورج بوش الإبن للقيام بعمليات انتقامية ضد أفغانستان؟ ولم يقتصر الأمر على الشعب الأمريكي بل تعداه إلى غيره من الشعوب الصليبية في كندا وبريطانيا وغيرها» أهـ (رسالة الإرهاب من الإسلام).

(ك) د. سيد إمام: لا إثم على قتلة أطفال الكفار:

قال في رسالة الإرهاب من الإسلام: «أما الأبرياء فعلا فهُم الأطفال منهم ومن خالطهم من المسلمين لغرض شرعي مباح من تجارة أو نحوها ، فهؤلاء لا إثم في قتلهم وأمرهم يوم القيامة إلى علام الغيوب ، ودليل ذلك بالنسبة للأطفال فهو حديث الصعب بن جثامة الذي رواه البخاري أن الصحابة سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن الذين يُقتلون من ذراري الكفار ( أي أطفالهم ونسائهم) في البيات ( وهو الهجوم على الكفار ليلاً حين يتعذر التمييز بينهم ) فأجاب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله ( هم منهم )، ومعناه أن حكمهم كحكم أوليائهم في الكفر، وأنه لا إثم في قتلهم إذا تعذر التمييز بينهم ، وتفرع عن ذلك مسألة التترس، وجواز قتل الترس الكافر غير المقاتل إذا احتمى به الكافر المقاتل، وهو ما يسمونه في زماننا بالدروع البشرية.» أهـ (الإرهاب من الإسلام).

(ل): د. سيد إمام: ليس صحيحاً أن المدنيين أبرياء:

قال صاحب التعرية في رسالة الإرهاب: « إذن، فليس صحيحاً أن المدنيين أبرياء ، وماذا عن الأبرياء الذين دُفنوا بالآلاف في البوسنة ؟ ، وماذا عن الأبرياء في العراق وفلسطين والشيشان وأفغانستان وغيرها ؟ ! والإحصائيات تدل على أن أكثر من نصف اللاجئين في العالم اليوم هم من المسلمين، أم أن الدم المسلم رخيص والدم الكافر

غالي ؟! أم أن القتل والحزن قد كتب على المسلمين وحدهم ؟» أهـ (رسالة الإرهاب من الإسلام).

(م): د. سيد إمام: من حزن على ما حدث للأمريكان وواساهم في أحداث ٢٠٠١ فقد كفر:

قال في رسالة الإرهاب من الإسلام: « تحريم الحزن على ما وقع للأمريكيين وتحريم مواساتهم : ما أن أنزل الله عذابه بالأمريكيين في هذه التفجيرات حتى سارع حكام دول العالم وقادة المنظمات الرسمية والشعبية وقادة بعض الجماعات الإسلامية كالإخوان المسلمين والمنظمات الإسلامية بدول أمريكا وكندا وأوربا إلى إعلان استنكارهم لذلك والتعبير عن حزنهم وأسفهم ومواساتهم للشعب الأمريكي ، وهذا لا يجوز في دين المسلمين. ودليله قول الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم ( فلا تأس على القوم الكافرين) [ المائدة ]، وقوله تعالى لموسى عليه السلام ( فلا تأس على القوم الفاسقين ) [ المائدة] ، ولما انزل الله عذابه بأهل مدين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين قال نبيهم شعيب عليه السلام ( فيكف آسى على قوم كافرين ) الأعراف ، فهذا دين الأنبياء تحريم الأسف والحزن على ما ينزل بالكافرين من العذاب والمصائب والكوارث والزلازل ونحوها . وكذلك فقد قال تعالى ( قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليم ويشف صدور قوم مؤمنين ويذهب غيظ قلوبهم) [ التوبة ] . ، فبين الله أن ما ينزل بالكفار من العذاب والخزي يشف صدور المؤمنين ، فمن كان بعكس ذلك فتأسف على ما يقع بالكفار من العذاب فليس هو بمؤمن ولا كرامة، وهل هذا إلا من ضعف الإيمان والجهل بالدين وانعدام الغيرة والحمية الدينية ؟ ( فلا تأس على القوم الكافرين).» أهـ (رسالة الإرهاب من الإسلام).

(ن): د. سيد إمام: كل من تحالف مع أمريكا فقد كفر:

قال في رسالة الإرهاب من الإسلام: « كل من تحالف مع أمريكا لمحاربة

المسلمين فهو كافر: وليس هذا خاصاً بأمريكا بل كل من أعان الكفار ـ كالحكام المرتدين ـ على محاربة المسلمين فهو كافر وما حاربت أمريكا العراق ودمرته إلا بجيوش مصر وسورية الذين يزعمون الإسلام ، وما زالت أمريكا تضرب العراق بطائرتها التي تنطلق من الدول التي يسمونها إسلامية كالكويت والسعودية وتركيا. واليوم تضرب أمريكا أفغانستان من أرض باكستان التي يسمونها إسلامية ، وستحارب الأفغان ( طالبان) بواسطة الأفغان ( التحالف الشمالي : رباني ودستم). والخلاصة أن كل من تحالف مع الكفار ـ كأمريكا وغيرها ـ لمحاربة المسلمين فهو كافر «أهـ (رسالة الإرهاب من الإسلام).

أقول: ومعلوم بالضرورة أن النظام المصري هو الذي سجن وحكم على الدكتور سيد إمام وتآمر على ترحيله من اليمن! فهذا النظام ورئيسه أهم حليف للأمريكان في حربه على العراق وأفغانستان وعلى الفلسطينيين ولا يرد هذا النظام يد لا مس أيا كان! طالما هذا اللامس يريد قتل المسلمين! ولو كان أثيوبيا!

(س): د. سيد إمام: القوانين الوضعية دين جديد من شرعها أو عمل بها فقد كفر:

قال صاحب التعرية في رسالة الإرهاب من الإسلام: « وخلاصة هذه المسألة أن تعلم أن البلاد التي تزعم أنها إسلامية وتريد أن تجرها أمريكا للتحالف لضرب أفغانستان أنها دول غير إسلامية من قبل لحكمها بغير ما أنزل الله. ويجب الخروج عليها وخلعها ونصب حكام مسلمين فيها ، كما في الحديث المتفق عليه ( وألا ننازع الأمر أهله ، قال صلى الله عليه وسلم : إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان)، فيجب على كل مسلم أن يسعى في ذلك، فمن سعى فله الأجر ، ومن قعد فعليه الوزر إلا أصحاب الأعذار الشريعة، ومن رضي بهم فهو منهم» أهـ (رسالة الإرهاب من الإسلام).

(ع): د. سيد إمام: تشريع إباحة الموسيقى والمعازف كفر أكبر:

قال في الجامع: «ونحن إذا قلنا إن استعمال المعازف والاستماع إليها كبيرة من

الكبائر للوعيد الوارد في ذلك، فإن هنا أمراً ينبغي أن يتفطن إليه، وهو أنه كبيرة في حق مستعملها والمستمع إليها ولكنه كفر أكبر في حق من يشرع إباحتها، لأن هذا التشريع هو من باب استحلال المعاصي، ويدخل في هذا الحكومات التي تسمح بذلك في إذاعاتها ووسائل إعلامها المختلفة، فإنه لا شيء يعرض فيها إلا بقانون وترخيص منها، وهذا تشريع مخالف لشريعة الله فيكون كفراً أكبر. وهذا الحكم عام في جميع المعاصي غير المكفرة كالربا والزنا وشرب الخمر فِعْلُها كبيرة وتقنين فعلها كفر أكبر، لأن هذا التقنين استحلال» أهـ (الجامع ج٢ ص ١٠٨٢).

(ف): د. سيد إمام: وأما التليفزيون: فقد اجتمعت فيه عدة محرمات ومفاسد:

قال في الجامع: « وأما التليفزيون: فقد اجتمعت فيه عدة محرمات ومفاسد: منها الاستماع إلى المحرمات كالموسيقى والغناء المحرم. ومنها النظر إلى الحرام كالنساء المتبرجات والاختلاط المحرم وغير ذلك. ومنها أن القائمين على تنفيذ السياسة الإعلامية في شتى البلدان اليوم وهم من العلمانيين وأكابر المجرمين المحاربين لله ورسوله صلى الله عليه وسلم، يستخدمون هذا الجهاز لإفساد المسلمين وغرس القيم الدنيوية فيهم وتعليمهم وسائل الفجور. ولو لم يكن فيه إلا أنه يسرق أعمار الناس بتضييع الأوقات في مشاهدته لكفى بهذه مفسدة. وقد تكون فيه برامج مباحة إلا أن الغالب عليه الحرام، ومقتضى انكار المنكر وسد الذرائع ألا يدخله الرجل المسلم بيته إن كان حريصا على دين أبنائه ونسائه، وذلك لصعوبة التحكم في تمييز الحلال من الحرام فيما يُعرض فيه، والشيء إذا غلب حرامه حلاله فالحكم للغالب، كما قال تعالى في تحريم الخمر والميسر (قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما) البقرة، وهكذا التليفزيون مفاسده أعظم من منافعه بكثير» أهـ (الجامع ج٢ ص ١٠٨١).

(ص): د. سيد إمام: يحرم بيع وشراء التلفزيون والراديو والمسجلات:

قال صاحب التعرية الدكتور سيدإمام في الجامع: «ومن ناحية الاتجار في هذه

الأجهـزة كالتليفزيـون والراديـو والمسـجلات ـ بالبيـع والشـراء والإصـلاح ـ فإن الشـبهة فيها قوية، لأن الغالـب علـى النـاس الآن استخدامها فـي المنكـرات مـن السّـماع المحـرم والنظـر المحـرم، وتحـرم الإعانـة علـى ذلـك لقولـه تعالـى (ولا تعاونـوا علـى الإثـم والعـدوان) المائـدة ٢، وقـد قـال رسـول اللـه صلـى اللـه عليـه وسـلم (دع مـا يَريبـك إلـى مـالا يَريبـك) حديـث حسـن، وقـال صلـى اللـه عليـه وسـلم (فمـن اتقـى الشـبهات فقـد اسـتبرأ لدينـه وعرضـه، ومـن وقـع فـي الشـبهات وقـع فـي الحـرام) الحديـث متفـق عليـه. والوسيلة وإن كانـت فـي أصلهـا مباحـة إلا أنهـا تصيـر محرمـة إذا قصـد بهـا الحـرام، فللوسـائل حكـم المقاصـد، ولهـذا يحـرم بيـع العنـب لمـن يعصـره خمـراً، ويحـرم بيـع السـلاح فـي الفتنـة ويحـرم بيعـه لأهـل الحـرب. والغالـب أن النـاس اليـوم يسـتخدمون هـذه الأجهـزة فـي الحـرام، فتحـرم إعانتهـم علـى ذلـك، وإن كان الخَطْـب فـي أجهـزة الراديـو والتسـجيل أهـون منـه فـي التليفزيـون والفيديـو، خاصـة إذا بيعـت لمـن يعلـم منـه أنـه لا يسـتخدمها فـي المنكـرات. هـذا واللـه تعالـى أعلـم» أهـ الجامـع ج٢ ص ١٠٨١ و ص ١٠٨١).

ويقـول عـن حكـم المعـازف ومعاهـد الموسيقى: « أمـا المعـازف: وهـى آلات اللهو فكلها محرمـة، لا يجـوز اسـتعمال شـئ منهـا إلا الضـرب بالـدف للنسـاء خاصـة لاعـلان النـكاح فـي الأعـراس، وألحـق البعـض بذلـك الأعيـاد وعنـد قـدوم الغائـب. ويترتـب علـى تحريـم المعـازف: تحريـم التجـارة فيهـا بيعـاً وشـراء، وتحريـم اقتنائهـا، وتحريـم الاسـتماع إليهـا (أي تحريـم الاسـتماع إلـي الموسيقى)، وتحريـم الاشـتغال بهـا والتكسـب منهـا، وتحريـم دراسـتها فيمـا يسـمى بمعاهـد الموسـيقى وغيرهـا، وتحريـم إنشـاء هـذه المعاهـد أو العمـل بهـا»أهـ (الجامـع ج٢ ص ١٠٨٠).

(ق): د. سيد إمام: تحريم التمثيل والعمل به:

قـال فـي الجامـع: « وأمـا التمثيـل: فهـو حـرام لمـا فيـه مـن الكـذب والتبـرج واختـلاط النسـاء بالرجـال، مـع اسـتخدام المعـازف عـادة، وغيـر ذلـك مـن الأسـباب الداعيـة لتحريمـه»أهـ (الجامـع ج٢ ص ١٠٨١).

أمـا عـن معاهـد التمثيـل فيقـول صاحـب التعرية فـي الجامـع: « وتحـريم التمثيـل: يترتـب عليـه تحـريم العمـل بـه وتحـريم دراسـتـه فيمـا يعـرف بمعاهـد التمثيـل أو المعاهـد المسـرحية،

كما يترتب عليه تحريم إنشاء هذه المعاهد، وتحريم إنشاء المسارح والسينما ونحوها من وسائل هذه المحرمات. وهذا الفن مستورد من بلاد الكفر، وقد دخل البلاد الإسلامية في آخر القرن التاسع عشر الميلادي وأول القرن العشرين على أيدي بعض الفرق المسرحية من نصارى لبنان ومن اليهود، وظلوا هم أساتذته فترة حتى تخرجت على أيديهم أجيال من أبناء المسلمين»أهـ (الجامع ج٢ ص١٠٨٠ و ص١٠٨١).

(ر): د. سيد إمام: بدعة المشاركة في الانتخابات البرلمانية:

قال في الجامع: «وهذه من المبدع المكفرة. إن البرلمانات هى وسيلة تطبيق الديمقراطية الشركية التي تمنح البشر الحق المطلق في التشريع فتجعلهم أربابا مشرعين من دون الله»أهـ (الجامع ج٢ ص ٨٧٨).

ويقول أيضاً: « إن هذه البرلمانات بجمعها للمشرعين من دون الله هى أشبه ما تكون بمعابد المشركين التي يمارسون فيها الطقوس الشركية لآلهتهم» أهـ ( الجامع ج٢ ص ٨٧٨).

(ش): د. سيد إمام أعضاء البرلمان يكفرون ولو لم يشاركوا في التشريعات:

قال صاحب التعرية في كتابه الجامع: « إن أعضاء هذه البرلمانات الشركية يكفرون وإن لم يشاركوا في وضع التشريعات المخالفة للشريعة، لأن قبولهم بعضويتها هو إقرار بوظيفتها، ومن أقر الكفر كفر، وأيضا لقوله تعالى (إنكم إذا مثلهم) النساء ١٤٠، وقبل هذا وذاك فإن ترشحهم لعضوية البرلمانات هو تحاكم منهم باختيارهم للطواغيت المسماة بالدساتير القاضية بتشكيل هذه البرلمانات والملزمة بوظيفتها الشركية، ومن تحاكم إلى الطاغوت باختياره كفر.»أهـ (الجامع ج٢ ص ٨٧٩).

(ت): د. سيدإمام: يكفر من ينتخبهم:

قال في الجامع: «أما الذين ينتخبونهم لعضوية البرلمانات فيكفرون أيضا، لأن انتخابهم

هذا هو في حقيقته اتخاذُ أربابٍ من دون الله، كما أنه في مضمونه إقرار بوظيفة البرلمانات التشريعية المطلقة، وهذا كله من الكفر الصريح الذي دلت عليه النصوص السابقة ونحوها، فلا ينظر فيه إلى قصد فاعله كمن يزعم أن نيته الدعوة إلى الله أو الاطلاع على أسرار الحكومة وغير ذلك، ما دام قد قصد الفعل المكفر نفسه وهو الترشيح أو الانتخاب فهو كافر دون النظر إلى قصده القلبي» أهـ (الجامع ج٢ ص ٨٧٩).

(ث):د. سيد إمام: الداعي إلى مشاركة المسلمين في البرلمانات كافر:

قال في الجامع: أما الذين يدعون المسلمين للمشاركة في هذه البرلمانات الشركية بالترشيح لعضويتها أو بانتخاب أعضائها، سواء دعوا إلى ذلك صراحة أو تحت مسميات أخرى كالعمل السياسي أو الدعوة إلى الله، يكفرون بذلك أيضا وإن لم يشاركوا في الترشيح أو الانتخاب، إذ لم يختلف العلماء في كفر الداعي إلى الكفر»أهـ (الجامع ج٢ ص ٨٨٠).

(خ) د. سيدإمام: كل هؤلاء كفار: الحكام وأعضاء الأحزاب والقضاة والجنود ..إلخ:

قال في الجامع: « أما طريق المسلمين للتغيير فمعروف وليس هو طريق الديمقراطية الشركية وإنما هو طريق النبي صلى الله عليه وسلم والذي يبدأ بالدعوة: الدعوة العامة في المساجد وغيرها من أماكن الاجتماع، والدعوة الفردية في كل مكان ممكن، ليلاً ونهاراً، إعلاناً وإسراراً، والبدء بالأقربين في كل هذا. مع الجهر بالحق وإخبار الواقعين في الكفر بأنهم كفار وأننا برءاؤا منهم ومن كفرهم، لهم دينهم ولنا ديننا، قال تعالى (قل يا أيها الكافرون ــ إلى قوله ــ لكم دينكم ولي دين)، وقال تعالى (قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده) الممتحنة ٤، ومن هؤلاء الكافرين: الحاكمين بالقوانين الوضعية كالقضاة ومن في حكمهم، والمشاركين في تطبيق الديمقراطية كرجال الأحزاب السياسية وأعضائها وأعضاء البرلمانات والذين ينتخبونهم، ومن الكفار أيضا الجنود المدافعون بأنفسهم عن هذه الأنظمة الكافرة، والمدافعون عنها بألسنتهم وأقلامهم كل هؤلاء كفار، يجب أن يقال لهم ذلك لعلهم يفيئون أو بعضهم، وحتى تتميز

الصفوف، وتستمر الدعوة بشتى الوسائل المشروعة حتى تتكون جماعة قوية من المسلمين قادرة على تغيير الأنظمة الكافرة الحاكمة، وقادرة على الحكم بالإسلام إذا مَكَّن الله لها. والاستعجال في هذه الأمور مفاسده كثيرة، وقال الفقهاء: من تعجل الشئ قبل أوانه عوقب بحرمانه، وقالوا: التعجل علّة الحرمان. وسوف تأتي إشارة أخرى في هذا، في المسألة التاسعة بموضوع الحكم بغير ما أنزل الله بإذن الله تعالى»أهـ (الجامع ج٢ ص ٨٨٣).

(ذ): د. سيد إمام: دخول الكافر بفيزا من السلطات الحاكمة للمسلمين لا يعصم دمه وماله:

قال صاحب التعرية في كتابه الجامع: « أما إذا دخل أحد الكفار إلى بلاد المسلمين والتي هي ديار كفر وردة اليوم، فإنه لا يدخلها إلا بعد حصوله على تأشيرة دخول (فيزا) من السلطة الحاكمة بهذه البلاد، وهذا لا يعتبر أماناً له يعصم دمه وماله بهذه البلاد، لصدور هذا الأمان من كافر مرتد وهو السلطة الحاكمة المرتدة التي ليست لها ولاية شرعية على المسلمين وأمان الكافر للكافر غير مُلِزم للمسلم»أهـ (الجامع ج٢ ص ٦٥٣).

(ض): د. سيد إمام: يحرض على عدم دفع الضرائب والجمارك:

قال صاحب التعرية في العمدة: «ويحرم على كل مسلم دفع الأموال لهؤلاء الطواغيت في أي صورة من جمارك وضرائب ونحوها إلا مضطرا أو مكرها. وليكن معلوما أنه لا شرعية لهذه الحكومات الطاغوتية ولا لقوانينها.»أهـ (العمدة ص ٢٨٠).

(ظ): د. سيد إمام: جواز الانتفاع بالمال الحرام في الجهاد:

قال في العمدة: «مسألة: هذا، وكان أحد الاخوة قد سألني عن رجل أصاب مالا حراما، أو يغلب على كسبه الحرام، هل يقبل منه تبرعات للجهاد مع العلم بهذا؟..أنه يجوز أن يقبل المال الحرام للنفقة في سبيل الله»أهـ (العمدة ص ٤٤).

(غ): د.سيد إمام: جواز الاستيلاء على أموال الكفار:

قال في العمدة: «كما يجب على المسلمين السعي في الاستيلاء على أمول

الكافرين بالقهر (وهي الغنيمة) وبالحيلة ونحوها (وهي الفيء)، وقد خرج النبي صلى الله عليه وسلم للاستيلاء على أموال قريش ليستعين بها المسلمون فكانت وقعة بدر»أهـ (العمدة ص٢٨٠).

أقول: كانت هذه مجرد عينة من أقوال وآراء وفتاوى الدكتور سيد إمام من كتابيه الجامع والعمدة التي تعمد إغفالها في مذكرة التعرية ومن قبلها وثيقة الترشيد وجميع حواراته الإعلامية! واهتم فقط بسب وطعن المعترضين على تراجعاته!

## صفوة القول

لقد استبان لنا بعد هذا التجوال والتطواف في وثيقة التعرية للدكتور سيد إمام؛ هشاشة الأدلة التي اعتمد عليها في الرد على كتاب التبرئة للدكتور أيمن الظواهري! وعلى المنصف أن يقرأ كتاب التبرئة كاملاً ليتأكد أن هناك بوناً شاسعاً بين الكتابين! علماً واستحضاراً للأدلة وتفنيداً للشبهات! فكتاب التبرئة جدير بالقراءة والنشر لمن يبحث عن الحق وليختر بعد ذلك ما يشاء من قناعات بعد القراءة المتأنية المحايدة!

كما أزعم أن هذه التعرية ما أريد به وجه الحق! بل أريد بها وجه الباطل! والباطل نعرفه! أنظمة مستبدة ظالمة خارجة عن الشريعة! ومؤسسات عالمية كمؤسسة راند الأمريكية فرع البنتاجون! وسواء علم الدكتور سيد إمام أم لم يعلم! فوثيقته تصب في مصلحة مشروعات (دعم قيادات صحوية جديدة) بغية تفتيت البنية الصلبة (المجاهدين) في الأمة التي تقف صخرة صلدة في مواجهة المشروع التوسعي الأمريكي المحتل لبلاد المسلمين!

كنا نود أن يعيد الدكتور سيد إمام حساباته جيداً وأن ينظر إلى الشباب الذين قضوا معظم أعمارهم في سجون هؤلاء الجبابرة الطغاة! فلم يستسلموا رغم طول مكثهم في السجون! ولم يركعوا ولم يسجدوا إلا لرب العالمين! وهم السواد الأعظم الذي وقف ضد تراجعاته وتراجعات من قبله! أليس له فيهم عبرة وهو صاحب العلم الغزير!

حقيقة إنه لا يسع الدكتور سيد إمام إلا إعلان التوبة النصوح عن تراجعاته التي تستخدمها الأنظمة في تعذيب وقمع وفتنة المسلمين القابعين في سجون نفس هذه

الأنظمـة التـي ظلمتهـم جميعـاً!

نتمنـى أن يخـرج علينـا الدكتـور سـيد إمـام بوثيقـة جديـدة وليكـن عنوانهـا (التوبـة المجليـة عـن وثيقـة الترشـيد والتعريـة)! أو أي عنـوان يختـاره! وإذا فعلهـا وليـس ذلـك علـى اللـه بعزيـز فـي أن يتغمـده اللـه برحمتـه ويلهمـه التوبـة عـن الباطـل الـذي اعتقـده بعـد سـجنه! سـيجد وقتئـذ صـدور المسـلمين واسـعة للترحـاب بعودتـه وإنابتـه! تضمـه فـي تحنـان بيـن ضلوعهـا! وسـتحتضنه قلوبهـم قبـل سـواعدهم!.

٢٧ من ذي الحجة ١٤٢٩هـ الموافق ٢٥ ديسمبر ٢٠٠٨م

## بهدوء مـع الدولة وأنصارها
## لمـاذا دعوت خليفتكـم للمناظرة

**د. هاني السباعي**

**مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد.

لقد دعوت خليفتكم للمناظرة وليس للمصارعة! فلا أدعوه للقتال وسفك الدماء! ولا أدعوه للسب والشتم والطعن! بل أدعوه لمناظرة علمية! وليس من باب الجدل السوفسطائي! معاذ الله أن أفعل ذلك! فليست دعوتي له من باب الترف العلمي! إنما دعوتي له حرصاً على دماء معصومة تراق دون حق نظراً لأدلة واهية!.

دعوتي للمناظرة حرصاً على سمعة الإسلام والجهاد الذي كاد يتآكل ويتساقط جراء تصرفات الدولة وأنصارها!.

دعوتي لزعيم الدولة ـ من منطلق فردي كمسلم مهتم بأمر المسلمين؛ فلست تابعاً لأي جماعة في العالم ـ دعوتي لنتناظر حول معتقد منهج الدولة حيث إنها متهمة بالانحراف والاعوجاج! أريد أن أتناظر ورأس الدولة أو من ينوب عنه رسمياً في معتقدها ومنهجها من خلال بياناتها التي أصدرتها الدولة! مثل «ما كان هذا منهجنا» «وعذراً أمير القاعدة» وبيان إعلان الخلافة «هذا وعد الله» وبيان زعيم الدولة «ولو كره الكافرون» وغيرها.

وليعلم زعيم الدولة أن دعوتي له بالمناظرة ليست بدعا من القول! فالقرآن الكريم علمنا كيف نجادل الكفار كما في السور الكريمة؛ البقرة وآل عمران والأنعام والأعراف وهود والأنبياء والفرقان وسبأ وغيرها!.

ألم يناظر نبي الله نوح عليه السلام قومه «قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا»هود: آية ٣٢. ومناظرة إبراهيم عليه السلام مع الملك الكافر في بابل بأرض العراق؛ قال الله تعالى: «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ

الَّذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِـي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيـمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» البقرة ٢٥٨. ولم يكتف نبي الله إبراهيم بذلك بل كان يرد على محاججة قومه له في دعوتهم له بالتوحيد قال تعالى: «وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان»الأنعام آية ٨٠.

وهذا كان ديدن السلف الصالح ومن بعدهم؛ ألم يناظر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الخوارج! ولما طلب الخوارج مناظرة أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير رضي الله عنه هل رفض؟! لقد حاججهم ودحض شبهاتهم وهو في قلب الكعبة! ومحاصر من جيش الشام!

ولعلي أذكّر زعيم الدولة بأن الخلفاء الراشدين وخلفاء الأمويين والعباسيين ومن بعدهم كانوا يحكمون بلاداً مترامية الأطراف، وكانوا يجيّشون الجيوش؛ بل ويقودونها أحياناً بأنفسهم، وكانت لهم الصافية والشاتية، ويقومون على حراسة الدنيا بالدين، وتأمين الثغور وحماية بيضة الإسلام! ورغم ذلك كانوا يناظرون بأنفسهم أو من ينوب عنهم بل كانوا يفتحون أبوابهم لمن يعظهم أو يجادلهم! ولم يزعم أحدهم وهو الإمام الأعظم بحق وبجدارة! أنه مشغول وفي غنى عن طلب المناظرة!!.

وهكذا كان علماء الأمة يفعلون؛ ألم يناظر الإمام أحمد بن حنبل الجهمية، عندما رد عليهم في كتابه «الرد على الزنادقة والجهمية".

ألم يناظر الحافظ عثمان بن سعيد الدارمي بشراً المريسي وله كتاب في الرد على الجهمية. والمناظرة المشهورة للإمام عبد العزيز الكناني الذي ناظر بشراً المريسي أيام الخليفة المأمون وجمعت المناظرة في في كتابه «الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن".

ومناظرات شيخ الإسلام ابن تيمية مع أهل البدع كالأحمدية الرفاعية المعروفة بالبطائحية الصوفية وغيرهم من أهل البدع والضلال. ومناظرات شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب مع أهل البدع في عصره!

فيا زعيم الدولة! هل استنكف الأنبياء المعصومون عليهم السلام من مجادلة الكفار في زمانهم!

هل استنكف علماء السلف والخلف من مناظرة اليهود والنصارى وأهل البدع! ألم يدخل خلائق من البشر في الإسلام بسبب هذه المناظرات! كما في مناظرة موسى عليه السلام لفرعون وإيمان السحرة! وكما في قصة أصحاب الأخدود! وكما في مناظرات الإمام الباقلاني مع اليهود والنصارى والروافض وغيرهم!

وفي عصر قريب منا مناظرات الشيخ العلامة رحمة الله بن خليل الهندي في الهند مع قسوس النصارى التي جمعت في كتاب «إظهار الحق». وكذلك مناظرات الشيخ أحمد ديدات وغيرهم!!

ثم يا زعيم الدولة! ألم يقل القرآن الكريم لنبيه صلى الله عليه وسلم قل للكفار: «فإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين» سبأ آية ٢٤. وقوله تعالى: «لا تُسألون عما أجرمنا ولا نُسأل عما تعملون» سبأ ٢٥.

فما الذي يضير الخليفة البغدادي ـ مع تأكيدي على بطلان خلافته ـ بقبول المناظرة أو أن يعيّن شخصاً من عنده لينوب عنه! فقد يكون الحق معه فيزيل الشبه ويلزمني وغيري الحجة، وقد يكون الحق معي وغيري فنذعن جميعا للحق ويفرح المؤمنون يومئذٍ بوحدتنا، وتكون الأمة يداً واحدة على من سواهم! وأما المظالم فيتفق المجاهدون على تشكيل محكمة يخضع لها الجميع مهما علت منزلته.

وليتذكر زعيم الدولة ما ذكره البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد عن سهل بن سعد رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «فوالله لأن يُهدَى بك رجلٌ واحدٌ خيرٌ لك من حُمر النَعم»أهـ.

ألا هل بلغت اللهم فاشهد!

د.هاني السباعي ٢٣ ربيع أول ١٤٣٦هـ

# مولوي جلال الدين حقاني
# كوكب دري في سماء الزمان

د. هاني السباعي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد.

تقدمة:

إلى الحائرين التائهين الذين يسألون: من أين نبدأ والعدو يحيط بنا من كل مكان؟ إلى الذين يصدّرون اليأس والعجز للناس ويرضون بالركون للذين ظلموا! إلى الذين يستسلمون ويرضخون لقهر واقع مذل مرير..

إلى كل من يتوق لطريق الخلاص؛ طريق العزة والكرامة.. إلى الذين يتوقون لحل معضلات الأمة وتطهير بلاد المسلمين من المحتلين الأجانب وأزلامهم المحليين؛ لا فلاح ولا نجاح ولا خلاص للأمة إلا بطريق ذات الشوكة؛ طريق ذروة سنام الإسلام.

وقبل أن ألج في أصل الموضوع، شكر الله سعي وجهد الفضلاء الذين جمعوا سيرة الشيخ المفضال العالم العامل؛ مولوي جلال الدين حقاني وجزى الله خيراً كل من ساهم في كتابة سيرته الذاتية.

من منطلق تلكم التقدمة:

أتشرف بالمساهمة ولو بالدندنة حول سيرة هذا العملاق المعاصر، سيرة رجل من رجالات الإسلام بحق؛ مولوي جلال الدين حقاني؛ العالم الرباني، والمجاهد المربي، أنموذج في التضحية والفداء والبذل والعطاء والصبر والبلاء والشجاعة؛ كأنك تتكلم عن سيرة أحد الصحابة أو أحد علماء السلف الصالح. لا أكون مبالغاً إن قلت إن مولوي جلال الدين حقاني أحد أعظم مجددي الجهاد في وقتنا المعاصر.

فسلام وتحية وعزة وكرامة لجيل أفغانستان الشامخ، لنهرها الفياض بالخيرات مولانا شامة العلم والجهاد؛ مولوي جلال الدين حقاني.

لا تعجب لا تندهش:

قد يستغرب بعض الشبيبة ويدهش من كلامي عن مولوي جلال الدين حقاني! كأنني أبالغ في وصفه! بالطبع هم معذورون؛ إذ لم يعاصروا حقبة الجهاد الأفغاني ضد الاتحاد السوفياتي؛ ـ (١٩٧٩ ـ ١٩٨٩) ـ الاتحاد السوفياتي الذي انفرط عقده بفضل الله ثم بفضل جهاد الشعب الأفغاني وقادته وعلى رأسهم مولولي جلال الدين حقاني..

شبيبة اليوم لم يروا ـ للأسف ـ إلا أنصاف قادة أو أشباه زعماء! أو ربما سمعوا عن قادة كانوا صادقين في بداية عهدهم بالجهاد ثم تنكبوا الطريق ودخلوا في حلف الطاغوت ـ (نعوذ بالله من الحور بعد الكور) ـ شبيبة اليوم معذورون فقد ولدوا في رحم الانكسار وزمن ندرة الرجال!

مولوي حقاني ولد كبيراً:

مولوي جلال الدين حقاني ولد كبيراً! نعم كأنه ولد ليكون قائداً.. الشيخ الجليل جلال الدين حقاني؛ «أيقونة الجهاد المعاصر» نجم في سماء التاريخ، وكوكب دري في سماء الجهاد.

حقاني مدرسة جهادية في فنون حرب العصابات:

مولوي جلال الدين حقاني نشأ وترعرع وشاب وشاخ في الجهاد.. مولوي جلال الدين حقاني مدرسة جهادية أفغانية فريدة في فنون حرب العصابات. فإذا كنا نتذكر جهاد وبلاء الإمام شامل بطل القوقاز رحمه الله ضد روسيا القيصرية؛ فمولوي حقاني أيضاً؛ قائد وزعيم، وعالم مجاهد، يتساوى مع الإمام شامل وغيره من عظماء الأمة الإسلامية على مدار قرنين على الأقل حتى وقتنا المعاصر.

أَنا الصقرُ الذي حُدِّثتَ عنه ⁂ عتاق الطير تنجدل انجدالا

وقاسيت الحروب أنا ابن سبع⁂ فلما شبتُ أفنيت الرجالا

فَلَمْ تَدَعِ السيوفُ لنا عدوًّا ⁂ ولم يدع السخاء لديّ مالا

إذا كنا نوصي الشبيبة بدراسة تجارب الأمم في كيفية التخلص من هيمنة المستكبرين في الأرض؛ كما في التجارب الصينية (ماو)، والكوبية (فيديل كاسترو وتشي جيفارا)، والفيتنامية ثورة (فيتكونغ)؛ وفن الحرب للفيلسوف الصيني «سن تيزو»، وحرب المستضعفين لـ «روبرت تابر» بالإضافة لتجربة الثورة الجزائرية ضد الفرنسيس وغيرها.. فحري بنا أن نوصي شبابنا أن يدرسوا التجربة الأفغانية التي أعادت العزة والكرامة للمسلمين في العالم وأوقفت الزحف الشيوعي الأحمر الذي كاد أن يبتلع الأخضر واليابس في العالم بأسره بل إن التجربة الأفغانية أرهقت واستنزفت أمريكا وحلفاءها، ولا يزالون يتجرعون الهزائم، لولا غرور القوة التي تأبى عليهم أن يعترفوا بالهزيمة رسمياً..

نعم حري بالذين عاشوا عبق حقبة الجهاد الأفغاني؛ أن يقدموا لأجيال المسلمين بأفغانستان وسائر بلاد المسلمين؛ سير أعلام نبلاء الجهاد مثل مولوي جلال الدين حقاني وغيره من الذين ثبتوا على العهد، ولم يتراجعوا ولم يبدلوا، ولم يعطوا الدينة في دينهم.

نعم! إن مولولي جلال الدين حقاني إمام المجاهدين في عصره، من السابقين في انطلاق شعلة الجهاد بأفغانستان.

لولا فضل الله أن هيأ للشعب الأفغاني بل وللأمة الإسلامية مولانا جلال الدين حقاني؛ لصارت أفغانستان في خبر كان! ولتمكن الشيوعيون من محو معالم الإسلام بأفغانستان!

شرارة الجهاد من بندقية بدائية الصنع:

من «ميران شاه» انطلق الشيخ الكبير بحق؛ مولولي جلال الدين حقاني ببندقية قديمة متواضعة بدائية الصنع ومعه ستة رجال ـ أحسب أن الآية الكريمة تشملهم (من

المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً) الأحزاب آية ٢٣ ـ؛ معظمهم قد استشهد تقبلهم الله في الفردوس الأعلى..

لقد قاد مولوي حقاني ـ حامل مشعل الجهاد بأفغانستان ـ هذه الثلة المؤمنة من الرجال ببنادق قديمة؛ من آثار غنائم هزيمة الاحتلال البريطاني الذي هزم عدة مرات على أيدي هذا الشعب الأفغاني البطل بحق!

لو قرأنا عن هذه الانطلاقة الأولى للجهاد في كتب الأقدمين؛ لظننا أنها مبالغة! لكن الحقيقة الثابتة أن مولوي جلال الدين حقاني وصحبه واجهوا جيش الحكومة الأفغانية العميلة في ذلك الوقت وكان عدده أكثر من ٨٠ ألف جندي بأحدث الأسلحة في زمانهم! ثم واجهوا الجيش الشيوعي السوفياتي الأحمر أكثر من مائة ألف جندي سوفياتي على مدار ١٠ سنوات.

فأهل «باكتيا» وجبالها وقراها ووديانها وسهولها؛ شهدوا تلكم الملحمة أو قل إن شئت الكرامة الربانية (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) الأنفال آية ١٧.. أحسب أن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم قد تحقق فيهم (نصرت بالرعب).. وحديث: (وجعل رزقي تحت ظل رمحي)، لأنهم صدقوا مع الله فأكرمهم الله بالنصر والظفر وغنموا غنائم كبيرة من مال وعتاد وسلاح ومؤن وذخيرة من الشيوعيين السوفييت وأزلامهم العملاء ما لم يكونوا يحتسبونه.. لقد حققوا الشرط فجاءهم الجواب (إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) سورة محمد آية ٧.. بالطبع هذا الظفر والنصر مع تضحية وبلاء واستشهاد..

ها هو هذا مولانا شيخ المجاهدين جلال الدين حقاني صاحب السبق والريادة والمكرمات.. ها هو ذا مولانا حقاني؛ ابن «باكتيا»، ابن قوم ذوي بأس شديد على أعداء الإسلام، بل ابن أفغانستان التي قبرت الامبراطوريات التي جربت حظها، فدفنها شعبها عبر التاريخ في جبالها وصحرائها..

مولانا جلال الدين حقاني ابن أفغانستان (مقبرة الغزاة) على مر التاريخ. كأن الشاعر العربي قديماً يعني مولانا جلال الدين حقاني وقومه، والشعب الأفغاني الأبي:

إن تبتدر غاية يوما لمكرمة ** تلق السوابق منا والمصلينا

وليس يهلك منا سيد أبدا ** إلا افتلينا غلاما سيدا فينا

إنا لنرخص يوم الروع أنفسنا ** ولو نسام بها في الأمن أغلينا

بيض مفارقنا تغلي مراجلنا ** نأسو بأموالنا آثار أيدينا

إنا لمن معشر أفنى أوائلهم ** قول الكماة ألا أين المحامونا

لو كان في الألف منا واحد فدعوا ** من فارس خالهم إياه يعنونا

إذا الكماة تنحوا أن يصيبهم ** حد الظباة وصلناها بأيدينا

ولا تراهم وإن جلت مصيبتهم ** مع البكاة على من مات يبكونا

هل أتاكم نبأ البطولات:

هل أتاكم نبأ بطولات سهل سهل «زورمات»؟! أو هل أتاكم نبأ بلاء قرية «شاهي كوت» وملاحم «جرديز» و»خوست»!! هل أتاكم نبأ التحاق الشباب وشيوخ القبائل بالمجاهدين وشن حروب أذاقت الويلات للجيش السوفياتي الأحمر الذي يوصف بأنه لا يقهر!؛ نعم! أذاقت أكثر من مائة ألف جندي روسي مرارة الهزائم المتكررة التي أرغمت قادة الكرملين على الانسحاب عام ١٩٩٢ .. كل ذلك مسطور في الكتب والأبحاث - على ندرتها - التي دونت ملحمة الشعب الأفغاني المسلم لتكون أنموذجاً يحتذي به شباب الإسلام في كل زمان ومكان.. ولله الحمد والمنة.

وهكذا بفضل الله ثم ببركة صدق مولانا مولوي جلال الدين حقاني ومن معه من الثلة المؤمنة المجاهدة انتشر الجهاد في جميع الأراضي الأفغانية، تلكم الملحمة الجهادية التي ينبغي أن تكتب بمداد من نور على جبين الزمان.

كيف نوفي لمولانا حقاني حقه!:

كيف نوفي لهذا العالم الرباني؛ مولوي جلال الدين حقاني.. سبحان الله! له من اسمه نصيب؛ فهو جلال وهيبة وعظمة في نصرة الدين، وعدل وحق لمن لاذ به واستنصره من المستضعفين..

أكرم به من إمام! أكرم به من قائد مجاهد! إن مولانا مولوي حقاني ليس أنموذجاً في العلم والجهاد فقط؛ بل إنه مدرسة شاملة في العلم والعمل والحكمة والعقل الرشيد، والجهاد والصبر، والزهد، والكرم والتواضع.

حقاني وطالبان والملا عمر:

لم يستنكف الشيخ الجليل جلال الدين حقاني عن مبايعة رجل في عمره ابنه حيث بايع مختاراً راضياً الملا محمد عمر رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى.. صار أول من أشعل شرارة الجهاد بأفغانستان جندياً في إمارة أفغانستان الإسلامية.. ولا يزال آل حقاني يجاهدون المحتلين الغزاة الأمريكان وحلفهم الصليبي ويبذلون أرواحهم رخيصة لنصرة هذا الدين العظيم تقبلهم الله في الشهداء..

أحسب أن سير سلفنا الصالح شاخصة؛ في سيرة مولانا الشيخ مولوي جلال الدين حقاني والملا محمد عمر. إذا كنا نشيد ونعتز ونفتخر بعدل وجهاد وصبر الملا عمر، ـ هو الحاكم المسلم الوحيد في عصرنا الذي استحق لقد المجدد من الحكام بلا منازع ـ؛ فحري بنا أن نشيد ونعتز بمولوي جلال الدين حقاني؛ فما الملا محمد عمر إلا ثمرة من ثمرات قادة الجهاد الأفغاني وعلى رأسهم مولوي جلال الدين حقاني؛ فالسلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي قاهر الصليبيين في حطين؛ يعتبر حسنة من حسنات السلطان نور الدين زنكي رحمهما الله.

## صفوة القول

هكذا بعد هذا التطواف السريع حول سيرة أحد أعظم رجالات الإسلام في وقتنا المعاصرة؛ أكون قد بذلت قصارى جهدي في الاجابة على هؤلاء الحائرين الذين يتساءلون من أين نبدأ وأين الطريق الذين ذكرته في صدر هذا المقال؛ فالجواب واضح هو طريق ذروة سنام الإسلام الذي سلكه مولانا مولوي جلال الدين حقاني وصحبه.

إن شخصية مولوي جلال الدين حقاني جديرة بالدراسة والتحليل؛ كأنموذج فريد في فنون حرب العصابات؛ لتستفيد الأجيال من تجربته؛ ليس في الجهاد وفنون القتال وخطط الكر والفر، والمباغتة، وحسن استخدام الوسائل المتاحة أمام جبروت وبطش جيوش جرارة مدججة بأحدث الأسلحة. مولوي جلال الدين حقاني أنموذج للعالم المجاهد المتواضع الزاهد الصابر الذي قدم الأسوة الحسنة؛ لمن يبتغي السير في ذروة سنام الإسلام..

مولوي حقاني أنموذج في حسن التوكل على الله وحده مع أخذ الأسباب قدر المستطاع. مولوي حقاني وقف وساند المجاهدين غير الأفغان ـ المجاهدين العرب وغيره ـ لم يفرق بين أفغاني وغير أفغاني.. لم يكتب بياناً يتذمر فيه من المجاهدين العرب وغيرهم، رغم الغزو الأمريكي الهمجي البربري على أفغانستان عام ٢٠٠١. رغم أن أمريكا حاولت قتله عدة مرات رغم شبكة الجواسيس الخونة لم ينكسر ولم يضجر ولم يطأطأ رأسه لأمريكا وأذناب أمريكا!.

لم يقل مولانا حقاني يوما: «اطردوا هؤلاء المجاهدين إلى بلدانهم! لم يرفع شعار: أفغانستان للأفغان فقط! لم يمن على المجاهدين العرب وغيرهم بالضيافة!! فأهل الدين والتقوى المخبتون لشرع ربهم، أصحاب الأنفس العالية يترفعون عن هذه العنصرية البغيضة!

مولوي جلال الدين حقاني لم يضن على الجهاد بأهله وإخوته وعشيرته؛ بل كان إخوته مشاركين معه في الجهاد منذ الانطلاقة الأولى حيث هدمت منازلهم وحرقت قراهم وشتتوا فصبروا ولا يزالون صابرين محتسبين؛ فأعزهم الله. لا يزال آل حقاني ومجاهدو الإمارة الأفغانية يجاهدون أعتى وأجرم غزو صليبي بعد الاتحاد السوفياتي.

لا يزال آل حقاني وشعب أفغانستان البطل؛ يجاهدون أمريكا وحلف الناتو منذ ٢٠٠١؛ ورغم ذلك لم يتضعضع آل حقاني وقادة طالبان وسائر الشعب الأفغاني؛ لا يزالون ثابتين على العهد في نصرة الإسلام وأهله ـ رغم مغريات أمريكا وعملائها ـ للقبول في المشاركة في حكومة العملاء؛ كرزايا ثم أشرف غني!!!

فسلام وتحية وعزة وكرامة لشيخ الجهاد بأفغانستان والأمة الإسلامية جمعاء؛ مولانا الجيل مولوي جلال الدين حقاني.

سلام وتحية وعزة وكرامة لصاحب الشرارة الأولى في دحر الجيش الشيوعي الأحمر!

سلام وتحية وعزة وكرامة لأسد باكتيا والهندكوش وتورا بورا وغيرها!

سلام وتحية وعزة وكرامة لأسد الجبال والفيافي والسهول والوديان..

سلام تحية وعزة وكرامة للعالم المجاهد بحق، المربي، الزاهد، التقي الورع؛ مولانا فخر الجهاد والمجاهدين في عصرنا؛ مولوي جلال الدين حقاني الذي شرفه الله؛ بأن رفع له ذكره، وأكرمه بسيرة حسنة في الدنيا، فجزاه الله الخير العميم في الدنيا والآخرة على ما قدم للمسلمين بأفغانستان والعالم الإسلامي.

تاريخ ٢٤ جمادى الأولى ١٤٣٩هـ ـ ١٠ فبراير ٢٠١٨

# مملكة القش.. السعودية

د. هاني السباعي

سأل سائل عن رياح التغيير القادمة على المملكة العربية السعودية؛ تلك الرياح أشبه بريح السموم التي تلفح الوجوه أو ريح الصبا التي تقلع الخيام وتكفئ القدور!! هذا النظام العاقر قد طال عليه الأمد فقست قلوب حكامه فصارت كالحجارة أو شد قسوة.. طبعاً قسوة في التعامل مع الشعوب! ورحمة ومودة واستسلام وانبطاح لأعداء الأمة من أمريكان ومن سبح بحمدهم!

نستطيع أن نتصور عبر هذه المقالة مصير مملكة القش على النحو التالي:

أولاً: مصير مملكة القش جغرافيا: اسم الدولة ـ الحدود ـ العلم:

لا يوجد في تاريخ الممالك الإسلامية أنموذج مثل الأنموذج السعودي.. فلم نعرف أن الصحابة سموا لنا البلاد التي كان يحكمها الصديق أبو بكر بجمهورية البكريين مثلاً.. أو في خلافة عمر أن قالوا جمهورية بني الخطاب.. ولا حتى في ظل الملك الوراثي: فلم نسمع مملكة بني مروان! ولم نسمع أن العباسيين غيروا اسم الجزيرة العربية أو منطقة الحجاز وعسير إلى دولة آل عباس!! ولم يطلق العثمانيون على تركيا اسم دولة آل عثمان!! أما أن يحدث احلال وتجديد في أرض الجزيرة ويطلق على المملكة الجديدة السعودية نسبة إلى جد الأسرة سعود بن محمد بن مقرن المتوفى سنة ١٧٢٥م. فهذا ما لم يعهده العرب ولا العجم ولا حتى بلاد "نم نم"!

أما عن الدولة المنبثقة عن مملكة القش:

من المقترح تغيير نظام الدولة من مملكة إلى نظام جمهوري ومن ثم تغيير اسم (المملكة العربية السعودية) إلى (جمهورية الحرمين للحج والعمرة) وسيكون شعارها

المعلن (لا سياسية في الدين ولا دين في السياسة) على طريقة السادات قبل مقتله!! ودولة الحرمين من الناحية الجغرافية ستنحصر في ثلاث مدن هي: مكة والمدينة المنورة وجدة فقط لا غير وستكون أشبه بفاتيكان جديدة تتمتع بحكم ذاتي تحت إشراف جنرال أمريكي متقاعد مهمته مراقبة الحجيج وتنظيم الحج السنوي ووضع تشريعات خاصة لمن ترضى عنه أمريكا لكي يدخل جمهورية الحرمين للحج والعمرة على النحو التالي:

• لا يسمح لمن أقل من أربعين سنة بالحج.

• الحج مرة في العمر لذا لا يسمح لمن حج مرة حتى وإن كان من أهل الحرمين وينطبق ذلك على أداء العمرة أيضاً.

• لا يسمح بالجمع بين الحج والعمرة معاً وبناء على ذلك فالمسلم مخير بين أداء الحج أو العمرة.

• أن يتقدم الحاج أو المعتمر إلى السفارات الأمريكية أو قنصلياتها في العالم للحصول على تأشيرة الدخول لجمهورية الحرمين للحج والعمرة.

• لا يجوز قبول أكثر من نصف مليون حاج سنوياً.

• تشكيل هيئة من كبار العلماء المبرمجين أمريكياً للطعن في حديث (أخرجوا المشركين من جزيرة العرب) والرد على شبهات المعارضين للوصاية الأمريكية لأرض الحرمين!!

• دولة الحرمين للحج والعمرة دولة أمروإسلامية؛ منزوعة الحكم الشرعي: لا يسمح فيها برجم أو قطع أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر لا مطوعة ولا يحزنون ومن خالف هذه القوانين فجزاؤه الدفن حياً في جوانتانامو الربع الخالي!!

• السماح لليهود بإنشاء هيكل خاص لهم في المدينة المنورة مع فتح باب الهجرة لكل يهودي يرغب في ذلك.

ها هو ذا المشروع المخبأ في عقل عصابة البيت الأبيض بحيث سيطبق هذا البروتوكول كلما انبطح المسلمون للعصابة الصهيو مسيحية.. والصورة سوداوية غير مبشرة في ظل هذه الأجواء التي يحكم بلاد المسلمين هؤلاء العبابيد المناكيد أصحاب مؤتمرات شرم الأمة في أرض الكنانة.. فأرض سيناء المقدسة معبر الأنبياء؛ الأرض التي تنزل فيها النور على نبي الله موسى عليه السلام.. صارت مرتعاً للرجس ووكراً للخيانة ومقراً لعبادة الشيطان في الأرض!!

حدود الدولة الجديدة:

من المقترح أن تقسم المملكة إلى دويلات صغيرة تابعة للأمريكان: (مكة والمدينة وجدة) جمهورية الحرمين للحج والعمرة كما ذكرنا.. ومنطقة الأحساء والأطراف الشرقية سيعطى للشيعة إمارة خاصة تحت إشراف ضابط أمريكي عاطل عن العمل يطلق عليها ( دولة الرمل والودع)!!أما عن مصير سكان الصحراء فليس لهم إلا مطاردة الأرنب البري وأكل الضب والعيش على طريقة الشنفرى الأزدي وتأبط شراً.. وعلى رأي المثل الصعلكة هي الحل!!

أما الرياض فستكون المقر الرئيس لمجموعة ا التي تم جلبها من (بوتيكات) البنتاجون.. وستكون تحت الطلب وعمل اللزوم في حالة أي عصيان أو ثورة شعبية أو مقاومة مسلحة!!

أما عن النفط الأسود فهو من نصيب الأمريكان طبعاً بناء على وصية ريتشارد نيكسون في الفرصة السانحة!!

العلم الجديد ـ لونه وشعاره:

الخلاف سيكون حتى على طبيعة العلم الجديد (لدولة الحرمين للحج والعمرة): لكن من المقترح أن يكون لون العلم وردياً يتوسطه حذاء جندي أمريكي رمزاً لتحرير مملكة القش!!

ثانياً: مصير المؤسسة الدينية:

يقول (سنت جون فيلبي) في تاريخ نجد عن الملك عبد العزيز: (فتاريخ أسرته جعل من الدين العنصر الأساسي لهذه الدولة).. وتصداقاً لما ذكره فيلبي أن جيش الإخوان خاض من ١٩١٢ ــ ١٩٢٨ حروباً ومعارك سحقت خصوم الملك عبد العزيز بن سعود وكانوا يرفعون شعار الجهاد في سبيل الله ظناً منهم أن الملك عبد لعزيز إمام يريد إعادة الخلافة الإسلامية على طريقة السلف الصالح! وعندما اكتشفوا مؤامرة الملك عبد العزيز مع بريطانيا تمردوا على إمامهم.. وهنا أشار (برسي كوكس) على الملك عبد العزيز بالتخلص من جيش الإخوان وأن دورهم قد انتهى استطاع الملك عبد العزيز بمعاونة الإنجليز التغلب عليهم سنة ١٩٢٩م.

كما نلاحظ أن الملك عبد العزيز المتوفى ١٩٥٣ استخدم الدين أيضاً في حربه على جيش الإخوان وانبرى جماعة من العلماء للتنديد بجماعة الإخوان ورميهم بتهمة الخوارج وأصحاب الفتن والخروج على ولي الأمر!! وهكذا لم يغب عنصر الدين في تأسيس المملكة السعودية الثالثة: سواء بالاستعانة بالإخوان أو بالتخلص منهم وظلت هذه العلاقة الثنائية بين المؤسسة الدينية والحكم السعودي على وئام وتوجت هذه العلاقة بالمرسوم الملكي رقم ١٨٣/١٩٧٠م الذي أصدره الملك فيصل بإنشاء هيئة كبار العلماء وتعيين ١٧ شيخاً كأعضاء يشكلون هذه المؤسسة الجديدة.

وبعد هذا التعايش والتناغم الذي تم منذ تأسيس الدولة السعودية الأولى والثانية والثالثة حتى حرب الخليج الثانية.. أخيراً انكشف المخبوء وبانت سوءة النظام واستغلاله لسلطة العلماء التي أعطت صك المرور بل الاحتلال ل للقوات الأمريكية لجزيرة العرب.. ومن ذلك التاريخ والبيت الحاكم في السعودية يرى حالات تململ وخروج بعض العلماء منددأ بممارسة النظام لدجل وخداع الأمة على مدار قرن من الزمان ثم كان الزلزال الثاني بعد أن أجاز العلماء تواجد هذه القوات الأمريكية بشن عدوانها الأخير على العراق.. ومن ثم كان الطلاق البائن بينونة كبرى بين المؤسستين الدينية والحاكمة.. رغم احتفاظ المؤسسة

الحاكمة بمجموعة لا بأس بها من كبار العلماء الذين يفتون بسيف المعز وذهبه!! وبتروله وريالاته وكل أنواع العملات المحلية والعالمية!!

وبعد أحداث الرياض رمى النظام السعودي بفلذات أكباده من علماء خرجوا في زفة يستنكرون ويشجبون ويندددون!! هؤلاء العلماء الموسميون ظهروا وكأنهم في عرض أزياء يقدمون أحسن ما لديهم من فتاوى على الموضة لتحسين وجه النظام القبيح وتبرير عدوان الأمريكان على هذه الشعوب المنكوبة.. كان الشباب يحسن الظن بهؤلاء العلماء ويلتمس لعهم المعاذير لكنهم اليوم سقطوا في سوء الظن وسقطت أعذارهم!!

النظام حرق صورة العلماء في قلوب الشباب حيث صار هؤلاء العلماء أبواقاً تردد ما يمليه النظام من صكوك بالطرد من رحمة الله لهؤلاء الشباب الذين يقاومون أعداء الأمة.

أما عن مصير هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهي آخر ما تبقى من ميراث آل الشيخ ستتحول إلى هيئة الأمر بكل منكر والنهي عن أي معروف!!

مصر الأسرة الحاكمة من أمراء وحاشية:

بناء على مقترحات بروتوكولات ذئاب البيت الأبيض: ينقل هؤلاء الأمراء إلى متحف خاص في إحدى ضواحي واشنطن.. وسيعرضون في مزاد علني: اشتر أميراً تحصل على آخر مجاناً!! أو كما يقال في الإنجليزية: Buy one .. Get one free

يتذكر التاريخ المخزي لهؤلاء الحاكمين أن رعاياهم قصر وناقصي الأهلية فلا يستطيع أي مواطن شراء قطعة أرض إلا بإذن أمير المنطقة فهو مالك البلاد والعباد.. معنى ذلك أن هذا المواطن لا حق له في الملكية فهو يملك حق الإنتفاع فقط ثم تؤول أصل العين أو العقار إلى المالك الفعلي وهو الأمير!!

مملكة الأمن والأمان:

هذه المملكة ساهم في بنائها ونهضتها أبناء هذه الأمة من كل الجنسيات تقريباً وكان حافز هؤلاء طبيعة هذه الأراضي المقدسة: فالكعبة المشرفة والمسجد النبوي يختزلان تاريخ

الإسلام العظيم.. تلك البلاد التي أشرق منها نور الإسلام على الدنيا جمعاء.. ونظراً لهذه المكانة لجأ إليها كثير من العلماء والدعاة وطلبة العلم طوعاً وكرهاً بعد أن اضطهدوا في بلدانهم ورغم ما بذله هؤلاء في صالح البلاد والعباد كانت ولا تزال تمن عليهم الحكومات السعودية المتعاقبة بالعيش في أمن وأمان وأن خادم الحرمين لم يقصر والدليل زجاجات المياه التي تصل إلى وفود الرحمن!! وماذا بعد؟! طفق النظام يصنف العلماء حسب ولائهم له.. وهنا سمعنا عن سحب الجنسية السعودية عن البعض وسمعنا عن الطرد والتسليم إلى بلادهم التي هاجروا منها منذ عشرات السنين.. لذلك فإن اعتقال العلماء والزج بهم في السجون ليس جديداً بل إنها المرة الأولى التي يعترف بها النظام السعودي بتوقيف الخطباء والدعاة واعتقال عشرات المشايخ والشباب بل والقتل أحياناً ـ كما في حالة الشيخ يوسف العييري رحمه الله ـ استجابة لسياسة تجفيف المنابع التي أمر بها ذئاب البيت الأبيض!!

النظام السعودي كان يقبض على شباب العرب العائذين بالحرم ويسلمهم وهم بملابس الإحرام إلى حكومات لا ترقب فيهم إلا ولا ذمة؛ حيث القتل والتعذيب الرهيب، وتغييبهم في غياهب السجون.. وإن شئت فاسأل عن النعوش التي تخرج يومياً من قوافل التنين!!

قديماً كان شيخ الحرم يدعو لخادم الحرمين الذي وفر الأمن والأمان للشعب السعودي ويذكرهم بأحوال جيرانهم في مصر وسوريا والجزائر وغيرها حيث انعدام الأمن والأمان والعمليات العسكرية ضد هذه الأنظمة.. أما أنتم يا أهل المملكة! فالعيش الرغيد والنعيم السرمدي.. كل ذلك ببركة حكام المملكة الغر الميامين!! لكن ماذا عسى شيخ الحرم أن يدعو بعد الحوادث الأخيرة.. وما وراء الأكمة! أدهى وأمر!

أعتقد أن سياسة الاستئصال وتجفيف المنابع لن تجدي مع أهل الجزيرة الذين تربوا على عقيدة التوحيد منذ الصدر الأول للإسلام وتصداقاً لذلك تقارب النظريتين فهؤلاء الشباب لم يوجهوا أسلحتهم للنظام السعودي لأنهم كانوا يأخذون بنظرية الأولوية للعدو البعيد إذن: فالعدو القريب والعدو البعيد نظريتان في العمل الإسلامي الجهادي انصهرتا

الآن في نظرية واحدة ببركة مملكة القش!! فها هو ذا العدو القريب والبعيد قد اجتمعا في مكان واحد.. وهناك من الشباب من لا يهتم بهذه التفرقة فكلاهما وجهان لحكومة واحدة!!

## صفوة القول

لقد نخر السوس في أعواد القش، وكاد النفط الأسود أن يحرق أكواخ الحطب الهزيلة التي ظن سكانها أنهم يعيشون في قصور من الرخام وبيوتات من المرمر والحجر الصوان.. لكنهم سيكتشفون أنهم سحروا أعين الناس وسرعان ما تذهب الغشاوة ويظهر للعيان: أن الرخام والمرمر والحجر الصوان ما هي إلا أعواد من الحطب والقش المتهالك..

د. هاني السباعي مركز المقريزي للدراسات التاريخية

تاريخ ١٣ رمضان ١٤٢٨هـ - ٢٥ سبتمبر ٢٠٠٧

# أعظم العبادات على الإطلاق؛ التوحيد
# أما سائر العبادات فأعظمها حسب توقيتها

د. هاني السباعي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد.

أولا: لقد اجتمعت غاية ووسيلة في العبادة؛ قد يتساءل سائل: كيف؟

ثانياً: أقول وبالله التوفيق: العبادة سبب وجود الخلق أجمعين (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) الجن آية ٥٦؛ فالعبادة حسب الآية الكريمة؛ فهي الغاية التي خلق الله الخلق لأجلها.

كما أن العبادة وسيلة ليستبين من امتثل لأوامر الله تعالى ونواهيه، ومن أعرض عن ربه وعصاه.

ثالثاً: فالعبادة قول وفعل ظاهر وباطن. فالعبادات الظاهرة كالبدينة: من صلاة وزكاة وحج ووذكر وتلاوة وغيرها؛ من أعظم العبادات البدنية في وقتها؛ فمثلاً الصلاة المفروضة هي أعظم العبادات وقتئذ. والحج أعظم العبادة في وقته مع شروطه، وكذلك الصوم فهو أعظم العبادات في شهر الصوم، وكذلك الزكاة حسب شروطها ووقتها وسائر العبادات.

رابعاً: وهكذا نقول عن ذروة سنام الإسلام؛ فالجهاد زمن غزو العدو الصيال أو ردة الحكام لا سيما في عصرنا؛ هو من أفضل العبادات وأعظمها؛ فالصلاة من أعظم العبادات البدنية لكن قد لايتم المجاهد الصلاة الرباعية، ومن ثم يشرع له أن يصليها ركعتين كما في صلاة الخوف.

خامساً: فلا يقولن فقيه: إن الصلاة وقت المعركة أعظم عبادة وينبغي أن تؤدى الصلاة الرباعية كاملة! لكن نقول بكل أريحية إن الجهاد أعظم العبادات وقت الجهاد.

سادساً: أما العبادات القلبية؛ من الحب والبغض في الله، واليقين بنصر الله، والتوكل عليه، والخشوع لله، والخوف منه؛ هي من أعظم العبادات القلبية.

سابعاً: فالثقة واليقين بأن الله ناصر دينه، وأن العاقبة للمتقين، وأن هناك طائفة مؤمنة ستسلم الراية للمسيح عليه السلام، وكل الأخبار الصحيحة التي تتكلم عن البشريات وغيرها آخر الزمان؛ نؤمن بها والحمد الله.

ثامناً: لكن يبقى السؤال: فاليقين والثقة بنصر الله من أعمال القلوب؛ رغم إن اليقين من شروط التوحيد. فالأصل نشر التوحيد وتعليمه ليلامس شغاف القلوب الموجه لها الدعوة بنشر اليقين. فهل يتنزل نصر الله بسبب هذا اليقين القلبي فقط؟! وما فائدة الأعمال البدنية كالجهاد في سبيل الله، وما ذكره الله في محكم التنزيل من آيات الجهاد، والحض عليها، وما ورد في كتب الصحاح عن الجهاد وفضائله، وأحكامه المسطورة في مظانها؟! أليس هذا إرجاء مبطناً؟! رغم أنني أربأ بالشيخ الفاضل صاحب العبارة من ذلك.

تاسعاً: المشكلة أنه قد يفهم فاهم؛ أن عبارة أعظم العبادات هي اليقين بنصر الله؛ تكفيه حتى ينتظر المخلص الذي سيتحقق النصر على يديه! فهم مطمئنون بنصر الله لعباده! فهل يتنزل نصر الله على مثل هؤلاء البلداء الكسالى عقدياً وسلوكياً؟! فما ينبغي لأحد من أهل الفضل والعلم أن يصوغ مثل هذه العبارات دون تفصيل؛ لكي لا يفتتن بها العوام، وطلبة العلم المبتدئين.

عاشراً: فالعبادة هي الطاعة والخضوع التام، والإذعان والاستسلام الكامل لرب العالمين، وحسب تعريف بعض العلماء فهي اسم جامع لكل فعل أو قول يحبه الله سبحانه وتعالى ويرضاه سواء كان هذا الفعل ظاهراً أو باطناً.

## صفوة القول

إذا قيل ما أعظم العبادات دون تقييد أو تخصيص؟؛ نقول دون تردد: هو توحيد الله وتنزيهه، والإيمان بما أنزل وأرسل رسله، ونبذ الشرك والمشركين. فأساس الوجود عبادة الله بتوحيده، كما يريد سبحانه وتعالى، لا كما تريد أهواؤنا وشخصونا؛ لذلك أرسل الرسل صلوات الله وسلامه عليهم قال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) النحل آية ٣٦.

أما إذا قيل ما أعظم العبادات البدنية؟، فيجاب حسب وقتها كما ذكرنا سابقا؛ كالصلاة، والحج، والصوم، والجهاد وغيرها من عبادات. وكذلك أعظم العبادات التي هي من أفعال القلوب؛ الحب والبغض في الله، واليقين والمحبة والإخلاص والخوف والخشوع وغيرها. فما ينبغي لأحد أن يحصر أعظم العبادات في عبادة واحدة دون تفصيل.

أما أعظم العبادات على الإطلاق إذا قيلت العبارة مجردة فهي؛ توحيد الله الذي هو أساس خلق الخلق وبعثه الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

د. هاني السباعي جمادى الثانية ١٤٤٠هـ الموافق ٢٤ فبراير ٢٠١٩

# هكذا سقط الغنوشي والنهضة في حمأة الدمقرطة
# تعليق على انتخابات تونس

**د. هاني السباعي**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد.

أما آن للغنوشي أن يعلن توبته من داءِ الدمقرطة! تنازل عن ثوابت الدين وأصر على تنحية الشريعة من الدستور! وأباح الخمر والمنكر للأجانب؛ والأجنبي بمفهوم المواطنة من ليس بتونسي؛ يعني يحق للمسلم الجزائري أو المغربي أو الليبي مثلاً شرب الخمر في الفنادق المخصصة للأجانب! وأباح العري على الشواطئ! فمن شاءت لبست الحجاب! ومن شاءت لبست البكيني! رغم أن الحجاب فرض قرآني لكنه لدى الغنوشي اختياري لجذب السياح!

لقد سوّق الغنوشي نفسه للغرب أنه البديل لطالبان والحركات الجهادية! بل وحتى إخوان مصر! وصفوه بأنه سياسي محنك، داهية، برجماتي، شيخ، فيلسوف، إسلامي معتدل!

يعتبرونه أكثر حكمة من الدكتورمحمد مرسي! رغم أنهما أبناء مدرسة واحدة! لقد نسي الغنوشي أنه لا يوجد «الكيان الغاصب لفلسطين على حدوده» كما في صر! وجيشه ليس بقوة جيش مصر الذي رباه الفرنسيس والإنجليز والروس ثم الأمريكان! جيش مصر عريق في الردة والعمالة والخيانة! أما جيش تونس! فقد أخصه الهالك بورقيبة! فهو أقرب لحرس حدود أو فريق كشافة! لو كان في مقدوره الانقلاب لانقلب! وإخوان مصر سلفيون! مقارنة بنهضة الغنوشي!

الفيلسوف راشد الغنوشي تلميذ الترابي الذي يوصف بالداهية! حقا! بأمارة تمزيق أوصال السودان! وافق شن طبقة! ومن شبه شيخه فما ظلم!

ظل الغنوشي يتنازل عن ثوابت الدين؛ فنزع ورقة توت الإسلام! حتى صار عاريا عقديا! ضيّع الشريعة فضيعه الله في مهاوي دهاليز الدمقرطة!. حتى أكله السبسي!!

في ختام مولد الانتخابات التونسية؛ فاز حزب «نداء تونس» أو نداء الشيطان بزعامة السبسي! فصرنا بين سيسي مصر وسبسي تونس! الفرق بينهما نقطة!

فاز سبسي تونس بانقلاب الصناديق! التي أدمنها الغنوشي ونهضته وبطانته ومن لف لفه ممن يطلق عليهم بأنصار الإسلام الدمقراطي!! حيث غيّر وبدّل جلده ودينه، ودلس وكذب على أجيال! بزعم أن الدمقرطة هي الحل!.. فخندقوا الإسلام وصندقوه في قمقم الدمقرطة!.

ولما ظهرت نتيجة الانتخابات وحصل النهضة عل الترتيب الثاني بعد نداء الشيطان أعني نداء تونس! حلف ضد الشريعة! يعلنونها ولا يستحون! فهم متناغمون مع أنفسهم! المشكلة في المتعلمسين! أنصار بين بين! فوجدناهم يتحسرون على تجربة الغنوشي وخسارته! هونوا على أنفسكم! الغنوشي تخلى عن الشريعة كلياً! ولم يعد متعلمسا بل صار علمانيا! فلم يتمحكون بالإسلام! وقد تخلوا عنه وخذلوه وصارت الشريعة كأنها مرض معد! يفر منه الناس!.

لا فرق بين السبسي والغنوشي إلا في بعض الرتوش! صرح كلاهما أن الشريعة لا تصلح لتونس الحديثة! فالليبرالية اللادينية هي الحل! وذكر الغنوشي الشريعة ستفرق الشعب التونسي!

فما الذي في حزب نهضة الغنوشي ليجذب الجماهير! لا فارق بينهم وبين نداء تونس أو أي حزب علماني! ومن يهن الله ما له من مكرم!.

ثالثة الأثافي بيان اتحاد علماء المسلمين الذي يهنئ الشعب التونسي بالعرس الدمقراطي! من يقرأ البيان يظن أنه صادر من الاتحاد الأوربي وليس من شيوخ مسلمين! هؤلاء العلماء سبب من أسباب غلو الشباب وعلو الباطل!

هكذا سقط الغنوشي في حمأة الدمقرطة! ووحل العلمنة! وأطلق لعقله القاصر العنان! فاصطدم بجدار العلمنة وأخاديد الدمقرطة وألاعيب السياسة! فهل من توبة! أما آن للغنوشي ونهضته أن يتوبوا! فباب التوبة لا يزال مفتوحا بإذن الله لكل من تعاطى داء الدمقرطة سواء فاز أو خسر! فالدمقراطية دين يناقض دين الإسلام.

موقع مركز المقريزي للدراسات التاريخية بلندن

تاريخ ٨ محرم ١٤٣٦هـ الموافق ١ نوفمبر ٢٠١٤

# علاقة القاعدة بإيران
# تعليقي على وثيقة للمخابرات الأمريكية

د.هاني السباعي

أفرجت أمس ١ نوفمبر ٢٠١٧ وكالة الاستخبارات الأمريكية عن وثائق متعلقة بتنظيم القاعدة، وكان ضمن هذه الوثائق؛ الوثيقة التي سأقوم بالتعليق عليها على النحو التالي:

أولاً: الوثيقة عبارة عن رسالة من ١٩ صفحة تاريخ كتابتها في شهرالمحرم ١٤٢٨هـ الموافق ٢٠٠٧ أي قبل ١١عاما حسب التقويم الهجري. أي أن الملا عمر والشيخ أسامة (تتقبلهما الله) وعدداً كبيراً من قادة القاعدة كانوا لايزالون أحياء. بالإضافة إلى أن الوثيقة كانت قبل ثورات الربيع العربي، فما حدث من تغيرات في سوريا واليمن وليبيا ومصر وتونس، كل هذه الأحداث بعد عام ٢٠١١.

ثانياً: الوثيقة منشورة بدون اسم أو لقب أو كنية؛ لكن من خلال سرد بعض الوقائع في موضوع الوثيقة قد يكون صاحب الرسالة قياديا جزائرياً أو ليبيا كان يقيم في الجزائر.

ثالثاً: لمن كتبت هذه الرسالة؟: كتبت لأحد المشايخ بالجزيرة بأرض الحرمين لتوضيح علاقة القاعدة مع إيران.

رابعا: الغرض من الوثيقة تبيين موقف تنظيم القاعدة والمجاهدين العرب من النظام الإيراني، وأنها كتبت للدفاع عن سمعة من لجأ إلى إيران. كاتب الرسالة يدافع عن بعض القيادات والأعضاء من تنظيم القاعدة والمجاهدين العرب الذين انسحبوا لإيران بعد الغزو الأمريكي لأفغانستان. فالعلاقة بين القاعدة وإيران كانت علاقة اضطرار.

خامساً: الصدمة والترويع والتشتيت الذهني:

أوضح كاتب الرسالة أن القاعدة تلقت صدمة كبيرة ووقعت في ارتباك وتشتيت! حيث لم تكن القاعدة تتوقع ردة فعل أمريكا عقب الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ وأن القاعدة كانت تتصور أن أمريكا قد تضرب أفغانستان بعدة صواريخ كما فعلت من قبل عام ١٩٩٨ (يشير إلى عمليتي نيروبي ودار السلام، ورد فعل أمريكا حيث أمر كلينتون بتدمير مصنع الشفا للأدوية بالسودان، وبعض المعسكرات في أفغانستان بصواريخ كروز)، أو ستدعم أمريكا جبهة الشمال بقيادة أحمد شاه مسعود! ولن تجرؤ أمريكا على غزو أفغانستان!! وستخاف وستؤثر السلامة وتطلب المهادنة مع المجاهدين وينتهي الأمر! ويستدرك كاتب الرسالة من أنه لم يعرف ما كان يدور في ذهن الشيخ أسامة وتصوره لردة فعل أمريكا بالضبط لأنه لم يلتق به منذ ١١ سبتمبر ٢٠٠١ وحتى الذين التقوا بالشيخ أسامة سألهم فقالوا له لم يكن الشيخ يتحدث في هذا الأمر.

سادساً: ذكر كاتب الرسالة أنه كان موجوداً في قندهار ليلة أصدر الملا محمد عمر (رحمه الله) قرار الانسحاب وتسليم قندهار لمجلس القبائل فانسحبوا لخوست وجرديز، ثم تناقش المجاهدون العرب والقاعدة حول الاختيارات المفضلة؛ إما إلى باكستان أو البقاء حتى الموت في أفغانستان فمعظمهم وعوائلهم انسحبوا لباكستان وظلت قلة منهم في أفغانستان.

سابعاً: مقترح التواصل مع حزب الله أو النظام العراق التي تم رفضه:

ذكر كاتب الرسالة أنه نتيجة الضربات الأمريكية المروعة جواً والقوات الأفغانية الموالية للغزو الأمريكي براً؛ تناقشوا في خوست حول إمكانية اللجوء لإيران؛ فاقترح أحدهم اللجوء لإيران عن طريق التواصل مع مندوب لحزب الله بإيران. واقترح آخر وهو الشيخ أبو مصعب السوري (فك الله أسره) اللجوء للنظام العراقي إبان حكم صدام لأنه يعرف بعض القيادات القديمة في النظام العراقي عندما كان لاجئاً في العراق بعد مذبحة حماة عام ١٩٨٢ فتم رفض الخيارين سواء الاتصال بحزب الله أو الاتصال بالنظام العراقي وكان القرار هو الانسحاب لباكستان.

ثامناً: اللجوء لإيران: شرح كاتب الرسالة أن المجاهدين العرب اضطر عدد كبير منهم للانسحاب لإيران بسبب الحملات الأمنية للجيش الباكستاني والقبض على عشرات المجاهدين في باكستان.

تاسعاً: معاملة إيران للقاعدة والمجاهدين العرب: ذكر كاتب الرسالة أن الأمن الإيراني عاملهم معاملة حسنة، وكانوا يعتبرونهم أبطالاً ضربوا أمريكا، واشترطت المخابرات الإيرانية على من يمثلهم في تلك المرحلة للفوج الأول الذي انسحب لإيران وهو الشيخ «أبو حفص الموريتاني» ألا يستخدموا الهواتف لأن أمريكا تراقب الاتصالات، وألا يتحركوا جماعات في الشوارع والأماكن التي يسكنون فيها؛ لكن لم يلتزم الشباب خاصة صغار السن بهذه الشروط مما اضطر الأمن الإيراني إلى شن حملات اعتقال لهم، وأمرهم الإيرانيون بالرحيل إلى أي بلد يرونها والذي عجز أو رفض ظل في الحبس أو الإقامة الجبرية.

عاشراً: طبيعة العلاقة بين إيران وأمريكا:

ذكر صاحب الرسالة طبيعة العلاقة بين أمريكا وإيران وأنها علاقة عدائية حقيقية وليست صورية لكنها نفعية براجماتية.

أقول: هذا التصور مفهوم حتى مرحلة غزو العراق؛ لكن العلاقة بين إيران وأمريكا تغيرت إلى حد كبير رغم العداوة الظاهرة بينهما؛ فأمريكا هي التي مكنت إيران من السيطرة على العراق، ومكنتها من اليمن، وغضت الطرف عنها في البحرين، وأطلقت لها العنان في سوريا ولبنان! فأمريكا راجعت حساباتها مع إيران؛ فوجدت أن إيران أنفع لها من دول الخليج التي هي عالة على أمريكا والغرب! أمريكا تعي جيداً أن معظم الشعوب الإسلامية سنية، علاقتها مع إيران علاقة تضاد! لذلك تستخدم إيران فزاعة بغية تخويف المحميات الخليجية وابتزازها مادياً واحتلابها نفطياً. أمريكا تستخدم إيران لتمزيق العالم الإسلامي، والسيطرة على مقدراته وثرواته، والتحكم في معتقداته، بغية تقليل الخسائر المالية والبشرية الأمريكية ومن ثم لا تلجأ للتدخل العسكري المباشر إلا للضرورة القصوى كما حث في أفغانستان والعراق، لا يتم تنفيذ المخططات الأمريكية إلا عن طريق إيران

والمحميات النفطية الخليجية، وحكام بلاد المسلمين الذين هم الممر الآمن لأمريكا، والحارس الأمين للمصالح الأمريكية والغربية.

حادي عشر: أما كيف ينظر قادة القاعدة إلى إيران وأمريكا؛ فقد ذكر كاتب الرسالة أن القاعدة والمجاهدين يعتبرون إيران الرافضية عدواً مستقبلياً، ويعتبرون أمريكا عدوا حالياً، فأمريكا وإيران لايريدان بأهل السنة خيراً. أمريكا وإيران يتعاملان ببرجماتية نفعية مصلحية رغم وجود عداوة ظاهرة سواء كانت حقيقية أو صورية. لكن المتفق عليه بين أمريكا وإيران أنهما يبغضان أهل السنة.

ثاني عشر: هل عرضت إيران على القاعدة ضرب أمريكا؟

وذكر صاحب الرسالة أن المخابرات الإيرانية عرضت على شباب صغار عاديين خاصة من السعودية ذهبوا للجهاد ولم يرتبطوا بالقاعدة فكرة التدريب في معسكرات لحزب الله، ودعمهم بالمال والسلاح على شن عمليات ضد مصالح أمريكا في السعودية والخليج؛ لكن هؤلاء الشباب رفضوا. كما عرضوا على جماعة من الأوزبك بالدعم المالي والسلاح والإقامة في إيران مقابل ضرب المصالح الأمريكية في أوزبكستان حسب ما ذكر كاتب الرسالة. فإيران مستعدة للتعاون مع أي شخص يريد ضرب المصالح الأمريكية فلا يهم إيران اختلاف الدين أو المذهب. كما أن أمريكا مستعدة كذلك للتعاون مع أي شخص أو أي جماعة تضرب المصالح الإيرانية كما حدث مع جماعة من البلوش بشرط ألا يكون لأمريكا أو إيران أية علاقة مباشرة في مثل هذه العمليات حسب ما ذكر كاتب الرسالة.

ثالث عشر: تغير موقف إيران بعد غزو العراق:

لقد تغير موقف الحكومة الإيرانية من تسفير المجاهدين العرب، ومن اعتقلتهم من القاعدة بعد احتلال العراق عام ٢٠٠٣ وزوال نظام صدام، وعمليات المقاومة وظهور الزرقاوي (تقبله الله)، والقاعدة على الساحة العراقية، فأوقفت إيران إطلاق سراح من بقي من القاعدة واحتفظت بهم في السجن كورقة مساومة!.

رابع عشر: لماذا لم تقم القاعدة بعمليات مسلحة ضد إيران؟:

برر كاتب الرسالة بأن السبب في عدم قيام القاعدة بعمليات مسلحة في إيران لما تمثله إيران من ممر ومعبر للمجاهدين في أفغانستان، وساحة دعم وحركة «لوجستيك»، وبسبب وجود أسرى لهم في السجون الإيرانية وهذا ما لاحظه كاتب الرسالة أن الشيخ أسامة كان لا يتكلم عن إيران والرافضة حفاظاً على الأسرى بالسجون الإيرانية. فالقاعدة كانت تتعامل مع إيران بالطرق الدبلوماسية في صفقات تبادل الأسرى بين القاعدة وإيران سواء في اليمن أو أفغانستان، لكن موقف القاعدة من الرافضة في العراق يختلف عنه في إيران؛ لذلك كان قادة القاعدة حسب ما ورد في الوثيقة؛ يرون أن كل ساحة لها ظروفها ومعطياتها التي تستوجب أحكاماً وسياسات مناسبة مما يندرج في السياسة الشرعية.

خامس عشر: ختم كاتب الرسالة بمعتقد القاعدة في إيران وهو معتقد أهل السنة في الشيعة؛ فالقاعدة ترى أن أئمة الرافضة زنادقة كفار، وأن كفرهم كفر ردة، والبعض من القاعدة له اختيار أن كفرهم كفر أصلي، وأما عوامهم فهم مسلمون من أهل القبلة على ما فيهم من ضلال لأنهم نشأوا على هذا الضلال الذي لا يعرفون غيره، وبسبب الجهل والتلبيس؛ لا يحكمون على عوامهم بالكفر إلا من تبين كفره بعينه حسب ما ذكر كاتب الرسالة. بالطبع هذه مسألة تحتاج لتفصيل مستفيض وليس مقامها في هذا التعليق.

ينبغي على من يعلق بالتحليل على هذه الرسالة، ويريد أن يسقطها على الواقع الحالي في إيران والعراق وأفغانستان وأرض الحرمين واليمن والشام ومصر ليبيا وغيرها، والمتغيرات التي حديث بعد كتابة هذه الرسالة؛ أن يأخذ بعين الاعتبار ما ذكرته في صدر هذا التعليق أن هذه الرسالة قديمة مر عليها ١١ عاماً.

## صفوة القول

كاتب الوثيقة برّأ القاعدة والمجاهدين العرب من الموافقة على اقتراح التواصل مع منوب حزب الله في إيران، ورفضهم القاطع التواصل مع النظام العراقي إبان حكم صدام حسين.

كما برّأ كاتب الرسالة قادة القاعدة من الاتفاق مع إيران في ضرب المصالح الأمريكية لصالح إيران، وأن القاعدة والمجاهدين العرب والشباب الذين تصادف وجودهم في أفغانستان وانسحابهم لإيران التي تختلف عنهم عقدياً ومذهبياً كان من باب الاضطرار.

كما برّأ كاتب الرسالة موافقة بعض الشباب العاديين خاصة من السعودية من الموافقة على ضرب المصالح الأمريكية بالسعودية، والخليج لصالح إيران. وأوضح كاتب الرسالة سبب عدم استهداف القاعدة المصالح الإيرانية بعمليات عسكرية وبرر ذلك بوجود الأسرى في السجون الإيرانية والاستفادة من الأراضي الإيرانية كممر ومعبر للدخول والخروج من وإلى أفغانستان.

ينبغي على من يعلق بالتحليل على هذه الرسالة، ويريد أن يسقطها على الواقع الحالي في إيران والعراق وأفغانستان وأرض الحرمين واليمن والشام ومصر ليبيا وغيرها، والمتغيرات التي حدثت بعد كتابة هذه الرسالة؛ أن يأخذ بعين الاعتبار ما ذكرته في صدر هذا التعليق أن هذه الرسالة قديمة مر عليها ١١ عاماً.

هذا ما حضرني من تعليق على الوثيقة وبالله التوفيق

تاريخ ١٣ صفر ١٤٣٩هـ الموافق ٢ نوفمبر ٢٠١٧

# من عجائب المقدور صمودنا وصمودهم

د. هاني السباعي

من عجائب المقدور أن دولاً بجيوشها المدججة بالأسلحة مدعومة بحضانة شعبية صلبة؛ انهارت أمام غزو خارجي!، واستسلمت بعد ساعات أو عدة أيام أو على الأكثر عدة أشهر!.. بالطبع هناك بعض الشعوب والجماعات غير المسلمة؛ قد قاومت الغزو الخارجي، كما في التجربة الكوبية، والفيتنامية، وغيرها؛ لكن نلاحظ أن كل هذه التجارب كانت مدعومة من بعض الدولة المجاورة أو من قوى عالمية كالاتحاد السوفييتي قبل تفككه أو الصين مثلاً..

ومن عجائب المقدور أيضاً أننا نجد جماعات من شباب أهل السنة بسلاح متواضع، لا حضانة شعبية تحميهم إلا على استحياء!، يحيط بهم الأعداء المحليون والدوليون من كل مكان؛ بالإضافة إلى كتائب من الجواسيس الذين يتناسلون خسة وعمالة وخيانة لضرب المسلمين في ظهورهم!.. في ظل هذه الأجواء الملبدة بقوى الشر في العالم؛ يدافع هؤلاء الشبيبة عن دين الإسلام وأهله والذود عن ديارهم، على الرغم من البون الشاسع بين القوتين!. فرغم ضعفهم وتشرذمهم بل وعجرهم وبجرهم!؛ لا يزالون يصارعون أعتى دول الاستكبار العالمي. وعلى أية حال سأضرب أنموذجين لمقاومتين في التاريخ المعاصر:

الانموذج الأول: مقاومتهم وصمودهم:

المثال الأول: في عام واحد فقط! ابتلعت ألمانيا سنة ١٩٤٠بولندا الدنمارك النرويج لوكسمبورج هولندا بلجيكا فرنسا! كقطع البقلاوة! لكم الله يا شباب الإسلام في الشام.. لكم الله يا شباب الإسلام في أفغانستان وكل مكان..

المثال الثاني: في سنة ١٩٦٨استسلمت «تشيكوسلوفاكيا» المؤيدة من يوغسلافيا ورومانيا للغزو السوفييتي وبعض دول حلف وارسو في يوم!!.. لكم الله يا شباب الإسلام في الشام وأفغانستان وكل مكان.

المثال الثالث: أمر السفاح جورج بوش الأب رئيس الولايات المتحدة الأمريكية جيوشه بغزو بنما في ٢٠ ديسمبر ١٩٨٩ واعتقلت القوات الأمريكية رئيس بنما «مانويل نورييجا» واستمرت العملية العسكرية ومقاومة الجيش والشعب لمدة شهر فقط!!.. لكم الله يا شباب الإسلام في أفغانستان والشام وغيرها.

الأنموذج الثاني: مقاومتنا وصمودنا:

المثال (١): في سنة ١٩٧٩اجتاحت الجيوش السوفيتية الشيوعية أفغانستان بأكثر من ١٠٠ألف جندي واستخدمت كل ما لديها من أسلحة فتاكة تقليدية وشبه نووية على مدار ١٠ سنوات؛ ثم انهار الاتحاد السوفييتي؛ بفضل الله ثم بضربات المجاهدين؛ فاندحر الدب الأحمر مهزوماً خاسئاً وهو حسير عام ١٩٨٩م، ثم سرعان ما انفرط عقد الولايات السوفيتية التي «تقزمت» وتقوقعت إلى دولة روسيا الحالية!!..

المثال (٢): الغزو الأمريكي لأفغانستان عام ٢٠٠١؛ هجوم بربري وحشي بقيادة أمريكا ومعها أكثر من ٤٠ دولة أبادت قرى ومدائن بأكملها، عاثت في أفغانستان فساداً، ورغم ذلك لا يزال الشعب الأفغاني المسلم بقيادة طالبان صامداً لم يستسلم.

المثال (٣): الشام؛ فمنذ اندلاع الثورة السورية ٢٠١١ نجد أن النظام النصيري المدعوم بصمت وتآمر مجلس الأمن الدولي، ومشاركة إيران، وقطعان حزب اللات، وجيش الدجال بالعراق وأذربيجان وروافض الخليج وغيرهم، يقودهم الحرس الثوري الإيراني، ثم دخول روسيا بعتادها الثقيل على الخط وبطائراتها التي تصب جام حمم الموت والخراب والدمار على رؤوس المسلمين يومياً (حلب والغوطة الشرقية؛ أنموذجا)، بالطبع فإن أمريكا هي «المايسترو»؛ حيث تقود «أوركسترا» تدمير بلاد المسلمين؛ منتشية بأشلاء ودماء وأطفال ونساء وشيوخ المسلمين، تصداقاً لقول الله تعالى في أمثالهم: (ليس علينا في الأميين سبيل) آل عمران آية

٧٥. فدماؤنا وثرواتنا وكل بلادنا حلال لهم! حسب معتقد العم سام! وثالثة الأثافي؛ خيانة محميات آل نفطويه وجيوش الردة العربية وكل الجيوش المحسوبة على الإسلام زوراً..

كل هذه القوى الخبيثة الوالغة في دماء البشر؛ تحالفت على استئصال شأفة الإسلام ـ عقيدة شريعة منهاجاً سلوكاً ـ هدفهم القضاء على الإسلام في كافة المناحي الحياتية، وإقامة مملكة إبليس الرجيم في العالم! هذه الذئاب البشرية تضرب تحرق تقتل تدمر بلا رحمة!؛ على مرأى ومسمع العالم أجمع! في أفغانستان حرب ضروس لا تنقطع وصمود وبطولة مستمرة بفضل الله تعالى. وفي الشام جحيم يومي على مدار ٧ سنوات متواصلة؛ ورغم ذلك لم يستسلم المسلمون في الشام ولا يزالون يضربون أروع الأمثلة في البطولة والفداء رغم خذلان العلم بأسره لهم.

## صفوة القول

دول الشر المعادية للإسلام وأهله قوية بضعف المسلمين وتشرذمهم! صدق الله تعالى في محكم التنزيل: (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع الصابرين) الأنفال ٤٦.. لذلك لما تنازعت الفصائل وتناحرت ولم تلتزم بنهي ربها لها عن التنازع! أذاقها الله مس مخالفتها له، وهذا ما نشاهده اليوم في بلاد الإسلام قاطبة ولا سيما سوريا.

وقال الله تعالى عن المستكبرين الظالمين الذين يعيثون في الأرض فساداً: (لا يقاتلونكم جميعاً إلا في قرى محصنة أو من وراء جدر) الحشر آية ١٤..

ثق يا مسلم بربك! لم تحدث مواجهة مباشرة بين المسلمين وأعداء الإسلام منذ الحروب الصليبية! أما الحملات الصليبية المعاصرة فقد تمت بالوكالة وبجيوش أحفاد أبي رغال من بني جلدتنا!لذلك يقاتلون المسلمين من وراء جدر!

تدبر أيها المسلم الواثق بنصر ربه: قوله تعالى (وكم من فئة قليلة غلبت فئة كبيرة بإذن الله والله مع الصابرين) البقرة الآية ٢٤٩، نعم! فئة قليلة على قلب رجل واحد، بعقيدة نقية صافية، بقيادة حكيمة رشيدة منتصرة لله وحده، منفذة قدر استطاعتها لقوله

تعالى (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة) الأنفال الآية ٦٠.. إذا فعلت تلكم الفئة المؤمنة القليلة ذلك؛ فإن نصر الله قريب منها بما شاء وكيف شاء، فمن حقق الشرط جاءه الجواب: (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) سورة محمد الآية ٧.

ثق بربك يا مسلم! لا تتضعضع، لا تضعف، لا تيأس.. لقد أراك الله آية في صمود إخوانك في أفغانستان والشام وغيرها رغم ضعفهم وتكالب الدنيا عليهم.

فإذا كان ثلة من الشباب المسلم في الشام وغيره؛ دوخوا أكبر وأعتى وأطغى قوى العالم طيلة هذه الحقبة المعاصرة! فما بالك لو كانت أسلحة هذه الجيوش العميلة الخائنة لدينها وأمتها؛ بحوزة المجاهدين!، أو أن نصف أو ربع هذه الجيوش قد تابت وانضمت إلى المجاهدين في الشام ومصر وغيرها! فهل كانت أمريكا وألف أمريكا! تستطيع القضاء عليهم وهزيمتهم! هل كان باستطاعة أمريكا وحلفائها وعملائها؛ احتلال أراضي المسلمين الشاسعة من «جاكارتا» إلى «مراكش"!

إذن العيب فينا؛ فحصوننا مهددة من داخلها! فلزام على الأمة أن تتطهر ذاتياً؛ بالتخلص من هذه الأورام الخبيثة؛ الحكام وجيوشهم وقضاتهم وإعلامهم؛ فهم أس الداء، وسبب كل بلاء نزل بالمسلمين في كل مكان.

لا تحرير لبلاد المسلمين المحتلة من طواغيت العرب والعجم إلا بالاعتصام بحبل الله وحده، والقضاء على هؤلاء الحكام الخونة، وجيشوهم الحارسة لمصالح أعداء الإسلام.

ثق بربك يا مسلم! فدول بجيوشها وعتادها وقوتها قد انهارت أمام غزو الأعداء لها، ولم تصمد على المقاومة، إلا لأيام أو شهور معدودات!

أما إخوانكم في أفغانستان والشام والقوقاز وكشمير والصومال والمغرب الإسلامي واليمن وغيرها؛ لا يزالون ثابتين صامدين رغم تحالف قوى الاستكبار ـ عجمهم وعربهم ـ ضدهم!..

أيها المسلم ثق بربك! تفكر وتدبر في عجائب المقدور! لا تنس أيها المسلم المخبت المذعن الخاضع لربك وحده؛ أن للكون رباً يحميه. ارفع رأسك أنت مسلم.

تاريخ ١٦ جمادى الآخر ١٤٣٩هـ الموافق ٤ مارس ٢٠١٨

# وقفة مع كتاب الأغاني وإشادة العلمانيين به

د. هاني السباعي

ملحوظة هذا المقال جزء من كتابي قراءة في مصادر السيرة النبوية[٢١٠]

قبل الشروع في التعليق على كتاب الأغاني وصاحبه الأصفهاني سنتكلم بإيجاز عن البيئة السياسية التي ظهر فيها هذا الكتاب على النحو التالي:

البيئة السياسية التي ظهر فيها كتاب الأغاني[٢١١] :

لقد ظهر كتاب الأغاني في عهد دولة بني بويه (٣٢٠ هـ إلى ٤٧٧ هـ)؛ هذه الدّولة الخبيثة تحتاج إلى إعادة تقويم لما جرّته من ويلات على تاريخ المسلمين، وقد تولّت هذه الدّولة كبر حملة تشويه الصّدر الأوّل من الإسلام.. فلأول مرّة تظهر الكتابات الشُّعوبيّة التّي تطعن على جنس العرب بل وتُشكّك في الإسلام، وتُعظّم الفرس.. أمّا عن نشأة هذه الدّولة المنحرفة: «وظهر بنو بُويه في عالم التّاريخ الإسلاميّ في أوائل القرن الرّابع الهجريّ من خلال ذلك الغموض الذي اكتنف تاريخهم قبل ذلك (..) وإن نسب هذه الأسرة مسألة يحوطها الشكّ، الملوك والأمراء الذّين تظهر عظمتهم مرة واحدة»[٢١٢] لذلك لا غرو أن نجد تاريخ الإسلام مشوّهاً إلى بداية عهد بني بُوية ٣٢٠ هـ.. وسبب ذلك أنّ هذه الدّولة البُويهيّة كانت مكروهة لدى عامة المسلمين وخاصّتهم.. وكان النّاس يحتجّون عليهم بسيرة السّلف الصالح، وضاق بنو بُوية ذرعاً من هذا الاحتجاج.. فظهر شعراء وكتّاب شعوبيّون حاقدون على جنس العرب, بل وعلى أهل الإسلام وذلك بإيعاز من

---

٢١٠ كتاب قراءة في مصادر السيرة النبوية: د. هاني السباعي ـ دار هادف للنشر ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى عام ٢٠١١

٢١١ مقال لنا بعنوان إعادة النظر في كتابة التاريخ الإسلامي/مجلة المنهاج/صفر ١٤١٧هـ/من ص٦٨ إلى ص٧٤

٢١٢ دكتور حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والإجتماعي/دار الجيل/بيروت/ ج٤ ص٤٣.

السلّطة الحاكمة لأنّ الخليفة العبّاسيّ لم يكن له إلا الاسم فقط؛ فقد ذكر ابن خلدون في تاريخه حالة الضّنك والخراب الذي عمّ المسلمين في عهد بني بُويه.. فليراجع (تاريخ بن خلدون الجزء الرّابع).. «إنّ آل بُويه قد اشتروا ضمائر أهل الطّمع، والانتفاع الشّخصيّ، من ضعفاء النّفوس، فراحوا يكيلون لهم المديح جزافاً حتى جاوزوا المقدار. هذا أبو هلال الصّابي, يضع كتاب <التّاجي> وهو سجين, وقد مرّ به بعض أصحابه فسأله فقال: ((أباطيل أُنمّقها وأكاذيب أُلفّقها في تاريخ آل بُويه»[٢١٣] حتى علماء النّحو تقرّبوا إليهم مثل أبو عليّ الفارسيّ عالم اللّغة والنّحو «ففي سنة ٣٤١ هـ جاء إلى حلب, إلى بلاط سيف الدّولة استدعاه إلى شيراز ليؤدّب أبناء أخيه خُسْروَهْ (كسرى) فنال حظوة عند عضد الدّولة وألّف له الإيضاح والتّكملة»[٢١٤]

وهذا أبو الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) يؤّلف كتابه الضّخم <الأغاني> للوزير أبي الحسن محمّد بن الحسن المهلّبي.. ورغم أنّه كتاب أدب وشعر وليس كتاب تاريخ بالمعنى الاصطلاحيّ.. إلاّ أنّ هذا الكتاب كان تكأة المستشرقين والعلمانيّين وضعاف النّفوس في النّيل من تاريخ الإسلام وأهله.. وصار عمدة في تقييم التّاريخ الإسلاميّ.. وجلّ حجّتهم البالغة هذه القصص والحكايات التي ذكرها الأصفهاني عن المغنّيين وأهل الطّرب والمجون, حيث صار تاريخ السّلف الصالح إلى سنة ٢٨٩ هـ عبارة عن مجموعة من المتآمرين سفاكي الدماء.. ومجموعة من الحمقى همّهم القصف واللّهو.. هذا هو تاريخ الإسلام الذي قدّمه الأصفهاني للتاريخ لينال حُظوة آل بُويه.. ورغم أنّ أعلام المسلمين وأهل الحديث الموثوق في أمانتهم العلميّة قد فضحوا هذا الكتاب وحذّروا منه.. إلاّ أنّ هناك إصراراً عجيباً من قبل الدّارسين في هذا الزّمن من علمانيّين ومن على أشكالهم على الاعتماد عليه في كثير من تحليلاتهم المهترئة.

قال عنه الحافظ أبو الفرج بن الجوزي: في ذكر من توفي في سنة ٣٥٦هـ قال: ”علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان، أبو الفرج

---

٢١٣ وليد الأعظمي: السيف اليماني في نحر الأصفاهاني/ دار الوفاء/مصر/ص٦٥.

٢١٤ دكتور عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي/دار العلم للملايين/بيروت/ ج٢ ص٥٣٧.

الأصبهاني وكان يتشيّع ومثله لا يوثق بروايته، فإنّه يصرّح في كتبه بما يوجب عليه الفسق, وتُهّون شرب الخمر وربّما حكى ذلك عن نفسه ومن تأمّل كتاب الأغاني رأى كل قبيح ومنكر»[٢١٥] وليس هذا رأي ابن الجوزي فقط بل جمهرة علماء الأمّة كالخطيب البغدادي وابن كثير وابن تيمية وغيرهم.. «وعلى كل حال فإنّ كتاب الأغاني كُتب في عهد آل بُويه، وتناول الغناء وما يتعلّق به مع أخبار شائنة منذ الجاهليّة إلى عهد الخليفة المعتضد بالله المتوفّى سنة ٢٨٩ هجرية، وسكت عمّا بعد ذلك فهل انقطع الغناء؟ أم أنّه أراد أن يسكت قبل مجيء العهد البُويهي، لئلا يضطر إلى ذكر أشياء قبيحة لا يحسن ذكرها؟ لذلك نال الكتاب رضا آل بُويه، واتّفق مع رغبتهم وهواهم في تشويه تاريخنا، والدسّ والافتراء والكذاب على آل البيت النّبوي الشّريف، وعلى الأمويّين، وعلى أعلام أمّتنا ولذلك كان عضد الدّولة البُويهي لا يفارق كتاب الأغاني"[٢١٦]

كان أبو الفرج الأصفهاني مع كونه من صميم بني أمية، متشيعاً فقد قال عنه التنوخي: «ومن المتشيعين الذي شاهدناهم أبو الفرج الأصبهاني، كان يحفظ من الشعر والأفغاني والأخبار، والآثار المسندة والنسب ما لم أر قط من يفظ مثله»[٢١٧]

وقال عنه ابن الأثير وهو يعدد الذين ماتوا في سنة ٣٥٦هـ: «وفيها توفي أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد بن أحمد الأصبهاني الأموي/وهو من ولد محمد بن مروان بن الحكم الأموي/وكان شيعياً، وهذا من العجب»[٢١٨].

وقال ابن شاكر في عيون التواريخ: «إنه ظاهر التشيع»[٢١٩].

---

٢١٥ ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوكوالأمم/ تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطع/دار الكتب العلمية/بيروت/ ج١٤ ص ١٨٥.

٢١٦ وليد الأعظمي: السيف اليماني ص٧٠.

٢١٧ الأصفهاني: أبو الفرج: الأغاني: تحقيق عبد الأمير علي مهنا وسمير جابر/دار الفكر بيروت/ط١٤٠٧/١هـ/ ج١ من المقدمة ص (د).

٢١٨ الأغاني: ج١ من المقدمة ص (د).

٢١٩ الأغاني: ج١ من المقدمة ص (د).

وقل محققا كتاب الأغاني: «يجمع كل الذين تحدثوا عن النواحي الخلقية لدى أبي الفرج علي أنه لم يكن له عناية بنظافة جسمه وثيابه فقد كان وسخاً قذراً في ثوبه وفعله وكان الناس يحذرون لسانه ويتقون هجاءه، ويصبرون في مجالسته ومعاشرته ومشاربته، وكان أكولاً نهماً، وكان إذا ثقل الطعام في معدته تناول خمسة دراهم فلفلاً مدقوقاً ولا يؤذيه ولا تدمع عيناه.»[٢٢٠]

أما عن الرواة الذين اعتمد عليهم الأصفهاني في سرد مروياته فهم طبقاً لمنهج الجرح والتعديل كذأبون مجروحون ولنأخذ عينة من هؤلاء:

الأول: محمد بن السائب الكلبي:

قال عنه الجوزجاني: «الكلبي محمد بن السائب: كذاب ساقط. حُدثتُ عن المعتمر بن سليمان عن أبيه قال: كان بالكوفة كذابان، فمات أحدهما، والسُدِّيُّ والكلبيُّ. حُدثتُ عن علي بن الحسين بن واقد حدثني أبي قال: قدمتُ الكوفةَ ومُنْيَتي لقيُّ السدي، فأتيتُه فسألتُه عن تفسير سبعين آيةٍ من كتاب الله تعالى فحدثني بها، فلم أقم من مجلسي حتى سمعته يشتم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما فلم أعد إليه. وأما الكلبي فالأمر فيه أطمُّ وأعظمُ. سمعت سليمان بن معبد يقول: حدثنا الأصمعي قال: سمعتُ قُرَّةَ بن خالدٍ يقول: كانوا يرون أنَّ الكلبي يُذَّرِفُ. قلتُ للأصمعي: وما التذريف؟ قال: الزيادةُ.»[٢٢١]

قال عنه الحافظ ابن حجر: «»متهم بالكذب، ورمي بالرفض. قال ابن حبان: كان الكلبي سبئياً من أولئك الذين يقولون إن علياً لم يمت وأنه يحتاج إلى الإغراق في وصفه. قال ابن معين: ليس بثقة. وقال الدارقطني: متروك»[٢٢٢]

الثاني: محمد بن أحمد بن مزيد ابن أبي الأزهر البوشنجي: قال عنه الحافظ ابن حجر: «فيه ضعف، وقد تُرك، واتُهم في لقائه أبا كريب ولُينا. مات سنة خمس وعشرين

---

٢٢٠ الأغاني: ج١ من المقدمة ص (هـ).

٢٢١ الجوزجاني: أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب المتوفى ٢٥٩هـ: أحوال الرجال/تحقيق السيد صبحي البدري السامرائي/ مؤسسة الرسالة/ ط١٤٠٥/١هـ/ص٥٤.

٢٢٢ الجوزجاني: أحوال ارجال/ منقول عن المحقق هامش ص٥٤ .

وثلاث مئة. وقيل: بل هومتهم بالكذب فقط. روى المعافى بن زكريا، عن ابن أبي الأزهر محمد بن مزيد حديثاً موضوعاً في فضل الحسين رضي الله عنه. قال حدثنا علي بن مسلم الطوسي، حدثنا سعيد بن عامر، عن قأبوس بن أبي ظَبيان، عن أبيه، عن جده عبد الله، وقال مرة: عن أبيه عن جابربن عبد الله رضي الله عنه قال: (رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يفحِّج ما بين فخذي الحسين، ويقبل زُبَيْبَتَه ويقول: لعن الله قاتلك، قلت: ومن هو؟ قال رجل من أمتي يُبغض عِترتي، لا تناله شفاعتي، كأني به بين أطباق النيران). قال الخطيب: وما يبعُد أن يكون ابن أبي الأزهر وضعه، فقد وضع أحاديث، ويروي عنه الدارقطني، انتهى. وقال الخطيب: غير ثقة، يضع الأحاديث على الثقات. وقال الدارقطني: كان ضعيفاً في ما يرويه، كتبت عنه أحاديث منكرة. وقال الحسن بن علي البصري: ليس بالمرضي. وقال المرزباني: كذَّبه أصحاب الحديث، وأنا أقول: كان كذاباً، قبيح الكذب، ظاهرَهُ.»[٢٢٣]

الثالث: الهيثم بن عدي الطائي توفي ٢٠٦هـ:

"قال البخاري: ليس بثقة، كان يكذب. وروى عباس، عن يحيى: ليس بثقة، كان يكذب. وقال أبو داود: كذاب. وقال النسائي وغيره: متروك الحديث. قلت: وكان إخبارياً. قال عباس الدوري: كان مولاي يقوم عامة الليل يصلي، فإذا أصبح جلس يكذب؟! وال النسائي: الهيثم منكر الحديث. وقال أبو حاتم: متروك الحديث، محله محل الواقدي. وقال أبو زرعة: ليس بشيء. وقال العجلي: كذاب، وقد رأيته. وقال يعقوب بن شيبة: كانت له به معرفة بأمور الناس وأخبارهم، ولم يكن في الحديث بالقوي، ولا كانت له به معرفة، وبعض الناس يحمل عليه في صدقه. وقال الساجي: سكن مكة، وكان يكذب. وقال الإمام أحمد: كان صاحب أخبار وتدليس. وقال الحاكم والنقاش: حدث عن الثقات بأحاديث منكرة، زاد الحاكم: وذلك مع علمه ومحله. وذكره ابن السكن وابن الجارود، والدارقطني في الضعفاء. وقال ابن يونس في تاريخ مصر: الهيثم غير موثق. وقال محمود

---

٢٢٣ ابن حجر: لسان الميزان/ تحقيق عبد الفتاح أبو غدة/ دار البشائر الإسلامية/ بيروت/ ط١/ ١٤٢٣هـ/ مج٣ ج٧ ص٥٠٠، ص ٥٠١.

بن غيلان: أسقطه أحمد، وابن معين، وأبو خيثمة. وقال أبو نعيم: يوجد في حديثه المناكير.»[٢٢٤]

الرابع: أبو توبة القاص: «شيخ بصري، ضعفه الدارقطني. وقال الساجي: بصري كذاب.»[٢٢٥]

الخامس: عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب:

قال خلف الأحمر: «كان يضع الحديث. وقال البخاري وغيره: منكر الحديث. وقال أبو حاتم: منكر الحديث. وقال عبد الواحد بن علي في مراتب النحويين: كان يضع الشعر، وأحاديث السمر، كلاماً ينسبه للعرب، فسقط علمه، وجُفيت روايتُه، وكان شاعراً وعلمه بالأخبار أكثر. وقال الآجُرّي عن أبي داود: سمعت أبا حاتم عن الأصمعي قال: قال لي خلف الأحمر: آفتُنا بين المشرق والمغرب: ابن دأب يضع الحديث بالمدينة، وابن شَوْكَر يضع الحديث بالسِّند.»[٢٢٦]

وبعد: «فهذه طائفة من الرواة الذين اشتهروا بالكذب، وعُرفوا بالوضع، والدجل، يعتمد عليهم أبو الفرج، ويروي عنهم الروايات الكثيرة، التي تسئ إلى تاريخنا، وأدبنا، ورجالنا، وأعلامنا.. وإذا كان هؤلاء الرواة يتجرؤون على رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالكذب، فهم أشد جرأة في الكذب على سائر الناس. ورب ثائل يقول: إن أخبار الأدب والغناء والسمر، لا تُشْتَرَطُ فيها شروط التوثيق الواردة في الحديث الشريف والسيرة النبوية الكريمة، وإن علماءنا كانوا يتساهلون في الرواية لغير أحاديث الأحكام والعقائد. فنقول: ذلك صحيح، عندما يكون الرواة من المعروفين بالعدالة والثقة، وأما الرواة المجروحون والمطعون عليهم، فكان العلماء يجتنبون الرواية عنهم في كل شيء، لأنهم غير مأمونين. ومع ذلك فقد يتساهلون في رواية أو روايتين، أما أن تبلغ الروايات عنهم عدة مئات، وتمتلئ صفحات الكتاب بأسمائهم البغيضة، فهذا ما لم نعهده عند الحريصين على تاريخنا وأدبنا وقيمنا...

---

٢٢٤ ابن حجر: لسان الميزان/مج٣ ج٨ ص٣٥٩: ص٣٦٣ بتصرف.

٢٢٥ ابن حجر: لسان الميزان/مج٣ ج٩ ص بتصرف٣٤.

٢٢٦ ابن حجر: لسان الميزان/مج٢ ج٦ ص٢٨٧، ص٢٨٨ بتصرف..

وإنما نجد ذلك عند الهدامين، والشعوبيين، والدجالين، والمشعبذين والمستشرقين، والحاقدين، الذين أعماهم الحقد على هذه الأمة المجيدة، وتاريخها المشرق الوضاء، وأدبها الكريم، وطبعها السليم، فأكل قلوبهم الحسد... فتحروا الأخبار الواهنة لملأوا بها صفحات سوداء مظلمة، تسئ الصديق وترضي العدو.»[٢٢٧]

هكذا استبان لنا كتاب الأغاني على حقيقته؛ رواة كذأبون، ومؤلف مستهتر يصرح عن نفسه باقتراف المحرمات. ورغم ذلك يصر طه حسن وحسن مروّة، وشفيق جبري، وأحمد علبي وبقية الطابور العلماني في العالم الإسلامي يصرون على أن كتاب الأغاني هو الصورة الحقيقية للمجتمع الإسلامي في خير القرون خاصة القرنين الأول والثاني الهجري! فالمجتمع الإسلامي في هذه القرنين وما بعدهما إلى سنة ٢٨٩ هـ طبقاً لكتاب الأغاني: عصر المتناقضات: فقه ـ أصحاب شك ـ مجون وخلاعة ـ إلحاد وزندقة ـ شعوبية ـ مغنى وطرب ـ عشق للنساء والغلمان ـ الدين الإسلامي في صورته الحقيقية!! هكذا يصورون لنا ديننا!! فديننا الحنيف صار يؤخذ من كتاب الاغاني وغيره من الكتب التي تنتسب إلى علم الأدب! فديننا يؤخذ من المصدر الأول للتشريع (القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة)، يؤخذ من كتب الصحاح والسير الموثوقة!! لكنهم لا يزالون يمجون في كتاب الأغاني! والعجيب! أنهم في الوقت الذي يوثقون روايات صاحب الأغاني! نجدهم يشككون في كتب الصحاح التي تلقتها الأمة بالقبول!

فهؤلاء القوم لديهم جرأة غريبة على عقائد الإسلام، فالسيرة النبوية على حد زعمهم مشكوك فيها وحتى لو كانت في البخاري!! والقرآن منتج ثقافي! والوحي خيال فلسفي والنبوة أشبه بالكهانة! سبحانك هذا بهتان عظيم! فمعاولهم في هدم بنية الإسلام ولحمته لم تفتر ولم تكل سواعدهم ولم تخف بعد أمداد أقلامهم (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ) (التوبة:٣٢).

---

٢٢٧ الأعظمي: وليد: السيف اليماني في نحر الأصفهاني/ص٤٢ ، ص٤٣.

وعلى نفس الوتيرة الحاقدة يعزف المستشار سعيد العشماوي من خلال مجموعة من الكتب والمقالات، فلا تجد مرجعية ولا ضابطاً علمياً يوقف هذا القاضي عن شطحاته وتأويلاته، فالعشماوي مفسر ومحدث وفقيه ومؤرخ وعالم لغة!! فالرجل هيئة علمية ومجمع علمي وغير شرعي!! فالعشماوي يرد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو رواه البخاري نفسه مثل رده حديث مقتل كعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق..إلخ وإذا قبل الحديث فإنه يؤوله تأويلاً يفوق تأويلات الباطنية! ولم يسلم القرآن الكريم من تأويلاته! فهذا الرجل له جرأة عجيبة على القرآن وصحيح السنة النبوية! وكل كتبه محشوة بهذا الهراء الذي يسميه فكراً مستنيراً!! إذ لا يهم العشماوي تعديل الراوي أو تجريحه، فعلم الرجال لدى هؤلاء قيد وحكر للإبداع الفكري والتقييد العلمي!! ونختار أنموذجاً من ترهات العشماوي لتوضيح الصورة:

يقول العشماوي: «فبعض الفقهاء ـ الذين أثروا على العقل الإسلامي ـ قالوا: (أو يقولون) إن الصلة بين الإسلام وغيره من الدول أو المجتمعات هي الحرب دائماً، وأن السلم ليس إلا هدنة مؤقتة ريثما يتهيأ المسلمون للحرب. وزاد البعض فرأى أو (يرى) أنه من غير الجائز لإمام المسلمين (أو الرئيس أو ملك لهم) أن يتعاقد على سلم دائم مع بلد من بلاد الحرب (أي البلاد غير المسلمة التي تقع خارج الديار الإسلامية أو العالم الإسلامي، أو دار السلام) لأن في مثل هذا السلم بالغاء لفرضية الجهاد"[٢٢٨]» ويستطرد العشماوي: «وهم يركنون في ذلك إلى آية قرآنية وإلى حديثين: فالآية: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ) (التوبة:١٢٣). أما الحديثان: فأولهما: ما قالوه النبي صلى الله عليه وسلم لبعض القرشيين عندما استثاروه: (أتسمعون يا معشر قريش أما والذي نفسي بيده لقد جئتكم بالذبح). أما ثانيهما فهو: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله.»[٢٢٩] فماذا كان رد المفسر الكبير سعيد العشماوي؟!

---

٢٢٨ العشماوي: محمد سعيد: الإسلام السياسي/سيناء للنشر/القاهرة/ط٢ لسنة ١٩٨٩/ص١٠٣.

٢٢٩ الإسلام السياسي ص١٥١.

يقـول: «والواقـع أن الآيـة القرآنيـة ـ السـالف بيانهـا ـ لا تقصـد قتـال الكفـار أي غيـر المسـلمين الذيـن لـم يؤمنـوا بمحمـد وبرسـالته، علـى ظهـر الأرض أو فـي كل الديـار غيـر الإسـلامية باعتبارهـا ـ فـي رأي الفقهـاء ـ دار حـرب، فـي حيـن أن الديـار الإسـلامية دار سـلام أو دار إسـلام، وإنمـا تعنـي الآيـة محاربـة الكفـار (أي الذيـن كفـروا برسـالة محمـد) ممـن كانـوا يجـاورون المسـلمين يلونهـم فـي المـكان. فالآيـة بذلـك أدنـى إلـى التنظيـم الحربـي الـذي يأمـر بتطهيـر الأماكـن المجـاورة للمجتمـع حتـى يأمـن هـذا المجتمـع كل تهديـد ويتقـي شـر أي إيـذاء، وحينـذاك ينتهـي الأمـر ولا يكـون ثـم مبـرر ولا واجـب لأي قتـال.»[٢٣٠]

أما تعليق العشماوي على الحديثين:

"أمـا قـول النبـي صلـى الله عليـه وسـلم لبعـض القرشـيين: (أتسـمعون يـا معشـر قريـش أمـا والـذي نفسـي بيـده لقـد جئتكـم بالذبـح).. هـذا القـول ليـس مـن الأحاديـث الصحيحـة، وإذا كان صحيحـاً ـ وهـو غيـر صحيـح ـ فإنمـا هـو خطـاب مـن النبـي وحـده لبعـض بنـي قريـش بالـذات دون غيرهـم وهـو قـول فـي لحظـة إثـارة وليـس وحيـاً معصومـاً."[٢٣١]

سـبحانك هـذا بهتـان عظيـم! أخطـر مـا فـي مقولـة هـذا الرجـل قولـه: (وهـو فـي لحظـة إثـارة وليـس وحيـاً معصومـاً)!! فالعشـماوي يصـور الرسـول صلـى الله عليـه وسـلم فـي حالـة غضـب فيتوعـد كفـار قريـش (جئتكـم بالذبـح).. أي أنهـا مجـرد كلمـة لحظـة غضـب وليـس وحيـاً منـزلاً!! وهـل يوقـف هـذا العشـماوي قـول الله تعالـى (وَمَـا يَنْطِـقُ عَـنِ الْهَـوَى) (النجـم:٣).. وهـل سـيرد العشـماوي عـن غيـه وضلالاتـه حديـث عبـد الله بـن عمـرو بـن العـاص رضـي اللـه عنهمـا: «قـال كنـت أكتـب كل شـيء أسـمعه مـن رسـول اللـه صلـى اللـه عليـه وسـلم أريـد أن أحفظـه، فنهتنـي قريـش فقالـوا: إنـك تكتـب كل شـيء تسـمعه مـن رسـول اللـه صلـى اللـه عليـه وسـلم، ورسـول اللـه صلـى اللـه عليـه وسـلم يتكلـم فـي بشـر يتكلـم فـي، فذكـرت ذلـك لرسـول اللـه صلـى اللـه عليـه وسـلم فقـال: (اكتـب! فوالـذي

---

٢٣٠ الإسلام السياسي ص١٠٢.

٢٣١ الإسلام السياسي ص١٠٣.

نفسي بيده ما خرج مني إلا حق.»[٢٣٢] إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بحق يغضب ويحمر وجهه كأنه قد فقئ فيه حب الرومان ولكن إذا انتهكت المحارم ورأى منكراً، كان يغضب ولا يقول إلا حقاً، فرسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعي ما يقول جيداً، وكان أملك لنفسه فلم لا.. وهو مؤيد بروح القدس؟! لم لا والوحي يتنزل عليه؟! فكلامه في الرضا والسخط حق وتشريع لأمته (فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)(الحج:٤٦).

أما قول العشماوي إن حديث (جئتكم بالذبح) غير صحيح! فلا يلتفت إلى قوله، فالعشماوي يضعف ويصحح ما يوافق مزاجه النفسي حسب نوع الكتاب وطبقاً لمنهجه العلمي الذي كرس حياته لخدمته. ولن نطيل في الرد عليه في تصحيح الحديث المذكور. ولكن نشير في عجالة إلى أصل الحديث كما في المسند:

"عن يَحْيَى بْنُ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيهِ عُرْوَةَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِى قَالَ قُلْتُ لَهُ مَا أَكْثَرَ مَا رَأَيْتَ قُرَيْشاً أَصَابَتْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فِيمَا كَانَتْ تُظْهِرُ مِنْ عَدَاوَتِهِ. قَالَ حَضَرْتُهُمْ وَقَدِ اجْتَمَعَ أَشْرَافُهُمْ يَوْماً فِى الْحِجْرِ فَذَكَرُوا رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَقَالُوا مَا رَأَيْنَا مِثْلَ مَا صَبَرْنَا عَلَيْهِ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ قَطُّ سَفَّهَ أَحْلاَمَنَا وَشَتَمَ آبَاءَنَا وَعَابَ دِينَنَا وَفَرَّقَ جَمَاعَتَنَا وَسَبَّ آلِهَتَنَا لَقَدْ صَبَرْنَا مِنْهُ عَلَى أَمْرٍ عَظِيمٍ. أَوْ كَمَا قَالُوا. قَالَ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ طَلَعَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فَأَقْبَلَ يَمْشِى حَتَّى اسْتَلَمَ الرُّكْنَ ثُمَّ مَرَّ بِهِمْ طَائِفاً بِالْبَيْتِ فَلَمَّا أَنْ مَرَّ بِهِمْ غَمَزُوهُ بِبَعْضِ مَا يَقُولُ. قَالَ فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِى وَجْهِهِ ثُمَّ مَضَى فَلَمَّا مَرَّ بِهِمُ الثَّانِيَةَ غَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا فَعَرَفْتُ ذَلِكَ فِى وَجْهِهِ ثُمَّ مَضَى ثُمَّ مَرَّ بِهِمُ الثَّالِثَةَ فَغَمَزُوهُ بِمِثْلِهَا فَقَالَ « تَسْمَعُونَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ أَمَا وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِالذَّبْحِ ».[٢٣٣]

---

٢٣٢ الخطيب البغدادي: تقييد العلم/تحقيق يوسف العش/دار إحياء السنة النبوية ط١٩٧٤/٢م ص٨٠، ص٨١. الحديث ذكره الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح برقم ٦٦٦٦ ورقم ٦٩٧٧. وفي سنن أبي داود في كتاب العلم الحديث رقم ٣٦٤٨.

٢٣٣ مسند أحمد الحديث رقم ٧٢٣٣. وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر.

وهكذا تكمن القوة الذاتية لهذا الدين العظيم الذي يسري في عروق الأمة جيلاً إثر جيل؛ يحفظون سيرة نبيهم، لا ينسون مولده ولا مبعثه، ويعيشون مغازيه وجهاده، ويعتبرون برسائله إلى الملوك والأمراء، لا ينسون استعلاءه بإيمانه على الكفر وملته، يعلمون عدد أزواجه وأولاده وأحفاده، يحبون أصحابه ولا ينسون أسماءهم وبلاءهم في نصرة هذا الدين! وهذا ما يغيظ أعداء الإسلام فهم يريدون محو ذاكرتنا! ولن يحقق الله كيدهم! فعلم الرجال في نحورهم!!

# الحكم بالشريعة الإسلامية ليس اختياراً

د. هاني السباعي

أقدم للقراء الفضلاء مقتطفاً قصيراً من بيان طويل كتبته إبان اندلاع الثورة البيان رقم ٩ لسنة ٢٠١١ وللأسف لايزال كثير من الثوار يستحون من ذكر الإسلام وحده بل منهم من يصر على إقصاء الإسلام كأننا نخاطب شعب المكسيك أو سكان الـ «هونولولو"! *

## أيها المعتزون بدينكم المستمسكون بإيمانكم!

هل يحسب هؤلاءِ الثائرون ومن على شاكلتهم أن الحكم بالشريعة الإسلامية حكم اختياري!! يجوز أن نتحاكم به أو نتحاكم بغيره! لا والله! إن هذا الفهم لهو الضلال المبين! فالحكم بالشريعة الإسلامية فرض على الحاكم والمحكوم وعلى كل مؤمن! وهذا كتاب ربكم ينطق بينكم بالحق فماذا أنتم فاعلون مع هذه الآيات البينات الواضحات: قال الله الحكيم العليم: (الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ) هود آية ١.

سبحان الله! كتاب أحكمت آياته! يتركه المنتسبون للإسلام! ويتفرغون لصياغة أو تعديل دستور مهلهل المواد! ومضيع لحقوق البشر ولا سيما أهل الإسلام! يبتغون في الياسا المعاصر!! الصنم الذي يقدسونه من دون كتاب رب العالمين! ولا يستمسكون بكتاب أحكمت آياته!! ويضحكون على عوام المسلمين أن المادة الثالثة من الدستور تنص على أن «مبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع"!

## أيها المعتزون بدينكم المستمسكون بإيمانكم!

لقد قزموا الشريعة ووضعوها بنداً ومادة بجوار مواد تتناقض مع أحكام هذه الشريعة نفسها!! اقرأ المادة الثالثة من هذا الدستور الذي يقدسونه من دون القرآن الكريم! تنص

المادة الثانية: «السيادة للشعب وحده، وهو مصدر السلطات، ويمارس الشعب هذه السيادة ويحميها، ويصون الوحدة الوطنية على الوجه المبين في الدستور». تنبهوا! الشعب وحده مصدر السلطات!! وليس الله! وليس رسوله! ليس القرآن الكريم ولا السنة النبوية الصحيحة؟! وهناك مواد كثيرة بالإضافة إلى المادتين السابقتين من الدستور المصري تتناقض وحق الله في الحكم والتشريع للبشر! تتناقض وعقيدة الولاء والبراء التي هي العمود الفقري لدين الإسلام!!

فلو كانوا صادقين لم لم يذكروا أن الشريعة الإسلامية (وليس مبادئ الشريعة) هي المصدر الوحيد للتشريع! ولكل القوانين المعمول بها في البلاد! لكنه التلاعب والتواطؤ والتدليل لطائفة نصارى مصر التي ليس لها في العير والنفير في هذه الثورة وغيرها!! ويحسبون أن مشاركة مئة نصراني يزيدون أو يقلون! في ثورة الشعب المصري! يعطيهم الحق في إرجاء أو إقصاء الشريعة الإسلامية كمصدر وحيد للتشريع! من أجل عيون نصارى مصر ومن أجل عيون كبيرهم شنودة وكبار قسوسهم وكهنتهم الذين كانوا يقفون مع نظام الطاغية حسني مبارك، ويستعرضون قوتهم المستمدة من أمريكا والفاتيكان! هؤلاء القساوسة لا يزالون يحبسون المسلمات الأسيرات في أديرة وادي النطرون وغيرها!! وضاعت وفاء قسطنين وكاميليا شحاتة وأخواتهما الأسيرات في زحمة الثورة! ولم يجرؤ أحد من هؤلاء المشايخ وقادة الإخوان أن يطالبوا النصاري بفك أسرى هؤلاء المسلمات!! إنه العار والشنار! الذي سيلحق بقيادة الثوار ومشايخهم الذين يخجلون أن يذكروا وفاء قسطنطين وكاميليا شحاتة في بياناتهم وشعاراتهم ومطالبهم!

وليست المسألة قاصرة على وفاء قسطنطين وكاميليا شحاتة! إنهم يخجلون أو يتعمدون عدم ذكر الحكم بالقرآن والسنة الصحيحة كمطلب من مطالب الثورة! وكأن هذه الثورة قام بها شعب الإسكيمو لصالح المصريين المسلمين!!

## أيها المعتزون بدينكم المستمسكون بإيمانكم!

فيا من تعلمون الناس القرآن وتقرؤونه وترفعكم الأمة كعلماء وشيوخ! لقد خذلتم دينكم قبل أن تخذلوا أمتكم! فماذا عساكم أن تفعلوا مع هذه الآيات النيرات التي من عمل بها عدي إلى صراط مستقيم!

قال تعالى: (إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) النورآية ٥١.

وقال جل وعلا: (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما) النساء آية ٦٥.

وفي محكم التنزيل (إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيماً)النساء آية ١٠٥

وهذا أمر رباني لنبيكم الكريم! (وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ) المائدة آية ٤٩.

وهذه قاعدة عامة وحكم لكل مسلم: (وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا) الأحزاب آية ٣٦.

وهل يظن هؤلاء التعساء أن حكم الجاهلية؛ الدساتير والقوانين الوضعية أنفع لهم في حياتهم؟! وأحكم من حكم رب العالمين!! سبحانك هذا بهتان عظيم! (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) المائة آية ٥٠. اللهم! إنا نوقن أن حكمك الحق.. وأن حكمك الصدق.. وأن حكمك أنفع وأحسن للبشرية جمعاء! اللهم إنا نبرأ إليك من بني جلدتنا ومن ينتسبون لديننا ولا يحكمون كتابك وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم!

**فيا أيها المعتزون بدينكم المستمسكون بإيمانكم!**

لماذا الخوف من ذكر الحكم بما أنزل الله؟! ألسنا مسلمين! أليس شعب مصر مسلما! لقد استعبد هذا الشعب فراعين وطواغيت قبل الإسلام! ثم لما لا مس الإسلام شغاف قلوب أجدادنا وآبائنا استمسكوا به واعتصموا بحبل الله المتين! فهداهم الله إلى عز الدنيا والآخرة! ثم لما أقصى الإسلام عمداً من سدة الحكم! تاه بنوه في صحراء الهموم! تاه بنوه في أسر الطواغيت ووصايتهم! وتلاعبت بهم الأمم؛ وشردهم الصليبيون وشرذموهم ومزقوهم شر ممزق!

**فيا أيها المعتزون بدينكم المستمسكون بإيمانكم!**

لم الخوف! ولم هذا الولاء والمناصرة لأوهام بشرية متخبطة! ولنعرات خداعة مضللة؟! هل تحسبون العزة في التحالف مع أعدائكم! هل تحسبون دساتير الغرب والشرق تحي عزتكم التي دفنها الطغاة؟! لا عزة لكم إلا بالحكم بشريعة ربكم!.

فهذا ربكم الذي تؤمنون به وتصدقون كتابه الكريم يحذركم وينذركم ويوضح لكم طريق العزة والكرامة: (الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّهِ جَمِيعًا) النساء آية ١٣٩.

تاريخ ١٤ ربيع أول ١٤٣٢هـ - ١٧ فبراير٢٠١١م

# أسئلة وأجوبة

**سؤال عن عصمة الأنبياء من المعاصي**

**هل الأنبياء عليهم السلام معصومون من المعاصي**

**جواب الدكتور هاني السباعي**

مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية

سأل سائل:

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته

فضيله الشيخ الدكتور هانى السباعى

اما بعد: فأرجو من فضيلتكم التكرم بالرد على سؤالي سواء بمقال او فى خطبه الجمعة

السؤال هل الأنبياء معصومون من الخطأ؟ واذا كانت الإجابة بنعم فما تفسير قوله تعالى (انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر). وقوله تعالى (ووضعنا عنك وزرك) وقوله تعالى في سيدنا موسى (فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ} وفى دعاء سيدنا نوح على قومه.

**سؤال من سائل آخر يتعلق بنفس الموضوع**. هل يجوز القول بأن الأنبياء قد أخطأت ولم تذنب؟ ! فسيدنا محمد قد حرم على نفسه العسل من قبل كذلك عندما عبس وتولى أن جاءه الأعمى فهل يجوز القول بذلك؟ !

الجواب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد. اعلم رحمني الله وإياك أن أحد الفضلاء قد سألني عام ٢٠٠٦ في منتدى الحسبة قديما فأجبت عن سؤاله ومن ثم سأعيد الإجابة بمناسبة سؤالك وأجيبك وبالله التوفيق.

**بالنسبة لمسألة هل الأنبياء معصومون من الخطأ؟**

لقد أجمع العلماء على تنزيه الأنبياء عن اقتراف الكبائر لكنهم اختلفوا في اقتراف الأنبياء صغائر المعاصي قبل النبوة أو اقترافهم خطأ قبل أن ينزل الوحي ليصحح له الخطأ؟

**فجمهور العلماء ينزهون الأنبياء** من كل عيب سواء الصغائر قبل النبوية أو بعد النبوة وقد أجاب وأحسن الجواب العلامة القاضي عياض المتوفي سنة ٥٤١هـ بمدينة مراكش بالمغرب في كتابه الماتع (الشفا بتعريف حقوق المصطفى) في عرضه لهذه المسألة ورد على شبهات المجيزين المعاصي للأنبياء؛ أختار منها هذه الفقرات لزيادة الفائدة وخاصة لمن ليس لديه كتاب الشفا:

**يقول القاضي عياض** (في عصمة الأنبياء قبل النبوة): "وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة، فمنعها قوم، وجوزها آخرون. والصحيح إن شاء الله تنزيههم من كل عيب، وعصمتهم من كل ما يوجب الريب، فكيف والمسألة تصورها كالممتنع، فإن المعاصي والنواهي إنما تكون بعد تقرر الشرع.

وقد اختلف الناس في حال نبينا صلى الله عليه وسلم قبل أن يوحى إليه، هل كان متبعاً لشرع قبله أم لا؟ فقال جماعة: لم يكن متبعاً لشيء، وهذا قول الجمهور، فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة في حقه حينئذ، إذ الأحكام الشرعية إنما تتعلق بالأوامر والنواهي و تقرر الشريعة.

ثم اختلف حجج القائلين بهذه المقالة عليها، فذهب سيف السنة، ومقتدى فرق الأمة القاضي أبو بكر إلى أن طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع،

وحجته أنه لو كان ذلك لنقل، ولما أمكن كتمه وستره في العادة، إذ كان من مهم أمره، وأولى ما اهتبل به سيرته، ولفخر به أهل تلك الشريعة، ولاحتجوا به عليه، ولم يؤثر شيء من ذلك جملة.

وذهبت طائفة إلى امتناع ذلك عقلاً، قالوا: لأنه يبعد أن يكون متبوعاً من عرف تابعاً، وبنوا هذا على التحسين والتقبيح، وهي طريقة غير سديدة، واستناد ذلك إلى النقل كما تقدم للقاضي أبي بكر أولى وأظهر.

**وقالت فرقة أخرى بالوقف** في أمره صلى الله عليه وسلم وترك قطع الحكم عليه بشيء في ذلك، إذ لم يحل أحد الوجهين منها العقل، و لا استبان في أحدهما طريق النقل، وهو مذهب أبي المعالي.

وقالت فرقة ثالثة: إنه كان عاملاً بشرع من قبله، ثم اختلفوا: هل يتعين ذلك الشرع أم لا؟ فوقف بعضهم عن تعيينه، وأحجم. و جسر بعضهم على التعيين و صمم. ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان يتبع، فقيل نوح، وقيل إبراهيم، وقيل موسى، وقيل عيسى صلوات الله عليهم. فهذه جملة المذاهب في هذه المسألة.

**والأظهر فيها ما ذهب إليه القاضي أبو بكر**، و أبعدها مذاهب المعينين، إذ لو كان شيء من ذلك لنقل كما قدمنا، ولم يخف جملة، ولا حجة لهم في أن عيسى آخر الأنبياء، فلزمت شريعته من جاء بعدها، إذ لم يثبت عموم دعوة عيسى، بل الصحيح أنه لم يكن لنبي دعوة عامة إلا لنبينا صلى الله عليه و سلم، ولا حجة أيضاً للآخرة في قوله: أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا، ولا للآخرين في قوله تعالى: شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا، فتحمل هذه الآية على اتباع في التوحيد، كقوله تعالى : (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) [ سورة الأنعام الآية : ٩٠ ] .

وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث، و لم تكن له شريعة تخصه، كيوسف بن يعقوب على قول من يقول: إنه ليس برسول. و قد سمى الله تعالى جماعة منهم في هذه الآية شرائعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها، فدل أن المراد ما اجتمعوا عليه من التوحيد و عبادة الله تعالى.

**وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا القول في سائر الأنبياء غير نبينا صلى الله عليه وسلم، أو يخالفون نبيهم؟.**

**أما من منع الاتباع** عقلاً فيطرد أصله في كل رسول بلا مرية. وأما من مال إلى النقل فأينما تصور له وتقرر اتبعه. ومن قال بالوقف فعلى أصله. ومن قال بوجوب الاتباع لمن قبله فيلتزمه بمساق حجته في كل نبي.[٢٣٤]

**شبهات المجيزين الصغائر على الأنبياء والرد عليها:**

لقد عقد القاضي عياض فصلاً (في الرد على من أجاز عليهم الصغائر والكلام على من احتجوا به في ذلك) حيث قال: «اعلم أن المجوزين للصغائر على الأنبياء من الفقهاء و المحدثين و من شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن و الحديث إن التزموا ظواهرها أفضت بهم إلى تجويز الكبائر وخرق الإجماع، وهو ما لا يقول به مسلم ، فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه ، و تقابلت الاحتمالات في مقتضاه ، وجاءت أقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه من ذلك، فإذا لم يكن مذهبهم إجماعاً ، وكان الخلاف فيما احتجوا به قديماً ، و قامت الدلالة على خطأ قولهم ، و صحة غيره، وجب تركه، و المصير إلى ما صح. وها نحن نأخذ في النظر فيها إن شاء الله .

**فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه و سلم :**

(ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) [ سورة الفتح الآية : ٢ ] .

وقوله: (واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات) [ سورة محمد الآية : ١٩ ] .

وقوله: (ووضعنا عنك وزرك * الذي أنقض ظهرك) [ سورة الشرح الآية : ٢ ، ٣ ] .

وقوله: (عفا الله عنك لم أذنت لهم) [ سورة التوبة الآية : ٤٣ ] .

وقوله: (لولا كتاب من ا لله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) [ سورة الأنفال الآية : ٦٨ ] .

---

٢٣٤ القاضي عياض: الشفا بتعريف حقوق المصطفى/دار الفكر/بيروت/١٤١٥هـ/ج٢ ص١٢٩،ص١٣٠.

وقوله: (عبس وتولى * أن جاءه الأعمى) الآية.

وما قص من قصص غيره من الأنبياء، كقوله: (وعصى آدم ربه فغوى) [سورة طه الآية : ١٢١ ] . وقوله: (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون) [سورة الأعراف الآية: ١٩٠]. وقوله: (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين) [سورة الأعراف الآية : ٢٣ ] . و قوله ـ عن يونس: (سبحانك إني كنت من الظالمين) [سورة الأنبياء الآية : ٨٧ ] .

وما ذكر من قصته و قصة داود، وقوله: (وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب * فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) [سورة ص الآية : ٢٤ ، ٢٥ ] .

و قوله: (ولقد همت به وهم بها)، وما قص من قصته مع إخوته.

و قوله ـ عن موسى: (فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان) [سورة القصص الآية: ١٥]. و قول النبي صلى الله عليه و سلم في دعائه: اغفر لي ما قدمت و ما أخرت، وما أسررت وما أعلنت و نحوه م ن أدعيته صلى الله عليه و سلم.

وذكر الأنبياء في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة.

و قوله: إنه ليغان على قلبي فأستغفر الله.

وفي حديث أبي هريرة: إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة.

وقوله تعالى عن نوح: (وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين).

وقد كان كما قال الله له: (ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون) [سورة هود الآية: ٣٧ ]. و قال عن إبراهيم: (والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين) [سورة الشعراء الآية: ٨٢]. و قوله ـ عن موسى: (تبت إليك) [سورة الأعراف الآية: ١٤٣]. وقوله: (ولقد فتنا سليمان) ... إلى ما أشبه هذه الظواهر"[٢٣٥].

---

٢٣٥ القاضي عياض: الشفا/المرجع السابق/ج٢ ص١٣٦، ص١٣٧

## الرد على أدلة المجيزين صدور المعاصي من الأنبياء:

"قال القاضي رحمه الله: فأما احتجاجهم بقوله: ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر: فهذا قد اختلف فيه المفسرون، فقيل: المراد ما كان قبل النبوة وبعدها.

وقيل: المراد ما وقع لك من ذنب وما لم يقع ـ أعلمه أنه مغفور له.

وقيل: المتقدم ما كان قبل النبوة، والمتأخر عصمتك بعدها، حكاه أحمد بن نصر.

وقيل: المراد بذلك أمته. وقيل: المراد ما كان عن سهو وغفلة، وتأويل، حكاه الطبري، واختاره القشيري. وقيل: ما تقدم لأبيك آدم، وما تأخر من ذنوب أمتك، حكاه السمرقندي والسلمي عن ابن عطاء. وبمثله والذي قبله يتأول قوله: واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات، قال مكي: مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم ها هنا هي مخاطبة لأمته.

وقيل: إن النبي صلى الله عليه و سلم لما أمر أن يقول: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ـ سر بذلك الكفار، فأنزل الله تعالى: ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الآية، و بمآل المؤمنين في الآية الأخرى بعدها، قاله ابن عباس، فمقصد الآية: إنك مغفور لك غير مؤاخذ بذنب إن لو كان. قال بعضهم: المغفرة ها هنا تبرئة من العيوب.

وأما قوله: (ووضعنا عنك وزرك * الذي أنقض ظهرك)، فقيل: ما سلف من ذنبك قبل النبوة، و هو قول ابن زيد و الحسن، و معنى قول قتادة.

وقيل: معناه أنه حفظ قبل نبوته منها، وعصم، ولولا ذلك لأثقلت ظهره، حكى معناه السمرقندي. وقيل: المراد بذلك ما أثقل ظهره من أعباء الرسالة حتى بلغها، حكاه الماوردي، والسلمي. و قيل: حططنا عنك ثقل أيام الجاهلية، حكاه مكي.

وقيل: ثقل شغل سرك و حيرتك وطلب شريعتك حتى شرعنا ذلك لك، حكى معناه القشيري.

وقيل المعنى: خففنا عليك ما حملت بحفظنا لما استحفظت، وحفظ عليك.

ومعنى أنقض ظهرك، أي كاد ينقضه، فيكون المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة ـ اهتمام النبي صلى الله عليه و سلم بأمور فعلها قبل نبوته، وحرمت عليه بعد النبوة، فعدها أوزار، وثقلت عليه، وأشفق منها.

أو يكون الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب لو كانت لأنقضت ظهره.

أو يكون من ثقل الرسالة، أو ما ثقل عليه وشغل قلبه من أمور الجاهلية، وإعلام الله تعالى له بحفظ ما استحفظ من وحيه.

وأما قوله: (عفا الله عنك لم أذنت لهم) فأمر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم من الله تعالى نهي فيعد معصية، ولا عده الله تعالى عليه معصية، بل لم يعده أهل العلم معاتبة. وغلطوا من ذهب إلى ذلك، قال نفطويه: وقد حاشاه الله تعالى من ذلك، بل كان مخيراً في أمرين، قالوا: وقد كان له أن يفعل ما شاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي، فكيف وقد قال الله تعالى: (فأذن لمن شئت منهم). فلما أذن لهم أعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم أنه لو لم يأذن لهم لقعدوا، وأنه لا حرج عليه فيما فعل، وليس عفا هنا بمعنى غفر، بل كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق. ولم تجب عليهم قط، أي لم يلزمكم ذلك.

ونحوه للقشيري، قال: وإنما يقول العفو: لا يكون إلا عن ذنب ـ من لم يعرف كلام العرب، ومعنى عفا الله عنك أي لم يلزمك ذنباً.

قال الداودي: روي أنها تكرمة. وقال مكي: هو استفتاح كلام، مثل أصلحك الله وأعزك. وحكى السمرقندي أن معناه عفاك الله.

وأما قوله في أسارى بدر : (ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم * لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم). فليس فيه إلزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم، بل فيه بيان

ما خص به وفضل من بين سائر الأنبياء، فكأنه قال: ما كان هذا لنبي غيرك، كما قال صلى الله عليه و سلم: أحلت لي الغنائم، ولم تحل لنبي قبلي .

فإن قيل: فما معنى قوله تعالى: (تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم) [سورة الأنفال الآية: ٦٧].

قيل: المعنى بالخطاب لمن أراد ذلك منهم، وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده، والاستكثار منها، وليس المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم، ولا عليه أصحابه، بل قد روى عن الضحاك أنها نزلت حين انهزم المشركون يوم بدر، واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال، حتى خشي عمر أن يعطف عليهم العدو.

ثم قال تعالى: (لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم)، فاختلف المفسرون في معنى الآية، فقيل: معناها لولا أنه سبق مني أن لا أعذب أحداً إلا بعد النهي لعذبتكم.

فهذا ينفي أن يكون أمر الأسرى معصية.

وقيل : المعنى لو لا إيمانكم بالقرآن ، و هو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح ـ لعوقبتم على الغنائم. ويزاد هذا القول تفسيراً و بياناً بأن يقال: لو لا ما كنتم مؤمنين بالقرآن، وكنتم ممن أحلت لهم الغنائم لعوقبتم ، كما عوقب من تعدى.

وقيل : لولا أنه سبق في اللوح المحفوظ أنها حلال لكم لعوقبتم .

فهذا كله ينفي الذنب و المعصية، لأن من فعل ما أحل له لم يعص، قال الله تعالى: فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا [سورة الأنفال الآية: ٦٩ ].

وقيل: بل كان صلى الله عليه وسلم قد خير في ذلك، وقد روي عن علي رضي الله عنه، قال: جاء جبريل عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر، فقال: خير أصحابك في الأسارى، إن شاءوا القتل، وإن شاءوا الفداء، على أن يقتل منهم في العام المقبل مثلهم. فقالوا: الفداء ويقتل منا. وهذا دليل على صحة ما قلناه، وأنهم لم يفعلوا

إلا ما أذن لهم فيه، ولكن بعضهم مال إلى أضعف الوجهين مما كان الأصلح غيره من الإثخان والقتل، فعوتبوا على ذلك، وبين لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم، وكلهم غير عصاة ولا مذنبين، وإلى نحو هذا أشار الطبري.

وقوله صلى الله عليه وسلم في هذه القضية: لو نزل من السماء عذاب ما نجا منه إلا عمر. إشارة إلى هذا من تصويب رأيه ورأي من أخذ بمأخذه، في إعزاز الدين وإظهار كلمته، وإبادة عدوه، وأن هذه القضية لو استوجبت عذاباً نجا منه عمر ومثله، وعين عمر لأنه أول من أشار بقتلهم، ولكن الله لم يقدر عليهم في ذلك عذاباً لحله لهم فيما سبق.

وقال الداودي: والخبر بهذا لا يثبت، ولو ثبت لما جاز أن يظن أن النبي صلى الله عليه وسلم حكم لما لا نص فيه ولا دليل من نص، ولا جعل الأمر فيه إليه، وقد نزهه الله تعالى عن ذلك.

وقال القاضي بكر بن العلاء: أخبر الله تعالى نبيه في هذه الآية أن تأويله وافق ما كتبه له من إحلال الغنائم والفداء، وقد كان قبل هذا فادوا في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان و صاحبه، فما عتب الله ذلك عليهم، وذلك قبل بدر بأزيد من عام.

فهذا كله يدل على أن فعل النبي صلى الله عليه و سلم في شأن الأسرى كان على تأويل و بصيرة، و على ما تقدم قبل مثله، فلم ينكره الله تعالى عليهم، لكن الله تعالى أراد ـ لعظم أمر بدر و كثرة أسراها، و الله أعلم ـ إظهار نعمته، و تأكيد منته، بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك لهم، لا على وجه عتاب و إنكار وتذنيب. هذا معنى كلامه»[٢٣٦] أهـ

أقول: قال القرطبي المتوفى سنة ٦٧١هـ في تفسيره الجامع لأحكام القرآن: « هذه الآية نزلت يوم بدر، عتابا من الله عز وجل لأصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم. والمعنى:

---

٢٣٦ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن/ تحقيق د.محمد إبراهيم الحفناوي ود.محمود حامد عثمان/دار الحديث القاهرة/ط٢/١٤١٦هـ/ج٨ ص٤٨.

ما كان ينبغي لكم أن تفعلوا هذا الفعل الذي أوجب أن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم أسرى قبل الإثخان. ولهم هذا الإخبار بقوله «تريدون عرض الدنيا». والنبي صلى الله عليه وسلم لم يأمر باستبقاء الرجال وقت الحرب، ولا أراد قط عرض الدنيا، وإنما فعله جمهور مباشري الحرب، فالتوبيخ والعتاب إنما كان متوجها بسبب من أشار على النبي صلى الله عليه وسلم بأخذ الفدية. هذا قول أكثر المفسرين، وهو الذي لا يصح غيره. وجاء ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في الآية حين لم ينه عنه حين رآه من العريش وإذ كره سعد بن معاذ وعمر بن الخطاب وعبد الله بن رواحة، ولكنه عليه السلام شغله بغت الأمر ونزول النصر فترك النهي عن الاستبقاء، ولذلك بكى هو وأبو بكر حين نزلت الآيات. والله أعلم» أهـ

## عود إلى القاضي عياض في الشفا:

"وأما قوله: (عبس وتولى * أن جاءه الأعمى) [سورة عبس الآية: ١ ] .

فليس له إثبات ذنب له صلى الله عليه وسلم، بل إعلام الله أن ذلك المتصدي له ممن لا يتزكى، وإن الصواب والأولى ـ لو كشف لك حال الرجلين ـ الإقبال على الأعمى.

وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل، وتصديه لذلك الكافر، كان طاعة لله وتبليغاً عنه واستئلافاً له، كما شرعه الله له، لا معصية، ولا مخالفة له.

وما قصه الله عليه من ذلك إعلام بحال الرجلين وتوهين أمر الكافر عنده والإشارة إلى الإعراض عنه ، بقوله : (وما عليك ألا يزكى) [ سورة عبس الآية : ٣ ] . وقيل : أراد بـ [ عبس ]، و [ تولى ] ـ الكافر الذي كان مع النبي صلى الله عليه و سلم ، قاله أبو تمام» أهـ[٢٣٧]

**أقول: قال القرطبي في جامعه:** "الرابعة: قال علماؤنا: ما فعله ابن أم مكتوم كان من سوء الأدب لو كان عالما بأن النبي صلى الله عليه وسلم مشغول بغيره، وأنه يرجو

---

٢٣٧ القاضي عياض: المرجع السابق/ج٢ ص١٤١:ص١٤٢.

إسلامهم، ولكن الله تبارك وتعالى عاتبه حتى لا تنكسر قلوب أهل الصفة؛ أو ليعلم أن المؤمن الفقير خير من الغني، وكان النظر إلى المؤمن أولى وإن كان فقيرا أصلح وأولى من الأمر الآخر، وهو الإقبال على الأغنياء طمعا في إيمانهم، وإن كان ذلك أيضا نوعا من المصلحة، وعلى هذا يخرج قوله تعالى: "ما كان لنبي أن يكون له أسرى" [الأنفال: ٦٧] الآية على ما تقدم. وقيل: إنما قصد النبي صلى الله عليه وسلم تأليف الرجل، ثقة بما كان في قلب ابن مكتوم من الإيمان؛ كما قال: (إني لأصل الرجل وغيره أحب إلي منه، مخافة أن يكبه الله في النار على وجهه).

**الخامسة:** قال ابن زيد: إنما عبس النبي صلى الله عليه وسلم لابن أم مكتوم وأعرض عنه؛ لأنه أشار إلى الذي كان يقوده أن يكفه، فدفعه ابن أم مكتوم، وأبي إلا أن يكلم النبي صلى الله عليه وسلم حتى يعلمه، فكان في هذا نوع جفاء منه. ومع هذا أنزل الله في حقه على نبيه صلى الله عليه وسلم: "عبس وتولى" بلفظ الإخبار عن الغائب، تعظيما له ولم يقل: عبست وتوليت. ثم أقبل عليه بمواجهة الخطاب تأنيسا له فقال: "وما يدريك" أي يعلمك "لعله" يعني ابن أم مكتوم "يزكى" بما استدعى منك تعليمه إياه من القرآن والدين، بأن يزداد طهارة في دينه، وزوال ظلمة الجهل عنه."أهـ[٢٣٨]

## عود إلى ردود القاضي عياض:

"**وأما قصة آدم عليه السلام**، وقوله تعالى: (فأكلا منها) بعد قوله: (ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين. و قوله ألم أنهكما عن تلكما الشجرة، و تصريحه تعالى عليه بالمعصية بقوله تعالى: (وعصى آدم ربه فغوى)، أي جهل.

وقيل أخطأ، فإن الله تعالى قد أخبر بعذره بقوله: ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما، قال ابن زيد: نسي عداوة إبليس له، وما عهد الله إليه من ذلك بقوله: إن هذا عدو لك ولزوجك الآية. وقيل : نسي ذلك بما أظهر لهما. وقال ابن عباس: إنما سمي الإنسان إنسانا لأنه عهد إليه فنسي.

---

٢٣٨ القرطبي: الجامع لأحكام القرآن/ج١٩ ص٢٠٣ ٢٠٤

وقيل: لم يقصد المخالفة استحلالاً لها، ولكنهما اغتراً بحلف إبليس لهما: (إني لكما لمن الناصحين)، وتوهما أن أحداً لا يحلف بالله حانثاً.

وقد روي عذر آدم بمثل هذا في بعض الآثار. وقال ابن جبير: حلف بالله لهما حتى غرهما، والمؤمن يخدع. و قد قيل: نسي، ولو ينو المخالفة، فلذلك قال: ولم نجد له عزما، وأي قصداً للمخالفة. وأكثر المفسرين على أن العزم هنا الجزم والصبر.

وقيل : كان عند أكله سكران ، وهذا فيه ضعف، لأن الله تعالى وصف خمر الجنة أنها لا تسكر، فإذا كان ناسياً لم تكن معصية، وكذلك إن كان ملبساً عليه غالطاً، إذ الاتفاق على خروج الناسي والساهي عن حكم التكليف.

قال الشيخ أبو بكر بن فورك وغيره: إنه يمكن أن يكون ذلك قبل النبوة، ودليل ذلك قوله تعالى: (وعصى آدم ربه فغوى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى)، فذكر أن الاجتباء والهداية كانا بعد العصيان. وقيل: بل أكلها متأولاً، وهو يعلم أنها الشجرة التي نهي عنها، لأنه تأول نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس، ولهذا قيل: إنما كانت التوبة من ترك التحفظ، لا من المخالفة. وقيل: تأول أن الله لم ينهه عنه أو نهي تحريم.

فإن قيل: فعلى كل حال فقد قال الله تعالى: وعصى آدم ربه، وقال: فتاب عليه وهدى . وقوله في حديث الشفاعة: و يذكر ذنبه، وقال: إني نهيت عن أكل الشجرة فعصيت، فسيأتي الجواب عنه وعن أشباهه مجملاً آخر الفصل إن شاء الله.

**وأما قصة يونس فقد مضى الكلام** على بعضها آنفاً، وليس في قصة يونس نص على ذنب، وإنما فيها : أبق وذهب مغاضباً وقد تكلمنا عليه.

وقيل: إنما نقم الله عليه خروجه عن قومه فاراً من نزول العذاب.

وقيل: بل لما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم قال: والله لا ألقاهم بوجه كذاب أبداً.

وقيل: بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك.

وقيل: ضعف عن حمل أعباء الرسالة. وقد يقدم الكلام أنه لم يكذبهم.

وهذا كله ليس فيه نص على معصية إلا على قول مرغوب عنه.

وقوله: (إذ أبق إلى الفلك المشحون) قال المفسرون تباعد.

وأما قوله: إني كنت من الظالمين، فالظلم وضع الشيء في غير موضعه، فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه، فإما أن يكون لخروجه عن قومه بغير إذن ربه، أو لضعفه عما حمله، أو لدعائه بالعذاب على قومه. وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم يؤاخذ.

وقال الواسطي في معناه: نزه ربه عن الظلم، وأضاف الظلم إلى نفسه اعترافاً واستحقاقاً. ومثل هذا قول آدم وحواء: (ربنا ظلمنا أنفسنا)، إذ كانا السبب في وضعهما غير الموضع الذي أنزلا فيه، واخراجهما من الجنة، وإنزالهما إلى الأرض.

**وأما قصة داود عليه السلام فلا يجب** أن يلتفت إلى ما سطره فيه الإخباريون من أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا، ونقله بعض المفسرين. ولم ينص الله على شيء من ذلك، ولا ورد في حديث صحيح. والذي نص عليه قوله: (وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب * فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) [سورة ص الآية: ٢٤، ٢٥].

وقوله فيه: أواب. فمعنى فتناه: اختبرناه. وأواب: قال قتادة: مطيع. وهذا التفسير أولى.

وقال ابن عباس، وابن مسعود: ما زاد داود على أن قال للرجل: انزل لي عن امرأتك وأكفلنيها، فعاتبه الله على ذلك، ونبهه عليه، وأنكر عليه شغله بالدنيا، وهذا الذي ينبغي أن يعول عليه من أمره.

وقيل: خطبها على خطبته. وقيل: بل أحب بقلبه أن تستشهد.

وحكى السمرقندي أن ذنبه الذي استغفر منه قوله لأحد الخصمين: لقد ظلمك، فظلمه بقول خصمه. وقيل: بل لما خشي على نفسه ، وظن من الفتنة بما بسط له من الملك و الدنيا .

وإلى نفي ما أضيف في الأخبار إلى داود من ذلك ذهب أحمد بن نصر، وأبو تمام، وغيرهما من المحققين. وقال الداودي: ليس في قصة داود وأوريا خبر يثبت، ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم. [وقيل: إن الخصمين اللذين اختصما إليه رجلان في نعاج غنم، على ظاهر الآية].

**وأما قصة يوسف و إخوته** فليس على يوسف فيها تعقب، وأما إخوته فلم تثبت نبوتهم فليزم الكلام على أفعالهم. وذكر الأسباط وعدهم في القرآن عند ذكر الأنبياء ليس صريحاً في كونهم من أهل الأنبياء. قال المفسرون: يريد من نبئ من أنباء الأسباط.

وقد قيل : إنهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوه صغار الأسنان، ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به، و لهذا قالوا : أرسله معنا غداً نرتع و نلعب ، وإن ثبتت لهم نبوة فبعد هذا ، والله أعلم.

وأما قول الله تعالى فيه: (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه) فعلى طريق كثير من الفقهاء المحدثين أن هم النفس لا يؤاخذ به، وليس سيئة، لقوله صلى الله عليه و سلم ـ عن ربه: [ إذا هم عبدي بسيئة فلم يعلمها كتبت له حسنة ]، فلا معصية في همه إذاً .

**وأما على مذهب المحققين من الفقهاء** والمتكلمين فإن الهم إذا وطنت عليه النفس سيئة. وأما ما لم توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه.

هذا هو الحق، فيكون ـ إن شاء الله ـ هم يوسف من هذا، ويكون قوله :( وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم) [ سورة يوسف الآية : ٥٣ ] .

(أي) ما أبرئها من هذا الهم، أو يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس لما زكي قبل و برىء ، فكيف وقد حكى أبو حاتم عن أبي عبيدة ـ أن يوسف لم يهم، وأن الكلام فيه تقديم و تأخير، أي: ولقد همت به، ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها، و قد قال الله تعالى ـ عن المرأة: (لقد راودته عن نفسه فاستعصم). و قال

تعالى: (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء). قال تعالى: (وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي) الآية. قيل في ربي الله تعالى. وقيل: الملك. وقيل: هم بها، أي بزجرها ووعظها وقيل هم بها، أي غمها امتناعه عنها. وقيل هم بها: نظر إليها.

وقيل هم بضربها ودفعها. وقيل هذا كله كان قبل نبوته.

وقد ذكر بعضهم: ما زال النساء يملن إلى يوسف ميل شهوة حتى نبأه الله، فألقى عليه هيبة النبوة، فشغلت هيبته كل من رآه عن حسنه. وأما خبر موسى صلى الله عليه وسلم مع قتيله الذي وكزه فقد نص الله تعالى أنه من عدوه، قال: كان من القبط الذين على دين فرعون. ودليل السورة في هذا كله أنه قبل نبوة موسى. وقال قتادة: وكزه بالعصا، ولم يتعمد قتله، فعلى هذا لا معصية في ذلك.

وقوله: (هذا من عمل الشيطان). وقوله: (ظلمت نفسي فاغفر لي) قال ابن جريح: قال ذلك من أجل أنه لا ينبغي لنبي أن يقتل حتى يؤمر.

وقال النقاش: لم يقتله عن عمد مريداً للقتل، وإنما وكزه وكزة يريد بها دفع ظلمة، قال: وقد قيل: إن هذا كان قبل النبوة، وهو مقتضى التلاوة.

وقوله تعالى ـ في قصته: وفتناك فتونا، أي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء. قبل في هذه القصة وما جرى له مع فرعون. وقيل: إلقاؤه في التابوت واليم ، وغير ذلك.

وقيل: معناه أخلصناك إخلاصاً، قاله ابن جبير ومجاهد، من قولهم: فتنت الفضة في النار إذا خلصتها. وأصل الفتنة معنى الاختبار، وإظهار ما بطن، إلا أنه استعمل في عرف الشرع في اختبار أدى إلى ما يكره. وكذلك ما روي في الخبر الصحيح، من ان ملك الموت جاءه فلطم عينه ففقأها. الحديث.. ليس فيه ما يحكم به على موسى بالتعدي وفعل ما لا يجب له، إذ هو ظاهر الأمر، بين الوجه، جائز الفعل، لأن موسى دافع عن نفسه من أتاه لإتلافها، و قد تصور به في صورة آدمي، و لا يمكن أنه علم حينئذ أنه ملك الموت، فدافعه عن نفسه مدافعة أدت إلى ذهاب عين تلك الصور التي

تصور له فيها الملك امتحاناً من الله، فلما جاءه بعد، وأعلمه الله تعالى أنه رسوله إليه استسلم. وللمتقدمين والمتأخرين على هذا الحديث أجوبة هذا أسدها عندي، وهو تأويل شيخنا الإمام أبي عبد الله المازري. وقد تأوله قديماً ابن عائشة وغيره على صكه و لطمه بالحجة، فقأ عين حجته ، وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف.

**وأما قصة سليمان** وما حكى فيها أهل التفاسير من ذنبه وقوله: (ولقد فتنا سليمان) ، فمعناه ابتلينا، و ابتلاؤه: ما حكي عن النبي صلى الله عليه و سلم انه قال : لأطوفن الليلة على مائة امرأة أو تسع وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله. فقال له صاحبه: قل إن شاء الله، فلم يقل. فلم تحمل منهم إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل. قال النبي صلى الله عليه و سلم: والذي نفسي بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله.

قال أصحاب المعاني: والشق هو الجسد الذي ألقى على كرسيه حين عرض عليه، وهي عقوبته و محنته. و قيل بل مات فألقي على كرسيه ميتاً. وقيل: ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه.

وقيل: لأنه لم يستثن لما استغرقه من الحرص، وغلب عليه من التمني.

وقيل: عقوبته أن سلب ملكه، وذنبه أن أحب بقلبه أن يكون الحق لأختانه على خصمهم.

وقيل: أوخذ بذنب قارفه بعض نسائه. ولا يصح ما نقله الإخباريون من تشبه الشيطان به، وتسلطه على ملكه تعالى وتصرفه في أمته بالجور في حكمه، لأن الشياطين لا يسلطون على مثل هذا، وقد عصم الأنبياء من مثله. وإن سئل: لم لم يقل سليمان في القصة المذكورة: إن شاء الله فعنه أجوبة:

أحدها: ما روي في الحديث الصحيح أنه نسى أن يقولها، وذلك لينفذ مراد الله تعالى.

والثاني: أنه لم يسمع صاحبه وشغل عنه.

و قوله: (وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي) . لم يفعل هذا سليمان غيره على الدنيا و لا نفاسة بها، ولكن مقصده في ذلك ـ على ما ذكره المفسرون ـ ألا يسلط عليه أحد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه إياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك .

و قيل : بل أراد أن يكون له من الله فضيلة و خاصة يختص بها كاختصاص غيره من أنبياء الله و رسله بخواص منه. وقيل : ليكون ذلك دليلاً و حجة على نبوته ، كإلانة الحديد لأبيه، و إحياء الموتى لعيسى، و اختصاص محمد صلى الله عليه و سلم بالشفاعة ، و نحو هذا.

**وأما قصة نوح عليه السلام** فظاهرة العذر، وإنه أخذ فيها بالتأويل وظاهر اللفظ، لقوله تعالى: (وأهلك)، فطلب مقتضى هذا اللفظ، وأراد علم ما طوي عليه من ذلك، لا أنه شك في وعد الله تعالى، فتبين الله عليه أنه ليس من أهله الذين وعده بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح، وقد أعلمه أنه مغرق الذين ظلموا، و نهاه عن مخاطبته فيهم، فيؤخذ بهذا التأويل ، وعتب عليه، وأشفق هو من إقدامه على ربه لسؤاله ما لم يؤذن له في السؤال فيه، و كان نوح ـ فيما حكاه النقاش لا يعلم بكفر ابنه. وقيل في الآية غير هذا، وكل هذا لا يقضي على نوح بمعصية سوى ما ذكرنا من تأويله وإقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه، ولا نهى عنه.

وما روي في الصحيح من أن نبياً قرصته نملة فحرق قرية النمل، فأوحى الله إليه: أن قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح ... فليس في هذا الحديث أن هذا الذي أتى معصية، بل فعل ما رآه مصلحة وصواباً بقتل من يؤذي جنسه، ويمنع المنفعة مما أباح الله.

ألا ترى أن هذا النبي كان نازلاً تحت الشجرة، فلما آذته النملة تحول برجله عنها مخافة تكرار الأذى عليه و ليس فيما أوحى الله إليه ما يوجب معصية، بل ندبه إلى احتمال الصبر وترك التشفي، كما قال تعالى: (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين)، إذا ظاهر

فعله إنما كان لأجل أنها آذته هو في خاصته، فكان انتقاماً لنفسه، و قطع مضرة يتوقعها من بقية النمل هناك، و لم يأت في كل هذا أمراً نهي عنه ، فيعصى به، و لا نص فيما أوحى الله إليه بذلك ، و لا بالتوبة والاستغفار منه. والله أعلم» أهـ[٢٣٩]

**الرد على شبهة أن القرآن صرح بمعصية آدم:**

**أجاب على ذلك أيضاً القاضي عياض في الشفا قائلاً:** "فإن قلت: فإذا نفيت عنهم صلوات الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين و تأويل المحققين فما معنى قوله تعالى: (وعصى آدم ربه فغوى)، وما تكرر في القرآن والحديث الصحيح من اعتراف الأنبياء بذنوبهم و توبتهم واستغفارهم، و بكائهم على ما سلف منهم، وإشفاقهم. وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شيء؟

فاعلم ـ و فقنا الله و إياك ـ أن درجة الأنبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله، و سنته في عباده وعظم سلطانه، وقوة بطشه، مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله، والإشفاق من المؤاخذة بما لا يؤاخذ به غيرهم، وأنهم في تصرفهم بأمور لم ينهوا عنها، ولا أمروا بها، ثم أخذوا عليها، وعوتبوا بسببها، أو حذروا من المؤاخذة بها، و أتوها على وجه التأويل أو السهو، أو تزيد من أمور الدنيا المباحة خائفون و جلون، وهي ذنوب بالإضافة إلى علي منصبهم، و معاص بالنسبة إلى كمال طاعتهم، لا أنها كذنوب غيرهم و معاصيهم، فإن الذنب مأخوذ من الشيء الدني الرذل، و منه ذنب كل شيء أي آخره. و أذناب الناس رذالهم، فكأن هذه أدنى أفعالهم ، و أسوأ ما يجر ي من أحوالهم لتطهيرهم و تنزيههم، و عمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح، والكلم الطيب، والذكر الظاهر والخفي، والخشية الله، و إعظامه في السر والعلانية، وغيرهم يتلوث من الكبائر و القبائح و الفواحش ما تكون بالإضافة إليه هذه الهنات في حقه كالحسنات، كما قيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين، أي يرونها بالإضافة إلى علي أحوالهم كالسيئات. وكذلك العصيان الترك والمخالفة، فعلى مقتضى اللفظة كيفما كانت من سهو أو تأويل فهي مخالفة وترك. قوله

---

٢٣٩ القاضي عياض: الشفا/ج٢ ص١٤٢:ص١٤٩.

تعالى: غوى، أي جهل أن تلك الشجرة هي التي نهي عنها، والغي: الجهل. و قيل: أخطأ ما طلب من الخلود، إذ أكلها و خابت أمنيته.

وهذا يوسف عليه السلام قد أوخذ بقوله لأحد صاحبي السجن: (اذكرني عند ربك فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين) [سورة يوسف الآية: ٤٢].

قيل: أنسي يوسف ذكره الله. و قيل : أنسي صاحبه أن يذكره لسيده الملك ، قال النبي صلى الله عليه وسلم: لولا كلمة يوسف ما لبث في السجن ما لبث .

قال ابن دينار: لما قال ذلك يوسف قيل له: اتخذت من دوني وكيلا، لأطيلن حبسك. فقال: يا رب، أنسى قلبي كثر ة البلوى. وقال بعضهم: يؤاخذ الأنبياء بمثاقيل الذر، لمكانتهم عنده، ويجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم في أضعاف ما أتوا به من سوء الأدب.

**وقد قال المحتج للفرقة الأولى على سياق ما قلناه:** إذا كان الأنبياء يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان، وما ذكرته، وحالهم أرفع فحالهم إذًا في هذا أسوأ حالاً من غيرهم.

فاعلم ـ أكرمك الله ـ أنا لا نثبت لك المؤاخذة في هذا على حد مؤاخذة غيرهم، بل نقول: إنهم يؤاخذون بذلك في الدنيا، ليكون ذلك زيادة في درجاتهم ، ويبتلون بذلك، ليكون استشعارهم له سبباً لنماة رتبهم، كما قال: ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى [ سورة طه الآية :١٢٢] .

قال لداود: فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب [ سورة ص الآية: ٢٥ ] .

قال بعد قول موسى: (تبت إليك): (إني اصطفيتك على الناس) .

و قال بعد ذكر فتنة سليمان و إنابته: (فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب * والشياطين كل بناء وغواص * وآخرين مقرنين في الأصفاد * هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب * وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب) [سورة ص الآية: ٣٦، ٤٠].

**وقال بعض المتكلمين**: زلات الأنبياء في الظاهر زلات، وفي الحقيقة كرامات وزلف، وأشار إلى نحو مما قدمناه. وأيضاً فلينبه غيرهم من البشر منهم، أو ممن ليس في درجتهم بمؤاخذتهم بذلك، فيستشعروا الحذر، ويعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم، ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع بأهل هذا النصاب الرفيع المعصوم، فكيف بمن سواهم، ولهذا قال صالح المري: ذكر داود بسطة للتوابين.

قال ابن عطاء: لم يكن ما نص الله تعالى عليه من قضية صاحب الحوت نقصا له، و لكن استزادة من نبينا صلى الله عليه وسلم.

وأيضاً فيقال لهم: فإنكم و من وافقكم تقولون بغفران الصغائر باجتناب الكبائر. ولا خلاف في عصمة الأنبياء من الكبائر، فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم هي مغفورة على هذا، فما معنى المؤاخذة بها إذاً عندكم وخوف الأنبياء وتوبتهم منها، وهي مغفورة لو كانت؟ فما أجابوا به فهو جوابنا عن المؤاخذة بأعمال السهو والتأويل.

وقد قيل: إن كثرة استغفار النبي صلى الله عليه وسلم وتوبته، وغيره من الأنبياء على وجه ملازمة الخضوع والعبودية، والاعتراف بالتقصير، شكراً الله على نعمه، كما قال صلى الله عليه وسلم وقد أمن من المؤاخذة مما تقدم وتأخر: أفلا أكون عبداً شكوراً. وقال: إني أخشاكم الله، وأعلمكم بما أتقي.

قال الحارث بن أسد: خوف الملائكة والأنبياء خوف إعظام وتعبد الله، لأنهم آمنون. وقيل: فعلوا ذلك ليقتدي بهم، و تستن بهم أممهم، كما قال صلى الله عليه و سلم: لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً. و أيضاً فإن في التوبة و الاستغفار معنى آخر لطيفاً أشار إليه بعض العلماء، وهو استدعاء محبة الله، قال الله تعالى: (إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين) [سورة البقرة الآية: ٢٢٢].

فإحداث الرسل والأنبياء الاستغفار والتوبة والإنابة والأوبة في كل حين ـ استدعاء لمحبة الله! والاستغفار فيه معنى التوبة، وقد قال الله لنبيه بعد أن غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر: لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار [سورة التوبة الآية: ١١٧ ] .

وقال تعالى: فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا [سورة النصر الآية: ٣ ]. أهـ[٢٤٠]

## صفوة القول

بعد هذا التطواف حول أقوال العلماء بشأن عصمة الأنبياء قال صاحب الشفا: ”قد استبان لك أيها الناظر بما قررناه ، ما هو الحق من عصمته صلى الله عليه و سلم عن الجهل بالله وصفاته، وكونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله بعد النبوة عقلاً وإجماعا ، وقبلها سمعاً و نقلاً ، ولا بشيء مما قرره من أمور الشرع، و أداه عن ربه من الوحي قطعاً عقلاً وشرعاً، وعصمته عن الكذب وخلف القول منذ نبأه الله وأرسله قصداً أو غير قصد، واستحالة ذلك عليه شرعاً وإجماعاً، و نظراً وبرهاناً، وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعاً، وتنزيهه عن الكبائر إجماعاً وعن الصغائر تحقيقاً، وعن استدامة السهو والغفلة، واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للأمة، وعصمته في كل حالاته، من رضاً وغضب، وجد ومزح، فيجب عليك أن تتلقاه باليمين، وتشد عليه يد الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها، تعلم عظيم فائدتها وخطرها، فإن من يجهل ما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم، أو يجوز له، أو يستحيل عليه، ولا يعرف صور أحكامه، لا يأمن أن يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه، ولا ينزهه عما لا يجب أن يضاف إليه ، فيهلك من حيث لا يدري، و يسقط في هوة الدرك الأسفل من النار حديث إذ ظن الباطل به، واعتقاده ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار. ولهذا ما احتاط عليه السلام على الرجلين اللذين رأياه ليلاً، وهو معتكف في المسجد مع صفية، فقال لهما: إنها صفية. ثم قال لهما: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، و إني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً فتهلكا.

هذه ـ أكرمك الله ـ إحدى فوائد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول، ولعل جاهلاً لا يعلم بجهله إذا سمع شيئاً منها يرى أن الكلام فيها جملة من فضول العلم ، وأن السكوت أولى. وقد استبان لك أنه متعين للفائدة التي ذكرناها.

**وفائدة ثانية يضطر إليها في أصول الفقه**، و تبني عليها مسائل لا تعد من الفقه،

٢٤٠ المرجع السابق ج٢ ص١٤٩:ص١٥٢.

يتخلص بها من تشغيب مختلفي الفقهاء في عدة منها، وهي الحكم في أقوال النبي صلى الله عليه و سلم وأفعاله، وهو باب عظيم، وأصل كبير من أصول الفقه، ولا بد من بنائه على صدق النبي صلى الله عليه وسلم في إخباره وبلاغه، وأنه لا يجوز عليه السهو فيه تعالى وعصمته من المخالفة في أفعاله عمداً، وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر وقع خلاف في امتثال الفعل، بسط بيانه في كتب ذلك العلم.

**وفائدة ثالثة يحتاج إليها الحاكم** والمفتي فيمن أضاف إلى النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً من هذه الأمور، ووصفه بها، فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه، وما وقع الإجماع فيه والخلاف، كيف يصمم في الفتيا في ذلك، ومن أين يدري؟ هل ما قاله فيه نقص أو مدح، فإما أن يجترئ على سفك دم مسلم حرام، أو يسقط حقاً، أو يضيّع حرمةً للنبي صلى الله عليه وسلم.» أهـ[٢٤١]

**وأخيراً:** هذا ما حضرني للإجابة على هذا السؤال أسأل الله أن أكون وفقت في توضيح الإجابة وبالله التوفيق.

مركز المقريزي للدراسات التاريخية

١٨ ربيع أول ١٤٣٤هـ - ٣٠ يناير ٢٠١٣

---

٢٤١ السابق ج٢ص١٥٢:ص١٥٤.

# حكم قضاة مصر والمفتي شرعاً
# قضاة ومفتي مصر يستحلون دماء معصومة بالإسلام
# قضاة محكمة النقض سدنة القوانين الجاهلية المعاصرة

د. هاني السباعي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد:

جيش احتلال مصر وشرطته وقضاته طائفة محاربة للإسلام وأهله؛ يحمون صروح نظام معاد للإسلام وأهله وموال لأعداء الإسلام كما أنهم يستحلون ويستبيحون دماء المسلمين دون حق! يقتلون بلا رحمة في سويداء قلوب الأبرياء!.

فجيش وشرطة وقضاة ومفتي مصر، جبناء مجرمون يقتلون مسلمين أبرياء؛ يستبيحون دماء معصومة بالإسلام وهم: ضباط ومخبر والشرطة والجيش، النائب العام، ومن قام بتوجيه الاتهام من وكلاء النيابة العامة والنيابة العسكرية، قضاة النار الذين حكموا ويحكمون على المسلمين الذين عارضوا ويعارضون السفاح السيسي ونظامه الخارج عن الإسلام، وكذلك مفتى انقلاب العسكر الذي وافق ويوافق ـ باسم الشريعة زوراً وبهتاناً ـ على أحكام الإعدام الصادرة ضد هؤلاء المسلمين المظلومين؛ الذين اعتقلهم النظام؛ بتهمة معارضتهم للسفاح الكفور الغشوم الظلوم السيسي.

ويشمل الحكم أيضاً كهنة قضاة النار؛ قضاة محكمة النقض؛ أكابر المجرمين الذين يصدقون على أحكام الإعدام ضد المسلمين، فقضاة مصر قضاة نار، مرتدون يحكمون بغير ما أنزل الله، قال تعالى في محكم التنزيل (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) المائدة آية ٤٤.

فمناط كفر قضاة مصر؛ الحكم بغير ما أنزل الله، فهم كافرون ظالمون فاسقون؛ فألفاظ آيات المائدة (٤٤، ٤٥، ٤٧) عامة كما في القاعدة الفقهية (العبرة بعموم اللفظ وليس بخصوص السبب)؛ كما هو معلوم عند علماء الأصول والفقه؛ فكلمة (من) عامة تشمل الواحد والاثنين والجماعة وتشمل الذكر والأنثى. وأما كلمة (الكافرون) (الظالمون) (الفاسقون) في آيات سورة المائدة؛ فلا تعني إلا الكفر الأكبر، والظلم الأكبر، والفسق الأكبر؛ فقضاة مصر خارجون عن الشريعة بسبب حكمهم بغير ما أنزل الله، ومناط مكفر بحقهم آخر؛ هو موالاتهم لحكام طواغيت، ويضاف إلى ردتهم جرائم أخرى؛ وهي أحكامهم باستباحة دماء وأموال معصومة بالإسلام، وجنايتهم بالحكم بالسجن على أنفس بريئة دون حق.

قضاة مصر وعلى رأسهم سدنة محكمة النقض؛ يحكمون بقوانين جاهلية ما أنزل الله بها من سلطان؛ قال تعالى: (أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون) المائدة ٥٠.

ويضم إليهم كل من حرض على قتل مسلم من إعلاميين وغيرهم. فكل من ذكرتهم آنفاً وعلى رأسهم الطاغوت السيسي؛ فهم أنصار الطاغوت، والعمود الفقري لنظام محارب للإسلام وأهله؛ فمن يتولى الطاغوت فهو منه ومثله (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) المائدة آية٥١. ولمن أراد المزيد فليرجع لجوابي في شريط صوتي بيوتيوب وغيره فصلت فيه مناطات ردة من يحكمون بغير ما أنزل الله، والمناطات المكفرة لأنصارهم.

فحكم قضاة مصر وعلى رأسهم قضاة محكمة النقض؛ نفس حكم الطاغوت بالإضافة لجرائمهم في استباحة دماء معصومة بالإسلام دون حق؛ فعليهم القود أي القصاص حسب الشريعة الإسلامية بالإضافة إلى محاكمتهم على ردتهم وخروجهم عن شريعة الرحمن؛ ومن ثم لزام على أهل الإسلام بمصر إذا مكنهم الله ـ ولو بعد حين ـ اعتقالهم ومحاكمتهم أمام محكمة تحكم بالشريعة الإسلامية وحدها.

مع التنبيه أن القصاص في الدماء من حق أولياء الدم وحدهم، وليس لأي حاكم التنازل عن هذه الدماء. أما تهمة الردة؛ فليس لأولياء الدم ولا لأي حاكم ولو كان الإمام الأعظم؛ التنازل أو التصالح أو العفو عن هؤلاء المحاربين للإسلام وأهله.

نسأله سبحانه أن ينتصر لهذه الأنفس المظلومة، وأن يدمر السيسي وحلفاءه ومن يواليه.

تاريخ ٢٥ ذو الحجة ١٤٣٨هـ - ١٦ سبتمبر ٢٠١٧

سؤال وجواب للدكتور هاني السباعي عام ٢٠١٢ نعيد نشره

## نص السؤال والجواب

### هل يقال للخارجي أخي في الله

سأل سائل هل يقال للخارجي أخي في الله وما حكم السلام عليه؟ أقول بتوفيق الله: الخارجي مبتدع ضال مستحل للدماء المعصومة بالإسلام؛ هذا أقل حاله أنه فاسق، وهناك من العلماء من كفره كالبخاري وابن العربي وغيرهما؛ لقد أمرالرسول صلى الله عليه وسلم بقتالهم «لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»أهـ البخاري ومسلم. وذكر أجر من يقاتلهم: «فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة»أهـ البخاري، وقد بوب الإمام البخاري في صحيحه «باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم»أهـ وكان الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «يراهم شرار خلق الله، وقال إنهم انطلقوا إلى آيات نزلت في الكفار فجعلوها على المؤمنين»أهـ فتح الباري. أقول: فكيف لقوم بهذا الضلال حذر منهم الرسول صلى الله عليه وسلم وأمر بقتالهم؛ يقال لأحدهم أو لهم جميعاً أخي أو إخواني في الله! ومن ثم فإنه لا يجوز السلام عليهم ولا التبسم في وجوههم، ولا القول لأحدهم: أخي في الله!؛ هذا على مذهب من يرى أن الخوارج مبتدعون ضالون معهم أصل الإسلام! أما مذهب من يكفرهم ويخرجهم من الإسلام فالأمر واضح وجلي. وبالله التوفيق.

د.هاني السباعي ٢ من ذي القعدة ١٤٣٦هـ - ١٨ أغسطس ٢٠١٥

# التعليق على حديث وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك

د. هاني السباعي

أرسل سائل لموقع المقريزي على اليوتيوب السؤال التالي:

السلام عليكم اريد معرفة راي الشيخ في الحديث المروي عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس، قال: قلت كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع». أريد أن أعرف ما مدى صحة الحديث، وإن كان صحيحا فما هو تفسيره؟ وجزاكم الله خيراً أحبكم في الله. وسأل سائل آخر نريد محاضرة كامله من الشيخ عن علماء آل سعود وما رأيه بـ ابن باز وابن عثيمين وغيرهم.

إجابة الشيخ د. هاني السباعي على السؤال

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد:

أولاً: بالنسبة لحديث حذيفة رضي الله عنه فقد رواه مسلم في صحيحه بترقيم الموسوعة ٤٨٩١ في كتاب الإمارة باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر؛ ولكن عبارة «وإن وضرب ظهرك وأخذ مالك» تكلم فيها العلماء فقد ضعفها الدارقطني لأن راوي الحديث أبو سلام ممطور الأسود الحبشي الدمشقي لم يسمع من حذيفة رضي الله عنه.. ومن ثم فإن هذه الزيادة مرسلة منقطعة.. أما متن الحديث فهو صحيح بدون هذه الزيادة كما في صحيح البخاري ومسلم من رواية أبي إدريس الخولاني. وذكر كلام الحافظ الدارقطني في كتابه الإلزامات والتتبع: (ص ١٨١) وص ١٨٢

الحديث رقم ٥٣ : وأخرج مسلم حديث معاوية بن سلام ، عن زيد، عن أبي سلام ، قال : قال حذيفة : كنا بشر، فجاءنا الله بخير. وهذا عندي مرسل ، أبو سلام لم يسمع من حذيفة ، ولا من نظرائه الذين نزلوا العراق، لأن حذيفة توفي بعد قتل عثمان ، رضي الله عنه ، بليال ، وقد قال فيه : قال حذيفة ، فهذا يدل على إرساله.

وفي هامش كتاب الإلزامات قال المحقق الشيخ مقبل بن هادي في ص ١٨٢: «(وقال الحافظ المزي في تهذيب الكمال في ذكر شيوخ أبي سلام وحذيفة بن اليمان: يقال مرسل) أهـ. وقال الحافظ في تهذيب التهذيب: أرسل عن حذيفة وأبي ذر وغيرهما. أهـ. وقال الحافظ العلائي في جامع التحصيل ج٢ ص ٦٧٩: ممطور أبو سلام الحبشي عن حذيفة وأبي مالك الأشعري وذلك في صحيح مسلم، وقال الدارقطني: لم يسمع منهما. قال ذلك في ذكر سياق ذكر الرواة المحكوم على روايتهم بالإرسال عن ذلك الشيخ المعين، أما على الإطلاق أو في حديث مخصوص حسبما أمكن الوصول إليه. إلى آخر كلامه رحمه الله. هذا وفي حديث حذيفة هذا زيادة ليست في حديث حذيفة المتفق عليه وهي قوله «وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك» فهذه الزيادة ضعيفة لأنها من هذه الطريق المنقطعة. والله أعلم» أهـ راجع كتاب الإلزامات والتتبع ـ للإمام الدارقطني تحقيق الشيخ مقبل بن هادي الوادعي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ الطبعة الثانية ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ص ١٨١ ، ص ١٨٢.

ثانياً: وهناك من العلماء من صحح هذه الزيادة بالمتابعة في حديث سبيع بن خالد اليشكري عن حذيفة رضي الله عنه. وكذلك بتوثيق الإمام أحمد العجلي لممطور.. ولتوثيق ابن حبان لسبيع بن خالد.

ثالثاً: لكن الذين ضعفوا الزيادة لم يأخذوا بتوثيق الإمام العجلي لأنهم يتهمونه بالتساهل ومسألة اتهام الإمام العجلي بالتساهل تحتاج إلى بحث مستقل. وكذلك لم يأخذوا بتوثيق ابن حبان نظراً لتساهله في التوثيق وأيضاً خشية تدليس قتادة لأنه لم يصرح بالسماع في حديث سبيع بن خالد واعتبروه منكراً لمخالفته لمن هو أصح منه أي بدون

عبارة «وإن وضرب ظهرك وأخذ مالك» لأن جماعة من الثقات رووا هذا الحديث عن جنادة بن أبي أمية عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه بدون هذه الزيادة وروايتهم في الصحيحين.

رابعاً: وعلى افتراض صحة الزيادة في الحديث فإنها مقيدة بحديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه كما في الصحيحين: في كتاب الإمارة كما في صحيح مسلم برقم ٤٨٧٧ وفي صحيح البخاري في كتاب الفتن برقم ٧٠٥٦ وفيه «إلا أن تروا كفراً بواحا عندكم من الله فيه برهان».. فهذا الحديث قد ينطبق على حكام المسلمين الذين بهم جور وظلم لكن رغم جورهم وظلمهم فإنهم يحكمون بالشريعة الإسلامية.. وفي المقابل فإن هذا الحديث لا ينطبق على حكام عصرنا المبدلين لشرع الله المغيرين لأحكام ديننا الحنيف الموالين لأعداء الله، المحاربين لأولياء الله، المتآمرين على أمتهم، الذين يحرسون دساتير وقوانين محاربة لحاكمية الله في أرضه، فهؤلاء الحكام يأمرون الناس بالحكم بغير ما أنزل الله بالإضافة إلى أنهم لا يحكمون بما أنزل الله!! فإن لم يكن ما يحكموننا به هو الكفر البواح فما هو الكفر البواح إذن؟!.

خامساً: وجهاد الأمراء باليد ورد في الصحيح كما أخرج مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان برقم ١٨٨ حيث ساق بسنده عن أبي رافع عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ما من نبى بعثه الله فى أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون؛ فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»أهـ .

سادساً: بالنسبة لآل سعود فلنا كتاب صدر منذ عشر سنوات تقريبا اسمه «الصراع بين المؤسسات الدينية والأنظمة الحاكمة» استعرضنا فيه الأنموذجين المصري والسعودي وكيف تم احتواء المؤسستين الدينيتين من قبل الأنظمة الحاكمة.. الكتاب

مطبوع وموجود بموقع مركز المقريزي وغيره من مواقع إسلامية.. وبالنسبة للشيخين ابن باز وابن عثيمين فقد ذكرنا في المحاضرة الأخيرة لنا في البالتوك بتاريخ ٥ ربيع أول ١٤٣٣هـ حول التيار السني لإنقاذ مصر أنني لا اعلم أن قيادات الحركات الإسلامية ولا سيما الجهادية تكفر الشيخين بل إنهم يترحمون عليهما وإن كانوا يخالفونهما في مسائل عديدة.

هذا ما يحضرني من إجابة على سؤالك باختصار

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تاريخ ٢٨ ربيع أول ١٤٣٣هـ - ٢٠ فبراير ٢٠١٢

# هل كفر الشيخ المقدسي الهيئة؟

## د. هاني السباعي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد.

لقد اتصلت بالشيخ أبي محمد المقدسي بعد الضجة التي أثيرت حول موضوع فتواه عن حكم الانتساب للجهااز الأمني للهيئة وقبيل إعلان توقفه عن الكتابة على قناته؛ حيث كنت قد سألته هل أنت تكفر هيئة تحرير الشام؟ قال بجلاء لا لبس فيه إنه لا يكفر هيئة تحرير الشام ولا جنودها.

وأضاف أما ما يستندون إليه من جوابي عن حكم الانتساب للعمل مع الجهازالأمني للهيئة فمن بديهيات ضوابط التكفير أن تجريم فعل الكفر ليس بالضرورة بتجريم للفاعل.. ففعل الكفر ليس بالضرورة أن فاعله كافر. هذا ما أكده الشيخ أبو محمد المقدسي حينئذ أي قبيل توقفه عن الكتابة في قناته. والله على ما أقول شهيد.

أما اتهام الشيخ أبي محمد المقدسي بأنه عميل للمخابرات الأردنية دون بينة شرعية!؛ فهذا بهتان عظيم. الرأي المختار لدي أن العميل مرتد. فمن اتهم الشيخ المقدسي بالعمالة فقد اتهمه بالردة وهذا منكر عظيم أبرأ إلى الله من اتهام الشيخ بذلك. كما أن هذه التهمة الشنعاء لا يستطيع من يتهم بها أن يدافع بها عن نفسه! فهل يحضر المسلم ضابطاً استخباراتياً ليشهد له أنه ليس عميلاً!!

هل وصلت الخصومة والعصبية إلى هذا الحد! برمي شيخ قضى قرابة نصف عمره في سجون الطواغيت وكتبه ومقالاته شاهدة على دفاعه عن التوحيد وأهله. أيها الاخوة في الهيئة وغيرها أليس التكفير حكماً شرعياً؟ لو افترضنا مثلاً أن شخصاً كفر آخر، فهل يرد عليه الآخر بتكفيره أيضاً بزعم أنه عميل للمخابرات الطاغوتية؟!

أيها الاخوة في الهيئة وغيرها: هل انتهيتم من العدوان الروسي الرافضي النصيري وطائرات تحالف الشر التي تحصد إخوانكم وأهليكم؟! هل صار الشيخ المقدسي العدو الأول والأخير لكم؟!!

أيها الاخوة في الهيئة وغيرها: أذكر نفسي وإياكم بقول الله تعالى: (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا) الاحزاب آية ٥٨.

أيها الاخوة في الهيئة وغيرها: استقيموا يرحمكم الله.

١ ربيع الأول ١٤٤٢هـ - ١٨ أكتوبر ٢٠٢٠

# كتب مهمة متنوعة في واقعنا المعاصر

د. هاني السباعي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد:

لقد طلب مني شباب أفاضل أن أرشح لهم بعض الكتب المهمة في واقعنا المعاصر؛ ليستفيد الشبيبة منها في ضبط تصورهم للواقع المرير الذي تعاني منه الأمة الإسلامية، والارتقاء بهم لحسن التصور للحوادث، وطبيعة التعامل مع النوازل، وتكرس فيهم معاني الانتماء والهوية.

أقول مستعيناً بالله: إن هناك تلالاً من الكتب التي ألفت في الواقع المعاصر سواء كانت سياسية أو ثقافية أو اجتماعية أو اقتصادية وعسكرية ومذكرات ساسة وقادة وغيرها؛ ورغم ذلك أنصح الشبيبة ببعض مختاراتي الشخصية من الكتب التي لها علاقة بواقعنا المعاصر ليتزود منها طالب العلم المبتدئ ـ بعد بنائه العقدي والفقهي قدر المستطاع ـ مع التنبيه أن نصحي بكتاب معين ليس تزكية له؛ وإنما من باب الاستفادة من خبرة وتخصص الكاتب ولو كان غير مسلم. وها هي ذي نماذج من كتب مختارة أقدمها للشبيبة لعل الله ينفع بها:

١ـ الإسلام والحضارة الغربية: للدكتور د.محمد محمد حسين.

٢ـ حصوننا مهددة من داخلها: د. محمد محمد حسين.

٣ـ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر: د.محمد محمد حسين.

٤ـ قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله. جلال العالم

٥ـ المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام: للشيخ محمد محمود الصواف.

٦ـ الإسلام والمدينة الحديثة: للأستاذ أبي الأعلى المودودي.

٧ـ ماذا خسر العال بانحطاط المسلمين: للشيخ ابي الحسن الندوي

٨ـ ظلام من الغرب: للشيخ محمد الغزالي

٩ـ الغارة على العالم الإسلامي: أ . ل . شاتليه ترجمة مساعد اليافي ومحب الدين الخطيب.

١٠ـ التبشير والاستعمار: د.عمر فروخ ومصطفى الخالدي.

١١ـ أساليب الغزو الفكري: د.علي جريشة.

١٢ـ الغزو الفكري: للأستاذ جلال كشك

١٣ـ الاستشراق والمستشرقون د. مصطفى السباعي

١٤ـ الصراع الفكري في البلاد المستعمرة. مالك بن نبي

١٥ـ أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها: الشيخ عبد الرحمن حبنكة.

١٦ـ المدارس العالمية الاجنبية ـ الاستعمارية تاريخها ومخاطرها بكر أبو زيد

١٧ـ المؤامرة الكبرى على بلاد الشام: دراسة تحليلية للنصف الأول من القرن العشرين: للأستاذ محمد فاروق الخالدي.

١٨ـ التيارات الفكرية والعقدية في النصف الثاني من القرن العشرين. للأستاذ محمد فاروق الخالدي.

١٩ـ الطريق إلى ثقافتنا: محمود شاكر.

٢٠ـ معالم في الطريق: للشيخ سيد قطب

٢١ـ جاهلية القرن العشرين: للشيخ محمد قطب

٢٢ـ مغالطات: للشيخ محمد قطب

٢٣ـ مذاهب فكرية معاصرة: للشيخ محمد قطب

٢٤ـ العلمانيون والإسلام: للشيخ محمد قطب

٢٥ـ شبهات حول الإسلام: للشيخ محمد قطب

٢٦ـ المسلمون والعولمة: للشيخ محمد قطب

٢٧ـ العولمة: جلال أمين

٢٨ـ الشريعة الإلهية لا القوانين الوضعية: د.عمر سليمان الأشقر

٢٩ـ نقض النظام الديمقراطي: د. محمود الخالدي

٣٠ـ القضية الفلسطينية: للأستاذ محمد عزة دروزة

٣١ـ العلمانية نشأتها وتطورها وآثارها. د.سفر الحوالي

٣١ـ ظاهرة الإرجاء في العالم الإسلامي. د.سفر الحوالي

٣٢ـ لعبة الأمم: مايلز كوبلاند ترجمة مروان خير

٣٣ـ كتاب المرايا المحدبة: للدكتور عبد العزيز حمودة

٣٤ـ كتاب المرايا المقعرة: للدكتور عبد العزيز حمودة

٣٥ـ أعمدة الحكمة السبعة: توماس إدوارد لورنس الشهير بلورنس العرب.

٣٦ـ ذئاب في ثوب حملان مختصر الأصولية الأمريكية: إميل أمين

٣٧ـ الإدارات الأمريكية المحافظة وتسيس نبوءات التوراة: مروان الماضي

٣٨ـ الصهيونية من بابل إلى بوش: إبراهيم الحارتي

٣٩ـ بروتوكولات حكماء صهيون: ترجمة محمد خليفة التونسي

٤٠ـ زنادقة الأدب والفكر: قراءة في تاريخ الزندقة قديما وحديثا: هاني السباعي

٤١: الصراع بين المؤسسات الدينية والأنظمة الحاكمة: هاني السباعي

٤٢ـ مزرعة الحيوانات: جورج أورويل ـ ترجمة حمود عبد الغني

٤٣ـ الاستشراق: المعرفة ـ السلطة ـ الانشاء: إدوارد سعيد

٤٤ـ اليد الخفية: دراسة في تاريخ الحركات اليهودية الهدامة والسرية: د. عبد الوهاب المسيري

٤٥ـ الطبقة الحاكمة في أمريكا: تسيف فرايزر وغاري غرستل

٤٦ـ فن الحرب: صن تيزو

٤٧ـ صدام الحضارات: صامويل هنتنجتون

٤٨ـ الأمير: نيكولا ميكافيللي ـ ترجمة عبد القادر الجموسي

٤٩ـ كفاحي: أدولف هتلر ـ ترجمة لويس الحاج

٥٠ـ الدولة المارقة: وليام بلوم ترجمة كمال السيد

٥١ـ الغزو مستمر: نعوم تشومسكي ترجمة مي النبهان

٥٢- لماذا تفشل الأمم: تأليف دارن اسيموجلو ـ جيمس أ.روبنسون ـ ترجمة بدران حامد

٥٣- تلمود العم سام: تأليف منير العكش

٥٤- العلاقات الدولية: جوزيف فرانكل ترجمة غازي عبد الرحمن القصيبي

٥٥- تاريخ الفكر السياسي: جان توشار وآخرين ترجمة علي مقلد

٥٦- تاريخ الحركات القومية ٥ أجزاء: تاليف وتعريب الدكتور نور الدين حاطوم

٥٧- أشياء لن تسمع بها أبداً: نعوم تشومسكي

٥٨- الربح مقدماً على الشعب: النيوليبرالية والنظام العالمي: نعوم تشومسكي ترجمة لمى نجيب

٥٩- العولمة الثقافية الحضارات على المحك: تأليف جيرار ليكلرك ترجمة د. جورج كتورة

٦٠- الهيمنة أم البقاء: السعي الأمريكي للسيطرة على العالم: نعوم تشومسكي ترجمة سامي الكعكي

٦١- ماذا يريد العم شام: نعوم تشومسكي ترجمة عادل المعلم

٦٢- أمريكا بين حنون المخدرات وحكايات السوق السوداء: تأليف إريك شلوزر ـ ترجم الأنصاري رفعت الخولي

٦٣- العولمة والديمقراطية والإرهاب: تأليف هوبزباوم تعريب أكرم حمدان ونزهت طيب

٦٤- الحرب الصليبيبة تاريخ حروب ظالمة: تأليف جيمس كارول ـ ترجمة د. قاسم عبده قاسم

٦٥- حرب العصابات الهجومية الدفاعية: موشى ديان

٦٦- خطة الهجوم: تأليف بوب ودورد تعريب فاضل جتكر

٦٧- مبادئ القانون السياسي: جان جاك روسو ترجمة عبد العزيز لبيب

٦٨- حرب المستضعفين: تأليف روبرت تابر ـ تعريب محمود سيد الرصاص

٦٩-مقالات العسكرية (حرب العصابات): تأليف أرنستو تشي جيفارا ـ تعريب

٧٠- مذكرات الحرب: الجنرال فونقويين جياب ـ ترجمة د. عبد الوهاب محمد الزنتاني

٧١- هروبي إلى الحرية: على عزت بيجوفيتش ـ تقديم د. شكري مجاهد

٧٢- كلمتي للتاريخ: اللواء محمد نجيب رئيس مصر الأسبق

٧٣- قصة الحضارة: وول ديورانت

٧٤- فتح أسطنبول وعلات الساعة: تأليف فريدون م. إمَجَن

٧٥- اليد الخفية: تاريخ الحركات اليهودية الهدامة والسرية: تأليف الدكتور عبد الوهاب المسيري

٧٦- أمريكا التي تعلمنا الديمقراطية والعدل: تأليف الدكتور فهد العرابي الحارثي

٧٧- عقيدة الصدمة صعودد رأسمالية الكوارث: تأليف نعومي كلاين

٧٨- الاستشراق (المعرفة ـ السلطة الإنشاء): تأليف إدوارد سعيد

٧٩- أمريكا طليعة الانحطاط: تأليف روجيه جارودي

٨٠- المؤامرة الكبرى على بلاد الشام: إعداد محمد فاروق الخالدي

٨١- السلطان عبد الحميد الثاني: أوران محمد علي

٨٨- مذكرات السلطان عبد الحميد السياسية: ترجمة محمد حرب عبد الحميد

٨٩- كتاب أزمة العصر للدكتور محمد محمد حسين

٩٠- ثورة يوليو الأمريكية: تأليف جلال كشك

٩١- النظم السياسية: تأليف الدكتور محمد كامل ليلة

٩٢- التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى الحرب العالمية الأولى: تأليق الدكتور عبد العزيز سلمان نوار والدكتور محمود محمد جمال

٩٣- الحرب العالمية الثانية تأليف: أنتوني بيفور ـ الناشر: ليتل براون ـ لندن ـ ٢٠١٢

٩٤- الصليبيون الجدد (الحملة الصليبية الثامنة) دراسة في التحيز الأمريكي والبريطاني لإسرائيل: يوسف العاصي الطويل ـ مكتبة مدبولي ـ القاهرة ١٩٩٧.

٩٥- العولمة الثقافية: جيرار ليكلرك ـ ترجمة جورج كتورة ـ دار الكتاب الجديد المتحدة ـ بيروت ـ ط١ ـ ٢٠٠٤.

٩٦- حروب قذرة: جيرمي سكاهيل ، شركة المطلوعات والتوزيع ـ بيروت ـ ط١ سنة ٢٠١٦

٩٧- السيطرة على الإعلام: ناعوم تشومسكي ـ تعريب أميمة عبد اللطيف ـ مكتبة الشروق الدولية ـ مصر ـ ط١ـ ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣.

٩٨- تطور الفكر السياسي (٥ مجلدات) : جورج سباين ـ مترجم ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب

## صفوة القول

هناك عشرات الكتب عن واقعنا المعاصر لا يتسع المقام لذكرها؛ فاختياري لهذه العينة من الكتب مجرد اجتهاد شخصي قدد يتفق أو يختلف معي بعض الفضلاء. على أية حال أسأل الله أن ينفع بها. كما أؤكد على ما ذكرته آنفاً أن نصحي أو توصيتي بكتاب معين ليس تزكية له؛ بل من باب استفادة الشباب من الاطلاع على كتب أهل التخصص والخبرات ولو كانوا غير مسلمين. وبالله التوفيق.

د.هاني السباعي ٤ ربيع الثاني ١٤٣٩هـ ـ ٢٣ ديسمبر ٢٠١٧

# هل يجوز الاشتراط في الدعاء

د.هاني السباعي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الأصل لايشترط عند الدعاء للميت المسلم بالمغفرة والرحمة إلا إن كنت شاكاً في حال الميت فلا حرج أن تقول «اللهم إن كان مؤمناً فاغفر له وارحمه». الأدلة على ذلك:

**أولاً**: آيات اللعان؛ الآية السابعة من سورة النور "والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين) وكذلك في الآية الثامنة من سورة النور أيضاً قول المرأة (والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين). أقول هكذا علق الدعاء بنص القرآن بالشرط.

**ثانياً**: في صحيح مسلم "باب جواز اشتراط المحرم التحلل بعذر المرض ونحوه" وساق حديث ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب بنت عم النبي صلى الله عليه وسلم؛ عن عائشة رضي الله عنها "قالت دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على ضباعة بنت الزبير فقال لها أردت الحج. قالت والله ما أجدني إلا وجعة. فقال لها حجي واشترطي وقولي اللهم محلي حيث حبستني وكانت تحت المقداد"أهـ. الحديث أخرجه أيضاً البخاري بلفظ متقارب.

**ثالثاً**: وفي الأثر عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت لعروة "هل تستثني إذا حججت فقال ماذا أقول قالت قل: اللهم الحج أردت وله عمدت فإن يسرته فهو الحج وإن حبسني حابس فهو عمرة"أهـ سنن البيهقي بسند صحيح.

**رابعاً**: وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: "حج واشترط وقل: اللهم الحج أردت ولك عمدت فإن تيسر وإلا فعمرة"أهـ سنن البيهقي بسند حسن.

**خامساً**: وقال سويد بن غَفَلة، قال: ''قال لي عمر ابن الخطاب: يا أبا أمية حج واشترط فإن لك ما اشترطت ولله عليك ما اشترطت''أهـ سنن البيهقي بسند صحيح.

**سادساً**: كلام نفيس لابن القيم: ذكر العلامة ابن قيم الجوزية رحمه الله في فصل بعنوان هل تعلق التوبة بالشرط؟ واستدل بحديث ضباعة بنت الزبير المتقدم قائلاً: ''فهذا شرط مع الله في العبادة وقد شرعه على لسان رسوله لحاجة الأمة إليه، ويفِيد شيئين: جواز التحلل، وسقوط الهدي، وكذلك الداعي بالخيرة يشترط على ربه في دعائه. فيقول: اللهم إن كان هذا الأمر خيراً لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري عاجله وآجله فاقدره لي ويسره لي، فيعلق طلب الإجابة بالشرط لحاجته إلى ذلك لخفاء المصلحة عليه''. إعلام الموقعين ج٤ ص ٣٧١.

ويقول أيضاً: «وكذلك النبي صلى الله عليه وسلم اشترط على ربه أيما رجل سبه أو لعنه وليس لذلك بأهل أن يجعلها كفارة له وقربة يقربه بها إليه».، وهذا تعليق للمدعو به بشرط الاستحقاق. وكذلك المصلي على الميت شرع له تعليق الدعاء بالشرط، فيقول: اللهم أنت أعلم بسره وعلانيته، إن كان محسناً فتقبل حسناته، وإن كان مسيئاً فتجاوز عن سئاته؛ فهذا طلب للتجاوز عنه بشرط، فكيف يمنع تعليق التوبة بالشرط؟»أهـ إعلام الموقعين ج٤ ص ٣٧١.

واستأنس ابن القيم برؤيا شيخه؛ شيخ الإسلام ابن تيمية للرسول صلى الله عليه وسلم: «وقال شيخنا: كان يشكل علي أحياناً حال من أصلي عليه الجنائز، هل هو مؤمن أو منافق؟ فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فسألته عن مسائل عديدة منها هذه المسألة، فقال: يا أحمد الشرط الشرط، أو قال: علق الدعاء بالشرط. وكذلك أرشد أمته صلى الله عليه وسلم إلى تعليق الدعاء بالشرط فقال: لايتمنى أحدكم الموت لضر نزل به، ولكن ليقل: اللهم أحيني إذا كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً. وكذلك قوله في الحديث الآخر. وإذا أردت بعبادك فتنة فتوفني إليك غير مفتون.»أهـ إعلام الموقعين ج٤ ص ٣٧١

**سابعاً**: وفي السنن الكبرى للبيهقي: دعاء الصحابي الجليل المبشر بالجنة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه على الرجل الذي افترى عليه؛ وهو رجل من بني عبس بالكوفة يكنى بأبي سعدة كذب عليه وقال: " فإن سعداً كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية ولا يعدل في القضية. قال سعد أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبا قام رياء وسمعة فأطل عمره، وأطل فقره، وعرضه بالفتن. وكان بعد إذا سئل يقول شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد قال عبد الملك فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن»أهـ

## صفوة القول

يجوز الدعاء المعلق بالشرط سواء في الصلاة على الميت المسلم أو في غير ذلك من عبادات. ووجه الاستدلال في آيات اللعان من سورة النور أن الزوج يدعو على نفسه في المرة الخامسة باللعنة إن كان من الكاذبين؛ أي أنه علق الدعاء على نفسه بشرط كونه من الكاذبين. وكذلك زوجته التي اتهمها بالزنا بدون بينة فتدعو على نفسها بغضب الله عليها إن كان زوجها صادقاً؛ فقد علقت الدعاء على نفسها بشرط. وكذلك الاحاديث والآثار التي ذكرناها ونقلنا الكلام الماتع النافع النفيس للعلامة المحقق ابن القيم رحمه الله. والله أعلم.

تاريخ ١٢ شعبان ١٤٣٧هـ ١٩ مايو ٢٠١٦.

# تقديـم لكتاب المصلحة في الشريعة الإسلامية

د. هاني السباعي

الحمـد للـه والصـلاة والسـلام علـى رسـول اللـه صلـى اللـه عليـه وعلـى آلـه وصحبـه وسـلم وبعـد.

لقـد شرفني فضيلـة الشيـخ الدكتـور طـارق عبـد الحليـم بكتابـة تقدمـة لكتابـه (المصلحـة في الشريعة الإسلامية).. أقـول وباللـه التوفيـق: لقـد كثـر الحديـث والمؤلفـات عـن المصلحـة والمقاصـد العامـة للشـريعة الإسـلامية ولا سـيما بعـد أن فـرض المحتلـون للعالـم الإسـلامي قوانينهـم ونصبـوا حكامـاً أجهـزوا علـى الشـريعة الإسـلامية وأقصوهـا مـن سـدة الحكـم؛ بـل وحاربوهـا وحاصروهـا وضيقـوا عليهـا فصـارت الشـريعة حبيسـة الـزواج والطـلاق والميـراث، وصـارت الشـريعة الإسـلامية التـي كانـت تحكـم معظـم أرجـاء العالـم علـى مـدار ألـف عـام ونيـف تتـآكل تدريجيـاً!..

ومـع تزايـد حمـلات القتـل والاضطهـاد والمطـاردة لعلمـاء الأمـة الأخيـار ظهـر جيـل مـن العلمـاء والشـيوخ منسـحقاً مهزمـاً عقديـاً وفكريـاً؛ فطفـق هـذا الفريـق مـن العلمـاء ينبـش فـي أضابيـر الموسـوعات الفقيـة وتراجـم العلمـاء حتـى وجـدوا ضالتهـم فـي الفقيـه «نجـم الديـن الطوفـي المتوفـى عـام ٧١٦هـ".. وهـو مـن أحـد علمـاء القـرن الثامـن الهجـري وكان معاصـراً لشـيخ الإسـلام ابـن تيميـة حيـث ذكـر فريـة لـم يقلهـا أحـد مـن علمـاء الأمـة قبلـه بتقديـم المصلحـة إذا تعارضـت مـع صريـح النـص القرآنـي! فتلقفهـا مـن يطلقـون علـى أنفسـهم علمـاء الوسـطية الإسـلامية! فأقامـوا الدنيـا ولـم يقعدوهـا! ولا يزالـون يحسـنون مـن هـذا الـرأي الشـاذ! فصـارت المصلحـة صنمـاً يعبـد مـن دول اللـه! واسـتخدم هـذا الفريـق مـن علمـاء الهـوى رأي الطوفـي فـي فقـه النـوازل! ولـم يعـد النـص الصريـح الجلـي يردعهـم! وصـارت الشـريعة ألعوبـة بـآراء وأهـواء هـؤلاء العلمـاء!..

وفي الحقيقة فإن هناك علماء كتبوا في الفكر المقاصدي ومحاسن الشريعة والمصلحة قبل وبعد الطوفي من أمثال؛ أبي بكر القفال الشاشي المتوفى ٣٦٥ هـ في كتابه «محاسن الشريعة».. وقد أثنى عليه الحافظ بن القيم في مفتاح دار السعادة. وممن كتب في الفكر المقاصدي: إمام الحرمي المتوفى ٤٧٨هـ في كتابه «البرهان في أصول الدين» الذي حققه الدكتور عبد العظيم الديب رحمه الله. والغزالي المتوفى ٥٠٥ هـ في كتابه المستصفى. وسيف الدين الآمدي المتوفى ٦٠٦هـ في كتابه «الإحكام في أصول الأحكام». وسلطان العلماء العز بن عبد السلام المتوفى ٦٦٠ هـ في كتابيه «قواعد الأحكام في إصلاح الأنام» وكتابه الآخر: «الفوائد في اختصار المقاصد».

وشيخ الإسلام بن تيمية المتوفى ٧٢٨ هـ في كتابيه: «بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول“ وكتابه «درء تعارض العقل والنقل“.

والعلامة ابن القيم المتوفى ٧٥١ هـ في كتبه: «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» و»إعلام الموقعين» «ومفتاح دار السعادة» و»الطرق الحكمية» و»طريق الهجرتين» «وبدائع الفوائد».

والعلامة أبو إسحاق الشاطبي المتوفى ٧٩٠هـ في كتابه الجليل «الموافقات في أصول الشريعة؟ وكتابه الماتع «الإعتصام».

أما في عصرنا الحالي فهناك علماء مخلصون تصدوا لفرية الطوفي ففي سنة ١٣٧٣هـ الموافق ١٩٥٤م حيث قام الشيخ الدكتور مصطفى زيد رحمه الله، وكان وقتئذ باحثاً في كلية دار العلم بالقاهرة؛ بالرد على فرية الطوفي في رسالته لنيل درجة الماجستير بعنوان «المصلحة في التشريع الإسلامي ونجم الدين الطوفي».. فقد أجاد وأفاد وهو كتاب مطبوع.

وهناك مؤلفات ظهرت في تلكم الحقبة وما بعدها؛ ففي سنة ١٩٤٥م تقدم الشيخ الدكتور محمد مصطفى شلبي رحمه الله برسالة لمشيخة الأزهر للحصول على شهادة العالمية من درجة أستاذ في الفقه الإسلامي بعنوان «تعليل الأحكام» وهي عبارة عن عرض

وتحليل لطريقة التعليل وتطوراتها في عصور الاجتهاد والتقليد.. والكتاب مطبوع ومن أمتع وأجود من ألف في تعليل الأحكام والفكر المقاصدي في الشريعة في العصر الحديث.

وفي سنة ١٩٦٥م حصل الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي على درجة الدكتوراه في أصول الشريعة من كلية القانون والشريعة بجامعة الأزهر وكان موضوع الرسالة «ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية» في كتاب مطبوع أيضاً.

ومن المعاصرين الذين كتبوا في الفكر المقاصدي الشيخ العلامة محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله المتوفى ١٩٧٣م في كتابه «مقاصد الشريعة الإسلامية»..

وفي سنة ١٩٦٣م ظهرت الطبعة الأولى لكتاب الشيخ علال الفاسي رحمه الله المتوفى ١٩٧٤ في كتابه «مقاصد الشريعة ومكارمها».

وفي سنة ١٩٧١م حصل الدكتور يوسف حامد العالم رحمه الله على درجة العالمية من جامعة الأزهر وكان موضوع الرسالة «المقاصد العامة للشريعة الإسلامية».

ولا يفوتنا أن نذكر كتاب علامة الهند الشيخ ولي الله الدهلوي رحمه الله المتوفى سنة ١١٧٦هـ في كتابه «حجة الله البالغة» الذي استفاد من كتابه الشيخ علال الفاسي.

وهناك العشرات من المؤلفات في الفكر المقاصدي كرسالة الدكتور محمد سعد بن أحمد بن مسعود اليوبي وهي رسالة دكتوراه تقدم بها المؤلف إلى قسم أصول الفقه بكلية الشريعة بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٤١٥هـ وطبعت سنة ١٩٩٨م بعنوان «مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية.

ولا تزال المؤلفات تترا في هذا الفكر المقاصدي بعناوين محتلفة؛ المقاصد العام للشريعة الإسلامية أو المصلحة أو تعليل الأحكام أو محاسن الشريعة أو الضرورة وضوابطها.

وهكذا استطاع فضيلة الشيخ الدكتور طارق عبد الحليم أن يعتصر هذه المؤلفات في زبدة من القول تيسيراً على الشبيبة الذين يبتغون تعلم هذا العلم المقاصدي فالمصلحة كما يقال سبب للحصول على المقصد وأحياناً يطلق على المقصد مصلحة؛ المهم أن

المصلحة لا تكون معتبرة شرعاً حتى تكون محققة لمقصد شرعي والأصل أن مقاصد الشرعية الإسلامية كلها مصالح للعباد في دنياهم وآخرتهم..

وأخيراً لا يسعني إلا أن أشكر أخي فضيلة الشيخ الدكتور طارق عبد الحليم الذي أتاح لي أن أساهم بكلمات معدودات تقدمة لكتابه المختصر الماتع المفيد. أسأل الله تعالى أن ينفع به، وأن يجعله في ميزان حسناته يوم القيامة إن شاء الله.

٢٩ شوال ١٤٣٣هـ الموافق ١٦ سبتمبر ٢٠١٢

# وفاة السيدة الفاضلة الصابرة حميدة قطب

ينعي مركز المقريزي للأمة الإسلامية ولعائلة آل قطب وفاة السيدة الداعية الصابرة المثابرة الأديبة الأريبة حميدة قطب شقيقة شهيد الإسلام سيد قطب نحسبه كذلك ولا نزكيه على ربه ـ وشقيقة العالم المجاهد الكبير محمد قطب وقد ورد إلى مركز المقريزي رسالة تؤكد وفاتها في مدينة باريس.. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقد انتقلت السيدة حميدة قطب (٧٥ عاما) إلى رحمة الله تعالى يوم الجمعة ٢٣ شعبان ١٤٣٣ هـ الموافق ١٣ يوليو ٢٠١٢ م الساعة الثانية ظهرا بمدينة باريس. وقد ولدت الفقيدة في القاهرة في عام ١٩٣٧، واعتقلت عام ١٩٦٥ في قضية تنظيم الإخوان وحكم عليها بالأشغال الشاقة لعشر سنوات حيث اتهمت بنقل معلومات وتعليمات من الشهيد سيد قطب إلى السيدة زينب الغزالي رحمهم الله جميعاً.. وكذلك المساهمة في لجنة لإعالة أسر المعتقلين في الفترة من ١٩٥٤ و ١٩٦٤، ثم خرجت من المعتقل بعد ٦ سنوات وأربعة أشهر قضتها بين السجن الحربي وسجن القناطر، تزوجت من الدكتور حمدي مسعود وانتقلت معه للإقامة بفرنسا حيث وافتها المنية.

وقد صلي على الفقيدة صلاة الجنازة اليوم الثلاثاء ١٧ جويلية ٢٠١٢ على السّاعة ١٠٫٣٠ في مقر اتحاد المنظّمات الاسلامية.

فرحم الله السيدة حميدة قطب الداعية المجاهدة العاملة التي وافتها المنية بأرض الغربة .. رحمها الله رحمة واسعة وأسكنها فسيح جناتها.. فإنا لله وإنا إليه راجعون.

مركز المقريزي للدراسات التاريخية

لندن في ٢٧ شعبان ١٤٣٣هـ ١٧ يوليو ٢٠١٢

# أبو حمزة المصري دين شهامة رجولة صبر

## د. هاني السباعي

أبوحمزة المصري الأخ الحبيب الشيخ المهندس مصطفى كامل الذي كان ملء السمع والبصر غيبته أمريكا بحكم ظلوم!!!! محكمة أمريكية تحكم بالسجن المؤبد على الأخ الحبيب الشيخ المهندس مصطفى كامل الشهير بأبي حمزة المصري قبل ترحيله حكم عليه بالسجن ظلما في بريطانيا وظل سنوات في السجن! ثم طلبته أمريكا قبيل الإفراج عنه بتهم ملفقة وشهود زور! وظل محاموه يكافحون تسليمه إلى أمريكا لكن المؤامرة قد حيكت وطبخت بين مخابرات البلدين وسلم إلى دولة مشهور قضاؤها بمعاداة المسلمين! ودليل ذلك أن التهمة الأبرز ضده هي موضوع قتل رهائن في اليمن! حيث لم يرد اسمه في قرار الاتهام اليمني ولم تحاكمه بريطانيا بهذه التهمة رغم أن لها رعايا بريطانيين قتلوا! لكن أمريكا أم الظلم لا يستعصي عليها قتل البشر وسجنهم وتلفيق التهم وخطفهم ثم ردهم إلى بلادهم في توابيت الموتى! كما حدث مع الشهيد المظلوم نحسبه كذلك أبي أنس الليبي! اللهم إنك تعلم أن عبدك أبا حمزة المصري فاقد يديه ولايرى إلا بإحدى عينيه ومصاب بعدة أمراض ورغم ذلك لم يرحموه! اللهم عليك بمن ظلمه وشمت بسجنه! اللهم فرج كربه وأخوانه المظلومين في سجون العرب والعجم فلا شئ يعجزك يارب العالمين. اللهم آمين!. اللهم آمين!. اللهم آمين!.

لندن في ١٩ ربيع أول ١٤٣٦هـ - ١٠ يناير ٢٠١٥م

# الأمير فخر الدين باشا العثماني المفترى عليه
# الرد على اتهمات آل نفطويه

**د. هاني السباعي**

اتهم حساب مجهول الأمير العثماني فخر الدين باشا الذي حكم المدينة المنورة (١٩١٦-١٩١٩) بسرقة أموال أهل المدينة، وخطفهم وترحيلهم للشام وإسطنبول برحلة سميت (سفر برلك)، وزعم سرقة الأتراك لأغلب مخطوطات المكتبة المحمودية وإرسالها إلى تركيا. القضية ليست في الحساب المجهول! المشكلة أن وزير خارجية الإمارات عبد الله بن زايد أعاد نشر التغريدة على حسابه!.. واضح أنه أمر بيت بليل!.. وسرعان ما تلقفها بوق آل نهيان الفسل وسيم يوسف وصال وجال في التأكيد؛ على اتهام سيده وسيد حكامه؛ الأمير العثماني خير الدين باشا بسرقة الآثار النبوية من المدينة المنورة وإرسالها لإسطنبول!!.

**وللرد على هذه الفرية التي يسوقها إعلام آل نهيان وأل سعود أقول وبالله التوفيق:**

لقد تواتر المؤرخون لتاريخ الدولة العثمانية ـ منذ أن كانت إمارة إلى سلطنة ثم إلى خلافة ـ؛ على أن أول من لقب بخليفة هو السلطان سليم الأول الشهير بـ «ياوز « أي القاطع، وكان ذلك بعد انتصاره على المماليك في معركتي؛ دابق ٩٢٢هـ الموافق ١٥١٦ بسوريا، والريدانية ٩٢٣هـ الموافق ١٥١٧ بمصر.

وسأكتفي ببعض المصادر التي ذكرت كيف حصل العثمانيون على مفاتيح المدينتين مكة والمدينة، والآثار النبوية التي يدعي الأفاك الأثيم وإعلام آل نهيان وآل سعود بأن خير

الدين باشا سرق تلكم الآثار! مع التنبيه أن فخر الدين باشا كان أميراً على المدينة المنورة من ١٩١٦ إلى ١٩١٩ وحوصر من قبل قوات الخائن الشريف حسين والإنجليز لمدة ٣ سنوات ثم توفي عام ١٩٤٨ وتوفي سيلم الأول عام ٩٢٦هـ/١٥٢٠م، فالفرق الزمني بين فخر الدين باشا وبين الخليفة سليم الأول ٤ قرون!! :

أما المصدر الأول: قال إبراهيم بك حليم صاحب التحفة الحليمية ص٨٤ «وقد حضر إلى السلطان سليم شرف مكة المكرمة السمى (أبا النمى) ابن محمد أبي البركات للتبريك، وسلم له ما كاه بيده من الآثار الشريفة والمخلفات فقبلها منه»أهـ

المصدر الثاني: قال صاحب تاريخ الدولة العلية الأستاذ محمد فريد بك المحامي ص١٩٤: « ومما جعل لفتح وادي النيل أهمية تاريخية عظمى أن محمد المتوكل على الله، آخر ذرية الدولة العباسية الذي حضر أجداده لمصر بعد سقوط مدينة بغداد مقر خلافة بني العباس في قبضة هولاكو خان التتري سنة ٦٥٦هـ (سنة ١٠٩١) وكانت له الخلافة بمصر اسماً، تنازل عن حقه في الخلافة الإسلامية إلى السلطان سليم العثماني وسلمه الآثار النبوية الشريفة وهي البيرق والسيف والبردة، وسلمه أيضاً مفاتيح الحرمين الشريفين، ومن ذلك التاريخ صار كل سلطان عثماني أميراً للمؤمنين وخليفة لرسول رب العالمين اسماً وفعلاً»أهـ

أما المصدر الثالث: أورد تفاصيل لم ترد في الكتابين السابقين قال المؤرخ التركي الأستاذ يلماز أوزتونا في كتابه موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية المجلد الأول ص ٢٣٣: «أرسل أمير مكة الشريف بركات الثاني (١٤٩٧ - ١٥٢٥) ابنه الكبير محمد أبي نمى إلى السلطان سليم في القاهرة (وفاته ١٥٨٣). سلم أبو نمى مفاتيح مكة، المدينة، الكعبة والروضة المطهر والأمانات المقدسة الأخرى لدى الأشراف إلى السلطان سليم، وعرض عليه دخول الحجاز تحت حماية العثمانية (٦ -٧-١٥١٧) (فتحنامة ديار عرب، 66.V a-b). إن أهم ما في الأمانات المقدسة، الراية الشريفة والبردة (خرقة سعادات). خطى يد علي (ر.ع) وعثمان (ر.ع) ومصحفان. أرسلت جميعها إلى إستنبول وحفظت في جناح

«خرقة شريف» الذي شيد خصيصاً لها في سراي طوبقابو، وما تزال موجودة.»أهـ.

أقول: الشاهد مما سبق أن العثمانيين حصلوا على الأمانات المقدسة وآثار الصحابيين سيدنا علي بن أبي طالب، وسيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنهما طواعية؛ من أمير مكة الشريف بركات الثاني الذي أرسل ابنه محمداً الكبير ومعلوم أن الأماكن المقدسة مكة والمدينة والقدس بيد المماليك الذي كانوا يتبعون الخلفاء العباسيين، وكان آخر الخليفة محمد المتوكل آخر خلفاء بني العباس بالقاهرة حيث تنازل عن الخلافة للسلطان سليم الأول بحضور القضاة والشيوخ والأعيان.

أما ما كان في المدينة إبان حصار القوات العربية الخائنة بزعامة الإنجليز فلم يوجد في المسجد النبوي إلا مخطوطات للقرآن الكريم ومحتويات أخرى تحفظ عليها الأمير فخر الدين باشا خشية أن يعبث بها الإنجليز إذا اقتحموا المدينة ولم يوجد بينها الآثار النبوية المذكورة لأنها تاريخياً قد استلمها الخليفة سليم الأول منذ أربعة قرون! أين حمرة الخجل! يا دعاة الضلال!!.

## صفوة القول

لم تكتف محميات النفط الخليجية بزعامة آل سعود وآل نهيان بحرق الأمة بنفطها الذي صار وبالاً على أهل الإسلام في كل مكان؛ بل صار آل نفطويه معاول هدم ورأس حربة في تزير وتزييف عقيدة الأمة وتاريخها. أزعم أن الأمة لن تنعم بالأمن والكرامة وحكام محميات النفط في سدة الحكم! تحرير الأمة يكون بزوال الورم الخبيث؛ آل نفطويه.

د. هاني السباعي ٣٠ ربيع الأول ١٤٣٩هـ الموافق ١٨ ديسمبر ٢٠١٧

# تحفة الأحوذي أم عارضة الاحوذي؟

## نص السؤال:

السلام عليكم ورحمة الله. شيخنا هانى ايهما افضل وأكثر فائدة لطالب العلم كتاب عارضة الأحوذي ام تحفة الاحوذى وجزاكم الله خيرا.

نص جواب الدكتور هاني السباعي

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد:

الكتابان ـ كما لا يخفى عليك ـ شرح لجامع الإمام الحافظ أبي عيسى الترمذي أما عارضة الأحوذي فللعلامة أبي بكر بن العربي المتوفى ٥٤٣هجري وشرحه نافع ماتع؛ فالحافظ ابن العربي يذكر إسناد الحديث وأطرافه والمسائل الفقهة ولأنه مالكي فإنه يرجح غالبا مذهب الإمام مالك، ويميل لمذهب الأشاعرة في تأويل الصفات.

أما تحفة الأحوذي فللعلامة أبي العلا محمد بن عبد الرحمن المباركفوري المتوفى ١٣٥٣ هجري وهو كتاب ماتع نافع أيضاً فما أسعد من يجمع بين الكتابين. فالعلامة المباركفوري رغم أنه حنفي إلا أنه لم يكن متعصباً لمذهب الأحناف في شرحه وكان مع الدليل حيث دار بالإضافة إلى صحة معتقده.

أما إذا كان لا بد من التفضيل؛ فتحفة الأحوذي للمباكفوري أفضل؛ فقد أجاد في الكلام على أسانيد المرويات وضبط أسماء الرواة وعلل الحديث والمسائل الفقهية وغيرها حيث استفاد من العلماء الذين سبقوه بأكثر من ٦ قرون بعد وفاة العلامة أبي بكر بن العربي رحمه الله. كما أن كتاب المباركفوري به مقدمة مفيدة لطالب العلم.

وصفوة القول أرى أن كتاب تحفة الأحوذي للعلامة المباركفوري أفضل في أبواب ومسالك كثيرة يطول شرحها. وعلى أية حال رحم الله العالمين الحافظين الجليلين؛ أبا بكر بن العربي، وأبا العلا المباركفوري. وجزاك الله خيراً على سؤالك وكل عام أنتم بخير.

د. هاني السباعي ٢٠ رمضان ١٤٤٠ الموافق ٢٥ مايو ٢٠١٩هجري

# ما صحة ما ورد في مقال بعنوان

## (مابين الصحابي الأسود بلال بن رباح والأمريكي الأسود جورج فلويد)؟

الجواب

الحمد لله والصلاة السلام على رسول الله صلى الله عليه سلم وبعد. لقد أرسل لي سائل فاضل عن صحة ما ورد في مقال منشور في وسائل التواصل بعنوان (مابين الصحابي الأسود بلال بن رباح والأمريكي الأسود جورج فلويد).

أقول وبالله التوفيق:

ما هكذا تورد الأدلة لإثبات أن الإسلام قضى على العنصرية!.. للأسف الشديد هذا المقال « مابين الصحابي الأسود بلال بن رباح والأمريكي الأسود جورج فلويد»؛ أراد كاتبه بحسن نية أن يدافع عن الإسلام؛ فذكر مرويات واهية ضعيفة، وبعضها لا أصل له؛ أقرب إلى مرويات القصاصين! وبعضها أصلها صحيح. فسيدنا بلال بن رباح رضي الله عنه المتوفى سنة ٢٠هـ؛ سيدنا وتاج رؤوسنا أعزه الله بالإسلام، مناقبه مسطورة في صحائف من نور؛ في صحيحي البخاري ومسلم، وسائر كتب السنة، وكتب التراجم والسير. فهو أول من أسلم من العبيد، وأول من أذن، فمناقب كثيرة، وله في الصحيحن ٤٤ حديثاً..

على أية حال أنصح صاحب المقال: يا رعاك الله بارك الله فيك؛ لزام عليك أن تذكر مستندك ومرجعك عند نقلك لمثل هذه المرويات.. فليس كل ما يلمع ذهباً!!.

ومن باب هو الطهور ماؤه! أضيف أيضاً إن من دخل مع النبي صلى الله عليه وسلم الكعبة عندما فتح مكة المكرمة عام ٨ هجرية كما في صحيح مسلم هم: بلال، وعثمان بن طلحة، وأسامة بن زيد رضي الله عنهم.

ذكر مسلم في صحيحه بسنده: عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم البيت وأسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة، فأغلقوا

عليهـم البـاب، فلمـا فتحـوا البـاب كنـت أول داخـل، فلقيـت بـلالًا فسـألته: هـل صلـى فيـه رسـول الله صلى الله عليه وسلم؟ قـال: نعـم، بيـن العموديـن اليمانيين»أهـ

كمـا أختـم بـكلام نفيـس للحافـظ ابـن حجـر رحمـه الله فـي فتـح البـاري مـن كتـاب الحج عند شرحه لحديث دخول الرسول صلى الله عليه وسلم الكعبة ومعه بلال أسامة وعثمان بن طلحة رضي الله عنهم: «وفيه أن الفاضل من الصحابة قد كان يغيب عن النبي صلى الله عليه وسلم في بعض المشاهد الفاضلة، ويحضره من هو دونه، فيطلع على ما لـم يطلع عليه؛ لأن أبا بكر وعمر وغيرهما ممن هو أفضل من بلال ومَن ذُكِر معه، لـم يشـاركوهم فـي ذلك»أهـ.

نسـأل الله العظيـم أن يفقهنـا فـي ديننـا وأن يكشـف عنـا وعنكـم وعـن أمة الإسـلام الغموم والهموم والأمراض والأسقام.

هذا جوابي على عجالة وجزاكم الله خيراً.

د. هاني السباعي

تاريخ ٢٢ شوال ١٤٤١هـ الوافق ١٣ ينية ٢٠٢٠

# سؤال هل يجوز أن يقول قائل «بل الغوطة موعدهم والغوطة أدهى وأمر»؟

د. هاني السباعي

نص السؤال: السلام عليكم .. قال قائل: «أقسم بالله سيهزم الجمع ويولون الدبر بل الغوطة موعدهم والغوطة أدهى وأمر وإن شاء الله الأيام القادمة حواسم».. هل يجوز مثل هذا الاقتباس والتشبيه ألا يعد هذا تحريفا لكلام الله سبحانه وتعالى بجعل الغوطة كأنها الساعة أرجو البيان. وجزاكم الله خيراً.

الجواب

وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد: بالنسبة للاقتباس من القرآن الكريم أو التمثل بالقرآن أو الحديث النبوي؛ منه ما هو مقبول، ومنه مباح، ومنه ما هو حرام .. . فالاقتباس هو تضمين الكلام نثراً أو شعراً شيئاً من القرآن الكريم أو الحديث النبوي من غير إشعار أنه منهما وهو نوع من الاستعارة البلاغية. وللعلماء كلام طويل في هذا الشأن.

وبالجملة لا بأس بالاقتباس من القرآن أو الحديث النبوي إن كان لغرض شرعي مثل الاقتباس في الخطب والمواعظ والنثر والشعر رغم أن بعض العلماء ـ أشدهم في ذلك المالكية ـ يكرهون أو يحرمون ذلك في الشعر.

وهناك من العلماء من يقولون بأنه لا فرق بين الاقتباس في النثر أو الشعر. وبالطبع يحرم بل يكفر من يقتبس من القرآن الكريم على سبيل السخرية والاستهزاء.

أما قول القائل في سؤالك «بل الغوطة موعدهم والغوطة أدهى وأمر» ومعلوم أن الآية القرآنية تنص على الساعة أي يوم القيامة؛ فهذه العبارة وليدة حماس وغيرة جراء الهجمة

الروسية الصليبية النصيرية الرافضية على المسلمين بالغوطة الشرقية، ومن ثم اقتبسها قائل العبارة من القرآن الكريم ليس على أنها آية لكن على سبيل الحكاية والتشبيه والاستعارة وإلا لكفر.

فناقل العبارة يقصد ستكون الغوطة قيامتهم وجحيمهم كأنها يوم القيامة؛ ومن ثم فلا بأس بها وإن كان الترك أولى حتى لا يظن ظان أو يشتبه على العوام أن قائل العبارة يحرف نص آية قرآنية.

وأما قوله «سيهزم الجمع ويولون الدبر» فهذا نص الآية ٤٥ من سورة القمر.. رغم أن الآية نزلت بشأن غزوة بدر سنة ٢ هجرية إلا أن هذا الاقتباس جائز بغية تحفيز الهمم؛ فقائل العبارة يقصد أن الله سيهزم الروس والنصيرية وخلفاءهما مثلما هزم كفار قريش وحلفهم.

وعلى أية حال موضوع الاقتباس من القرآن الكريم يحتاج إلى تفصيل وأفضل من كتب في هذا الموضوع العلامة السيوطي رسالة بعنوان «رفع الباس وكشف الالتباس في ضرب المثل من القرآن والاقتباس». هذا ما يحضرني حالياً والله أعلم .. بارك الله فيكم.

د. هاني السباعي

٢٠ جمادى الثانية ١٤٣٩هـ الموافق ٨ مارس ٢٠١٨

# السيرة الدعوية والعلمية للشيخ الدكتور هاني السباعي

**إعداد المهندس أبو العز**

**المشرف على موقع المقريزي**

*** تنبيه: نشرت هذه السيرة كاملة مطبوعة في كتيب بلندن يوم الأربعاء ٢٩ ربيع الأول ١٤٣٠هـ الموافق ٢٥ مارس ٢٠٠٩م. ونحن ننشرها الآن مختصرة مع ملاحظة أننا نعدلها كل فترة ثم نعيد نشرها.**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد:

**مقدمة:**

إن الدافع على كتابة هذه السيرة الذاتية الدعوية العلمية لفضيلة الشيخ الدكتور هاني السباعي هو كثرة إلحاحي عليه بكتابة ذلك لأنني أعلم أن الشيخ مستهدف والأعمار بيد الله، أو لا قدر الله تعالى قد يُغيب بسبب أو لغيره فأخبرته بفكرتي فتردد ثم وافق على أن يمليها عليّ ثم أكتبها وأصوغها. فقلت له لستُ كاتباً مثلك فلتكتبها أنت أفضل بصياغتك! فقال أكتبها أنا ثم ترتبها وتنسقها أنت لتكون بسيطة لأنه لو كتبها بأسلوبه لطالت وربما قد يحتاج إلى أسابيع ليهذبها وقد يفوت المقصود من نشرها! فاستجبت راضياً رغم أنني لست من أهل الكتابة وسيكون عملي عبارة عن إضافة لقب الشيخ أو الدكتور لأنه يكتب عن نفسه (التقيت) (فعلت) (درست) (خطبت) وهكذا فأتركها أحياناً وأترك أسلوبها كما هو دون تدخل مني وأحياناً أتدخل في هذه الإضافات البسيطة وإلا فإن الكاتب الأصلي والحقيقي هو الشيخ الدكتور هاني السباعي لأنني عرضتها عليه وقام بتعديل بعض العبارات قبل نشرها. وما أنا إلا منسق وناقل لما كتبه عليّ تحقيقاً لرغبته. نسأل الله التوفيق والسداد.

**أقول وبالله التوفيق:**

لقد أملى علي الشيخ الدكتور هاني السباعي سيرته الذاتية قراءة وكتابة فقمت بجمعها ونقدمها لكم مختصرة ونوجزها على النحو التالي:

## سيرة الدكتور هاني السباعي الدعوية في مصر

### أولاً: البداية في مكتب تحفيظ القرآن الكريم

لقد تعلم الشيخ الدكتور هاني السباعي في كتّاب المدينة (مكتب تحفيظ القرآن) على يد الشيخين رزق وحامد رحمهما الله وحفظ خمسة أجزاء من القرآن الكريم مع تعليم مبادئ اللغة العربية الأولية التي كانت تدرس في (الكتّاب)، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية النموذجية بمدينة القناطر الخيرية ثم بالمدرسة الإعدادية للبنين بمدينة القناطر الخيرية ثم مدرسة الثانوية العامة بنين بالقناطر ومنها إلى أولاً التحق بكلية الآثار جامعة القاهرة ثم تركها بسبب دراسة التماثيل ثم التحق بكلية الحقوق وتخرج فيها، وكان يرى أنه ممكن أن يفيد إخوانه المعتقلين الإسلاميين والتواصل معهم، فاشتغل في مهنة المحاماة بعد خروجه من المعتقل وشارك في معظم قضايا الإسلاميين في منتصف الثمانينات إلى عام ١٩٩٣م ثم اختفاؤه وهروبه إلى أن وصل لندن عام ١٩٩٤م.

### ثانياً: بداية الالتزام

لقد التزم الشيخ الدكتور هاني السباعي في مسجد الجمعية الشرعية بمدينة القناطر الخيرية وكانت تتمسك بالهدي الظاهر في دعوتها من لحية وعمامة وحجاب ونقاب وغيرها. وكان تأثره الحركي أثناء التغطية الإعلامية لقضية (جماعة المسلمين) (التكفير والهجرة) سنة ١٩٧٧م.

ثم شرع في حضور دروس الشيخ عبد اللطيف مشتهري رئيس الجمعية الشرعية للعاملين بالكتاب والسنة وكان يلقيها أسبوعياً في مسجد الجلاء بالقاهرة. وكان يحضر دروس التجويد للشيخ محمود رحمه الله بالجمعية الشرعية ثم دروس الشيخ عرفان بالجمعية

الشرعية بمسجد الجلاء بالقاهرة ودروس الشيخ محمود عبد الوهاب فايد الفقيه الشاعر الثائر الصابر رحمه الله تعالى. .

ثم طفق يتردد على أشهر المساجد في القاهرة والجيزة فكان يتردد على مسجد أنصار السنة (العزيز بالله) منذ تأسيسه وتوسيعه والاستماع لخطب ودروس الشيخ الدكتور محمد جميل غازي وكان يتردد على بيته في منطقة حلمية الزيتون لسؤاله والتعلم منه. وكان يتردد أيضاً على مسجد الفتح بالمعادي وخاصة في أيام الاعتكاف في رمضان ومسجد عمر بن الخطاب في الخلفاوي بشبرا الذي كان يرأسه ويؤمه الشيخ عبد الواحد رحمه الله. ثم لما شرع الشيخ حافظ سلامة ببناء مسجد النور في العباسية بالقاهرة كان هذا المسجد بمثابة قلعة للمؤتمرات والمحاضرات الأسبوعية لكبار المشايخ والدعاة في ذلك الوقت مثل الشيخ محمد الغزالي وقادة الإخوان كالأستاذ عمر التلمساني ومصطفى مشهور وغيرهم من مشاهير الحركة الإسلامية. بالإضافة إلى تردد الشيخ الدكتور السباعي واستماعه لخطب ومحاضرات الشيخ الزاهد عبد الحميد كشك رحمه الله تعالى. ومن أراد الرقائق فعليه بمسجد أنس بن مالك بالمهندسين قلعة جماعة التبليغ في ذلك الوقت والاستماع إلى خطب ومواعظ الشيخ إبراهيم عزت رحمه الله تعالى فقد كان الشيخ الدكتور هاني السباعي يحبه ويجله ويتأثر بمواعظه والمسجد في ذلك الوقت كان فعلاً كخلية النحل.

بالإضافة إلى مشاركة الشيخ ومواظبته على حلقات دروس تعليم القرآن الكريم اليومية بعد صلاة الفجر وكان يلقيها الشيخ بهجت في تبادل مع الشيخ محمود رحمهما الله بمسجد الجمعية الشرعية في القناطر الخيرية. وفي ذلك الوقت كان يذهب إلى بعض المشايخ المقرئين ليزداد من تعلم وحفظ القرآن الكريم حتى حفظ نصفه وأكمل حفظ القرآن الكريم بعد ذلك في معتقل أبي زعبل ومزرعة طرة وسجن القلعة وكان يخطب ويؤم المعتقلين في الزنزانة في ذلك الوقت.

وكان الشيخ يجوب القرى المجاورة لمدينة القناطر في الوعظ والإرشاد مع مجموعة من الشباب والأقران في ذلك الوقت ثم صار مسئولاً عن الدعوة ووكيلاً ثم رئيساً لمجلس

إدارة الجمعية الشرعية بالقناطر الخيرية وهي مؤسسة كبيرة تتبعها عدة فروع في قرى ملحقة بمركز القناطر وهذه الجمعية لديها مركزاً لتحفيظ القرآن الكريم ومركزاً طبياً في كافة التخصصات ومركزاً لفصول التقوية لطلاب المراحل الدراسية المختلفة مع عدة مشروعات لكفالة الأيتام وغيرها من مشروعات خيرية.

وإبان العدوان الشيوعي السوفييتي على أفغانستان عام ١٩٧٩م قام الدكتور هاني السباعي ومجموعة من إخوانه الدعاة في ذلك الوقت بحملات دعوية مكثفة في القرى والمدن والعديد من المساجد والأندية الثقافية لتفهيم الناس حول الوضع المأساوي في أفغانستان في المحافظات والقرى والمساجد، وكان يقود فريقاً من الشباب المتحمس المتطوعين لنشر صور الجرحى والعمليات العسكرية وصور قتل الأطفال مع صور أيضاً المجاهدين، وكانت هناك حملات تبرع سخية من كافة طوائف الشعب المصري المسلم في تلك الفترة بالإضافة إلى المؤتمرات الجماهيرية والندوات والصلوات في المساجد والدعاء لمجاهدي أفغانستان، والمد الإسلامي كان على أشده آنذاك.

## ثالثاً: الدروس التي كان يلقيها في مصر وبعض البلاد الإسلامية

(١)كان يلقي درساً شبه يومي عقب صلاة الفجر في مسجد الجمعية الشرعية بالقناطر قراءة في صحيح البخاري شرح ابن حجر العسقلاني من فتح الباري من الجزء الأول حتى نهاية كتابة المغازي أي إلى الجزء الثامن ثم توقف عند بداية كتاب التفسير من صحيح البخاري.

(٢)كان الشيخ الدكتور هاني السباعي يلقي عقب صلاة العصر درساً في الفقه أكمل فيه فقه العبادات من كتاب فقه السنة.

(٣)كان يلقي درساً أسبوعياً كل يوم خميس وجمعة بين المغرب والعشاء في مسجد الجمعية الشرعية بالقناطر ثم مسجد عمر بن عبد العزيز بمنطقة بولاق الدكرور بمحافظة

الجيزة في التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية ومشاكل الأقليات المسلمة في العالم الإسلامي. وكان قد شرع في شرح سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم من كتاب البداية والنهاية لابن كثير مروراً بفتوحات الصحابة والتابعين حتى خلافة الوليد بن عبد الملك.

(٤) للشيخ الدكتور هاني السباعي شرح مسجل للعقيدة الطحاوية في أربعة إِشرطة كاسيت مدة الشريط الواحد ساعة ونصف مسجلة في مسجد عمر بن الخطاب بالقناطر الخيرية.

(٥) شرح كتاب قواعد التحديث للقاسمي والمنظومة البيقونية في مصطلح الحديث.

(٦) شرح ولخص وهو معتقل في سجن أبي زعبل كتاب شذور الذهب لابن هشام وكان يحضر دروسه بعض الطلبة في كلية التربية قسم اللغة العربية.

(٧) شرح ولخص بعد خروجه من المعتقل كتاب (قطر الندى وبل الصدى) وكتاب شذا العرف في فن الصرف للعلامة الحملاوي وكان معظم الطلبة من طلاب المعاهد الأزهرية ثم لما ذهب إلى السودان كان يشرح نفس هذا الكتاب (شذا العرف) لإبراهيم رحمه الله وهو الابن الأكبر للشيخ محمد شرف (أبي الفرج اليمني) فك الله أسره. .

(٨) شرح ولخص كتاب أصول الفقه للشيخ أبي زهرة مستعيناً بكتب أصول الفقه المقارن المعاصر للشيخ مصطفى شلبي والدكتور عبد المجيد مطلوب والدكتور عبد الكريم زيدان.

(٩) للشيخ الدكتور هاني السباعي دروس ومناظرات مع جماعة التبليغ وبعض جماعة التوقف والتبين والصوفية وغيرهم في مسجد الجمعية الشرعية بالقناطر وبعض المساجد الأخرى المحيطة بمركز المدينة.

(١٠) للشيخ السباعي دروس وخطب جمعة في مواضيع متنوعة في الشريعة الإسلامية بالإضافة إلى خطب العيدين الفطر والأضحى التي كانت تقام في حدائق القناطر الفسيحة التي يؤمها الألوف من الناس لأداء الصلاة.

(١١) كان يلقي بعض الدروس في دولة عربية لمجموعة من الشباب ويشرح لهم كتاب (بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد) شرحاً وتلخيصاً.

(١٢) وكان يلقي دروساً في السيرة النبوية في بلد إسلامي وله دروس مسجلة على شرائط كاسيت كيف تدار الدولة الحديثة.

(١٣) كتب رسالة في أحكام الديار وتقسيمها قبل أن يظهر كتاب العمدة وكتاب الجامع وكان يدرس هذا البحث على كثير من الشباب في مختلف المحافظات المصرية.

(١٤) قام باختصار وشرح أحكام الجهاد والردة من كتاب المغني لابن قدامة قبل أن تظهر الكتب المشهورة حالياً وكان يركز في دعوته للشباب المتمسك بدينه على قراءة أحكام الجهاد والردة من كتاب المغني لأهميته.

(١٥) قام بتدريس وتلخيص كتاب الصواعق المرسلة للحافظ ابن القيم ودرس كتاب العقيدة الوسطية لابن تيمية شرح العلامة الدكتور محمد خليل هراس وذلك في السجن ولمجموعة من الشباب في مدينة القناطر الخيرية.

(١٦) قام وهو في السجن بكتابة متن سلم الوصول للحكمي قبل ان يظهر المتن مطبوعاً في الآونة الأخيرة.

(١٧)بعد خروجه من السجن قام بكتابة متن الخرقي في الفقه الحنبلي كاملاً قبل أن يظهر مطبوعاً في الآونة الأخيرة.

(١٨) كان يحفظ عدة متون مثل متن العقيدة الطحاوي ومتن سلم الوصول والمنظومة البيقونية في مصطلح الحديث ونصف متن الخرقي وكان يحفظ حوالى مائتي بيت من ألفية ابن مالك في النحو وعددا لا بأس به من ألفية السيوطي في علم الحديث.

(١٩) كتب رسالة في حكم النقاب لخصها من بعض كتب التفسير والفقه قبل شيوع الكتب التي أفردت كتباً للنقاب مؤخراً وكانت هذه الرسالة يصورها الشباب ويوزعونها في المدارس وبعض المعاهد الأزهرية والكليات الجامعية في مصر في ذلك الوقت.

(٢٠)شرح كتاب تأويل مختلف الحديث لا بن قتيبة الدينوري في دروس رمضانية في مسجد الجمعية الشرعية بالقناطر الخيرية.

(٢١) له بحث في خيار الرؤية (قضايا البيوع) في الشريعة الإسلامية دراسة مقارنة.

(٢٢) كتب وهو في سجن مزرعة طرة بمصر رسالة بسيطة بعنوان (بديع الكلمات من بديع المقامات) وهي عبارة عن قاموس لغوي مختار للكلمات الغريبة والبديعة من قامات بديع الزمان الهمذاني والحريري.

## رابعاً: العلماء والمشايخ الذين درس على أيديهم وحضر دروسهم

(١) فضيلة الشيخ محمد عبد اللطيف مشتهري رئيس الجمعية الشرعية للعاملين بالكتاب والسنة بجمهورية مصر العربية رحمه الله تعالى.

(٢) فضيلة الشيخ الدكتور محمد جميل غازي خطيب ورئيس جمعية أنصار السنة رحمه الله تعالى.

(٣) الشيخ الدكتور محمد مصطفى شلبي وله كتاب قيم من أفضل من كتب في هذا الشأن (تعليل الاحكام) بالإضافة إلى كتابه النافع في أصول الفقه.

(٤) الأستاذ الدكتور محمد بلتاجي حسن كان عميداً لكلية دار العلوم ورئيساً لقسم الشريعة الإسلامية بالجامعة وكان يشرح لنا في قسم الدراسات العليا قسم الشريعة الإسلامية كتابه الماتع (عقود التأمين من وجهة الفقه الإسلامي) وبالإضافة إلى كتبه الأخرى في مجالات شتى في الشريعة الإسلامية ككتابه الملكية الفردية في النظام الإسلامي.

(٥) الأستاذ الدكتور عبد المجيد مطلوب رئيس قسم الشريعة الإسلامية في كلية الحقوق جامعة عين شمس وكان قد عرض عليه منصب الإفتاء فرفض وقال قولته الشهيرة (لا أكون شيخ هلال)! عملت معه حواراً في مجلة الفرقان التي كنت رئيس تحريرها. لقد درس لنا كتابه أصول الفقه ثم كتاب الفضالة في الشريعة الإسلامية في قسم الدراسات العليا وله مساهمات وكتابات في الفقه الإسلامي متنوعة.

(٦) الأستاذ الدكتور محمد علي محجوب وزير الأوقاف الأسبق كان يدرس لنا أحكام الزواج والطلاق في الفقه الإسلامي.

## خامساً: أما عن الشيوخ والعلماء والدعاة الآخرين نخص منهم

أ) فضيلة الشيخ الداعية البليغ الزاهد الورع **عبد الحميد كشك** لقد التقيته وكنت أواظب على حضور معظم خطبه في مسجد عين الحياة بحدائق القبة بالقاهرة إلى أن اعتقله السادات في قرارات التحفظ الشهيرة سنة ١٩٨١م ثم توفي وهو ساجد قبيل ذهابه لصلاة الجمعة في ٢٥ من شهر رجب ١٤١٧ هـ الموافق الموافق ٦ من ديسمبر ١٩٩٦م رحمه الله رحمة واسعة.

ب) الشيخ **الدكتور عبد الرشيد صقر** التقيته وزرته في بيته في شارع مسرة بشبرا واستمعت إليه وإلى دروسه وخطبه في مسجد المنيل حتى أوقفته وزارة الأوقاف بناء على طلب مباحث أمن الدولة لأن خطبه كانت مؤثرة جداً ومسجد المنيل كان قريباً من سفارة العدو الإسرائيلي بالجيزة. توفي رحمه الله في نفس الأسبوع الذي توفي فيه الشيخ عبد الحميد كشك عام ١٤١٧هـ الموافق ١٩٩٦م.

ج) **الأستاذ الشيخ محمد الغزالي** استمعت إلى خطبه ودروسه ومحاضراته سواء في مسجد النور بالعباسية أو في نقابة المحامين والمؤتمرات الطلابية التي كانت تعقد في جامعات القاهرة وعين شمس والأزهر رغم ما في منهجه من مقال.

د) فضيلة الشيخ الداعية **طه عبد الله السماوي** الذي كان يتكلم العربية بطلاقة بدون تكلف لا يلحن فيها كأنه يملك ناصيتها! التقيته في سجن أبي زعبل واستمعت إليه وإلى شعره وآرائه وثباته وحتى مرات قلائل بعد خروجه ولقد ظلم هذا الشيخ ظلماً كثيراً من إعلام النظام المرتد في مصر ومن معظم قيادات الحركة الإسلامية رحمه الله رحمة واسعة.

هـ) فضيلة **الشيخ صلاح أبو إسماعيل** لقد التقيته شخصياً في مرات عديدة واستمعت إلى دروسه وإلى خطبه سواء في المساجد أو المؤتمرات أو المعسكرات الصيفية ولقد تغير في آخر حياته إلى أفضل حال نحسبه كذلك، وله شهادة تاريخية في قضية الجهاد الكبرى عام ١٩٨٤م ثم شهادته الأقوى والأوضح في ردة النظام وقضاته في قضية (الناجون من النار) ثم توفي بعدها في الجزيرة رحمه الله.

و) **الشيخ محمد عمر إلياس** المشهور بالشيخ عبد الله بن عمر قتل شهيداً نحسبه كذلك في أحداث الحرم في فتنة جهيمان عام ١٤٠٠هـ كان يركز على الجانب العقدي في خطبه بطريقة فريدة في غاية الحسن والحماس من استمع إلى خطبه اليوم يظن أنه يعيش بيننا الآن كنا في مسجد الجمعية الشرعية قد جمعنا معظم خطبه ودروسه ولكن للأسف الشديد علمت فيما بعد أن تركت مصر أنهم قد مسحوها خوفاً من الأمن! أتمنى أن تكون هناك بقية من خطبه محفوظة لدى أحد محبيه لتنشر وتنزل في المواقع في الأنترنت ليستفيد الشبيبة الجدد من هذا الشيخ الذي سابق أقرانه وزمانه في فهم أصول الدين والعقيدة بمراحل. رحمه الله رحمة واسعة.

ز) **الأستاذ عمر التلمساني** المرشد العام للإخوان المسلمين (الأسبق) التقيته عدة مرات في مقر مجلة الدعوة في سوق التوفيقية بالقاهرة وفي مؤتمرات عدة في مساجد مختلفة وفي لقاءات بجامعة القاهرة.

ح) **الأستاذ مصطفى مشهور** التقيته وأجريت معه حوارا لمجلة القلم الحق في مقر مجلة الدعوة بسوق التوفيقية، والتقيته في مناسبات عدة ودعوته لإلقاء محاضرة في مسجد الجمعية الشرعية بالقناطر في عام ١٩٧٩ و١٩٨٠ فلبى واستمعت إليه وإلى أجوبته وكان أكثر قيادات الإخوان التزاماً وتمسكاً وتفهماً للحركات الإسلامية الأخرى.

ط) الشيخ **الداعية المجاهد حافظ سلامة** التقيته واستمعت إليه عدة مرات في مسجد النور بالعباسية ومؤتمرات أخرى وكان معي في سجن القلعة والتقيته عدة مرات ونحن في عربة الترحيلات إلى نيابة أمن الدولة أو المحكمة وكان على رأس المتهمين في

قضية إعادة تنظيم الجهاد في منتصف عام ١٩٨٢م لا يزال على قيد الحياة نسأل الله أن يبارك في عمره وأن يحفظه بحفظه الجميل.

ي) **الأستاذ الشاعر جمال فوزي** شاعر الإخوان المعروف التقيته في مقر مجلة الدعوة بسوق التوفيقية وكان كبير السن مثقفاً مهذباً متواضعاً يستقبلك ببشاشة.

ك) الشيخ الفقيه الشاعر الأديب الموسوعي الصادع بالحق محمود عبد الوهاب فايد أحد علماء الأزهر والجمعية الشرعية رحمه الله.

وهناك العديد من المشايخ كالشيخ حسن أيوب والشيخ آدم والشيخ العدوي والشيخ عرفان رحمهم الله، والدعاة وطلبة العلم من مختلف الحركات الإسلامية من سلفية وإخوان وجماعة إسلامية وجهاد وتبليغ وتكفير وبراءة وتوقف وتبين وناجون من النار وغيرهم ما لو ذكرنا أسماءهم لطال المقال.

**سادساً: ومن قيادات الحركات الجهادية الإسلامية**

قال لي الدكتور هاني السباعي إنه التقى بكثير من قيادات الجماعة الإسلامية والجهاد سواء الذين ثبتوا على الحق أو الذين تراجعوا نسأل الله أن يرد من تراجع منهم إلى الحق ونخص منهم على سبيل المثال:

(١) الشيخ المجاهد الزاهد الدكتور أيمن الظواهري حفظه الله تعالى وجعله شوكة في حلوق أعداء الإسلام فهو أنموذج للتواضع ونكران الذات والتفاني في خدمة إخوانه وكان مضرب المثل في الصبر على شظف العيش هو وزوجته الشهيدة أم محمد نحسبها كذلك ولا نزكي على الله أحداً لقد قتلت بصواريخ الغدر الأمريكية إبان العدوان الغاشم البربري على أفغانستان عام ٢٠٠١م في منطقة خوست ومعها ابنها محمد وإحدى بناتها وخمس أسر مصرية كانوا في نفس البيت رحمهم الله جميعاً.

(٢) الشيخ الصوام القوام الصابر المحتسب المهندس محمد الظواهري كان كأخيه في دماثة الخلق والأدب الإسلامي الرفيع وكان مثالاً للتواضع وأنموذجاً لتعلم كيفية التكتم وكان

يطبق قول الرسول صلى الله عليه وسلم (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) لقد سلمته دولة الإمارات غدراً وعدواناً إلى زبانية مصر منذ عام ١٩٩٧م ولا يزال مصراً على رفض تراجعات أمن الدولة نسأل الله أن يثبته على الحق.

(٣) القائد العملاق المتواضع بحق المجاهد بحق الشيخ الشهيد أبو عبيدة البنشيري (علي أمين الرشيدي) الذي استشهد غرقاً في بحيرة فكتوريا عام ١٩٩٦م كان محبباً مهتماً بأحوال المسلمين في كل مكان خاض معارك مشرفة في أفغانستان رحمه الله رحمة واسعة.

(٤) الشيخ الشهيد نحسبه كذلك محمد عاطف الشهير بأبي حفص المصري بطل شجاع كريم شهم ذو دعابة في هيبة ووقار مع تواضع وصبر وجلد عظيم خاض معارك مشرفة في أفغانستان ذاع صيته وظهرت نجابته وحنكته وإدارته خارج مصر ولا سيما بعد تعرفه على صنوه وتوأمة روحه الشهيد أبي عبيدة البنشيري. قتل مع كوكبة من الشهداء في قصف صاروخي على المنزل الذي كانوا يقيمون فيه في الأيام الأولى للاحتلال الأمريكي الغاشم لأفغانستان سنة ٢٠٠١م.

(٥) الشيخ الضابط أبو خالد عبد العزيز الجمل شخصية لا يصلح إلا أن يكون قائداً إذا جلست معه قد لا تصدق أن هذا الرجل كان يوماً ضابطاً مصرياً عمل في الجيش المصري لأنك ستجد شخصية متدينة يكثر من قراءة القرآن الكريم والاستشهاد بأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويواظب على الأذكار ويحب الشعر ومدرباً محترماً. لقد سلمته دولة اليمن إلى زبانية مصر. ثم حكم عليه بالمؤبد وظل حتى أطلق سراحه بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ ثم سافر إلى الشام أرض الرباط.

(٦) الأخ الصديق المجاهد ثروت صلاح شحاته مثال للكرم والشهامة والتواضع وحب إخوانه وكان ومعه بعض الأخوة سبباً في انتشار الفكر الجهادي في القاهرة والشرقية والقليوبية ومحافظات وجه بحري بصفة خاصة بل له تأثير من خلال علاقاته مع بعض الإخوة في وجه قبلي. بعد غزو أمريكا لأفغانستان هرب منها لإيران فاعتقلته السلطات

الإيرانية لسنوات ثم أطلق سراحه وسافر إلى ليبيا ومنها إلى مصر فقبض عليه بعد انقلاب السيسي عام ٢٠١٣ ومهدد بتنفيذ حكم إعدام ظلما بحق نجاه الله وإخوانه.

(٧) الأخ الصديق عادل عبد المجيد أعرفه منذ أن كان طالباً في كلية الحقوق جامعة عين شمس وقابلته في مسجد النذير بالزاوية الحمراء إبان فتنة اعتداء النصارى على مسجد النذير بالقاهرة ثم توطدت العلاقة أثناء وبعد السجن في مصر ثم رحل إلى لندن واستقر فيها طالباً للجوء السياسي وهو الآن معتقل ظلماً في بريطانيا منذ عام ١٩٩٩م بزعم طلب محاكمته في أمريكا. نسأل الله أن يفك أسره وإخوانه المسجونين وأن يرده إلى أهله ويحفظه الله بحفظه الجميل.

(٩) الأخ الصديق الشيخ المجاهد الأصولي أبو عمرو مرجان مصطفى سالم لقد اجتهد ووصل إلى منزلة عالية في العلوم الشرعية له كتاب التبيان في أحكام الكفر والإيمان من خمسة أجزاء وتعليقات مفيدة في شرحه لأجزاء من صحيح البخاري، تولى رئاسة اللجنة الشرعية في تنظيم الجهاد ثم عين قاضياً في بعض القضايا الخاصة بجماعة الجهاد وله أبحاث شرعية مثل الحكم والتشريع والمناطات المكفرة، ورسالة تعريف الجهاد وبيان مقاصده ورسالة في حكم العمليات الاستشهادية، ورسالة في الرد على شبهة أن المجاهدين لا راية لهم ولا منهج، وأبحاث وفتاوى أخرى قيمة ونافعة! وله نزعة استقلالية نزيهة وآراء في السياسة الشرعية سديدة! رحله النظام السوري إلى مصر إبان حكم المخلوع مبارك وأطلق سراحه بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ ثم اعتقل عقب انقلاب السيسي ثم توفي في سجن طرة العام ٢٠١٥ تقبله الله في الشهداء.

(١٠) الأستاذ منتصر الزيات المحامي الشهير رجل اجتماعي يواسي أصدقاءه وإخوانه في محنهم بحكم تجربتي الشخصية معه كان يعلم الكثير عن أبناء الحركة الإسلامية لا سيما الجهادية بجميع فروعها ولم أعلم أنه وشى بأحدهم، فأنا على سبيل المثال لما أردت الهروب من مصر كان يعلم أنني سأخرج ولما سلمت عليه شدد علي وقال أرجوك لا تخبرني أين ستذهب! وفعلاً لم يعلم أين ذهبت! وسافرت! دعاني قديماً لإلقاء محاضرات

في مسجد عمر بن عبد العزيز الذي كان يدرس فيه الشهيد نحسبه كذلك محمد عبد السلام فرج صاحب الفريضة الغائبة، ومسجد آخر بشارع زنين ببولاق الدكرور، وهناك التقيت الشهيد نحسبه كذلك أحمد النجار الذي اختطفه الأمريكان من ألبانيا وحكم عليه بالإعدام في مصر وكان حافظاً لكتاب الله داعية معروفاً وكان أحد أقطاب الحركة الجهادية!

والعديد من قيادات الحركة الجهادية في ذلك الوقت سواء ثبتوا الآن أم تغيروا! أنا أحكي على فترة قديمة مثل سمير خميس ومحمد عبد اللطيف وغيرهم. كان الأستاذ منتصر الزيات قلبه مع تنظيم الجهاد وعقله مع الجماعة الإسلامية! تعرض لفتن في السجن وبعده واعتقل عدة مرات اتهم في قضية إعادة تنظيم الجهاد الكبرى وكان على رأس القائمة. كريم شهم لقد دافع عن أبناء الحركة الإسلامية من منتصف الثمانينات وحتى وقتنا الحالي. كان الداعي الأول لمبادرات ما يسمى بوقف (العنف) العمل المسلح ضد الحكومة المصرية وروج لمبادرة الأخ خالد إبراهيم أمير الجماعة الإسلامية بأسوان وجهت إليه جماعة الجهاد حملة انتقاد واسعة في مجلة (المجاهدون) ونشرة (كلمة حق) التي كان يشرف عليه شخصياً الدكتور أيمن الظواهري. لقد نصحته بعد صدور كتابه (الظواهري كما عرفته) أن يكتب اعتذاراً عن بعض العبارات التي وردت في الكتاب فوافق وطلب مني أن أنشر تعليقاً وتعقيباً على الأخطاء التي قيلت في حق الدكتور أيمن الظواهري ونشرها في الطبعة الثانية وفي جميع الصحف التي نشرت هذه الأكاذيب عن فترة سجن الدكتور أيمن الظواهري في تلكم الفترة! بل إنه نشر بياناً في الصحف قرر فيه عدم نشر الطبعة الثالثة من نفس الكتاب المذكور! وأعتقد أنه لا يزال يكن كل احترام للدكتور أيمن الظواهري ولدوره القيادي والتاريخي للحركة الإسلامية الجهادية في مصر وعلى مستوى العالم! أما عن موضوع المبادرة أعتقد أن الأستاذ منتصر مع التأكيد على اختلافي معه في هذا الموضوع من أساسه! لم يكن يتصور أن الأمور ستصل إلى حد الانهيار التام والانحطاط الخلقي خاصة مع تراجعات الدكتور سيد إمام! لقد اتسع الخرق على الراقع! وخرج زمام هذه التراجعات والمبادرات عن الباعث الذي انطلقت بسببه بزعم

تخفيف الضغط على شباب الجماعة الإسلامية في السجون والإفراج عن قيادته التاريخية! فصار أحدهم يتزلف إلى النظام لدرجة أن يصرح مختار حمزة في مجلة المصور أن من يخالف فكر الجماعة سيبلغ عنه أمن الدولة! وصار الحبل على الجرار! حتى قال أحد زعمائهم السادات قتل شهيداً!! وبعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ لاتزال قيادة الجماعة الإسلامي مصرة على غيها وتراجعاتها عن الحق.

(١١) الشيخ المجاهد المحتسب الزاهد أحمد سلامة مبروك قضى سبع سنوات في السجن في قضية الجهاد الكبرى عام ١٩٨١ من الرعيل الأول المؤسس لتنظيم الجهاد، كان متأثراً جداً بشخصية الشهيد نحسبه كذلك الرائد عصام القمري. كان أحمد سلامة مبروك شديداً على نفسه لا يلبس إلا كفافاً ولا يأكل إلا كفافاً، كتوماً لا يتكلم كثيراً حسن العبادة اختطفته المخابرات الأمريكية من أذربيجان وسلمته إلى زبانية التعذيب في مصر وتعرض لتعذيب وحشي ثم لحملات ترغيب وترهيب شديدة لكي يوافق على تراجعات الدكتور سيد إمام لكنه رفض وكتب عدة بيانات أرسلها من السجن إلى الصحف ينفي فيها أية موافقة له على تراجعات أمن الدولة. وأطلق سراحه بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ ثم سافر إلى سوريا وله بصمات طيبة في النصح والإرشاد للشباب حتى استشهد بطائرة الغدر الأمريكية عام ٢٠١٦ تقبله الله شهيدا.

(١٢) الشيخ العلامة الزاهد الورع رفاعي سرور من الرعيل الأول للحركة الإسلامية الجهادية كان الشيخ الدكتور أيمن الظواهري يثني عليه كثيرا ويقول لقد استفدت منه كثيرا. اتهم في قضية الجهاد الكبرى عام ١٩٨١ وظل في السجن عدة سنوات. واعتقل أبناؤه إبان حكم مبارك وبعد انقلاب السيسي ٢٠١٣ اعتقل ابنه الأكبر يحيى وزوج ابنته فرج الله عنهما وجميع أسرى المسلمين. الشيخ العلامة رفاعي سرور له مؤلفات جادة وتحليلات صائبة كان نسيج وحده في الكتابة والدعوة اقرأ إن شئت عندما ترعى الذئاب الغنم وأصحاب الأخدود وقدر الدعوة، وحكمة الدعوة، التصور السياسي للحركة الإسلامية، في النفس والدعوة، المسيح بن مريم تصور سلفي، وعلامات الساعة الكبرى وغيرها.

كان الشيخ رفاعي خفيف الظل باسما ضحوكاً رغم ورعه وزهده كتب لي مقدمة لكتابي مصادر السيرة النبوية توفي وهو يتوضأ بمسجد بالمطرية رحمه الله عام ٢٠١٢.

(١٣) المقدم عبود الزمر لقد زرته عدة مرات في السجن، عقلية منظمة طموح كان يأمل أن يحقق أتباعه أشياء كثيرة لكنه أصيب بخيبة الأمل فيهم ونظراً لطول مكثه وعدم تحرك أتباعه خارج السجن بأية أعمال إيجابية انضم إلى الجماعة الإسلامية مع ابن عمه الدكتور طارق عبد الموجود الزمر أطلق سراحهما بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ وللأسف انتكسا. نعوذ بالله من الحور بعد الكور. نسأل الله أن يردهما للحق.

(١٤) الشيخ الأصولي الفقيه المناظر البارع مصطفى شامية من قيادات الجهاد القدامى له باع طويل في مناظرات جماعات التكفير والشوقيين خاصة في مكتبته بمنطقة شبرا الخيمة له رسائل شرعية قيمة (رسالة في أسباب اختلاف الحركات الإسلامية) ومن أفضل من تكلم عن قضية العذر بالجهل وبين وضعها الطبيعي في العمل الإسلامي استعرضها بالتفصيل قبل أن تظهر الكتابات الحديثة مثل كتاب الجامع وبعض المشايخ الذي كتبوا فيما بعد حول قضية العذر بالجهل! يعتبر الشيخ مصطفى شامية من أفضل المنظرين الأصوليين ومن أحسن المشايخ فهما لعبارات شيخ الإسلام ابن تيمية وكان يرد على القطبيين في غاية الروعة والدقة، وكان من أوائل من رد على الشيخ الدكتور عبد المجيد الشاذلي في كتابه حد الإسلام. كان الشيخ مصطفى شامية فقيراً مبتلى صبوراً وكان صاحب عبادة له سمت هادئ ولديه علاقة أخوية حميمة مع فضيلة الشيخ رفاعي سرور الشيخ الداعية الزاهد صاحب الكتب الشرعية النافعة الفريدة في بابها مثل عندما ترعى الذئاب الغنم وقدر الدعوى وعلامات الساعة الكبرى وأصحاب الأخدود وغيرها! والشيخ مصطفى شامية من أقران الدكتور محمد تامر والاخ الدكتور تامر له حكاية طيبة عندما كنا في سجن أبي زعبل وكان التعذيب على أشده وقد حلقوا لنا رؤوسنا ولحانا بالقوة وبالضرب ولما وضعونا في الزنزانة وكان كل أخ يشعر بحزن لا يعلمه إلا الله من هذا الهوان الذي لا نستطيع دفعه وخاصة أنهم شوهوا أشكالنا! ثم أدخلوا علينا شاباً ناله من الإيذاء ما قد

نالنا أو يزيد ثم حانت صلاة العشاء فقمنا وتقدم للصلاة وقرأ ما تيسر من سورة يوسف بصوت جميل كأنه قادم من السماء أبكانا وأراح قلوبنا وأزال الله عنا هذه الغمة فيما بعد والحمد لله. ثم قابلت الدكتور تامر فيما بعد مرات قليلة في شهادة في قضية تعذيب تقريباً في إحدى محاكم القاهرة. وكان لغوياً درعمياً خريج كلية دار العلوم بجامعة القاهرة حتى نال درجة الدكتوراه ثم صار محققاً للعديد من الكتب النافعة وأهمها كتاب الإحكام في أصول الأحكام لا بن حزم وهي عبارة عن أصل رسالة الدكتوراه التي حصل عليها وكانت بعنوان (مصادر الأحكام عند ابن حزم الظاهري دراسة أصولية مقارنة) وكانت تحت إشراف أستاذنا الدكتور محمد بلتاجي رحمه الله، ويعتبر من أفضل التحقيقات المطبوعة، وكنت أود أن يكثر من التعليقات المفيدة في الهامش وأن يشير إلى الحكم على صحة الحديث بدل اكتفائه بذكر المصدر ورقم الحديث! فيا حبذا لو تدارك ذلك في طبعة ثانية! ولكنه آثر الاختصار خشية الإطالة أو بسبب ضغط الناشر! غير أني لا أعلم عنه أية أخبار إلا ما أطلع عليه من تحقيقاته للكتب، نسأله سبحانه وتعالى أن يثبتنا وإياه والشيخ مصطفى شامية وإياكم على الحق.

(١٥) الأخ الشهيد الدكتور علاء محي الدين: قبض الله روحه طاهرة نقية قبل التراجعات المهينة! فلم يغير ولم يبدل الدكتور علاء محي الدين المتحدث الإعلامي للجماعة الإسلامي كان شعلة من الحركة يجوب البلاد طولاً وعرضاً لا يهدأ حتى أطفأت نور بركته الدعوية رصاصة غدر أمن الدولة في منطقة الطالبية بالهرم فأردته قتيلاً شهيداً نحسبه كذلك. وقد قابلته عدة مرات ودعوته في بيتي واستضفته ليلقي خطبة الجمعة في مسجد الجمعية الشرعية بالقناطر عدة مرات يأتي متخفياً ثم أحضر له ملابس بديلة حتى يستطيع الهروب من رقابة الأمن في المسجد! رحمه الله رحمة واسعة!

(١٧) ومن الحركة السلفية هناك العديد من الأسماء أخص بالذكر من مشاهيرهم الشيخ حجازي محمد حجازي الشهير بالشيخ أبي إسحاق الحويني تعرفت عليه عن طريق أخ صديق اسمه الدكتور محمد أبو حجر ثم زارنا الشيخ الحويني في الجمعية

الشرعية وكنت رئيساً لإدارتها في ذلك الوقت وزرته في مكتبته في كفر الشيخ، وكان الإخوة السلفيون في كفر الشيخ في تلكم الفترة على قلب رجل واحد ثم فجأة دب فيهم الخلاف بسبب أتبا ع الشيخ أسامة عبد العظيم الذي قلل من علم الشيخ الحويني وسخر من مؤلفاته كتابه (جنة المرتاب)، ثم وصل الأمر أنهم اختلفوا حول إمامة صلاة العيد التي كانت تقام في استاد مدينة كفر الشيخ! وتبدلت الأحوال وباض الشيطان وفرخ في عقول بعض هؤلاء المتعصبين! فلا حول ولا قوة إلا بالله! أما الشيخ الحويني فمن أحسن مشايخ السلفيين التزاماً هو والشيخ الدكتور محمد إسماعيل الذي لم أقابله إلا في سجن أبي زعبل في مرات عابرة في القسم الصناعي! أما الشيخ أبو إسحاق فأعرفه شخصياً وأعرف حماه الشيخ حسين شراقة الذي زارني في بيتي وقدمته لخطبة جمعة وكان يتردد بين فينة وأخرى يزورنا في مسجد الجمعية الشرعية! ولا أعلم هل لايزال حياً أم توفاه الله تعالى! فقد كان رجلاً أحسبه من الصالحين! وآخر مرة التقيت الشيخ الحويني كان في محافظة كفر الشيخ سنة ١٩٩٠م تقريباً وأتابع أخباره من وسائل الإعلام.

لكنني سألت الدكتور هاني السباعي هل قابلت الشيخ أسامة بن لادن. نفى وقال بالنص: للأسف الشديد لم أتشرف بلقاء الشيخ المجاهد أسد الإسلام والمسلمين أسامة بن لادن حفظه الله ورعاه. وهناك أسماء أخرى لم نشأ ذكرها خشية الإطالة ولأسباب أخرى نتركها لفطنة القارئ.

**سيرة علمية دعوية مختصرة للدكتور هاني السباعي:**

* حاصل على درجة دكتوراه في إثبات جريمة القتل العمد في الشريعة الإسلامية مقارنة بالقوانين الوضعية.

* حاصل على درجة ماجستير في القصاص في الشريعة الإسلامية مقارنة بالقوانين الوضعية.

* حاصل على إجازة في قراءة القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية بطرق ثلاث مسندة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

* حاصل على إجازة في قراءة القرآن الكريم برواية البزي وقنبل عن ابن كثير المكي من طريق الشاطبية.

* له عدة مؤلفات وأبحاث ومقالات وخطب وحوارات باللغة العربية والإنجليزية.

*رئيس مجلس إدارة الجمعية الشرعية بالقناطر الخيرية من عام ١٩٨٧ إلى عام ١٩٩٠.

*كاتب متخصص في التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية.

*اختير مستشاراً تاريخياً لمركز الدراسات الإسلامية بأستراليا.

*مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية بلندن.

بعض مؤلفاته

(١) كتاب دور رفاعة الطهطاوي في تخريب الهوية الإسلامية - إصدارات مركز المقريزي بلندن عام ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٢) كتاب الصراع بين المؤسسات الدينية والأنظمة الحاكمة من إصدارات مركز المقريزي بلندن عام ١٤٢٣هـ ٢٠٠٢م؟ وطبعة ثانية عام٢٠١٩ مطبوعات المكتب العالمي للكتاب باستانبول بتركيا.

(٣) كتاب القصاص (دراسة مقارنة الشريعة الإسلامية بالقوانين الوضعية من إصدارات مركز المقريزي بلندن ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٤) كتاب إثبات جريمة القتل العمد (دراسة مقارنة الشريعة الإسلامية بالقوانين الوضعية من إصدارات مركز المقريزي بلندن عام ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م.

(٥) كتاب مسائل في الإيمان باللغة الإنجليزية إصدارات عام١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.

(٦) كتاب العدو القريب باللغة الإنجليزية طبع حديثاً.

(٦) كتاب مصادر السيرة النبوية. طبع بمصر عقب ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١.

(٧) كتاب أي الفريقين أحق بالعقل يا بندكتوس. طبع بعدة لغات العربية والإنجليزية والفرنسية.

(٨) العلمانيون وثورة الزنج. مطبوع.

(٩) الإرهاب في المنظومة الغربية مطبوع.

(١٠) العدو القريب أس الداء. مطبوع باللغتين العربي والإنجليزية.

(١١) التاريخ الأسود لدويلات الطوائف قديما وحديثاً. مطبوع.

(١٢) هل يقال لمبتدع علامة. مطبوع.

(١٣) المورسكيون الجدد مسلمو فرنسا. مطبوع.

(١٤) القدس لنا ونحن أولى بها. مطبوع.

(١٥) يزيد بن معاوية وحكام عصرنا.

(١٦) التجلية في الرد على التعرية.

(١٧) قصة الجهاد. مطبوع

(١٨) الحصاد المر لشيخ الأزهر طنطاوي. مطبوع.

(١٩) حكم التحاكم للقوانين الوضعية. مطبوع.

٢٠) زنادقة الأدب والفكر قديما وحديثا. مطبوع.

(٢١) حسن حنفي أنموذج للزندقة. مطبوع.

(٢٢) هل كان لنصارى مصر دور في مقاومة المحتل قديما وحديثا. مطبوع

(٢٣) كارلوس .. مانديلا ..سلام وتحية. مطبوع.

(٢٤) رسالة لعبد المأمور. مطبوع.

(٢٥) تسريح الجيوش العربية ضرورة شرعية. مطبوع.

(٢٦) ثورة الشعوب العربية رهان خاسر. مطبوع.

(٢٧) إذا نزلوا ساحة قتال أفسدوها. مطبوع.

(٢٨) القومية وأثرها على وحدة الأمة الإسلامية. مطبوع.

(٢٩) المصير المخيف قرابين على عتبات الناتو بليبيا. مطبوع.

(٣٠) سقوط الحضارة الغربية في جوانتنامو. مطبوع.

(٣١) مملكة القش. مطبوع

(٣٢) فتوى توحيد الأذان من كيتشنر الإنجليزي إلى وولش الأمريكي. مطبوع.

(٣٣) التعليق على البديل الثالث لآل الزمر. مطبوع

(٣٤) رسالة هادئة لقادة الإخوان أي الفريقين أحق بالاتباع. مطبوع.

(٣٥) حكم المماثلة في العقوبة بحث شرعي مبسط. مطبوع.

(٣٦) حكم إمامة المرأة للرجال في الصلاة. مطبوع.

(٣٧) حكم قضاء القاضي بعلمه. بحث شرعي مبسط مطبوع.

(٣٨) حكم ضرب المتهم وخداعه بحث شرعي مبسط. مطبوع.

(٣٩) تعليق أولي على وثيقة ترشيد الجهاد. مطبوع.

(٤٠) فرسان بالليل دعار بالنهار! مطبوع.

(٤١) فلا رجعت ولا رجع الحمار حسن نصر اللات سيد الأمة!. مطبوع.

(٤٢) لماذا التيار السني. مطبوع.

(٤٣) إعادة النظر في كتابة التاريخ الإسلامي. مطبوع.

(٤٤) دورة شرعية في مسائل الإيمان والفرق ١١ شريط.

(٤٥) دورة شرعية في مصادر السيرة النبوية ١٣ شريط.

(٤٥) دورة شرعية في الولاء والبراء ١٠ شرائط.

(٤٦) دورة في القضاء الشرعي ١٧ شريطا.

(٤٧) دورة في القضاء الجنائي الإسلامي ٨ شرائط.

(٤٨) تفريغ دورة القضاء الجنائي الإسلامي الصوتية في كتاب مطبوع من إصدارات مؤسسة تحايا الإعلامية.

(٤٩) تفريغ دورة مسائل الإيمان كاملة في كتاب مطبوع من إصدارات مؤسسة تحايا الإعلامية.

(٥٠) تفريغ دورة الولاء والبراء كاملة في كتاب مطبوع مؤسسة التحايا.

(٥١) كتاب زنادقة الأدب والفكر. مطبوع.

(٥٢) كتاب ثورة التوابين مطبوع.

(٥٣) الخليفة المفترى عليه عبد الله بن الزبير. مطبوع.

(٥٤) حكم قتل المسلم بالكافر. بحث شرعي. مطبوع.

(٥٥) حكم ضرب المسلم وخداعه. بحث شرعي مطبوع.

(٥٦) كتاب العثمانيون وإبادة الأرمن. طبع بعدة لغات. مطبوعات الكتاب العالمي باستنبول.

(٥٧) أكثر من ١٠٧١ خطبة جمعة صوتية ومرئية.

(٥٨) كتاب الأكذوبة الكبرى إبادة العثمانيين للأرمن. مطبوع بعدة لغات العربية والإنجليزية الفرنسية.

(٥٩) شرح كتاب الطرق الحكمية للعلامة ابن القيمة ١١٤ درساً صوتياً.

(٦٠) شرح كتاب تحرير الأحكام للعلامة بدر الدين ابن جماعة دروس صوتية.

(٦١) عشرات الحوارات المقروءة والمسموعة والمرئية في العديد من وسائل الإعلام المحلية والعالمية مثل الجزيرة والعربية وبي بي سي والعالم وروسيا اليوم وآي إن بي وغيرها من محطات وحوارات مكتوبة في صحف ومجلات عالمية عديدة.

(٦٢) حوار منتدى الحسبة أسئلة وأجوبة في أربع مجموعات في قضايا شرعية مختلفة. مطبوع.

(٦٣) سلسلة مقالات هذا جدك يا ولدي من ١٩٩٤ إلى ١٩٩٨: الناصر صلاح الدين الأيوبي. سيف الدين قطز. الظاهر بيبرس. صقر قريش. موسى بن نصير. طارق بن زياد. عبد الرحمن الناصر بالأندلس. عبد الله بن ياسين شيخ المرابطين. يوسف بن تاشفين. سيعاد طبعها قريبا إن شاء الله.

مع تحيات مركز المقريزي للدراسات التاريخية

أعده

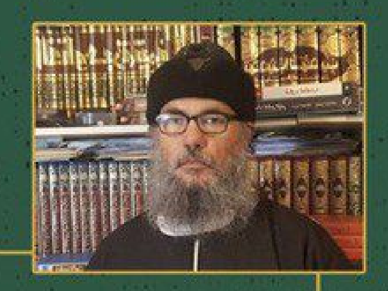
مهندس أبو العز

المشرف على موقع المقريزي

مركز المقريزي للدراسات التاريخية بلندن

الأربعاء ٢٩ ربيع الأول ١٤٣٠هـ الموافق ٢٥ مارس ٢٠٠٩م.

## أولاً: الأبحاث والمقالات



## سيرة ذاتية مختصرة للدكتور هاني السباعي

حاصل على درجة دكتوراه في إثبات جريمة القتل العمد في الشريعة الإسلامية مقارنة بالقوانين الوضعية.

حاصل على درجة ماجستير في القصاص في الشريعة الإسلامية مقارنة بالقوانين الوضعية.

حاصل على إجازة في قراءة القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم من طريق الشاطبية بطرق ثلاث مسندة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

حاصل على إجازة في قراءة القرآن الكريم برواية البزي وقنبل عن ابن كثير المكي من طريق الشاطبية.

له عدة مؤلفات وأبحاث ومقالات وخطب وحوارات باللغة العربية والإنجليزية.

رئيس مجلس إدارة الجمعية الشرعية بالقناطر الخيرية من عام ٧٨٩١ إلى عام ٠٩٩١.

كاتب متخصص في التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية.

مستشار تاريخي لمركز الدراسات الإسلامية بأستراليا سابقاً.

مدير مركز المقريزي للدراسات التاريخية بلندن.


9 786258 230994